

منتدى عين معبد الصاعد WWW.AINMAABED.ALL-UP.COM

مكتبت منتدى عين معبد الصاعد



- ڪتب دىنىت
- علوم القرآن
- علوم السنة النبوية
 - تاریخ اسلامی
 - موسوعات
 - ووايات عالميت
 - ادب عربي
 - كتبالشعر
 - سياسة

- كتب المرأة
- كتب الطبخ
- كتب انجليزية
- كتب فرنسية
- ----
- كتب ثقافية
- كتب أطفال
 - إعلام آلي
- بحوث ورسائل جاهزة

- تاريخ
- اقتصاد
 - ä 451
- فلسفت
- علم نفس
- شخصیات ومشاهیر
 - معالم وأماكن
 - كتب علمية
 - · كتب الطب



تاريخ احسارات المام

The Control Control

مراهی وات عوب بالت میمنت سته دیس

THE RESIDENCE OF THE PARTY OF T











تاريخ الحضارات العام

موسوعت في سبقت مجادات بإشراف مورىس كروزيه

الشرق واليوسنان القتديمة

أندديده اسمار جانين أوبواسيه أمنذ في السوريون أمنذ في السوريون أمنذ متف عيمة

رومتا وأمبراطوريتهت

اندربیه اسیمار جانین اوبواسیه اُستاذ فی السیربون اُمینه محف غیمه

القروب الوسطي

إداود مبروى أستاذ في الربون

القربنان السيادس عشر والسكابع عكشر

وولات موسنيه أستاذ في الربون

القرن الشامن عشر

رولان موسفيه و أرنست البروس أستاذ فيالسربين أستباذ في السربون

القرن الت اسع عشر روبيرشنيرب أستاذ فنري في الدارات العليا

العهشد المعاصر موريس كروزيه مفتش العارف العام في فرنسا

تاريخ الحضارات العام

بإشراف موريس كروزيه مفتش للمارف العام في فرنستا

المجلدالسادس



ستاريخ الحضارات العسام

القرن التاسع عسر

تأليف

رُوبِيرِ سُنيرِيِّ أستاذ فخري في الدراسات العليكا دكنوراه دولة في الآدابِ

نقله الى العربية

فريدم. داغِر

يوسف أسعد داغِر

منتقورات عويدات سبيروت - سبويس جميع حقوق الطبعة العربية في العالم محفوظة لدار منشورات عويدات بيروت ـ باريس بيروت ـ باريس بوجب اتفاق خاص مع المطبوعات الجامعية الفرنسية Presses Universitaires de France

م_دخل

لكل شيء أثره ... وعلى هـذا فالكل او لا شي. . فالكشف عن الحقيقة التاريخية كاملة غير منقوصة يقتضي له التقصي واقتفاء مـا تركت من أثر ملحوظ أينا وقع وباي شكل ظهر ، مها صغر او دق .

ميشليه

۱۹۱۶ – ۱۹۱۶ مام نواظرة القرن المتاسع عشر. وإذ ذاك تنط أمام نواظرة مناسبة عشر. وإذ ذاك تنط أمام نواظرة المتارين الفرارة الق يشير اليها مارك بلوك عندما يستعرض

أمامنا هذا التشويش او الاضطراب الذي يلازم و تصنيفاتنا الزمنية ، . بعد هذا ، هل يقيف الأحداث الى أطرها التاريخية ومفارقاتها الميزة ? فاذا لم يرور ماجريات التاريخ وقعاً التسلسل الزمني حسب تعاقب الملوك وتوالي السيطرات السيا<mark>سية أو الح</mark>ربيـــة ، فسيستمر ، في اضعف الأيمان ؛ عاملًا في إقامة الحدود ووضع الصـوى بين هـذه العهود التاريخية المعروفة لدينا باسم : التاريخ القديم ، والأجيال الوسطى ، والعصر الحديث والزمن المعاصر . ولكن أي معني بعــد لهذه الأدوار والأطوار، وأي مدلول لهذه المصطلحات والمسميات؟ ففي نظر ليتريه ، التاريخ المماضر « يدون وقائم الزمن الذي عاش فيه الناس وجرت حوادثهم » بينا يمتد العصر الحديث. من حقبة الانبعاث الادبي في القرن السادس عشر الى يومنا هذا . ومع ذلك فقد جرت التقاليد منذ عهد سعيق ، وهي تقاليد وأعراف لم 'تنسخ بمد ، على جمل سنة ١٧٨٩ ، حداً فاصلاً لهذه الحقبة . ومثل هذا الاضطراب في المسميات الزمنية بشوب الحقب التاريخية الاخرى . فاذا ما جملنا من عام ١٧<mark>١٥</mark> نهاية القرن السابع عشر ، فمن المعقول ان نجمل من عام ١٨٦<mark>٥ الح</mark>د النهائي للقرن الثامن عشر. ففي التسلم عِمثل هذا التقسم الزمني ٤ لم يعد القرن التاسع عشر ليتفق وحدود الاصطلاح المسيحي للأزمنة التاريخية ، كما انه لا تقاطع هنالك ولا حدود في ديومة التطور وسوكم النشوه . فالأمر ، والحالة هذه ، لم يعد ليتعدى الاصطلاح على حقبة هي خير ما يتفق وترابط الحوادث لتاسكها وفقاً للمفهوم الاوروبي للتاريخ . لا مراء قط انهم توصلوا الى مقررات هامة في هذه المفاوضات التي دارت في مؤتمرات باريس وقيينا وغنت. ومع ان التعاند لم ينقطع قط بين مفهوم النظام القديم والايديولوجيا الجديدة التي طلعت علينا منذ عام ١٧٨٩ ، فباستطاعة اوروبا التي أعاد اليها نظامها و هذا العالم المتعدين ، كا جاء على لسان مترنيخ بالحرف الواحد ، ان تتنفس الصعداء ، وأن تنعم بسلام دائم ، وقد استشعرت البورجوازية الغوائد الجسام التي سيعود عليها بها الاقتصاد الصناعي المتطور ، الحر ، في تكامله المتصاعد ، فليس بعد ما يعيق او يحسد من استشراء الحركة التجارية وانبساطها عبر البحار والقارات ، وستجد انكاترا بنوع خاص نفسها في وضع لم تعرف خيراً منه لتفرض على الناس ما تنتج من السلم والبضائم ،

واندلمت عام ١٩١٤ حرب أكول ، ضروس ، جملت الحضارة الاوروبية على قاب قوسين وأدنى من الانهيار والهلكة ، في مذا الانقلاب الجذري الذي لف المسالم لفا فكان نذيراً بطلوع عهد جديد على البشرية جماء .

فأوروبا ؛ ولا شك في ذلك ؛ هي روح العالم وريحانته في هذا العصر . ومع ذلك ؛ فالسبق الذي سجلته لهما في المضاري ؛ مها بلغ من مداه ورحبه و بُعد مراحله ؛ لم يكن بمامن من كل منافسة او مزاحمة . فقسد كشفت اميركا الفتية في صحبة موصولة لبروموتيه ؛ عن سر نهضة عارمة سريمة الخطى ؛ كا ان بلداماً ودولاً اخرى الخذ يدب في تنسساياهما رسيس نشاط وتتمطى بين جوالحها وجوارحها هزة طافرة .

فالقرن الشامن عشر الذي كان عصر نهضة فكرية وتقنية وسياسية جعل اوروبا تسير في طليمة الركب الحضاري. فهل كتب لهذه القارة، في حلبة الزمن، ان يكون القرن التاسع عشر، عصرها المجلى وذروة التطور عندها ؟



خصائص هــذا العصر ومميزاته برزت واتضحت شيئًا فشيئًا . فأغاط العيش وطرق التفكير التي سيطرت وراجت بمد حقبة الثورة والعهد النابوليوني لم تكن ، ولم يكن لها ان تكون جديدة بالنسبة النرب. فتحرير الفلاح المشدود الى الارض لم يكن امراً مشكوكا فيه وحسب لدى قسم كبير من دول اوروبا ودويلاتها ، بل ان طرائق العمل ووسائل استثار الارض سجلت تقدماً بطيئاً . لم يطلع علينا بعد ١٨١٥ كالم يحدث قبل ١٧٨٩ و ثورة صناعية ، إذ تحن أمام قطور يتسم بالبطء في كل ما يتصل بتقنية الانتاج ووسائل النقل والانتقال، ولا تزال اكتشافات القرن الثامن عشر هي التي تغيض بنعامًا على القرن اللاحق. فالأفكار التي صدمتها بعنف التصدعات السياسية وما صاحبها ولازمها من هزات اجتاعية وارتجاجات سياسية ، بقيت عرضة لهواجس الحيرة والثردد والتشكك ، رما زالت المشاعر المهتاجة في تفاعل وانفعال . فالصراع لا يزال على أشده بين النظام التقليدي والروح التحررية التي جاشت بها البورجوازية ؟ والقلق الذي يبعثه في النفوس مرأى الفقر المدقع المسيطر على الأحياء المكتظة بالسكان في المدينة ينحسر عن أعسال قافهة او عن نظريات خداعة ، بر"اقة ، والطريقة الث<mark>ورية</mark> التي شرعها احتلال الباسليل ودكها تستمر وتستأسد؛ والتحالف المقدس الملكي والارستوقراطي يستهدف دوماً الأخذ بهذه الاساليب التي سيطرت على دباوماسية بلاطات المرك . فاذا مسا هيأت سنوات حكم لويس الرابع عشر الاخيرة وثورات انكلترا وانتفاضاتها ؟ طلوع القرن الثامن عشر ﴾ فعضوره يتمثل في معظم الجالا<mark>ت والنشاطات. ألم يُرس أسس الاستقلال الاميركي الذي</mark> رحبت مقاييسه واتسمت جنباته ما بين ١٨٦٥ و ١٨٣٠ ؟ ألم يوح بالحملة المستمرة المضادة للرق ؟ ومع ذلك فنفوذ اوروب<mark>ا ولا سيا</mark> انكلنرا ، لا يزال يتعاظم ويتجسم أكثر فأكثر ، كما ان شخصية الميركا برزت بصورة أجلى . وبالرغم من تحكم وضع اقتصادي لم يكن مؤاتساً ؛ فالبورجوازية المدنية اخذت تستبد بالسلطة في هذه البلدان بالذات التي تستبد بها وتسيطر عليها عوامل المال والتجارة والصناعة . والممارك العنيفة التي خاضتها البروليتازيا الكادحة عكست من جهتها شكيمة رأس المسال وسيطرته الغاشمة . فانتصب في وجه الطبقة الظافرة المتحكمة طبقة اخرى اخذت تحاول إثبات وجودها بشتى طريقها واحتلالها محالا مرموقا نحت الشمس . وفي الوقت ذات طلع على العالم اكتشاف تقنى جديد يتمثل بدخول البخار في خدمة الفرب ، وبفضل هذا الكشف العلمي العظم عرف الغرب ان يفيد ؟ الى حد بعيد من خدمات ووسائل يستر استعالها ؟ لم يقم في الامس الغابر ؟ من ظن بها خيراً ، ولا من رأى بها نفعاً . وهكذا تستطيع اوروبا استثناف السير حثيثًا وهي على مثل ما نرى من نشاط زاخر وعافيه كالسيطرة على العالم وبسط نفوذها ، في الوقت الذي انصرف فيه الامير كيون ، من جهتهم ، لبسط سيطرتهم على اميركا .

لانغصل لالأولاب

سكان أودوب

النبر المطرد المعرد معدد سكان العالم ، خلال القرن الثامن عشر ، إذ ارتفع هسدا العدد من النبر المطرد و ١٩٠٠ مليون في مطلع القرن اي في سنة ١٩٠٠ وقد عرفت اوراسيا ان تحافظ من جهتها على تفوقها العددي . صحيح ان امير كا الشهالية عدت ، إذ ذاك ، ٦ ملايين نسمة بعدد ان ضمت مليونا واحداً من السكان فسجلت بذلك اكبر معدل في الزيادة ، بينا بلغ عدد سكان ما تبقى من العالم الجديد، ١٩ مليونا بعد ان كان في حدود ١٢ مليونا . أما افريقيا فقد بقيت على وضعها المعروف تقريباً أي في حدود المائة مليون . وبالمقابل بلغت آسيا ه٧٥ مليونا بعد ان كانت ١٩٨٠ مليونا بعد ان كانت ١١٨ مليونا . وهكذا فقد أربى معدل الزيادة في اوروبا على معدل النمو في آسيا (١٠) .

وهذا النمو المتصاعد لم يتوقف ولم يخف كما انه لم تتغير كثيراً نسبة التوزيع الديموغرافي النصف الاول من القرن التاسع عشر. هنالك في العالم زهاء ١٢٠٠ مليون حوالي عام ١٨٥٠. فأذا ما عرفت اميركا ان تحتفظ بأكبر معدل في هذا النمو السكاني ، إذ ارتفع عدد السكان فيها من ٦ ملايين الى ٢٥ مليونا، فقد سجلت آسيا ٧٦٠ مليونا وأوروبا ٢٦٦ مليونا. وهكذا نرى كيف ان معدل النمو ازداد في اوروبا. وقد يتأتى معدل الزيادة أعلى من ذلك بكثير اذا ما اخذنا بعين الاعتبار حركة الارتحال الاوروبي الى الولايات المتحدة الاميركية (اي ما يقارب في المائة من سكان عام ١٨٥٠).

وقسد طرأ ما غير من معدل توزيع السكان داخل الجموعة الاوروبية . فالخسة والثلاثون مليون فرنسي؟ عام ١٨٥٠ لم يكن ليبزم عدداً إلا الـ ٥٧ مليون روسي . والدويلات الالمانية (باستثناء النمسا) تمادل لوحدها هذا الرقم؛ بينها ارتفع عدد سكان ايطاليا من ١٨ مليونا الى ٢٥ مليونا على مليونا كي الجزر البريطانية إذ ارتفع رقهم ٢٥ مليونا ، كما نلاحظ زيادة مرموقة في معدل نمو السكان في الجزر البريطانية إذ ارتفع رقهم

⁽١) راجع في هذا الصدد الجدول البياني لتمداد السكان في اول الفصل الرابع من القدم الثاني من هذا المكتاب.

من ٩ ملايين ، في عام ١٩٠٠ ، الى ١٦ مليونا ، عام ١٨٠٠ ، والى اكثر من ٢٧ مليونا ، بينهم م ملايين ونصف في ايرلندا . والسبق الفرنسي في هسندا المضار أصابه التمهل ، فالتأخر لعلة تناقص المواليد ، بينها يرتفع معدل نمو السكان في البلدان الاخرى . فبينها يبلغ معدل النمو في فرنسا ، عام ١٨٥٠ ، وبه في المانيا ، عام ١٨٥٠ ، وبهلغ في المانيا ، على الالف و ٣٣٣ بالالف في الولايات المتحدة الاميركية .

المعدل العالي في الوقيات الأوبئة الفتاكة والطاعون

قابل معدل المواليد العالي معدل عال في الوفيات . ان الامل بحياة طويلة الامد ضعيف أينها كان ؟ فالسواد الاعظم من السكان هم من الاحداث . ان ٤٤ ٪ من سكان فرنسا ؛ عام ١٨١٥ ، لهم من السن

اقل من عشرين سنة والذين تجاوز سنهم الد ٢٠ لا يمثلون سوى ٧ ٪ لا غير . فاذا ما انخفض معدل الوفيات قليلا في غربي اوروبا والبلدان السكندينافية ، فالظروف الاقتصادية السيئة تحول دون أي تحسن في هذا الجال وتقف حجر عثرة في اي امل بتحسن الوضع . لا بد من ان نتذكر هنا ان السواد الاعظم من الاوروبيين لا قدرة عندهم على مقاومة المرض ولا مناعة عندهم بالنظر للها هم عليه من نقص في التفذية ولأن موقفهم من المرض ليس خيراً من الآسيويين والافريقيين . ففي مدينة ليل ، عام ١٨٣٠ ، لا يتجاوز معدل سن نصف الاحداث بينهم ، خس سنوات ، بينها لم يزدد معدل مدى الحياة في مدينة ملهوز على ٢٧ سنة . ويكفي ان تجدب الارض سنة واحدة او ان تجدب غلالها حولاً واحداً حتى يتهاوى المساكين والبائسون بعشرات الالوف.

فاللقاح الذي اكتشفه جنشر ساعد كثيراً على التحكم بسير الجدري، والبرص اعتصم في أشباه الجزر الجنوبية والسكندينافية ، بينها بقيت حمى البرداء على فتكها الذريسع في بلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، والتدرن الرئوي المتلبس أشكال مرض السل ومظاهره المألوفة بقي يحصد الناس دونما رحمة او شفقة .

فالتيفوس والوباء والطاعون هي اكثر الأوبئة الوافسدة التي خشي الناس شرها الوخيم . فالتيفوس ، كالطاعون ، مرتمه القذارة وانمدام الوسائل الصحية ، فهو يمشمش في الزرائب وفي الاوساط التي تعاني من سوء التغذية ، او تذهب فريسة لويلات الحرب وفتكها الذريم . فقيد تميزت او اخر الحروب النابوليونية بجائحة تيفوس فتكت دونما رحمة بالمانيا ، وبقي همذا المرض الوبيل الحبيث ينتقل من محل الى آخر في جميع ارجاء اوروبا ، مملناً عن قدومه واستشاطته بهجهات فتاكة تقضي على ١٠٠٠ في بلجكا ، خلال الازمة التي استحكت بها بين ١٨٤٦ – ١٨٤٧، وينزل بالحاربين في الشرق ، عمام ١٨٢٩ ، ولا سيا في حرب القرم (١٨٥٤ – ١٨٥٠) من وينزل بالحاربين في الشرق ، عمام ١٨٢٩ ، ولا سيا في حرب القرم (١٨٥٤ – ١٨٥٠) من المرباء الذي نشأ بين سكان السلطنة المثانية . وقد اتضح للجميع بالاختبار ان افتراس الجرذان الاعبر للجرذان الاسود والتهامه له فيه ما يخفف من انتشار هذه الجائحة .

ان الطاعون ضيف طارىء ثقيل ﴾ نزرع الرعب أينا حلَّ وقسام ويسمر الحوف في الثلوب والنفوس . فوافدته الكبرى اجتاحت اوروبا في اثر حملة الروس على ارمينيا وعلى ايران وأثناء الدور الاول من الصراع الدامي الذي نشب بين مصر وتركبا . فالعدوي تسهُّـل انتقالها خسلال الحلات والاشتباكات الحربية ، التي قامت بين الروس والبولونيين ، عام ١٨٣٣ ، عقب وصول بعض السفن الموبوءة ال سواحل البرتغال؛ محملة جنوداً وعتاداً لحساب دون بدرو ووافدة الوباء لم تتجاوز استراخيان عام ١٨٢٣ ، إلا انها اتجهت بعيد ١٨٣٠ ، شطر اوروبا فاشتدت عليها وطأتها مدة سبع سنوات ومنها امتدت الى الجزائر (١١) . فقسد بلغ عدد الضحايا الذين خلفتهم وراءها في فرنسا مائة الف ، بينهم ١٦٠٥٠٠ في باريس نفسها ، و ١٤٠٠ في برلين ، و ٢٠٠٠ في فدينا و ١٠٠٠ في الذريج ؛ و ٦٧٠٠ في لندن . والمدن التي تثاقلت علمها وطأة الجالحسة ؛ فر" اهلها بأنفسهم الى الريف . فيا له من خوف مريس . فيم يستطب الناس ويتعالجون ؟ هل يفي<mark>د</mark> في مسبب الموت الزؤام *ا*لبزموت والكلو<mark>ر والكينا وحماماتالبخار.وعندما اصدر حاكممقاطعة</mark> لقمة العيش ٤ يشعلون النار في عدد من هذه العربات ١ كما رام خصوم لويس فعلمب ٤ يستغاور لحسابهم الخاص ، الاضطرابات التي نشبت في العاصمة ، كا راحوا يسمعون الحواطر ، بالشواقع المغرضة والاقابل زاعمين موددين ان كزيمير بر"يه بس<mark>مم الشعب</mark> بالتواطؤ مم الاطباء والكهنة . ولم ي<mark>لبث</mark> النــاس ان راحوا يتخاطفون النعوش والت<mark>وابيث وص</mark>ناديق الموتى . ومم كزيم<mark>ر بريبه</mark> غابت وجوه: شمبوليون الان وكوفسه وسادى كرنو.

والرياح الموبوءة الفاسدة اخذت ؛ بسين ١٨٤٧ و ١٨٥١ ، تهب من سياسب آسيا وقاواتها الموسقة في الحين الذي اخذت تستحكم في الرقاب ازمة اقتصادية حادة. ولما كان الشعب البلجيكي ضميفا وهذا لكثرة ما يعاني من ضنك العيش وسوه التغذية فقيد رأت فيه الجائعة مرتما خصبا وقتكت فيه فتكا ذريعا ؛ فعصدت من بين صفوفه ٢٣٥٠٠٠ نسمة . وبلغ عدد الضحايا ؛ في لندن ضعفي عدده عام ١٨٣٧ ؛ كما ان امبراطورية القياصرة الروس سجلت لوحدها اكار من من ٢٠٠٠٠٠ و ١٧٢٠٠٠ فريسة وتجرأت على الجنرال بوجو ؛ و ملاذ الجتمع ومعقله الحصين » ؛ كا يقول فيه لويس فويو . واشتد الوباء على الجنرال بوجو ؛ و ملاذ الجتمع ومعقله الحصين » ؛ كا يقول فيه لويس فويو . واشتد الوباء بالأكثر في الاحياء المدقعة الفقر ؛ كا يؤكد ارمان دي ميلون . وكان الجيش النمساوي أداة نقل هذه الرافدة الى ايطاليا ؛ ومن مرسيليا انتقلت الى الجزائر . وقد سلكت الطريق ذاته عسام هذه الرافدة الى ايطاليا ، ومن مرسيليا انتقلت الى الجزائر . وقد سلكت الطريق ذاته عسام هذه الرافدة الى المرافدة الى الموسل على بلدان الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، كا

⁽١) انظر الى الحريطة ص ٧٤ - ٧٥ وزيادة في المعارمات يحسن مواجعة البحث الاستقصائي الذي قام به السيد لويس شفالييه بعنوان: « الكوليرا أولى وافدات القرن الناسع عشر » المنشور في مجلة مكتبة جمية الثووة، عام ١٩٥٨ (الذي صدر عام ١٩٥٨)

سارت في ركاب الفرق الفرنسية فيحروبها في شبه جزيرة القرم ٬ وانتقات عن طريق النازحين الى اميركا . وقد عرفت اوروبا في آخر الامر كيف تتقى هذا الشر الوخيم .

فلماذا ينجب الناس مثل هذا العدد من الولد اذا كانت قسمتهم الفقر المدقع والموت الخاطف وحياة ملؤها الغصص؟ هذا السؤال كثيراً ما طرحه على نفسه القس ملطوس في كتابه الموسوم: « بحث حول مبدأ السكان ، الذي صدر عــام ١٧٩٨ ، والذي احدث صدوره دوياً عظيماً (١) . فعندما راح يهاجم نظرية النشوء والارتقاء ؛ هــــذه النظرية التي قال بها فلاسفة القرن الثامن عشر وعلموا ، 'حسب عليه هجومه هــذا شجباً المقانون الانكليزي المتعلق بالفقراء ، هـــذا القانون الذي حيذ تكاثر النسل لدى طبقة المعوزين، مشيراً بذلك الى ناموس المتوالمة الهندسية ، بمنا و وسائل التفذية ، لا يمكن أن تتطور وتزداد بأسرع من « المتوالية الرياضية » . وقد تنطح للرد عليه غودون ، فراح يؤكد ان البؤس والفقر انما ينشأ. عن تفاوت في ترزيع مصادر الثروة الطبيعية او عن سوء في هذا التوزيع ، وعن تمركز الملكية المقارية وحصرها في ايدي عدد قليل من الملاكن . وقيد وقف هذا الموقف المناهض لمالطوس هذا القبيل من الناس الذين راحوا يتمنون ردة عكسية للحد من حرية التصرف المؤاتية؛ في نظر بسموندي ؟ و للدول الثرية ، حيث ظاهرة البؤس والفقر المام تسير جنباً الى جنب والثراء المادي » . وقد حرص ماركس ولا سما انفاز على تجريح نظرية ملطوس ودحضها ﴾ الذي ينزل العامل منزلة حيوان الجر ٬ تأميناً للانتاج ٬ ويذهب بالحكم عليه بالموت جوعاً ٬ وال<mark>عيش اعزب</mark> طوال <mark>حياته . وعلى عكس هذا تماماً راح المتحررون من علماء</mark> الاقتصاد ، برحبون <mark>بمبدأ يتنافى</mark> والاصلاح الاجتاعي . من الواجب ، وأي الحق ، تشجيع النساس على الاقتصاد وحملهم على التوفير ، بدلاً من التكاثر والانسال بكثرة ، كا يؤكد جان باتيست ساى المروف بشدة تفاؤله والذي لم ينف قط ﴿ أَنْ جَانِبًا مِنَ النَّاسِ يُوتُونُ مِنَ الْعُوزُ وَالْتَصْورُ جُوعًا حَتَّى بِينَ الشَّعُوبِ التَّي تنمم بالازدهار المادي . و راح دونويه ، عام ١٨٣٣ يوصي بقطم المساعدات الانسانية عن كل الأسر التي لا مزيد عدد الاولاد عندها ؛ على ولد واحد. وجان ستيوارت ميل لا يتورع قط عن و النظر الى الأسر المديدة الاولاد والبنين نظرة الازدراء والاحتقار التي يحتفظ بها للمدمنين على تماطي المسكرات او لغير ذلك من الموبقات الجسدية ، وتألفت فيالكلةرة عصبة خاصة تعرف بمصبة ملطوس أخذت على نفسها مناهضة الانسان والأسر الولود بين البائسين .

وهكذا انفتح باب الجدل والنقاش على مصراعيه . فهل يقضي المصر لملطوس او عليه ؟

⁽١) راجع ناريخ الحضارات المام ، المجلد الخامس ، ص ٩٩ ه و ٦١٧ (الطبعة العوبية) .

وهصل وهشابي

العناية بالأرض في اوروب أنماط الحياة القديمة والنطور

« كل مخاوق بشرى أوتي القدرة عل انتاج كمية تزيد عل حاجته من الفذاء » ـ غودوين: (ف<mark>ظرات حول السكان ـ</mark>

لم يكن في مقدور و الثورة الصناعية ، أن تزيل عن أوروبا ، وهي الطابع السائد في اوروبا لا يزال طابع التربة والارش

بعد عند عتبة الغرن التاسع عشر ﴾ الطابع الربغي الذي لازمها منذ عهد سعيق . ومهما كان من الدفع الرأسمالي في انسكاترا ؛ فالتوازن لم ينقطم ، لدى سكان الجزيرة ، بين اللاوة المقارية (Landed Interest) وبين الثروة النقدية (Moneyed Interest) لجهة الاخيرة منها. أما في فرنسا ؟ التي دخلت في ظل إعادة الشرعة الى الحكم ﴾ فالتربة تمثل ثلاثة أخماس الثروة الوطنية ﴾ وهي نسبة تجاوزت هــذا الحد في معظم دول ا<mark>لقس</mark>ارة . فإن كان الانسان لا يزال بعول في معا<mark>بشه على عمله في الارض والسمى لتأمين ما</mark> فيه كفافه ٬ فقد بقي الخوف من الجماعة هاجسه النومي الذي لم يبارحه إلا في السنوات التي تجود<mark>.</mark> بالمواسم الطبية والفلال المشجعة ، حتى المدن التي كان شأنها متواضعًا على الاجمال فقيه وجدت نفسها غارقة في محيط ريفي تميش ممه في مقايضة موصولة وتبادل لا ينقطم .

حرص الاوروبيون الذين همم ، في الدرجة الاولى ، تأمين أو َد الاقتصاد الريغي العيش ٤ على ان يجنوا من غلال الارض ومحاصيلها المتنوعة ما يؤمن لا يزال عل طابعه التقليدي معايشهم العادية. مفدوطة هي الارضالي تكفي نفسها وتفي بفرائضها المرسومة ومباركة المواسم التي تلبح لأصحابها توفير بعض الفلال ، بعد أن يسدد المزارع ما عليه من رسوم وأناوات وضرائب وعوائد.

فالمساحات الخصصة لانتاج الحبوب لم تكن ابداً ، فانضة عن الحاجة ، إذ المهم في هــــذه الحياة تأمين حاجبة المرء من الحنطة . فالمحاصيل الزراعية في البلد الام تكفي عام ١٨٤٠ ؟ مجاجات ٩٠٪ من البريطانيين . فإن قصر موسم الشوقان شال موسم القمح . ومع ذلك بقي خبز القمح ورغيف القمح من الامور الكالية او الترفيهية . والشوفان والشمير والذرة دخلت أكثر فأكثر في تكوين الرغيف والطلمية والعصيدة . أفليست كمكة الحلوى او قرص الحلوى في سكوتلندا من القرطم ؟

وتربية الماشية تأتي بالرديف المؤمل والمنصر المساعد ، وهي تربية تعو"ل ، الى حد كبير ، على انتاج الحقل اكثر منها علية استثار قائمة بذاتها . فهي تولي صاحبها القوة وتوفر له حاجته من اللبن واللحم ، اذا ما كانت تقوم على تربية الحنزير وتعتمد على الساد الطبيعي . وهذه السائمة التي تميش قطمانها بصعوبة كلية ، على المراعي والقصيل الجاف والتي تفتقر احياناً للملح ، هي عرضة ، من حين الى آخر ، لجوائح وأوبئة تصيب الماشية ، فتفتك بها حتى الفناء ، باستثناء الوباء البقري من حين الى آخر ، لجوائح وأوبئة تصيب الماشية ، فتفتك بها حتى الفناء ، باستثناء الوباء البقري منها . ومع ذلك فالحروث ، يسرح في الجنوب ويرح في مراع واسعة ينشاها دورياً مع مواسم المظمن . والماعز الذي يعر فونه عادة ببقرة الفلاح يقضي على الخضرة في الارض بعد ان يقضمها قضماً من الاساس .

والأهمية التي اتخذتها زراعة البطاطا مجيث اصبحت الركن الركين في نظام التغذية تعبر من ففسها عن حراجة الوضع ، كما انها دليل على قلة الطمأنينة للمواسم الزراعية وتقلباتها المحتملة . فما من شك قط أن السهول الساحلية الرطبة لم تكن تكفي لتأمين ما فيه أو د الميش السكان الآخذ عددهم الازدياد لولا التعويل على المحاصيل الاخرى في البلاد ، وهذا ما يفسر لنا كيف إن ايرلندا لم تقفر من السكان منذ عهد بعد .

وفي اماكن ونواح كثيرة ، لم يكن الجهد البشري ، حقق بعد ، السيطرة على سطح الارض القابل للزراعة . فقسد يقنع الفلاح باستنارها الموقت مستعيناً على ذلك بوسائل بدائية تؤول الى حرق الاعشاب بعد كشطها ، وعزق التربة واحيائها والتسميد ، كا اخذ العمل بذلك كله مناطق عديدة من الاردين . ومهما تكن دورة الارض الزراعية فهنالك دوما ارض بور . وأمام فقدان السهاد الحيواني ، كثيراً ما عسد الفلاح الى الزبال او السهاد الاخضر . وكثيراً ما يقنع بعزق الارض على الطريقة الصينية ، اذا لم يتوفر له ما يازم ، من حيوانات الجر والفلاحة وكثيراً ما جر "البزار الرديء او المناخر عن اوانده ، والمزق الناقص ، الى مواسم سيئة . فالأهمال الزراعية يقتضي لها جهود شاقة ووقت طويل وسواعد مفتولة . فالبزاريتم باليد ، وهي حركة مبرورة تبقى عماد الموسم الزراعي الى اواخر القرن . فالحصاد يجري بالمنجل، والدراسة بالخباط مبرورة تبقى عماد الموسم الزراعي الى اواخر القرن . فالحصاد يجري بالمنجل، والدراسة بالخباط النورج تجره الأبقار . فالصور الفرعونية لعملية الحصاد لا تجرح انظار الصفار .

هذا النظام الاقتصادي القائم على موسم الحبوب ولا سيا الحنطة يبقى دوما الازمات الزراعية عرضة لتقلبات عبرة اساسها اصلاض مف معدل انتاجية الارض، وهذه التقلبات التي تطرأ على الحد الاعلى في المحصول، وقصور وسائل النقل وبطئها. وهكذا اصبحت سوق الحبوب سريعة الحساسية الى حد بعيد. وهذه التقلبات السريعة كثيراً ما تقع خلال فترة من

ركود الاسعار او هبوطها ، هذا الهبوط الذي يطبع بميسم خاص، عام ١٨١٧ وما بعده ، وهو ركود عقب حقبة طويلة من ارتفاع الاسعار استطالت الى النصف الثاني من القرر الثامن عشر (١) .

ومع الاستقرار ، انعكس الوضع وانقلب ، إذ يكفي ظهور موسم عاطل واحد لتطل الازمة برأسها من جديد . فعندما برزت ازمة عام ١٨١٦ ، ارتفع غن الهكتولية من القمح في فرنسا ، من ٢٢ الى ٣٤ حتى بلغ ٤٦ فرنكا في بعض الاماكن . وراح الناس ينزلون باللاغة على المحتكرين ، كا راحوا بالتالي يطالبون بالمصادرة . وقد تجلى الهيجان ، إذ ذاك ، بأعال سرقة الطحين ويحاولات تعد بالقوة . وكا حدث في عهد لويس السادس عشر ، راحت الحكومة تعفي القمح من رسم الدخولية ، وتعطي مساعدات لمستوردي الحبوب ، وفتحت ابواب المشاغل الخيرية . ومنذ ١٨٢٥ ، اخذت البلاد تشكو من فقدان البطاطا بما سبب زيادة جديدة في اسعار الحواد الغذائية ، ولا سيا في اسعار الحبوب ، فعادت الاضطرابات وسيطر الهيجان في مطلع عهد ملكية تموز ، وجرب اعمال عنف ضد النبلاء وضد جباة الضرائب غير المباشرة ؛ فإذا ما هبطت ملكية تموز ، وجرب اعمال عنف ضد النبلاء وضد جباة الاسعار الى الارتفاع من جديد ، عام الاسعار عقب ذلك هدوء الاحوال . وعندما عادت الاسعار الى الارتفاع من جديد ، عام ١٨٣٢ ، عاد الهيجان يطل نانيسة ليعكر صفو الامن . فندرة المواد الغذائية اوجدت مناخا لا ينسجم واستتباب الامن في البلاد ، عام ١٨٣٨ و ١٨٤٠ .

وقلة المواد الفذائية وفقدانها كانت اصلاً وراء الانتفاضة الثورية التي وقعت عام ١٨٤٨ اذ قلب البطاطا في الاسواق بعد ان فتكت بهما حشرة مهلكة . ففي الحين الذي لاقى فيه مئات من الألوف في ايرلندا حنفهم جوعاً وتضوراً (الأمر الذي سبب مهاجرة أكثر من مليون نسمة من سكانها) طرأ موسم جفاف اجدبت معه مواسم الحبوب في همذه المقاطعات الواقعة بين السين والرين فتمرض لمجاعة شديدة سكان منطقة واسعة تقع على سواحمل البحر الابيض المتوسط . وهكتولنر القمح الذي كان سعره يتراوح بين ١٨ - ٣٣ فرنكا قفز فجأة الى ٣٤ فرنكا . كما أن سعر الخبز تضاعف من جهة ثانية ، همو الآخر . فالانعكاسات والردات هي واخدة بما شجع جول فاليس على أن يضع كتاباً حول فتنة انتفاضية في فرنسا في مقاطعة الاندر ، صدر بعنوان و البلوزات » . وكان من جراء حركة ارتفاع الاسمار والاستيراد ، أن ضعفت السيولة بين أيدي الناس وأوصلت الازمة الى القطاع الصناعي . وعند أقل بادرة تساهل من قبل القوى الساهرة على حفظ النظام ، كانت الجماهير المهتاجة في كل مكان تعمل على اسقاطها والتخلص منها ولو الى أمد قصر .

⁽١) راجع الكشف البياني ، الشكل ؛ في الفصل ٦

۲ ـ الغرن التاسع عشر

منالك كا يبدو تطورات ملحوظة بدت طلائمها منذ القرن نتائج «الثورة الزراعية» الثامن عشر .

ذي النهج البريطاني راح أرثر يونسن يؤكد عالياً و ان طريقة تعاقب المزروعات العلفية ، الخساصة بالمساشية مع زراعة الحبوب الغذائية ، هي القاعدة الاولى والركن المعول عليه في النظام الزراعي المتبع في انكلترا ، ويؤكد نورقولك بالفعل : أن الدورة الزراعية الرباعية من شأنها ان تقضي على الارض البور وان تزيد الارض خصباً بمزجها التدبة بالنباتات والحشائش والمواد العلفية الغنية بعنصر الازوت وهي النظام الذي ارتكزت عليه واعتمدته والثورة الزراعية». وعلى هذا فان اضافة بعض انواع الفصيلة الصليبية كاللفت والكرنب والسلجم وبعض الحشائش الريفية التي تتكاثر بالبذار كالفصة والبرسيم والحلفا يجب أن تعتبر من افضل الطرائق العلمية التي استنبطها العصر الحديث . وقد اخذ بطريقة التحويل الزراعي وتطبيقها كبار المزارعين الانكليز . بينا عارض المزارعون ، في فرنسا ، اقتباس مسد الطريقة لما تمثله من صدمة تلحق التقاليد المتبمة لدى صفار الملاكين والمزارعين ، في فرنسا ، مثلا . ومع ذلك فقد راحت اراض عديدة معروفة بطيب تربتها ، بين المانش ومقاطعة بوهيسا او في سهل نهر البو ، تحاول روع الشمندر السكري بينا اخذت أماكن اخرى تعاقب بين زراعة السلجم ، وبين زراعة الحبوب والبطاطا ، ومثل هذه البقول تجد لها سوقاً واثبجة في المدن المكتظة السكان . وراحت زراعة الكرمة في الغرب تنقهةر أمام الاقبال المتزايد على زراعة التفاح . بعد ان ثبت بالتجربة ان التربة والمناخ في المقاطمات الجنوبية هي أكثر ملاء<mark>مة</mark> لها . كذلك حشيشة الدينار اخذت مناطق زراعتها تنجدر من الشهال الغربي ؛ نحو و ادى الرمن ومقاطعتي بورغوني والبافيير .

وقد عولوا في علف الماشية ، على بعض الحبوب . فراح العاملون في تربيسة الماشية في الكلترا يعنون ، على الاخص ، بتأصل عروقها واستيلاد انواع جديدة بالمصالبة . فقد همهم أن يحصلوا على عرق من الابقار يعطي المزيد من اللحم او الحليب . كا راحوا يستولدون عروقاً جديدة من الغنم الجيد الصوف . وهكذا استطاعوا ان يسجلوا لهم تقاليد محترمة يعمل بهما في مجال تربية الماشية . من ذلك مثلا ، النوع المروف عندهم به المتوحيت اصوله القصير القرن . كذلك صرف المزيد من الاهمام والعناية بنظام السقاية والري استوحيت اصوله من الاساليب المستعملة في الاراضي الاسبانية السوادة المروية المشهورة بخصب زراعاتها . وكان من بعض نتائج هذه الطريقة ظهور مروج ومراع هامة في انكلترا وفي بعض بلدان القارة .

وأخذت اوروبا تجري تجارب تأصيل واستنبات عروق جديدة بين الغنم والبقر . فبعد ان كان الخروف من عرق المارينوس يعد في فرنسا مليون ونصف المليون ، عام ١٨١٥ الرينوس يعد في عدد في عام ١٨٤٠ الى ٨ ملايين رأس. وقبل أن تدخل بلدان جديدة مضار تربية الماشية ،

أقبلت اوروبا القارية على هذا النوع من الاستثارات ، بصورة غريبة مجيث أن المانيا عدت ٢٠ مليون رأس ، منها ٨ ملايين في بروسيا .

وبذلوا كذلك المزيد من الاهتام والعناية لرفع الإنتاج في الاراضي الخاصة بزراعة الحبوب بعد ان ظهر للجميع فائدة تسميدها بالكلس وتخصيبها. ومع انه اصبح في الامكان التعويل ، أكثر فأكثر ، على السماد الحيواني ، فقد راحت شركات استثارية بريطانية ، تمنى باستعمال العظام المسحوقة لهذه الغاية حتى ان احداها اخذت تستعمل تربة بعض الحقول التي كانت ميداناً لاحدى المعارك النابوليونية الكبرى . وأخذ الغوانو Guano يلعب ، بعد عام ١٨٤٠ ، دوراً بارزاً في عملية تسميد الاراضي الزراعية ، ومثل هذه المادة تتوفر بكثرة في بلدان اميركا الجنوبية المطلة على شواطىء الحيط الهادي . كذلك جاء بفائدة كبيرة الاختراع الذي تم على يد ليبيغ Liebig ومكنه من صنع مخصبات صناعية تستمد من الكيمياء الصناعة .

ومما استدعى اهتاماً أكبر وجهداً مربراً هي الاراضي التي عرف الانسان ان يستخلصها من البحر. فقد طرأ تحسين كبير على طريقة تصريف المياه تدريجياً بواسطة قساطل متخذة من الطوب والقرميد ، وهي الطريقة التي اقترح العمل بها السكتلاندي سمث عام ١٨٢٣. وقد عرف بيل Peel ان يحدث حولها دعاية للترويج لها ، وذلك باعتاده لها في مزرعته الواسعة في ستافوردشير بانتظار الانابيب التي اوصى عليها في معامل هوايتهيد في برستن . وهكذا ونظام تصريف المياه مع نظام سقاية دقيقة مكن من زراعة واستثار السهل البادائي . وهكذا امكن ادخال تحسينات ملحوظة على الاراضي الواطية في يوركشير ولنكولنشير وسهل فوريز ، وبطائح سولوني والمستنقعات القائمة في المانيا الشهالية .

ولعل ما يلفت النظر في هذا النشاط الزراعي ، عمليات تجفيف الاراضي الواطية وانشاء المزارع مكانها . وبهذا تم للانكليز الاستيلاء على Fens ، كا اخلف الفرنسيون يجففون مستنقعات Moers . ويمكن الهولنديون على الاخص ، بسين ١٨١٥ – ١٨٧٥ ، من استخلاص اراض من البحر مساحتها ٥٨٠٠٠ ه هكتار ، مقابل ٢٥٠٠٠ هكناراً تم استخلاصها منذ عام ١٦٧٥ ، وبذلك تم ضم مقاطعات كيفراس، وانسابولونا، وأزالوا بحر هارلم ، وراحوا فيا بعد يعملون على بجفيف ونزح مياه مستنقعات مياه توماس وبولينا ، بعد ان استبدلوا المضخات التي تعمل على المواء بأخرى تعمل على البخار . وفي الوقت ذائب ، استمر العمل في بناء سدود ماركنتير ، واحياء اراضي مستنقعات البواتو، وتثبيت كثبان الرمل في مقاطعة كسفوني . وهكذا اتسعت شطان اوروبا المطلة على الاطلسي وأمكن تثبيتها .

وهذا الجهد لا يعني قط إغفال ما للأدوات الزراعية من قيمة والانتقاص من شأنها بعد التحسين الملحوظ الذي طرأ عليها قبل اكتشاف البخار . ولم تلبث انواع المحاريث الانكليزية المحسنة ،

على اختلافها ، من طراز Bibble و Howard و Mathieu ان غزت القارة واكتسحت اسواقها وذاع استمالها في مختلف البلدان الاوروبية .

ومع ذلك فهذه النجاحات التي حققتها الهندسة الزراعية لم تكن بحاسمة قط. فالتجارب والمشاريع الفردية التي قام بها في هدف المجال أمثال ماثيو دي دومبال وإيفار ، الذي كان في فرنسا ، ما كانه أرثر بونغ في انكلترا ، لم تلق التشجيع المرتجى من قبل السلطات في باريس ، فالأساليب والطرق الفنية الانكليزية وجدت لهما استجابة اكبر بين كبار الملاكين في بروسيا ، وأصبحت المدارس الزراعية تعتمدها كل من Thumer وأصبحت المدارس الزراعية تعتمدها كل من Thumer و وطبق بسارك في مزارعه الواسعة ، في كنيفوف ، الارشادات والافتراحات التي أوصى بها الاخير منها ، كذلك اخد بأسباب التجدد وتطبيق وسائل الزراعة الحديثة وأساليبها كبار الملاكين في الامبراطورية النسارية ، وفي إيطاليا إيضاً امثال كافور ، وفي روسيا .

كل من تطلع ؟ عــام - ١٨٥ ؟ الى الارياف ؟ في كل من فرنسا وانكلترا رأى الفرق والتباين بين ما كانت عليه مناظر الريف والحدائق بين البلدين ؟ وكلها تشهد بالسبق الذي سجلته الزراعة الانكليزية في هذا المضار . كذلك جـاء الفرق كبيراً بين اسطبلات الخبل في مقاطعة نورمنديا ومقاطعة الليموزين . ويتضح من البيانات والحسابات الدقيقة التي وضعها ليونس دي لافيرني انه يلرم فونسا ثلاثة ارباع القرن من الجهد والتطور الزراعي لتصبح في المستوى الذي بلغته حارتهـا في هذا المضار .

عندما انتهى كبار الملاكين في انكلترا ؛ عام ١٨٤٥ من إقامة بريطانيا العطمى رحبار الملاكين السياجات وعملية التصوين حول ممثلكاتهم العريضة ، كارت قد صدر ، قبل ذلك ، منذ عام ١٧٠٠ ، نحو من ٢٠٠٠ قانون او قرار ، تطالب بشكل او بآخر اصحاب الاملاك إحاطة أملاكهم الواسعة بالأسوار والسياجات اللازمة . وهكذا أتبح لهؤلاء الملاكين الاستداء على جاب كبير من الاراضي في انكلترا .

هذالك زهاء ٢٠٠٠ من كبار الملاكين كانوا يملكون اكثر من ثلث مساحة الاراضي الزراعية في انكلترا ، ولا يزال تحت تصرف البعض منهم لليوم ، من هذه الأملاك الشاسعة ما يربو على ١٠٠٠٠٠ والبعض على ٢٠٠٠٠ هكتار وهي ممتلكات تضم لعمري جانباً كبيراً من الاراضي الموات والمراعي . ورغبة من الارستوقراطية المقارية البريطانية في رفع وارداتها ، راحت تحاول التجعل من اراضيها وممتلكاتها استفارات زراعية ناجعة . ان آل بدفورد مثلا ، استطاعوا ، بعد ان عنوا بتصريف مياه المستنقمات من بعض ممتلكاتهم ، وإحياه الكثير من الاراضي الموات ، ان يومنوا لهم دخلا سنوياً من مواسمهم الزراعية تجساوز مليونين ونصف ١١١ . فأملاك الكونت

⁽١) الاشارة هذا الفرنك الفرنسي وققاً لقيمته الفعلية في شهر حرمينال من العام الثوري الحادي عشر .

ليستر الذي عرف بممارضته لنظام الدورة الزراعية ، والتي بلغت مساحتها ١٢٠٠٠٠ هكتار ، وقيمتها خسة ملايين، في عام ١٧٧٦ ، ارتفعت اسعارها الى ٢٥ مليونا ، عام ١٨٤٠ . فالأملاك الواسعة تولي اصحابها ومالكيها سؤدداً ونفوذاً عظيمين . فالبورجوازي الكبير بيل لا يخرج عن كونه ان درايتن مافرر او صرح درايتنن .

ففي انكلترا نحو من ٢٠٠٠٠٠ من هذا الصروح التي تبدو ببساطتها من الداخل وتشرف بارتفاعها على المروج السندسية والفابات . ووجود هذه الحداثق والمروج التي تكثر فيها اسباب القنص والصيد تضفي على مالكها شخصية تفرده 'كا انها تيسر له ولضيوفه ونزلائه ما يبعث في نفوسهم البهجة إذ تمكنهم من الانصراف لرياضة الخيل والالعاب الرياضية . فعلى مقربة من مدينة شفيلد التي تفشاها الجلبة والضوضاء كا تغشى جوها سحابة دائمة من الدخان الكثيف ' يقوم قصر دوق ديفونشير المنيف الذي يحاكي بحياله وروعته ومناظره ' قصر فرساي من قريب بياهه الهادرة ومساقط مياهه وأحواضه وفستقباته المزدانة بالتاثيل وبدفيئته الفنية التي عولوا عليها لتجهيز معرض لندن ' عام ١٨٥١ ' بما يلزم . ويحتشد الأسياد من كبار الملاكين بالمئات في حفلات الصيد المرحة فينصرفون لصيد الثعلب وما اليه من طرائد الطير والوحش التي تحوم في الغابات والمرتفعات الفيحاء .

فالجهاز الاداري فيالمنطقة يقع تحت تصرف الطبقة المالكة بما لديها من قوى الشرطة وأجهزة <mark>ال</mark>مدل <mark>حق ورجال الاكليروس تنويها بما توليه الملكية العقارية لصاحبها من شرف وسؤ<mark>دد. وهذا</mark></mark> الرهظ الكبير من كبار اصحاب المقارات الكبرى يعرف ان يؤمن له ربعاً كبيراً بمــا على سطح الارض او في بطنها ، يسام الى حد كبير في تأمين ما يؤول الى تطوير المدينة ومرافق الصناعة في البلاد . ويملك كل من اللورد وستمنسةر وبدفورد ، جانبًا هامًا من لندن يتكون من أطيان وعقارات طائلة ؟ ويقومان فيها بمعاملات وأعمال تجارية واسعة ، وإيجارات مع رهن وبنبان العديد من المباني والعبارات التجارية لاستثارها . ويعمل لورد دورهام ولورد لندندري في تجارة الفحم الحجري وتسويقه ويملك كثيرون من كبار الملاكين المصانع والمعامل. ما من شركة تجارية ولا من مصرف مالي إلا وله عائدات محترمة من ربع المقارات التي يملكها ، وهذا الربع هو في انكلارا أعلى منه في القــــارة بفضل قوانين الحبوب (Corn Laws) التي تحظر دخول الحنطة الأجنبية الى البلاد. في مقدورنا أن نلاحظ شيئًا من التناظر بين القوانين المتعلقة بإقامة السماجات (Enclosure Acts) وبين تقييم سعر الحبوب, ففي الحين الذي كان فيه علماء الاقتصاد وآدم سمث ينظرون الى الدخل او الربيع العقاري نظرهم الى هبة او عطية من الله رأى ملطوس في هــــذا الربيم نتيجة حتمية للضغط الديموغرافي في البلاد . وها هو ريكاردو يشجب ربيبة القلة والموز ٠ هذه الثمرة للحيازة الحانعة . ويتساءل كوبدن المتفائل مستوضحاً ما اذا كان باستطاعة كبار الملاكين في البلاد ان يعرَّضوا، باستمرار ، سكان المدن للمجاعة. ولذا حتمت المجاعة التي وقعت عام ١٨٤٠ Hungry Forties على اصحاب الاملاك الكبيرة القيام بتنازلات ملحوظة بهذا الشأن. ومن جهة اخرى ، كان المزارع في انكلترا افضل وضعاً من زميله في المقارة ، إذ إنسه يملك منزلاً بورجوازياً يضم غرفة الاستقبال وينعم في سويعات فراغه بالطالعة والرسم ويبعث زوجته لتبتاع من المدينة ما ترغب في شرائه من ألبسة وزينة . هنالك ، بالمقابل بروليتاريا هي دوماً عرضة لتقلبات سوق العمل ، كا يوجد في البلاد ، طبقة من اصحاب الفقر المدقع ، كا يدل على ذلك هذا العدد المرقفع من هؤلاء العمال المسجلة اسماؤهم في بيت العمل Workhouse ، إذ تتراوح نسبتهم بين ١٠ و ١٥ / من سكان الناحية ، وهي حالة فقرية يزيد من بؤس اصحابها وتعاستهم التطورات السريعة التي اخذ بأسبابها رأس المال الصناعي ورأس المال الزراعي ، إذ جر" الاول الخراب على الحرف اليدوية في الريف كا استأثر الثاني بالسيطرة على الارض . فالاصلاح الزراعي الذي أجري عام ١٨٣٤ لم يحدث اي تغيير يذكر ولم يحو"ر شيئاً من المبادىء التي كرست ديومة الذي أجري عام ١٨٣٤ لم يحدث اي تغيير يذكر ولم يحو"ر شيئاً من المبادىء التي كرست ديومة هذا اللسكل من الفوضى الاجتاعية في البلاد . وبالرغم من المساعدة التي قدمها هسذا الاصلاح الراعويات التي لم يعد بامكانها مد يد المساعدة المعوزين والبائسين ، فهو لم يمنع المساعدة عن هذه الأسر إلا ليجعل العمل الالزامي أشد اسراً وأنكد عيشاً .

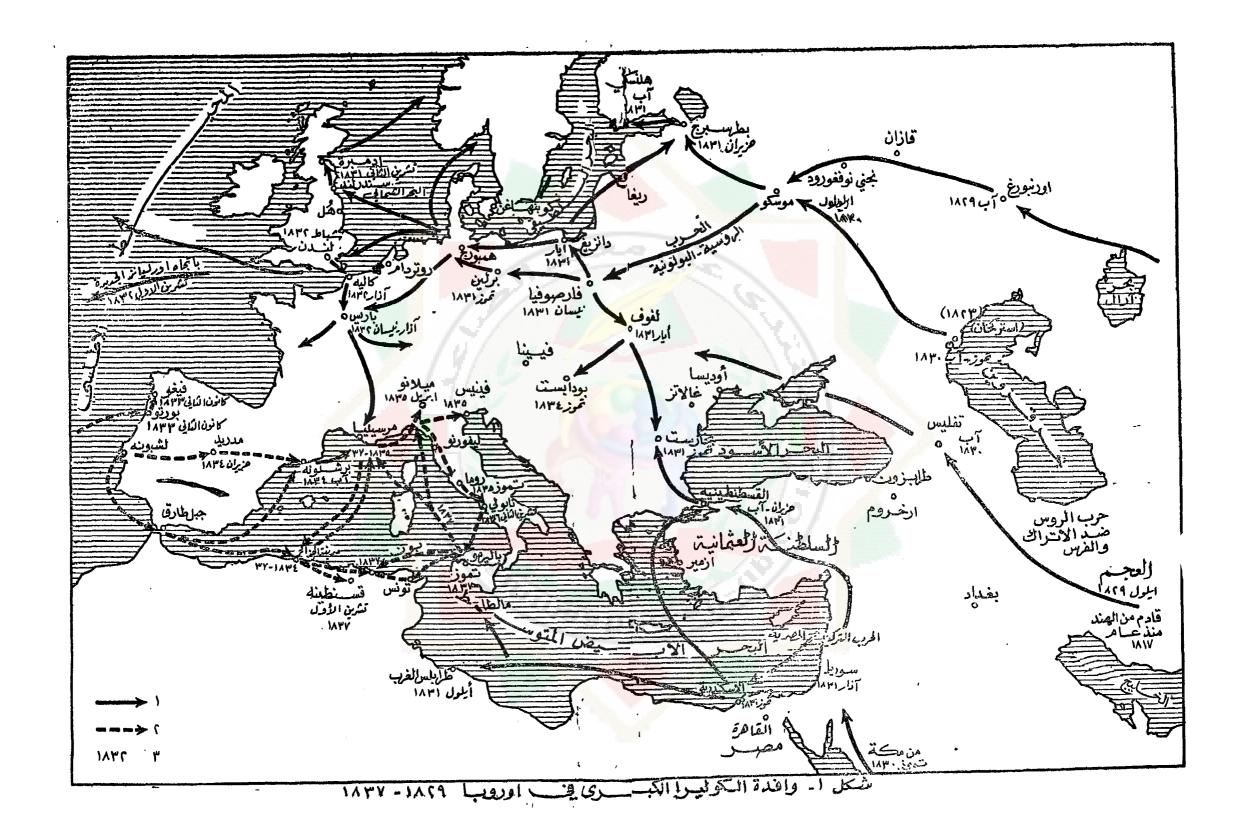
بحتى الفتح وباسم القوة سيطر كبار الملاكين على ايرلندا هذه الجزيرة الفلاح الابرلندي رما يمانيه من يوس رمذلة . الواقعة الى الغرب من انكلترا . فسواء أقام فيها صاحب الارض او في مدينة بلفاست او في دبلين او مكث في انكلترا ، فهو لا يستثمر منها سوى قسم ضئيل من رأس ماله وهو على يقين بأنه سيجد دوماً فيها السواعد المفتولة. فالسكان الذين يتناسلون فيها بسرعة يتوزعون بين ٧٠٠٬٠٠٠ مزرعة (مقابل ٢٠٠٠٠٠ في بريطانيا العظمى) معظمهم لا تزيد مساحة مزرعته على هكتارين وتبقى شبه ضائعة لا تقع عليها عين بين ممتلكات تتناوح مساحة الواحدة منها بين ٢٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ مكتار . فالمرابع أو المزارع الضميف الجانب يشده الى الارض عقد مشروط لا يستطيع معه مبارحة المزرعة التي يعمل فسها لأخرى إلا بعد إنذار صاحب الارض برغبته تلك بستة اشهر عملا بالعرف المتسع (rundale او runrig) الذي يجعل القريسة بأجمعها متضامنة متكافلة معاً في أداء المفروض عليها من الفلة او Conacre المرتبط دوماً بأمل الحصول على موسم طيب ، تسديداً ووفاء لموائد باهظة . فهو لا يتمتع حتى بهذه الطمأنينة التي تتوفر لرقيق الارض . فهو يستدين ليؤمن بذاره والعشر المترقب عليه نحو الكنيسة ، سواء أكان من أتباع الكنيسة الانكليكانية او لا ، والضرائب المقارية التي زادت فداحة منذ الحروب الاخيرة . ولما كان دخله لا يمثل إلا ثلث المحصول القائم ، كان على ملتزم الارض أن يتدبر أمره بالاستدانة بفوائه عالية وببيع قسم من حصته . وكان من جراء هــــذا التصوف أن فقدت البلاد مواردها لا سيا أذا ما عرفنا أن مساحة الارض الخصصة لزراعة المواد الغذائية أخذت تتناقص امام إقامة المراعي والمروج. والبطاطا وحدها هي المعول عليه فيتأمين أوك الاسرة والحنزير الذي يحتلقسما منالمطبح فيالزريبة فيأخذ الفلاح الايرلندي يجوب الارض مجنًّا عن عمـل (هنالك اكثر من ٢٠٠٠٠٠ يبقون عاطلين عن العمل اكثر من

نصف السنة) وإلا اضطر ان يتبلغ عيشه الضنك في منزله الموحل يصطلي، على الرديء من الفحم يتنازعه عاملا الاستسلام والياس .

زد على ذلك الاضطرابات الزراعية التي كثيراً ما رافقتها حرب دينية وصراع مستميت ضد الجنبي طارى استباح باحة البلاد بمسالم يترك للانكليز سوى فترات قليلة من الهدوء النسبي وراحة البال . فبعد الهيجان الذي احتدم أواره عسام ١٧٦٣ – ١٧٦٩ ، والفتنة الدامية التي قامت بين ١٧٩٦ – ١٨١٠ ، وهذه الفوضى التي استبدت بالبلاد بين ١٨١٠ – ١٨١١ ، والجاعة التي أنشبت أظافرها ، عام ١٨٢٧ ، كل ذلك جر البلاد الى اضطرابات دامية تخللت الازمة التي نشبت عام ١٨٣١ اصبحت معه الجزيرة مسرحاً لأعمال العنف والحرائق والجرائم السياسية . ولم يعدد الأمن الى نصابه إلا بعد حوادث ١٨٤٦ – ١٨٤٨ المفجعة التي أدت ليس الى إفقار الريف فحسب بل الى ثورة دامية .

بعد عودة البلاد الى الشرعية وجد ماوك آل بوربون عندهم طبقة من من مناد الملاكين المتواضعين الفلاحين متحررة تماماً من النظام السيادي . وهسذا المجتمع ما زال من من مناد الملاكين المتواضعين وعمال مياومين . يتألف في كثير من المناطق من مزارعين ومرابعين وعمال مياومين . فبعد ان محدمت آمالهم في ما عللوا النفس به وتوقعوا من تقسيم ، استمسك اكثرهم حرمانا بالأعراف المعمول بها مجتمعيا ، هذه الأعراف التي شجيتها ونددت بها عاليا التشريعات الفردية والاقتصادية . وعندما راحت حكومة تموز تفكر بإلفاء حق رعي الماشية في المراعي الخاصة ووقف العمل بما تمتعوا به من حق المرور ، والمباشرة بإحياء الاراضي المشاعية وتعميرها ، أثارت المجالس البلدية امامها احتمال قيام هيجانات شعبية في البلاد . وقد استقر في روعها انه من الافضل الاخذ بنظام تأجير الارض بدلاً من توزيعها . وقد صدر بذلك ، عام ١٨٥٠ ، قانون بين وسائل تطبيقه ووضعه موضع التنفيذ .

هناله أملاك ساروا في استفارها وفقاً لأصول الزراعة الحديثة كاحدث احياناً منذ القرن النامن عشر ، وظهر للحال الفرق بينها وبين الاملاك التي ساءت العناية بها فبارت بالتالي مواسمها وفانت غلالها. ويلحظ ستاندال في د مذكرات سائح ، تحول بعض اصحاب الاملاك الذين قالوا بالشرعية ، الى العناية بالارض . وراح بعض البورجوازيين وبعض اصحاب الاراضي من النبلاء ، خداً منهم بالنظام الانتخابي المعمول به بي يتحكون بمجتمع ريفي تسوده الفردية والتشتت . الأملاك العقارية هي متواضعة الحجم ، اجمالاً ، باستثناء بعض المقاطعات حيث المزارع الكبرى بقيت تدار وفقاً التقاليد المرعية ، وحيث المستأجر يفتقر النقد والسيولة لتأمين ما يطمع فيه من ارباح واستقرار . فهل كان فورييه يغلو عندما يؤكد لنا ، عام ١٨٢٩ ان هنالك في ارجاء مقاطعة بيكارديا ، فلاحين ومزارعين لا فواش عندهم في ههده الأكواخ القرابية التي يعيشون فيها ، فهم يتخذون لهم فراشا من الاوراق البابسة السيق تعبث فيها الهوام والحشرات . ويتساءل نويل يتخذون لهم فراشا من الاوراق البابسة السيق تعبث فيها الهوام والحشرات . ويتساءل نويل



بارفيه ، عام ١٨٤١ ، ما اذا كان وضع الفلاحين العاملين في سهول Beauce يختلف حكيراً عن وضع آبائهم وجدودهم، إذ كان طعامهم دون ما يحتاجون اليه بكثير، إذ لم يكز، غذاؤهم اليومي سوى الخبز الاسود الناشف بعد ان كانوا يؤمنون لنا خبراً ابيض شهياً — وبعض البقول ، وشيئاً من الجبنة مع الماء بالقدر الكافي ، هذا الماء الذي ينقص احياناً ، في فصل الصيف بعد ان نجف البراء والغدران وتنزح الينابيع والآبار ، بينا لا يذرقون من انواع الملحم غير دهن الخنزير ضمن ورقة الملفوف ، مع العلم ان الحصة السنوية الفرد الواحد من القمح واللحم قد ارتفعت ، من عهد لافوازييه الى سنة ١٨٤٠ ، من هكتولتر وربع و ١٨ كياد من اللحم الى هكتولتر و ١٣٥ من النعم و ٢٠ كياد من اللحم الى هكتولتر و ١٣٠ من النبيذ . والنظام الاقتصادي الذي حرص ان الريف دوماً على التمسك به هو ان يكفي نفسه بنفسه وان يبيع كل ما يعطيه مردوداً أطيب ، وهي عقلية رجل مقتصد همه الوحيد ان يتمكن من زيادة الملاكه مهما كلفه الامر من حرمان ، ولحمل من غصص ومضض ، مع العلم انسه لن يتمكن من زيادة الملاكه مهما كلفه الامر من حرمان ، ولحمل من غصص ومضض ، مع العلم انسه لن يتمكن الرهن التي كثيراً ما تعرض له ابن الريف المشكلة الكبرى ، هذه المشكلة التي رأى فيها ماركس اله حلت محل الرسوم السيادية .

وهكذا مها بدا من امر هذه المفارقات الاقليمية القائمة ، فالريف الفرنسي بقي مستمسكاً بالأعراف والتقاليد التي أقصرت سكانه على الميش الحقير . فهم يصرفون ارقائهم في الماحكات والانتقاص من خدمة المعلمين ورسالتهم ويسلمون بالخدمات التي يؤديها الطب ، ويعولون كثيراً على الاطباء اللسجالين ، ويخشون جانب النبلاء ويستسلمون بكليتهم كالأطفال ، لمباهج الأعياد الوطنية وأفراحها ، ويتنكرون هنا ، المخوري الذي يقوم على خدمتهم الروحية ، ويجلتونه هنالك ، محتفظين من المسيحية بمعظم ما لها من مظاهر وثنية ، عارضين صورة العذراء مريم الى جانب صورة نابوليون . وبالرغم من ثورة ١٧٨٩ التي حررته من العشر والحقوق الاقطاعية ومنحت تلقائياً الحق القانوني دون الحق الفعلي بالاستملاك واقتناء الاراضي ، فالعالم الذي يميش فيه هذا الريفي الفرنسي هو ، من الوجهة المادية والعسكرية ، يحاكي من قريب ، العالم الذي عرفه وغره في العهد البائد . فهو لن يتخلص ، هن الوجهة الديموغرافية بسهولة ، من عقابيل الازمة التي اخذت بتلابيه بين ١٨٤٦ — ١٨٤٨ .

انكفاء النظام السيادي في النباطق الواقهــــة بين البحر الشالي رجبال الابنين

ومقاطعات الرين وسويسرا وايطاليا الشهالية . فقد ألغيت في كل من هذه الاقطار تقريبًا الحقوق السيادية كا اخذ يختفي فيها تدريجيًا ، رق الارض ، وسهلت بالتالي امام الاهلين حقوق التملك

على اثر الفتوحات الفرنسية ، استمرت حركة تحرير

الفلاحين في احتدامها الصاعد وأن لم تأت هذه الحركة

واحسدة قدراً ونوعاً ، في كل مكان في البلاد الواطبة

ففي البلاد الواطية حيث بقيت الكنيسة وطبقة النبلاء محافظتين على امتيازاتها ، استحوذت البورجوازية على حصص كبيرة من الاراضي بينا بقي مستثمرو الارض من مستأجرين ومكترين على عسرهم المالي المعروف . ففي السهول الفلمنكية حيث لا يزيد معدل مساحة الارض التي يتصرف بهدا الفلاح او المرابع على ثلاثة هكتارات ، يوجد نحو من ٣٠٠٠٠٠ من الشغيلة المياومين ، بحيث ان نصف عدد سكان الريف لا يستطيعون العيش إلا باحتراف الحياكة وصناعة النسيج . فقد كانت السنوات ١٨٤٠ – ١٨٤٨ ، وبالاً على هذا القطر الذي اصطلحت عليه ، في آن واحد ، أزمة خانقة من هداه الأزمات التي حلت ببضاعة النسيج ، ومرض زراعي فتك بزراعة البطاطا ، بينها كان سكان مقاطعتي البرابنت والهينو في وضع بحسدون عليه .

أما في سويسرا؛ فالمجتمعات الريفية تعيش متحررة ؛ مستمسكة بأعرافها وتقاليدها ؛ بينما يرزح المزارعون العاملون في المرتفعات ؛ تحت سيطرة كبسسار الملاكين في المدن الذين لا يزالون متمسكين بأعراف السخرة وضريبة العشر ؛ فلن يكتب الفوز النام لحركة التحرر هذه إلا بعد جهود الديموقراطية الريفية وتضحياتها السخية في أعقاب سنة ١٨٤٨ .

أما في المانيا حيث لا نزال نرى بعض واحات ترزح تحت وطأة رق الارض فالحرية مثمال جانبها والأملاك السيادية لم تعد تمثل شيئاً يذكر اذا ما قيست بنظام اكتراء الاراضي الزراعية. فليس فيها من يفكر بالتخلي عن الاجراءات التي تم وضعها تحت تأثير الثورة الفرنسية . فقسد صدر في مقاطعة ورتنبرغ مرسوم يقضي بإلفاء رق الارض واستبدلت السخرات الاعتباطية بأعمال سخوة محددة ، مشروطة ، كما ان التشريعات التي صدرت في مقاطعة بادن يسترت شراء او افتكاك الرسوم المتوجبة كما اصبح إلفاء السخرة ، بعد عام ١٨٣٠ ، امراً واقعماً في هسذه الفراندوقية . ومع ذلك فالفلاح يقاسي كثيراً من حرمانه من الارض ومن الربا الفاحش مع الرهن ، مجيث ان ثورات الفلاحين ، في المانيا الجنوبية ، عام ١٨٤٨ ، اتجهت ضد اليهود وضد كبار الملاكين من النبلاء ورجال الكنيسة .

فالسوادُ الاعظم من سكان الريف ، الى الجنوب من الالب ليسوا باسعد حسالاً ، بالرغم من زوال الرسوم الاقطاعية . فنظام استنار الارض وتأجيرها على أساس المرابعة ، هو النظسام الذي لا يزال متبعاً في هذه المرتفعات ، والارض غير المروية الواقعة في سهول البو بيسنا نرى المرابعين والعال المياومين العاملين في سهول لومبرديا ومقاطعة البندقية وفي دوقيات مودين وبارم هم عرضه لأبشع الاستغلال من قبل اصحاب الاملاك الجشعين وأرباب الأسسر المكبيرة ، الذين يعيشون عيشة الترف والقصف على مقربة من هذه الاكواخ المتخذة من اغصان الشجر ومن اللبن المجمعة ، وبالرغم من تبججه بالتضلع من أفافين الزراعة وأصولها . فان هيولوبولد دي توسكانا

الذي يزور مزارعه معتمراً قبعة من القش ولابساً قباطه أبعدمن ان يفكر في تلطيف وضع هؤلاء المرابعين والعمال المياومين ، بعض الشيء . وهذه المستحدثات التي اخذ بها وتبناها قرناء رجال الاقتصاد ، من بينهم مثلا ، كمبل بنسو دي كافور ، كانت اعجز من ان تدخل تحسينات سريعة على وضع الطبقات الكادحة .

الاطيان الضغمة علىحدود اوروبا الشرقية وفيشبه الجزر المطلة على البحر الابيض المتوسط

ساد الى الشرق من نهر الايلب ، والى الجنوب منجبال الابنين في توسكانا والبيرانيس نظام الاطيان والممتلكات الضخمة . فرق الارض هو النظام المسيطر هنا وهنالك في هذه المقاطمات المتصلة مروسنا والبلقان .

ففي شبه الجزيرة الايبيرية ومملكة نابولي اصبح الخطر يهدد وضع النبلاء والاكليروس تحت تأثير مفارقة غريبة تتمثل في هــذا التنافس الانكليزي الفرنسي . فراح الفلاحون الذين محرفوا يكرههم للاجنبي وبتعصبهم الشديد يتصرفون تصرف سكان مقاطعة الفانديه . واذا لم يعد آل بوربون ، في ايطاليا ، بعـــد عودة الشرعية في فرنسا ، فالبوربون في اسبانيا ، فوضوا من الاساس، بحركة جذرية ، العمل الاصلاحي الذي بوشر به في عهد الملك جوزف او جرى الاخذ به عن طريق الكورتيس بتوجيه منه .

وكانت هذه الممتلكات الواسعة Lutifondi تند من جبال الابنين الوعرة المسالك حق السهول الساحلية التي ساء تصريف مياهها. فقد أخذت في مقاطعة بولوني ٢٧١/من مجموع مساحة الولاية انصفها للنبلاء والنصف الآخر لأصحاب الطبقة البورجوازية . ويصور لنا لامارتين ، سنة ١٨٣٧ ما كان عليه د وضع الشواطىء البحرية في مقاطعات روماني وكالابريا والاراضي الواقعة في جوار مستنقعات بونتين وبطائعها ، من فقر واستيحاش » . هنا ارستوقراطية زاهية متفطرسة تتخفف من مشاغل الارض والعناية بهسا تاركة امرها لمتعهدين عامين ، لتستسلم للعبث واللهو وللاستمتاع بمشاهدة التمثيل وسباق الخيل ، وهناك بروليتاريا بائسة ، كادحة قوامها مزارعون ومرابعون وعمال مياومون ، تؤلف معينا لا ينضب من شذاذ الآفاق ومرتعاً للعوزين .

والاحصاء الذي أجري عام ١٧٨٧ ، سجل ملا كا واحسداً بين ٣٥ شخصاً . فقاطعات البَشك تخلو من كبار الملاكين ، هذه المقاطعة التي كانت تفاخر بجسا فيها من معمرين يعملون في استنار الارض ، ومثلها مقاطعة النافار ومقاطعة كتاوني حيث راج نوع من الايجار المرهون يكاد يؤلف شبه ملك للفلاحين . فسهول فالنسيا تتقاسمها آلاف الحصص الصغيرة الستي لا تتجاوز مساحة الواحدة منها بضع دوغات ، بينها يخيم ، على ولايتي غاليسيا واستوريا حيث يسيطر توزيع الاراضي المرهقة بحقوق الارتفاق ورق الارض البؤس والشقاء وما مجملان في ثناياها من ويلات . فالمزارع المرتبط بالارض بعلاقة واهية يرزح تحت وطأة الاعشار كا ان الفلاح القشتلاني يتضور ، من جهته ، جوعاً فوق قطعة ارض تزرع قمحاً يبقى نصفها بوراً . والمياوم الاندلسي يفادر المدينة

وما اعتاد عليه فيها من بطالة لينصرف للعمل مرتين في السنة ، وذلك في اوان الحصاد او لتقليم الكرمة وقطف المنب. ونقابة العاملين في تربية الاغنام (La Mesta) ، تحول دون زراعة الارض وتعميرها واحيامًا لتؤمن لقطمان الغنم المراعي اللازمة وفقاً لمقتضيات الظمن. والكنيسة من جهتها ، تعمل على منع الفلاح من التملك ، هـذا الفلاح الذي يتسكع في مهاوي الجهل والخرافات ، ليكون ابداً على استعداد لتأمين الاعمال الوحشية ، هـذا الفلاح الذي يصوره لنا غويا في و ويلات الحرب ، يقنع بشرحة لحم وكسرة خبز اسود او ببصلة او كراثية او مجبة بندورة او مجز بطيخ مع قليل من النبيذ اذا ما اسعفت الحال . قاذا ما تحت عام ١٨٣٥ مصادرة الملاك الكنيسة ، فلا يستفيد من العملية غير الملاكين المقاريين واليورجوازية .

أما في بروسيا ، فالمعارضة التقليدية المتمثلة في كلايست وآدم مول ، والمتمركزة حول الملاك الافطاعي الكبير لودفيخ فون دي ماروتز ، أوجست خيفة من ان تفقد الخدمات التي كان رب الارض يفرضها على المستأجر ، ليحسن استثار الارض التي هي باستلامه ، هذه الارض التي يحاول مالكها ان يوسعها ويزيد من نطاقها بضم قطع اليها ، الامر الذي يعيد الى الاذمان عملية التسييج التي اخذوا بها في انكاترا . فالأطيان الواسعة آخذة فيها بالاز دياد والاتساع وعرفت ان تؤمن لها يدا عاملة احتياطية ، تكلف اقل من الاولى ، كا انها تسمى في تأمين المزيد من الاصلاحات الزراعية . إلا ان اتجاه اوروبا الوسطى نحو رأسمالية عقارية من النمط السائد في انكلترا لم يكن ليتحقق إلا على انقاض النظام القديم . فرق الارض لن يزول في هدفه المناطق التي يروبها نهر الدانوب قبل عام ١٨٤٨ . وهذا ما سبب تأخر البلدان الدائرة في فلك آل هبسبورغ . هنالك بمض كبار الملاكين امثال تششني يدعون عالياً للأخذ بالأساليب والمناهج الاركليزية ، فتنتصب في وجهم طبقة النبلاء الصغرى ، مما هو في مصلحة فيينا العليا التي عرفت ان تفيد من هدف لا يقسامات إبقاء منها لوضع كان لا بد ان يفضى في نهاية المطاف الى خرابها فهلاكها .

لا نعرف بلداً احسن استغلال الطغيان المستبد مثل روسيا القيصرية التي القرى الروسية الكبرى فرضت عبوديتها على الفلاح . ففي الوقت الذي اتسع فيه العمل بنظام الخاضعة لرق الارض وقل الشند في تلك البلاد ساعد المجتمع الفردي (Le Mir) بحث اصبح باستطاعة القمر ان يعهد السه بجباية الرسوم والعوائد والضرائب المترتبسة .

ما لاشك فيه قط ان علم الاقتصاد الريفي عرف ان يجتذب اليه بعض ذوي الاملاك الواسعة ، امثال آل غالتزين وآل سامرين وآل مورافييف الذين لم يفتهم قط الاطلاع على النظريات الانكليزية والفرنسية والالمانية الحديثة فيا يتعلق بخير الاساليب الخاصة باستثار الارض فالاصلاح الزراعي الذي قامت به بروسيا بين ١٨٠٧ – ١٨١١ ، كان له اثره البالغ على طبقة النبلاء البلطيقيين من دم الماني ، هده الطبقة التي كانت تبيع محاصيلها الزراعية لتجار مدينة ريفا ، بفضل اعمال ونشاط هذا المرابع الذي كان يحسن تسميد الارض بكشط سطحها مع ما عليه من احشاش يحرقها تخصيباً للارض وإلا مات عليها جوعاً .

فالعمل المأجور يمود على صاحبه بربح اكبر اذا ما ثم في الجال الصناحي الذي تأذَّى كثيراً من رق الارض وعبودية الفلاح. وانتشرت بين الناس فكرة تقول ان العمل المأجور يربح اقل تما يربحه العمل الحر . فاذا كان الفلاح أو المزارع يطمع في المزيد من الحرية فارغبته بالحلاص بمـــا يمانيه من أعمال السخرة وبما يرزح ثحته من عوائد الارض وأناوتها ، والعمل على تحرير الجتمع الفردي ٤ لا أن يضطر لقضاء يومه كادحاً يعمل في حقل سيد الارض. ومع ذلك ٤ قمنهما واح القيصر يلغى بعد التجربة التي قام بها في ليفونيا ، رق الارض ، في الولايات البلطيقية ، فقيد رمى من حركنه الاصلاحية هذه الى تسهيل تحويل سواعد القروبين الذين جرى تحويرهم اللعمل في ممتلكات البارونات . ففي بولونيا ، لم يتدخل القيصر نيقولا لوضع حد لمساويء النظام ، إلا لفاية واحدة ؟ هي تقلم اظافر النبلاء الذين وضعوا انفسهم في موضع سيء خسالال الثورة التي نشبت ؟ عام ١٨٣١ . فبعد ان سلتم وافتنع بأن رق الارض ؛ كا يجري العمل به T نذاك هو شمر واضع ُفالتعرض له الآن وتعديل هذا الن<mark>ظام يفضي</mark> الى ش<mark>ر</mark> اكبر. ومع ان الاضطرابات المستعرة التي زاد عدد الفتن التي قامت خلالها على ٥٥٥ فتنة ؛ بين ١٨٢٦ -- ١٨٥٥ ؛ باعتراف الادارة ذاتها حملته على التسليم ببعض التنازلات ، فهذه التنازلات لم يفد منها سوى الفلاحين العاملين في الملاك التاج ؟ مع العلم أن القائمين بالحركة الاصلاحية يترددون جداً في حركتهم هذه . و فجمعية الجنوب ، برئاسة بستل تواجه احمال القبال بتغييرات جنرية ، بينها و جمية الشهال ، ترفض تحت تأثير نيكيتا مورافييف التسلم والاخذ ببدأ التقسم.

وايمازاً للوضع يمكننا ان نقول بأن اسباب التذمر آخذة بالازدياد والارتفاع. ففي السموات التي يجود فيها من تصريف الانتاج واستهلاكه فتسقط الاسعار . أما في السنوات العجاف فالجساعة تطل بقرنها على الابواب . فالجماهير الريفية تتسكم في البؤس ، ويروح الملاكون المعروف سوادم بالكسل والقمود وهدم الاكتراث ، يستدينون إشباعاً لمطالبهم التي يعجز ريم الارض عن اشباعها . وهكذا نرى الامبراطورية تتجه نحو ازمة حادة إلا اذا حلت في الوقت المناسب ، المعضلة الزراعية الآخذة بالحناق ، وذلك بالفاء رق الارض والقضاء على النظام السيادي فيها ، مشجمة بالأحرى الدعوة للرأسالية المقارية . فالمظروف المارضة يمكن ان تقنع النبلاء بأن في اتخاذ مثل هذا التدبير وحده ، الخلاص ، شريطة ان تنجح هذه الحاولة الاصلاحية الهامة دون ان يلحق أذى بالنظام السياسي والاجتاعي المعمول به في البلاد .

أوانعه المشاكث

النقنيات الجديدة في الصناعة والنقل

بعاش عصر الانوار برغبة جاعة المحرفة فقاص حميقاً في الانجات المعرفة فقاص حميقاً في الانجات المعرفة بين جبل والمعرفة و توغل الى نظرية علية لتفسير نشأة الكون وسير أبعياه النجوم في مناهاتها وأبعادها السحيقة ، واستثمر البحار المترامية الاطراف ، وأنشأ عم النبات ودشن عهد الكيمياه وسخر الكهرباء الترفيه عنه واستنبط الحرك البخاري وتوقف ملياً منعما النظر في ماهية الاجيال الطالعة كا اعرض جانباً عن الآداب الكلاسيكية . صحيح ان الحروب الدولية لم تساعد كثيراً على تطوير الاتصالات التي هيأت اسبابها الشعوبية الدولية ، غير ان الموافقة المناه في يقطة واستنفار حتى اذا ما عاد السلام الى نصابه والامن الى عرابه ، تجددت الاتصالات . فاذا ماراح شاتوبربان ومدام دي ستال يقومان بتشهير و الطغمة الراعضة ، و واذا ما رأى لامارتين في العاوم الرياضية غلا وقيداً للفكر البشري ، فقسد عرف غوتيه ، من ناحيته ، ان يحافظ على هدوئه ورباطة جاشه، وغاص وكونت الى ما فوق أذنه في العالمة الرضعية بعد ان اولى العلم المقام الاول ووضعه في رأس النظام الفلسفي .

أما العمل وظروفه وأوضاعه فلم يطلع عليه شيء جديد . فقد بقيت باريس جذوة هسدة المعاهد الكبرى التي أسسها المؤتمر الوطني (الكنفنسيون) والتي راحت تنافس بنجاح ما فسام فيها من ركائز ومؤسسات سابقة وطيدة تعمل في خدمة العسلم ، امثال : كوليج دي فرانس وأكادمية العلوم والسوريون شيخة الجامعات . أما في انكلترا ، فقد تقدمت الركب وسارت في الطليعة هذه المؤسسات المتمتعة باستقلالها فتقدمت على جامعتي اكسفورد وكبريدج . وايطاليا لا تزال تتمتع بكنوز فنونها التي تقيض نعومة وعذوية ودقة . وهذه د الجهوريات العليمة ، التي طلعت في سماء اوروبا الوسطى ، تمثلت على خير وجه في هسدة الجامعات التي نعمت بنصرة الامراء المستنبرين ومؤازرتهم ، حتى ان روسيا نفسها ساهمت بهدا النشاط الفكري العارم . وقد اوشكت تأزف ساعة هذا الجامعي الذي يعرس كل شيء في أثناء طلبه الملم ، بعد ان قل عدد نصراء العلم في صفوف الارستوقراطية . فالروح تهب حيث تشاه ، والتفاعل الفكري وتبادل المعلومات ساعد ادفر على اكتشاف السيئار نبتون بواسطة مرصد جامعة كمبريدج ، في وتبادل المعلومات ساعد ادفر على اكتشاف السيئار نبتون بواسطة مرصد جامعة كمبريدج ، في

الوقت لذي راح فيه لوفرييه يعين بالارقام مكان هذا الكوكب وموضعه مجيث الحذ عدد من علماء الفلك امثال غوس الالماني ولوبتشفسكي الروسي وبولييم الجري بدعوة كل لتفسه فضل السبق الى وضع هندسة غير إقليدية هي الهندسة الإهليجليجية .

عرفت العاوم الاخرى ، من جهتها ان تغيد من الانجازات البعيدة الاقرائي حققتها العساوم الرياضية في تطورها الصاعد . فقد تعاون لابلاس ولافوازيه فيا بينها وتعرضا في الابحاث التي وضعاها للعديد من المشكلات والقضايا العلمية . وامبير الذي تميز بفضوله العلمي وبروح طلعة لاتني ولا ينطفي الهاغليل انطلق من الاختبار العلمي الذي قام بسه دورستد حول زيفسان الابرة المنطيسية ، فوضع لهذه الظاهرة قاعدتها المعروفة . وغوس ارتبط اسمسه بالتحليل العلمي وبالهندسة المتناهية الصفر والرياضيات العليسا وحساب المحتملات والميكانيسكا الفلكية والجيوديسيا . هنالك لعمري نوابغ بين العلماء انصرفوا للرياضيات النظرية ، امتسال ابيسل والاجناس ، فنات الاول بائسا ، كما قتسل الثاني في حادث مبارزة . وفي اثر المعطيات العملية والاجناس ، فنات الاول بائسا ، كما قتسل الثاني في حادث مبارزة . وفي اثر المعطيات العملية أولير وفرريه ولرجاندر ، وضع غوشيه مبادىء الدالة التعليلية والمعادلة التفاضلية ويها يتمكن ريان من وضع الاساس الحقيقي للدالة الجبرية بعد الله اقترح فرضية هندسية مجديدة غير اقتلى .

كل الانجازات العلية التي حققتها العداوم التجريبية تتصف بطابع على صرف . ومناهضة منه لنظرية نبوتز حدول الابتعاث البصري ، راح فرسنل يؤيد النظرية الرحوية التي كان لاح طريجنز بعض ملايحها الاولية . واذ ذاك اخد بيو وأراغو ودافيد برويسار بوضحون المسلا طنهرة استقطاب الضوء . وبفضل حاشدة (بطارية) فولطا ، اخذ اورستيل يفسر عملية زيغان الابرة المنطيسية ، اساس المليف الابرة المنطيسية ، اساس المليف الابرة المنطيسية ، تم تمكن اسبير من ان يضع اسس الكهربائية المنطيسية ، اساس المليف الاولي والمعنط الكهربائي والتلغراف البرقي . وعلى عكس ذلك ، كتب لفرادي ان يكشف عن اسرار ظاهرة اخرى هي الحث ، اساس الدينامو . وبالاتفاق مع جاكوبي فقيد قوصل الى اكتشاف الكيمياء الكهربائية المتعددة التطبيق في بحسال صناعة التعدين : كالفلفنة والتذهيب والتفسيض ، وصب امهات احرف الطباعة والكليشهات في الطباعة والحقر المباشر : ففي والتنفيض ، وصب امهات احرف الطباعة والكليشهات في الطباعة والحقر المباشر : ففي الحين يتصرف لدرس مؤثرات الكهرباء ، الحرارية التي سبق ل داوم ، ان وضع قوانينها .

كشف لافوازيه ولابلاس وفي اثرهم فورييه عن نظرية الحوارة التحليلية ، هذه الحوارة التي تجلت مظاهرها بشكل أوة سية جزيئية. فالعلماء غاي لوساك وبيوا وبرتوليه وبروست بما فيهم دالتن وقانون الانساب المتعددة وافوغادرو الذي كشف عن ثغل الجزئي، بقوا عند هذا الحد.

لا شك في ان رامفوره ودايفي هما أول من ظنا بالعلاقة الموجودة بين الحرارة والعمل . ويعود لسادي كارنو احد أولاد لازار كارنو ، الفضل في اثبات التكافؤ بينها، في مجت وضعه من قبل لم يكترث له احد . فكان اساس الديناميكا الحرارية التي لفتت الميها أنظار ووبرت مساير وجول في الابحاث التي وضعاها في هذا المجال ، فالمحافظة على الطاقة واندنارها أو انحسلالها ، والمكانكا التطبيقية المخذت اساساً لها هذه الابحاث .

ومنذ لافوازيه اخذت الكيمياء المعدنية تكشف تباها عن اسرارها الدفينة ونواميسها . كذلك اخذت الكيمياء العضوية تحسر هي الاخرى عن اسرارها ، عندما قمكن شفرويل من ان يستخرج الشحوم على اختلافهامن الحوامض الدهنية ومن الغليسرين، كا استخرج بالوتييه وكافنتو القلويات من المواد النباتية . فالمارك القلمية احتدمت حول نواميس العلم الجديد فراح دالتن لاول مرة يقول بالنظرية الذرية ويبسطها وراح القائلون بالتكافؤ الذري جاجون بعضهم بعضا: جان باتيست دوماس والذريون وعلى رأسهم برزيليوس الذي قال بنظرية « ثنائية » في التفاعلات الكيميائية والكهربائية التي تصحبها، ولم تلبث ان شالت نظرية التعادل او التكافؤ، هذه النظرية التي نهض بها جرهاردت، وراز وكيكوليه بينا راح بوتليروف يوضح النظرية الايسومة ربة او نظرية التقايش والنظرية التجزئية .

و<mark>قامت</mark> معارك اخرى في مجالات العلوم الطبيع<mark>ية . فقد س</mark>بتي لديدرو وبوفون ان استش<mark>مرا</mark> نظرية <mark>ال</mark>ارتقاء والتطور كما ان روسو راح يشدد › من <mark>جهته على</mark> ناموس الانتقاء الطبي<mark>مي</mark> او ب<mark>قاء</mark> الاصلح؛ وهي نظريات ادخلت الشك والارتياب على عقيدة خلق الكون ؛ وبالتالي الديمومية او الاستقرار كميقدة دينية. وراح احد تلاميذ بوقون مولامارك يثير جدلاً حامياً عندما وضمعام ١٨٠٩ كتابه المعنون : ﴿ فَلَسْفَةَ عَلَمُ الْحَيْوَانَ ﴾ حيث الحَدْ يَمْرُضْ نَظْرِيَاتُهُ وَآرَاءُهُ حُولَ تَطُورُ الانواع وتغيرها زارعاً الارتباب في نظرية الثبوت او نظرية الاستمرار التيبيدو الالبنية قال بها، وعلتم. وفي بحث له مشهور حول و تصنيف الثدييات ، اخذ كوفييه الذي بعد من مؤسسي علم التصنيف المقارن وعلم الاحاثة أو البانتيولوجيا ، ينشر عام ١٨١٢ ، كتابه الموسوم : و خطاب حول جوائح الكرة الارضية، ٤ وذلك ليفسر لنا عن طريق الكوارث الطبيعية، كيفية ضياع الأنواع البائدةوزو الها. فعودة هذه الانواع الى الحياة من جديد لايكن ان يكون الاهمة من الله. فقد سلوا بوقوع هذه الكوارث او الجواثح الجيولوجية – وهو قول يؤيده كوفييه – الا انهم رفضوا الاخذ بالنظرية «البركانية» التي تقول بالظهور التدريجي القشرة الارضية البرانية التي تبنى القول بها لييل فيها بعد . واذ ذاك اصطدم كوفييه بصديقه جوفروا سانت هيلار الذي تبني في كتابه « الفلسفة التشريحية » النظرية التي تقول بسلم الكائنات . فأثارت مــــذه القضية ضجة حملت اكاديمية العلوم على التدخل في النقاش العلمي . وقسام غوتيه يكتب عام ١٨٣٠ لايكرمان" بعد ان تبادر الى اذنه انه يهم بقضية Les Trois Glorieuses ، يلغت نظره الى ان و المناقشة ثدور على ما هو الم من ذلك بكثير، والا ان كوفييه عاد فانتصر بعد الموقف الرسمي
 الوطيد الذي وقفه وانتصر معه ، إلى حين ، خصوم نظرية النشوء والارتقاء التي تبنتى مقالتها
 الفلاسفة الطبيعيون وغوتيه نفسه .

ففي الوقت الذي توطدت فيه ابحاث بيشا حول علم التشريح اطلت علينا نظرية الكائنات المتناهية الصغر بفضل الجهر الذي سام في اختراعه اسرة دولوند. فاذا بالمالم امام كشوف جديدة واسرار جديدة . فما هي لمعري هذه المادة التي يدعرها هوغو فون موهل: البروتوبلازما ؟ فالخلية لا تتولد الا من الخلية كا يؤكد فيرشوف Tirchow بمد هارفي وشليدن وشوان . وعلى هامش الجدل الذي قام حول نظرية النشوء تبدو العلوم الحياتية على اتم استعسداد للانتقال الى مرحة جديدة مهمة جداً .

ومها يكن من الامر فالتاريخ الطبيعي علم يأخذ بمجامع القلب. وعندما راح جوفروا يقدم للملك شارل العاشر في سان كلو ، ظرافة المداها اليه محمد على ، اظهرت الجماهير حماسة عارمة افاد منها المتحف الوطني . ويستوحي كونت تعالم بلانفيل خصم كوفييه اللدود ليشيد نظريات علم الاجتاع وسانت بوف يتنطح منجهته لوضع التاريخ الطبيعي للعقل البشري ، ويأخذ اسكندر همبولدت بوضع كتابه : والكون ، الذي جاء شبه موسوعة في العاوم الطبيعية .

عبثا مجاول ان نعرف بالضبط الوقت الذي استطاعت فيه الآلمة ان كثوف الهندة الصناعة تحدث فيه تغييراً واقعياً في ظروف الحياة واحوالها في الغرب والمعقل المتعدد - الفنون والثقيف يداعب احلاماً معسولة وفي هذا يكتب كونت قائداً: وما لا شك فيه قط ان طبقة المهندسين ستبقى العامل المباشر الذي لا بد منه لتأمين التحالف بين العلماء ورجال الصناعة، هذا التحالف الذي سيرفع البنيان الاجتماعي الجديد و . هنالك على ما يبدو شيء من الاستعجال لذى انبياء العصر الذي ينعون متأسفين هدر القدرات العقلية والطاقات الفكرية كما يأسفون الاسف الشديد لهذا السير المشوش والمخالف المنطق الذي يسيره التقدم البشري

فغي السنة التي مات قيها واط - ١٨١٩ - لم تكن الآلة التي استنبطها استطاعت بعد ان تقضي على مطاحن الماء والهواء كما ان الساقية لا تزال هي التي تتحكم بالمكان الذي يصلح لاقامة منسج الحياكة . وبالرغم من هذا كله فظهور كشف البخار سيةى العلامة الميزة له فده و الثورة الصناعية ، التي رأت النور في القرن الثامن عشر والتي كانت عصب القرن التاسع عشر بطوله وهذا البخار ليس بالواقع سوى الماء الغالي ، مها كان الوقود المستخدم لرفع حرارة هذا الماء الذي استحاله الى حالة الغليان بدلاً من ان يكون سائراً يتدحرج فوق الحصى . وقد بذلوا قصارى العناية لادخال تحسينات على طريقة واط ليفيدوا منها الى الحسيد الاقصى ، فطلعت علينا المرجل ذات الموقد الداخلي . وفي سنة ١٨٢٩ خرج علينا آل ستيفنسن بقاطرتهم الاولى:

الصاروخ (The Rocket) على الشكل الاسطواني وجأءت النتيجة ترفع الطاقة التي يولدها الاحتراق الى المشر. ومن جهة اخرى كان الناس خارج انكلترا يفتقرون جداً للاشخاص الفنيين المتخصصين بصنع هذه القاطرات وتركيبها . وقد عرفت انكلترا ان تحافظ طويلاً على السبق الذي سجلته في هذا المضار اذكان لديها عام ١٨٣٠ نحواً من ١٥٠٠٠ من الآليات البخارية بينا لا يتوفر منها لفرنسا سوى ٣٠٠٠ ولبروسيا ١٠٠٠ .

فقد عرفت هذه الجزيرة ان تزاوج بين فوائد الحديد والفحم الحجري لسد حاجات الصناعة المدنية التي فاقت بكثير المستوى الذي سجلته هذه الصناعة في دول القارة . فقد اخسة ترسل الاخسائيين المهيئين لاعمال النقب والحفر. وكان حفر الدهاليز واستخراج الفلزات لا يزال يقوم على سواعد العيال . ولم يلبث ان حل التقفيص المعدني على الآجر او الطوب . واخذت لات الجر التجارية تجر العربات الى سطح الارض محولة على روافد من الخشب 'نضت عليها قضبان من الحديد عرفت باسم Rails 'كاتم تحسين ملحوظ في طرق الضنح واساليبه الفنية . وأطل على العالم في انكلترا المصباح الذي وضع تصميمه الكيميائي همفراي دايفي فجاء هذا الاختراع ضهانة نسبية ضد انفجار غبار الفحم ومع ذلك ترددوا كثيراً في التعمق والتوغيل في بطن الارض . فقد اقتصر التنقيب عن الفحم والمعادن في المقاطعة الريفيسة على الحفر عند سفح التسلال . وفي سنة ۱۸۳۳ فقط تجرأوا على فتح عرق في قلب الارض على عند سفح التسلال . وفي سنة ۱۸۳۳ فقط تجرأوا على فتح عرق في قلب الارض على عند مقراً .

وصناعة الصب التي تستعمل كوك الفحم لم تكن من المستجدات ولا عملية نزع الكربون بواسطة تسويط الحديد (Puddlage)، وهي عملية تقتضي العامل جهداً شاقاً (اذ كان عليه ان يحرك الصب المصهور بواسطة مسعر من الحديد يعرف باسم Rungard). وهمذه الطرائق الميكانيكية التي عرف الانكليز ان يدخلوا عليها ، في القرن الثامن عشر تحسينات ملحوظة زادت كثيراً من فعاليتها ، أولتهم اسبقية ظاهرة في بجسالات الصناعة عمل انواعها . فعتلات الحديد ، ثمنها في فرنسا ضعفا ثمنها ونصف في انكلترا . وقمكن الانكليزي ولكنسن من استعال الكوك وقوداً في المعامل التي انشئت لصب الحديد في الكروزو عام ١٧٨٧ . اما بلجيكة فلم يقم فيها مثل هذا الفرن ، قبل عام ١٨٢٢ ، وقام واحد منها في سانت انجسلبرت عام ١٨٣٧ ، وفي الروهر عام ١٨٤٧ . وجروا على الطريقة ذاتها في عملية تسويط الحسديد . فالكوك قيد الاستعبال في نيوويد ، عسام ١٨٢٤ ، وعند ستوم في الروهرعام ١٨٣١ ، وفي سيليزيا بعد ذلك بخمس سنوات . واذا كانت صناعة الزجاج تخلت عن وقود الخشب لتقبل على المواقد ذات الشعرية ، فصناعة الخزفيات الالكليزية اعتمدت طريقة ودجوود الفنية التي يعود وضعها الى عسام ١٩٧٦ هذه الطريقة التي ضمنت للخزفيات الالكليزية اعتمدت اللالكليزية المؤلفة الن كان .

وتركزت حول حرفة الخزاف ، مهنة النتجار هذه المهنة التي يجب ان تراعي مقتضيات دولاب الطاحونة او نول الحايك . الا ان الآلة البخارية تأثرت من عدم توفر الدقة في تركيب الدواليب . ولذا اخذوا يفكرون بالفوائد التي تعود على الصناعة بصنع آلة متحركة توصل العلم الى صنعها بعد قرن من المحاولات والتجارب ، بعد استلهام اجهزة الساعة والمواد التي توفرها صناعة الخشب. فقد خطرت ل و براماه » من قبل ، صورة عن المكبس المائي كها وضع ولكنسن صورة المقب يستعمل في صنع المدافع ، ومودسكي صنع دولاباً معدنياً لقلوزة البراغي وفارة النجارة ، كها اخترع مسارك إيزمبار برونل المنشار المستدير . وتمكن فيربيرن والذي اخترع مكوكا من المدن النسبج ان يدخسل تحسينات ملحوظة على مثقب إشعاعي . وتوصلوا بين سنة ١٨٤٧ الى اختراع المدنية وأدقها على السواء . وكان من نتائج اختراع هذه الادوات المتنوعة ان مهدت السبيل لظهور العديسة من الهندسين الميكانيكيين امثال الادوات المتنوعة ان مهدت السبيل لظهور العديسة من الهندسين الميكانيكيين امثال فرنسوا كافه .

وقد حقق النول الميكانيكي انتصاراته الاولى اذ ساعد كثيراً على تسهيل اعمال الحياكة والنسيج الخاصة بصنف حديث من الخيطان مأخوذة من مادة القطن . ففي الوقت الذي تمكن فيه الاميركي ايلي هويتني ان يخترع عام ١٧٩٣ محلج القطن الذي حمل معه الثروة والازدهار بانشاء ما يعرف بحزام القطن في بلاده؛ فقد حرص الانكليز على ان يحتفظوا بسر صنع الادوات الخاصة بصناعة النسيج والحياكة . وبمساعدة احد الهاربين المدعو ديكسون ؛ مكن رسلر اح<mark>د</mark> أدخلت تحسينات على فن طباعــة الاقمشة على يد برو ، وعلى نول الحياكة نفسه على يد السويسري بودمير الذي استوطن بولطن وعلى بد احد سكان ملهوز المتشارك مع كوكلي هو هيامان ، هذا النول الذي اخترعه كارترايت من قبل والذي يعمل بالمخار . كذلك هنالك تحسينات لحقت طبع الاقشة باختراع اسطوانة نحاسية ، كما أن المكوك المديب كان باعثاً على استخدام آلة Jacquard في صناعة التخريم او الدانتلا التي بعثت النشاط الصناعي في مدينة كاليه. وصناعة الكتان نفسها عرفت بدورها انقلاباً ثورباً بفضل المكوك الذي اخترعه سكان مدينة تخنت المدعو بوفانس ثم ادخل عليه كروكس ولاسها جيرارد فما بعد تحسينات ملحوظة . وقد سجل مطلع القرن في عداد الانجازات الع<mark>لمية التي سجلها</mark> اختراع الانوال الخاصة بنسيج التريكو والصدارى بدون خياطة والتطريز الآلي ، ناهيك عن المشبك الذي اضفى على المنسوجات التطور التقنى يجب أن نتيقن أن حاثكا ميكانيكيا يعمل في صناعة القطن أصبح ينتج سمة اضماف ماكان ينتجه حائك آخر يعمل بالمد . من المستجدات في الكشوف العلمية آلة الخياطة الآلية التي اخترعها خياط متواضع للالبسة وعمل هو تيمونيه . وكان من بعض نتائج هذا الاختراع ان احدث ثورة في مصنوعات الالبسة وعمل على ترويج ما يعرف ب Sweating system . وقد ادخل فيا بعد هو وسنجر في الولايات المتحدة تحسينات هامة حيث آلة تركيب الالعاب وآلة خياطة الوجه والنعل مكنت صناعة الاحذية من تأمين الانتاج بالجملة .

وما يلفت النظر في هذا التطور التقني العظيم هو ان المواد الاولية في التغذية بقيت خاضعة لوسائل العمل التقليدي . فاستخدام الآلة في مجال الزراعة هو في اول مراحله . فالحاصدة الميكانيكية التي اخترعها الاميركي ماك كورميك لم تفرض نفسها على الاستعمال الا بعد مدة طويلة . ومطاحن الماء والهواء ستبقى قيد الاستعمال على نطاق واسع ولمدة طويلة ، والخباز لا يزال يستعمل يديه في توضيب العجين وتهيئة الخبز ، كما في السابق ، مسم انه عام ١٨١١ اختراع معجن آلي لا يزال غير متةن ، والكرام لا يزال يستعمل رجليه في عصر العنب او المصرة ، وتخمير الشعير لصنع الجمة يقتضي له عناية كبيرة . والوسيلة المثل لحفظ اللحوم تبقى التمليح والتدخين ، والالبان لا يمكن حفظها وصيانتها الا بشكل جبنة ، يجب استهلاكها بسرعة وعلياً والا تعرضت الفساد سريعاً . وقد اشار أبير الى الوسائل التي تضمن مكافحة الفساد ولي التبريد الاصطناعي . فصناعة سكر الشمندر وحدها تتطور بسرعة بفصل الطريقة التي توصل التبريد الاصطناعي . فضناعة سكر الشمندر وحدها تتطور بسرعة بفصل الطريقة التي توصل الى استنباطها اشار بفضل تكريره بالحامض الكبريقي وبازالة الونه بواسطة المسادة السوداء عن طريق استعمال مداحل اسطوانية الشكل متص العصير .

لم نلاحظ من ناحية اخرى اي تقدم يطرأ على فن البناء ومع ذلك عقد ظهر منذ عام ١٨٢٤ سيمنت بورتلاند الذي يلتصق ببطء ولا في مجال التدفئة. ولما كانت بريطانيا مهتمة بتصريف محصولها من الفحم الحجري فقد جرت محاولات لصنع وجاقات ومدافى، من ذوات الموقد المسيج ، واجهزة توزيع البخار المائي على المنازل.

والاستصباح بواسطة الغاز المستخرج من حطب الوقود ومن الفحم الحجري لمدم وجود الغاز الطبيعي الذي اخذ الامير كيون بضبطه واستغلاله في بلادهم اشق طريقه نحو الاستمال منذ التجارب الاولى التي قام بها لوبون وموردوخ. وقد راحت لندن تباهي باريس وتدل عليها بسبقها لها على استعمال الغاز في التنوير والاضاءة العامة. وسيمضي نصف قرن قبل ان تتمكن منازل البورجوازيين افي المدن الفرنسية من تقدير نعمة التمتع بالغاز في كل ادوار المنازل. والمصطلح عليه هو عادة قنديل زيت الكولزا المستخرج من بزر السلجم بعد ان ادخل عليه أرغان بعض التحسينات بعد ان راح كنكيه يتبجح بانسه صاحب الفضل في اختراعه وقسد ادخلت علمه تحسينات فها بعد على يد جبرار وفرانشو المناس بقوا يعولون على استعمال ادخلت عليه استعمال

الشمعدان الحقسير المقرف. وستحل الشمعة في نهاية الامر محسل الشمعدان التي نرى في اسمها شيئًا من اثر الجزائر التي كانت تمد سكان البندقية بشمع العسل الذي اخذ يدخسل مزوجاً بصنع الشموع مسع مادة الشحم. وقد سبق لشفرويل ان اشار الى الدور الذي يمكن للحامض الستياري لعبه في هذا المجال ، وقد توصلوا فيا بعد الى تأمين نوع من التصبن والى صنع فتيلة صالحين للاستعمال . ومن الاجهزة الاساسية في الملاحة البحرية المنائر التي يعمل فيها قنديل من طراز أرغان عذا القنديل الذي استطاع رمفورد تزويده بعدة فتائل متراكزة والتي تضاعفت طاقة الضوء فيها بواسطة جهاز عدسية وعاكسة فريسنل .

وليست اقبل اهتماماً بالملاحظة والتقدير العالي التطورات التي امكن للغرب ادخالها على صناعة الحكتاب والجريدة والصورة ، رغبة منه في الترويج لها ونشرها على الملاً . فقد درجوا الى الآن ، على استعبال الورق المصنوع من الياف القنب والكتان بعد مزج عجين الورق بالهسلام (وهي طريقة اكتشفها لويس روبرت في مصانع ديدون في أسون ، اذ ان الالة الخاصة بصنع رب الورق لم تكن معروفة الا في انكلترا) . وسكب احرف الطباعة وصبها كان يتم بواسطة قوالب امهات الحروف او باليد ، كذاهبك أدخلت تحسينات على حبر الطباعة وعلى فن صنع الكليشهات ، وهي طريقة مكنت من توفير النسخ باعداد غير محدودة . كذلسك تمكن اللورد ستانهوب من اختراع نموذج لا مثيل له من امهات الحروف .

و يمكن اللورد ستانهوب نفسه من اختراع مكبس من المعدن ترك بميداً وراءه المكبس الذي كان اخترعه غوتنبرغ وحل عام ١٨١٠ محل الآلة التي وضعها كونيخ السكسوني بالاشتراك مع الطباع اللندني بنسلي . وقد كان سبق لجون والتر مدير جريدة التيمس ووصف لكونيغ طريقة الدفع الميكانيكي التي ارتسمت صورتها لنيكلسن مدير جريدة الجورنال الفلسفي عندما وقع نظره على الاسطوانات الطابعة للاقمشة . ففي ٢٥ تشربن الثاني ١٨١٤ ، جرى طبع هدف الجريدة الكبرى في لندن لاول مرة على طابعة تعمل بقوة البخار الحركة للآلات . وبعد ذلك بقليل اخترع كونيغ مكبساً يعمل على عجلتين كما اخترع روسليه ، عام ١٨٣٧ ، مكبسا ذا رد بقليل اخترع كونيغ مكبساً يعمل على عجلتين كما اخترع روسليه ، عام ١٨٣٧ ، مكبسا ذا رد بقلل اخترع كونيغ مكبساً يعمل على عجلتين كما اخترع روسليه ، عام ١٨٣٧ ، مكبسا ذا رد الانتظار الى سنة ٢٩٨١ حتى يتمكنوا من تركيبها على الاسطوانات نفسها . وهدف الشكل الاسطواني هدو الذي سيهيء السبيل للتركيب الطابعة المروقة به الروتاتيف بحيث اصبع ميسوراً ، منذ ذلك الحين ، سحب ٢٠٠٠ نسخة في الساعة بدلاً من ١١٠٠ نسخة عام ١٨١٤ ميسوراً ، منذ ذلك الحين ، سحب ٢٠٠٠ نسخة في الساعة بدلاً من ١١٠٠ نسخة عام ١٨١٤ ميسوراً ، منذ ذلك الحين ، سحب ٢٠٠٠ نسخة في الساعة بدلاً من منه المالم عهد الدورية ذات الانتشار الواسع .

فلا عجب قط ان تفيد صناعة الكتب من هذا التطور العظيم الذي طرأ على فن الطباعة . ولم يلبث ان تمكن الذوق الفني في الطباعة على انواعها واستبد بالانتاج الفكري . ففي باريس نشطت اعمال النشر في دار النشر ديدو وازدهرت. وصناعة الحفر التي اصبح الآن بامكانها

استنساخ الصور والرسوم انتشرت وعم استعمالها بسرعة على اشكال متنوعة ، كالحفوعلى الخشب وفقاً لطريقة بيويك ، والحفر على الحجر او الطباعة الحجرية التي توصل اليها الممثل المسرحي سنيفلدر . وانفتح الباب على مصراعيه امام الجورنال المصور الذي عرف باسم مفازين . كذلك عرفت طباعة العملة الورقية ان تفيد هي الاخرى من هذا الاختراع (وبذلك عرف جاكوب بركنز الاميركي ان يعقد الامور في وجه مزوري النقد) ، وهسواية جمع الطوابسع البريدية ستطلم بعد حين لتوفر للعاملين على تكوين المجموعات الفنية ، الذة والفائدة معاً .

وفي سنة ١٨٢٩ / اخترع برايـل بالتعاون مـــع قوكو الكتابة النافرة لتعليم العميان ومكفوفي النظر.

لم تنقطع العناية طول القرن الثامن عشر بتحسين شبكة الطرقات ذروة السرعة في وسائل النقل وتطويرها بشكل يسهل الاتصالات والانتقال. ونحن لا نقصد هنا التأكيد بان الطرفات التي كان يسلكها الانسان ماشياً على الاقدام او متطباً صهوة احد الحيوانات او راكباً احدى العربات كانت في وضع يركن الانسان اليه . فمن الحوادث الحرية بالذكر مثلاً ان تيوفيل غوتيه ٬ في الرحلة التي قام بها الى اسبانيا عام ١٨٤٠ كان يشكو من ١٥ النعربة التي أقلته لم تكن لتستطيع التقدم الا بفضل قبضة من المال تسير في ركابه ، اذ (كانوا يعملون على التخفيف من حدة كر العجلات في المنحدرات والعطفات الخطرة؛ والسهر على مثانة السرج واستقراره ٬ وسلامة الازميّة ولارسنة والقدرة على كبع البقل الحرون الجفول ». وبالفعل لم يهكن في اسبانيا ، اذ ذاك من الطرقات الموصوفة « معيدة » ما يتراوح طوله بين وسي و ٦٠٠٠ كم. تم شقها خلال خمسين سنة ولم يتوفر شيء من هذا في صقلمة قبل منتصف القرن التاسع عشر ، وجادة موسكو في بطرسبرغ لم ينجز شقها الا في سنة ١٨٣٤ ، وعلى عكس ذلك تماماً كانت شبكة الطرقات الفرنسية التي بلغ طولها ٣٠٠٠٠٠ كلم ، قامت السياسة التي اوحت بناءها على مطالب وطنية واعتبارات سياسية والرغبة في الظهور والتأثير في الخارج ، وكانت الرئيسية منها باتجاه المانيا وسويسرا وإيطاليا الشهالية . وعلى هاذا الشكل وتلك السياسة سارت الدولة البروسيانية ، رغبة منها في تيسير العمل بالوحدة الجمركية (Zollverein) . اما في مملكة البلاد الواطية ، فقد نشطت الشركات والهيئات البلاية فيها للنهوض بطرقها . وفتحت سويسرا من جهتها طريق الغريزون وجبل سان غوتار .

ولعل ما هو اصعب وأشق من هذا كله هو صيانة هذه الطرق. فقد راح كل من نافييه وبكوف ينصحان عبثاً بكشط الطريق بمسد كل مطرة ، بينها راح بولونسو ولامورانديير يوصيان باستخدام المداحل الضاغطة التي فكروا بفائدة استعمالها منذ عام ١٧٨٠ . وعسل عكس الطرق الفرنسية التي كانت 'تعد ، اذ ذاك ، اجمسل واحسن الطرق في العالم كسله ، كانت الطسرق في انكلترا تتمتع بسمعة عاطلة لما كانت عليسه من ضيق وتعرج وتقاطسع الحواجز . أفلم يكتب يونغ عن الطرقات التي تنطلق من لندن بالجمساه

اطراف البلاد ، بأنها على الوضع الذي تركها لله فيه بعد الطوفان ? اذكان شق همذه الطرق وصيانتها تقع على شركات محلية (turnpike trusts) قوامها اعيان المنطقة ووجوهها ، تقوم بحباية رسوم الدخولية واستيفاء عوائد عيلية . ومع ذلك اخذت شبكة الطرق فيها بالامتداد والاتساع اذ بلغ طول هذه الشبكة ٢٢٠٠٠٠ كلم عام ١٨٣٠ وارتفع الى ٥٠٠٠٠ كلم عام ١٨٥٠ . وقد تطورت على الاخص الوسائل التقنية في شق الطرق : اذ غلب عليها بتأثير بلفورد السطح القبب الطريق بحيث يسمح هذا الشكل بتصريف المياه المتسربة ، كا اوصى ماك آدم في هذه الابحاث التي عقدها وحث فيها على الاهتام بطرق البلاد ، برصف الطرق بالحصى فيسهل في هذه الابحاث التي عقدها وحث فيها على الاهتام بطرق البلاد ، وطريقة (تحصيب) الطريق التي دخلت الى بلجيكا عام ١٨٥٠ الم تنتشر في فرنسا الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

والامير كيون ، رغبة منهم في التغلب على مشكلة المسافات، أخدوا ، على الاجسال ، يهذه المطريقة الفنية ، عام ، ١٨٤ ، ويذلك جعاوا صالحة السير هذه المسالك السيئة عام ، ١٨٤ ، ويذلك جعاوا صالحة السير هذه المسالك السيئة المعروفة في كاكانوا يصفونها لمشابهتها كثيراً شريط المخمل والتي لم تكن تفضل قط الطرقات المعروفة في الغرب باسم Plank roads التي اتبعوا في شقها الطريقة الروسية اذ فرشوهسا او بالاحرى د فوها بالواح الخشب من جذوع الشجر .

وكما في السابق ، فالطريق يسير عليها جهرة من المشاة <mark>وم</mark>ن اصحاب الحرف وعمال المناجم بينها الموسرون يتطون خيولهم او يدرجون في عرباتهم ، في الوقت الذي تأخسـذ فيه الطرقات العامة بالانتظام . فالحافلة البريطانية تتمتع بسمعة طيبة . فهي تقطع ال ٢٠٠ كلم التي تفصل بين لندن وأدنـ بره في ٤٢ ساعة ، اما عربة Quick allver فلا يقتضي لها اكثر من ٤ ساعات ونصف لقطع المسافة بين لندن وبرايتن، وبعد ١٨٣٠ لقطع المسافة بين لندن وبرمنقهام بسرعة ٢٢ كلم في الساعة . اما في الشق المقابل من خليج المانش ، فالانتقال بالعربة من باريس. الى مدينة رين ؟ ايام والى مدينة ليون ٦ ايام و١٢ يوماً الى ستراسبورغ ، في عهد الامبراطورية. ومدة الوقت تبيط الى النصف بين١٨١٥ و ١٨٤٠ ، اذ كانت المربة تقطع ٦ كلم في الساعة بدلا من ٣ ، وهي عربة ضخمة تقيلة زنتها ٤ اطنان وتشعن من ١٦ -- ١٨ راكبًا في حجراتها الاربع من درجات مختلفة . ومنذ عهد الدير كتوار كانت عربة البريد التي تؤمن نقل البريد تنقل أيضاً من ٣ - ٤ ركاب فكانت عربة خفيفة تجرها ٤ جياد وتقطع ١٠ كلم في الساعـــة سوالي عام ١٨١٥ ، ثم ارتفع المعدل الى <mark>١٥ كلم عام ١٨٤٠، وتب</mark>لغ بوردو وليون وستراسبورغ في ٤٠ ساعة، تسير وكهبوب الربع ، كما يكتب هوغو ، إذ ذاك. فاذا كانت الرحسلة لا تعوزها المناظر الشيقة امثال: السائق الطروب الهازل ، والكسول احياناً وغالباً السكران ، وفرقمة السوط ينهال على اقفية الخيل ، والموسيةي عنه الانطلاق ، وحدوث ما ليس بالحسبان من المفاجآت ، ووقوع الحوادث المثيرة . فقد كان من مميزاتها ومفارقاتها غالبًا : المقاعد الضيقة ارتجاجات لا نهاية لها ، والزمهرير هنا ، والحر هناك، تارة يفوصون في الوحل وطوراً يفشاهم الغبار ، وأسر له يمكن الاطمئنان اليها في هـــذه الخانات المشبوهة ، بقطع النظر هما تتمرض له العربات احياناً من تحطم المجلات . فاذا كانت المسافة اصبحت تقطع بوقت أقل ، فظروف السفر لم تتغير هي كثيراً .

قفي الوقت الذي سجل فيه النقل ارتفاعاً في معدل الواردات بفضل از دياد النشاط التجاري، فقد سجلت اسمار النقل فيه هبوطاً عسوساً. فكانت كلفة الرحلة من باريس الى بوردو في عهد لويس الرابع عشر ، ١٠٤ ليرة ، فاذا بها تببط الى ١٠٨ فرنكات ، في عهد نابليون والى ٧٤ فرنكاً عام ١٨١٠. غير ان الجر المادي للطن الواحد كان يكلف ٢٠ سنتيماً عام ١٨١٠ بينها كان عمدل ٣٣ سنتيماً عام ١٨١٠ اما الجسر السريع وشعن البضائع فقد كان اكثر كلفة فالبضائع لا تسير بسرعة اذ كان الشحن من باريس الى مدينة ليل يقتضي له ٤ ايام . ويقتضي ١٤ يوما من باريس الى مدينة ليل يقتضي له ٤ ايام . ويقتضي ١٤ يوما ان يدفع ٢٠ سنتيما عن تحرير يبعث به الى فرساي ، وفرنكا و ١٠ سنتيمات الى مرسيليا ، فيما كان على قاطن باريس فيما كان على قاطن لندن ان يدفع فرنكا و ٤٠ سنتيما على رسالة من لندن الى ادنبرة . ومع ذلك ، فالبريد كان يوزع ١٠٠ مليون رسالة ، في فرنسا حوالي عام ١٨٤٠ ، مقابل ٣٠ مليون رسالة في عهد الوزير تورغو . وبعد ان ادخل رولاند هل تعديلات على تشريع قديم ، عمل على رسالة في عهد الوزير تورغو . وبعد ان ادخل رولاند هل تعديلات على تشريع قديم ، عمل على رسالة في عهد الوزير تورغو . وبعد ان ادخل رولاند هل تعديلات على تشريع قديم ، عمل على رسالة في عهد الوزير تورغو . وبعد ان ادخل رولاند هل تعديلات على تشريع قديم ، عمل على رسالة في عهد الوزير تورغو . وبعد ان ادخل رولاند هل تعديلات على تشريع قديم ، عمل على رسالة في عهد الوزير تورغو . وبعد ان ادخل رولاند هل تعديلات على تشريع قديم ، عمل على المنادلة .

كل هذا والطريق تخدم في الدرجة الاولى ، المدن الرئيسية : فهي تتجاهل مصالح النواحي والملحقات اذ كان يترتب على ذوي العلاقة في المقاظمات والاقالم ان يسهموا متضامتين في مسايصون طرق المواصلات في الناحية ، وقد صدر في فرنسا ، عام ١٨٣٣ ، وقانون اناط المناية بالطرق الرئيسية عاموري الطرق لا سيا تلك التي تربط بين المناطق ، فجملتها على حاتق البلديات ، ولن تلبث حركة السير ان اعتمدت طرقات ثانوية في الوقت الذي اخذت فيه سكة الحديد تستأثر تدريجياً بطرق المواصلات الرئيسية .

من الاقبال على المرات والاقنية المانية الطرق البضائم والاحسال الثقيلة يكلف غالباً على الطرق البرية وقد استأثر النقل النهري بالاهتام واستبد بالحواطر واصبح من الوسائل التي لا ندحة عنها ولا بد من التمويل عليها امام هسذا التطور الذي طرأ على صناعة التعدين واستغلال المناجم واستثارها ولذا بادر الانكليز الى ربط مصاب أنهرهم الكبيرة بالمراكز الصناعية الرئيسية . فقد تم فتح قناة Evern كما ان مشروع المربع من وجود ۲۸ هاوساً على طول

القناة الكاليدونية ، فقد استغني عن المرور على مقربة من جزر الاركاد المحفوفة بالخاطر. وهبطت بالتالي كلفة النقل بين ليقربول ومنشستر الى سبعة امثالها ، كما ان سعر الاسهم في هذا المشروع الاستثاري ارتفع عشرين ضعفا . الاان عدم وجود اي اتفاق بين الشركات ينظم المقاييس والرسوم سبب هبوطا سريعاً عند ظهور الخط الحديدي .

والشرعية التي عادت الى آل بوربون افادت كثيراً من تقليد مرعي الاجراء كما افادت من المفاء رسم الدخولية على ايدي الثورة . فقد اشترى النظام الجديد الاقنية وشمر عن ساعد الجد لانجاز المشروعات التي كان بوشر بها في عهد لويس السادس عشر، وفي عهد لويس فيليب برزت بوضوح شبكة المترع المائية التي شدت الاحواض المائية ، بعضاً الى بعض . صحيح ان شبكة الاقنية كانت غير كاملة وتفتقر كثيراً المتجانس فيها بينها : فقد امتنع على سفينة شحن قادمة من الفلاندر مثلاً المرور عبر قناة الاردين ، كما ان الكباري القائمة على نهر الرون في مدينة ليون وقفت حائلا دون الملاحة بين نهري الساون والرون . الا ان دخول البخار كفوة محركة ذهب بكل هذه الدوائق .

جاء في توصية لنرفة تجارة ستراسبورغ ان وعلى نهر الرين ان يؤلف اداة وصل بين كل الشعوب، فقد كان شمن بضاعة من درسدن الى همبورغ يكلف اكثر من نقلها بين مرقا نهر الايلب ومدينة نيويورك . فقد سبق لمؤتمر فيينا (١٨١٥) ان دعا الدول الواقعة على بحرى الرين للتعاون فيا بينها للقيام بتحسينات على بحراه . وقد ظهرت السفينة البخارية لتعمل في وقت مبكر بين مدينتي روتردام وكولوني ، ولم تعتم ان شقت طريقها الى ستراسبورغ . ولم يباشروا في تنظيم بجرى هذا النهرالا في عام ١٨٥١ . وقد حدت رغبة جامحة بكل المرافى ، الواقعة على سواحل البلاد الواطبة الى اجتذاب الحركة التجارية ونشبت على أثر ذلك منافسة حادة فيا بينها زادها حدة وتعقيداً دخول السكة الحديدية الحلبة . فيينها راحت روتردام تتحرر من حوائل الزويدرزة بانجازها قناة البحر الشالي الكبرى ، كان حوص نهر الموز مجاول تيسير اتصاله بجرفا انفرس بين ليبج وشارلروا ، وبين هذه الاخيرة وبروكسل . وراحت بروسيا والدول بجلورة في انفرس بين ليبج وشارلروا ، وبين هذه الإخيرة وبروكسل . وراحت بروسيا والدول خطة تؤمن قيام اشفال بقصد تحسين الملاحة على نهر الفستول ، في الوقت الذي كانت فيه فينا خطط هي الاخرى ، للاستفادة من نهر الدانوب . وتوصل نيلز أركسون عن طريق قناة تروهاتن الى تفادي شلالات غونالف فيستر بذل المناف وصول الخشب والحديد السويدي الى مضق كاتبغات .

اما في روسيا والولايات المتحدة الاميركية المعروفتان بمساحتها الشاسعة فقد ألفت البحيرات والانهر الضخمة فيهما طرق مواصلات ظبيعية مهمة للغاية ، مع ما همي عليه من حاجة ملحة لاصلاح بجاريها ولربطها بمضاببعض بشبكة متجانسة من الاقنية والترع. فالسبق القصير الامد الذي

سجلته الامبراطورية القيصرية في هذا الجال ، لم يسدم طويلا امام هذه الانجازات الضخمة التي تحققت في العالم الجديد . فقد بقي نهرا الدون والدنيبر منعزلين . وقامت شركة روسية للسفن التجاريةتعمل على نهر الغولغا وكاماءواذاكان نهر النيفا يتصل ببحيرتي لادوغا واونيغا وفالفولغا بقي منفصلاعن خليج فنلندا الى عام ١٨٥٠ . كل هذا يبقى تافها زهيداً اذا ما اخذنا بمن الاعتمار الامكانات الضخمة والطاقات الواسعة التي ستحظى بها السفافة القديمة . وعلى عكس ذلك هنالك شعور عارم في اميركا بوجوب ربط نهر المسيسبي وروافده العديدة باحواض المحيط الاطلسي الساحلية ، وهذه بالبحر الداخلي القائم عند حدود كندا. فقد ألفت مواعين الشحن الهبوط من نهري الاوهايو والمسيسي حتى اورليان الجديدة؛ حاملة اليها من السهول والمروج النيحاء ، الحبوب ولحم الحنزير المملح ، كإن سكان الولايات الشرقية يشدون الرجال لنقلها براً على عربات النقل البدائية ، راسمة في سيرها دورة هائلة . واختصاراً منهم للمسافات وتفاديا للموانع الحائلة والعقبات القائمة ، واحوا يضمون الخطط لانشاء ما يازم من الترع والاقنية الموصلة ،عندما خطر لفولتن التصميد في نهر الهدسون على السفينة التجارية الجديدة «كليرمونت» التي تم يناؤها في برمنعهام. وضربت المعول الاولى التي بوشر بها عام ١٨١٧، ايذانا بشق الخندق الذي سيمتد الى بحيرة ايريه والبالغ طوله ٢٠٠ كلم . الذي تم الفراغ منه بعد جهود وشـــاقة استمرت سبع سنوات بكاملها ، وكلفت ه ي مليوناً من الدولارات سيسمح بوصول ٢٠٠٠٥٠٠٠ طن عام ١٨٢٥ ومليوني طن ، عام ١٨٦٠.وعن طريق هذه القناة ارسلت شبكاغو اول شحنة لها من الحبوب. والطون الذي كان نقله يكلف . • ٥ فرنك هبطت كلفة نقله الى ١٠ فرنكات في اقل من عشر سنوات وهكذا جاءت حركة النقل التجاري هذه تكرّس اسبقية مرف<mark>ا</mark> نيويورك في مضهار التجارة في العالم الجديد . ومنذ ذلك الحين قامت منافسة حارة بين الولامات الاميركية والمدن الكبرى الواقعة على الاطلسي ، اذ راحت كل من هذه الولايات والمدن تحاول جاهدة الوصول الى احواض الغرب حيت عدد كبير من الاقنية كان على وشك ان يؤلف شبكة متجانسة من هذا الترع الماثية . ما لا شك فيه قط ان هذه التصاميم الموضوعة لم يحالفها النجام . فشبكة بنسلفانيا التي تألفت من قناتين تربط بينها جادات منحدرة السطح تجتازها المربات المشعونة ، لم تتجاوز لنشبورغ ، الأمر الذي حمل بلطيمور على تفضيل سكة الحديد.ومم ذلك ، فالولامات المتحدة التي ترك لنا ميشال شفاليه باعجاب كلي وصفا دقيقا لمجاريهــــا المائية القابلة للملاحة النهرية؛ بلغ طول شبكتها هذه ٧٠٠٠ كلم عام ١٨٣٥ ، وبذلك هيات اسباب تغلب البخار. وهذا الحاس لم يلبث أن خمد وانطفأت جذوته بسرعة أمام طلوع البخار في انكلترا بالذات .

من اليسير ان يتصور المرء ان استخدام الانستان للبخار وتسخيره له كوسيلة ظهور سكة الحديد من وسائل النقل الحديث كان ثورة طارئة . فقد عاش والحق يقال جيل كامل من الناس تنازعهم عاملا الاملوالشك حول مستقبل القطار والخط الحديدي. فما عسى ان تكون عليه يا ترى ، سكة الحديد، هذه السكة التي تتألف من خطين متوازيين من الخشب،

ثم خطينهن العسب واخيراً منالحديد ظهرا في اواخر القرن الثامن عشر َ احسن المعدنون واصحاب المناجم ، في انكلترا ، استخدامه لنقل عربات الفحم . ولكن هل يكفي ان يلتصق الجانت بالخط الحديدي حتى لا قبقي العربة تتأرجع في مكانها ? ليس من عنصر حاسم في الامر منذ العربة التي صنعها كونيوت قبل ان يخسارع ستيفنسن عربة Puffing Billy عام ١٨١٤. فقد شهد عام ١٨١٤ نهاية عظمة تابوليون كا شهد ظهور القاطرة التي تجر ثماني عربات تزن مما ٣٠ طنا يسرعة ٧كلم في الساعة (١) وهي آلة باهظة التكاليف كا يقولون ولا تصلح من جهة ثانية الا لنقل مقتضيات المنجم. وعندما خطر المركيز دي لور سالوس ، عام ١٨٢٣ ان ينشيء له خطأ حدي<mark>دياً ينقل ع</mark>ليه وقود الفحم من سانت النيان الى منطقة اللوار، لم يفكر بغير الخيـــل والحمير كأداة لجر العربات . ومع ذلك ، قام جورج ستيفنس ، عام ١٨٢٥ بتجربته الحاسمة على خط دار لنفتن ستوكنن للتدليل على الخدمات التي تؤديها القاطرة . وتمت التجربة في ٢٧ ايلول امام حماس جميم الذين شاهدوها . فقد استطاعت ثلاث قاطرات تعمل على البخار ، قوة الواحدة منها ٥٠ حصاناً - كا تروي الخبر جريدة التيمس - ان تنقل ١٣ عربة محملة بالبضائع وغير ذلك من المواد الحتلفة ، على خط حديدي مرتفع الصعيد . فقد وصاوا هذه العربات وعربة اخرى تحمل السلطات والمدعويين والمساهمين، بقاطرة نقالة عرفت باسم Experience . وتألف القطار من ٣٤ عربة بينها عربة تحمل قرقة الموسيقي تصدح بانفامها الشجية، بينا كان يرفرف على احدى العربات ؛ علم كتب عليه : ﴿ خطر فردي لقاء منفعة عامة ﴾ وعند انطلاق اشارة معينة اخذ القطار يتحرك قراحت الجماهير تهتف هتاف الفرح . وراح بعض الفرسان الخيــــالة يجاولون إستباق القطار الا انهم لم يلبثوا ان شعروا بانه فاتهم كثيراً . فالمسافة التي كان الانحـــــدار فسها قوياً بلفت سرعة القطار ممها ٢٦ ميلا (١٠ كلم) في الساعة . وفي سنة ١٨٣٠ ، فاز ستيفنسن وابنه روبرت بالجائزة ضد ادكسون ، وهي جائزة وضمها تجار لانكشير لمن يفوز بالسبق بين ليفربول ومنشسار. فقد حِرت قاطرتها ١٢ طناً بسرعة ٢٢ كلم في الساعة. فالحادث لم يقل اهمية عن حادث les trois glorieuses في المدى التاريخي .

فيينا كان الشباب المتحمس في فرنسا يدف المهندسين ومعظمهم من خريجي البوليتكنيك ومن انصار السان السيمونية ، ويطالبون بالسكك الحديدية ، نراء يصطدم هنا بتنكر البعض للفكرة كما تلقى الفكرة هنالك عدم رضى الآخرين ، كما اصطدمت بمعارضة الذين رأوا في هذا المشروع ، اذا ما خرج الى حيز الوجود ، مسماً بمصالحهم ، ويتعللون بغلاء الحديد ، رأينا الفكرة ذاتها تفوز برضى الرأي العام الانكليزي كما انها نزلت منزل الرضى من الاميركيين . وفي إثر إيفانس فكر ستيفانس ان بربط بين الهدسون ومجيرة ابريه باختراع بدخل فيه الخط الحديدي

⁽١) واجع تاريخ الحضارات العام ، مجلد ه حد ١٦ه (من الطبعة العربية) .

حمل بعض رجال الاعمال في بنسلفانها على شراء قاطرة من انكلارا . وها هي بلطيمور تندقم بكليتها في الامر فتستخدم اول ما استخدمت الحصان والشراع ، فالقاطرة فسازت في السنة التالية . وانهالت الاموال على المساهمين فسهل هذا الاقبسال مد فروع الخط الى واشتطون، ومنشساتر . وفي الوقت ذاته سارت الآلة البخارية على خط شارلسان - همبورع . ولما كانت السفينة الشراعية تسبب مشاكل وتثير المتاعب فقد كتب النجاح لاحسن صديق او رفيق الذي باستطاعته أن يقطع ٣٤ كلم في الساعة جاراً وراءه أربع عربات والذي انتهت رحاته بانفجسار عقب أن جلس السائق الزنجي على الصبّام ليمنع البخار من الصفير . فالقاطرة Old Ironsider التي صنعها بُلدوين وتلـــك المساة Thumb التي جرى صنعهــا في احواهى وست بوينت اصبحتا حديث القوم . وبالرغم من بعض الحوادث المبكية المضحكة التي رافقت تجربتهما ، فقد رسمت<mark>ا مصير</mark> هذه الوسيلة الجديدة من وسائل النقل . ومنذ ذلك الحين ، سيارت الولامات المتحدة في الطليمة وتخطـت اوروبا بمراحل ، فمن ٦٥ كلم للاولى مقابل ٣١٦ في اوروبا (منها ٢٧٩ لانكلترا) عام ١٨٣٠ ارتفعت الولايات المتحدة الى ٥٠٩ مقابل ٣٥٣٤ لاوروبا عـــام ١٨٤٠ - ويمد ذلك بعشر سنوات يصبح لدى الولايات المتحدة ١٤٥٠٠ كسلم من الخطوط الحديدية قيد الاستمال وتأخذ في الامتداد والتغلغل في الداخل. صحيح ان هذه الشبكة ليست بعد كلما متجانسة فيا بينها . فتفاوت البعد بين الخطوط مختلف بين خط وخطوشعبة وشعبة وعملية التغريغ وانزال الشحن المعد للفنادق تفرض على القطار التوقف ليلا بعض الوقت . ومع ذلك فقد راحوا يقطمون المسافة بين بوسطن ونيويورك باربع وعشرين ساعة بدلاً من ٨٠ساعة. وفي سنة ١٨٥٤ كانت خمسة خطوط تجتاز جبال الابلاش . وهكذا يبدو واضحاً ان الولايات المتحدة الشالية حققت لها اسبقية ملحوظة في اعتادها على الخطوط الحديدية .

ففي اوروبا العتيقة لا يزالون بعيدين البعد كله عن هذه الانجازات البنتاءة الطعوحة النيرة التي يقترح ميشال شفاليه الاخذ بها والاقبال عليها ممثلة و بشبكة البحر المتوسط ، اي القيام بشق قناة مائية تربط كل الخلجان الواقعة في اوروباعلى سيف هذا البحر بأهم المراكز الصناعية والمدن الكبرى . فالطريق والنهر هما قوتان . وجاءت ردة الفعل وفقا لطبيعة ومزاج ومصالح كل بلد من هذه البلدان المعنية بهذا الامر . فمن جهسة الجنوب والشرق نرى انها يفتقران كلياً لرؤوس الاموال اللازمة كا يفتقران للفنيين والتقنيين . فها هي ايطاليا التي تنبأ لهسا أزغليو بأن انشاء السكة الحديدية فيها و سيخيط الجزمة ، لا تملك ، عام ١٨٤٦، سوى بعض شعبات من هسذه الخطوط (خط ميلانو – مونز ، وخط بادو – البندقية ، وخط ليفورنو – بيزا ، بقطع النظر عن خط مقاطعة كمانيا ، هذا الخط الذي انشأه قردينان دي نابولي للذته الخاصة وجهز كل محطة عن خط مقاطعة كمانيا ، هذا الخط الذي انشأه قردينان دي نابولي للذته الخاصة وجهز كل محطة تقع عليه بكنيسة صغيرة ، وحظر السير عليه ليلا وايام الاعياد) . اما هنغاريا فستبقى طويلا لا تملك غير الخط الدائري الذي يلتف حول بودابست (بعد ان كانوا يرددون فيها القول بان .

كل من ينظر الى القطار في سيره على الخط يصاب بالجنسون . وفي روسيا كان على الفيصر ان يضرب بمرض الحائط المخاوف القرجاشت بها نفوس المصابين بمرض العصر، يعارضون فكرةبناء خط موسكو - بطرسبورغ. ومن جهة اخرى تحافظانكاترا علىسبتها في هذا المضار وعلى التقدم الذي سجلته على كل جيرانها . فهي البلد الوحيد الذي يتمتع بشبكة حديدية تربط ما بين مدنها الرئيسية وحواضر البلاد الكبرى . وقد اقبلت بشيء من الهوس الجنوني على بناء هذه الشبكة التي استمر العمل فيها من ١٨٤٠ - ١٨٤٧ بالرغم من المنافسة الحادة التي ابداها اصحاب المربات ومعارضة بعض الشركات المالية ولا سيا معارضة Turnpike Trusts وكل من يعتاش مسن صناعة الجر ، وبالرغم من المضاربات على الاراضي. ان و. شابلن الذي كان في حيازته عــــام ١٨٣٦ نحو من ٣٠٠٠ عربة نقل و ٢٥٠٠٠٠٠ حصان جر رأى انه من الايسر والاسهل نقل الطرود البريدية بالقطار الحديدي ، وقبل ان يترأس شركة خط لندن والجنوب الفربي . وقسد احدث انشاء خط حديدي بين يروكسل ومالين تحولاً في الرأي العام الذي اخذ يعطف عسلى الفكرة بعد أن تنكر لها فاخذ يظاهر الاقتراح الجرىء الذي كان يرمى إلى أنشاء خط حديدي بربط ما بین انفرس - کولونی و هو مشروع تقدم به <mark>الوزیران روجیه ولوبو . وقب تعللوا</mark> في معارضتهم لهذا المشروع بانه يجر الخراب على اصحاب عربات النقل ويدهك الارض الصالحسة للزراعة ويدخل الرعب على الماشية والحبوانات ويجفلها · فبعد سنة ١٨٤٣ ،قام في هذه المملكة الصفيرة من الخطوط الحديدية ما يوازي مساكان منها في فرنسا . وكان من حسن وضع شبكتها جارتها في هذا السبق ، فلا عجب قط ان تفقد جانباً من الارباح التي كانت تعود اليها مـــن الحركة التجارية وحركة النقل التي كانت تتجه اليها .

كبير جداً عدد رجال المال والاعمال والاقتصاد ورجال الادارة في المانيا الذين ادركوا كما يجب، الفوائد والمنافع التي مجملها الى المانيا المنقسمة على نفسها سياسياً وعلى الاتحاد الجمري الذي قام فيها التخلف عن الركب في هذا المجال . ولكن كيف العمل وقد راح الاطباء يؤكدون ان السرعة التي يتعرض لها المسافر تعرضه لفقد بصره وبالتالي العمى، كما ان بعض المصالح الفردية الحاصة وفقدان الثقة التي يجب ان تقوم بين الدويلات الالمانية وقلة رؤوس الاموال، كل هسذه التعللات قامت وانتصبت في وجه القائلين بالتطور في هذا المجال والقائلين بوجوب الاخسذ باسبابه . ففي عام ١٨٣٥ فقط، وتحت صفط ليست استاذ الاقتصاد السياسي في جامعة قوبنجن وبفضل المبادرة التي اخذها شارير، عمدة نورمبرغ، تم انشاء فرع خط نورمسبوغ وفرث . وقد وجه البروفسور ليست نفسه ، نداء الى سكان مقاطمة ساكس دعاه و البراءة الكبرى ، المخطوط الحديدية، بهببهم الى معاضدة خطة تطوير المواصلات الحديدية واخذ يجمع اشتراكات المساهمين بقصد بناء خط يربط بين ليبزيغ و درسدن ، هذا الخط الذي جرى تدشينه باحتفال عظيم ، اقيمت فيه اقواس النصر واشتركت فيه اجواق الفتيات . وراحت كل مدينة باحتفال عظيم ، اقيمت فيه اقواس النصر واشتركت فيه اجواق الفتيات . وراحت كل مدينة

تطالب بوصلها وربطها مجارتها او باقرب نهر منها ، وكل واحدة ترغب في ان قصبح عقده مواصلات. الا ان الحكومات الستبدة كانت في حدر من هذه المشروعات الحاصة: اذ ان القانون البروسياني كان يقيم مراقبة شديدة على كل مشاريع الاستثبارات وراحت بعض الدويسلات الالمانية تحتفظ لنفسها مسبقا محق استثبار الخطوط الحديدية فيها. فمن المفارقات الحرية بالملاحظة ان تلعب السلطات العامة في المانيا هذه التي تفتقر اصلا المحكومة مركزية دوراً اكبر من الدور الذي قامت به الحكومة الفرنسية. اذ لم تعتم ان اصبح لديها ٥٠٠٠ كلم من الخطوط الحديدية مقابل ٥٠٠٠ في فرنسا وهي شبكة تتألف من خط رئيسي يربط بين اكس لاشابسل وبوزين مقابل مهنوع فرنسا وهي شبكة تتألف من خط رئيسي يربط بين اكس لاشابسل وبوزين مماراً بهانوفر وبرلين ويقطع الانهر الكبيرة في شمالي البلاد . ومن هذا الخط تتشعب فروع نحو برين وهمبورغ كانت قيد الانشاء . ولما كان الرين الأوسط لا يفي تماماً بالفرض فقد تم وصل فرانكفورت بمدينة بال ، كما ان بروسيا ارتبطت بالنمسا واتصلت بها عن طريق سيليزيا وبوابة فرانكفورت بمدينة بال ، كما ان بروسيا ارتبطت بالنمسا واتصلت بها عن طريق سيليزيا وبوابة مورافيا .

وطالت فترة التردد في فرنسا وانتصب فيها جبهتان؛ الجددون التقدميون الجريثون؟ والنظاميون الرجميون. منا السانسيمونيون ومهندسو الكباري والطرقات؟ ومن هناك رجال المال المتحفظون وفريق النبلاء الحذرون؟ والمنقسمون على انفسهم ذوي الوقف المتزعزع؟ وحكومة لويس فيليب الذي يتأرجح بين الأخذ باقتراحات له غران ومارتن دي نور ؟ وبين تحفظات المجلس الوطني وتردده . فلم يكن الى سنة ١٨٤٢ سوى بمض فروع قائمة . وعبثاً يحاول كل من اميل بيراير في جريدة والناسيونال » وفلاشا في جريدة والدستوري » وشارل دي فربيه في جريدة والكوريدي » وشال دي فربيه في جريدة والديبا » امتداح سياسة الانشاءات العامة ويحثون رجال الاقتصاد على وجوب تبنيها . صحيح ان جيمس دي روتشيلد اقتنع في نهاية الامر ليفامر رجال الاقتصاد على وجوب تبنيها . صحيح ان جيمس دي روتشيلد اقتنع في نهاية الامر ليفامر والتسرية عنهم . وقد سام الجيش الفرنسي ببناء جسر أنيسير . وجرى تدشين الخط باحتفال عبير ؟ عام ١٨٣٧ وعند افتناح خط نيم — بو كير راح احسده يقرط شعراً فوائد الفاطرة ؛ مناسداً :

ما احيلي القاطرة اللعوب اللاهثة يداعب عرف شذاها النسيم العليل مري ياعربة الجود والكرم عترقة من ارضنا السهل والجبل دخامك الاقتم هو خير بذار يفيض الخصب من الاثلام والبركات

وهذا الحماس يتجاوب مع نشوة الطرب يهز مشاعر ميشليه وهو في القطار من لنسدن الى ليفر بول فيقول : خمسون فرسخاً باربع ساعات. ليس ما يستطيع وصف هذه السرعة الجنونية

التي نجمتاز معها كأننا مع قصة من قصص الخيال ، همذه المناظر الفناء. نحن لا نعدو ، لحن نطير فوق الحقول المنبسطة وقوق الصخور والبطاح ، نمر سراعاً قوق الكباري المعلقة والقناطر التي تذكرنا بما نحمله من فن وملاحة ، في كل لحظة والتفاقة ، بهذه المباني الاتروسكية والرومانية . نحن نحو م فوق المهاوي والاغوار » .

فغ<mark>ي ديوانه الشعري Les Destinces ؛ تتنزى ريشة فينيي ب</mark>شيء من الشك المقيم ع<mark>ندمـــا</mark>

هذا الثور الحديدي الذي يدخن ويلهث ويخور قاى عاصف فنه يُطلق هذا الاعمى الهائج ؟

عالج القرن البطري الى التنعراف البرق المحددة يكشف فيها عن اسرار القرى الطبيعية ، ويأتي المحالات البحري الطبيعية ، ويأتي المحالات البحري الطبيعية ، ويأتي بها علاجاً اولياً نشراً لافكاره وبئاً لها بالسرعة المرتجاة . فالاهتمام بتوفير وسائل الاتصال والاعلام عن بعد لا يزال يستبد بالخواطر حتى بعد ان اكتشف الانسان التلفراف البرقي . ففي سنة ١٨٣٨ فقط ، اعتمدت الحكومة الروسية طريقة شاب للانصال السريع بسين فرصوفيا وبطرسبورغ ، هذه الطريقة التي كان لها في فرنسا اذ ذاك ٥٠٠ محطة فمكنتها الاتصال بين باريس وطولون في اقل من ١٥ دقيقة واتفق عام ١٨٣٧ ان كان الانكليزي هويتسنون ، والالزاسي ستانهابل الاستاذ في جامعة ميونيخ ، والاميركي مورس ، ان تقدموا في وقت واحد تقريبا بشهادة اختراع جهاز خاص للمخابرات السريعة عن طريق استخدام شاحنة فولطا بعد التجارب التي قام بها غوس وويبر حول المفطيسية الكهربائية فاستنبط هويتستون طريقة المحطسات للتفلب على عنصر المسافة وعامل المقارمة ، بينا راح ستانهابل يقارح الاخذ بالشبكة الوحيدة للتغلب على عنصر المسافة وعامل المقارمة ، بينا راح ستانهابل يقارح الاخذ بالشبكة الوحيدة

تكون الارض فيها سلك رجوع ، في الوقت الذي استنبط مورس طريقة جديدة مبسطة جداً تتكون الارض فيها سلك رجوع ، في الوقت الذي استنبط مورس طريقة جديدة مبسطة جداً الناف من علامات ترسم على لفافة من الورق . فبدلاً من تسجيل الاشارات الرمزية تسجيل البرقية نفسها . واستطاع مورس ان يتبادل البرقيات بين واشتطون وبلطيمور عام ١٨٤٤ . ولم يمض كبير وقت حتى راح كل من برنار وولف بالاشتراك مع ارنست ورنر سيانس ثم رويساتر الممروف بصداقته لفوس يستخدمون طريقتهم هذه في هذه الوكالة للاخبار التي انشأوها . اما التلفراف البصري فقد احتفظوا به في مصالع الجيش والبحرية .

كانت تنقلات الانسان على البخار حتى الآن

ازدهار السفن الشراعية وبدء العمل بالبخار

مرتبطة الى حد بعيد عزاج الامواء السبة المسابة الى حد بعيد عزاج الارياح والاهواء السق حاول جهده ان يكبحها او يتحكم بها بشكل او آخر . والعمل في السفن الشراعية كان ملينا بالخاطر والمشقات اذ تقتضى القائمين به والناهضين باهبائه واحكامه ، الحثير من المهارة ورباطة الجأش ، فعلى من يرتضي حياة البحر مهنة له وحرفة ان يقلع بفراش خشن وحجرة ضيقة ، ضئيلة النور ضعيفة الانارة ، فاسدة الهواء كثيراً ما تفح منها واثحة العطن ويعيث فيها الجرذان ويعبث بها الهوام اما طعامه فقواهه المعجنات والمملحات والتبلع غالباً عاء مز أجاج . فهو ابداً عرضة للامراض تترصده المخاطر بين الصخور ومهاوي البحر واغدواره . وتطل عليه من سطحه واعماقه ، فينير على بركات الرحمين مستوثقاً بالظروف والامكانات وتطل عليه من سطحه واعماقه ، فينير على بركات الرحمين مستوثقاً بالظروف والامكانات السفر البحرية اخذت بتنظيم اسفار في مواعيد محدة بين نيويورك وليفرول ، شهرية في بسده الامر ثم نصف شهرية بعد حين ، كا قامت وكالات اخرى في لندر والهافسر تنظم السفر الى المرثم نصف شهرية بعد حين ، كا قامت وكالات اخرى في لندر والهافسر تنظم الشفر الى النمرب ، ومن ٣٠ - ، ع يوما إياباً في الاتجاه الماكس ، والمهم في هسذا كله تأمين الطمأنينة والسلامة اكثر من الوقت .

وبالرغم من هذا كله فقد قطع الاوروبي مسافات شاسعة فوق البعسار يخترق عبابهسا قبل ان يتاح له السيطرة على القارات والتحكم بالمسافات. فبعد ان اعتمدوا في اواخر القرن الثامن عشر السدسية eextant في تحديد خطوط الطول وقياس ارتفاع الاجرام السياوية وابعادها اكثر من اعتادهم على الاسطرلاب ، استطاع الميقت او الكرونومتر بعد التحسينات التي ادخلها عليه كل من بريغيه وابرهم لويس ان يسجل تطورات عظيمة في قيساس الوقت بدقه كلية . ولن يلبث رجل البحر حتى يرى تحت تصرفسه خرائط مفصلة لرحلات فصلية مرتكزة على رصد مهب الارباح . اما البركار فلن يصبح في مأمن من الاضطرابات التي تحدثها الحجوم المعدنية الواقعة على مقربة منه الا بعد لأي من الزمن .

فكيف السبيل والحالة هذه الى استبدال السفينة الشراعيسة بأداة الملاحة تكون اسرع واكثر ايحاء الطمأنينة ؟ وفكرة استخدام البخار كمحرك في الملاحة وجدت لها رواجاً اكبر

بمد نجاح تجربة السفينسة التي تعمل على الفشراشات في المياه الداخلية التي قـــــاموا بها في العالم الجديد . وكانت نقطة الانطلاق هذه التجارب والاختبارات التي قام بها جوفروا دَّبانس على هدسون . هنالك عام ١٨١٥ نمو مسائة بيروسكاف (وهو الاسم الاول للسفن البخارية) تعمل على الحطب كوقود لها لوفرة هذه المدة ورخص ثمنها بينا ارتفع هذا العدد عام ١٨٣٠ ، الى ٥٠٠ بيروسكاف . وهكذا طلع علينا ال steamboat عمداً السبيل لظهور الا steamer . ولكن هل بأستطاعة المركب البخاري الذي اطلقه دل وغسن على الكلايد أن يستجيب لمقتضيات رحلة بحرية طويلة ? فقد ارادوه للملاحة القريبة من الشواطىء ولاجتباز البحار الضيقة كبحر إيرلندا مثلاً. فليس من الفريب قط ولا ما يدعو للعجب أن تجتاز والسافاناه ، شمالي الحيط الاطلمي عام ١٨١٩ ، بخمسة وعشرين يوماً ، فلا تصل الى مرفأ ليفربول الا بعد ان استعانت بالشراع . وقد ذهبوا بها الى كرونستادت الا انها لم تجذب بشيء اهتام الاميرالية الروسية ؛ فاضطرت للنكول راجمة الى اميركا مستمينة في ذلك بالقاوع مرة اخرى . فقد برهنت التجربة على أن العجكل الذي يحرك الفر" اشات لا يعطي النتيجة المطلوبة ٤ أذ أن حركة السفينة من الاسفل إلى المقدمة تكشفه تارة وتفطيه طوراً . ومن جهة اخرى ، ان تمشق المجلات الذي يتحكم بالآلات يفقد السفينة الكثير من قوة الدفع بعد أن يفقدها المرجل ذو المربعات قسما كبيراً منها. فهي من جهة ثانية لا تصلح كسفينة حربية اذ انها هدف سهل المنال لرماية العدو . اما اذا ما عـــادت سفينة الفنكس بسرعة ٩ عقد تذيع في فرنسا على الاهلين خبر سقوط مدينة الجزائر عام ١٨٣٠٠ فالسفن النجارية لم تكن لتخلو اذ ذاك من محاذير سيئة . اما كان يقتضي لها من وقود الفحم ما يملًا كل الفراغ المخصص فيها للشحن؟ والسفينة انتربرايز وصلت كلكوتا عام ١٨٢٥ بعد رحلة استفرقت ١١٣ يوماً ، منها ٨ ايام قضتها تمتار الماء والوقود في مدينة الكاب . والى هذا كان لا بد من أن يحسب المرء حساب اخطار الحرائق والانفجارات الطارئة ، وهي اخطار لم تكن نادرة الوقوع على خطوط الملاحة . فالسفر في عرض الاوقيانوس ، بدون انقطاع أو توقف، على ظهر سفينة تشجن الفحم ليس باقل خطر من رحلة يخططون الى القمر تنطلق من ليفريول، كا يؤكد ذلك العالم الرياضي لاردنير ، عام ١٨٣٥ . فليس من غرابة قمل ، والحالة هذه ، ان يتردد نواجدة البحر ، قبل الاقدام على تمريض اموالهم للخطر.

ومع هذا لم تمر ثلاث سنوات حتى وقعت التجربة التاريخية المشهورة التي قامت بها السفينة سيريوس والسفينة الاخرى Great Western اللتان عرفتا كيف تستفيدا من البخار والشراع مما ، اذ قطعتا الاوقيانوس ، بين ليفربول ونيويورك ، الاولى في ١٦ يوما ونصف والثانية في ١٣ يوما ونصف والثانية في ١٣ يوما ونصف . وعلى الاثر يتعهد البحار السكتلندي صموقيل كونارد بنقل البريد على اربع سفن بخارية اولاها بريتانيا التي قطعت المسافة بين ليفربول وبوسطن ب ١٧ يوما محققة بذلك الاقتراح الذي تقدم به المهندس إيزمبير كنفدوم برونيل ، الى شركة Great Western Rail Way

بمد خطها حثى اميركا وذلك باستخدامها سفن بخارية في اسفار مطردة .

واخيراً على في مكنة السفينة البخارية لعمري ان تستغني الى الابد عن الاشرعة التي تحتاج الى ايد عاملة كثيرة ؟ فقد اتجهت السفانة نحو تحقيق هذا المطلب باستمالها المروحة القائمة على مبدأ برغي ارخميدس ، هذا المبدأ الذي خطر لبعضهم ، منذ القرن الثامن عشر استعماله وتطبيقه ، والذي قام باخراجه الى حيز الرجود في وقت واحد تقريباً احد بناة السفن في بولوني هوسوفاج، ومزارع انكليزي هو بتيت سمت واركسن نفسه ، بسين ١٨٣٧ - ١٨٤٤ . وستمر ١٥ سنة قبل ان يعم استخدام هسذا المحرك الحازوني او الدوامة . كذلك سيتم بالبطء نفسه من حيث التطبيقي والافادة من خدماته الاختراع الذي وضعه هول عندما وضع المكتشف السطحي الذي يرفع من حوارة المرجل ويزيد كثيراً من طاقتها الآلة المزدوجة التي ستوفر الكثير من الوقود لن تظهر للوجود قبل عام ١٨٦٠ .

وفي غضون ذلك تعرف السفينة الشراعية ا<u>نتداقم عن</u> نفسها بنجاح بفضل عنابة الاميركيين انفسهم وتفوقهم الذي عرفوا اثناء حروبهم عام ١٧٩٣ و ١٨١٤ ؟ ان يفيدوا الى حـــــد بعيد؟ مما لديهم من احراج وغابات كشفة ظلمة . وزادوا ثلاثة اضماف من حجم اسطولهم فجاؤوا في المرتبة الثانية بمد انكلتراكما انهم راحوا يقلبون النظر في كيفية التغلب على اسطول الملك جورج من حيث السرعة واستباقه ، وذلك بتنميم شكل الس<mark>فينة دون ان</mark> يلحقوا اي ضرر او اي وهن بمنانتها . وفي هذا السبيل اخسذوا يبنون سفناً شراعمة يزيد طولها ٦ او ٧ اضعاف عرضها ويجهزونها بعدد أكبر من الصواري يباعدون فها بينها . وهكذا طلع علينا نوع جسديد من السفن من طراز Clipper وهو نوع ادق قيادة لعمري وان كانت سعته دون سعة الطراز المعروف بـ Brick ، تسير برشاقة وسرعة ناشرة و و و متر مربع من الاشرعة ، لها من الطاقة ما يساعدها على اجتماز المحمط الاطلسي من الشرق الى الغرب بـ ١٦ يوماً لتعود إياباً بـ ١٠ يوماً . فبلغت سرعة السفينة Lightning عام ١٨٥٥ نحواً من ٣٣ كلم فيالساعة إي ١٨ عقدة ٤ وهي سرعة لن تتخطأها السفينة التجارية الا بعد مرور ٢٥ سنة . والذي جعل منها بحق ملكة السفن الشراعية ورجح جانبها الى حين واولاها الافضلية على منافستها هو قدرتها على القيام بالرحلات الطويلة . الا انه بالنظر لاعمـــال وتهريب الافيون الى الصين في اع<mark>قـــاب ١٨٢٥</mark> والاتجــــار الحر بالشاي الهندي بعد ان الغت انكلةرا عــــام ١٨٣٣ ، الحكر الذي تمتعت به شركة الهنب الانكليزية ، واكتشاف مناجم الذهب في كل من أوستراليا وكاليفورنيا ، اوجب التمويل على سفينة ال Clipper واستخدامها في هذه الرحلات الطويلة، من كلا جانبي اميركا، من جهة بين اميركا وآسيا ، ومن اخرى بين اور<mark>وبا نفسها والق</mark>ارات الاخرى . فمنذ سنة ١٨٣٦ دشنت السفينة red rover الاتجار بالافيون مع كلكونا وهونغ كونغ. وفي سنة ١٨٤٥ انطلقت سفينة د قوس قزح ۽ من نيويورك لتبلغ كنتون بعد ٩٢ يوماً . وفي سنة ١٨٤٩ قطعت السفينة الشر اعمة Oriental المسافة بين هونغ كونغولندن بمثل هذه المدة من الزمن. والسباق على الاتجار بالشاي بين الشركات الانكليزية والاميركية استعر الهان فازت انكلترا بالسبق على منافستها بعد عام ١٨٥٠. وتمكنت السفينة Cap hornier من ربط شمالي الاطلسي وكاليفورنيا بثلاثة اشهر بدلاً من ستة اشهر او سبعة اشهر لتدور حسول الطرف الجنوبي للمالم الجديد في طريق رجوعها من ملبورن التي تأتيها متبعة طريق الكاب ورأس الرجاء الصالح. فالنوانو والنترات المترفر بكارة على سواحل جبال الاندس يصل اوروبا بالطريق ذاته.

وهكذا صانت اله Clipper شرف السفينة الشراعية من الهوان والاستخفاف ، فالبخار لم يكسب بعد قصب السبق. ففي عام ١٨٥٠ يبلغ حجم السفن الشراعية ، ١٨٤ يين طن بينها ليسمنها للسفن البخارية غير ١٥٠ الف طن. ومهايكن ، فحجم الاسطول البريطاني يتضاعف ، وسيكون تحت تصرف الاوروبيين ، عام ١٨٠٠ نحو من ١٤ مليون برميل مقابل ٣ او ٤ ملايين ، عام ١٨٠٠ نحو من ١٤ مليون برميل مقابل ٣ او ٤ ملايين ، عام ١٨٠٠ م

Coasped

والمنصل والروابع

الدفع الرأسمالي والبورجوازي

« فقد الخذوا لهم من وكاللهم معبداً ومن مسكتبهم كرسياً للاعسازاف ومن مفكرتهم قرراة ومن مستودع بضائعهم مصلى . فاجراس المصفق تقوع عندهم السلام الملائكي ، والذهب الرنان اصبح معبودهم ، والاعتاد المالي دينهم ودفدائهم » .

(هنري هاين ۽ رسائل من برلين)

سارت التكنولوجيا قدماً الى الامـــام . فهل توفر لهم الاسواق التجارية ما يطمع المجتمع بتحقيقه من اهداف تسعى الوسائل التقنية الى تحقيقها . وكا حدث في القرن الثامن عشر ، عهد اشتداد الحاجة المنقد والسيولة ، نرى ان انتاج المعادن الثمينة اخذ بالهبوط الانتاج بين ١٨٤٠ – ١٨٤٠ الى ٥٠٠٠٥ كيلو من الذهب قبل سنة ١٨٤٠ ، بينها ارتفع هذا الانتاج ، بين ١٨٤٠ – ١٨٥٠ الى ٥٠٠٥٥ كيلو ، ليسجل بين ١٨٥١ – ١٨٥٥ انتاجاً يقدر به ٢٠٠٠٠ كيلوغرام . وحركة ارتفاع الاسعار التي ظهرت منذ الربع الثاني من القرن الثامن عشر توقفت تماماً بعداعادة السلام واستتبابه تماماً في القارة . فاذا ما عدنا نتملى النظر في الكشوف البيانية (١) ونحلل ارقامها لاحظنا هبوطاً معدوظاً يستمر حتى عام ١٨٥٠ .

رافق حركة الاستثارات هذه نزعة الى احداث تخفيض في الاجور بعد ان توفرت في معظم البلدان ؟ اليد العاملة ، وهي نزعة تأرجحت بين فرض الحالية الجمركية وبين النزعة الى التوسيع

⁽١) راجع الكشف البياني، من ص ٨٨. كذلك من المستحب الرجوع الى الكشوف البيانية الاخرى المنشورة في المجلد الخامس من تاريخ الحضارات العام، ٩٣٠ - ٥٠٥ (الطبعة العربية).

في الحرية التجارية . قاذا كان رأس المال يدر ربحاً صافياً فلم يكن مع ذلك ليخرج من صنادية... بسهولة . ولعل خير من يرسم لنسا صورة واقعية عن الوضع السائد أذ ذاك هو هسذه الشخصيات التي يمثلها الاب غرانديه لبلزاك ، والبخيل في رواية ﴿ اجرَاسَ كُورَنْفَيْلُ ، ، ولا سيا شخصيــة مردستون وشقيقته في رواية دافيد كوبر فيلد ورواية السير رالف نيكلباي لديكسن وحيث نرى غوبسك يقرض بفائدة .٥ و ١٠٠ ٪ . وعند اقسل بادرة أو أشارة خطر نظهر في وضم شركة تجارية او مصرف مالى ، يتهافت الناس على المصرف ويندفعون لسحب ودائعهم . فالمهم قبل كل شيء في دنيا الاعمال ، هو تاريخ الاستحقاق وشهرة ومكانة اقوى المحلات التجارية وارسخها ، فتصبح تحت رحمة مدن لا يستطيسم وفاء ديونه . ولذا كثيراً ما يلجأ ارباب المال والاعمال الى استعمال القوة والاكراه ، والسجن يؤلف عندم سبفا مصلتاً فوق رأس الدائن العاجز بعسد ان انزله الشارع منزلة السارق .

الدول: مصاعبها المالية ومشكلاتها

من الامور التي لها دلالتها في فرنسا ، بعد اعادة الملكية ورجوع الشرعية اليها ، الرغبة في عصر موازنسة الدولة وتشعيلها ، على اعتبار أن كل أنفاق لا كبير مبرر له بلحق الضرر بالوضع المسالي العسمام الذي تتسكم فيه البلاد. ففي بريطانيا العظمى نفسها ، بلغ من ضعف الثقة بالوضع المالي مجيث ان التفطية الذهبية للبنك الاهلى فيها ، عجزت مرتين عن منع الذعر بدب بين الاهلين كما عجزت عن منع حوادث افلاس بالجلة .

ومن جهة اخرى ، فالرجوع الى التعامل من جديد بالنقد المســـدني كان من شأنه ان يسبب هـوطاً في الاسمار . فالسوق برتاح الى الطمأنينة ويؤثرها على ال<mark>توس</mark>م في حركة الاعمال .

فالتداول بالاستناه ، ترك في فرنسا ذكريات مربرة استمرت طويلا في الخواطر والاذهان. فثلثا قيمة القسيمة لم يتجاوز الالف فرنك والقسائم ذوات الخسين فرنكا ، لم تدفع قيمتها قبل م ١٨٦٥ . والبنك الاهلي في بروسيا فرض عليه نظام شديد روضع تحت مراقبة شديدة من قبل الدول<mark>ة البروسيان</mark>ية حتى انه لم يتمتع مجق حسم السندات المالية الا في سنة ١٨٤٦ <mark>وكذلك مجق</mark> التسليف . فحكومات النمسا وروسيا واسبانيا وادارة صفار الامراء الايطاليين كلهم في عسر مالي وحاجة ملحة للنقد .

ان اجبار المصارف في الولايات المتحدة ال<mark>امير كية على دفع السندات بالعملة الممدنية أثار</mark> والرواد في الغرب، وصفار الملاكين في الشرق الشمالي الذي راحوا يشكون من فداحة الضرائب ورسوم الايجارِات الحمددة بالعملة المعدنية . وعندما راح جاكسون ، عام ١٨٣٦ ، نزولًا عند ثورة الشعب وتحقيقًا لمطالبه ، يتجاوز امتبازات البنك الاهلى ، حدثت في البلاد ازمة عنيفة امتدت عقابيلها الى جميم ارجاء اوروبا.

يجيد ستندال الملاحظة ويعبر بعبق عندما يقول: المصرف هو كبار رجال المال رالحكومــات رأس الدولة . فالبورجوازية حلت محسل حي سان جرمين ، طلمت على البلاد اوليفارشية مالية لم يمد في وسع الحكومات تجاهلهــــا والاغضاء من شأنها ، معظم اعضائها ينتمون للطائفة الانجيلية . وقد اخذوا يشيرون الى هذه الفئة، منذ عام ١٨١٥ ٠ باسم كبار رجال المال ، وانخرط في صفوفها بعض اصحباب المصارف من اليهود الالمان ، امثال هاين . وقد تمتم اصحاب هذه الاقلية بسمعة مالية قوية واخذوا يتحكون بمصرف فرنسا لندن آل بيرنغ، هذا البيت المسالي الذي يعود اصله الى ان قسيس في مدينة برينهو فرنسيس بيرنغ ، مدير شركة الهند والذي مديداً مسعفة ليبت في المشاريم التي نهض بها . وبعده طلع اسكندر الذي اصبح فيها بعد اللورد أشبر أن الذي آل اليه الاشراف ، بين ١٨١٥ – ١٨١٨ ، على الاعمال المالية الضخمة التي جرت في هذه الفترة الثم دخل شريكاً مع آل هوب في امستردام وباريس . وقد تمكن احد حفدته هو اللورد نور ثبروك ان يتولى مقدرات وزارة الخزينة ثم وزارة المالية. وقد تحلى افراد هذه الفئة بالفطنة والحذق وحسن الاطلاع وهي كلهامن هذه الصفات التي ميزت كبار رجال المسال اذ ذاك . فقد اتقنوا الى حد بميد ، معاملات الكومسيون (الوساطة) في كل ما يتصل بشراء وبيسم السفاتج والسندات المالية واسهم المعادن الثمينة لحسا<mark>ب ال</mark>غير ، كما تمت لهم في الوقت ذاته خبرات وا<mark>سعة في الاعمال التجارية الكبيرة ، كما هي</mark> حال <mark>آ ل ا</mark>يشبورن في مدينة بريسلو الذين هيمنوا على <mark>مصانع نسي</mark>ج الكتان وتجارة الب<mark>ن [،] كا ان</mark> T ل هنزمان اصحاب مصانم الاصواف ، انشأوا لهم شركة للتــــامين ، كما ان انطوان برليبه أسس مع شقيقه كزمير مصرفاً له ، وامتلك مصانع لتكرير السكر ومعامل للنسيج ، ومسبكا الحديد والصب في شار ، كذلك تعاطى تجارة غاز الانارة .

لم تسجل الاسواق المالية حتى عام .١٨٣ تطوراً كبيراً . فالمصافق او البورصات التي نشطت اذ ذاك ولا سنا بورصة الاسهم المسالية في لندن لا تتداول بسوى قسم ضئيل من الاسهم المائدة لبعض المحلات الصناعية ، فالاعسال التي تستأثر بالانتباه والنشاط هي المماملات المائدة للقروض التي تجريها الدول والتي كان يرغب فيها كثيراً اصحاب رؤوس الاموال وتحوز رضام . فالمصارف الكبرى تلعب هنا بالفعل دور المصالح الادارية في تأمين الحدمات المامة .

لاحظ جناز مستشار مترنيخ ورفيقه في مؤقر فيينا ؛ بما له من شدة الفراسة وردة آل روتشيد ودقة الملاحظة ؛ ان آل روتشيد و يتمتعون بغريزة مدهشة وموهبة ممتازة يتبنون معها احسن الحساول المارضة يختارون الافضل بسين حلين جيدين ». فقد كان المؤتمر المذكور فرصة طيبة عرضت امسام هسدة الاسرة التي كتب لها ان تبرز وتلع من بين هسدة

البيونات المالية الكبرى التي كتب لما ان تلعب بقدرات الدول في القرن التاسع عشر .

يعود اصل هذه الاسرة البعيد الى الطائفة الاسرائيلية في مدينة فرانكفورت حيث كان جدها الاول أمشل ماير يتماطى بنجاح الممال الصرافة ويدير بكل جدارة اعمال منتخب هس كاسل ومصالحه العديدة. وقد رزقه الله خسة اولاد عرفوا به وسادة فرانكفورت الجسة » تسلم اكبرهم المدعو أمشل ادارة اعمالهم في فرانكفورت بينا استقر اخسوه سلومون في فيينا والجمه الثالث نانان ، وهو اكفؤهم وألبقهم الى لندن ، بينا توجه جاكوب او جيمس الى باريس ، والخذ اصغرهم كارل مقراً له في نابولي . واعتاد هؤلاء الاخوة ان يعقدوا - كل سنة في المدينة الامبراطورية الحرة ، اجتاعاً لهم يستعرضون فيه سير العمل في محلاتهم على ضسوه بيانات وكشوف دقيقة ، ودراسة الاوضاع العارضة. وسواء أصحت عملية مضاربة مالية ضخمة قاموا بها بمناسبة معركة واترلو التاريخية ام كذبت ، فقد كرست هذه العملية شهرتهم وجعلتهم المد اطلاعاً على بواطن الامور وخفاياها ، من رؤساء الدول وماوكها . فقد اصبح آل روتشيلا المولين الاوائل لدول الحلف وشركائهم ، ويقوم مسر النجاح الذي اصابوه ، بتأمينهم نقل مبالغ ضخمة قد تكون صورية او وهمية ، بسين انكلترا وشركائها ، في ظروف صعمة ، خطرة من الحرب القائمة ، في وقت كان نقل مبالغ ضخمة من المسافات بعيدة ، محفوفاً بالاخطار . فاخذوا لحلهم شعاراً ان دل على شيء فعلى ما جاشت به نفوسهم من اعتداد وطموح بعيد وهو فاخذوا لحلهم شعاراً ان دل على شيء فعلى ما جاشت به نفوسهم من اعتداد وطموح بعيد وهو شار تألف من الكلات الثلاث اى : إتفاق ، مهارة ، نواهمة .

وهكذا لم يبق في وسع الماوك الاستغناء عن خدماتهم. ومعظم عمليات القروض الكبرى التي وقعت بعد عام ١٨٢٠ تمت على ايديهم وبواسطتهم . وكافأهم الامبراطور فرنسوا بإعطائهم لقب بارون . ولما كان من المهم جداً لديهم ان يسود الامن بين الدول والشعوب بحيث ينصرفون هم لاعمالهم التجارية والمالية بطمأنينة ، فقد حرصوا جهدهم على تأمين اسباب التقاهم بين الملوك والامراء ففي الوقت الذي كانوا فيه يتهمون بتحسين وضع ابناء ملتهم في المعقيدة والدين الذين كثيراً ما كانوا يتعرضون للاضطهادات ، فقد راحوا يعملون على توطيد اسباب النظام بعد ان عاد السلام الى اوروبا . وحكيف لا تقلق خواطرهم وتجزع نفوسهم على قرواتهم الطائلة بعد ان اصبحت اسطورية ومضرب الامتسال بين الناس ؟ فقد دراحوا يستثمرون اموالهم في مشروعات عديدة على شاكلة آل فوجرز قديماً . فقد حازوا على مناجم الزئبق في ادريا كا راح مناجم وافران فنكوفت السبيعمل على تأسيس شركة لويد النيساوية للاسفار البحرية . كذلك مناجم وافران فنكوفت السبيعمل على تأسيس شركة لويد النساوية للاسفار البحرية . كذلك عنوا بتجارة الشاي والتبغ وامتلكوا لهم اماكن للراحة والاستجام والترفيه عن النفس وابتنوا علم دارات وقصوراً جميلة يقيمون فيها الحفلات الواسعة ويستقبلون علية القوم بكل مظاهر البنخ والأبهة . وقد عرف نائان وابنه ليونيل المثلة في صميم الارستوقراطية البريطانية ، البنخ والأبهة . وقد عرف نائان وابنه ليونيل المثلا في صميم الارستوقراطية البريطانية ، بحيث راحت مدينة لندن تنتخب عام ١٨٤٧ ليونيل ممثلا لها في مجلس العموم . إلا انه لم يتمكن

من القيام بالمهمة الملقاة عليه والمشاركة باعسسال المجلس ، واعادت البلاية انتخابه من جديد عام ١٨٥٨ وجرى تعديل نص القسم لاجله ليتمكن من القيسام بواجباته كعضو في المجلس وكارل الذي اصبح شخصا مرغوبا به في نابولي ، عرف ان يكسب ثقة الادارة البابوية . فقد قدم له البابا بده ليقبلها وعلق على صدره الاوسمة البابوية . امسا جيمس الباروث الذي كان اصبب الشعر ، احمر الرجه والذي كان يتكلم الفرنسية بلهجة المانية ظاهرة ويقيم من الولائم والمآ دب السخية ما يدهش الناس لما فيها من بذخ واسراف، فقد راق له ان يلمب دور نصير الادبوالادباء والفنانين . فقد اخذ على عهدته مؤازرة ميربير — كما اخذ تحت جناح حمايته برليوز وهاين ، وسلف بلزاك ما يحتاج اليه من مال بعد ان قدم له مؤلفاته واخذ يجمم الآثار الفنية .

ومع انه دخل في خدمة آل روتشياد صحفيون أمنوا لهم كل اسباب الدعسارة وعضدوا مشاريعهم — من ذلك انهم عرفوا كيف يصطنعون جنتز ويؤمنون موالاته – فالنجاح الذي حققوه لم يؤلف مع ذلك تياراً موالياً للسامية. كان آل روتشاد مضرب الامثال في الفنى والثراء اذ كانوا يقولون : هو في غنى روتشياد ، قول يردده الناس بشيء من الاعجاب الذي يشوبه الحسد أو الغيرة فقد تمرضت عام ١٨٤٠ ، حياتهم المخطر . وفي سنة ١٨٤٨ اضرمت النيران في قصرهم الصغير في غابة فنسين على مقربة من باريس كسا ان سلومون اضطر النجاة بنفسه والهرب من قصره الواقع في فيينا يعد ان هاجمه الثوار . وكان باستطاعة توسيسل وهو من القائلين بمذهب فورييه الفلسفية ان يصرح عام ١٨٤٤ وان يكتب وينشر عام ١٨٤٧ ، رسالة بعنوان : و اليهود هم مساوك العصر ، جاء فيها قوله : و ما من احد يعترف ويقد ر اكثر مني ، بعنوان : و اليهودية وموهبة عالية . فليس من ملك في فرنسا غير اليهود . فاليهودي هو الذي يملك عندنا و يحكم . فاليهودي الانكليزي والهولندي والجنيفي يؤلف اليوم اسباط اسرائيل الاربعة ، اسرائيل الذي يدعي انه شعب الله الختار ، هذا الشعب الضاري ، المفترس على الخطف والربا الفاحش ، والذي ينهش في جسم البشرية نهش النسور للجيف ، . الذي يعيش على الخطف والربا الفاحش ، والذي ينهش في جسم البشرية نهش النسور للجيف ، .

ارستوقراطية المال الحذرة هذه عنه عنه المالا عاق نظرية السان سيمونية الشعور بالحاجة الى توزيع التي راحت تطالب بتوزيع أفضل للثروة بين الناس والحال فالتجارة المسن في الشعورة والصناعة لا تزدهران إلا ضمن تسهيلات خاصة تؤمن لهسسها النجاح في

عمليات الحسم والتسليف.

وقد جاء فريداً في بابه اقدام البلاد الواطية على تأسيس الشركة العامة لتشجيع الصناعة الوطنية بحيث عكن اعتبار هذه الشركة أول مصرف نشأ في القارة لتشجيع الاعمال المالية . فقد اصيبت مشروعات لافيت في فرنسا بالفشل ، فجاءت محاولاته هذه نذيراً بطاوع محاولات بيرابر في عهد الامبراطورية الثانية .

وهذا النهج الجديد في الاعمال المصرفية لقى قبولاً في انكلترا التي اصدرت قانونا خساصا

يتميح انشاء شركات مساهمة القطع ادارتها مشتركة بين رجال الصناعة والتجارة ، مهمتها تسهيل وتيسير الاعمال التجارية الكبرى . وسيمضي وقت طويل قبل ان تتمكن هذه الشركات مسن القضاء على ما اكتنف اعمالها ونشاطاتها الاولى من التشكيك والظنتة .

فالشركات المروفة بـ Commandite او شركات التوصية المساهمة هي في طريقها للظهور، في ظروف اكثر ملاءمة تتيح لها الازدهار، مفسحة الطريق امام الشركات المغفسلة التي تمثل طرازا او طوراً جديداً من اطوار ازدهار رأس المال، وهي شركات توقع طلوعها بعد حين بمض بعيدي النظر في الشؤون المالية .

محارل<mark>ة سيطرة رأ</mark>س المال على الرأي المام . الإتجاء نحو الصحافة الرخيصة

كان المالي الفرنسي نيكر يعلق اهمية كبرى على هذه القوة الجديدة الطالعة الي كان يحلو له ان يسميها والملك الجمهول، الرأي العام . فقد استقر في روع الجميسع ان المطبوعة عمل

اختلاف لبوسها ؟ ولا سيا الصحيفة الدورية هي التي تساعد على خلق هذا الرأي العاموة كوينه . فاذا ما اخضعت الحكومة الصحيفة المتمغة والمكفالة المالية استطاعت ان تؤثر عليها وان تخضمها لحضانة رأس المال وكفالته . ويلاحظ مونتلمبير بكثير من الحذق والبصيرة > وقد كان من كبار الصحفيين في زمانه و ان الدولة تجهل كيف تربح الممارك بدون التضحية بجنودها ولا تمرف ان تؤمن نشر الجرائد في البلاد دون ان تبذل فاوسها » . ولذا كان عدد الدوريات قليلا و محدودا > كا انها كانت تسحب اعداداً محدودة تكلفها غالياً . فالناس كانوا اذ ذاك يذهبون المقاهي لقراءة الجريدة ، ولذا أخذت هذه المقاهي تشترك بالجرائد اجتذاباً منها لزبن جدد . فالرأي المام كان متعطشاً للاطلاع والمرفة .

لا شك قط في ان الطابعة الميكانيكية كانت خير وسيلة وأفضل اداة في يد جون ولتر ، مدير جريسدة التيمس ، اتاحت له عملية تضعيف النسخ بسرعة اكبر . ولما تبين لهذا الرائد ، على ضوء الاختبار ، بان البريد بطيء جداً في حركاته وتنقلاته بحيث لا يفي بالفرض ، فقد خطر له ان ينشى عراسلين . فأنشأ في هذا السبيل ادارة خاصة ادخل عليها البحار نوماس فلتشر وغهورن تحسينات جمة 'عرفت عندهم بالبريد القاري أو و بريد الهند » . وأخذت تظهر اذ ذاك وكالات للاخبار لم تلبث ان اتسعت شبكتها وامتدت في جميع الانحاء ، غايتها جميع الاخبار والانباء . انشئت اولى هذه الوكالات عام ١٨٣٥ بناء على اقتراح تقدم به شارل هافاس الذي ربط بين باريس ولندن وبروكسل ، بشبكة من المواصلات السريعة مستخدما لهما حمام الزاجل ثم الخط الحديدي واخيراً التلفراف البرقي . . وحذا حذوه في هذا المضار رويتر احد مستخدميه وكذلك وولف ، هذا في برلين وذاك في لندن . وفي الوقت ذاته راحوا يكثرون من الاعلان بقصد الدعاوة بحيث احتل قسم الاعلان في جريدة التيمس ، كل يوم ، ٢٠ حقلا أو عودا ، وهكذا اطل علينا الاعلان الصحفي والنبأ التجاري . فهنما يكمن على ما نهى ،

سر الصحيفة الرخيصة . واخذت التيمس تنشر كل يوم مثات الاعلانات التجارية الدقيقية ، وبذلك غطت النفقات الباهظة التي تتكبدها في سبيل جمع الانباء وتأمين الاخبار الجديسدة المشوقة ، ودفع أجور المقالات العلمية والادبية التي كانت تستكتبها بعض الاقلام الشهيرة التي تتابع نشرها . وفي اميركا اخذ بنجمين داي يبيسم جريدته بسعر سنتين المعدد الواحسد ، مثبتا الاعلانات النجارية بين الاخبار المشوقة . وراح غوردون بنيت يصدر جريدة المورنسم هيرالد التي عينت مراسلين لها في الخارج يمدونها بالاخبار ، مشددة على الحوادث المختلفة التي تثير الاهتام .

وبعد ذلك بقليل أطل اميل دوجاردن وتمكن ، بعد محاولات شتى ، من اصدار جريدة ويرمية جعل اشتراكها السنوي ، ٤ فرنكا بدلا من ، ٨ ، وهكذا ظهرت جريدة و المحافة ، كا ظهرت في الحين ذاته جريدة و الجيل ، بساعدة أحد المتمولين يدعى دوقاك ، فامتنسع على دوجاردن التفاهم وبالتالي التعاون معه ، فاذا كان الفضل في رواجها يعود أصلا لملاعلان والدعاوة فقد كان من نشرهما الروايات المسلسلة المشوقة اثره البعيد في الترويج لهما. وبعد النقد الذي قوبل به النهج الجديد من جانب بعض الكتاب ، أحد بعض حملة الاقلام الذين يتمتعون بشهرة واسعة امثال بلزاك وجورج صاند يساهمون في التحرير ، وراح الكسندر دوماس واوجين سو يؤمنان لهم شهرة واسعة ، وازدادت جريدة الامالان انتشاراً بين الناس وذيوعاً بنشرها مسلسة رواية المها شهرة واسعة ، وازدادت جريدة الدستور تنشر على الطريقة ذاتها رواية اليهودي المائه ، وبدلك عولت الجريدة اكثر فاكثر على الاعلان وزادت انتشاراً وأمنت بالتالي ارباحاً كبيرة . ووقسّعت جريدة الديبا والدستور اتفاقاً مع الشركة العامة للاعلان مذه الشركة الثي ألفها بعض ووقسّعت جريدة الديبا والدستور اتفاقاً مع الشركة العامة للاعلان مذه الشركة الثي ألفها بعض ووقسّعت جريدة الديبا والدستور اتفاقاً مع الشركة العامة للاعلان مذه الشركة الثم ألفها بعض أنباء سان سيمون ، امثال دو فريه وبيراير واراس - دو فور .

وراح باذاك يضع على لسان احد شخوص رواياته ، بشيء من الغاو هذا الكلام: وكالجراقد جبانة ، مداجية ، وكاذبة ، لا اخلاق لها ، سفاكة. فهي مقتسسلة الافكار والنظريات والناس وبذلك نجاحها وازدهارها » .

بين تجمار وصناع عصر المسؤولية غير المحددة وفقاً للقوانين المعمول بها. فالمشروعات هي في الفالب بنت المبادرة الشخصية الجريثة ولذا تعرضت لمخاطر كثيرة.

فنظام التاجر الصناعي لا يزال هو المعمول به الآن على الفالب. فالتاجر يبيسع السلع التي تخرج من مصنعه ويتصرف على هواه بما يتوقر له من رؤوس الأموال ، وهو مطلع على متطلبات الاسواق ومستلزماتها ويؤمن بنفسه المواد الأولية ليد عاملة متوفرة ، عرفت بمهارتها اليدويسة تتمتم بما تم له من صنعة ، بتقدير الجيسع واحترامهم . . وقد لوحظ جيداً ان هذا النظام العائلي استمر الآخذ به والنهج على منواله في صناعة الحياكة . فالحائك العامل في منزله أو بيته سيصعد

طويلا في وجه مزاحمة المعمل له بالرغم من البؤس والشح والتقتير الذي يرزح تحت . و دالمشغل المائلي » سيصمد هو الآخر في وجب المصنع حيث العمل اخذ يتجه نحو المركزية . ولعسل خير مثل نفربه على هذا النمط من النشاط الذي يجمل الصناعة مرتبطة بالتجارة تابعة لها ١هو المصنع الليوني (في مدينة ليون) اذ يبدو لنا صاحب المصنع تاجراً أو من كبار التجار احياناً ، يرزع النشاطات في مصنعه ويقنتها بين معلي الكار ورؤساء الورش يجري عليهسم الرزق والمرتبات كلا بحسب درجته من الفن والصنعة والتقنية . والنشاطات التي يضطر التخلي عنها هسذا النظام الصناعي الماثلي هي التي تتمثل في الحياكة والنساجة . إلا أنه يبقى محتفظاً بالنشاطات التكميلية كصنع الملابس التحتانية والقبعات وما أشبه . وسيتُعرف هذا النشاط في المناعة باسم و النظام المرق » .

ومع ذلك فقد برز في المجال التجاري نشاطات جديدة كتجارة الفرادى او المفرق وتجارة الجلة التي جاءت وسيطاً بين الصناعة والتاجر الصغير وهكذا أطلت علينا بيونات تجارية كبيرة تعنى بالاستيراد او بالتصدير . وفئة الوسطاء والمعلاء زادت كثيراً من نشاط الحركة التجارية . كذلك ظهر للوجود والعميل الرحالة ، . فها هو كوبدن يقطع كل يوم ، ٤ كيلومتراً يعمسل في سني حداثته عميلاً في صناعة الموسلين ، وقسات هذا العميل خلاهسا بلزاك في الصورة الستي وضعها ولنعويسار ، إنشهور .

فاذا ما طمعت التجارة بالجلة لتوفير السلع والبضائع لاصحاب الدكاكين والباعدة بالفرق ، فقد أخذ الدكان والاعمال التي تتم فيه يرتدي طابع محل تجاري له شأنه. فقد زالت من الوجود معالم تاجر الفرادى الصغير والدكان المتواضع الحقير أمام ما اصطلعوا على تسميته بالخزن المحبير، هذا الطراز الجديد من المحلات التجارية التي تعمل على إرضاء زبائنها وتلبية رغائبهم وفقاً لامزجتم وأهوائم . فمن الرواد في هذا الجمال نرى في باريس البقال باريسو الذي حدا حذو لابيل جاردينيد وتخصص بعيم ملابس النساء الداخلية ، ثم اعتزل العمل في وقت مبكر بعد أن جمع ثروة لا تقل عن ٣ ملايين. والسمي وراء و الجديد ، والرغبة في حيازته ، ساعد على ظهور مخازن كبيرة ، منها مثلا الحسل التجاري المعروف به (Les Deux Magois) ، وقد طهور مخازن كبيرة ، منها مثلا الحسل التجاري المعروف به (Les Trois Quartiers) ، وقد رأت الجريدة الهزلية شاريفاري في هذا الطراز من الحلات التجارية ، ما أطلقت عليه اسم رأت الجريدة الهزلية شاريفاري في هذا الطراز من الحلات التجارية ، ما أطلقت عليه اسم المتاز ، وباحترامه الوزن الدقيق الى اقصى حد استطاع البقال وزرو أن المسنوعات من الجلس المتاز ، وباحترامه الوزن الدقيق الى اقصى حد استطاع البقال وزرو أن المسنوعات من الجلس المتاز ، وباحترامه الوزن الدقيق الى اقصى حد استطاع البقال وزرو أن المسنوعات من الجنس المتاز ، وباحترامه الوزن الدقيق الى اقصى حد استطاع البقال وزرو أن المشاء مراكز فرعية التمون في الملحقات .

عاد عدد كبير من اصحاب المصانع لابناء طبقة النبلاء . فأبناء هــــذه الطبقة في انكلترا

سمنون على عدد كبير من المؤسسات الصناعية . وعلى هذا قس أيضاً في يروسها ابناء طبقية (Junkertum). وقد لعبت التجارة دوراً كبيراً في تطوير ما يعرف بنظام الفبارك. ففي معظم الحالات نحن أمام عامل يدوي متواضع يستثمر لحسابه الخاص طريقة جديدة استحدثه أو اختراعاً اكتشفه، وتحت تصرفه المال اللازم لاستثماره بإشراف او اشراك أحد اوباب المال . فها هو ستنفنسن يتعاون معه الكويكر بيازالثري <mark>الم</mark>تيم في ارلنفتن؛ وها هو ماسون صانع الريش والاقلام في منشستر بستثمر الاختراءات الق نمت على بد الكنفان في عمليات التفضيض والتذهيب . وصنع وليم كوكريل لحساب سيمونيس وبيوليه في فرفييه ٢٠ لات الحلاجسة والحداكة التي شوهدت لاول مرة على القارة . واضاف احد اولاده المدعو جون الى مصانعه المديدة في سيرانغ حوالي عشرين معملاً وزعها على بلجيكا وقرنسا والمانيا وبولونيا . وارجدين شنيدر ؟ حفيد أحد القواد من تلاميذ الفوج الأول الذي تخرج من مدرسة الفنون العليا (البولتكنيك) كان رقيق الحال لما 'دعى الاستلام ادارة مسابك بازاي الواقعة على مقربة من سدان ، واستطاع مع شقيقه أدولف أن يبعث النشاط في معامل كروزو بعد أن أصببت بالخود . وقد عملا فيها بعد في مصرف سياير الذي كان شريك توصية في شركة شنيدو وشركاه . وتمكن فرنسوا وندل من اعادة النشاط الى معامل ديانج ، وذلك بفضل مؤازرة أحد الطرفين في مملهوز وبتطسق الطريقة الانكليزية في عملية تسويط الحديد . كذلك كانوا مهندسين آل مونى <mark>ود</mark>وريان وتالابو الذين استعانوا بالاموال الموضوعة تحت تصرفهم لاستثبار ثقافتهم <mark>الفنية .</mark>

نحن هنا أمام معين لا ينضب من أرباب الصناعة عرفوا بنشاطهم وجهادهم و كفساحهم في مواجهة مسؤولياتهم الواعية . وهذا المصنع الموجود في محيط ريفي يؤلف مؤسسة مفلقة عسل نفسها . فهي ملك سيدها ورئيسها ، يوجهها كها يوجه عقاراً بديره على هواه ، لا تترك ابويت للسلطات العامة أي باب لتتدخل في اموره الا فيها يتعلق بالمحافظة على النظام والامن الداخلين وضبط العامل ، وذلك بما لها من أسوار عالية هي أشبه ما يكون بسجن يبرز كقلهمة تسيطر علمها الاقطاعة الصناعة .

الاقتصاد : تطموره ومشكلاته حماية الصناعة

بالرغم من التغييرات التي طرأت على النظام السياسي والنهسج المتبع ؟ فقد استمر الانتاج وحركة المبادلات التجارية في نموها الماء؛

فالانتاج تضاعف على الاجمال في هذه الحقبة الواقعة بين ١٨١٥ - ١٨٤٨ . ففي انكلترا وحدها زاد انتاجها من الحديد ثلاثة أضعاف ما كان عليه من قبل ، كما زاد انتاجها من الفحم أربعة اضعاف عما كان عليه عام ١٧٨٩ . وزاد انتاج فرنسا من الفحم والصب والحديد ثلاثة أضعاف ما كان عليه عام ١٨١٥ . ونلاحظ حدوث مثل هذه الزيادة لدى كل من بروسيا وروسيا أما في الولايات المتحدة الاميركية ، فالتطور الذي تم عندها خلال هذه الحقبة هو جدير بكل

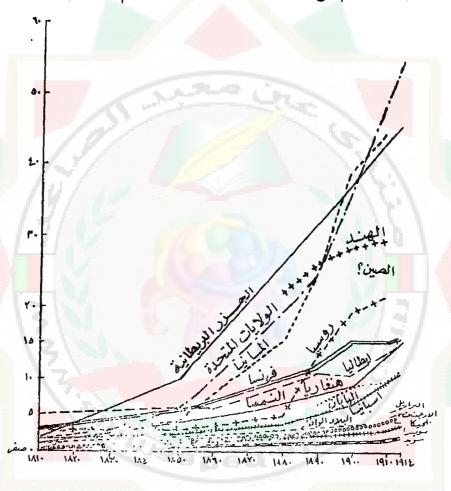
اهتام رثقدير . فقد زاد انتاج الفحم عندها عشرة أضماف ، كما ان انتاجها من الحديد زاد ١٢ ضمفاً . وقطاع النسيج الذي يأتي في طليعة القطاعات الاخرى في تلك البسلاد بنشاطه ، زاد بالنسبة ذاتها .

ومع هذا ؛ فالتقدم يبدو أدنى بما حققه القرن الثامن عشر في هذا المضيار ، ومن التطور الذي تم فيها بمد . فقد تطورت الحركة التجارية في الدول الغربية • ٤٠ ٪ بين ١٧١٧ و ١٧٥٠ بينها تطور مذه الحركة بين ١٨١٥ – ١٨٥٠ لا يتعدى قط ١٥٠ ٪ . والسبب في ذلك همو ان الاستهلاك لم يتطور بسرعة أكبر . فالسوق الريفية ، وهي عنصر هام في الموضوع ، لهما قدرة محدودة على الشراء في وقت لم تكن الطاقة الانتاجية فيه كافية لتلبية الطلب . اما المسهال أو الشفيلة فهم في وضع زري ، على الاجمال . فرب العمل يتشدد كثيراً تجاههم مع أن الوضع المسطر اذ ذاك لم يكن ليخاو من مخاطر تهدده . فالعالم الرأسمالي يعاني أزمات عديدة ليس ريفية فحسب بل أيضاً يشكو انكاش الاسواق المالية .

ومها بلغ من تفاؤل علماء الاقتصاد الاحرار من تلاميذ آدم سميث ، فلا يمكن تجاهل الصعوبات الكامنة . فقد نفى الاقتصادي الاميركي جون ستيوارت مل عام ١٨٤٨ : « الركود الشامل الذي يماني منه الوضع » . وقد سبق لسيسموندي فصرح : « بأن هذا هو الوضع نفسه في كل الازمنة » ، وأن الازمة هي نتيجة محتومة لهذا التطور الذي بلغه الرأسمال الاقتصادي ، هذا النشاط من الاقتصاد الذي شجبته المدرسة التي تطالب بنظام عرف فيها بعد بالنظام الاشتراكي .

ولذا راحت المصالح الكبرى تنجه بأنظارها نحو الدولة. وفي هذا السبيل أصدرت انكلترا بمد عام ١٨١٥ ، قوانين الحبوب تسبيحاً منها حول ما يعرف عنده (١٨١٥ ، قوانين الحبوب تسبيحاً منها حول ما يعرف عنده (١٨١٥ ، القائم بين البورجوازية عافظة منها على رسع الأرض والدخل المقاري . أما في فرنسا فالتحالف القائم بين البورجوازية وبين كبار الملاكين حل الحكومة على اتخاذ سياسة حماية شديدة . وفي الولايات المتحدة الامير كية ، لا يتطور النظام المعروف (Factory System) الا في ظل تعريفات حماية قفر هن رسوماً عالية . وعلماء الاقتصاد في بروسيا الذين وضعوا الاتحاد الجركي المعروف Zollverein ، انما رميوا من وراء تشكيله الى ايجاد سوق وطنية تشبها برجال عام ١٩٨٩ . ونما له من مغزى خاص الموقف وراء تشكيله الى ايجاد سوق وطنية تشبها برجال عام ١٩٨٩ . ونما له من مغزى خاص الموقف الذي وقفه ليست الذي راح يضع عام ١٩٨٧ ، بعد أن تبين نظام الحاية القامة نظام اقتصادي المنون : و محاولة اقامة نظام اقتصادي سياسي جديد ، تدليلا على حسناته لمجموعة من الولايات تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها . ان مئل هذا النظام الاقتصادي الوطني هو سليل هذه الروح التجارية التي جاشت بها نفوس المساوك والامراء ، هذه الروح التي جرى التعبير عنها عام ١٨٤١ ، خير تعبير ، في الكتاب الموسوم : والنظام الاقتصادي الوطني و وقد راق الكتاب في عيني الامبراطور نقولا الاول فأمر بنقله مع الكتاب السالف الذكر الى الروسة .

هذه السياسة الفطرية أو الانانية القائمة على الحاية الجركية التجارة الحرة وتطورها السياس كانت تسيء في الصميم الى الرأسالية الفتيسة التي تنبض بالتفاؤل . ولما كان تلاميذ آدم سمث منطقيين مع انفسهم توجب عليهم التسليم بقاندون توزع العمل مجيث يشمل العالم اجمع. أن معاهدة أيدن درينفال المعقودة عام ١٧٨٦، تركت وراءها



الشكل ٢ ـ عدد المدن التي يتحارز عدد سكانها المائة الع (رفقاً لاحصاء بيرر العام المنقح)

في فرنسا ذكريات مربرة . فقد رأى فيها كل الذين قالوا بأن القلق الذي يشمر به العالم لا يمكن النفلب عليه لعيدم تمتع المتجارة بسياسة حرة واسعة ،درساً مفيداً وعبرة لمن يمتبر . فقد اخذت انكلترا الخطوة الاولى في هذا المجال ، انكلترا التي كانت اول من عانى من نتائسج سياسة الحاية المجركية . فاصحاب المصانع من التجار في تلك الجزيرة ، ايقنوا صادقين بانهم يجسرون

البلاد الى سياسة تؤدي الى رفع اسمار الخبز والى الاضطرابات الاجتهاعية فيها. فقد وقعوا الى جانب انصار بيل وهسكسن اللذين عملا على التخفيف من تأثير قانون الملاحة واجازا للاجانب الاتجار مع المستعمرات على شرط المعاملة بالمثل ، وحولا حظسسر الحبوب الى مرقاة متحركة الدرجات تشبها منها بالقانون الفرنسي. واخذ كوبدن وسكان منشستر بشن حملة شديدة ادت بالبلاد الى انتهاج سياسة تؤمن حرية التجارة والتخفيف من الرسوم الجركية ، وهو تصرف لم يلبث ان انتقلت عدواه الى بلدان اخرى ونهجوا نهجه في الخارج .

هذا لا يمني قط انحرية التجارة ربحت القضية وكتب لها النصر ومثل هذا الأمر لن يتحقق ابداً بصورة كاملة . وعندما نشر بستيا ، عام ١٨٥٠ كتابه المعنون : و المؤتلفات الاقتصادية ، الذي نادى فيه بسياسة حرية التجارة المطلقة ، راح المالم الاقتصادي الامير كي كاري يصدر ، هو الآخر كتابه الموسوم: وانسجام المصالح ويطالب على طريقة لِست بتضامن القوى الانتاجية القائمة في بلد واحد . فدنيا الاعمال تتحرك دوماً بين طريقتين او مذهبين تضمن لها احداهما الطمأنينة المؤقتة بينها تفتح الاخرى المامها منافذ جديدة وانطلاقات اوسع .

فني نظام اقتصادي من هذا النوع ، المدينة هي التي لها الكلمة القطع مدن الامس رمدن النه والرأي الاول . من الطبيعي ان تطورها السريع مربوط الى حسد بعيد بالسياسة الاقتصادية التي تنتجها البلاد . فالتطور الذي عرفته الوظيفة التجارية والمركزية الصناعية الى حد ما ، عاد على المدينة بفوائد جزيلة عادت عليها بالخير دون ان نسقط مسن حسابنا التقدم الذي لا يمكن تجاهله والذي اصاب المسالح العامة وتناول المهسن الحرة . الا ان حركة التكييف فيها جاءت على غير ما يرام . فقد بقي مظهرها الخارجي على ما عهدناه من قبل والملامح الجديدة التي اقتبستها تمت لها بسرعة وبشكل تعوزه اللياقة والبراعة .

ايانا ، مع ذلك ، والظن بسيطرة المدينة . فالنمو الذي حققته المدينة في انكلترا حري بكل تقدير واهتام . هنالك في انكلترا ، بقطع النظر عن المدن السبع – باستثناء لندن – الق تجاوز عدد السكان في كل منها ، ١٠٠٠ نسمة ، ١٨ مدينة أخرى بدلاً من سبع ، تجاوز عدد السكان في كل واحدة منها ، ١٠٠٠ نسمة قفز عدد سكانها من ، ١٨٠٠ الل ، ٢٢٢٣٠٠٠ نسمة . وغلاسكو من ، ٢٢٠٠٠ الل ، ٢٢٢٠٠٠ نسمة . وغلاسكو من مدينة نيويورك من ، ١٨٠٠٠ الل ، ١٠٠٠ الله القورد من ، ١٨٠٠٠ الله ، ١٠٠٠ الله الولايات المتحدة فقد قفز عدد سكان مدينة نيويورك من ، ١٨٠٠٠ الله ، ١٠٠٠ الله ويوسطن وبلطيمور لا يزيد المتحدد سكان الواحدة منها على ، ١٠٠٠ نسمة . أما البر الاوروبي ، فالنمو المدني ليس فيه ما عدد سكان الواحدة منها على ، ١٠٠٠ نسمة . أما البر الاوروبي ، فالنمو المدني ليس فيه ما يصدم الحواس اذ أن هذا النمو اقتصر على المواصم دون سواها بينها لا تتطور روما وبعض المراكز الصناعية سوى القليل . فباريس التي تضاعف عدد سكانها اذ انه قفز من ، ١٨٠٥٥ الى

• ١٠٠٥٣٠٠٠ ، تأتي بميداً في الطليعة . فالمدينة التي يتراوح عدد سكانها اجمالاً بين عشرة ٢ لاف وثلاثين الغا تتوفر لها النسبة التي تلائم مثل هذا الجمتم البشري كما تتفق ووسائل الانتقال والتنقل الرئيسية التي تنعم بها وهي السير على الاقدام .

أما من حيث النشاط التجاري والصناعي فلم يأت بأي إثر ملحوظ التطور. فالحياة في المدينة هي استمرار في وتيرة واحدة واطار واحد يتسم بالجود الملازم لطابعه القديم. وعلى هذا تبدت المدن الاسبانيه لتيوفيل غوتيه ساحرة فاتنه لا تتحرك. فدينة بورغوس الفخورة حيث الصعاوك يتدثر بعباءته برقار بحيث تخاله امبراطوراً متجلبها بالارجوان، ومدينة فالادوليه والتي بامكانها أن تستوعب ٢٠٠٠٠٠٠ نسمة ، لا تعد غير ٢٠٠٠٠٠ نسمة ، فتبدو نظيفة ، هادئية ، جيلة تبشرنا طوالعها بقرب الشرق. ومدريد نفسها ببيوتها المبنية من روافد الخشب والقرميد أو من قوالب الشيد ، ومدينة طليطة حيث المنازل لها مظاهر الدير والسجن والحصن وأحيانا الحريم ، بعد أن تعرف أن الاسلام مر من هنا ، وغرناطة التي تبدو موزعة بين الطراز العربي والطراز الغربي والطراز الغربي من المدينة و قباب الكنائس تواكب مآذن الجوامع ، ، بينها تبدو قرطبة اكثر طابعاً افريقياً من أي بلد آخر في الاندلس كلها ، ففي هذه الرحلة يقوم بها غوتيه عام ١٨٤٠ الى الاندلس لا ذرى فيها شيئا ينبىء من قريب أو بعيد بطهابع القرن التاسع عشر البورجوازي والعالى .

فالمدينة القديمة تحشر نفسها داخل اسوار نصف متهدمة تتراكم فيها الحوانيت والدكاكين كما تتراكب منازل السكن فيها بعضاً فوق بعض . فهي تستوعب من السكان اقصى مسا تستطيع استيمابه ، ولم يوضع لها أية خطة أو تخطيط ينظم امتدادها وتوسعها في المستقبل . والحسد الفاصل بين المدينة والريف يرفرف فوق قرية أودسكرة برزت من الارض استجابة لمقتضيات النقل . فمدن برمنغهام ومنشستر وليفربول تثير الدهش في نفس المسافر بعد أن يرى كيف أن نواتها القديمة توارت بين ما نشأ فيها من أرباض وضواح واسعة لم تلبث أن غلبت عليها الجدة بما تم لها من اتساع وبما توفر فيها من خدمات تؤمنها مؤسسات مدنية ، كا يشهد ميشليه على ذلك : فالطريق بين روشدايل وليفربول أصبحت كناية عن شارع طويل تقوم على جسوانيه بيوت فالطريق بين روشدايل وليفربول أصبحت كناية عن شارع طويل تقوم على جسوانيه بيوت ومساكن تتعادل ارتفاعاً وعرضاً ولوناً . وهذا التاثل أو التشاكل لا يلبث أن يبعث في النفس السام والملل . و بينما مدينة ليدس ، اكبر مدن النسيج في انكلترا تفترش بشكل مسدرج المرتفعات المطلة على النهر كأنها تزهد في السهل لا تنزل اليه الا لماما وتنبد وكأنها قفير نحل وقد ارتفعت مداخنها الضخمة في الجو أشبه ما تكون بمسلات فرعونية تنفث دخانها الاسود فينعقد المناع فاعاً يغطى كاتدرائيتها » .

فانكلترا هي البلد الوحيد في اوروبا تقريباً حيث نرى المساكن في لندن وفي بعض المدر الصناعية مبنية بالقرميد ومن طراز اا Cottage ، ينبئك منظرها الخارجــــي عن طلوع المصر الصناعي في البلاد. والمعامل لا تقوم في الريف بل بالقرب من الاحياء القديمة على الفالب وأحياناً في البلاد. والمعامل لا تقوم في احيانهم المساحات تتسع لبناء المصنع أو المشغل كما انه من مصلحة الدكاكين والمحازن أن تقوم في حركة المرور. ومن بعض نتائج هذا الوضع أن البورجوازية وأبناء طبقة الشعب يبقون على مقربة بعضهم من البعض. فلا يبتعدون كثيراً عن أماكن عملهم ، مع العسلم أن هذا التمركز يجد فقراء الحال بينهم على السكنى في مآو واكواخ يكاد لا ينفذ الى داخلها الحواء ولا النور. ومع ذلك فن النادر جداً ن تخلو مدينة ما من احياء جمية فخمة المباني يبدو على ساكنيها اللزاء ، درجوا على اعدادها وتهيئتها منذ أواخر الاجيال الوسطى أو بفضل هبات أو وقوفات تعود الى القرن الثامن عشر ؛ إذ أن جانباً من البورجوازية الثرية والارستوقر اطبة تسكن يتألف من مجوعها أحياء وحارات رتيبة ، تكشف بمظهرها هذه الفوض والضوضاء المغيمة على يتألف من مجوعها أحياء وحارات رتيبة ، تكشف بمظهرها هذه الفوض والضوضاء المغيمة على كبيرة تتوفر فيها أسباب الراحة والرفاه . ومع ذلك هنالك نزعة تبدو في انكلترا أشد منها في أي بلد آخر على القارة ، الى اقامة مبان سكنية للاستثار ، لم قلبت أن تصبح الطابع الذي يمز المدن الحديثة .

فقد جمت لندنبين حي المدينة ، عور رجال الما<mark>ل والاعمال ،</mark> وبين حي وستمنستر بحي تجمادي يع<mark>ج با</mark>لنشاط ووسعت مرفأها وأرصفتها الى ما وراء جسر البرج وغطت السهل المترامي أمامها بانوف المتازل المتاثلة شكلاكها شغلت مساحات واسعة من الريف .

أما باريس فبالرغم من أن المزارعين أقاموا حولها نطاقاً من المزارع والبساتين قبل أرت توقع في ضواحيها التحصينات المسكوية التي أمر الرئيس تبير باقامتها فلا تزال مدينة سحر وفتنة ، مقصد كل من لم برها واليها تتجه الانظار ، تحمل الخير والشر (وفقاً للاقدار والحظوظ) الى ساكنيها ، وتخلف الاسف والغضة في قلب من يفادرها بعد ان سكنها ردحاً من الدهر . فالسكان يزدادون كثافة في القلب و والماريه » وفي ضاحية سانت انطوان فاذا ما راح ذوو اليسر والنروة من أينائها يطلبون الهواء الطلق باتجاه الغرب ، راح الشغيلة من سكانها يحتشدون قريباً من مكان علم ، وهكذا راح فريدريك سوليه يصف لنا و كيف ان سكان المدينة يندفعون بكليتهم ايام الآحاد وفي عطلاتهم الى الخارج مجمثاً عن الهواء النقي ، مخترقين الابواب والمنافذه .

الا ان معظم المدن لا تزال تبدي طابعها الريفي لما عليه من صغر الحجم. فقد كتبت جريدة يرمنغهام عام ١٨٢١ تصف لنا كيف ان الناس في الريف يقفون مشدوهين أمام منظر الواجهات وهم متراصون بخشون ان يقعوا تحت عربات الجر وعربات النقل التي تتخطى الارصفة غالباً نظراً لما كانت عليه الشوارع من ضبق ، بينما الجزارون وتجار الحنيل يساومون في جدل لا ينتهسي ، الفلاحين والمزارعين بشأن قطعان الماشية التي تغص بها الازقة . وتعتل الجانب الاكبر من جادة

الطريق ، مع ما عليها من أسراب الدجاج، وقطعان الخنازير غادية رائحة بحرية ، كامـــة بينما يتدافع صبيان الازقة ويتراشقون بالبيض الفاسد وكتل الوحل والزبـل ، هذا يكدش رغيفه محسكا به بين يديه بينا الكلاب في نباح لا ينقطع حبله والمستعطون يملاون الشوارع . وما أن ينهمر المطر مدراراً حتى تستحيل الأزقة والشوارع بركا من الوحل والمفاصات. فالوحل يغطي برمنغهام كما يفطي غرينوبل ، هذه المدينة والنتنة ، كما ينعتها ستندال ومثل هذا الوضع يجمل برودون يتملل قائلا : و ترى جيدا أنه يكفيني ما تعارب به طوال حياتي من أوحال ليون ا يا لها من مدينة قذرة اعسى ألا يتحول عدم الاكتراث بهندامي، هذه التهمة التي يلصقونها بي، الى اتهامي بالاوساخ . فكيف النجاة من هذه الحالة ، ومن هذه الاقذار التي لا حصر لها ؟ ليس في المدينة من دورات مائية جارية : فالمغذارة والمرض يسيران دوماً جنباً الى جنب ، عارير

وعندما تكون المدينة صغيرة ، تشعر و كأن الريف يسحقها سحقا . فما هي سيدان ، هذه المدينة القديمة المحصنة التي ماتكاد تعطى فيها اشارة اطفاء النور حتى تقفل منها الابواب هي عبارة عن شبكة من الازقة الضيقة المعتمة حيث تكثر الحفر والاخاديد المليئة بالمياه الآسنة تفح منها الرواقح الكريهة ، سكانها عمال وشغيلة يعملون في صناعة النسيج ، يرو حون عن نفوسهم في هذه الاحياء والحارات المحيطة بالبلدة او يعتنون بحداثهم وبساتينهم . لنضرب مثلا على ذلك بلدة سان ديزييه التي كان لها من السكان ، عام ١٨٤٦ نحومن ٢٠٠٠ نسمة ، ١٨٣٪ منهم يعملون في زراعة الكرمة ، و ١٩٪ عمال مياومون ، و ٧٪ بعملون في الحدادة . فالكر المدون يقطنون أكواخا في ضاحية جيني ، ثم يليهم باتجاه الوادي البحارة والمعتاشون من البحر . كما يسكن في ضاحية بيني ، ثم يليهم باتجاه الوادي البحارة والمعتاشون على مربعات سكنية والباعة الجوالة، ويقوم مقابلهم بناة السفن والشخاتير بينا يتوزع الحدادون على مربعات سكنية لا يزيد عدد سكان المربع الواحد ، على مائة نسمة . أما ابناء البورجوازية ، فقد سيطروا على الشوارع القائمة في وسط المدينة ، بينهم بعض اصحاب الدكاكين ، وبعض المحامين والملاكين . والملاكين والملاكين . وبعض المحامين والملاكين .

ومدن العالم الجديد لا ماضي لها ولا تقاليد اليس فيهاما يلفت النظر سوى اتساعها ورحبها ، و فشوارع مدن الاتحاد ، كبيرة كانت أو صغيرة ، تبدو مستقيمة الزوايا وعريضة . ولشوارع فيلادلفيا عرض كبير يستلفت الانتباه ، تنتصب الاشجار من كلا جانبيها ، كما يروي خبر ذلك عاملان فرنسيان . و هنالك منازل عديدة ، مفطاة واجهاتها بالمرمر الابيض ، والحركة في هذه المدن ناشطة قوية . ترى في نيويورك الى جانب العربات التي تجرها الجياد ، حافلات تسير على خطوط حديدية ، تتسم الواحدة لأكثر من ١٠٠ راكب بكل ارتياح . صحيح ان عدداً كبيراً من هذه المدن يبدو حقير المنظر . ففي شوارع بوسطن وازقتها كانت قطعان الخنازير الى وقت

قريب تسرح فيها وتمرح وتتكفل بالقضاء على النفايات والاوساخ المتراكمة في مدن الغرب التي تهدو وكأنها ورش لا حدود لها ولا سدود . الا ان هذه المدن كالفطر ، تنمو بسرعسة كلية ، وتبشر بضخامتها الهندسية بقرب طلوع هندسة المدن الحديثة .

البورجوالي في عهد الملك فريس فيليب

فالبورجوازية ماضية في تصعيدها . فهسي التي تفرض الذوق وتعطي القياس في كل بلدان الغرب . وبما هو حري بالملاحظة ان الشمب فرض ذوقه في كل ما يتعلق بالهندام واللباس. فالسروال

هو الذي يتحكم بالذوق والجمة في طريقها إلى الزوال. فالبورجوازي يتميز عن السوقة بالريدنغوت وزيه وقبعته بينا يرتدي الاخير سترة وهذا البورجوازي ينتمل السكربينة أو البابوج الخفيف او حذاء ناهما ويضع حول عنقه عقدة كبيرة . واما سيدة المجتمع الراقي ، فهي تتفنن في تأمين الانسجام والتناغي في كل ما يتصل بملابسها وزينتها مجاراة منها للذوق الرومنطيقي . فهي تحلم دوماً بالنسائين المطفطفة الاكمام والاردان وتكثر من استخدام الدانليلا والشرائط ولا تستغني عن أكمام الفرو ، كما انها تتفنن في عقص شعرها وتقصيم وتحليته . فالهندام الخسارجي هدو الذي يدل على هوية صاحبه : و أخواجا ، هو أم وعقيلة ، ام و كرية ، من ابناء العصر ?

قالمال وحده العنصر الذي يحدد مركز الفرد ومكانه في هذه البورجوازية وداخلها . فالمال وحده يوليه المركز الاجتاعي والاحترام اللائق . في قمة السلم الاجتاعي نرى أرباب البذخ من اصحاب المصارف كما يحتل الدركة السفلى منه البقال او العطار و الحشو الذي لا بد منه ولا غنى عنه للحياة الاجتاعية ، كما يسميه بلزاك. ويتوزع بين مختلف درجات السلم كل من تعاطى التجارة أو حاز عقاراً له طابع صناعي . وهكذا ترى القوم في بلدتي بارمن وابرفيلد ، كما يؤكد المجلس وغارقين بين الارقام والاعداد في عمليات حسابية لا تنتهي بحماس وتكالمبلا نظير لها . المجلس هادرق ، ويبحثون في المور وفي ساعات ممينة ، في المساء بخرجون لقضاء السهرة فيلتهون بلعب الورق ، ويبحثون في المور السياسة المالوضة ويدخنون ليمودوا الى منازلهم عند الساعة الناسعة ليلا ».

 فالعيش على النهج البورجوازي ، يقتفي له منزلاً تترفر فيه كل التسهيلات ووسائل تأمين التمليم والتربية للاولاد ، وتأمين بائنة البنات ، هذا فيا يختص بالرجال . اما عند المرأة ربسة المنزل ، فأن تزور وان تزار . هنالك درجات متفاوتة في الوضع الاجتاعي . ففي مدينة نانت مثلاً كانوا يقسمون المجتمع عام ١٨٣٥ الى ٨ طبقات او درجات في السلم البورجوازي وفقاً لنهج الحياة ، اعلاها مرتبة من يبلغ ربعه السنوى ١٠٠٠ فرنك ، يستطيع معه ان يدفع ١٠٠٠ والحياة ، اعلاها مرتبة من يبلغ ربعه السنوى وعنده عربة وحوذي واسطبل . اما من تواوح ربعسه السنوي بين ١٨٠٠ سن ١٨٠٠ فهو من صفار البورجوازيين . باستطاعة البعض اس يرتادوا المدن المائية ويختلفوا الى المسابع التي اخذت تظهر هنا وهنالك ، كما ان البعض الآخر يقنع بارتباد المتنز مات القائمة على مقربة منهم . والكل يتوق لارتباد دور النمثيل ودور اللهو . ان معظم اصحاب معامل النسيج و كبار التجار في مدينة ليل من آل سكريف وآل ماتون مثلا ، لهم صروحهم وداراتهم الباذخة . وبعد انسحابهم من حياة العمل نرى اشخاصاً امثال حكولمبيه سمور واغاش دسمد يحون حياة بذخ اصحاب القصور .

وبفضل الدور الذي مثله تبير في مجسالات الصحافة والادب والسياسة ، ارتقى حتى اصبح وزيراً للملك لويس فيليب ، وهي وظيفة كانت تدر عليه مرتباً يتراوج بين ١٠٠ الف و ١٣٠ الف فرنك في السمة . وقد در عليه كتابه و تاريخ الثورة ، مبلغ ٥٠ الف قرنك و دخل عضوا في مجلس ادارة جريدة و الدستور ، وبذلك عاد اليه قسم من الارباح . وعندما تزوج عام١٨٣٣ أنفق على فرش دارته عشرة آلاف فرنك . وكان ممه نقداً ٢٠ ألف فرنك وملك قصراً في شارع سان جورج باعه فيا يمد بمائة الف فرنك كما ملك منزلاً في مدينة اكس . وقد كلف جهاز عروسه عشرين الف فرنك وجلبت ممها باثنة تقدر بثلاثمائة الف فرنك قدر في السنة ربماً صافياً قيمته ١٥ الف فرنك و وتراه يشتري الخيل والعربات ومجمع التحف والكتب النادرة ويسافر محوطاً بمظاهر الاية ويتماطى المضاربة بالمقارات .

وهذا النموذج الممثل بجوزف برودوم وجيروم بانورو وقيصر بيرونو الذي كان يمثل الاناقة ويتحدث عن الشرف وينادي بالانسانية المثالية والذي كان يزعم انه يخشى الشعب ويتبح بانه يتكلم باسم الشعب وهو نفسه سبب نفرة وامتماضا لمؤلاء الذين يتهمونه في ذوقه الغني والتبجح بنزاهة الشمير والوجدان ويهزؤون من رضاه عن نفسه وهذا النموذج المثالي بيدو على أقه في هذه الصورة التي وضعها الرسام انفر لبرتن الاب مؤسس جريدة الديبا. فصوره لنا غارقاً في كرسيه الكبير ويداه مسبلتان على ركبتيه اشاغاً بأنظاره الممتداً بنفسه وستبرز لنا صورته من جديد بعدعام ١٨٤٨ ينصب ويجهد ويشيد قريتاغ بذكراه في كتابه المروف Droit et avoir .

في فجر هذا العصر الصناعي الذي تنجه اليه البورجوازية بخطى حثيثة ، تطلع علينا الرومنطيقية ، لتحرر قوى الاستقلال بعد ان عقلها النقد الاجتاعي وكبتها عندما استبطر شأنه .

وهضل ولخامس

الحركة الرومنطيقية وعودة الشرعية الى أوروب

أي متى ظهرت ؟ يا ترى ؟ الحركة الرومنطيقية السبي تجلت بوضوح وبرزت على أثمها في مستهل القرن التاسع عشر ؟ هل منذ عام ١٧٧٧ ؟ بعد ان شن كلنجر ؟ في هذه السنة بالذات > هجومه على المذهب المقلي ؟

الروح الرومنطيقية بين جيل وآخو

في مأساته الموسومة : « Sturm und Drang » (عاصفة وصراع) التي ينم عنوانها عن زخم التيار واندفاعه الشديد ، او منذ عام ١٧٧٣ ، تاريخ وصول وغلوك الماباريس ? فقد مخلى علوك عن النهج الايطالي وسار على طريق « رامو » راميا من وراء ذلك الى اخضاع الموسيقى المشعر وادخال الطبيعة في المأساة الموسيقية. وقد مهد رامو في مسرحيته Les Indes Galantes لطاوع برليوز كما أنه جاء بالدليل على أن مؤلفات موزارت تتنزى بالزي الجديد الذي وسنح و توطد في النفوس .

فقي الحقبة التي تلت العاصفة الثورية والنابوليونية مباشرة ، برز للعيان من جهة ، الشمور بالغلق ، ومن جهة أخرى التمرد على الحياة الرتبية التي تشويها الروح البورجوازية ، ولذا بدا هذا الشعور متشاغاً على شيء من مظاهر التدين ، ومن الحنين الى الوطن المألوف ، فقد اخذ من الشعوبية النزعة نحو النظام الاجتاعي ، وقد تُقتِنت الشبيبة البورجوازية يهذه النزعة الجديدة واقبلت عليها بشغف ، فجاءت الاستجابة عندها وفقاً لمشاغلها الخاصة ، وبذلك اصبحت الروح ذات نزعة متحررة ووطنية الاتجاه ، تتجه تحت تأثير الماطفة ، شيئاً فشيئاً ، نحو مثالية من الاخوة الديموقراطية جاءت بلسماً خففت نرعاً ما من أوصاب البروليتارية وآلامها . وهكذا لن تلبث المثالية ان التقت بالتفاؤلية التي ميزت العصر الماضي . فهي في نظر ستندال الذي عايشها: و هامل لا يبصر ولا يسمم في خدمة مستقبل غامض ، .

بين الاتباعية والابداعيــة : وضع غوتيه وبيتهوفن من بمده

وصف دليكاوز في يومياته: الابداعية (الرومنطيقية) و بالخواء، مع العلم ان هذه الحركة انطلقت تحت مظـاهر الاتباعية او الكلاسيكية وتطورت تحت جناحيها . والفنانان دافيد وأنغر

ليسا بمنفردين. فالجماهير التي وقفت مشدوهة امام تمثال و تأليه هوميروس» والتي قابلت بتصفيق حاد طالماً كتفظ بمثل هذه الحماسة لراشيل. الا ان الفكرة التي ارتسمت في الاذهان عن التاريخ القديم برزت اقل مطابقة الصورة المألوفة او الصورة التقليدية . وقسد اطلت علينا رؤى عن المضارتين الاغريقية والرومانية ، ألصتى بالتاريخ واعلى بالواقع التاريخي واخذت قبدو شيئاً فشيئاً الصورة الادبية التي علقت في الخواطر عن بشرية خالدة . ومما له دلالة خاصة بهذه الحركة هو اكتشاف شكسبير بعد جهل العالم له ، فأنزله فولتير منه منزلة خساصة ، واشاد به لسنغ على معالجتها عالياً وترجه شليفل وتيك وادخله كارامزين الى روسيا فأدخل الفبطة على روح بوشكين، وقصة فوست التي دخلت المسرح على يد مارلو احد معاصري شكسبير ، حملت لسنغ على معالجتها وتدبرها قبل ان اصبحت موضوع اهتام غوتيه .

فالتحولات التي خصم لها فوست الها تدل على تطور الفكرة عند غوتيه . فصورة فوست البدائية رمزت اليها صورة بروموتية المتحمس في رواية Yurn - Drang البدائية رمزت اليها صورة بروموتية المتحمس في رواية بفوست المناضل الذي يهوي الى الارض . تعبداته المديدة الحلولية الطابع والصيغة مروراً بفوست المناضل الذي يهوي الى الارض . ففي هذه القصة رمز البحث عن الحقيقة ، عن طريق الثورة اولاً ، ثم عن طريق التكامسل المتناغي القوى المقلية المنسجمة . فبدع فوست وخالقه هو هذا الاديب الاولمي الحلاق الذي يبيمن من عل على الظروف والصروف ويتحكم بها بحيث تتم له المطابقة ويحصل التنسيب بين افكاره وبين الوظائف التي شغلها في بلاط ويمار ، وهذا التجريد الموسوعي المقلاني الذي يسمى وراء البحث العلي محولا على اجنحة التفاؤل البشري . فهو يطري الى ابعد حد هذه الحرية التي يود ابطاله بأرواحهم دونها ، هؤلاء الابطال المتمثلون به : غوتز واغونت وفوست ، ويؤمن ايمانا عيقاً برسالة الشاعر . وسيبقى في نهاية الامر الشاعر الكلاسيكي الامثل في الادب الالماني ، عالم من انشاه جزل ولغة سامية .

بتمتع بتهوفن بشخصية لا ترام ، كما يقول فيه غوتيه نفسه . فقسد توفرت له خصائص وسمات مفردة : عنفوان شباب لم يلبث ان استحال نزعة قوية تدفعه نحو العظمة الوقور ، ومفهوم اكمل للاثر الفني بوصفه منجاة من عاطفة الحب المشبوبة ، والسعي الرسين بحثاً عن الوحدة وراء التناقض ، بين القوى الخيرة ، وقوى الشر ، هذا التناقض الارستوقراطي الطابع هنا ، والشعبي الجماهيري، هناك ، الذي يذكرنا بأبحاث جان جاك روسو في انعزاليته الاجتاعية في ما جمع بينها ووحد من قالب كلاسيكي ، والكلاسيكية الموسيقية الحقة التي عمر بها الجو الذي استشقه باخ وهندل. فالمعجزة البيتهوفنية تقوم في ان سيد بون نفخ روحاً جديدة في الانفام دون

ن يبدل بشيء في الفنون . فبعد ان وسع من الاركسة وباعتاده على الميعزف كوسيسلة اولى في الانشاء والتنفي ، وعن طريق ادخساله الحزن أو الشجى في التعبير الشخصي ، فتح الباب على مصراعيه امام المدرسة الابداعية الرومنطيقية . فالكمال الفني الذي بلغه موزارت قد يُدخسل الياس على نفوس الشباب . اما السمو الفني الذي حققه بيتهوفن ، فيبعث النشاط والتجدد بعد ان حرر الفن من ربقة التقاليد .

يحاو لهذا الرومنطيقي أن يلفت اليه الانظار بطريقة أو بأخرى من الرومنطيقي وحلمه الدفين طرائقه الغربية كالمظهر الخارجي والذوق ، والمزاج ، والطبيع . فهندامه او زیه « مدروس الی اقصی حد ، كما يقول فيه تيوفيل غوتيه . فقد سبق اليون غوزلان ووضع لنا عنه صورة هذه بعض قسماتها المهزة: بزة رسمة عسوداء اللون مزررة ما اتصل بالبطن حتى الشريان السباتي ، وياقة فضفاضة مسترخية ، إلى سحنة متقعة اللون، مستديرة، عليها شيء من اللامبالاة ، لون وجهه ينم عن القلق المنبيء بموت قريب ، اذ عليه ان يحيي حيساة ملؤها العنف والنضال او يزول من الوجود . وبالف<mark>مل فالل</mark>ورد بيرون ٬ هذا اللورد الذي صد<mark>مه</mark> الواقع فجاء مزيجاً من المرارة والقحة عبر عن الطريقة النرسيسة التي لا تتوقع شمًّا من البشر ، وذلك قبل أن يجود بنفسه بكبر في مدينة مسولونغي ؛ وساندور بتوفي يُنتل في ساعة الوغي ، في ممركة سجسفار، عام ١٨٤٩ ، وحوادث البراز تخترم بشكل مبكر حياة بوشكين وله من الفكر الر<mark>باضي، يوت وهو ان ٢١ سنة. وها هو كليست يقتل عشبقته ثم يحطم رأسيم امام</mark> جِيَّانها } وجِيرار دي نرفال يشنق نفسه في احد الازقة } والمثل نور"ي يقذف بنفسه من النافذة خلاصاً من الحماة . وإذا اتفق وقام، انتهت حياته بالجنون، أو الادمان على الكعول، أمثال لينو وشومان وبو ، فهناك غيرهم امثال توفاليس وشيلي وكيتس وليوباردي وشوبرت وشوبان وديلاكروا وابيل تتخاطفهم حوادث المرض والعوز والبؤس والي<mark>أس . كم هو كبير عـــد. هؤلاء</mark> الامراء في هذا المصر الذين يبدون كريشة في مهب الربح ؛ على شاكلة شارل البير ، وفريدريك غليوم الرابع؛ ولويس الاول ملك بافاريا ؛ بينا لويس نابليون المسساب « بالنَّومشة» يعيش في احلامه ويؤمن بطالع نجمه ."

ولما كان الفرد هو قسطاس نفسه وله نمطه الخاص في العيش ٬ راحت روح الثورة تدفعه الموقوف في وجه الاعراف والتقاليد المعمول بهما فزقاقية اللغة وريشة ديلاكروا الثعلة ٬ وموسيقى برليوز و الرهيبة ٬ المفزعة ٬ البركانية الار ٬ ٬ كلها ذرائع ووسائل لاستشاطه البورجوازي وإثارته . فبيرون يستشيط غيظاً ضد التصنع والتزمت المفهالي ٬ ورياء اللغة ٬ ودجل التعبير ٬ وبوشكين لا يتورع عن ابراز معايبه ونقائصه ٬ واوروز دوبين ٬ بارونه ودبنان تحتسي الا Punch وتدخن السيكار ٬ وتظهر تارة بلباس الفندور المتأنق الانيسة ٬ ودويفان تحتسي الـ المتأنق الانيسة ٬

من يستطيع على شاكلة برليوز، أن يسمر الهلم بواسطة موسيقـــاه الرهبية ، في نفوس مستمميه ، ومن يستطيـــم على شاكلة جريكو ، ان يجمع جثث الموتى في مرسمه ، ليؤلف لنا هذه القطعة الموسيقية المعروفة بـ « طوف المدوزة » › هؤلاء بالذات يذهبون فريسة التأمـــل والتفكير . هذا ما يمتدحه نوفاليس مجواء النفس وهذا هو المهلس عند هوفمان وتيك ، وهذه هي رائحة الضباب الذي يغشي المقابر ، مطلب غسبار _ دافيد _ فريدريك ، ومنظر المستنقم الآسن ومنجم الفحم الذي يجتذب اليه أنيت دي دروست ــ هولشف ؟ هذا هــو لويس سولر الذي يج<mark>د لذته ومت</mark>عته المفضلة « واقفاً امام قسبر ٬ او في دير حيث يسود الص<mark>مت والس</mark>كون او امام صرح قديم منعزل ، ، على ضوء « قر متقع اللون ، ، هذا القمر الذي يوحسي لايدرسن اقا<mark>ص</mark>يص غريبة عذبة . فالصورة التي خلفها <mark>لنا هوغو ت</mark>عبر عن اللذة التي تجيش في صدر من ي<mark>رزح</mark> تحت الكابوس او ما يوحي الشمور بالضغط المرهق.معبود كورو،رسام المناظر المشهور، هو أن تكتحل عيناه بهذا الوشاح المهفهف الذي يتألف من هذا الضباب الفضي ، الذي يترك الاشياء قلقة ، لا تستقر على وضم او حال . هنالك من ينقطع للرحلة والسفر بروح 'طلبَعة او بروح ماول كما ان البعض يؤثر المشاهد الهادئة التي تكثر بين الناس <mark>داخل أ</mark>سرهم ٬ ومعظمهم يحاول ان يجد <mark>في الطبيعة ساواه وعزاءه.فاذا ما رهب فينيي برودة هذهالام ال</mark>شرسة الطباع واذا ما <mark>نقم عليها</mark> <mark>ليو</mark>باردي لامبالاتها وعدم اكتراثها لهذه البشرية البائسة ؛ واذا مـــا غاص لامرتين في احشائها واذا ما نظر اليها ميشليه كما هي على علاتها ، بمجرها وبجرها ، وهو يقول : مـــا من شيء في الطبيعة لا يثير في الانفعالات ، فأنا اكرهها واعبدها سواء بسواء ؛ كما امقت المرأة واعبدها » . ولما كان الزواج يقيد صاحبه ويفرض عليه شيئــــاً من العبودية ﴾ فأنا احتقره واسخر منســـه ﴾ فالاتحاد البورجوازي يجب الايقوم الاعلى العاطفة التي يجب ان تتمتع بكل حرية ، وها هو غريلبرسر وهيبل يجعلان من المرأة بطلة مسرحياتهم التي تذكرنا عن قريب بمسرحية راسين .

البيئة وأدوات التمبير المليا اللتان اتخذنا من فرنسا موطنا لها ومستقراً لم تختفيا قط من الوجود . فالصالونات ونوادي المجتمع الراقي ونصراء الادب والفنانين من الامراء لم تتمكن الثورة الكبرى من القضاء عليها او ان تستأصل شأفتها من البلاد. فاذا ما سلمنا جدلا بأن فرنسا خسرت كثيراً في هذه العملية افسيطرتها الفكرية لم تتأثر كثيراً من هذه المغامرة الكبرى . من المعروف باتفاق الآراء لا ان باريس هي مدينة الذوق الرفيع ومقياس الشهرة الواسعة . الا ان الظروف لم تعد قاماً كما كانت من قبل . فقد مرت بساء فرنسا عاصفة هوجاء و المستقبل يبدو عندها و كأنه على كف عفريت . ومن جهة اخرى فالخطل الذي ذهبت اليه المغامرة النابوليونية عندها و كأنه على كف عفريت . ومن جهة اخرى فالخطل الذي ذهبت اليه المغامرة النابوليونية

والحركة اليعقوبية التي سبقتها ، تسببت في ردة فعل هوجاء ضد الروح الفرنسية ، كسها عاد كل ذلك على القومية الفرنسية بمثل هذا الخسف .

ولذا فليس بعجيب قط ان يصاب في الصميم هذا الاتساق أو الانسجام والفلسفي » الذي طبع الناذج الفرنسية وميزها في القرن الثامن عشر . وعندما كان المهندسون والنقاشون ، والرسامون ، والمذوقون يقومون بعملية الخلق والإبداع كل في فنه ، كانوا كلهم يستوحون الناذج الفرنسية ويستلهمونها . ولذا لا نرى في الفن هندسة رومنطيقية . فالارستوقراطي والبورجوازي الذي يبتني له منزلا يستوحي ما وقع تحت انظاره من نماذج قائمة ، عندما لا يرغبون في بعث الطراز الفوطي. فالرغبة الجنونية بتقليد كل ما هو انكليزي فرشت بلدان القارة بالحدائق والجنان التي تبدي طابع الجزيرة المزدانة بالخرائب او الآثار المزيفة . وهكذا زالت من الوجود النقوش والمحفورات باستثناء و رود » الذي يؤلف وحده خروجاً على القاعدة . ولذا راح الماملون في النقش، يتجهون على الغالب، نحو الموضوعات التي يعالجها النقاشون عادة ، مثال راح الماملون في النقش برسم الاشخاص، ودانتان الابن المتخصص بالرسم الهزلي او الكاريكاتور . وأفيد انجيه المتخصص برسم الاشخاص، ودانتان الابن المتخصص بالرسم الهزلي او الكاريكاتور . وأفيد انجيه المتخصص برسم الاشخاص، ودانتان الابن المتخصص بالرسم الهزلي او الكاريكاتور . وأفيد انجيه المتنادي يتوارى فيه فن الرسم النشكيلي عن المسرح ، يطل علينسا فن التصوير على مسند ويزدهر بشكل لم يكن ليتوقعه احد .

وهذا النوع الذي يأتلف كما يجب ، والهوى او الرغبة ، كما يطابسق معارض الصالونات والمتاحف ، والذي يصف بدقة كلية ، هدف اللخبطة العجيبة ، وهذه الفوضى الماكرة المتقلبة باستمرار ، هذه الفوضى التي و توحي الغبطة ، كما يؤكد بلزاك ، وتوحي السهاجات البشرية ، والهلم ، او توحي هذه الطبيعة الذاتية او الفنائية الموحشة او المعبرة عن سرائر النفس الدفينة ، فن شخصي يستمد كل قوته من اللون . ولذا كانت عناية أنغر بالرسم على نسبة صدق عماريته الريشة الشمة .

كذلك تتوفر للموسيقى وسائل هائلة لتعبر عن انفعالات النفس وتثير الاخيلة . فهي تنبعث وتتجدد بالتأليف بين هذه الانغام والتعبير عن المبادىء والقواعد التي يقوم عليها ائتلاف الانغام وانسجامها . فهي تتوخى التنويع وتهدف التأثير على القلب اكثر من تأثيرها على العقل . وهكذا يطل على الناس عهد المعرف الذي له من الايقاع المدوي ما لا يتوفر بعضه للبيانو القديم . فكبار صانعي المعازف امثال ابرارد وبلايل عملوا على انتشاره وجعله في كل منزل ، وفي متناول البورجوازية الحديثة العهد . فالمعزف هو الآلة الموسيقية الفضلي لدى شومان وشوبان وليست . وجل ما يريده الموسيقاريون الكبار او يطمعون فيه من القيثارة مع بغانيني ، ومن الفيولونسيل والماي مع الآخرين ، هو الخلق الفني . وساكس، رب الآلات الموسيقية النحاسية النافخة ، كها يسميه مايربير ، جدد الحياة وبعث النشاط في آلات النفسيخ وزاد عليها اختراء الكبير

مَثُلًا بِالسَّكْسَفُونُ .

والمسرحية الرومنطيقية هي من نفس المعين والمصادر. فالماطفة الجاعية تعتمد الحركية والشعارات المثيرة وبكل ما يثير الحنان والشفقة. فالماطفة الجماعية تجد فيها كما يجد المؤلف نفسه ما ينفعها. فهاهو هوغو يباشر معركة هراني التي يكتب له فيها الفوز عام ١٨٥٠ كما أن مسرحيته و سقوط البورغراف ، التي صدرت عام ١٨٤٣ جاءت تعلن لللا أن ساعات الرومنطيقية الكبرى قد ولت ومضت. من المفيد أن نلاحظ هنا أن في الوقت الذي تفقد فيه الاستدارة البيانية ، ما لها من سحر وفتنة ، كان الشعر الغنائي أو الوجداني قد اعطى معظم روائمه الادبية هذا الفن الذي يفرغ المراة الفنائية ، في القصيدة الفلسفية ، والذي عرف كيف يمازج بين المسارة والسرد الملحمي. فمنزلته من الادب منزلة الرسم من الفنون التشكيلية ، لا حد قط لموضوعاته ، ويعبر بصورة ذاتية أو شخصية ، أكان فصوره وصيفه واشكاله كما لا حد قط لموضوعاته ، ويعبر بصورة ذاتية أو شخصية ، أكان ذلك تعبيراً عن المشاعر الدفينة أو تعبيراً صادقاً عن فكرة أو خاطرة وجدانية .

فالرومنطيقي، بما له من اسلوب بيساني فخم يحول دون ابراز الحقيقة عنده ، بما لها من قوة ، سواء اراد تحلية الامور او تسويدها ، يستعمل بكل ما اوتي من قوة ، حق ولو لم يكن شاعراً ، هذا الاسلوب النقني الجديد ، اعراباً عن سخريته وتهكمه . ففي الوقت الذي يتساح فيه لشارليه ولرافيه الترويج لشخصية « الجندي المنهن » ولشخصية « المر يسف الصغير » ، سلستين نوتويل تذويق مؤلفات هوغو وغوتيه واسكندر دوماس وتحليتها بالصور و الرسوم ، ولديكروا تحلية فوست لنوتيه ، عرفت الطباعة الحجرية (الليثوغرافيا) ان تؤمن لها ازدهار المنوير الهزلي .

فغي الرقت الذي اتاح فية فن الفكامة عند الانكليز خلال شخصية بكوريك لديكنز وجعله غوذجاً لا يقل شهرة بشيء عن شخصية روبير ماكيه ، كما ابدعت الفكاهة الامير كية شخصية نيكربكر لواشنطون اروين ، نرى بلزاك من تاحيته ، يضع امامنا ، شخصيات ذات مفارقات متماندة متضاربة ، فيهوي بالسوط على عابدي المال ، كما نرى سانت لوف يمد حملة النقد المعاصر بالنقد

الدقيق الذي كان بمثابة مرآة تنعكس على صفحتها ، كل المدرسة الرومنطيقية .

للتاريخ مدلول يعمل عميةً في ربط الحاضر بالماضي. فقد سبق ورمنطيقية رجية المعول الشرن الثامن عشر ان وضع تفسيراً عقسلانياً للتطور البشري دون ان يذكر بشيء المسألة التي طرحها بوسويه . فقد شدد كل من فيكو وهردر على هذه القوة التي توجه العالم ، حلولية هي عند الاول ، عضوية وضاصة بكل شعب ، عند الثاني ، اي ردة هجومية للاعقلانية (۱۱) إلى ان وقعت اذ ذاك الحزة العنيفة عام ۱۷۸۹ الستي استبدت بالفكر والمفكرين امثال بورك وجوزف دي مستر وبونالد الذين تسلحوا بدليل الديمومة ، حجسة الكنائس والارستوقراطية . والتاريخ الذي يسير في ركاب العناية الربانية والسلطسات المتوط بها امر المحافظة على الامن ، يتبنى هو نفسه فكرة الاستمرار والديمومة ، وبذلك ربط نفسه بهذه الاصول الرستينة .

وقد تكفلت المعرفة الواسعة والبحث عن العنصر الجمالي او الصورة الذهنية ، بالباقي . ليس من وجوب قط لرذل او التنكر لما جاء به اليونان واللاتين : فالنزعة الانسانية جاءت والحق يقال ، مثيرة ، مهيجة . ففي الحين الذي راح فيه نيبهور يكشف عما المتقليد الشعبي الشفهي من قوة عند تيت ليف ، نرى الاعجاب بالهيلينية يثير الهمم ويحرك المشاعر . ومع ذلك فالحركة الاستشراقية التي طلعت علينا ، والاعمال الوحشية المرعبة ، ونبس معالم الحضارة في كل من مصر وابران والهند ، كل ذلك وسع كثيراً من آفاق المعرفة البشرية ، حتى هذه النظريات الحدسية المتعلقة بالأصل او العرق الآري الشعوب الغربية ، هذه النظريات التي راودت الاذهار اذ ذاك ، لم نأت بأي فائدة المسترات الكلاسيكي لشعوب حوض البحر المتوسط . فالدروس التي استفدناها من آسيا وافريقيا اختبارات الكثر وشعوراً اعتى بالتقاليد . أقلم ينزع ديلاكروا الى ان يرى في الاسلام تكملة المحضارة الهيلينية او حصيلة هذا القران الذي تم بسين الشرق والذرب ؟

فالكشف العظيم هو الكشف من الاجيال الوسطى . وسار شليغل في اعقاب لسنغ عندما همتف قائلاً : و ليل الاجيال الوسطى ؟ ليكن ، انما هو دليل متلالىء بالنجوم الزواهر . انها همة عندما عبية عجيبة مدهشة ، كل ما فيها مشوق وأخاذ ، فاضلة ، ساذجة خصبة بالمجزات والخوارق ، ليس اصفرها لعمري هذه التقوى المسيحية المسلمدة بالنفوس ، وعندما يروح شاتوبريان يتغنى في كتابه و نبوغ المسيحية ، بعودة الايمان الى البلاد على يد ابن الثورة وجنديها ، يحقق هدذا في كتابه و نبوغ المسيحية ، بعودة الايمان الى البلاد على يد ابن الثورة وجنديها ، كفق هدذا بي كتابه وصفه المستوقراطيا عبا للجال . اما هؤلاء الناصريون ، هؤلاء الرسامون ، المأخوذون بالحال الديني ، فقد تبنوا الحياة الرهبانية . هم من المانيا هذه التي ينعتها ماكنتوش بوصفه لها : وهذه الاقاصيص و المعتومة بصورة ميتافيزيقية ، حيث لاقت الروح التقوية رواجاً عظيماً . وهذه الاقاصيص

⁽١) انظر تاريخ الحضارات العام ، مجلد ه ص ٨٦ ه (الطبعة العربية) .

الاسطورية ، اقاصيص البطولة ، كالساغا السكندينافية والرواية البطولية الاسبانية المعروفة به romancero ، ولا سيا الالمانية منها ، وقوست وغيرها من هذه القصص الشعبي المعروف باسم Maerchen واغنية رولان ، لاقت او ستلاقي شهرة منقطعة النظير ، مجيث تكاثرت وانتشرت الى حد بعيد اقاصيص الابوكريفا او المزيفة . وفي الوقت فاته عرفت الروايات التاريخيسة ازدهاراً رائعاً . فقد أمدنا ولتر سكوت بانتظام مدهش بأقاصيص رسمت نهجا خاصاً احتذوه في كل مكان وكان له اتباع ومريدون في كل قطر وصقع : روايات بطولة تبهر بألوانها الزاهية اظهرت ، على الاجهال ، احترامها للتقاليد والاعراف الشعبية . وهذا القصص التاريخي، امد الى هذا كله ، المسرح عادة خصبة استلهمهامن قبل كل من شكسبير ، وكالديرون ولوب ودي فيغا .

وقد كان هذا الجو جد مؤات للمؤرخ الطلعة اذ جاءت القصة تستند الى الوثيقية التاريخية وتنهض على الدليل الاثري . فقامت على الاثر جمعيات علية ، في كل مكان تقريباً ولت تصنيف النصوص تحفيقها وحاولت فك ما تحمل من رموز في خطوطها وردها الى اصراها. من ذلك مثلا الجمعية الحاصة بدراسة التاريخ الالماني التي رأت النور على يد المؤرخ شتاين عام ١٨٦٧ ومدرسة القراطيس او معهد الوثائق الذي تأسس في باريس عام ١٨٢٢ وهذه الكشوف العلمية السني حققها غيزو . وعلى هذا الاساس وضع اوغسطين تبيري وميشليه تاريخ الاجيال الوسطى بعسد ان تفننا في التوفيق بين مراعاة اللون الحيل وبين التفاصيل الدقيقة ، محافظة منها على احسارام المصادر ونصاعة التعبير .

والاجيال الوسطى هذه تبدت صورتها لكل واحد كا تبدت على صحيفة مرآته . فهي تمثل في نظر سيسموندي عهد الاستقلال الذاتي للمدن ، كا رأى فيها فيلنوف بارجمونت عهد السلطة التي نفر منها سيسموندي . ولم يلبث ان رأى فيها كل شعب صورة لما يرجو ولما يطمع السلطة التي نفر منها سيسموندي . ولم يلبث ان رأى فيها كل شعب صورة لما يرجو ولما يطمع اليه . فهذه الرومنطيقية الابداعية ذات المفعول الرجعي البسوها لباساً سياسياً واجستاعياً واقتصادياً حتى وثورياً . فها من مكان قط استشرى فيه هوس الاصول التاريخية المتوسطية بسين افراد الشعب كله مثل المانيا اذ راحوا فيها يستبدلون الهورجوازية . فهنذ عام ١٧٩٩ الروح القومية الموردة البورجوازية . فهنذ عام ١٧٩٩ واجه نوفاليس هذه المفطة الثنائية : اوروبا المسيحية ، فعلها باختيار او بتحقيق الامبراطورية المقدسة بشكل جديد تحت اشراف الكنيسة و الخيرة ، الملائمة للطبيعة البشرية ، حتى اذ ما المقدسة بشكل جديد تحت اشراف الكنيسة و الخيرة ، الملائمة للطبيعة البشرية السرعية . كاد يتوارى ، اشتد الثيار بعده ، عنيفا ، غلاباً مطالباً باعادة الهيرخية او الملكية الشرعية . ومع ان المدرسة الشعرية في انكلترا تطورت المحافظة المهذبة ، كا كانت لذة سكوت الخاصة ان يبعث فقد ترك ودسورث عليها طابع الروح المحافظة في الصميم . من دعاة الشرعية ومؤيديها ، هوغو في دواوينه ولامرتين في و تأملاته ، اذ راح كلاها بتغنى ، عام ١٨٢٥ ويشيد عاليساً هوغو في دواوينه ولامرتين في و تأملاته ، اذ راح كلاها بتغنى ، عام ١٨٢٥ ويشيد عاليساً

بتكريس شارل الماشر ، وبلزاك نفسه يتجه آنذاك نحو الشرعية . بعد عام ١٨٣٠ . ومسم انهما من اقتحاح الوطنيين الايطاليين ، راح منزوني يضع : و الاناشيد المقدسة ، ، فاتحسا بذلك نقاشاً حاداً مع سيسموندي حول الدور الذي لعبته الكنيسة في ايطاليا ، كا راح سلفيو باليكو يروي علينا يكلمات تتنزى بالرضوخ وروح الاستسلام المسيحي ، قصة اعتقساله . والكل يتفادى او يحاول ان يتفادى هذه البورجوازية الواقعة تحت تأثير عبودية المجل الذهبي .

راحت المثالية الفلسفية تقدم هي الاخرى ، خدماتها لقضية هيئل واستبدادية الدولة الشرعية ، كما راح كل من غسوتيه وكانت وفخت يستجيب عالياً للاتجاه الذي اتخذته الثورة الفرنسية . فقد بقي غوتيه ، على الاقل اميناً للمثال الجمهوري كما راح فخت بدوره يرسم لنا نظريته عن الدولة معترفاً لها مجتى الاكراه وحتى الركون اليه. ومن هذه الثنائية التي قال بها كدنت والتي اعترف فيها بقدرة العقل على معرفة مظاهر الاشساء دون كنهها يغفي بنا الى القول بالأحدية الغائية ولو بصورة ذاتية .

واذ ذاك طلع علينا هيفل الذي راح يقول بمثالية مطلقة مناقضاً بذلك تعاليم القرن الثامن عشر . فعملاً بمنطق ديناميكي هو الديالكتيكية الجدلية ، فالافكار المتحركة توجد الواقع وتخلقه وتدفع بالكائن دوماً ليتجاوز باستمرار وضع وجوده . ولذا فالمطلق عنده هو وحده الذي له وجوده الخاص وينزع دوماً للتحيز بفضل فكرة الدولة المثل الملكية الطابع من اساسها ، هذا الشكل السياسي الوحيد الذي باستطاعته وحده ، التوفيق بين الحرية والسلطة . اما الفرد هذه الفكرة المجردة التي لا قوام لها ولا كيان فلا وجود له قط بذاته . فالدولة هي تجسيد لله على الارض لها وحدها الحق بالسيادة المطلقة والاستثنار بها .

وبعد أن دعي هيفل عام ١٩١٩ للتدريس في جامعة برلين راح يثبت أن الصورة المثلى لهذه الدولة هي الدولة البروسيانية. فقد داخذ هذا الفر الفي المتوجه بأنظاره نحو الماضي يبرر بطريقته الخاصة ، الشرعية التقليدية . وقد كان لا بد لنظريته هذه عملا بمبدأ رجوع الامور الى نقطة الانطلاق ، من أن تؤول الى راديكالية وأضحة ، فقد انتصب في وجه الابداعية الرجعية ، هيفلية عمافظة أو متزمتة ، كما قام في وجه ابداعية مستقبلية ، هيفلية ثورية .

وهذا الصراع العملاق الذي وضع وجها لوجه ، هذا النظام الذي وضع وجها لوجه ، هذا النظام عودة النظام في اوروبا الى الشرعية الاوروبي القديم وامتداداته الاستعمارية ، وهناك القوى البورجوازية الجديدة والجماهيرية ، استمر قامًا . فقد اتصل بشبه الجزيرة الايبارية التي اعلنت الثورة وامتد الى اوروبا نفسها حيث انصار الحرية ومؤيدوها استمروا ماضين في كفاحهم . فالانتصار الذي حققه للماوك في ساحة القتال ذهب جزافا كما ان قرارات مؤقس فيينا بقيت حبراً على ورق وكلمات فارغة ، اذا لم يقم في اوروبا نظام دائم يفرضه القائمون بالثورة المعاكسة هو نظام ديني ملكي ارستوقراطي .

ان قيام شعور ديني رومنطيقي لدليل على وجسود يقظة دينية . الشرعية الدينية فارتدادات فريدريك شليغل وستولبرغ وهول بواعتناق آل راتسبون

السهود للكثلكة ، واعتناق ستاهل البروتستانلية ، يشير بوضوح لا يدع مجالا للشك الى مسافي المسحمة من قوة جذب واغراء . فنوادي مونستر ومونيح لها روادها الكثيرون . ففي الوقت الذي راح فيه هنفستنبرغ المدافع الاكبر عن اللوثرية الاصيلة ، يهاجم المذهب المقسلي بمنف ، دوت في جميع ارجاء فرنسا صرخة انذار واستنفار اطلقها كل من لامنية في كتابه « عساولة حول اللامالاة في امور الدين ، وجوزف دي مستر في كتابه الموسوم : • حول البابا ، مشيدين بالدور الذي يمكن للبابوية ان تلعبه في هذا الجمال . ويحاول الاب بلديس ، سيراً منه على خطب بوسو<mark>به ؛ الكشف</mark> عن « التغيير ات » التي لحقت بالكنائس ، والملسل الانجيلية . فاذا مــــا عاد الكاثوليك ، ولو مثأخراً ، إلى الدراسات الكتابية التي تخلوا عنها فترة للأوساط البروتستانتية والمقلانية ، فقد برزت الدعوة للتمليم وفي اوساط النخبة الفكرية ، بعودة بيوس السابع الى روما وبأعادة الرهبنة اليسوعية الى الوجود) (كما أن الاب لاكوردير سيقوم بتجديب الرهبنة الدومنيكية في فرنسا) . وقد تكافر عدد الرهبانيات التربوية والتأملية والخيرية ، ولا سميا الجميات التي تمني منها بشؤون المرأة . فنحن امام حركة عارمة من ازدهار الجمعيات الخيرية ٠ والكتب الجيدة والدراسات القومية وجمعيات القد<mark>يس بوسف</mark> للدفاع عن المسيحية . وممسأ هــ<mark>و</mark> ارز من هذا كله ؛ اعمال الارساليات الدينية التبشيرية التي نشطت كنشر المسيحية ؛ وحمسل المؤمنين الاشياء التقوية وتقوم بالكرازة بالانجيل من مكان الى مكان آخر .

ومع تسليم الادارة الرومانية في روما بفوائد الادارة العلمانية فقد اضطرت للخضوع لهدا التيار الذي يؤيده المتزمتون الذين فازوا باقرار التشريع القديم ، والنزول عند و اسلاحات البارونات ، وديوان التفتيش والى توصيات و مجمع الايمان الذين تجمعوا ، في مجمع الكرادلة عام ١٨٣٧ وانتخبوا عام ١٨٣٠ للكرسي الرسولي ، احد ابناء الرهبنة و الكاملدولية ، المعروف بنزمته في امور الدين وتقشفه ، هو البابا غريفوريوس الرابع عشر . فبعد ان كرر حسرم المذاهب الفلسفية والجميات السرية ، فلم يتورع قط في توجيه اللوم الى رؤساء الحكومات لما هم عليه من فتور ديني ، طالباً اليهم مؤازرتهم بحيث يتعاون التاج والهيكل . الا ان المفاوضات التي يوشر بها لمقد معاهدة دينية (كنكورداتو) بين المكرسي الرسولي والدول الاخسرى ، هذه المفاوضات التي تتسم دوماً بالدقة وتحف بها المخاطر والصعوبات لم تنته الى ما يرضي مطالب الكرسي الرسولي .

فالكرمي الرسولي يضع نفسه في موضع حرج عندما يطالب الكنيسة الكاثوليكية المتيازات ومنافع بعد أن برفض منح مثلها للكنائس الاخرى . فهو يتجاوز عن السماح اليهود

باتمامة حي لهم في روما ، كا يتجاوز عن تركهم تحت رحمة الدول عرضة للاضطهاد في دول اوروبا الوسطى (مم العلم ان المكاؤليك لا يتمتعون بحرية اكبر في روسيا)، في الوقت الذي راح فيه يطالب سويسرا والبلاد الواطية وبروسيا بالمزيد من الحرية للكاؤليسك. وباسم الكاؤليك يمار من بشدة المتيازات الكنيسة الانكليكانية في يمار من بشدة قانون الشهادة في انكلترا كا يمار من بشدة المتيازات الكنيسة الانكليكانية في ابرلندا . وبفضل هذا الجو من التساهل استطاع اوكنيل والرابطة الكاؤليكية ان يحققا المدولة بالكنيسة ، كا ان الكاؤليك الاحرار في فرنسا طلبوا من الحكومة ان تتقيد بأحكام دستور عام ١٧٨٩ الخاص بحرية التعليم فيها ، وما عساما ان نقول ، من جهة اخرى عن هؤلاء المؤمنين والكهنة الذين راحوا ، في كل من ايطاليا وكرواتيا وهنفاريا والامارات الرومانية يسميها نحو يسمء من المحروبة التي تقوم بها الاقليات في هذه المناطق في سميها نحو الحرية ، أنهم ينين الكوليك والاحرار ضد الملك غلوم الاول البروتستانتي ا ومع ذلك فهذه المتافات التي تنطلق من حناجر الجاهير التي تجمعها وحدة المقيدة أو الوحدة القومية والحربية ، قبيل عسام تناطلق من حناجر الجاهير التي تجمعها وحدة المقيدة أو الوحدة القومية والحربية ، قبيل عسام قيام بابا متحرر ، كل ذلك سراب غرار يمكن تبريره .

فقي الوقت الذي تطل فيه على المجتمعات الكلفينية في فرنسا و يقظة المجيلية وتتكتل في بروسيا الكنائس الدورية والاصلاحية ، يقترح فيه المفكر السويسري فينه الكبير على اوروبا ، الاحتذاء بالولايات المتحدة الاميركية . وقد لقي اقتراحه استجابة لدى غيزو ولدى بمض الفئات في فرنسا وجنيف ولا سيا في اسكتلندا . وكان المسيحيان النبيلان مونتلمبير وتوكفيل معجبين جداً بالديوقراطية الاميركية حيث اخذت جميع الطوائف الدينية قتنافس فيا بينها بعد ان نعمت البلاد بفصل الدين عن الدولة . وفي انكلترا حيث راح جهاعة يطالبون في اثر والبرنورس واشلي وتوماس ارنولد مع انباع الكنيسة العريضة الاخذ باصلاحات تحررية ، كا قام من جهة ثانية فريق مناهض الكنيسة الملياعرفوا باسم والمتساعين ، كانوا من غلاة الطائفة الطقسية يظالبون برفع ولاية الدولة الكنيسة الرسمية ، فانتهوا في تطورهم الديني عند نهج بيوزي الذي لم يكتب لطريقته الاكتال ، والبعض منهم عند نهج نيومان والرجوع بالتالي الى الكثلكة . ان روح الكفاح الذي جاشت بها بعض الطوائف الدينية المنشقة (لا سيا ملة المتوديست منها اللاعقلاني .

وهكذا بالنسبة لوضعها الدَّاخلي ، وفي عجزها عن الصعود في وجه الاندفاع للمطالبة بالحرية للم تستطع المسيحية في اوروبا ان نؤلف لمدة طويلة ، ضمانسة النظام الذي يدعو المحافظة على النهج .

أفلم يخطر ، مع ذلك ، للقيصر اسكندر الاول ان يؤمن الوحدة بين السلام الاوروبي عن طريق المسيحيين عندما راح يقترح على الحلفاء وضع الحلف المقدس تحت حياية شرعة النظام الملكي المالوث الاقدس غير المنفصل ، ؟ وماذا يهم ان تأتي الموافقة ، كا أتت المبادرة من صفوف بعض المتصوفين او ادعياء التقوى ، وان يكون غوتيه رأى في هذا الاقتراح وخير محاولة وامثلها جرت لخير البشرية جماء ، هذه الحركة والطنانة الجوفاء ، ، كما يصفها مترنيخ ، والتي لم ير فيها سياسيو تلك الحقية ، سوى المقاصد البعيدة وتحقيق السيطرة السيق راودت القيصر ، من خلال صلبية اوروبية جديدة ضد الاتراك .

والحال؛ إن العدو الذي يجب وضعه تحت الانظار هو و تنين الثورة ، . إن الحسير الاكبر الذي حلم ميثاق عام ١٨١٤ بتحقيقه ، هو و تأمين الراحة والحدوء لاوروبا عن طريق اقامسة توازن عادل بين دولها ، ، اذكان المنتصرون عاجزين كما انهم غير راغبين في اعادة اوروبا الى حدودها الجغرافية التي كانت لها عام ١٧٨٩ ، فالحق العام هو نتيجة موافقتهم ، وبعبارة اخرى هو هذه الشرعية التي تؤلف بالنسبة النظام القديم ، ما قتله طبقة الاشراف المستحدثة بالنسبة لطبقة النبلاء الاصلية . فالقضية لا تخرج عن كونها قضية اتفاق بين الدول المنتصرة الاربع التي انضمت اليها فرنسا البورجوازية لتؤمن مما النظام الحقيقي ، اي توازنا يأتي في صالح هسنده والسلطة الخاسية الادبية » .

وسلطات هذا الدير كتوار الاوروبي تبقى غامضة ، مبهمة ، ولذا كان لا بسد من التشاور وتبادل الرأي فيا بينها كام دعت الحاجة الى ذلك . وهكذا اصبح مترنيخ رجل المؤتمرات افر راح من مؤتمر فيينا الى مؤتمر فيرونا ثم الى مؤتمر مونيخ - غراتز محساول توطيد اسس الوثام السائد بن الملوك .

الا ان هذه المؤتمرات تبقى دوغا جدوى تذكر اذلم يكن هنالك من قوة بوليسية او حربية تعضدها او تسندها . وبالغمل فقد كان الكونت سدلنتسكي بمثابة كلب نيوفاوندلند الحسارس للامبراطورية النمساوية ، بعد ان عهدت البه ، عام ١٨١٧ مهام دقيقة قام بسؤولياتها مدة ثلاثين سنة أولته حق الاشراف المزعج على المانيا برمتها وعلى ايطاليا متقصياً اثر اللاجئين السياسيين ومتعقباً لحركاتهم وسكناتهم في ارض غربتهم في كل من سويسرا وفرنسا . فقد عرفت هسده البدان نظاماً من الاستثناءات القضائية منها هذه الحاكم التي قامت في عهد لويس الثامن عشر وفي عهد اعادة الشرعية في فرنسا للمرة الثانية والمعروفة بد المجلس العدلي ، التي لا تقبسل احكامها اية مراجعة امام اي قضاء ، والحاكم الاستثنائية التي قامت في كل من نابولي ومودينا وتورينو ، في عقب الثورات التي طلمت على تلك المدن سنة ١٨٢٠ – ١٨٢١ ، وعقوبة الشنق في اسبانيا اثناء الحركة الرجعية التي شجرت عام ١٨٢٣ – ١٨٢١ . فالشرطة البوليسية والمراقبة في اسبانيا اثناء الحركة الرجعية التي شجرت عام ١٨٢٣ – ١٨٢١ . فالشرطة البوليسية والمراقبة تحد من حرية الكلام وتحكم افواه الجامعات والصحافة ، وتجور على المسرح . ففي فرنسا بين

١٨١٥ – ١٨٣٠ ، ما من مسرحية تمثلت قبل أن يتم فعصها بالندقيق فيها جملة ، ثم راح النظام الملكي الجديد المعلن في تموز يفرض غرامة مالية على المتجاوزين لقرارات الحكومة ، وقد صدر عام ١٨٣٧ امر في ميلانو يمنع تمثيل رواية بوليو كت لكورتاي ، مع أنه جسرى استبدال كلمة و المسيحيين ، فيها باتباع الزرادشتيه ، وانكلترا نفسها خضعت ، ولو لأمد وجيز لنظام خاص عرف عندهم بنظام القوانين الستة هذه القوانين التي اقرتها ، عام ١٨١٨ ، حكومة الحافظين في عهد ليفربول ، اضف الى هذا كلم التدخل المسلح من قببل كل من فرنسا في اسبانيا، والنمسا في ايطالها ، وروسا في بولونها .

وهذا النظام الملكي والمحافظة علمه يتوقف الى حد بعيد ؟ على الموقف السلبسسي المفروض بالغرة <mark>أو المقبو</mark>ل به من سكان الري<mark>ف ، مع الملاحظة هنا مثانة موقف الحكومات الحافظة في</mark> هذه البلدان حيث تسيطر الملكية المقاري<mark>ة الضخمة . ففي الوقت الذي راح فيه القانوني الالماني</mark> الشهير سافيني يؤكد حق العرف ويعليه على الحق الطبيعي والقائلون بأن الملكية حق إلهــــي هي ومعظمهم من النبلاء ويشيدون عالياً بفضائل السلم الاجتاعي المسلسل؛ تولي طبقة الاشراف ولاءها لللوك : فكلا الحزبين : الاحرار والمحافظين، يقفان موقفًا عدائمًا من السلطةالشخصة، في بريطانيا العظمي . وفي فرنسا يقف المتطرفون موقف المدافعين عن حقوق المؤسسات التمثيلية ويعلنون انفسهم ملكيين اكثر من الملك . وفي اسبانيا الوسطى يستمر الخسسوف على اشده بين البيروقراطية الملكية وبين المجالس التمثيلية . وفي كل مكان يبقى صامداً في موقفه لا يتزحزج؟ من يتمتع بامتيازات مالية أو قضائية ؛ أو عسكرية . ولعل ما هو أفضل من ذلك؟ هنالك عدد من كبار النبلاء يتبجحون بالحرية ويؤيدون مطالب القرميات . مما لا شك فيه قط ان الخوف من الاضطرابات والاستمساك بعرى السلام حملا اليورجوازية على تبنى اعادة المال) فالهم الأكبر الذي يقض مضجم الحكرمات الدستورية هو أن يُعتَّرف بشرعيتها. فالملك لويس فيليب يتمسك باصر ار بالتأبيد التقليدي . وبفضل ماله من محتد كريم ، استطاع ليوبولد ساكس كوبورج أن يدخل بارتياح مصف الاسرة المالكة.

كان من العسير على القرى الاجتاعية المحافظة ان تتفلب على هذه الخصومات او العداوات المستعصية التي كثيراً ما كانت الباعث الحقيقي لهذا الصراع الذي كثيراً ما يقوم بسين الدول . فنظام الحكومات الخمس يفضي بأصحابها الى الجود الموصول بينا سياسة الوضد القساتم التي تترسمها فيينا وارتضتها قاعدة لها ؟ وجدت في وجهها الى جانب هذه الاطماع التي جاشت بها نفوس بعض الامراء ؟ النزعات القومية التي لا تزال تتفاعل وتتطور بالرغم من كل شيء .

لانغصل لالشاوس

الحركات القومية والقضية العمالية في أوروب الروح النحررية والأبداعية المنف ائلة.

جاء في كتاب بيوناروتي : «مؤامرة في سبيل المساواة » « ليست الحرية سوى القدرة المحدودة على التملك » (مؤامرة في سبيل المساواة ، المعروفة بؤامرة بابوف ، ١٨٢٨) .

الاحراد بنظريات وافكار القرن الثامن عشر ، كا إن توكفيل يؤكد هو الآخر ، من جانبه : بنظريات وافكار القرن الثامن عشر ، كا إن توكفيل يؤكد هو الآخر ، من جانبه : بأن تاريخنا (تاريخ فرنسا) بين ١٧٨٩ - ١٨٣٠ ، إذا ما نظرنا اليه عن بُعد ، نظرة شاملة ، ليس سوى مشهد صراع عنيف قائم بين النظام القديم بما له من تقاليد وذكريات ، وآمسال ورجالات ، يتمثلون خير تمثيل ، في طبقة الارستوقراطية ، وبين فرنسا الجديدة بقيادة الطبقة الوسطى ، وجماعة الثورة هذه ليست سوى طبقة الاحرار ، وقد حدد غيزو الطبقة الوسطى : هذه الطبقة التي لا يعيش افرادها على المراتب والاجر ، والتي ينبض الفكر عندهسا وتجيش الحياة فيها بالحرية ويتخلل نشاطها بعض الفراغ ، والتي تستطيع ان تخصص جانباً ملحوظاً من وقتها لبحث القضايا العامة ، اي هذه الطبقة التي تجد نفسها على بعد متساو بسين الامتيازات الماضية ، وبين هذه الطبقة المنصرفة العمل اليدوى » .

وهذه الروح المتحررة والم الشرعية وعدة الشرعية الدينية على الاخص تقارح نظاماً هو خير الانظمة وافضلها والهدف الاسمى لحقبة تاريخية طويلة من حقب التاريخ امتدت الفسنة والملكية الدستورية التي يوجهها اعيان البلاد الذينجرى انتخابهم من بين المواطنين الذينتوفر لهم عن طريق الثروة التي تحت لهم ونعمة التعليم التي صقلت نفوسهم الامكانيات السياسية . فالجمورية التي رسخ دعائمها صاحب الفضل واشنطون ولها بالطبع المعجبون بها والقادرون لفضلها . غير

ان معظم اصحاب الفكر الحريفضاون عليها نظام الملكية : « فلو لم يكن من نظام ملكي ؟ يقول كازيمير بيريبه ، لهبط النظام الى درك الديموقراطية ، وبذلك تكون البورجوازية قد اضاعت سياديما . والحال يجب ان تتمتع البورجوازية بهذه السيادة لاسباب مبدئية ، لأنها أكفأ الجميع ،

واذا كان بروز البورجوازية له ما يبرره ويزكيه ، فهي تعتبر نفسها والحسالة هذه ، تتمتع بصورة طبيعية بالحرية لان لديها من الاستنارة ما يجعلها تدرك جيداً ان سعادة الجنس البشري تتوقف قبل كل شيء ، على التنعم بالحريات الفردية السبق تأتلف مع تطور الجسم البشري ويؤمن سلامة المقتنيات . ولهذه الاسباب ، فالافضل هو النظام الانتخابي او التمثيلي القائم على اساس دافعي الضرائب والصالح للوقوف معافي وجه الفتن الجماهيرية والثورة المعاكسة .

فالروح التحررية حق الرومانية منها ، تشجب الملكية القائمة على حق الهي وترفض كذلك التسليم بأي سلطة للاديان والكنائس وستجردها بما تنمسك به من حقوق الاحوال الشخصية ، وتملن الزواج ولا تقبل بخدمات الكاهن او خادم الدين في التعليم الا لفرض ادبي واخسلاقي . وهذا المعداء للاكليروس ، يقابله لا سيا في البلدان الكاثوليكية الدعاوة الدينية . فبين ١٨١٧ - وهذا المعدات دور النشر ٣١٦٠٠٠٠ نسخة من مؤلفات فولتير ، و ٢٤٠٠٠٠ نسخة من مؤلفات روسو . وقد ادت هذه المنافسة الحادة في قضايا الدين، والدعاية أو الدعاية المضادة لها، حروب اهلية ، في كل من سويسرا والدول الايبرية .

والى هذا ، فمن آدم سمت رجان بابست راي الى جون سليوارت مـــل ، راح علم الاقتصاد السياسي بعد ان انتسب الى الكلاسيكية ، يضع القواعد الذهبية التي تنهض عليهـــا المصلحة الشخصية القائمــــة على تفهم صحيح للامور والاوضاع ، وعلى المنافسة الحرة . وهذا يمني حتما الاقتصاد الحر الا فيا بتملق بمصالح الدولة التي تمتزج بمصالح البورجوازية .

من مفهوم الحرية والصفات المعقودة عليها القسدرة على إثارة الحركة الرومنطيقية والقرميات وتحريك الشعور والهابها . فبير انجيه يجملها ، في فرنسا عروس قصائده واغانيه الشعبية ، وهكذا سكريب في مفكراته واوبير في موسيقاه . ففي صفوفها وعداد الناهضين بها ، نرى الحداة المتفنين بها ورجال الاقتصاد الى جانب العاملين في الدعوة لها والفلاسفة والمؤرخين والمناضلين حيالها . فهي تعتمد ، الى حد بعيد ، على اصوات الناخبين في الانتخابات العامة واعضاء الجعيات السرية واحيانا على الثوار والمحاربين في الشوارع . ففسي وضع من هذا النوع الموسوف التحررية انما تعني الكفاح ضد السلطة الشخصية عارة ، وطوراً الصمود في وجه الاجني الدخيل هذا الصمود الذي كثيراً ما يصطبخ بالمطالب الوطنية او القومية .

فالثورات الاميركية والفرنسية كانت في الاساس ردات فعل شعبية ، في وجه الحق الملكي

الألمي القديم . وهل يصلح لعمري التاويح وحده مجقوق الانسان مبرراً لهذه الرغبة الجاعية التي تهيب بالامم الى النهوض بعد ان يجيش في عروقها الحياة ؟ فيكو يجد هذه القوة في الكون ، في الامة الد Volksgeiss عند هردر ، اما فخت فيشدد منجهته على الد Volksgeiss بينا يراها هيفل في الفكرة ذاتها التي يعمل التاريخ على تحقيقها . وما عسانا ان نصف به هذه المؤازرة المؤاتية تشد ازر الحركة اتفاقاً يقدمها احدم هو شارل البير فريسة الاوهام والهواجس والطنون ، هسذا التلميذ الاتم لجوزف دي مستر ، او يتبرع بها آخر من صف فريدريك غليوم إلراب ، هذا الفنات السقيم المراجع بالامبراطورية المقدسة ؟

والى هذا ، فمها كان من سعر الفتوحات الفرنسية التي لا يمكن لمؤرخ ، مهما اعماه التعصب وضيق الصدر ان يتجاملها ، ومن هذا الاثر المدوي الذي تركته في النفوس والقلوب الابحال التي سجلها الامبراطور الكبير ، هذه الابجاد الآخذة ذكرياتها بالانتشار والذيوع ، فلا بحال لنكران عنصر المفاجأة – العنصر الاسطوري ، في التاريخ بحيث لا يمكن للمؤرخ ان يجهل قط الاثر العظيم الذي تركه التوسع الفرنسي في القارة ، فساعد على بعث المطالب الوطنية المتعددة بين الشعوب التي وقعت ضمن هذا الفتح . ففرنسا لا تزال ، حتى في سنة ١٨٣٠ ، تعطي اشارة الانطلاق والتقدم الى الامام . الا ان بمكر يضع عام ١٨٤٠ في وج، النشيد الوطنسي الفرنسي و المرسلياز ، النشيد الالماني والمهانيا واحدة موحدة :

من الموز الى النيمن من الادبج الى البلت

قمن هذا الريفي السلافي الذي يشدو متقنيا ويرقص ممبراً عن تعلقه الشديد بهذا المساضي الجميد ، الى هذا العالم الالماني الذي يكتشف بقبطة ويفهرس ويفسر ويشرح بشغف هسذه النصوص والوثائق التي تشهد عالماً بخلود ثقافته الوطنية ، تم عمل عظيم ساعد كثيراً ، شيشاً فشيئاً ، على ابراز سمات ارض هذه الجماعات التي تجيش في صدورها الرغبة في الظهور والتجلي وعلى اثبات ما أوتيت من نشاط زاخر وما فيها من العضلات المفتولة . وهذه المطالب الوطنية تتجند في سبيل تحقيقها اجبال متعاقبة من الكفاءات والطاقات المشحونة المتعددة الالوان ، وتحدد الشعوب الشعرب على وتحدد المناء ، والرسم ، والتصوير والنقش والحفر ، وتستغل القانون والاقتصاد السياسي . وكل شعب من هذه الشعوب يهم بليلاه ويغني على هواه .

فالهرى او الغرض قلما يعتمل في قلب هذه الشعوب التي لم يكن لديها من سبب مجملها على التذمر من هذه القرارات التي اتخذت عام ١٨١٥ . فالكبرياء التي يجعل جون بول (انكلترا) يتمه عجباً وهو المعروف بكرهه لكل ما هو فرنسي ، لا قبل لها بهذه المطالب التي تعلن عنها

ايرلندا الفئاة ٢ كما ان السويد لا يُمكن ان يَهْمُم او ان تتقبل اي فكرة ومسى لُنسخ المشاركة بينها وبين النرويج، والداغار السب على استعداد للاصفاء الى أي مطلب الماني يرمسي لاسترداد مقاطعتي شلسوية وهولشتاين . ولم تكن هولندا احسن استعداداً للتسلم بانفصال بلجيكا عنها. وإيطالها تتحرك وتمور جنباتهاتحت تأثير الحركة الانتفاضية التحررية التي اطلقتها جمعية الفحامين السرية . الا ان قبام الدولة البابوية عليها جملتها تواجه مشكلة وجدان ، فداحت الرومنطبقية القومية تبث في شبه الجزيرة « Italia fara da se ؛ أيطاليا فخورة بذاتها فخورة لعمري الا ان لا او لها ولا شأن ، وكثيراً ما أطل عليها النهار بفجر اليم . والحركة الالمانية المتأرجحــة بين . بروسيا والنمسا وعدد من الامراء من الصف الثاني، والتي تتقاذفها البروتستانتية والكاثوليكية والمتمرجة بين الاتحاد الجركي والسوق النمساوية والمشبعة بروح التقليدية القضائية تحلم بتحويل مذا اله Bund الماجز، المستضعف الى رايخ تجهل تماماً ما اذا كان سيأتي على نطاق المانيا العظمي او المانيا الصغرى. واطل البعث السلاني على المالم على اثر اتصاله بالعلم الالماني ، كعركة رجمية قامت في وجه الروح الالمانية المستبطرة ، رافعاً لو<mark>ائي ال</mark>علم والفن، مستعيناً على تحقيق اغرا<mark>ضه</mark> الوطنية . بالفيلولوجيا ثارة ، والشعر طوراً ، هذا الشعر الذي يرقص على انفام موسيقي جياشة . فليس افضل من شوبين على لعب دور السفير المتجول الذي يبعث الاسي اينا حل وينشر الشجي في قلب شمب خذلت اقداره فتمس . الا ان وقوع <mark>القوميات ا</mark>لسلافية في اوروبا الوسطى تحت منظر<mark>ة عدد من الدول القومية جعلها في حيرة من امرها لا تعر</mark>ف ما ذا كانت تستجيب<mark> للدعوة</mark> الصقلبية : قيصرية كانت ام ثورية ٬ او انها تنضم تحت <mark>جناح شقي</mark>قتهم الكبرى روسيا ال<mark>تي 'تقلق</mark> منها المال و'تشغل الخاطر.

واوروبا الفتاة هذه ، سواه رهبوا امرها او رغبوا فيها ، ذات الملامسح الفامضة تستبد بقلوب السياسيين ، وتشغل بال الدبلوماسين ، فتغزو الادب وتوحي الفنون . فقد بذلت دما غاليا ذكيا من هذه الاضاحي والشهداء تقدمهم قرابين على هيكل الفداء ، وقام من بينها الابطال يناضاون ويكافحون في سبيل الرؤى الحلوة والاحلام المسولة ، فنزح بنوها بالألوف . وقد احسنت باريس وفادتهم . فها هو متشافتش يغنينا الجاد بولونيا ويصف لنا اخلاق وعادات واعراف بولونيا هذه المضافة والمهيضة الجناح والتي لا تُغلب مع ذلك ولا "تقهر . وهاهو هاين حفي بهذه الصداقة والضيافة بعد ان وفرتها له المدينة المضيافة غيب ان تفهمته واكتنهت سره ، هذا الانسان الثقيف الذي تخيفه غرائز ما وراء الرين الحربية ، واخوة وحلف الشعوب المقدس ه ، الذي يحيى بير انجيه طلوعه ، والذي يحتفظ فيه كل من كينه وميشليه لالمانيا هردر عركز عمتاز .

من لا يعلن قلبه وغقله مجب هذه الامة الكبيرة كا يتصورها ميشليه ويشيد بها ؟ نموذجي ، مثالي ، على كل حال ، كتابه الضخم (تاريخ فرنسا ، الذي انتهى من وضعمه ، بطمله الاول

والأخير هو الشَّعب الفرنسي » وليس غير الشَّعب الفرنسي بنزواته وغضبه ، بأقراحه والرَّاحـــه بأحزانه ومباهجه ، هذا الشَّعب الجاهد الصابر » الحبيب الى قلوب ابنائه .

> وضع العبال**قي المسن**سع بوس البرولي*ل*اريا

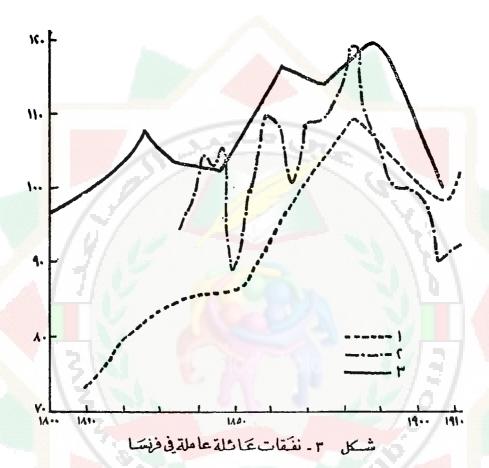
اخذ البعض يتساءل عما اذا كان الوطن يمير اي انتبساء فؤلاء الذين يمولون في تحصيل أودم على سواعدم وقوام البدنية . فالريف لا مزال يحتضن عدداً كبيراً من اصحاب الحرف الصفعة

الذي ليس بوسمه ان يستغني عنهم فبحسب ، بل انه في الريف أيضاً اشياء كثيرة تُصنت فيه لحا أدواتها وعدتها يقتضي لها الكثير من الوقت والعناء والمراس الطويل لتدر على صاحبها دخلا متواضعاً يدخل المسرة الى نفسه ويعتبره مسمعاً في تحمل اعباء الحياة. ومن الامور التي استاثرت بالانتباه والملاحظة وضع عمال النسيج ، هؤلاء المهال الذين يعملون معزولين ، فرادى في القرى والدساكر ، وضع يأتي دون وضع العهال في المدن المتمركزين في المصانع والمامل ، يخلدورن المتقاليد التي سبطتها مصنوعاتهم الفنية من الابنوسيات والبرونزيات والخزفيات والزجاجيات والمنقوشات فبرزوا نخبة مختارة من رجال الفن والصنعة . وهذا العامل ليس أسوأ وضعاً من وضع زميله او رسيفه عامل النسيج في انكلترا وفي مقاطعات الفلاندر او رينانيا او سيليزيا . الا اننا نرى في بعض الاوساط التي يتمركز حولها العبال ، في المناجم مثلا او في مصانع حياكة الاجواخ او معامل صناعة الحديد ان العامل الذي يتناول اجره من صاحب المعل ثقلقه مزاحمة الابراخ و وزيد من البد العاملة بكثرة . ويلاحظ احد علماء الاقتصاد والاحرار هو ادولف بلانكي ، عام ١٨٤٨ و ان الصناعة اخذت تتمركز حول معامل ضخمة هي اشبه ما تكون بشلاقات او سرايات او اديار ، يتكدس العبال فيها المعل بالآلة ، فيبقى مثلها ، عصادت في ختبرات يصرة فيها الدور والهواء تصريداً ، يرتبط فيها العمل بالآلة ، فيبقى مثلها ، عرضة للحدثان ولتقلبات العرض والطلب ، .

فمع تباين ظروف العيش تبايناً ملحوظاً بين بلد وبلد ، وبين حرفة وحرفة ومهنة ، فمن الثابت على العموم هو إن هذه الظروف لم يطرأ عليها أي تحسن يذكر في القسم الأول من هذا القرن ، بينا تسكاليف العيش السنوية لدى الاسرة العاملة، في فرنسا مثلاً كانت دوماً بارتفاع مطرد الى عام ١٨٧٥ وما تكاد تنتهي إلى اقرار حتى تأخذ بالهبوط فيها بعدا ، فممدل كلفة الحياة يرتفع اكثر بكثير من معدل الاجر الحقيقي الذي يدفع العامل ، فمرتب عاممل المنجم الذي كان ١٥٠٠ عام ١٨٥٠ ، كان ٢٦ عام ١٨٥٠ و ٢٤ عام ١٨٥٠ و ٤٩ عام ١٨٥٠ . وقد حدث هبوط في قطاع النسيج لا يمكن تجاهله أو نكرانه . فمن ١٨ عام ١٨٠٠ هبط الى ٢٥ عام ١٨٥٠ ، والى ٤٠ عام ١٨٥٠ . والأدلة كثيرة تشهد غالباً على ما في هذا القطاع من تفاوت و تناقض ومفارقات . فالعامل في مصانع حكروس مدوس في محدينة

⁽١) راجع الكشوف البيانية المثبتة في الصفحات (٨٨ ، ٩٨ ، ٩٠) .

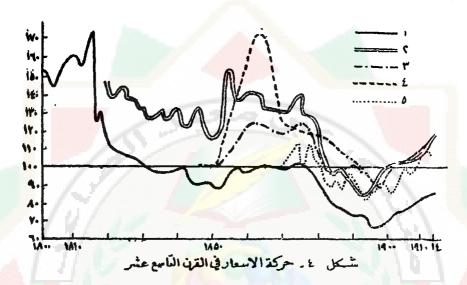
ليون الذي يعمل في صناعة الحرير ؛ هبط أجره الى النصف في هذه الأزمة — ازمة الهبوط — التي وقعت بين ١٨٢٤ — ١٨٣٠ . فدزينة المناديل في مدينة روان ؛ يتراوح تمنهب ، حسب



ا عائلة بدرن اولاد ٢ - عائلة من ٩ اشخاص في باريس - ٣ - عائلة من ٤ اشخاص (مأخوذ من الاحصاء العام في فرقسا . والدليل ١٠٠ وضع على اساس سنة ١٩٠٥ للحالة الاولى ، وعلى اساس سنوات ١٩٠٥ - ١٩٠٠ للحالة الثانية ، وعلى اساس سنوات ١٩٠٥ لعالة الثالثة .

عرض المنديل من ٥ - ٣٠ فرنكا ؟ عام ١٨١٥ ؟ بينا عبط ثمنها الى سعر يتراوح بــــين فرنك ونصف و ٤ فرنكات ونصف عام ١٨٣٠ . اما في انكلترا ؟ فعامل النسيج الذي يعمل في بيته ؟ كان ربحه في الاسبوع ؟ عام ١٨٤٠ يتراوح بين ٧-٩ شلن بينا بلغ ربحه ٣٠ شلنا حوالي ١٨٣٠ والرقم القياسي عند سويربيك يشير الى هبوط في هذه الحقبة ؟ في اسمار البضائــــع والسلع . فالرقم القياسي هو ٩٣ لفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٨٤٧ ؟ بينا كان ١١١ في السنوات بين ١٨١٨ -

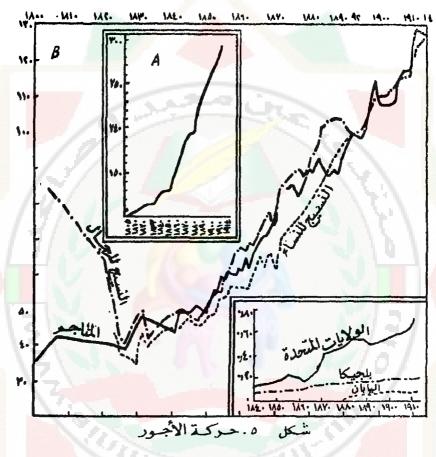
١٨٢٧، فكان باستطاعة العامل المذكور ان يحصل على الكمية نفسها من دقيق الثريد والعصيدة، بينا يحصل على نصف هذه الكمية من دقيق القمح ومن الزبدة . اما اللحم ، اما الجمة قلا اثر لها على مائدته .



```
    موفقاً لدليل سلبرلتغ وسويربيك: سعر الجلة البريطاني ( معدل ١٠٠ : ١٩٦٦ - ٧٧ ) .
    ٧ ـ سعر الجملة الفرنسي وفقاً للاحصاء العام في فونسا ( معدل ١٠٠ : ١٩٠٠ - ١٩٠١ ) .
    ٣ ـ وفقاً لمدل ستافلي جونز: الاسعار البريطانية ( معدل ١٠٠ : ١٨٤٥ - ١٨٥٠ ) .
    ٤ ـ وفقاً لجداول الايكونوميست: الاسعار البريطانية ( معدل ١٠٠ : ١٨٤٥ - ١٨٥٠ ) .
    ٥ ـ اسعار الجملة الايطالية: وفقاً لجدول فوساني: الانتاج في ايطاليا ( معدل ١٠٠ : ١٨٤٠) .
```

حري بالملاحظة هذا هذا المدد من المطبوعات التي اخذت تطلل علينا منذ عام ١٨٣٠ واصفة البؤس الذي تتردى فيه الطبقة الكادحة. ان تحديد الحياة عند العامل في مدينة نانت: « ان تحيي هو ان لا قرت كما يؤكد لنا ذلك الدكتور غيبان عام ١٨٣٥ . وهذا الوصف يشدد بالاخص على الظروف القاسية التي تكتنف العمل : حرارة مرقفة أو واطية عدم توفو النور ضيق المبنى ، ورطوبة المكان ، مضار المواد المستعملة وأذاها في صحة العامل ، لختلاط الجنسين والاعمار . ويلاحظ ادولف بلانكي « ان العاملات في مصانع كروس – روس تربح الواحدة منهن « ٥٠٠ فرنك في السنة ، بعدل ١٤ ساعة عمل في اليوم الواحد على انوال تكون معها العاملة مربوطة بسير من الجلد ومعلقة بحيث تستطيع استخدام رجليها ويديها معاً في هدده الحركة الدائمة المتواقتة التي لا بد منها لتنسج ما وزنه غالون » . وفي احد معامل النسبج في مدينة أنسسى ، جاء في احدى العرائض المؤرخة عام ١٨٤٨ ما يلى : « هغالك مراقبوت لا

وجدان لهم ولا ضمير ، يسيمون العبال والعاملات المكلفين بأشغال الوصل، الفسوة الفاحشة بحيث ان عدداً كبيراً مهما يقضون نحبهم تحت الضرب المبرح ، . ولكن اي زريبة يجد العامل عند خروجه من المعمل ? قلماون جداً أرباب العمل الذن يعنون ببناء منازل لاثقة المسكن يركن



A ـ <mark>دليل الاجور</mark> في فرنسا ، المدل ١٠٠ : ١٨٠٦ (وفقاً للاحصاء العام في فرنسا)

3 - الاجزر في فرنسا في المناجم وصناعة النسيج ؛ ممدل ١٠٠ : ١٨٩٢ (وفقاً للجداول التي وضعها ف. سميان تحت عنوان ؛ الاجر والتطور الاجتماعي والنقد) .

ر الاجور بالساعة في حياكة المنسوجات القطنية (وقعا للجدارل التي وضعها ف. فان هوت ، بعنوان : تطور صناعة النسيع في بلجيكا وفي المعالم) .

اليها الممال . فالقبو او الكهف ينتظرهم في مدينة ليل وفي ليفربول ، والزريبة في هوايتشابل ورنس وروان ، والبيت الحسرب المالي الجدران النتن الساحة في ليون . وفي الداخل فراش من

القش قلما عرف الشرشف او الحرام غطاء في الليل ، حيث يستلقي وازحين ، ثمبين ، شخصان او ثلاثة ، ويصعب عليك وصفه ، او التعرف اليه ، ما وقعت عليه انظار أعولف بلانكي في روان وشاهده مارين نادو لدى البنائين العاملين في معمل كروز ، في باريس ، او هذا المراقب على زرائب عمال الحياكة الفلانكيين . فخلال الجاعة التي اشتدت وطأتها عام ١٨٤٥ – ١٨٤٦ يأخذ العال بنبش جيف الخيل ويتناهشون في تخاطفهم الكلاب والهررة ، ويلاحظ عدد من المسافرين ان العاملة في انكلترا تنتفخ سعنتها من كرع كؤوس مشروب الجن ، كا ان شعرها وسنح قذر . وكثيراً ما يصادف ادولف بلانكي في روحاته وغدواته في روان اولاداً : وشاخوا بعد احداث ، . . . ضمرت اجسادهم وقصرت قامتهم بحيث لا يستطيع المرء ان يتبين ولو بصورة تقريبية ، اعمارهم كا يجد في مدينة ليل و صبية احدودبت ظهورهم وتقوست اجسامهم ، وشوهت اعضاؤهم ، معظمهم عرايا ليس ما يستنرون به ، وقد فشت بينهم الامراض عسل اختلاف انواعها : كرض الخنازير والزهري والتدرن الرثوي وراحت تعصدهم حصداً بعد ان تأصل فيهم الادمان على المسكرات واعتبر بناء البنات من الموارد العادية التي يعولن عليها عادة » . .

قمن اصل ٣ مواليد في باربس واحد منها يولد سفاحاً ، وواحد من ٥ في مسدينة ميلهوز ، عام ١٨٢٧ ، ويوت منهم قبل أن يبلغ الخامسة الثلث في بعض شوارع ليل . ويروي لنا أشيل بينو و أن معظم المهال يشاهدون اولادهم يوتون دون ان يبالوا بشيء واحياناً بكل ارتباح ، كا ان البعض منهم يمتبر نفسه سميداً ومحظوظا أذا ما وجد عالا له الا أن بينهم من يهرب من العمل ويتفاداه . وعلى كل فالمستعطون والمتشردون الذين لاحرفة لهم ولا عمل تفص يهم الازقسة والطرقات كا في الماضي . ان محافظة الاور واللوار كانت تضم ، عام ١٨٣٣ ، نحواً من ١١٥ ١٧٤ وفي سنة ٥ ١٨٣ ، كان من المعلوب مد يد المساعدة وتأمين الاسمافات اله ١١٤٣ من اصل ١٨٣٧ في مدينة نوجان - له - روتو و . وفي عام ١٨٣٨ ، هنالك في محافظة الشهال ٥٠٠ ١٣٣٢ عامل وي سنة ٥ ١٨٤ ، كان من المعلوب مد يد المساعدة وتأمين الاسمافات الهمال ١٩٤٠ ، وفي كتابه : وبين الماضي من اصل ٢٠٠٠ ٢٠٢ مسجلة اسماؤهم في سجلات الاحسان والاسعاف . وفي كتابه : وبين الماضي والحاضر ، يرينا كارليل انكلفرا تختنق بالغنى والـ ثراء الفاحش ، بيسبنا هنالك مليونان في اصلاحيات الاحداث ، و مده من الملاق والفقر الموروبا هو طيف الشيوعية ، كا يؤكد ماركس في بيانه ، عسدا عن خطر الاملاق والفقر المدقع .

نظيم المال المعود بعدم الاطمئنان والخسوف من الوقوع فريسة البؤس النظيم المال الماسل على الاخلاد للاستكانة والركون الى الاضطرابات المعالية المعدية المعادية ا

تكناة لم لتنظيم صفوفهم والمصود في وجه القانون الذي ينظم المنافسة الحرة في مجال العمل . وقد بقيت قوية وطيدة ، هذه الرابطات او الجعيات المهنية ، مثل: رابطة ابناء سليان المعروف اعضاؤها باسم و Gavots ، ورفاق العمل ، ودورة فرنسا وغيرها التي مها باينت بينها المسالح الخاصة لا تزال مع ذلك تشدها عاطفة من القضامن والتماضد بين ابناء المهنة الواحسدة ، والعمل على توجيههم التوجيه الصحيح .

وفي وسط هذه الجعيات والأخويات الحرفية اختمرت الفكرة النقابية التي من اهدافهسا الرئيسية السعي للتخفيف من الاضرار والاذى التي يتعرض لها ابناء المهنة : كحوادث العسل ، والمرض والبطالة ، وذلك عن طريق الصناديق الخيرية التي تفذيها التبرعات . وقد عدت باريس وحدها في عهد عودة الشرعية الى البلاد ، ١٩٢ جمية مهنية طمت ١١٠٠٠ عضو بينهم من عمال المطابع الا ان هذه الجعيات تفتح ابواب عضويتها على الاخص العهال الذين تمت لهم من عمال المفنية وبعض المهارات بعد ان توفرت لهم درجة ما من التعليم ابقظت فيهم روحا اقتصادية . واولى التعاونيات التي ظهرت في الولايات المتحدة و في انكلترا جاءت وقفا وللاوينية هذا المذهب الذي قام وفقاً لنظريات محصون في الوقت الذي طلعت في فرنسا احدى هسفه النعاونيات باسم و الرواد المنصفون ه التي اتخذت اساساً لنشاطها المبادىء التي قال بها وحمل روشدال ، كا قامت تعاونية اخرى على اساس المبادىء التي قالت بها المدرسة البوشيزيانيية التي كانت تطالب بادارة حكيمة . والاتحاد النقابي الوطني الكبير الذي بني عليه أوين آميالا كبيرة ، والذي اصيب بالتفسخ والانحلال من كثرة المطالب والاهداف التي وضعها نصب اعينه ، فلم يحن بعد طارع عهد النقابية حتى السلمية منها والنفعية .

فالمهال وأصحاب المهن مقتنمون جميمهم بالضرر والاساءة التي تسببها لهم الآلة ، فالآلة هي عدوتهم الاولى وخصمهم الكبير ومنافستهم الجديدة ، فمن انكلترا حيث عم استمهال الآلة في اوائل القرن التاسع عشر ، اطلت على دنيا العمال نزعة تحطيم الماكينات في المسانع المامل او الانسان الذي يمتمد كلياً على سواعده وقوته البدنية لكسب معاشه يقف ، وهذا أمر طبيعي ، في وجه كل قوة اخرى تزاحمه او تقف حائلا دون تأمين مميشته ، او التي تتسبب في تخفيض اجره او مرتبه ، ولذا تكاثرت حوادث تحطيم الماكينات والآلات في كل من فرنسا وبلجيكا ورينانيا وسويسرا نفسها ، فقد انطاقت الحركة من مدينة فرقيبه في آب عام ١٨٣٠ ، مطالبة و بتحطيم الماكينات ، وعمال المطابع الذين تحردوا ضد الملك شارل العاشر في تحسوز ١٨٣٠ ، راحوا يطالبون بعد ذلك بسنة ، بالتخلي عن المطابع الآلية .

فالعهد عهد غليان يلف الريف والمدينة على السواء. وقد انضم عمال الكرمة في مسدينة بيزنسون الى المظاهرات احتجاجاً على توحيد الرسوم ، عام ١٨٣٠ . والثورات البلجيكية التي نشبت في السنوات ١٨٤٥ - ١٨٤٦ في المقاطعة النائكية عمت المجتمعات الريفية كما عمت مدينة

غَنت . وهذه الفتن والاضطرابات التي تكرر وقوعها لا يقوم بها العهال الفعامون في مناجم انزين او اللوار او الفعامون في المناطق الانكليزية ، بل ايضاً اصحاب الحرف والعهال المياومون العهاماون في المرافق الزراعية . وهكذا نرى العسهال يمسكون عن العمل ويضربون في ولايات البيامونت ولمبارديا والبندقية ، في الاشهر الاولى من سنة ١٨٤٨ . وقد برزت الحركة تظاهرة في الشوارع في الثورة الكبرى . فالعمال والصناع ينضمون الى في الشوارع على شاكلة مظاهرات الشوارع في الثورة الكبرى . فالعمال والصناع ينضمون الى اصحاب الدكاكين والخازن والمستودعات والى جماعات البورجوازيين في الفتن اليق وقعت عام امحار ويثورون لشؤونهم الخاصة عسام ١٨٣١ وفي حزران ١٨٤٨ .

قم<mark>عت السلط</mark>ة الفتنة التي نشبت في ليون عام ١٨٣١ بعد مــا لاحظ المما<mark>صرون ما</mark> للحادث من خطر وشأن . فقد كتب سان مارك جيراردن حول هذه الحادثة في جريدة الديبا قائلا : ان الفتنة التي نشبت في ليون|ظهرت للناس امر<mark>اً خفياً ه</mark>و هذا الصراع الداخسلي في مجتمعنا والقائم بين طبقة الملاكين وطبقة الفقراء المعوزين . . . وراح يشهر بد هؤلاء البرابرة ، ؛ من نوع خاص الذين ﴿ يَشَكُّلُونَ خَطَراً ﴾ على هذا الجمتمع ﴿ والقائمين في ضواحي مدننا الصناعية وأرباضهما ﴾ . وهذه الكلمات ردد صداها ماركس في كتابه : « بؤس الفلسفة ، حيث جاء « فالبربريه أطلت برأسها من جديد وطلعت هذه المرة علينا من احشا<mark>ء حضارتن</mark>ا واصبحت من اجزائها المقومة ». وهذا لا يمني قط ان نظرية سياسية جديدة هي التي تحفز المال في صناعهة الحرير ، هؤلاء « المنبوذين » كا يصفهم لامرتين ، بل هذه النقابة التي دعا الى تأسيسها معلو الورش والمسانع للحد من تعنت تجار الحرير والتي تعمل من وراء العمال وتعتبرهم رفاق عمل . الا ان حل ما لتأمين خبزنا اليومي ، ولتوفير العمل لنا ، كا يصرحون . ولما كانوا يخشون عاقبة الحركات التي يقومون بها ، نراهم يتراجعون عن موقفهم ويفسعون بذلك الجيال للجنود لاسترجاع المدينة التي سيطروا عليها مدة من الزمن . فقد اسفرت هذه الحركة عن سقوط اكثر من الف بين قتسل وجريح ، الا أن اثنين حكم عليهما بالشنق بعد أن قبض عليها الثوار وهما متلبسان مجرية النهب والسلب . ومن المسلاحظ انه لم تقع حوادث عنف على اصحاب المتلكات الخاصة او العامة

وباستطاعة انجلس ان يشدد فيا بعد <mark>فائسبلا : و ان الصراع الطبقي بسبين البروليتاريا</mark> والبورجوازية برز الى الصف الاول في تاريخ اكثر بلدان اوروبا تقدماً وتطوراً » ·

واذخشي محافظ الرون ان يرموه بتهمة الضعف، رفع الى اولي حرية المعل والنضال دونها الأمر تقريراً مسهماً جاء فيه: هنالك بين ٢٠٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠٠ من العمال كانوا بالفعل يتضورون بؤساً . فلم يكن بالامكان مقابلة مظاهرتهم السلمية اعراباً عن

مطالبهم المشروعة باطلاق النار عليهم الا اذا كنا بالغمل ننوي افتاءهم بالجملة ، فقد بلغ من شدة خوف اصحاب الاملاك ؟ في باريس ؛ عام ١٨٣٤ ان راح تبير يعلن عالياً : « لا مكان للرحة قط » ؛ كما راح الجنرال بوجو يصرح بدوره : « يجب قتل الجميع ؛ لا رحمة على الاطـــــلاق . كونوا بدون شفقة . . . يجب القضاء على ٣٠٠٠ من العصاة » . واذ ذاك توقفت مذابح شارع ترانسنونين . وقد جاءت حركة القمع ؟ عام ١٨٤٨ ؛ أشد منها واقوى .

فالحافظة على النظام انما تعني التسييج حول العمل ومنع او حظر كل ما يسه او يوقف. فالتشريعات الاجتاعية التي صدرت اذ ذاك في اي مكان ، انزلت الاعتصاب بمنزلة الجناية ، كما ان اي اخلال بالقوانين التي ترصي باحترام الملكية وصيانتها كان جزاؤه التوقيف، وربما السجن مم الاشفال الشاقة . وقد تناولت احكام من هذا النوع ، بضعة آلاف في السنة الواحدة .

فالجمتم غير ملزم بمساعدة من وقع فريسة العوز و توفير ما يؤمن أوده دون ان يقوم بأي عل. ولهذا استمرت انكلترا في اخذها بنظام فرض الاصلاحيات على الخالفين . فالحركة الاصلاحية التي ادخلت على و سجن البؤساء المعدمين » عام ١٨٣٤ هي من بعض نتائج المساعي الحيدة التي قام بها المتأثرون بتماليم بنتهام ، والمنشقون عن الكنيسة الانكليكانية في انكلترا والاحرار من اتباع المساعلة العصل المساعل المساعلة الاحرار من اتباع المساعلة الاحباري » والتشغيل في المدينة والمهاجرة . وهكذا نستطيع معوبة عملية الاختيار بين العمل الاجباري » والتشغيل في المدينة والمهاجرة . وهكذا نستطيع ان نتنهم اليوم بصورة ادق تعلق المحافظين الالمان بالروح التعاونية النقابية القديمة » هذه الروح التعاونية النقابية القديمة » هذه الروح التي عرفت كيف تصعد في وجه الاجراءات الاصلاحية التي حصلت بين ١٨٠٧ — ١٨١٧ والتي رؤي اكثر من مرة جعلها الزامية .

اما في فرنسا حيث القوانين المعمول بها تحول دون بعث الروح النقابية ، فقد راح بعض من الكاثوليك يقترحون، بعد ان تبينوا العجز الذي يشل عمل المؤسسات الخيرية الفرنسية ، الاخذ بطريقة التحكيم وتشكيل مجالس نقابية مختلطة وانشاء تعاونيات . و علينا ان نشجع العامل على استكمال تهذيبه خلقياً وعلى اكتساب طبائع اكثر انسانية وذلك عن طريق تقوية وسائل التملك والحيازة عنده وانشاء توقيرات له ، . هذا ما كتبه زوبير الكلفيني ومن رجال الاعمال في الألواس . ففي كل مكان ترتفع الدعوة مطالبة بالادخار والترفير .

وقد عدت انكلترا نفسها مجدرة الحظ اذ انها تقدمت غيرها من الدول في وضعم قوانين العمل في المصانع، هذه القوانين التي خولت العهال حق الاحتكام لدى السلطات العامة عندما يتجاوز ارباب العمل حقوق الحريات المعاة لهم، وهي قوانين ترمي لحاية الولد . وبالرغم من انشاء هيئة تفتيش خاصة بالعمل ، كثيراً ما عبثوا بالنصوص المتعلقة بسن تشفيل الاولاد ومدى يوم العمل وضربوا بها عرض الحائط، ولا سيا الامتناع عن تشفيلهم ليسلا ، فيغضي المفتش او المراقب ما مور الشرطة عن المخالفات . وصدر قانون جديد ، حدد بهرجبه يوم العمل للولد

بست ساعات ونصف ، و ١٢ ساعة النساء اللواتي حظر عليهن العمل في المناجم منذ عام ١٨٤٠ كما انه عملا بأحكام الوثيقة ، نشطت الدعاية لاصدار قانون يجعل ساعات العمل في اليوم عشر ساعات فقط . واتخذت بروسيا الاجراءات الاولية التسييج حول مصلحة العمال الصغار ، الا انها جاءت غير وافية بالمرام . اما في فرنسا فاذا مسا وقفت المؤسسات التشريعية الى جانب ارباب العمل لعدم وجود دائرة خاصة تعنى بالتفتيش ، فلم يكن هذا الموقف ليملي عليها وجوب النصرف في مصلحتهم . ولذا فقد اقرت الجهورية الثانية قانون العمل بد ١٢ ساعة عمسل في اليوم .

احلال المدرسة محل المصنع ، سياسة تتفق ومتطلبات التقنية والاخلاقية . ففيزو البرتستاني يلتقي هنا مع مطالب النحل الانكليكائية البريطانية . ولذا راح يقترح عام ١٨٣٣ المباشرة بتعلم مدرسي يتولاه اعيان من رجال الدين والدنيا . و لتحسين وضع العال يجب قبل كل شيء تنقية نفوسهم وتوطيدها وتنويرها » . وراح مسيحي آخر مشهور هو مونتلمبير ، يعلق على هذه القضية قائلا : و هنالك شيء ما تم في فرنسا مع تقدم التعليم العام : هو الحركة الاجرامية » .

الرومنطيقية الاجتباعية وانبياء المدينـة الفاضلة

ما لا مراء فيه قط ان الجريمة الاجتاعية تـــ لاقي السخط في اصحاب الضـــ بائر الحية ، وتهيج المشاعر في القاوب الحساسة . وهذا الشعور الغامض في اعماق النفس يستحمل ، شيئه فشياً

عاطفة انسانية عارمة كا ان الرومنطيقية الوطنية تحتدم جدوتها امام التهمة التي يرمون بهسا الوطنيين من انهم سيبقون غير مبالين بنداء الوطن . فالجميات والهيئات العامسة في حقل الاصلاح الاجتاعي كثيرة هي، ولكل واحدة شعاراتها وتعاليمها ومراسمها ، وكلها تنطق باسم المسيحية وتنزل الله على الارض وترسم لنا صورة السيد المسيح متسربلا بلباس الثوار ، بزي ابن البروليتاريا . فعلى البشارة الجديدة ان تعلن ويكرز بهابانتظار اليوم العظيم . فبعد اعلان حقوق الانسان وبعد اعلان البيان العمادر عن Les Egaux ، يطل علينا قانون ايان السان سيمونيين وبيان الفورياريين المعنون : و الديموقراطية المسالمة ، الى جانب الكتاب الذي اصدره برودون بعنوان : و ما هي الملكية ،؟ الذي يخاطب فيه الطبقة الرابعة على شاكلة الاب سييس في تساؤله : و ما هي الطبقة الثالثة » ؟ ريثا يطلع علينا البيان الشيوعي والبيان المروف ببيان الستين وبيان الدولية الاولى .

والشعراء الفنانون ، كل منهم مؤمن برسالته . فقد جمع احد رجال المال المعروفين هو اولند رودريغس من اتباع السان سيمونيين ، عام ١٨٤١ ، تحت عنوان : « قصائد العال الاجتاعية ، نخبة من قصائد عامل القبعات كاود دسبو ، وقصائد الساعاتي لويس فستو ، والاسكافي دي لابوانت ، وعاملة التطريز اليزا فلوري ؛ والشاعر الفنائي بيرانجيه قسدم لهم ديوانه الشعبي : « حورية القوافي » ؛ ووضع لامنيه على شرفهم « كتاب الشعب » ، وهوغو يطمئنهم من جهته

ويؤكد لهم قائلا: و نحن كلنا عمال ، حتى الله نفسه . والفكر عندكم يجهد فوق ما تجهسد اليد وتنعب » . ولو كوفت دي ليل ينشر في جريدة و لافالنج » العديد من القصائد ؛ والموسيقار ليست يضع للمزف قطعة يسميها و ليون » ويقدمها العبال في صناعة الحرير ، تخليدا لثورتهم و لامرتين يكرس لهم احدى مؤلفاته (Harmonies) ويتدح عالياً في مجلس النواب المثل الوحيد لطبقة الحظ الحاق .

هنالك عدد كبير من الكتاب في المانيا الفتاة ؟ امشال بورن ؟ وهرويم وفريليغراث يمبرون عن مثل الجاهير الشعبية ومطالبها؟ والبؤس الذي يرسف فيه المهال اوحى الى توماس هود د انشودة القميص ؟ كا اوحى لإليوت و قوافي قانون النمج » ولديكنز اروع المشاهسة التي تهز المشاعر ، بعنوان : و الازمنة العصيبة » ولدزرائيلي روايته المشهورة و Sybil » السق تمور صفحاتها بالالوان والتي تدور حول واجبات الطبقة الارستوقراطية » اذ من اولى واجبات هذه الطبقة عدد ولا رحمة . واستطاع هذه الطبقة مديد رفيقة البائس ضد البورجوازي الذي لا شفقة عنده ولا رحمة . واستطاع هرزن من ان يثني بكلنسكي عن مثاليته الفن الفن بحيث يكن المزيد من العطف على الشعب واسوة بمارات » . وراح ايوتفوس ينادي بتحرير اليهود ، والغاء النظام الاقطاعي في هنفاريا ، واسوة بمارات » . وراح ايوتفوس ينادي بتحرير اليهود ، والغاء النظام الاقطاعي في هنفاريا ، وتصوير المجتمعات التي يخيم عليها البؤس اتخذ هو الآخر اتجاها مثيراً » بينا حرص الطليميون في الحركة الرومنطيقية على الباس الاخلاق المهالية شحكلا مثالياً . وعلى مثل هــــــــــا النهج سار وضعوا اصبعهم على الداء .

وهذه المرأة التي يشتد التعلق اليها والتي لا تزال مضطهدة ومزدراة في الجتمع ، تعبر بدقة عن مطالبها الرئيسية . فلاخوات برونتيه سلقن بألسنة حداد ما تخفيه التقاليد المرعية من رياء . وتروي لنا فلورا تريستان هذه المرأة السفاح التي عرفت زواجاً مشؤوماً ، قصة حياة بائسة . ويشدد السان سيبونيون على وجوب تحرير شريكة الرجل وقرينته . ويطالب كتاب معروفون امثال جورج صافد ودانيال سترن غير مبالين بهزء الهازئين وعذل العاذلين ، بحق المرأة في التعلم وحقها كمواطنة . وتقدمت نوادي السيدات وجمعياتها ، عام ١٨٤٨ بطلب المساواة وبالزواج الحر المبني على الحب المتبادل .

وقد رؤي ؟ تحريراً للرجل ؟ ان يصار إلى تنظيم الجتمع من جديد. وهكذا قامت حركة رجعية شد التحررية الطبيعية تمثلت في هذه النظريات والآراء حول التعاون والتعاضد. والسان سيمونيون يوصون باستخدام الدولة في هذا السبيل بعد ان يجردوها من شكلها السياسي؟ كا يستخدمها لويس بلان لتحقيق الجمعيات المهالية ؟ الا ان أوين ينصح ابناء البروليتاريا بان يتديروا امرهم بيدهم وان يحكوا جلام بظفرهم ؟ ومدرسة فورييه لا تعتمد الا على التجمسع الواعي او التلقائي ؟ كا يوص برودون من جهاته بالاعتاد على تبادل الحدمات. ومعظم هذه

المذاهب الاجتاعية كا يبدو اما انها لا تعلق اية اهمية على الآلة او الماكينة واما انها تمحس بوضوح النزعة العهالية . فهي تتمنى على العموم سعادة هادئة في احضان الطبيعة . وانبياء المستقبل السعيد هؤلاء المسالون و يرمون الى انقاذ البشرية من الاضطرابات ومن تشتيت القوى جزافاً بشكل لا يقل بشيء عن رغبتهم في انقاذها من البشاعة . فسات سعون يشجب و استثار الانسان للانسان و وهو اصطلاح يتبناه الكتاب وعضي مثلا في الارض و ويدعو كلا من المهندس والصير في والعامل الى التعاون العام التغلب على البؤس . وهذه الشيوعية التي نادى أوين وكايه والتي تفتر عن بسمة الامل لا تقل رضى عن الدعوقراطية المسالمة التي نادى بها أتباع فورييه وعدوة العنف . ومقابل و الانسجامات الشعرية وللمرتين والانسجامات الاقتصادية ليستيا وعب ان نذكر الانسجامات الاجتاعية التي قال بها اصحاب هذه النظريات فراح البعض يصفهم بأنهم غسير واقعيين او عليين و اذ انهم كا يقول فيهم انجلس: و لا مندوحة لهم من التعويل على المقل لوضع اسس بنائهم الاجتاعي الجديد، فالخط الذي رسموه يلتقي بتومان مور عبر فلاسفة القرن الثامن عشر .

من بين هذه النداءات التي طلمت علينا ، هذا النداء الذي ماركس وردة الفعل التي قام بها أحدث اكبر واضخم دوى في العالم والذي اطلقه ماركس بعنوان: ﴿ نَدَامُ الْحَرْبُ الشَّيُوعِي ﴾ بعد ان تعاون على وضعه في اواخر عام ١٨٤٧ ﴾ كل من كارل ماركس وفريدريك انجلس ، كلامما عضو في هذا الفريق الثوري الالماني ، من سكان مقاط<mark>مة</mark> رينانيا ؟ العامل في المنفى . كان ثانيهما ابن عامل يعمل في صناعة النسيج ، نشر بحثًا بعنوان : وضع الطبقة العاملة في انكلترا ، عقب اقامته القصيرة في منشستر درس خلالها التنظيم الذي كانت عليه الصناعة في تلك البلاد. و فقد ظهر له - كا يؤكد لنا - بأن الامور الاقتصادية التي لم يعرها التاريخ ؛ حتى ذاك ؛ أي وزن وكاد يهملها بالمرة ؛ تؤلف ؛ أقسله في عالمنا الحديث ؛ قوة تاريخية حاسمة هي اساس الصراع القائم اليوم بين الطبقات». أما الاول منهما ؟ فهو سليل اسرة بورجوازية من اصل يهودي وعلى مذهب هيغل الفلسفي ، خرج من نقده للمثالمية التي قال بهـــا هيفل على نقد الاقتصاد السياسي . فبعد أن احتفظ من الفلسفة الهيفيلية بالنهج الديالكتيكي الذي يحسب حساباً كسراً للحقيقة المتفرة وانتهى القول بفلسفة مادية غير اختلافية ولا فردية - كما يقول النفعيون - بل تاريخية؛ أي أنها ترى في العلاقات الاجتاعية القائمة نتيجة احتماجات انسانية وذرائعها المتحركة . وبعد أن اتخذ موقفاً له المبدأ القائل : « بأن ليس ضمير الانسان هو الذي يحدد نهجه في هذا الوجود ، بل ان النهج الذي يسير عليه الانسان هو الذي يحسمه ضميره ، ، راح يؤكد مم الجناح اليساري الهيفيلية ؛ أن الانسان هو الذي يخليق فيه فكرة الله وليس الله هو الذي يخلق الانسان . وهكذا وصل الى فكرة تحول الانسان . وهذا التحول ليس

٧ . القرن التاسم عشر

المستمر المطروف الخاصة التي تكتنف حياته . فاذا ما رأى نفسه ، في آخر المطاف مضطراً ليعلن في بيانه وبأن تاريخ المجتمع البشري برمته ، لم يكن حتى يرمنا هذا سوى تاريخ طبقاته المتصارعة فيا بينها ، فلأن هذه الطبقات تتكيف وهذه الفئات الاجتاعية هي التي تتصارع فيا بينها، وصولاً منها المتحكم برسائل الانتاج . ففي مجتمعنا البشري اليوم يقوم صراع بين الطبقة البورجوازية والطبقة الاقطاعية ، كل منها تعتمد نظاماً اقتصادياً خاصاً بها . فبمجرد استيلائها على الملكية المقارية ، تولف البورجوازية ، بلضرورة ، طبقة غاصمة او منازعة ، بيسنا تروح البروليتاريا تسعى بالضرورة ، هي الاخرى ، تأمينا لحريتها ، القضاء على هذه الحصومة التي تسببت بانشاء البروليتاريا . وقد تبين ماركس في الدولة الحديثة ذريعة او آلة في خدمة الطبقة المسيطرة . ففي تحطيمه لها تحرير بالمثالي ، للانسان . الا ان الفرد لا يمكن ان يتحرر الا ضمن طبقته وبواسطتها . نحن هنا امام غائية انسانية يرجى معها ان يبلغ الفرد البشري تفتحه الكامل في مجتمع لا افر الطبقات فيه . ففي البروليتاريا مناط هذا الامسل المسول . ومع المناطها مبدأ المدالة ، فالماركسية لا تتعرى ، والحالة هذه ، من كل مثالة .

ومهها جاءت فكرة ماركس ونظريته الفلسفية اصيلة فهي تتصل بنظريات ريكاردو حول الدخل والربح والاجر ، ونظريات سيسموندي حول تجريد الرأسمالي لصاحب الاجر ، من كل شيء . فهي تعيد الى الاذهان اقوال بيكور الذي كثيراً ما ردد بأن الآلة تفضي الى الحشد في الصناعة ، وهذا الاخير الى وجوب وضع آلة الانتاج تعت ملكية الجتمع وسيطرته . فأمام ما نرى من مفارقات البذخ والبؤس في البلدان الأكار تطوراً في اقتصادياتها التي تنهض على التبادل التجاري الحر ، نرى بالاضافة الى ذلك ، هذا الاقتصاد يحيش بعوامل وتفاعلات ثورية من جراء تصادم الجتمعات الديموقراطية والراديكالية ، والمعقوبية والوثائقية . فلا يمكن فصمها عن هذه الحركة الدولية التي تعمل ضد النظام القائم الذي الخذ عساوره الكبرى في كل من لندن وبروكسل ولا سيا باريس . فقد كان لاقامة ماركس في باريس ومكثه الطويل فيها ، تأثير عميق على بنياته السياسي .

الديو قراطيون والثوريون الراديكالية والوثائقية

تجر العجلة الصناعية التي تزداد سرعة يوماً بعيد يوم ويشكل لا يقاوم (ميشليه ، ١٨٣٤) وراءها القوى الديدوقراطية التي تمتمدها الروح التحررية في صراعها ضد النظام القديم ،

وادهى ما تخشاه هو ان يتم طلوعها . وهكذا تسببت البورجوازية في بعث الطبقة الرابعـــة ، وليس من يدري قط ما اذا كان بالامكان تأمين الاتفاق فيما بينهما ، وفي اي مكان ، في هذه الشعوب التي تعتمد النظام النيابي او التمثيلي .

ليست الديموقراطية في الظاهر سوى فرد تشبع بالروح التحررية ويسلم بالاقتراع العــــام . وصوت الشعب هو من صوت الله ، هنف الشاعر، وعبثًا يتحدث لامرتين عن القفز في الجهول،

فهو لا يسمه الا التسليم بأن الامر قضي به على هذا الشكل. يحدثنا كورمنين عن و الايمان بسيادة الشعب ». ولكن هذه الرمزية ، يعترف ارستوقراطيون مشهود لهم بالاطلاع الواسع امثال شاتربريان وتوكفيل ، بما لها من قوة وسحر ، لنهوضها على المنطق واعتادها عليه . فالاقتراع الشعبي المستنير المثقف ، من شأنه أن يعي ، في اضعف الايمان ، من العنف ، وأن يطأطىء برأسه امام الكفاءات .

فهما بلغ من غموض النظام الجمهوري ، فالمعاصرون الذين عاشوا تجربته المريرة يعيدون الى الاذهان ، ذكر الحوادث الكالحة التي حدثت عام ١٢٩٣ . اما في ايطاليا والمانيا ، فعظ هذين البلدين منها مربوط بقدرتهما على تحقيق وحدة الامة . كذلك شأن اي انسان يرد الحروب الى خناقات الملوك بعضهم مع بعض ، يتعنى من الصميم طلوع عهد الجمهورية العامة .

أما فرنسا ، فالبلبلة السائدة فيها يغذيها هذا الوضع الديموقراطي الخساس القائم على النظرية النابوليونية . صحيح ان روبسبير وسان جوست ، لهسما هما الآخران ، انصارها ومريدوها . غير ان نابوليون فهو يتمتع في البلاد بشيءاشبه ما يكون بالعبادة وقد رسخت على الأصل واعرقت بين صفوف صفار القوم على الاخص . ففي حسالة وقوع اي اضطراب ، فالوريث الشرعي لهذه الاسطورة التي تأخذ بمجامع القلوب يبرز للجميع كالمنقذ الوحيد للنظام ، هذا النظام الذي يراه قادراً على الخلق والتجديد . فاللبس والغموض يفيدانه ويزيدان من الحنين اليه والتلهف عليه . د عد نابوليون ، وانزل قصرك وكن ابناً باراً للجمهورية ، ، هذا ما كانت تردده احدى الاغنيات الشعبية ، عام ١٨٤٨ .

فاذا لم يقم في انكلترا ما يس بماطفة الولاء النظام الملكي ، هذا النظام الذي وطد اركانه وشدد من دعائه حكم الملكة فكتوريا السديد وادارتها الرشيدة ، فالقلق الاجتاعي المسيطر على البلاد يضع وجها لوجه هذا النصف مليون من اثرياء القوم هنالك، اصحاب الامتيازات والاعفاءات ، مع هذه الملايين الثانية من الفقراء الموزين . فقد ساد تلك البلاد مزاج خاص من الراديكالية المتصلة بجبل وثبق بالبيوريتانية المتزمتة التي يتردد على لسانها القول المأثور : الممل صلاة ، شعار ديوقراطية الاكفاء أمام الله . وبفضل الحالة الفقرية الآخدة بالاحتدام ، وستبد بالأفكار اكثر فأكثر، فكرة الصراع الاجتاعي المكشوف الذي يدعو اليه علانية فرغوس اوكنور ، وفرونتير اوبريان ، وكلاهما ابرلنديان ، ومن ابناء ايرلندا المتحررين ، راح الاخير يترجم الى الانكليزية كتاب بيونار وتي عن بايوف ، فربط بين براءة الشعب التي تطالب بالاقتراع العام ، والفاء طبقة اللوردات ، وبين وثبقة اعلان حقوق الانسان التي صدرت في فرنسا عام ١٧٩٣ . غير ان الصدام العنيف المتوقع لم يحدث وذلك لاضطرار زعاء الوثيقة المتسليم بأن كوبدن وبيل بكسبهما معركة الرغيف بسعر رخيص ، اقاما الدليل على ان امام النبطام الرأسمالي دور كبير بحب ان يلعبه ، فانجلس الذي وضع آنذاك كتابه حول الطبقة اللنبطام الرأسمالي دور كبير بحب ان يلعبه ، فانجلس الذي وضع آنذاك كتابه حول الطبقة النبطام الرأسمالي دور كبير بحب ان يلعبه ، فانجلس الذي وضع آنذاك كتابه حول الطبقة النبطام الرأسمالي دور كبير بحب ان يلعبه ، فانجلس الذي وضع آنذاك كتابه حول الطبقة النبطام الرأسمالي دور كبير بحب ان يلعبه ، فانجلس الذي وضع آنذاك كتابه حول الطبقة المنبطة النبطاء المنبطة النبطاء وضع آنذاك كتابه حول الطبقة المنبطة الم

الماملة في انكلترا ، وماركس عضو العصبة الشيوعية فكرا عمية ابنتائج موقفهما هذا . وهكذا ختا ببانهما بالدعوة الى تضامن البروليتاريا في جميع انحاء العالم هما بحاجة لمناصرة الثورة وللوقوف الى جانب الثوار في القارة . فاذا ما راح الراديكاليون في فرنسا على طريقة لودري مرولن ، يشجبون بحماس ، اكثر بما جرى في المانيا ، الاشتراكية (استعمل هذا الاصطلاح لأول مرة ، عام ۱۸۳۷) فلم يتورعوا عن التحدث عن الجمهورية الديموقراطية والاشتراكية . ومهما يكن ، هنالك في باريس اوغست بيانكي وانصاره ، وكلهم شيوعيون ملحدوث ، يمتقدون بوجود مؤامرة انقاذ . والحال فقد لعب فيليو بيوناروتي ، حتى ساعته الاخيرة ، يمتقدون بوجود مؤامرة انقاذ . والحال فقد لعب فيليو بيوناروتي ، حتى ساعته الاخيرة ، ودراً بارزاً ، اذ كان بمثابة اداة وصل بين جمية الفحامين والبيانكيين والوثائقيين ، وبسين البعوبين والبابوفيين من أنصار الثورة الفرنسية ، وبين دعاة البعقوبيسة الجديدة وانصار البابوفية الجديدة الذين أخذوا يعون اكثر فأكثر ، القطيعة القائمة بين البورجوازية والبرولتاريا .

عهد الجمعيات السرية والدسائس وفورات الشوارع في اوروبا الغربية

في عهد سيطرة الحلف المقدس ، راحت المنظمات والفئات السرية التي وضعت نصب اعينها تقويض السلطات القائمة وهدمها ، تنظم صفوفها في الحفية. وقسد رمت من وراء

نشاطها السري هذا الى توفير عنصر المفاجأة ، وبغتة أطلت الفتنة برأسها ان لم نقل حركات الانقلابات العسكرية . انها أمر ضروري ولا شك ، ولكنهامزاج خاص ايضاً . فالرومنطيقية تتمشق الطلام والانقلابات المسكرية .

فاذا لم يكن من الراجع؛ الظن بأن مؤامرة ماسونية كانت وراء ثورة عام ١٧٨٩ فليس ما يؤيد الادعاء كذلك بأن الماسونية هي التي بيتت للحركات الثورية التي وقعت بعسد الثورة الحجرى بأربعين او بستين سنة . فقد اقامت لها علاقات صريحة مسع الحكومات منذ اليوم الذي تقدمت منها بطلب التساهل الفعلي . فهي ثورية المسلك والطابع ، في هذه الاقطسار الواقعة الى الجنوب من اوروبا ، تحديا منها لهسنده النظم الملكية الكلسية او المستبدة التي تنتصب في وجهها وتسد عليها الطريق . فقد جعلت فلسفة الانوار منها في روسيا ، حركة عافظة تحترم النظام الجاري الاخذ به . ومما لا شك فيه مع ذلك ان الثورة الموصوفة décabriste عام ١٨٢٧ ، بعد ان استمرت عافظة تحترم النظام الجاري الاخذ به . ومما لا شك فيه مع ذلك ان الثورة الموسوفة المتمرت التي انطلقت عام ١٨٢٧ ، بعد ان استمرت البابوبة ، منذ القرن الثامن عشر على شجب الماسونية بعنف كلي وتحريها . ولذا استمر الصراع بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية . وهذه المنظمات او الجمعيات التي نعتها كل من السابوات إقليمس الثاني عشر ، وبندكتوس الرابع عشر ، وضارة ، تؤذي ليس فقط باستقرار الدبان وهدوءها ، بل تؤلف خطراً شديداً على النفوس ، .

فغي البراءة الرسولية التي اصدرها البابا ليون الثالث عشر عام ١٨٣٦، ويلاحظ ان من هذه

الجمعيات الماسونية القديمة التي لم يفتر لها نشاط قط ، طلعت علينا عدة جمعيات سرية اشد كراهية منها ومقتاً ». فيذكر منها منظمة « الفحامين » التي « وضعت نصب اعينها قلب الحكومات الشرعية والقضاء على الكنيسة » . رأت جمعية الفحامين هذه النور في مملكة نابولي واستطاعت ان تقيم لها شبكة من الفروع غطت كل ايطاليا وامتدت الى كل من فرنساو اسبانيا . وقد عرفت ان تكتسب لها اعضاء كثيرين بين افراد جيش نابوليون . حاولت هذه المنظمة عام 1۸۲۰ - ۱۸۲۱ تتظيم فتنة ضد الشرعية في فرنسا . وبالقابل نشطت دعاية قوية في الاوساط العسكرية ، في كل من بولونيا وروسيا . واثارت بمناسبة وفاة القيصر اسكندر الاول فتنة (décabriste) . الا انه انطلاقاً من ۱۸۳۰ ، اقتصرت الانقلابات العسكرية على اسبانيا . وحدها . والمطالب الشرعى بالعرش النابوليونى ، حاول عبثاً مرتين مفادرة جزيرة ألمها .

ففي هذه الجمعيات ذات النزعة الجمهورية التي تكاثر وجودها ، لا تزال روح الفحامين تتمرها وتسيرها . فالغاية المتوخاة من الدس والتبييت الاعداد لانقلابات جديدة . وكلما توارى المنصر المسكري عن الانظار بتواري وقدامى ، الحروب المظفرة ، ازداد بالتالي اقبال المناصر المستنيرة واعضاء المهن الحرة وحق العال على الانخراط في هذه الجمعيات التي جاشت في نفوس اعضائها فكرة الجمهورية الديموقراطية والاجتاعية .

ولما كانت اقلية ضئيلة من اصحاب الامتيازات هي التي تستأثر بالسلطة ، كان يكفي على ما يبدو لاسقاطها ، مهاجمتها على حين غرة . « فيوم » الثورة ، حيث يصفى الوضع في بضع ساعات - هو عبارة عن حرب في شوارع العاصة . فخطط المدينة تستجيب جيداً لمحارب خيش نظامي يضطر للتناور والتحرك بين الاحياء والحارات والمنازل المرتفعة ، وهو أعجز من ان ينتشر او ان يستعمل بنجاح المدفع ، بينا يسمى الثوار من جهتهم ، الى تحويل هذه المنازل الى جصون مرتجلة يطلقون النار منها على افراد الجيش بنجاح او على الواقفين امام الشرفات او على السطوح .

والمهم في هذه الفتنة المتاريس التي تقام في الشوارع, فأمر اقامتها يسير اذ يتخذ منها الثائر ملجاً يطمئن اليه ويخلق منه مركز دفاع جديد لا يمكن القضاء عليه بنيران البنادق ويحد من تقدم صفوف الجند الذين يحاولون اجبار الحي على التسليم كا يساعد الثوار على الالتفاف حول المباني الحكومية للاستيلاء عليها . ووضع حد الفتنة المشتعلة المسلحة يقتضي الجيش المزيد من الضحايا الا اذا ضعفت المقاومة امام عناد الثائرين وصودهم . ففي الحالة الاولى تطلع علينا المذابح الهائلة ، في باريس عام ١٨٤٨ ومعارك فيينا في تشرين الاول ١٨٤٨ . ثم يتدخل عنصر التهدئة على طريقة هوسمان وينتهي الامر بسيطرة المدفع . اما في حال نجاح محاولة الانقلاب هذه ، تأتي الخسارة في الارواح اقل . وتتوقف اعمال القتل مع توقف الحرب واعمال المقاومة . ان قم الفتنة وانكسارها قد يؤدي الى هدر دماء كثيرة ، ويزج الالوف في السجون ، كما

أن عدد الذين يأخذون بالنزوح الى الخارج ومفادرة البلاد فسيتضاعف يوماً بعد يوم .

تهجرون قبلنا هذه الارض اللمسنة بعد أن يقف ألله فيها إلى جانب الاقوياء حيت الفقير يرسف في السرداب عبداً وترذل ذريته وحنث الجاعة لا تستطب الا بالموت الزؤام

(لربس مينار وتحمة الثوار ، حزيران ١٨٤٨)

فعهد الثورات الذي اطل علينا عام ١٧٨٩ ، لم ينته بانتهاء الثورات الاوروبية ١٨٣٠ - ١٨١٨ نابلىون .

فالمزة العنيفة الاولى التي تعرض<mark>ت لها مق</mark>ررات مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ، وقعت ١٨٢٠ --١٨٢١ ، وهي هزة تعرضت لها بالاحرى مقاطعات الجنوب المتخلفه في تطورها ، ولم يليث أن قمم التدخل المسكري هذه الفتن التي قامت في شبه الجزيرة الايبارية والايطالية على اكتساف الهلمات ضعيفة العدد والعُدد . الا أن الثورة التي انطلقت في اليونان طال حبلها وأنتهت بالفوز يفضل اطباع الدول الكبري المتنافسة في المنطقة ، امثال روسيا وانكلترا وفرنسا .

اما النورات التي شبت عام ١٨٣٠ – ١٨٣١ ، وفي سنة ١٨٤٨ – ١٨٥٠ ، فقد ارتفع لهيبها عالماً فاكتوت اوروبا بنيرانها اللافحة . ولم يبق في مأمن منها غير الامبراطــورية الروسية . والسلطنة العثانية التي لم تنج من الحريق ومن سقوطها فريسة بيد محمد على ؟ صاحب مصر ؟ الا بفضل دسائس الدول الكبرى . ومما لا مراء فيه هو أن التوقيت المتزامن لم يكن من الدقة عبيث تستقيم له اسباب النجاح . فاسبانيا والبرتفال اللتان لم تمرفا الاستقرار طويسلا عرفتا فترات من الاضطرابات الداخلية . والاتحاد السويسري استطاع ان يقضي على الاقليات القديمة قبل وقوع الاصطدام العنيف عام ١٨٤٨ .

دو<mark>ها هي ا</mark>لثورة الفرنسية تناجج نيرانها من جديد وتندلع ــما يصرح توكفيل عام ١٨٤٨-بعد ان تماثل الوضع وتشابهت الظروف » · ودكتاتورية السلامة العامة لم تظهر الا لفترة قصيرة. وبصورة استثنائية ، في كل من روما والبندقية ، وبودابست . واتفق كذلك ان الدفسم الرومنطيقي هبط وانحط بالسرعة ذاتها التي ارتفع فيها وانكشف الحلم عن خيبة امسل مريرة وتحطمت الجهود . وعلى كل فقد علمنا ثرميدور ان لا ينتظر طويلاً ، فارتفاع اللهيب لحظية ويخيف ؛ فتضطر الجالس الدستورية للاخسية بتسويات غرارة ؛ والحصون التي وقعت في ا ايدي الثوار لم تلبث أن افلتت من أيديهم · كما أن القوميات الثاثرة مرعان ما يصيبها البهر وعسر التنفس.

مستنيرة تم بينا في الشرق ارستوقراطية عقارية هي اعجز واضعف من أن تقسف في وجسه نفوذ الملكية المتستمة بالكثير من الامتيازات. فعلى مكيفيكس ان يحسب الف حساب لتزارتورسكي . والثورة في بلجكا انطلقت ضد جوزف الثاني ، قبسل عام ١٧٨٩ وجسساء زوال جمهورية كراكوفيا قبيل عام ١٨٤٨ ، تكريساً لاقتسام بولونيا نهائيا ، هذا الاقتسام الذي شرعوا به في الربنع الآخير من الغرن الثامن عشر .

وبعد أن فتنتها النزعة التحرية ، لم قاش البورجوازية التيار ال<mark>اصلاحي الاجت</mark>اعي الا بمقدار. ما تكنه هذه الاصلاحات من احترام للملكية الخاصة وتوطد اصولها . فالفاء عبودية الارض يؤلف لعمري اجراء من اهم الاجراءات التي طلع بها علينا القرن. فالمؤتمر الوطنـــي في فرنسا اعطى المثل الصالح في هذا المضهار ، فسارت على النهج ذاته بريطانيا العظمى ، كما ان الجهورية الثانية جاءت تدعم قرار الجمهورية الاولى وتشدد عليه . والتقاليد التي كرستهـــــا ثورة عام ١٧٨٩ ، قضت بتحرير الفلاح من جميع العبود<mark>يات الاقط</mark>اعية ، وثورة ١٨٤٨ التي رفعت بعيداً . حتى حدود روسيا ، عبودية الارض والرسوم السيادية ، جعلت اوروبا الوسطى ، في وضم مطابق لوضع دول الغرب من هذه الناحية . الا أن الخوف المستحوذ على العامل برغم على اتخاذ موقف معاكس ، كل هؤلاء الذين يرون فيه ، ناقلا للفوضي ، والموصل الى الجماعية . وهــذا الهاجس الكبير الذي جثم على صدر سنة ١٧٨٩ واستحوذ على الفلاح والبورجوازي الفرنسي خلال ازمة المواد الفذائية الحادة ٤ كان من بعض نتائجه ان دك معالم العهد القديم من الاساس ؟ والازمة الاقتصادية التي اشتدت حلقاتها بين ١٨٣٦ – ١٨٣٢ ؛ عرفت أن توحد تارة ؛ وأرث تقع الواحدة ضد الاخرى طوراً البورجوازية والبروليتاريا دون أن تحرك طبقة الفلاحين طبعاً. أما أزمة ١٨٤٥ – ١٨٤٨ ، فبالرغم من انها شجعت سكان الريف في بلدان اوروبا الوسطى على التحرر ، فقد عجزت عن تحريك الطبقة الثالثة (طبقة الشعب) وفشلت بالتالي في ما رمت البه من دك النظام القديم دونما رجعة، بينا اثارت في فرنسا موجة جديدة من الهلسم الكبير ، الذي الماره و المطالبون باقتسام الثروة ، و د الحمر ، . د ضاع كل شيء ، في ٢٤ شباط (قبراير) ١٨٤٩ ، كما زعم باذاك، دويبدو انكم يا سيد اراغو لم تذوقوا ابداً طعم البؤس ، ، اجاب احد ثوار حزيران . وقال بوجو لتبير عام ١٨٤٩ : ﴿ يَا لَهُمْ مَنْ وَحُوشُ صَارِيةً . كَيْفٌ يُسْمَحُ الله للامهات أن يتصرفن على هذا الشكل! هؤلا لعمري الاعداء الحقيقيون وليس الروس أو النمساويون ! ع . وبالفعل فالعامل نفسه يتورع كثيراً في تصرف عندما ينصرف للمطالبة بحقوقه ، اذ لس من غريزة توجهه الى ما فيه ضمانة مباشرة، وهو حقه في العمل يلوح به عالمياً. على رؤوس الأشهاد ، بينما يجهل تماماً، وهو امام البورجوازي الذي ببادرفي الحال الى خلع قبعته عندما يقف امام الجندي ، كيف يفك الفيود التي تكبله ، ولن يليث ان يرى نفسه بين احتالين لا ثالث لهما : اما الموت واما الرضوخ والاستسلام .

و أفضل عندي بكثير ٩٣ على ١٤٠ كانهوغو يصرح وهو في طريق الاغتراب والنفى. أفضل الف مرة رؤية الجبابرة يتمرغون في الخواء على رؤية المغلين الاغبياء يتخبطون في حماتهم » . حكم قاس لعمري ، انما يعبر احسن تعبير عن المرارة التي تنغص حياة هؤلاء المثاليين ، غانية واربعين ساعة التي تلي هزيتهم . درس قاس لعمري لهؤلاء الديوقراطيين والاشتراكيين الذين يضطرون المتطلع الى المستقبل ، بعد ان يتفحصوا بدقة الامكانات المتوفرة ، كما فيه عبر ايضاً للكنيسة الكاثوليكية نفسها التي يترتب عليها تجديد رسالتها بصورة اوضع . الا ان هناك بعض الافتراضات تفرض نفسها بعد لم بعد بالامكان الركون الى أوهام الرومنطيقية ، والتعويل عليها بالكلية .

وهصل ولشرابع

بروزالذات الاميركية في وجه الاسنعارالفديم الدفع الاسنعاري الجديد بعد فترة من النمهل

هنا نصبنا علم الحرية ، وهنا امتحان لقدرات الناس مل حكم انفسهم بأنفسهم » . (وولت هويتهان في كتابه : « حشد الفوى - ١٨٤٦)

> تقهقهر الاستعبار الاوروبي القديم في العالم الجديد

بدت على نظم اوروبا الاستمارية في اميركا عوارض التفسيخ والانحلال ، وذلك نتيجة حتمية لهذه المنافسة الحسادة التي المامت الدول الاوروبية الكبرى بعضاً على بعض ، من جهة ،

ومن جهة نانية ، نتيجة النظام الاستعماري نفسه الذي كان موضع نقيد وتذمر .
وهيذه السياسة الاستعمارية التي اعتمدت على والاستثناء ، انتهت الى الفشل الشام في هذه الاقطار التي تعذر على المرق الابيض فيها التفكير ، والسعي الى رفع كثافة السكان بين الملونين . فقد قام في وجه هذه السياسة معارضة شديدة من قبل المعمرين الاوروبيين في هذه الاقطار التي ألفوا فيها المنصر الاقوى. وبما لا شك فيه قط ان قيام الولايات المتحدة الاميركية وتحقيقها الالهتقلال الناجز ، بعث الامل وحرك الهمم بين الاقوام المطالبة بحقها الطبيعي في المياة ، كما أن مبادى، ثورة عام ١٧٨٩، ونفوذ فرنسا الادبي وسيطرتها كان له الاثر البعيد في ما وراء المحيط ، ففكرة التحرر تغلغلت بين شعوب المستعمرات وايقظت فيهم الوعسي ورغبة صادقة في التحرر السياسي تخلصاً من ربقة القيود الاقتصادية التي احكمت فرضها البلد الام ١٠٠ .

⁽١) راجع تاريخ الحضارات العام ، الجملد الخامس ، ص ٤٤٣ و ٩٠٠ (رالطبعة العربية) .

فاذا ما اعتبرنا ، من جهة ، ثورة امير كا اللاتينية ، مرحلة حاسمة في القضاء على الاستعمار الستحكم في بلدانها والقائم على و الاستثناء » ، فقد لعب مع ذلك الانكليز ، في هذا الجسال دوراً بارزاً . ففي حروبها ضد نابوليون ، اضطرت بريطانيا للرد على الحصار البري المعلن ضدها لانتهاج سياسة اقتصادية اكثر انطلاقاً لتتجه من اسواق العالم الجديد . فقد ظهر لها بوضوح ، بعد عام ١٨١٥ ماعليه الاسواق الاوروبية من ضيق ، كا قام في وجهها سياسة من الحاية الجركية كان لها صداها في حمل الولايات المتحدة الاميركية على رفع وسومها الجمركية ، كا أن الازمة التي نشبت في المملكة المتحدة حملت هذه الجزيرة القائم نشاطها على التجارة ، على تحرير اسواق قارة بأسرها واستخلاصها من سياسة و الاستثناء » التي اخضعتها لها دول شبه الجزيرة الايبرية . وفي الوقت ذاته راح اسطول صاحب الجلالة يمارس في الحميط الاطلسي حتى الزيارة (او حسق وفي الوقت ذاته راح اسطول صاحب الجلالة يمارس في الحميط الاطلسي حتى الزيارة (او حسق النخاسة . كذلك ان نشاط حركة الهجرة بين البيض وانشاء مستعمرات إسكان و لا سيا النخاسة . كذلك ان نشاط حركة الهجرة بين البيض وانشاء مستعمرات إسكان و لا سيا النخاسة . كذلك الاستمار الوروبي ، بحيث ان افضى استقلال الولايات المتحسدة الاميركية وبالتالي بلدان اميركا اللاتينية ، الى نظرية جديدة او ضيغ جديد في الاستمار هسو نهج الحكم وبالتالي بلدان اميركا اللاتينية ، الى نظرية جديدة او نهج جديد في الاستمار هسو نهج الحكم الذاتي الذي عرف ان وفتى بين مطالب البلد الام ومصالح مستعمراتها عبر البحار .

تحرير اميركا اللاتينية حروب الاستقلال

في عام ١٨١٥ ، كادت الشرعية تعود بكامل مستلزماتها الى دول شبه الجزيرة الايبرية والى ممتلكاتها الواسمة في القسارة الاميركية ، ولما كانت قوى الثورة في هذه المقاطميات سيئة

التسلح ، ومشتنة تتوازعها اراض شاسعة ، فقد باءت المحاولات التحررية التي قامت فيها بالفشل، مع العلم ان البريطانيين المنهمكين بحروبهم مع فرنسا ومع الولايات المتحدة الاميركية ، لم يكن في وسعهم قط التدخل في هذه الثورات ومعاضدتها بصورة ناجعة.

فكيف تغيرت الحال بأخرى وانقلب الوضع غيره يا ترى ؟ فالصعوبات التي اعترضت سبيل الثورة وارتهنت نجاحها بقيت لعمري قاءة ، كانعزال مراكز الثورة بعضها عن بعض بما يباعد بينها من مسافات شاسعة تفشى الحشائش والاعشاب والغابات الملتفة في غرناطة الجديدة ، او تفترشها السهول المرتفعة الجرداء المترامية الاطراف بين البيرو والشيلي ، سهول اولمبيا الواقعة بين الشيلي ولابلاتا وسلسلة جبال الاندس الشاهقة الارتفاع حيث تكثر الغياض والبطائب بين الشيلي ولابلاتا وسلسلة جبال الاندس الشاهقة الارتفاع حيث تكثر الغياض المبقات الموجهة والمستنقعات ، والمعارضة الشديدة التي قوبلت بها الثورة من جانب كبير من الطبقات الموجهة التي لم تسقط من حسابها احتمال قيام الهند بحركة تأثرية ، وتأرجح الكنيسة وترددها اذ كانت التي لم تسقط من حسابها احتمال قيام الهند بحركة تأثرية ، وتأرجح الكنيسة وترددها اذ كانت تتميد التسبب بزرال سلطة تقليدية صديقة ، والخصومات العنيفة والمنافسات الحادة التي جاش بها زعماء الحركة فنفرقوا معها مشارب ومطالب اذ توقعوا ان تتصدى لحركتهم التحررية قوات

أشد تدريباً ، وأكفأ تسلحاً وفيادة مما ثم لهم من هذا كله ، وعدم توفر أية صناعة ألديهم تستطيع مسدم بالسلاح وتزويدهم بالعتاد الحربي الذي لا بد منه كتسليح فرق المتطوعة من ابناء الريف واضطرارهم للتعويل ، قبل كل شيء ، على الاسعافات التي قد تصلهم من الخارج . ومع ذلك ، وبالرغم من هذه النواقص، هنالك امكانات تتوفر الآن لم تكن متوقعة من قبسل غنت فيهم الامل بالفوز والنجاح ، قثلت في حركة القمع العنيفة التي قامت بها السلطة الحاكمة فولدت في النفوس احقاداً مشبوبة وبغضاً ازرق وضفائن عنيفة ، كما امكن ان يعولوا، من جهة اخرى، على تدخل الدول البحرية الكبرى التي تهيمن اساطبلها على البحار ومؤازرتها بصورة اوسع ، وفعالية اكبر وارقع ،

واشتدت روابط التعاضد والتضافر بين طلاب الحرية وناشديها من كلا جانبي الحيط ، كما اشتدت روابط التضامن بين الامير كيتين الشهالية والجنوبية ، فالثورة التي ارتفع لحيبها في لشبونة ، عام ١٨٢٠ اجبرت الملك جان السادس على مفادرة البرازيل والعودة الى الهرتفال ، تاركا جماع السلطة فيها لابنه دون بدرو . كما ان الثورة الاخرى التي نشبت في قادش اربكت فردينان السايم وشلت فيه كل حركة ، غير ان استلثار الاحرار بالسلطة ، في شبسه الجزيرة الابيرية ، ولو لامد وجيز ، شجع الكنيسة في تلك المستعمرات الثائرة ، على الوقوف الى جانب حزب الاستقلال ، فساندت ثورة إيتوربيد في المكسيك . وتفادياً للمعاذير التي يثيرها اعلان الجهورية في الربع ، راح كبار الملاكين ينادون بدون بدرو ، امبراطوراً على البلاد ، بينا عطرح بريطانيا بكل ثقلها في كفة الميزان التي يرفرف فوقها خط الثورة ، ولم يصعب عليها وجود المفامرين والمسكريين المسلكين الذين يتطوعون لتنفيذ المهام التي سيعهد بها اليهم ،

ومنذ عام ۱۸۱۹ ، استثبلت واشنطون عثلاً لبوليفار بعد ان سبق لها واعترفت بجمهورية كولمبيا الكبرى والمكسيك .

اظهرت الولايات المتحدة كل استعداد لديها لتقدم لها كل ما يحتاجان اليه من مساعسدات مالية وعناد حربي، وبعد ان احتجت حكرمة لندن ضد تدخل فرنسا وضد مؤازرتها لفردينان السابع ، اقترحت على الامير كبين اصدار قصريح مشترك بتأييد استقلال الجهوريات الجديدة ، فاذا لم يشأ مونرو الارتباط بأي وعد صريح ، فقد ساعد التصريح الذي اذاعه عام ١٨٢٣ ، في توطيد هذه الجمهوريات الناشئة ، كما رأى كاننغ ، من جهته ، ان يعترف بالامر المراتبع . عفي سنة ١٨٢٤ ، حدث في أياكوشو انهيار آخر مركز للقاومة الاسبانية في تلك البلاد ، ولم يبق لمدريد سوى جزيرتي كوبا وبويرتو ريكو . اما تحقيق مثل هذه النتائج الحسوسة ، فقد تم بعد سبع سنوات من الجهاد العنيف والحروب الدامية ، كانت عمكا قاسياً لشجاعة هسؤلاء الثوار المطالبين بالاستقلال، ولقوة احتاهم ولمهارتهم تحت قيادة زعم ارتبيل ارتجالاً هو الزعم (كوديلو) الذي اعطى كل طاقاته .

وقد لمع في هذا الصراع المحتدم اسمان ، وبرزت شخصيتان هما : بوليف السديم . برز كلاهما من مواليد المعمرين الاغنياء ، متمليان من الفنون الجميلة واعجاد تاريخهم القسديم . برز اولها في كركاس وطلع الثاني في بونس ايرس. كلاهما على اطلاع واسع على امور اسبانيا لاقامتها ردحاً من الدهر في اسبانيا . فالشاب الفنزويلي ذو العاطفة المشبوبة والذي فقد زوجته وهو ابن ٢١ سنة ، طوف في جميع اطراف اوروبا وقبس من التجربة والخبرة ما حنكه في العمل الذي ندب نفسه له ، متوجها بأنظاره نحو الاجنبي ولا سيانحو الانكلوسكسون ، بعد ان تبين ما هم عليه من قوة وبأس وبعد أثر ، يعاد قامته رأس جاش بعظائم المقاصد ، جذاب ، شديد الفتنة ، له القدرة على ان يجر وراءه الهنود دون ان ينفر منه كبار الملاكين . وقد أوتي من قوة الاحتال وطول الاناة ما لا يتوفر بعضه القليل ، مع ما تعرض له من مسببات اليساس وبواعت القنوط . فقد عرف ان يفرض النظام وروح الانضباط على افراد جيشه ، الا انه عجز باعتباره زعيماً مؤقتاً ، ان يؤلب حوله كل القوى الراغبة في الاستقلال .

ومع رغبتها الصادقة بتجريد اسبانيا والبرتفال من كل مستعراتها ، فقد حرصت الدول السكندينافية ، معذلك على ألا تشجع كثيراً قيام اميركا لاتينية موحدة . وبوليفار الذي كان يخشى كثيراً وطأة أو ضغط وحدة سياسية من هذا العيار ، نزع في الصميم الى انشاء اتحاد فيدرالي شبيه بهذا الاتحاد الذي تم في اليونان قديماً على يد فيلبس المقدوني . فكانت مدينة كورنشسمركزاً له . ولكن هيهات ان تلمب بناما دور كورنش ، اذ ان كولومبيا الكبرى ليست بمقدونيا ، ورومان هيهات العصر القابمون في جزيرتهم ، في الحيط الاطلسي ، حريصون على زرع بذور التفرقة والانشقاق .

وهكذا برزت اميركا اللاتينية لدى وفاة المنقذ الاكبر (ليبيراتور) سوقاً ضخمة مشرعة الأبواب امام سادة البحار وارباب التجارة والاعمال ، لم تلبث ان ازدادت تفسخا ، كا ان الفوضى استحالت فمها مرضاً عضالا .

في الوقت الذي عجزت فيه امير كا اللاتينية افر تحررها ، من توسم الولايات المتحدة و المتداده المتحدة الامير كية تشكيل اتحاد فدرالي فيها ، اخذت الولايات المتحدة الاميركية

بعد الحرب المظفرة التي خاضتها ضد الكانرا بين ١٨١٢ - ١٨١٤، تلسع وتمتد جغرافياً بسرعة مدهشة حتى انها أطلت في الغرب على مشارف الحيط الهادي ، وما ان طلعت سنة ١٨٥٠ حتى كانت حدودها من هذه الناحية بارزة للعيان ، واضحة ، واقتسام اميركا التمالية الذي بقي مرجرجاً لا يستقر تماماً على وضع معين واحد اوحد، مستقيم ، انتهى الى وضع ثابت ، فالروس اقتطموا لانفسهم المقاطعة المعروفة بالاسكا التي كونت عبر مضيق بهرينغ استطاله طبيعية لسبيريا ، والقسم الذي كان اسبانياً لعهد قريب، اقتصر الآن على المقاطعات الواقعة حول المنطقة

الاستوائية بعد ان اقتطع الاميركيون الاراضي الواسعة التي ألفت قسماً من المكسيك في الشهال، وجاءت معاهدة اورينون توزع بصورة حبية القسم الاكبر من هذه القارة بين بريطانيا والاتحاد الاميركي . ومع انه لم يخطر لسياسيي واشنطون اذ ذاك ، ان يضعوا خطة شاملة يستشرفون فيها صوى تطورهم الصاعد في المستقبل والعمل على تحقيقها ، فقد جاءت ، مع ذلك ، عوامسل عديدة كالاسكان والحاجة المستمرة الى اراض جديدة ومحاربة الهنود واستئسال إشافتهم ، والرغبة الحفية في التحرر من الضغط البريطاني وحتى من الروس في الشهال، والحد من الامتداد اللاتيني ، وغير ذلك من ظروف عارضة ، ساعدت على تحييز هذه الرغائب وتحقيقها . الا انه جال في رأس أولي الامر من الاميركيين ، افكار توسعية برزت بوضوح من خلال الازدهار التجاري الذي نعم به الاتحاد الاميركي وبناء اساطيل تجارية وحربية ضخمة ، سام ، انهاك ضد الشركة المعروفة بشركة خليج هدسون الاميركية الفراء ، بادارة ألماني مهاجر يدعي استور ضد الشركة المعروفة بشركة خليج هدسون الاميركية الفراء ، بادارة ألماني مهاجر يدعي استور كان خير من يمثل مصالح الجمهورية الفنية ، هذه المصالح التي راحت اميركا تدافع عنها ، محذرة بلسان رئيسها مونرو ، من مقاصد الروس واهدافهم التوسعية ، وباخراج بربطانيا شيشاً فشيئاً بلسان رئيسها مونرو ، من مقاصد الروس واهدافهم التوسعية ، وباخراج بربطانيا شيشاً فشيئاً من هذه الشراكة في السلطة على مقاطعات الاوريغون .

صحيح ان الاستيلاء على هذه الاراضي جاء متقطعاً. فقد ترك تحقيق مراحل الاستيطان والاسكان الزراعي والراعوي والتعديني ، مساحات شاسعة غير مشغولة . فالابيض يتعلور على حساب الهندي الاحر بعد ان يسلبه ارضه التي يظمن اليها ويتحرك فيها على هواه ، هسنه المنطقة التي لا تعرف الهدوء ولا الاستقرار لما يحف بها من مخاطر ، فيضرب خيامه في ارض معادية ، في هذه المنطقة المتحركة المتنقلة التي يعرفها الاميركي بالحدود ، والتي شهدت صراعاً خفياً ، لا يرحم ولا يلين منذ القرن الثامن عشر ، لا ينتهي الا في اواخر القرن التاسع عشر ، والقائمون بهذا العراع الحقي الفامض هم على الغالب ، رواد مغامرون في مجشهم عن الاسفسسر الرنان ، وقد اجتذب سناؤه من بعيد هذه الألوف المؤلفة بمن سال لعابهم على بريقه ولمعانسه ، فتركوا لنا في سعيهم اليه وتكالبهم عليه حوادث لها وصف رائع في هذه القصص والروايات التي تركها لنا فنيعور كوبر و واشتطون ايرفن .

وفي اثر هؤلاء يبط العطاش الظامئون إلى الاستقلال ، إلى الوحدة ، هؤلاء الحزازون الذين يميشون في هذه الحيرة المحمومة ، بانتظار المدينة الفاضلة ، المثلى ، رمز المدينة السباوية ، بميدين عن الخطيئة والخطاة ، بمزل عن المشركين الضالين . ولمل ابرز هذه الجاعات ، جاعة المورمون الذين يببطون ضواحي البحيرة المالحة الكبيرة ، حيث يؤسسون لهم مملكة القديسين : صهيون الجديدة . وهذا الغرب البعيد يفتن بسحره الاخاذ ، هؤلاء الاوووبيين الذين اخسدوا يرون في الميركا ارض المبعاد الجديدة التي عليها يتوقف تحقيق هذه المثل الخيالية السبقي راودت افكار

وخيال اتباع هذه الجماعات الدينية التي طلعت جديداً ، امثال ال Owénistes في نيو هارموني من اعمال ولاية انديانا ، والا Icariens في مدينة نوفو ، من اعمال ولاية ألينوي ، وفي تكساس ايضاً فئة الا Sociétaires واخيراً وليس آخراً اصحاب بدعة الا Mennonites كما يتوارد على حوض نهر المسيسبي ، بأعداد تأخذ دوماً بالارتفاح والاتساع ، البريطاذيون والايرلنديون ، والالمان والسكندنافيون الذي غادروا بلادهم تحت وطأة البؤس والمسكنة او تحت عوامسل الضغط السياسي الذي كثيراً ما تعرضوا له .

واميركا الفتاة هذه التي بوتفت انسانيتها بخشونة وغلظ اقصرتها على تربية الماشية والأعمال الزراعية على نطاق واسم ، في هذه المروج والسهول المترامية الاطراف ، ذات التربة المعطاء والاقليم القامي . فما يكاد المعمر يطل بقامته الفارعة الطول من وراء جبال الإبلاش الملتفة الأحراج ، حتى يفضي به المطاف الى سهول جرداء ، حيث تغمره وحشة مخيفة ، عليه ان يتدبر امره بأي حل وحال . ولما كان لا مال عنده ، كان عليه ان يستلف ويستدين ليؤمن حاجته من البذار معولاً على الموسم لتسديد دينه . وهذا الغرب البعيد النائي الذي يصقل الطباع ويوحي المساواة ، ويحرك روح المفامرة في النفس ، يدور بالفعل ، في قلك الولايات الشرقية مع انه يمد المؤخرة بالكثير من حاجاتها للحبوب واللحوم ، وهكذا تنظر الى الساحل المنبسط المام المحيط المادي نظرتها الى مستعمرة نائية . كان الاتحاد الامير كي يضم عام ١٨٥٠ محواً من ٢٣٠ مليون نسمة ، بينما لم يتجاوز عدد سكانه عام ١٨٥٠ ، تسمة ملايين لا غير . فحان خطالم حن، المار بمدينة بتسبرغ المحور الذي يمر فيه العمود الفقري للاسكان ، بيناعور الانتاج الصناعي يقع في بلطيمور وضواحيها . فشبكة الخطوط الحديدية جمعت بين شيكاغو وسان لويس المناع عام ١٨٥٠ ، ومع ان الولايات الأطلسية اخذت تتحسس بهذه الروح الاستقلالية التي جاش قبل عام ١٨٥٧ ، ومع ان الولايات الأطلسية اخذت تتحسس بهذه الروح الاستقلالية التي جاش قبل عام ١٨٥٠ ، ومع ان الولايات الأطلسية اخذت تتحسس بهذه الروح الاستقلالية التي جاش قبل عام ١٨٥٠ ، ومع ان الولايات الأطلسية اخذت تتحسس بهذه الروح الاستقلالية التي جاش هبا الغرب ، فلم تكن على استعداد قط التخلي عن سيادتها وسيطرتها .

ردح واشنطون وسيفرسون فها هو ميشال شيفاليه يقف مشدوها امام الانجازات المادية التي الديوقراطية المام الانجازات المادية التي حققتها ، والطاقات الاقتصادية التي تتوفر لها . فتوكفيل يرى

في هذه الاوضاع التي تمت لها دليلا قاطماً على متانة هذه الديموقراطية ورسوخهـــا ، وبشيراً بمستقبل زاهر عظيم . فهل نجعت يا ترى الحرية على التأقلم في هذه الديار دون ان يطرأ عليهــا أي زيخ او انحراف أو ان تصاب بأي سوء ؟

فالتطور الديموغرافي الذي أخذت بأطرافه لا يمكن رده الآن الى هجرة كثيفة واسعة . فالنازحون اليها بين ١٨٥٠ - ١٨٤٥ يزيد عددم قليلا على المليون . ففي عام ١٨٥٠ ، نرى مهاجراً واحداً يدخل البلاد مقابل ٩ ولادات . فالشعور الاميركي الاصيل يستبد قويساً بالسكان الذين اخذت نفوسهم تجيش بروح اميركية صرفة .

وهذه الأوساط الاجتاعية التي استقر عليها وضع هذه الامة الجديدة هي التي تتولى التوجيه في البلاد وتستأثر بادارتها . فسكان الريف في هذه الولايات المعروفة بانكلترا الجديسدة وفي بنسلفانيا من ذراري البيوريتين المتزمتين في امور الدين والمتوديست الذين جاؤوا البلاد من قبل بكثير ، قد حافظوا على بساطة النفس في اخلاقهم ومعايشهم ، فانقطعوا للاعمسال اليدوية ينتجون شيئا من كل شيء ، واتخذوا من قراء الكتاب المقدس عسادة لهم واستمسكوا بروح الديوقراطية المحافظة .

اما على الساحل حيث تكثر الخلجان العميقة ومصبات الانهر العريضة ، فقد قامت بورجوازية فاشطة انقطعت المشاريع والانشاءات البحرية والاهمال التجارية الواسعة : كتجارة الرق وتجارة الروم وصيد السمك ، وكلها اعمال عادت على اصحابها باثروات واسعة استثمروها في تجارة الشاي والتوابل فالحرير وانشأوا دور صناعة ضخمة لبناء السفن ، امنت للاتحاد ردحاً من الدهر ، اقوى اسطول تجاري شراعي في العالم ، واسست لها صناعة ضخمة النسيج والحديد تبشر بمستقبل عظيم . وهؤلاء الأغنياء الحديثو النعمة الفوا في البلاد طبقة من النبلاء توطدت علاقاتها مع الانكليز واقتبست الكثير بما طلمت به الحضارة البريطانية وشمخت بأنفها على الملكية وطبقة النبلاء في البلد الأم سابقاً . وقد تجلت ثقتها بنفسها على الوجه الاتم، فهذه المثالية التي يمثلها خير تمثيل أمرسون ، هذا الوزير التوحيدي المذهب والطريقة التي صرح عنها عام ١٨٣٧ التي يمثلها خير تمثيل أمرسون ، هذا الوزير التوحيدي المذهب والطريقة التي صرح عنها عام ١٨٣٧ قائلا : و طال اصفاؤنا لهواتف اوروبا وموحياتها . فقد حان الأوان لأن نمشي على ارجلنا وان نعبر عن خوالجنا وهواجسنا وافكارنا » .

وهذا التطور الصناعي الذي حققه شعب انكلترا الجديدة ونيويورك وبنسلفانيا ولشد في نفوس القوم هناك عقلية اقتصادية سيطرت على العقول . فمنذ عام ١٧٩٠ اقيم في مسدينة بتسبرغ مصب كبير للحديد، وارتفع عام ١٧٩١ أول مصنع في البلاد النسبج في ولاية رود ايلاند وفي سنة ١٨١٠ استعملت لوبل احد مساقط نهر مرياك لتوليد القوة الحركة، فأنشأت في هذا السبيل شركة خاصة اشترت الارض وشيدت عليها مصنعاً وبنت مدينة ، فبلع انتاج العمسل مهد مهم تنول لحل القطن عام ١٨٤٠ الا ان عدم توفر اليد العاملة وقلة كفاءتها وغلاءها جمل المصنع المذكور يمول اكثر فأكثر على الآلة . كا ان ارباب العمل المذكور اتخذوا الطريقة الابوية في معاملتهم للعال ، وهكذا نرى في لوبل وووده امرأة ينزلن بنسيونات يقوم عسلى ادارتها ارامل تدفع الجورهن من حسومات يقتطعها ارباب العمل ، مع تأمين الوسائل الصحية والتقيد بأوقات الحدمة الدينية في مواعيدها المينة . وعبثاً قامت نقابات عمالية مطالبة بتطبيق والتعمل على القاعدة التي تقول من الستة الى الستة بدلاً من شروق الشمس الى مغيبها، وعبثاً مخطب فرنسيس رايت نصير المرآة وآحد انصار فلسفة أوين حول صراع الطبقات العمل وراحوا يسعون التحكم فرنسيس رايد العمل أصوا آذانهم امام هذه المطالب متعالين مجرية العمل وراحوا يسعون التحكم إلا ان ارباب العمل أصوا آذانهم امام هذه المطالب متعالين مجرية العمل وراحوا يسعون التحكم إلا ان ارباب العمل أصوا آذانهم امام هذه المطالب متعالين مجرية العمل وراحوا يسعون التحكم

بالاسواق الداخلية . كان باستطاعة الاثرياء ان يؤمنوا حاجاتهم من انكلترا ، امسا الاصناف الحلية الصنع فيجب ان تخضع لنظام التعرفة ، بعد ان صدر بذلك عام ١٨١٨ قانون كان بالنسبة للسفن الأجنبية بمثابة قانون الملاحة في انكلترا. وهذه السياسة المستوحاة من مبدأ مونرو يمكن اعتبارها بمثابة استقلال البلاد الاقتصادي .

ومن حسنات قانون الجمارك هذا ان ادى الى تغذية ميزانية الاتحاد؛ كما أتاح للحكومة فرصة لتأمين وضع سليم لمالية الدولة. وقد برز، في الشهال، نفوذ رجال المال وذلك بانشاء البنك الوطني وانتهاج سياسة تخفيض النقد المتداول في البلاد، وهي سياسة سببت الكثير من المتاعب والازعاج للمدينين والمتعهدين في الغرب. وقد غصت سجون بوسطن بالمئات من الموقوفين لتأخرهم عن تسديد ما يستحق عليهم من ديون، وراح الجنوب الذي كان يعتمد في معايشه على محصول التبغ والقطن يتذمر من فداحة نظام التعرفة الجركية فألف شيئاً من التحالف بين صفيار الملاكين وكبار المزارعين ضد هذه الاوليفارشية المالية والصناعية كان من بعض نتائجه ان حمل الى الحكم انصار جكسون الديوقواطيين، عام ١٨٢٨.

من الامور المتمارفة في الولايات المتحدة أن للحكم هناك قاعدتين يقوم عليها تتمثلان في هذا الفريق من اصحاب الاعمال في الشهال ، وارستوقراطية كبار الملاكين في الجنوب ، هسده الارستوقراطية التي امدت البلاد حتى الآن، بالقسم الاكبر من السياسيين الذين جلبوا الاستقلال الى البلاد وشكاوا الاتحساد، امثال واشنطون ورجالات فرجيينا، بينهم: جيفرسون وماديسن ومونرو الذين تعاقبوا ، مع آل ادامز من سكان بنسلفانيا ، على رئاسة الاتحساد الأميركي .

ففي مثل هذا الوضع الاجتاعي الذي لا ينصرف فيه الأبيض للعمل في الأرض بجلء ارادته قام في البلاد نظام اقتصادي اساسه الزراعة نهض على مزدرعات واسعة امتدت من ضفاف نهر البوترماك حتى بلغت مشارف خليج المكسيك ، قوامه البد العاملة والملكية العقارية الكبيرة وهو نظام لم يلبث أن اكتسح بنسلفانيا على يد فريق من الهولنديين والمهتزين (الكويكرز) ، وامتد الى ولايتي ماريلاند وفرجينيا اللتين تألف منها ما يعرف هناك به و نطاق التبغ ». فسلم يكن من النادر قط في هذه الولايات أن نرى بين اصحاب الأطيان الكبيرة ، من يملك يكن من النادر قط في هذه الولايات أن نرى بين اصحاب الأطيان الكبيرة ، من يملك على الأخص ، من الملاكين المتوسطين الذين تتراوح الثروة العقارية لدى الواحد منهم من ١٠٠ على الأخص ، من الملاكين المتوسطين الذين تتراوح الثروة العقارية لدى الواحد منهم من ١٠٠ منالك لعمري طبقة من فقراء البيض تتألف من الواحدة منها ٥٠ عبداً من أرقاء الزنوج . هنالك كعمري طبقة من فقراء البيض تتألف من الارتق للزنوج . وكان هؤلاء الزنوج يقطنون ، على كسالى ، يسكنون الزرائب ويكنون بغضاً ازرق للزنوج . وكان هؤلاء الزنوج يقطنون ، على

الغالب زرائب واكواخ ضيقة ويجبرون على العمل بين ١٦ و ١٨ ساعة في اليوم الواحد٬ وضعهم في فرجينيا أرفق منه في اية ولاية اخرى ، وسيء جداً في مزارع الأرز في ولاية كارولينا ، يعيشون حياة الحرمان والبؤس متسكمين في جهل مدقع٬ ومع ذلك ُعرفوا النكتة وخفة الدم٬ يهوون الغناء على الطريقة الافريقية الشعبية (الجاز) كما عرفوا ان يفوزوا خلال خدمتهم ، بثقة اسيادهم ، يراعى جانب الزنحية المرضع التي فرضت نفسها . فاذا ما كان الدين يوسي ابناء حام بالخضوع والحنوع ، فاللامبالاة التي تقرأ على س<mark>مائهم</mark> تخفى وراءها الكثير من المشاعر الدفينة. الا ان الغاء النخاسة وتحرير عدد كبير من الز<mark>نوج ادخل في</mark> روع البعض ان تجارة الرق تلفظ انفاسها الاخيرة . الا ان اختراع هويتني المحلاج في عملية حلج القطن واشتداد الحاجة الى الزنوج ، في كل من أوروبا وانكلترا الجديدة ، بعث المزيد من النشاط في هذه التجارة . واقبل الجنوب على تنشيط زراعة القطن وعرى بشيء من الهوس الجنوني من اشجارها الاراضي التي تطل على مشارف خلم المكسمك حدث غلبت زراعة القطن الطويسل التولة ، والقطن القصير التولة . وكلها زراعات يقتضي لها الكثير من البد العاملة . وبالرغم من تزايد البد العاملة ونموها المتصاعد فقد عجزت ، مع ذلك ، عن الوفاء بمطالب زراعة القطن وحاجتها للمهال بمد أن اخذ الانتاج يتضاعف كل عشر سنوات . وقد ركن المزارعون الى اسواق النخاسة لتأمين حاجتهم من اليد العاملة من الزنوج ، بما ادى الى ارتفاع اسعارهم حتى ان بعض البلدان راحت تنظم عملية تربية « ماشية الملونين » دون ان يؤمنوا أمور تغذيتهم بال<mark>قدر الكافي</mark> ٬ واستطاع تجــــــار النخاسة في كوبا وغ<mark>ير</mark>ها أن يؤمنوا لهم ارباحاً طائلة ٬ كا ان التشري<mark>ح اخذ</mark> ينزع الى الحد من تحر<mark>ير العبيد</mark> والحؤول ما امكن دون هربهم من المزارع .

فالمزارع يقطن عادة منزلا رحباً له شرفات عالية تقوم على حفافي الأعدة وينعم بأثاث وثير هو على الفالب من صنع انكليزي ، متخرج على المعوم من جامعة هارفرد او أية جامعة أخرى وتحت له ثقافة عالية ، ويستسلم للذة المطالعة في اوقات فراغه ويستقبل في منزله عدداً كبيراً من الأصدقاء ، ويهوى الصيد والقنص وسباق الخيل ومشاهدة مصارعة الديكة ، ويقيم الولائم الغنية ، ويشترك بادارة الناحية ، كما يتولى الاشراف على العبال في مزدرعاته ، ويبهجه أن لا يمثل إلا لصوت الانسانية ولمطالبها الحقة ؛ إلا أن وضعه مرتبط الى حد بعيد بتقلبات المواسم والاسعار ، اذ كثيراً ما كان يحيا في مستوى يفوق امكاناته المادية ، ولذا كثيراً ما رأى نفسه بحاجة للاستدانة والاستلاف من التاجر الذي اعتاد شراء محصوله من القطن أو النبغ . ولما كان كثير الاعتداد بمنزلته ، فقد تألم كثيراً في قرارة نفسه من هذه التابعية التي اقصر عليها أرباب الثروة وأصحاب رؤوس الامال في الولايات الشهائية .

والدستور الذي عمل به منذ عام ١٧٨٩ ، جاء مطابقاً للروح الذي جــــاشت في صدور

أصحاب اليسار والدعة ، ويتفق تماماً مع ذهنية بلاد تتعدد فيها الملل والنحل ، لا يحسن أتباعها الانقطاع الى عاداتهم ومناسك عقيدتهم الدينية الا في ظل التسامح الديني . فقد أعجب توكفيل بالطريقة التي تتوزع ممها السلطات العامة في البلاد التي جاءت وفقاً لما فصله مسونتسكيو في كتابه دروح الشرائع، وبالنشاط الذي تزخر فيه الجتمعات البلاية مثالك ، وهذا الورع المدني الذي يبعثه في النفس غافة الله والاحتكام ال<mark>ى الح</mark>كمة العليا عند طغيــــان الهيئات السياسية وخررجها على القانون.صحيح أن الشك<mark>ل الاتحادي تغل</mark>ب ، في نهاية الامرعلى صيغة التحالف ، وكل ما لا يدخل بشكل او بآخر في اختصاصات بجلس الكونفرس او حكومة الاتحاد ، يبقى الف<mark>ترة التي س</mark>يطرت فيها المشاعر الطبية . فالتسويات النافعة والمفيدة أنبط ا<mark>مرهبا</mark> بهذه المؤسسات التي تعمل بطواعية ومرونة ؟ منها على الأخص التسوية الحبية التي تميز بها حل مشكلة الميسوري ٬ هذا الحل الذي تم وضعه ٬ عام <mark>۱۸۲۰ ٬ و</mark>ضمن المستقبل وأمنه٬ وأجل البت بقض<mark>ية</mark> ما اذا كان سيمو ّل على المبد او البد العاملة الحرة في بلاد الفرب . وقد خشي على النظام من أن يؤول انتخاب جكسون للرئاسة ، إلى الاخلال بحبل الامن في البلاد ، بعد أن وصل إلى الرقاسة الاولى على اكتاف حلف من المتذمرين كرس الاخذ بالنظام المعروف Spoil System هذا الرئيس الذي جيء به من الغرب ، ووضع حداً لسلسلة حكام فرجينيا وتصدى للامتيازات ال<mark>تي ي</mark>تمتع بها رجال المال ٬ وخفض رسوم الجمارك . <mark>الا ان الح</mark>زب الديموقراطي وانصار <mark>الر</mark>جوع الى د عهد المشاعر الطبية » - الاحرار - قاموا بتنازلات متبادلة. فالي عام ١٨٥٠ ٢ تاريخ الاتفاق الذي تم بشأن كاليفورنيا ؛ استمر الاندفاع نحو الفرب حتى حدود المحيط الهادي؛ على حساب المكسيك ومصالحه الحيوية ، دون ان تثير قضية الرق في البــلاد اي اضطربات يخشى منها . وقد خرج الاتحاد من هذه المشكلات اقوى وارسخ وضماً . فعقد مع انكلترا معاهـــدة تضمن حياد قناة يحتمل انشاؤها عبر قناة بناما . وهكذا اصبح الاتحاد دولة كبرى محترمـــة الجانب. وقت لها عام ١٨٦٠ ثروة زادت ثلاثين ضمهًا عما كانت علمه عام ١٨٠٠ ، كما إن دخلها القومي زاد ستة اضعاف .

> ضربة تنزل بالاستعمار القديم: الفاء الوق

فالنظام الاستماري الذي ساروا عليه في البلدان الحارة ارتكز ليس على شد المستعمرة بالبلد الام شداً وطيداً فحسب ، بــل ايضاً على استثار الله الماملة الماونة فيها ، فمولوا عليها في استثار

الارض واستغلالها الى اقصى حد . والحال فقد عام في القرن الثامن عشر نياران ضد الرق ، من هنا فلسفة الانوار باسم حقوق الانسان ، تبنتها معظم الملل والمحسل الدينية في انكلترا من مثوديست وانجيلين وكويكرز ، وبعض الكاثوليك ، وفقاً لبعض تعالمسيم المسيحية فراحوا يهاجون نظاماً مضاداً في الصميم الاخلاق ، ومن هدك ، الاقتصاديون المتحررو النزعة الذين

راحوا ينتقدون شكلًا من أشكال العمل لا يفسح مجالًا لأى محرك او مشوق الربسح الشخصي . وراحت هذه النظريات المشبعة بالروح الانسانية٬ وهذه الحجج التي تقوم على الواقع تصدم بشدة مصالح بعض الفئات الخاصة والتقاليد القوية المعمول بها فيالبلاد. ففي الوقت الذي راح فيه دستور الاتحاد الاميركي يحدد بحكمة بالغة ، عام ١٨٠٨ ، كتاريخ اقصى لتحريم الرق، كان قانون إلغاء الرق في المستعمرات الفرنسية الذي اصدره المؤتمر الوطني في فرنسا ، قد بني حبراً على ورق ، اذ ان بوتابرت ابطل هذا القانون ٤ عام ١٨٠٧ ما سبب فقدان جزيرة سان دومنيك الى الابد . والقرار الذي اتخذه جيفرسون عام ١٨٠٧ تنفيذاً للوعد الذي قطمه الدستور الامســـيركي ٢ مجلس العموم البريطاني على اتخاذ قرار يحظر النخاسة والاتجــار بالرق ، كما ان كستلريسغ نال من بعض الدول الكبرى المثلة في مؤتمر ، فيينا قراراً بتحريم هذه التجارة الوحشية، وهـو قرار اعيد إقراره من جديد في معاهدة اكس لاشابل وفي معاهدة فيرونا . ونابوليون ، خلال فسارة المائة يوم ٤ ولويس الثامن عشر في معاهدة باريس الأولى قطعا على نفسيها مثل هذا التعيد . الا ان تطبيق الوعود والاتفاقات شيء وقطعها آخر ، لا سما وقد اشتد الطلب ، في العالم الجديد على الزنوج ، إفر النطور الذي عرفته مزدرعات القطن والسكر . فقــد استقبلت جزيرة كوبا اكاثر من ١٠٠ الف رق من الزنوج بـــين ١٨١٠ – ١٨٢٠ ، واستوردت البرازيل منهم اكاثر من • • • • • ١ اسير زنجي في السفن التي ترفع العلم <mark>الفرنسي ٬ حسبا جاء في تقرير قيسادة العهارة</mark> البريطانية (١).

وقد اثارت قضية حق تفتيش السفن مشاكل حادة بين بريطانيا العظمي ومعظم الدول الاخرى التي ابت عليها القيام بمهام المراقبة البحرية . ففرنسا والولايات المتحدة تسلمان بمثل هذا الخق على اساس المعاملة بالمثل على ان تتم المراقبة بالاشتراك معاً . ولم ترضخ اسبانيا لهذا القانون الا عام ١٨٣٥ ، بعد وفاة الملك فردينان ، والبرتغال عام ١٨٣٥ ، تحت التهديد بمطاردة السفن التابعة له ، والبرازيل عام ١٨٥٠ ، في اثر ظهور الاسطول البريطاني امام شواطئه . فبالاضافة الى المعاهدات اله ٢٦ التي تم وضعها و دخلت دور التنفيذ ، يجب ان ننوه هنا بهذه المعاهدات المناقبة الاخرى التي عقدتها بريطانيا مع رداما ملك مدغشقر ومع سلطان مسقط ، بغية إحكام نطاق المراقبة في المحيط الهندي .

مما لا شك فيه قط ان النخاسة لا يمكن ان تنقطع حركتها قاماً ، بل تبقى عبسلى شيء من النشاط الخفي طالما لم يتقرر بمد إلغاء الرق بصورة رسمية قاطمة . أفلم تحذر الجميات المطالبة بالناء الرق من ان نظام المراقبة والتفتيش الجاري الاخذ به من شأنه ان يحمل تجار النخاسة على

⁽١) راجع تاريخ الحضارات العام ، مجلد ه ص ٣١٦ من الطبعة العربية .

ممارسة تجارتهم هذه بصورة افظع واكار فظاظة من ذي قبل .

ونشطت على الاثر دعاية قوية مطالبة بالغاء الرق ، اختلفت نتائجها وتباين مفعولها بــــين بلد وآخر .

فالموقف الذي ستقفه الولايات المتحدة من هذه القضية ؛ سيكون حاسمًا . الا ان تحرير العبيد وعتقهم لقي فيها معارضة قوية من قبل كبار المزارعين لم يتزحزحو عنها قيد أنملة . صحيح أن الرق يجد الكثيرين بمن يشجعون عليه في أوساط عديدة . فأمام السياسيين وأوساط رجال الاعمال الذين يترددور متأرجعين في مواقفهم ويخشون الانقسام الذي يلوح اكثر الجنوبيين حماسة باللجوءاليه ؛ وامام موقف القساوسة الذين يستشهدون بنصوص التوراة التي تعارف باستعباد سلالة حام ، فقد وجدت جماعات الكويكرز والانجيليين والمعمدانيين ، وحتى الكاثوليك انفسهم امام شعور عارم يأخذ بالازدياد كل يوم، اكثر فأكار بين صغار التجار واصحاب المحازن والعهال والمعمرين في الغرب <mark>حيث لا ي</mark>رون فائدة تذكر من عمل الارقاء . فمع شجب الكويكرز لاعمال العنف والقسر ٬ فقد راحوا مع ذلك ينصحون باعتاد أساوب مقاطمة المواد الاستهلاكية التي يؤمن انتاجها انصار الرق و « من لف لفهم » . فقام من يقارح اعادة الزنوج الى افريقيا وطنهم الاصلي . وفي هذا السبيل أسست مدينة فريتون ومونروفيا . ولن تلبث لبيريا ان اصبحت جمهورية مستقلة ، كها اطلت علينا مدينة ليبرفيل . وفي سنة ١٨٣١ ° قابلت اميركا ثورات اوروبا ً بالنداء الذي اذاعه منضد الحروف ٬ الاميركي غا<mark>ريسون</mark> في جريدة « ليبراتور » ، وبالثورة الدامية التي قادها الزنجي نا<mark>ت</mark> ترنر فجملت الجنوب <mark>يرتم</mark> هلماً . ومنذ ذلك الحين اخذت المشاعر بالهيجان . ومع ذلك فلم يكن ثمة ما يمكن اعتباره تهديداً مناشراً للرق . هنالك مصالح عديدة بهددها اصدار قانون بالغاء الرق وتحريمه . ولم يقنم الجنوب بمواجمة الدعاية ضد الرق بدعاية معاكسة ، ورفع التوراة في وجه التوراة . فسقد انتصرت عام ١٨٤٨ سياسة السيطرة والتحكم التي كان يمثلها في تكساس ، وبعد ذلك بسنتين فرض الاتفاق الذي اعلنت بموجبه كاليفورنيا ولاية جديدة · والمكسيك الجديدة · قضاء حراً · وجو<mark>ب اعادة الزن</mark>وج الفارين الى اسيادهم الاول . وهكذا فالمصير القاتم بقي <mark>جاتًا على</mark> صدر الولايات المتحدة يشل منها الحركة وليس من يستطيع التنبؤ بموعد زحزحته أو رفعه .

حل عام ١٨٤٨ ، وفي السابع والعشرين من نيسان من هذه السنة ، قررت الجمهورية الثانية في قررت الجمهورية الثانية في قرنسا ، إلغاء الرق في كل الاراضي والممتلكات التابعة لها. كان لا بد من ثورة شباط ليتمكن شولشر من الحصول على قرار التحرير .

فاذا ما سبق الفرنسيون الدانمارك وهولندا على دروب تحرير الرق ؛ فلم يكن الاسبانيون في جزر الانثيل ، ولا البرازيل ، من جهتها ، على استعداد بعد السير على النهج ذاته . وعلى

عكس هائين الدولتين ، ها هي انكلترا نفسها تطلق الاشارة الاولى في هذا المضهار. فالصموبات الاقتصادية التي قامت في تلك البلاد في اعقاب عام ١٨٦٥ اجبرت انصار كاننغ القائلين بالنظرية النفعية ، على معاضدة وجهة نظر الغريق المفاير لهم في الرأي ، هذه النظرية التي اعتنقها بدورهم انصار ربنتام وتوصل في نهاية الامر المحافظون والاحرار الى التعاون فيا بينهم ، وثم تبني قانون عام ١٨٣٣ الذي يتحول بموجبه الارقاء الى عمال متدربين كا واجه امكانية التعويض على اصحابهم المتضررين في هذا القانون . وقد ادى هذا الاجراء الى تعقيد الامور في جزيرة جامايكا السي كانت تعاني الصعاب ، وفي مستعمرة الكاب ايضاً . فبدلاً من ان يرضع سكان هذه المستعمرات كانت تعاني الصعاب ، وفي مستعمرة الكاب ايضاً . فبدلاً من ان يرضع سكان هذه المستعمرات لاحكام القانون الجديد ويحرروا اليد العاملة الملونة التي تعمل في خدمة كبار الملاكين ، فضل المعمرون في تلك البلاد ، وجلهم من اصل هولندي ، مفادرة المستعمرة . وقد اعطي السكان الحرية النامة برفض المواطنية او باعطائها لمن يحري تحريرهم من الارقاء بحيث ان الالفاء النهائي الحرية التامة برفض المواطنية او باعطائها الاستعاري في تلك البلاد .

الاتجاء نحو امبراطورية بريطانية متحررة

نشأ في اميركا الشمالية ، وفي النصف الجنوبي من الكرة الارضية مناطق ضخمة للاسكان لدى البريطانيين ، تموض عليهم الخسارة التي فقدوها من ثورة الولايات المتحدة ونيلها

استقلالها التام في أواخر القرن الثامن عشر . ولما كان قد صرف النظر عن نظام الاستثناءات الذي برهن الاختبار عن عدم جدواه ، فقد رؤي استعبال حلول جديدة تتفق ومستلزمات الوضع الجديد والمزاج الانكاوسكسوني المعروف بنزعته الفردية . فهذا التوسع ليس فيه ما يضير قط اذ انه يحمل الخير كله للبشرية جماء ، اذ يفضي الى تطوير هذه الاقطار البكر بالسرعة والحرية المطاوبتين . فالحرية الاقتصادية تجر وراءها الحكم الذاتي .

وتوالت الهجرة من الجزر البريطانية ، معتدلة اذا ما قيست بالزخم الذي اتسمت به حركة النزوح في منتصف القرن التاسع عشر ، الا انها جاءت اقوى وانشط من اية حركة بماثلة في اي بلد اوروبي آخر . فمع ان السواد الاعظم من النازحين يتجهون شطر الولايات المتحدة ، فقد تزايد سنة بعد سنة ، عدد الذين قصدوا البلدان التي يرفرف فوقها علم صاحب الجلالة البريطاني . فالازمة التي اخذت بخناق البلاد ، في اعقاب ١٨١٥ وتسريح الجند من الحدمية العسكرية ، غذى هذا التيار الذي تضخم من جراء تأزم ظروف العيش واشتدادها على ابناء الطبقة الفقيرة . فقد ركب البحر مهاجراً ، عام ١٨٤٣ ، نحو من ٠٠٠٠ ، وقد ارتفع العدد الى ٢٦٠٠٠٠ ، عام ١٨٤٧ ، مم الى ١٠٠٠ عام ١٨٤٨ ، حتى بلغ معدل من يفادر البلاد ١٠٠٠ شخص في اليوم الواحد . وهكذا اطلت علينا في خريطة هذه البلدان الشاسعة ، ولايات جديدة ، حمرها البريطانيون . وحركة الهجرة هذه نشطت باتجاه الكاب واتجاه كندا وبرزت في مقاطعة الناقال وكولومبيا البريطانية وتضخمت في مقاطعة غال الجديدة الجنوبية في اوستراليا ومقاطعة اوستراليا

الجديدة الغربية ثم في مقاطعة اوسازاليا الجنوبية ، ومقاطعة فكتوريا ومنها التصلت بزيلاندة الحديدة . هذه الانشاءات الاستمارية الجديدة آثارت مشاكل جديدة ارتبط بعضها بالارص والبعض الآخر بالنظم السياسية .

فتذ القرن الثامن عشر تمتعت الملكية العقارية ، في بريطانيا بامتيازات متحررة من كل قيد وشرط تخالف تماماً ما عرف من الامتياز الاقطاعي المعروف باسبانيا ، باسم Encomiénda وهو امتياز يعطى مدى الحياة . وقد لوحظ شيء من بعدقة الاراضي المقتطعة لبعض الشركات الخاصة في هذه المستعمرات التي يقطعها التاج ألم المستعمرات القائم انشاؤها على براءة ملكية ، او في تلك المستعمرات التي يقطعها التاج البريطاني . ولن تمتم المضاربات المالية ان استبعت بها فتأخر من جراء ذلك نموها . وقد كانت قوة الجلب في الولايات المتحدة اقوى منها في هذه المستعمرات واشد اذ كان العمل الحر فيها يعطي مردودا اطيب . ولذا عدوا الى وضع تخطيط عام قام على ثلاث عناصر يجب توقرها مما : هي الارض ورأس المال والعمل . وفي سنة ١٨٣٣ ، نشر ويكفيلد كتابسه المشهور بعنوارث : وانكائرا واميركا ، عرض فيه بصورة جلية واضحة النظام الذي ارتبط باسمه . فقد قدم الدليل على صحة هذا النظام وحسن جدواه اذ اسس منذ سنة ١٨٥٠ ، شركة اوستراليا الجنوبية . ثم حاء بتجربة اخرى في زيلاندة الجديدة حيث ارتدت هذه الشركة طابعاً دينياً . وفي عام ١٨٤٢ مسر قانون يعرف بقانون Torrens فرض القيام بعملية مسح شاملة للاراضي البور ، وحدد منها صدر قانون يعرف بقانون Torrens فرض القيام بعملية مسح شاملة للاراضي البور ، وحدد منها صدر الفدان الواحد .

وقد وصل الى اوستراليا بين ١٨٥٠ – ١٨٥٠ ؛ اكثر من ٢٠٠٠،٠٠٠ مهاجر انكليزي بينهم عدد كبير عجز عن دفع ثمن الاراضي المقتطعة لهم ، فعملوا في غدمة مربي الماشية او في المدن . اما في الكاب فقد ادى بيم الاراضي بالمزاد والغاء نظام الرق فيها الى مشاكل وصعوبات معالبويرز ، بعد ان تعذر عليهم ايجاد مراع تفي بالظمن بمواشيهم وعجزهم عن توفير اليد العاملة بما اضطرهم للاتجاه شمالاً الى مقاطعة فالد . اما في المستعمرات الكندية حيث قام نظام الاراضسي المحمية الخاصة بالاكليروس والتاج ، فقد كال من العسير فيها توزيع الاراضي بحرية .

ومها يكن من الامر فنظام مستعمرات الاسكان اقتضى الاعتراف للستعمرة بصلاحيات ومسؤوليات عليها ان تقوم بها وتتحمل اعباءها . فمنذ عام ١٧٩١ ، اعسترفت انكلترا في اعقاب تحرر الولايات المتحدة ونيلها الاستقلال الناجز ، لقاطعتي كندا العلميا وكندا السفلى ، بانشاء نظام تمثيلي في كل منها . وفي الكاب ، بالرغم من المنافسة الحادة القائمة بين البريطانيين ، وبين البويرز ، اضطرت السلطات هنالك لمسايرة الاهلين و العمل على ارضائهم ، بالاعتراف لهم شيئًا فشيئًا ، بامتيازات معينة ، بعد ان برهنوا عن ارادة قوية في التوسع باتجساه مقاطعة الفالد . وقد نال آخر الأمر هؤلاء الذين اغتصبوا الاراضي (The Seguatters) في مقاطعة غال الجديدة الجنوبية المعروفين بفرديتهم ، شيئًا من أوليات النظام التمثيلي .

اما الحادث الخطير فهو هذه الازمة التي اخذت بخناق كندا وادت فيها الى تطبيق برناميم دورهام ، عام ١٨٣٩ . ولما كانت اكثر المستعمرات البريطانية المكتظة بالسكان وموضوع اشتهاء القومية الاميركية ومرامي اطهاعها التوسعية ، ونظراً لهذه الاقلية الفرنسية القوية التي تمتعت فيها بنظام تمثيلي ، اجتازت كندا فترة من الاضطرابات الحادة . فالقانون الدستوري الذي · صدر عام ١٧٩١ وقضى بفصل كندا العليا عن كندا السفلي ، امن السيطرة في البـــلاد لارستوقراطمة عقارية ، أو تجارية ، واعترف ، في الوقت ذاتـــه بمركز ممتاز المكنيسة الانكلكانية فيها. وقد أهاج مثل هذا الاجراء ؟ المزارعين وعمال الارض من الكاثوليك واتماع بعض الطوائف البروتسةانتية . فأكفوا من بينهم معارضة انتصبت في مجالس الأقليات . فالاضطرابات التي وقعت عام ١٨٣٧ ، اقامت لندن واقعدتها . فبينا مال اللورد بروغهـــام وبعض اعضاء الحزب الراديكالي الى منح كندا استقلالها ، راح اللورد دورهام ، من ناحيته ، يقوم بتحقيق دقيق حول الموضوع ووضع عند انتهاء تحقيقه تقريراً كان صدوره حدثاً لاريخياً في تلك الملاد ، اذ اقترح بأن تتمتم كلا الولايتين بالحكم الذاتي، لكل منها على تمثيلي منتخب، ومجلس اداري معين وحاكم له اختصاص رئيس وزراه . وهذه المؤسسات المنقولة عن النظـــام البريطاني حرى ترسعها فها بعد لتشمل الولايات البحرية في ايكوسيا الجديدة وبرونسويك الجديدة ، كما أنها طبقت فيها بعد ، على كل من الكاب واوسترالها .

وهكذا اطلت علينا هذه الامبراطورية المتح<mark>ررة؛ في هذا الوقت الذي سيطر على الانكليز</mark> النظام الانتخابي القائم على اساس الضريبة وسياسة حرية التجارة .

فاذا ما توقف الاخذ بالسياسة الاستعاريه القديمة ، من جهة عودة الى التوسع والتبسط في كل من الغرب وفي النصف الجنوبي من قارتنا الارضية ، فقد سيطرت هذه السياسة واعتبمدت اساساً والخذت قاعدة ، تمشوا غليها

من حهة الشرق. وهذا الانحراف زامن فترة بسط النفوذ البريطاني على الهند برمتها ٤ لم يفت الاجمال الماضة معرفة شيء بما يتصل: بطريق الكاب وشعوب البربر القاطنية في المغرب ومصر ، والسلطنة العثانية الآخذة بالانحلال والتفكك ، واستثار هذه الارخبيلات الآسيوية الواقعة الى الجنوب من آسيا والى الجنوب من الهند ، وما للعالم الاصفر من فتنة وسعر ، وما الى ذلك كله مها يتصل بالقضية الشرقية التي ألف الاوربيون شؤونها . وهكذا قامت العلائـــق التجارية وتوطدت واخذت الاطباع الاستعارية تبرز وتتضح .

فلم تكن الحركة التجارية بحاجة لأكثر من وكالات تجارية واسكلة بعرية عسل طول الشواطىء الافريقية التي تسير واياها في رحلة طويلة من هذا النوع . فلما كانت مدينة الحكاب للهولنديين وجزيرة موريس للفرنسيين ، فقد فرض البريطانيون سيطرتهم بشدة على هذا الطريق السلطاني . فالقسم الداخلي هو موضوع اهتمام بمض الرحالة المستكشفين ، وهو ميدان رحب

لأسواق النخاسة والاتجار بالرق. فالاهتام تركز حول مسالك البحر المتوسط. فمنذ الحمسلة الفرنسية على مصر ، راحت الدول الكبرى ، محافظة منها على مصالحها الحيوية ، تضع الخطط التي تخدم مصالحها في الغرب وتنهض بها على الوجه الأكمل. فقد خطر لميشال شفاليه ان يوصل الى مصر ، شبكة الخطوط الحديدية . وعندما انتظم سير بريد الهند البري خطر للمهندس (انفانتين) القيام بمشروع ضخم هو فتح قناة السويس . واعلنت الحرب بشدة على القرصنة ورجالها ، فراح الاسطول الانكليزي يقصف بشدة مدينتي الجزائر وطرابلس وقام اسطولهم بظاهرة بحرية وعرض القوى ضد الداي الى ان جاءت الحلة الفرنسية ، عام ١٨٣٠ ، تضع حدا لحكمه وادارته. وفي حادثتين تركز الاهتام بمصر واشر أبت اليها الانظار : هنا رغبة في توطيد الحجود التي يبذلها محد علي باشا لخلق دولة قوية له على ضفاف النيل ، وهنالك من جهة ثانية فريق يخشى كثيراً من بروز اسرة مالكة طموحة ويوجس شراً من سيطرتها على هسذا المفترق فريق يخشى دفريق يخشى مدة المام . فكلا الفريقين يراقب عن كثب وضع المضايق والمرات المائية الهامة ، فتشهد الدولي الهام . فكلا الفريقين يراقب عن كثب وضع المضايق والمرات المائية الهامة ، فتشهد هذه المرات التي تعد من اهم مفاتيح البحر المتوسط .

ان عدم التسليم بالانتقاص من هيبة الدولة وضرورة السير الى الأمام لترسيخ نفوذ الدولة ولا هذه الاعتبارات تفسر لنا البطء والصعوبات التي رافقت عملية فتح الجزائر وهي عملية جاءت بنت الحاطر ولم يخطط لها من قبل . فالتصرف الفرنسي في هدف الناحية من الناحية الافريقية الشالية يشبه الى حد بعيد ، مسلك انكلترا وتصرفها ، في الناحية الجنوبية . فنظراً للمسافات الشاسعة ، ولقيام هذا الجدار الذي يؤلفه البويرز في وجه تقدم الانكليز شمالاً ، اقتضى التغلغل الانكليزي في هذه الافطار الجنوبية طوال القرن بكامله ، بينا إخضاع الشعب الجزائري كاد يفرغ منه في الوقت الذي سقطت الملكية في فرنسا ، في تموز .

واهم من هذا كله واوسع ، هذه الأهداف التي رسمتها انكلترا من حروبها الطويسلة في الهند . فهي امام كتلة بشرية من ٢٠٠ مليون نسمة تختلف عنهم عرقاً وأصلاً وفصلاً ولغة وديناً وغط عيش ، ليس فيهم ما يجمع او يوحد ، وامامهم غاز طامع فيهم يرى نفسه بعيداً عن قواعده ، قليل العدد والعدد ، الما تجيش نفسه بالجرأة والاقدام ، مبطن بسدبلوماسي مراوغ . وهنا ، كما في الجزائر ، فقد حل تدريجياً على الاحتلال المحدود اشراف عام على البلاد بأجمعها . صحيح أن وضع امراء الهند ساعدوا جزئياً على تأمين نجاح هذه المفامرة الضخمة . وهكذا استطاع خلفاء كورنواليس ولسلي من هاستنفز الى او كلاند الى ألمبورو أن ينفذوا من الهند الرطبة الى الهند الجافة ، وأن يبسطوا نفوذهم حتى مشارف ايران ، وأن يحتلوا السواحسل الجبلية الممتدة من الخليج الفارسي حتى بورما . فالهدف الأساسي لسياسة لندن الدولية في هذه المنطقة هو إخضاع أمراء هذه المقاطمة أو تلك لسيطرتها والنحكم بثفورها ومسالكها، فاذا

كان لا بد من ضمان حرية الطرق الموصلة بين اوروبا والشرق الادنى ، استازم ذلك وجهوب السيطرة التامة على المحيط الهندي بما ادى الى احتلالهم لسنغافورة والضابق مالقا، والضيق عدن من جهة الفرب، وهما بمثابة جبل طارق . فسنغافورا ومالقا يتحكمان الى حد بعيد بشواطسسى، الهند الصينية وبالامبراطورية الهولندية في الانسولاند والممتلكات الاسبانية في الفيليبين . ففسي الوقت الذي تنصرف فيه البلاد الواطية لحروبها الاستمارية رامية منها لبسط سيطرتها على المواق وصومطرة بعد أن اعيدت هذه اليها ، راحت بريطانيا العظمي تسعى لبسط سيطرتها على اسواق الشرق الاقصى . وانتهزت مناسبة حرب الافيون ، فاحتلت هونغ كونسخ وارغمت الصين على فتح منافذها للغرب . فبعد أن تحولت تجارة الحرير والشاي باتجاه البحر ، فلن قلبث الصين على فتح منافذها للغرب . فبعد أن تحولت تجارة الحرير والشاي باتجاه البحر ، فلن قلبث أن وقمت ضمن الشبكة التجارية التي يشرف عليها الانكلوسكسون .

وفي هذا الرقت بالذات توفد الامبراطورية الروسية تجار الفراء عندما الى آلاسكا فتهسده بذلك الامير كبين في عقر دارهم في المحيط الهادي ، كا تدفع ببعض القوزاق على الطريق السرية التي يسلكها تجار الشاي ، باتجاء واحات آسيا الوسطى . صحيح ان بيروفسكي يفشل تماماً في عاولته الوصول الى خيوة وسط الصحراء ، فقد استطاع مورافييف الماموري ان يظهر امسام ساخالين . وقام نيفلسكي بتأسيس مدينة نيقولايفسك ، فهلم لب انكلترا لهذه الانجازات . ومع ذلك صدت مقاطعة القفقاس طويلا امام الفتح الروسي ، واذا ما تمكن الروس من قطويق هذه المنطقة الجبلية واستطاع الجيش الروسي النفاذ الى قلب مقاطعة جورجيا رادربيجان ، فستبقى المنطقة الجبلية على عصمانها وتمردها ، مدة طويلة ، وهنا ، كا في الجزائر ، وكا في الهند وماليزيا، يحاول العالم الاسلامي ان يصمد ويواجه القوة بالقوة .

ففي الوقت الذي حاول بعضهم فيه استشراف المستقبل امام روسيا وانكلترا ، تحسافظ اوروبا الفربية من وراء انكلترا على سبقها ، هذا السبق الذي يؤلف لها خير حافز الاستسهاو موارد العالم الفنية .





في السنة مهم ، بدا النظام الاوربي ، الناتج عن معاهدات سنة ١٨٥٠ و كأنه قد عاد الى نصابه ، وفي السنة عينها ، زال خطر الحرب الاهلية الى حين في الولايات المتحدة بفضل التسوية المكاليفورنية ، وانحا ، منذ السنة ١٨٥٤ ، بينما بلغت أزمسة االرق ذروة حدتها في العمالم الجديد ، اندلست الحرب سلمرة الاولى خلال القرن التاسع عشر بين الدول الكبرى في العالم القديم ؛ فابتدأت بذلك اهمال حربية لن تنتهي الا في السنة ١٨٧١ . انهار النظام الاقليمسي المقرر في مؤترفييننا والهيمنة المسكرية الفرنسية ؛ وحققت كل من ألمانيا وايطاليا وحدتهما ، وسيطر الربخ البسماركي بدوره على اوروبا البرية الجديدة التي عرفت ، منذئذ ، السلام المسلح . الما الحرب الانصاب الميركا الانكاوساكسونية عما يعترض سبيله .

توطدت اركان الولايات المتحدة ، وعرفت اوروبا انقساماً لم تعرفه من قبل : وقد بــدا ، منذئذ وكأن مصير هذه الاخيرة يتردد حائراً .

ولكن الحقيقة على غير ما يبدو ، اذ أن قوى القارة الصغيرة ما زالت سائرة قدماً في غوها الحثيث . فاستمرت حركة توسع بريطانيا العظمى التي لم تدخل طرفا في حروب القوميسات ؟ وما لبثت فرنسا أن دخلت دور النقاهة بسرعة ، فساورتها رغبة متزايدة في اثبات وجودها خارج أوروبا ؟ وما زالت الكتلة الروسية تنوء بثقلها على آسيا ؟ ولن تلبث أن تبرز و السياسة المالمية ، التي اختطتهسا الامبراطورية الالمانية المتميزة بقوة هائلة . ولعل الحضارة الاوروبية أشمت حينذاك اشعاعاً فائق القوة .

ولغصل وللأولات

المنعطف الحريب خلال القلاب القومية في أوروب القومية في الولايات المنعدة والحرب الانفصالية في الولايات المنعدة (١٨٥٤ - ١٨٥١)

تميزت السنوات ١٨٥٣ – ١٨٧١ بمزيد من الاضطرابات . فهبت على الفرب ربح حربية . وكان ميدان المركة الاول شواطىء البحر الاسود . فقد حالف نابوليون الجديد انكلنرا، وهاجم بجيوشه روسيا. ولكن نتيجة حرب القرم

من حرب القرم الى الحوب الفرنسية الالمانية ، حرب الانفصال رانقلاب الرضع في البر الاوروبي لمصلحة المانيا

هذه لم تكن هزية للامبراطورية القيصرية رقبام ازمة داخلية فيها فحسب ، بل عجلت التوسع الاوروبي شطر الشرق واندلاع الحروب القومية في اوروبا نفسها في آن واحد: فمن جهة شمر مهزومو سيبستوبول ، الذين ابعدوا مرة اخرى عن المتوسط ، مجاجة الى الاندفاع نحسو آسيا الوسطى والشرقية زاد من حدتها نشاط عمل فرنسا وانكلت تراعل الطرق البحرية المؤدية الى آسيا الجنوبية . ومن جهة ثانية ، برزت حوكات الشعوب بسرعة في المسانيا وايطاليا والدول الدانوبية بسبب انعزال النمساوعداء الامبراطورية الفرنسية الثانية لمقررات مؤتمر فيينا الاقليمية . فأدى ذلك ، بدون انقطاع تقريباً الى الحرب الايطالية في السنة ١٨٥٩ ، والحربين النمساوية -البروسية والنمساوية -الايطالية في السنة ١٨٦٦ : فبدلت خريطة اوروبا تبدلاً كلياً ولم تنج ملكية آل هبسبورغ الا بثنوية نمساوية -هنفارية .

عقب هذا الهيجان في العالم القديم هيجان في العالم الجديد . فحين تخلخل التوازن غير الثابت ن شمال الولايات المتحدة وجنوبها بارتفاع عدد سِكانُهُ الشهال ونمو اقتصاده ارتفاعاً ونمــــواً لا يقاومان ؛ انتهى الجنوب الى تقرير الانفصال ؛ فكانت الحرب الاعلية التي نشبت في السنة ١٨٦١ تزاعاً مسلحاً بين فئنين اجتاعيتين تكاملت وتضامننا زمناً طويلاً ؛ وانتهى الامر بينها الى عداء ازرق . لا شك في ان لمذهب إلغاء الرق ؛ الذي زاد انتشاراً منسف السنة ١٨٥٠ ؛ واحرز الغلبة في الانتخابات الرئاسية في السنة ١٨٦٠ بنجاح لنكولن ؛ أثره الكبير في تصدع الاتحاد ؛ ولكن الازمة المالية الاقتصادية – أزمة ١٨٥٧ – قسد شددت اصحاب المزارع في موقفهم الحفر من رأسمالي الشهال ، بخلقها تيار حماية الصناعة الوطنية في الاوساط الصناعية . احل انها حرب اجتاعية ، ولكنها حرب ضارية ، استطال عهدها ، لا نظير لها آنذاك في مساله المفرت عنه من تقتيل وتخريب .

أما اذا خرج منها الاتحاد اكثر قوة ؟ قان ضعفة العابر قد شجع مع ذلك بعض مطامع المول الاستمارية القديمة . وان الغزوة الفرنسية للكسيك ؟ التي يعتقد البعض بأنها و الفكرة الكبرى ه التي راودت حكم نابوليون الثالث ؟ قد جرت على مقربة من اميركا العاجزة عن فرض مبادىء و موثوو ، فهل هي فكرة لاتينية يا برى ؟ أم هل هي نظرة الى المنطقة البرزخية بين الاطلسي والحادي في الوقت الذي تعد فيه العدة لفتح ترعة السويس ؟ ولكن القصد قد تصدع يناؤه منذ أن رفضت اسبانيا ؟ شأن انكاترا ؟ التورط حتى النهاية ، وحاولت عبثاً انسازاع الجزر و الآندية ، الفنية به والفوانو ، فإن حكومة لندن ؟ التي عملت بوحي الاختباء ؟ آثرت منح كندا نظام المتلكات . فكانت نتيجة المفامرة الفرنسية تقهقراً النفوذ الاوروبي في نصف الكرة هذا .

بعد أن صُدّ في المكسيك ، فكثر نابوليون الثالث بالاعاضة بما ناله في المناطق الرينانية . ولكن عداءه المتآخر للوحدة الالمانية ، بُميد و سادوقا » ، قد جمله وجها لوجه المسام بروسيا فكانت له د سيدان » بمثابة و واترلو » لنابوليون الاول .

في السنتين ١٨٧٠ – ١٨٧١ ، استكملت الدولتان الايطالية والالمانية عناصر وحدتهما ، الاولى بالاستيلاء على روما ، والثانية بسحق فرنسا التي خسرت الالزاس وجزءاً من اللورين بعد ان كانت استردت السافوا ونيس . اجل لن تتجدد الحروب الكبرى طية نصف قرن لأن المانيا الجديدة بحاجة للاستراحة . ولكن اهواء الشعوب لم تهدأ ، وهو السلم الذي عسبر عنه بالسلم المسلم ما سيميز العلائق الدولية في اوروبا حق السنة ١٩١٤ .

بعض المطامر الاقتصادية والاجتاعية العهد الحربي

حاول بعضهم تقدير كلفة هسنده الحروب: مليار ونصف المليار الحرب الايطالية ، ومثلها لحرب السنة ١٨٦٦؛ وبين ١٣ و ما ملياراً الحرب الفرنسية الالمانية ، وقرابة ٣٦

ملياراً لحرب الانفصال. وما ان سدد تعويض المليارات الحسة حتى استعادت الموازنة الفرنسية توازنها مرة الحرى . الا ان الاقتصادين النمساوي والروسي قسمد تأثرا اكثر من الاقتصاد

الفرنسي و امضت حكومة الولايات المتحدة زهاه ١٥ سنة في محو ٢ ثار عجز مالي ثغيل الوطأة . وعلى اي حال ليس رأس المال ما تحمل هذا العبء في هذه الجهة من المحيط الاطلسي او تلك : فهي رسوم الاستهلاك والرسوم الجركية ما وفر النصيب الاكبر من الواردات الاضافية السيت يتوجب على جهور السكان أن يؤمنوها ؟ اما تضخم الاوراق النقدية و ذات الظهر الأخضر ، فقد سهلت المضاربة وانتقال الثروات إلى اميركا .

رافقت الحروب ارتفاع في الأسعار ، كا خدث بين السنة ١٧٨٩ و ١٨١٥ . ارتفعت نسبة الكسب الرأسمالي : ارباح الصيارفة عن طريق القروض (اصدر منها و ارلنغر، واجداً في اوروبا لحكومة جنوبي الولايات المتحدة ، ولكن ثلث القيمة خصص لتجهيز السفن التي لم تسلتم) ، ارباح الميارة (مورغان كرنجي ، روكفار ، وانامايكر ، فاركورهار ، هاركنس في الولايات المتحدة) هاركنس ببيمه الروم والوسكي ، وفاركوهار ببيمه الحامل لنقل الجرحي) ؛ أرباح مصانع الآلات الحربية والدخائر : كروب في اسن ، وشنيدر في الكروزو ، وارمسترونغ وفيكرز في انكلترا ، والاسوجي نوبل في روسيا ، و و دي بون دي نومور ، في اميركا (زود هذا الاخير الطرفين المتحاربين في حرب القرم) رمنفتون وهوتشكيس اللذان لجأ و غبتا ، الى خدماتها . وحققت الكيمياء وصناعة استخراج المعادن نجاحات سريعة .

مم<mark>يزات</mark> الحروب وعدد الح_برب في منتصف القرن

تميزت النزاعات المسلحة التي ادمت اوروبا بقصر مدتها وسرعة تقرر مصيرها لأن القوى بمطلم التجابه منذ الاصطدامات الاولى. اجل حافظ معظم الدول طي الجيش التقليدي الحترف،

وبقيت القوى المتقابلة في جبهة القتال محدودة العدد نسبياً . الا أن الجيش الوطني البروسي قسد ارتفع عدد أفراده منذ الاصلاح الذي فرضه بسيارك في السنة ١٨٦٧ – ١٨٦٣ ٤ وقد هزم هذا الجيش على التوالي جنود الامبراطورية الثانية والفرق التي ارتجلتها حكومة الدفاع الوطني عائدة في تنظمها الى أساليب السنة ١٧٩٣ .

أما في الولايات المتحدة ؛ فقد جرت حرب ناهكة ؛ حرب شاملة يلعب الارتجال فيها الدور الاول في النهاية ؛ ولكنها تستازم وقتاً طويلا واستهلاكاً عظيماً في الرجال والعتاد ؛ وما زال اختصاصيو ووست بوينت ، المحترفون يأنفون من ارسال الجيوش بأعـــداد كبرى الى جبهة القتال ، فكانت النتيجة أن الشهال أحرز السيطرة بقوة النار وبالعدد على السواء .

ان فترة السلم الطويلة التي عقبت السنة ١٨١٥ لم تكن موافقة للطاوع بتماليم عسكرية جديدة. وتأمل المنبون بالأمر في مآثر كبار القادة من أمثال فردريك الثاني ونابوليون: فاكتفى و جوميني ، الذي أخضع كل شيء للمقل المفكر ، بعدد صغير من القواعد الثابنة ونادى بتوفير القوى ؛ ونادى و كلوسفتز ، الذي خص المبادرة بنصيب اكبر ، بأهميسة القوى الممنوية ، ورابط السياسة والحرب ، وتراءي دور القطار الحديدي . أما حملياً فان الجيش النمساوي كان

يذهب الى المركة كما الى لعبة شطرنج ، والجيش الفرنسي ، الذي فائته عادة العمليات الواسعة ، لم يستخلص من حلات على الجسزائر سوى دروس شجاعته و « حسن تصرف » . وعاش المسكريون البروسيون ، بعد ليبزيغ ووائرلو ، في مناخ الثقة الجافة نفسه الذي عاشوا فيه بعد انتصارات فردريك ، فتلسوا طريقهم قبل ان يسيروا على خطى « مولتكه » الذي انضجه عوزه في بدء حياته وبعض خيبة الآمال في تركيا ، وخدمه مبدأ جمع كافة الجندين في فرقة واحدة سما يسهل احداث رحلات كبرى على بعض الاستقلال سفاختسار استراتيجية على طريقة كلوسفتز ، وعسين من ثم على رأس الجيش أركان حرب يعرفون كيف يتحملون مشرولياتهم ، وفضل على « المركز الحسن » الذي يسمى وراءه المشاة ، المناورة التي وسع من أجلها دور المدفعة .

استمرت المنافسة بين الرماية والدرع ؛ ففي سيبستوبول وحول ريشموند شلت حركة المهاجم زمناً طويلاً أمام الخطوط المحصنة ؛ ولم يحاول الالمان الاستيلاء على منز بالقوة ، كما أن بريس قاومت طيلة خسة أشهر . ولكن الاسلحة الهجومية حققت بعض التقدم ؛ فان ابتكار كبسولة الثقبير ، والطلقة النحاسية ، والرصاصة المستديرة – الخروطية الشكل ، كان بمثابة انتقال من البندقية الزنادية الى السلاح المغرض الذي يحشى من المؤخرة ، من نوع « درايز » المعتمد في البعيش البروسي ، أو من نوع « شاسبو » الذي اختاره البعيش الفرنسي . واذا كان المعتمد في البعيش البروسي ، أو من نوع « شاسبو » الذي اختاره البعيش الفرنسي . واذا كان المدفع المسدس ومدفع الرصاص—رشاش الكولونيل « دي رفتي »—اللذان ابتكرا في أميركا ، أثار في فرنسا ، في السنة ١٨٧٠ ، آمالاً ليس لها ما يبررها ، فان المدف عمد المنوس ، الذي أثار في فرنسا ، في السنة ١٨٧٠ ، آمالاً ليس لها ما يبررها ، فان المدف عقوسة المقدمة تعرف انكب على دراسته الكولونيل « تروي دي بوليو » والذي يطلق قذيفة مقوسة المقدمة تعرف بالقنبلة ؛ قد احتل مركز المدفع الصقيل الذي يطلق القذائف الملاى والمستديرة ؛ ولكن الحشو من المؤخرة واستبدال الشبه بالفولاذ لن يعتمدا الاشيها فشيئا .

وتنافس الدرع والقذيفة على البحر أيضاً . فقد كان حدثا هاماً ابتكار مدفع « بكسان » لاطلاق القنابل ، الذي جبل السفينة الخشبية عرضة المتدمير ، وهو هذا المدفع ما أتاح المروس تدمير الاسطول التركي في و سينوب » . زه على ذلك أن « فولتن » قد ابتكر القذيفة الناسفة التي استخدمها المدافعون عن « كرونستات » وسيبستوبول ، وبنى الجنوبيون لقذفها اول سفينة تسير تحت الماء . ولكن الاختراع المضاد له قيمته الكبرى ا . نا . فقسد سبق لفولتن واركسون أن فكرا بتصفيح هياكل السفن . ثم ظهرت السفن المعدنية والآلات البخارية في السنة ١٨٥٠ : توفق « غوياس » الى تدويسم خس مدفعيات استخدمت في القرم ، ثم حققت و دوريان » في السنة ١٨٥٩ ، السفينة الحربية المدرعة مستعينا بتصاميم « ديبوي دي لوم » اطلق عليها اسم (Gioire) المجد ؛ ولكن الانكليز ما لبثوا أن حققوا سفينة حربية تنافسها هي « المحارب » ولم يض وقت قصير حتى حققت في الولايات المتحدة السفينة (Monitor) التي صمها اركسون الشاليين ، فكانت لا ترى بسهولة ولا تقاوم الامواج بقوة ، ولكنهسا كانت

مدرعة بصفائح حديدية سميكة جملتها تقف بالمرصاد (Merrimac) سفينة الجنوبيين الحشبية المزودة بمهاز معدني في طرف مقدمتها ، وتكيل لها الضربات الواحدة تلو الاخرى . فخشيت بريطانيا المظمى فترة من الزمن على زوال هيمنتها ، فبنت بسرعة سلسلة من « المدرعات » التي زودها « ارمسترونغ » بالابراج .

بيد ان النجاحات التقنية لم تكن من التقدم مجيث تتجاوز الحسائر في الارواح خسائر حروب الثورة والامبراطورية تجاوزاً يذكر . فان معركتي و ريزونفيل ، وسان – بريفا اللتين تعتبران الم المعارك الدامية في السنة ١٨٧٠ قد اسفر كل منها عن ٢٠٠٠ ضحية ؛ والحال ، اسفرت واغرام عن ٢٠٠٠ و تتيل وواترلو عن ٢٠٠٠ و والامكان اضافة الوفيات المعزوة للامراض . فتقدر ضحايا حرب القرم بمجموعها به ٨٠٠٠ شخص تقريباً ، وحرب السنة ١٨٧٠ وحرب الرسلة وحرب السنة وحرب المورب المورب المورب الانفسال بـ وحرب المورب المو

ولكن الشاعر لا بريد ان يفقد الامل:

د لا ! لا ! ليس مصير الانسانية

أن تجلس بلا حراك عند عتبة المدافن الباردة ...،

(فكتور هوغو ، والسنة الرهيبة ،)

وفصل وهشابى

عصر الاستمان المطلّق بإمكانات العلم

« نتبسك بعقيدة التقدم تمسك المؤمن بعقيدته ...» (قاشرو)

كانت حرب الانفصال حدثًا عابرًا في مرحلة ارتقاء تميز بسرعته ، فلم تضمف عند الاميركي شموره بأنه ممد لدور عظم ؛ ولكن المنازعات القومية قسد عجزت مي ايضاً عن صرف الاوروبي عن اعتقاده بأنه محمل مشمل و الحضارة ، ولا يشك و فورييه ، في أن مفهوم الحضارة نفسه لا ينطبق على والفترة الخاصة من الحياة الاجتاعية التي بلغتها الامم الاوروبية ». ويسخر « ماكولي » من أو<mark>لئك ا</mark>لذين يرغبون في تتثيف المندي وفاقاً لفاهيمه الخاصة : وحين نعلم فلسفة سليمة وندافع عن الحقيقة في التاريخ ، نكون كن يكتتب بالامو<mark>ال ال</mark>مامة لملم فلك من شأنه اثارة الضحك في مدرسة الفتيات الانكلــــــيزيات ، أو ل<mark>قصة</mark> ملوك يبلنون ثلاثين قدماً ارتفاعاً ويتولون الحكم آلاف السنين ؟ أو الجغرافية الا ذكر فيها الا ليحور من الزبدة أو من السائل الحلو الكثيف الذي يبقى بعد تباور السكر ». والسبب في ذلك ان تفرق الثقافة الغربية لا يمكن ان يكون موضوع جدل . وقد قال د برودون ، في هذا المني: و أن قدسية الانسان مصونة ، وما علينا ، نحن العرق المتفوق بالنسبة للاعراق المتخلفة ، سوى رفعها الينا ؛ وعماولة تحسينها ؛ وتقويتها ؛ وتثقيفها ؛ وتشريفها . ورأى ﴿ بُولُ لُرُوا—بُولُيو ﴾ ؛ وهو صهر د ميشال شيفالييه ، القائل قول د سان - سيمون ، ١ ان ما يتوجب على د الشعوب المصرية ، هو و عدم التخلي عن نصف الكرة الارضية لأناس جهلة وعجزة » . واستند وتبودور روز<mark>فلت » ؛ على</mark> غرار معاصره غليوم الثاني ؛ إلى الرسالة التقليدية المتوجبة على هذا الشطر من البشرية الذي يطلق عليه الربان و 1 . ت . ماهان ، امم و واحة الحضارة في صحراء البربرية ،٠٠ وتمنى من صميم فؤاده و استملاك الاعراق العادمة الاهلية ، لمسلحته . ورأى ماركس من جهة ثانية ان مهمة ارشاد الجميمات وقيادتها تعود <mark>الى البروليتاريا</mark> المتتورة على بروليتاريا البلاان المتطورة .

فالأمر الهام من ثم هو المعرفة ، هو التربية التي قال عنها فولتير انها (المنبع الخصب لكل نظام وهدوء وسعادة) .

مسألة الثقافة

ان نقطة الانطلاق هي محاربة الامية ، ذالع العيب الخزي . لقد اسهمت المطبعة والمدرسة في ذلك . وما كانت الثانية لتعطي تمارها لولا التقدم الذي احرزته الاولى . ولكن اذا رغب الانسان في القراءة والكتابة الذأن الكتاب والصحيفة والاعلان آخذة كلها بالانتشار والرسالة تنقل بسعر منخفض – فليس معقولاً أن يطلب من التعليم الابتدائي فوق ما يستطيع اعطاءه ، ومها يكن من فضل هذه الثقافة الأساسية ، فهي لا تعد للهنة . من هنا نشأ الميل الى تعليم مهني لا يفصل فصلا كبيراً بين النظرية والتطبيق العملي، ويوسع في الوقت عينه افتى الكتاب المدرسي. ولكن تادراً ما قهرت الصعوبة ، فقد استمر التفريق بين من يتوجب عليه تأمين قوته وبين من يستطيع متابعة تحصيله العالي ، وقد ساعدت على هذا التفريق التمييزات الاجتاعية السائدة .

ولكن ما هي قيمة تعلم آداب قديمة يتذوقها أبناء الارستوقر اطية والبورجوازية في الكليات والجامعات ? هل في الثقافة الكلاسيكية القديمة / التي أرضت اهواء النخبة / استجابة داعمة للحاجات ؟ لذلك كان للقرن التاسع عشر أيضًا مجادلته بين الاقدمين والمعاصرين . فقيد قال أراغو من اعلى منبره: ولا يصنع سكر الشمندر بالكلام الحلو؟ ولا يستخرج الاشنان من ملح البحر بالأبيات الشعرية ، ، بينا دافع لامرتين عن قضية و الحقائق الاخلاقية التي تأتينا عن طريق الدروس الادبية » . فهل أن الآداب هي والعلوم على طرفي نقيض ؟ أن مستازما<mark>ت القرن</mark> واقم ثابت ، والاختيار المتفاوت الحرية – بحسب الأمزجة القومية – أتاح التسويات بين الانظمة الفكرية المختلفة . ومهما يكن من أمر فالحقل العلمي اتسع بسرعة . ولم يبق سوى تدبير التوفيقات الضرورية بين الختبر والمصنع : تحققت المحالفة بعض الشيء بين الغني والعالم ؟ وهسى المانيا التي ارشدت الى الطريق في اوروبا. واذا ما زال ممكناً ان يكون الخترع في الغالب ممتهناً وضيماً ، فقد أصبح الاختراع ، اكثر فأكثر ، غرة الدرس. ولكن الماثلات صاحبة الامتيازات لم تفقد مكانتها . فعائلة « هرشل » وعائلة « ستروف » تمثلان وحدهما مائة سنة من علم الفلك . وقد سيطر اسم عائلة « كاندول » زمناً طويلاً على تاريخ علم النبات . وفرضت عائلة « بكريل» نفسها في حقل علم الطبيعة منذ منتصف القرن . واكبت عائلة « لينورمان » بكل لجاع على علم الآثار . ويمثل الاخوة « سيمنس ، العشرة جيلاً من الفنيين يثير الاعجاب والدهشة: فقد اعطوا مثلًا نادراً في نجاح وتوسيع تطبيقات العلم على الصناعة .

ازدادت ثقة العلم بنفسة اكثر فأكثر وفاحت اساوبه وتنظيمه. فو الروح العلية: الاثر الوضع لقد خلف مذهب العقلين الكرتزياني الذي استند الى بصيرة العقل مذهب عقلي يرتكز ارتكازاً أساسياً الى الاختبار ، يضاف الى ذلك من جهة ثانية أث القرن قد نبذ نبذاً نهائياً المنطق الصورى الذي علمته الفلسفة الكلامة والذي ليس ابتداعساً ؟

وأرسخت البرهنة على الاستدلال الحسابي الذي يفتح الطريق باستمرار امام الاكتشاف . وقسد جمع وجون ستيورات ميل و قواعد الاستثبات بواسطة المعطيات المقنعة . وبينا أخضع وغالوا ولحساب نفسه للاختراع و كلود برنار و على الاختراع الاليجعله في خدمة الاختبار والحساب نفسه للاختراع و كلود برنار و على الاختراع الاليجعله في خدمة الاختبار مقاومة منه للمنطق الكرتزياني الذي أخضع الاختبار للتصور الذهني : ليس الفكر ان يخضع الاختبار امام متطلبات فكرة تتكون ببصيرة العقل و اذا كان هنالك بصيرة عقلية عرافية و فان الاختبار يستدعي بصيرة عقلية رقابية . وليس من الصعب استشفاف ما ينطوي عليه هذا الموقف من خصب وامكانات . فهو ما سيوفر لعلوم الطبيعة عدة فكرية طيعة وبعيدة الغور . ولكن مذهب ماركس المادي الجدلي قد اقترح كذلك انطلاقاً من الواقع و نظرة دديناميكية ولكن مذهب ماركس المادي الجدلي قد اقترح كذلك ان علماء الرياضيات قد قدموا النتيجة ومسمد على العالم تنطبق على تصرف البشر . زد على ذلك ان علماء الرياضيات قد قدموا النتيجة ومسمد اليوم على اقامة البرهان .

لا ربب في ان المذهب الوضعي قد ابتغي من العلم أن يعين بوضوح صفاته المعيزة ومسداه وحدوده . ومن حيث هو يدّعي تحديد و الحالة النهائية الحقيقية المقل البشري ، ، فقد عين العلم موقعه بالنسبة لعلم المعقولات والنظريات المنطبقة على مفهوم الفائية ، وأسند اليه مهمسة اكتشاف السنن النهائية الظواهر باستخدام البرهنة والملاحظة مما ، واقترح عليه ، كثل أعلى ، جمع كافة آرائنا حول الكون في مجموعة واحدة من الحقائق المترابطة ترابطا عادم الانفصال ، وطلب اليه اخيرا خدمة التقدم البشري قبل أي شيء آخر ، فربط بذلك الدروس العلمية بعلم الطبيعة الاجتاعي أو علم الاجتاع .

النظرية الكون الحظ و كورنو ، ان الرياضيات انجهت و انجاها تغلب عليه الصفة النظرية معرفة الكون حين كان القرن يبدي مزيسدا من الاهمتام بالناحية العملية ، فسا زالت موضوع الساعة التوابع والاعداد والجاميع الحسابية ، تلك المسائل الكبرى التي أكب على ايضاحها و ويرستراس ، و و هرميت ، و و كرونيكر ، والعديد غيرهم بمن حجب اسماءهم لمان اسم و هنري بوانكاريه ، فلم يكتف هذا الاخير ، في الجلدات الثلاثين والبيانات الكثيرة التي نشرها ، بايجاز مجهود سابقيه ، كأن يعود الى توابع و فوكس ، مثلاً ويطبقها على المندسة الاوقلدية ، بل تناول في الجائه المعادلات التفاضلية ، والكميات الصغرى ، وحساب التكامل ، ومسألة الاجسام الثلاثة (سبق للآلية النيوتونية ، ان حلت مسألة الجسمين) ، واهم بالعلائق بين الطواهر الكهربائية والظواهر الضوئية . وان و ريان ، الذي ابتدع هندسة غير اوقليدية قد وجد نفسه منساقا ، منذ السنة ١٩٨٤ الى اقتراح فضاء ذي أربعة ابعاد ، والشعور شعور بعيدا بالنسبية . وقد وضع المعالم على هذه الطريق الاخيرة كل من و هاملتون ، بنظرية الجل الجبرية المنابية ، و و كايلى ، وسلفستر بنظرية الثوابت .

وهكذا فتح علم الرياضيات امام علم الطبيعة آفاقاً غير منتظرة . ولكن ذلك لم يمنع الانسان من ان يرو"ض الوقت ، وقته ، لاجل راحته وتسهيل اعماله: حدد ساعة وسطاً واختار

من ثم خط طول أصلياً (هو خط طول و غرينوتش ،) ، ورسم اقساماً وهمية مغزلية الشكل لتحديد الوقت وتوحيده في مختلف الدول ، وسينشىء مكتباً دولياً للساعية . وتحت قباب المراصد ، التي ارتفع عددها ارتفاعاً مطرداً ، وزودت بالمراقب الجبارة ، وأجهزة التصوير ، ثم بالمناظر الطيفية ، رسم خريطة الساء بصبر وطول أناة ، وثابر على اكالها بالكواكب السي حقق هويتها واوضح طبيمتها وابمادها وحركاتها . ثم عين و فيزو ، سرعية الضوء بواسطة عجلة مفرضة ، وبرهن و فوكو ، الذي أكب على البحث نفسه ، ان الارض تدور حول محورها بواسطة رقاص جعله يتذبذب بعد ان علقه بخيط تحت قبة ال و بانتيون » . ثم سار فن التحليل الطيفي قدماً بفضل و كيرشوف ، و و بونسن ، و و هوغنز ، و و ميار » (مولد علم الطبيعة الفلكي) . وإصاب و ماكسويل ، بتفسيره ان الضوء نتيجة تموجات مغنطيسية وكهربائيسة مشتركة . ودنت الساعة التي سيحقق فيها و هرتز ، الموجات الكهربائيسة . فبدت الموجات الكهربائيسة ألوف الكيلومترات . أفليس في منذئذ وكأنها تؤلف مجموعاً ضخماً ، ابتداء من الموجات وراء البنفسجية التي لا تتجاوز بعض منذئذ وكأنها تؤلف مجموعاً ضخماً ، ابتداء من الموجات وراء البنفسجية التي لا تتجاوز بعض مذه الظواهر الضوئية والتموجية والكهربائية والكيميائية دليل وحدة هي وحدة المحون نفسها ؟ .

زماناه مرسليزبر ثار» واللورد«كلفن »: المدرسة الآلية

في بيان نشره في برلين في السنة ١٨٤٧ ، طرح و هلمهولتز ، مسألة ذاك الشيء المبهم الذي يظهر في الآلة البخسارية والكهرباء والنور نفسه : مسألة الطاقة . والحال ، فار

« ماير » و « جول »و « كلوزيوس »، و « كارنو» من قبلهم ، قد عينوا سنن علم القوة الحرارية، التي طبقت على درس الغازات فقادت « ماكسوبل » و « بولتزمن » الى النظرية الحركية؛ وفي الحقل العملي ولند الضغط والتذويب صناعة التبريد .

بعد صياغة سنن دوام وتلف الطاقة ، بقي هنالك اخضاع المادة العضوية نفسها لقواعد الطاقة الآلية . وقد توصل اليها الكيميائيون فعلا ، ولو بعد بجادلات عنيفة : ألم ينبىء و دوما ، بأن الكيمياء ستصبح قادرة على بجاراة الطبيعة الحية ؟ فبعد مرور عشرين سنة ، جاء تحليسل كلورور الالومين على يد و سانت كلير - دفيل ، وتركيب الكحول الخشبي انطسلاقاً من عناصره على يد مرسلين برتلو ، يحكمان لما قاله . وهكذا فان بعض الاجسام ، التي كانت تبدو ثابتة ، قد تحللت، في بعض الظروف الحرارية ، إلى عناصرها ، فلحق مدلول التوازن غير الثابت بسنن علم القوة الحرارية . وفي السنة ١٨٦٣ تحقق تركيب الاستيلين انطلاقياً من عناصره بجرد تدخل الشرر الكهربائي . ثم جاء على التوالي دور البنزين والنفتالين والشحوم . وأيسد و برتلو ، تأكيد الدانمركي و تومسن ، بأن الحرارة المتكونة بالتفاعل الكيميائي قابلة القياس ، فقام علم حراري كيميائي الى جانب علم القوة الحرارية .

كَلِف بالاختبار وامتنع بقدرة العلم القاهرة ، فتخيل بفضل العلم مستقبلًا عظيمًا جــــداً

للانسانية . وجد على غرار و نوبل في اتقان المتفجرات ، ولنكنه انتنج ال و اوزون في صناعيا ووفر لمعاصريه وسيلة تعقيم الماء وتخيل للسنة ٢٠٠٠ غذاء قوامه صفائح آزوتية : آمن بالتقدم اللاعدود واسهم في وضع الكيمياء في خدمة التدمير . انه لوجه عادم المثيل والنظير . وقسد وصف و ميشليه ، كتابه و الكيمياء المضوية المبنية عسلى التركيب ، وكأنه والمسلج الذهبي ، في هذا الفرع الذي بلغ اشده .

ان و ملك الكيمياء ، هذا - كا اسماه و جول لو ميتر ، ، الذي استقبله في الاكاديمية الفرنسية - قد مات في السنة ١٩٠٧ ، سنة وفاة اللورد كلفن ، المثل العظيم الاخير للايمات المطلق بامكانات العلم . كان و وليم تومسن ، عبقريا عمليا اكثر منه نظريا ، فاكتشف المبدأ الذي سبقه و كارنو ، الى اكتشافه ، وحسن خصوصا اجهزة كهربائية كثيرة ، وادار عملية انزال السلك البحري الاول عبر الاطلسي ، وكتب المديد من المقالات والبيانات وترأس جميات علمية كثيرة في بريطانيا المظمى وسواها . احيط بالتكريم وأغدقت عليه الدرجات الرفيمة ولكنه لم يتوار عن مسرح هذه الحياة قبل ان يشهد هبوط المنهب الآلي الذي دافع عنه اكثر من اي عالم آخر .

امالت العديد من الطبيعين الى مذهب التحول الذي قال به و لامارك ، .

والحال ، اصدر شارل داروين ، في السنة ١٨٣٩ - ١٨٤٠ ، د يوميات المجاثه ، الذي دو تن فيه ملاحظاته خلال سفرته البحرية في المياه الجنوبية : فقد لفتت انتباهه الاختلافات في النوع الواحد بين جزيرة واخرى . لقد سبق له ان عرف الجيولوجي د ليال ، المناوىء للمذهب الذي ينسب التبدلات التي حصلت على الارض الى الفيضانات والزلازل ، كا قرأ مؤلفات د مالتوس ، ارتأى ان الصراع من اجل الحياة ظاهرة عامة تتم بواسطتها عملية انتقاء طبيعية . واصل استقصاءه ، وفي السنة ١٨٥٩ اصدر كتاب د منشأ الانواع ، الذي بيع منه ١٢٥٠ نسخة في فترة قصيرة ونقل الى ست لغات .

كان الانتباه متجها آنذاك الى الانواع الضخمة من الحيوانات المنقرضة : الزحّاف الاريش ، والطير الانيّب . وقد وضع « ارسبورن » بياناً بإنسال الهر منذ الدور الجيولوجي الثالث . ولكن ماذا عن اصول الانسان ؟ فهل ستكتشف بوماً بقايا « بشر سابقين الطوفان » كما انبياً . بذلك « بوشيه دي برت » ؟ في الواقع عثر فجأة على جد انسان نيندرتال في السنة ١٨٥٧ ؟ ثم جاءت الاكتشافات الحاسمة في منطقة « بيريغور » ، في « اورينياك » و« غريمالدي » . ولم يخش بعضهم من اقامة نسب بين القرد والانسان .

قام في الوقت نفسه ، منذ ان حقق « بوهل ، جبلة خلايا الاجسام الحية ، نقاش حاد حول

تركيب الخلية ودورها ، وهما موضوعان هامان عني بهها التقليديون ، المنارتون لمبدأ التطور والتناسل الذاتي ، تمنع بعض العلماء من امثال د باستور » و و كلود برتار » عن السير وراءم حق النهاية . ولكن « هكسلي » شدد على اوجه المتجانس بين الانسان والقردة في السنة نفسها (١٨٦٤) التي ندد فيها البابابيوس التاسع عشر برقيم مشهور » وما لبث « فرياز مول » ، بعده برقت قصير » ان ربط بين علم تخلق الجنين والانتقاء الطبيعي . افترض هكسلي ان المادة العضوية الاصلية موجودة في قمر البحار ، بينسا طبق « هكل » الذي ربط نظرية الخلايا بمذهب داروين ، سنة « بار » المعروفة بسنة نشأة الحياة » على البحلس البشري . وقال الفيلسوف « هربرت سبنسر » نفسه بمذهب تحولي ينطبق على حقل المعرفة بكليته ابتداء من مثمل السديم حتى القول بصيرورة اجتاعية متناسقة .

كان سبنسر من اولئك الذين لا يعتقدون بصراع الانواع اعتقادهم بأثر البيئة . وقد نقــل آنفاك د هيات » و د كوب » من اميركا لاماركية حديثة حملت د لوب » على الطاوع بنظرية التفاعلات بين المادة الحية والظواهر الحيطة بها . اما د مورينز فاغنر » فقد قال بتجمع الانواع المتشابهة بدلا من الانتقاء الطبيعي ، بينها استند » هوغو دي فريز » الى السنن التي وضمها الراهب النمساوي د غريفور مندل » ، وعاد ، تحت امم التحولية ، وعن طريق التناسل ، الى نظرية التحولات الفجائية. فجلي من ثم انمواقع الداروينية قد ضعفت منذ ان قامت بهجومها القوي .

مهما كان من امر النظريات حول اصل الانواع وتطورها ؟ فقيد الصواع من اجل الصحة ولد شيئاً فشيئاً ؟ بفضل علم الوظائف وعسلم الحياة ؟ طب كارد برنار والثورة الباستورية جديد قدمت له الجراحة مؤازرة قيمة . أتاحت الملاحظسة

العلمية للانسان معرفة جسمه والعوامل المرضية التي تهاجمه معرفة فضلى : فساعدتسب بقوة على تخفيف الالم وبعث الآمال المتزايدة في الحياة .

ومها كان من اختبارية الطب حتى في منتصف القرن - فهو ما زال ينعت الحسى التيفية والزحار بالأمراض « العفنية » - فانه قسد استفاد من اعمال « لايناك » و « بروسيه » و « اندرال » و « برايت » الذين قطع علم الامراض العضوية بفضلهم المرحلة الهامة اعسداداً لملم الاعراض المرضية الصحيح . ولكن الجراحة ما زالت تقاسي من جهل طرائس استئصال الجرائم وتأمين المتاعة .

على الصعيد العلمي ، يجب انتظار و كلود برنار » لاحراز تقدمات حاسمة . اثبت تلميذ و ماجندي » هذا وجوده للمرة الاولى في السنة ١٨٤٩ ببيان حول كيفية هذم الشحوم ، ولا سيا باكتشاف وظيفة الكبد السكرية التي تسيطر على عملية التفذية كلها . وبعد أن أفضى بسه الامر الى أن يرى في السكر الوقود الذي يجترق في الانسجة ويأتي به الدم مع الاو كسجين وأن ينسب الى الاعصاب الاشتراكية دور منظم حركة الدم ، ويدرس فعسل السموم في الاعضاء ،

نشر كتابه و دروس في علم الوظائف الاختباري وتطبيقه على الطب ، ثم و مدخل ألى درس الطب الاختباري ، الذي كان بمثابة انجيل لعالم الطبيعيات والعالم بصورة عامة ، والذي اولى فيه الافتراض والاستقلال أهمية حجبرى ، وأوص بمناقضة الآراء السابقية ، وأراد اسناد الطب الى سنن ، شأنه في ذلك شأن علم الطبيعة . وحين أدر كته المنية في السنة ١٨٧٨ ، كانت قد توصل بالفعل الى اثبات وحدة النطاقين الحيواني والنباتي، واعتاق علم الوظائف من الاختبار وعلم المقولات ، وتحقيق احد آمال و أوضعت كونت ، . أن هذا الانسان الذي تمسيز بهيئة مهيبة وطيبة قلب وطلاقة وجه ، قد استال اليه الناس وأشع من حوله اشعاعاً قوياً . خلفه في هو كلية فرنسا ، و برون - سيكار ، الذي نجح في مواصلة درس الافرازات الدلخلية ، فدفع من ثم بدرس الفدد دفعة الى الامام . وتخصص احد تلامذته و بول برت ، في فحص الوظائف الحاسية وظواهر التنفس ، قبل أن يتفرغ للديموقراطية الجمهورية ويلقى حتفه في ال و تونكين ،

الا أن أمنية كلود برنار الاولى كانت تحرير الطب من ضلاله الممتاد . وقد أكب أحسد الكيميائيين من جهته على تحقيقها . كان و لويس باستور ، قد تقدم في السنة ١٨٥٧ ببيان حول الاختار الكعولي ؛ وقد خلص فيه الى وجود الخائر والمواد القابلة للاختار مماً ، والملاقة بين تعفن الضمة – وهي جرثومة قوسية – وحياتها بدون هواء . اجل لنسب سبق له لبييغ ، وأعلن وجود مثل هذا الدور ، ولكن باستور قد اظهر علمياً كيفية حدوثه . ثم انتقل الناس الى التساؤل عما اذا كانت الاجهزة العضوية الجهرية لا <mark>تهاجم ال</mark>كائنات الحية . وقد صادف أن أصيب دود الغز بمرض مجهول ٬ فاكتشف باستور جسيمات بالغة الصغر تنتقل بواسطة البيوض ٬ همي البكتريات. وقد اثبت الجراح السكتلندي و ليستر ، آنذاك ان الفساد الذي مجسول دون شفاء الجروح مرده هذه الجراثيم التي اتقاها بالتطهير او <mark>تأم</mark>ين المناعة ضد العفونة . عند ذاك توفق الدكتور وكوخ ، من و برساو ، الى زرع جرثومة الفحم التي اكتشفها و دافسين ، و د ابرت ، والتي كانت تفتك فتكاً بالمواشي . درس باستور بيانه ولاحظ اتفاقاً ان جرثومـــة هيضة الدجاج ؟ تمنيع الدجاجة ضد المرض اذا ما لقحت بها ؟ ثم لقح بالفحم ، في السنة ١٨٨١ ؟ خمسين خروفًا بعد أن طعم ٢٥ من بينها بنسبة خفيفة من الجرئومة (وفاقًا للطريقة التي اتبعها « جنر » في اعداد لقاحه ضد الجدري) ؛ فلاحظ الجمهور أن الخرفان غير الملقحة وحدها قــد ماتت . انه لا كتشاف على جانب كبير من الاهمية: فلن تنسب الامراض بعد اليوم إلى الاعتلال بلا تمييز ؛ لقد امسك بالجراثيم ؛ وروقبت اعمالها ، وحوصرت مجمث امكنت محاربتها في معركة مباشرة وناجعة . وقد بلغ مجد باستور ذروته حين شفي ، في السنة ١٨٨٥ ، ولداً عضه

قضى باستور عشرين سنة في الجمادلات الحادة قبل أن يتغلب على المقاومات والآراء المقبولة قبل التحقيق . ولكنه انتصر في النهاية ، وقد استعد جيش من التلامذة للحاول محله في مقاتلة الجراثيم والطفيليات . فأن احدم « تويليه » قد توفي في الاسكندرية حيث كان مكيا عسلي

دراسة هيضة وباثية ؟ وتوفق آخر ؟ هو دشامبرلان ؟ الى إحكام مطهرة بالبخار المضغوط ومصفاة مائية صحية ؟ وخصص بعضهم في الكيمياء الزراعية : ورواين » ؛ وفان تيفم » > و اميل ديكاو » الذين استكشفوا بتدفيق الحقول المختلفة التي تميش فيهاالنبائات ولحقوا بدو شاوسنغ » و و مونتز » و و فينو غزادسكي » في بحثهم عن بكتريات العسمالم النباتي : فحقوا اكتشافا عظيماً حين اثبتوا ان الاختمار سبب تكون الآزوت في التربة .

في هذه الاثناء واعنل سوام تحقيق هوية اصاغر الجراثي - كو كوخ ، مثلا الذي اكتشف جرثومة مرض السل ، بعد ان درس الفحم ، ثم اكب على دراسة بجراثيخ الهيضة والملاريا ومرض النوم والبرس ، إلى ان ادركته النهكة فتوفي هو نفسه بعد اصابته بمرض السل - فعمت معالجة الامراض السارية معالجة وقائية . وقد احرز تقدم جديد بالمالجة المصلية التي توفق اليها و شارل ريشيه ، فدشن بذلك الطريقة الدوائية ؛ ثم طبق و اميل رو ، و و فون بهرنغ ، الطريقة على مرض الذباح (دفستويا) الذي حقق و كلبس ، هسوية جرثومته في السنة ١٨٥٣ ، وركب مصله في السنة ١٨٩٤ ؛ ومن جهة ثانية امتدت حماية المعالجة الكيميائية ضد الفساد التعفني الى حالة الامراض المتسية عن الاوليات .

اتسع حقل الابحاث امام الغربي ، الآخذ في السيطرة على العالم ، كايا وجد وجها لوجه امام الادواء والاوبئة في المناطق الحارة . نشط منذ زمن بعيد في معالجة الملاريا والقضاء عليها في الحوص المتوسطي : في السنة ١٨٥٠ لاحظ و لافران ، الحيوانات الدموية في قسطنطينة ؛ وجاء بعده و رونالد روس » ، الطبيب في جيش الهند ، يمين بموضة الاجمية كناقة العلاريا فحاربها بنجاح في كوبا وباناما ومصر ؛ ثم اهتم الاطباء الايطاليون المتخصصون في معالجة المسلاريا ، الذين شق و غراسي ، الطريق امامهم ، بتطبير مناطق المستنقمات في بلادهم وجملها صحية . وشن الهجوم على الهواء الاصفر حين حقق و فنسلاي ، الطبيب المحوبي ، هوية جرثومته . واكتشفت جرثومة الطاعون الدبيلي في و كانتون ، في السنة ١٨٩٤ بفضل و يرسسين » ، تلمية معهد باستور ، والياباني و كيتاساتو » . واوضع و سيموند » ان الجرذ الاسود بنقله الى الانسان . وسوف يبرهن و نيقول » و و كونت » و و كونساي » في السنة به ١٩٠٥ ، ان القمل هو ما ينقل وسوف يبرهن و نيقول » و و كونت » و و كونساي » في السنة به ١٩٠١ ، ان القمل هو ما ينقل الخمي النمشية . وقد وضعت المحاث في الجغرافيا الطبية والطفيليات ترشد الى مراكز الاعداء بين سكان المناطق الحارة .

الا ان العرق الابيض لم يستطع التغلب على عدة امراض خطيرة ، بالاضافة الى انسه نقل بعضها احياناً. فقد تفشت الامراض الجنسية بفعل الخوف من الاقرار بها ، ووصف الاطباء ظواهرها واشاروا الى معالجتها بالزئبق . واكتشف و نيسر » جرثومة السيلان الابيض في السنة ١٩٠٥ ؟ واغما يجب انتظار السنة ١٩٠٥ حتى يتوفق و شودين » و و هوفمن » الى عزل جرثومة الداء الزهرى » والسنة ١٩٠٧ حتى يكتشف له و واسرمن » الدواء الشافي – بانتظار معالجته

بالبزموت. وبدا السرطان اكثر غموضاً ايضاً. واذا كان علم الأمراض الرثوية قد اكتشف جراثيم الالتهابات الرثوية ، فان تشخيص التصوير بالاشمة ليس كل شيء ، وليس للطهرات والمصل مفعول اكيد. أما السل ، وهو المرض الاجتاعي الناجم عن البؤس والتعب ، فقسد استازم حماية ترتبط بطروف فضلي العمل طال انتظارها ؛ يضاف الى ذلك ان الممالجة الجراحية لا ترقى الى ابعد من السنة ١٩٠٨ تاريخ تجميع الحواء في الصدر الذي اعتمده وقور لانيني ، وقد اخذ الاطباء يستشفون استشفافاً بعيداً دور نقص بعض المواد في الجسم ودور الاضطرابات المعدوية ؛ ولم تدرس الامراض الوراثية فعال الا منذ اكتشاف السنن المندلية (نسبة الى دمندل») حوالي السنة ١٩٠٠ .

بيد ان طرائق المالجة قد تحسنت تحسنا مستمراً . فعقابل طريقة ممالجة الداء بضده التي بقيت رائجة ، كان لطريقة معالجة الداء بمثل خواصه من الدواء انصارها من الاتباع المتحسين الذين آثروا تخفيف الادوية بالمزج تخفيفاً مفرطاً . وقد اثبت كلود برنار ولا سيا برون - سيكار اهمية المعالجة بواسطة السوائل الحيوانية . ثم برزت المعالجة الكيميائية في اعقاب الدروس التي قام بها و اهريش » . ثم نادى و ارسونفال » بالمعالجة بالموامل الطبيعية ، شهم أدى تطبيق الموجات الهرتية على المعالجة الى تعزيز فعالية المعالجة بالماء وبمياه الينابيع في الينابيع نفسها السبق سهلتها وسائل النقل الجديدة . الا ان التردد على ينابيع المياه المعدنية قد استازم ، بالاضافة الى مستوى حياتي مرتفع ، معرفة علم خصائص المياه ونواميسها معرفة علم خصائص المياه ونواميسها معرفة على . لا بل برزت معالجة مناخية حقيقية في اعقاب انجاث و بول برت » و و جوردانيه » حول نتائج انخفاض الضغط الجوي في الجبال ، كا اتضحت اهميسة الاشعاعات الشمسية والبرد .

تميزت انطلاقة الجراحة بمزيد من الجرأة ايضاً وهي في ذلك مدينة بالكشير المطهرات. يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان باستور قد فضل استمال المواد المطهرة ، وقد اتضح في يعد ان تفضيه كان في علم . وتوجب كذلك ادخال ألم المريض في حساب المعالج : وهم بعسض الامير كبين من اشار باستمال روح الحوامض الممزوج بالكحول او اول او كسيد الآزوت ؛ وقد نشر احدم ، سمبسون ، في السنة ١٨٤٧ ، بياناً حول اهمية الكلوروفورم (البنج)التخديرية . فأصبح باستطاعة الجراح ، منذئذ ، اجراء عمليته بأمان . وهكذا بات استئصال الزائدة الدودية علية سهلة في السنوات ١٨٨٠ – ١٨٩٠ ، في حال ان اصابة هذا العضو بالتهاب حاد قد اعتبر حتى ذاك التاريخ احد اعظم الامراض فتكا بالانسان . وخطت جراحة الاعصاب خطواتها الاولى بفضل نظرية طلع بها و بروكا » في السنة ١٨٦١ حول تعيين وظائف مختلف اقسام الدماغ . واستفاد علم جراحة العين من الاكتشافات التي توفق اليها همهولتز ، ولا سيا وغراف الذي فكر بازالة السادة بعملية دائرية . وبفضل النجاحات التي احرزتها تقنية علم الامراض حتى السنة ، سار في طريق الزوال سبب غير نادر من اسباب الوفاة : استخدم الطريق المهسلي حتى السنة ، سار في طريق الزوال سبب غير نادر من اسباب الوفاة : استخدم الطريق المهسلي حتى السنة ، سار في طريق الزوال سبب غير نادر من اسباب الوفاة : استخدم الطريق المهسلي حتى السنة ، ماد ، تاريخ اعطاء الافضليه الطريق الجوفي بفضل طاولة عمليات » ترندانبورغ »

وأجرى د بور" ا » و د سانجر » العملية القيصرية بنجاح ؛ ولم يستفد فن التوليد من تقدم استعمال المواد المطهرة فحسب ، بل من التحسينات المدخلة على ملقط الجنين ايضاً .

وهنالك حقل من ادق الحقول لم يعد وقفاً على الاختبار والرأي المقبول قبل التحقيق: اعني به حقل الامراض العقلية . فبعد ان احرز علم فراسة الدماغ نجاحاً فضولياً ثراه يدخل في طور اختباري ، يحيث لم يعد الجانين موضوع تدابير امن وسلامة فحسب: فان و فالنتين مانيات و و اميل كربلين ، ومدرسة و ادنبرا ، قد توضاوا ، من اجلهم ، الى الغاء الاقتسار . وقد رأت النور بعض الطرائق الدوائية ولم في طب الامراض العقلية اظباء مشهورون . وأخد أحدهم ، و لرمبروزو ، ، على نفسه اثبات قيام العلائق الحتومة بين النظام الرظيفي الطبيفي الطبيفي والإجرام . ولا ريب في أن نظريته حول الجرمين منذ ولادتهم ، التي شرحها في مؤلفه الحام ، والاجرام ، ولا ريب في أن نظريته حول الجرمين منذ ولادتهم ، التي شرحها في مؤلفه الحام ، والانسان الجرم ، (١٨٧٥) ، قد أقارت مجادلات عنيفة : ولكنه نشر في السنة ١٨٨٨ و الانسان المبقري ، الذي جم فيه بين علم الوظائف وعلم النفس . ورأى بعضهم ان الكائن البشري يأتمر بكليته بالمراكز العصبية التي يرتبط بها الفكر نفسه .

ما عساها تكون قيمة العلم اذا لم يتح هذا الاخير معرفة كيفية المرفة التاريخية والاجتماعية التطور البشري وسببيته ? لقد جمل د كونت ، من درس الظواهر الاجتاعية قمةبناء الفلسفة الوضعية وارتكز الجدل الماركسي اليحركة الحقل التاريخي . وبالاضافة الى أن توسم آفاق هذا الاخير قد أثار فضولاً متزايداً والى انه قد امسى سلاحاً سياسياً <mark>6 فليس</mark> من شك في أن مذهب المقلين المؤمنين بامكانات العلم الشاملة قد حرك الحاجة إلى تفسير الاحداث تفسيراً افضل. فحدث من ثم في الوقت نفسه تعمق في البحث وتوسم في الحقل التاريخي. وقد بدت المهمة مزدوجة : يجب اثبات الواقع بواسطة العلم الواسع في التاريخ ، ولكن العقل الشرى برغب في استخلاص العام من الخاص . وقد كتب و فوستيل دي كولانج ، ما يلى : و ان يوما واحداً نقضيه في التأليف يجب أن تقابله سنوات نقضيها في التحليل ، . واكد فرستيل هــذا بسواء ، وأنجز عمل توضيحي عظيم في حقل الوثائق سهلته نجاحات العلوم المساعدة ، لا سما ادراك لم يتخل يوماً عن العمل المنسق النظامي ٤ وليس كتابه و أصول فرنسا المعاصرة ، سوى دفاع عن نظريته . كا أن فوستيل دي كولانج ، المشهور بتدقيقه ، قد استخلص من الدانية المنزلية دون غيزها مؤسسات و المدينة القديمة » . ولم ير لا و سبيل » ولا و سوريل » تشابك المعطيات التي تدخل في تفسير الثورة الفرنسسة . بسد أن المؤرخين الجهوا شيئاً فشيئـــاً شطر الموضوع المحدد أو الجموعة الق يجب أن تكون حملًا جماعياً . لم أستخلص اهمية العوامل الاقتصادية الا ببطء كلي . وكان « ليست » و « شمسول » في طليعة من قولوا هذا الاستخلاص ؛ ولكن يجب انتظار آخر القرن حتى تظهر الماركسية في هذا الحقل نظرية مقبولة البحث. اما التاريخ فقد برهن عن جرأته في معالجة مسألة الاصول الدينية . اجل ان التاريخ قد طبق في نقد التوراة الطرائق نفسها التي استخدمها في كشف حقيقة نشأة روما او المسألة الهوميروسية . الا ان الباحث الذي تحوم حوله شبهة المداء لحقائق ايمان حسي يأخذ على عاتقه مهمة غاية في الدقة . فقد سبق لكتاب «حياة يسوع » الذي نشره شتراوس في السنة ١٨٣٥ ، ان أثار مجادلات حادة . ثم جاءت مؤلفات « فورباخ » و «برونو بوير » التي اعتبرت باعثة للشقاق : هل تصمد الفصول الاولى من سفر التكوين امام اكتشافات مساقبل التاريخ الطبيعي ؟ ومها يكن من الامر ، فان «حياة يسوع » التي لطفها رينان وأبعد عنها كل ما هو اسطوري » قد أقارت ردة فعل عنيفة و كلفت مؤلفها منبره في كلية فرنسا . فقد رجف ما هو اسطوري » قد أقارت ردة فعل عنيفة و كلفت مؤلفها منبره في كلية فرنسا . فقد رجال الاكبروس موقفا دفاعيا قويا وانشغل الكثيرون منهم باثبات التوافق بسين تأكيدات العلم واقوال الكتب . ولكن ذلك لم يحل دون اتساع الهوة بين المؤمنين المتسكين بالروايسة التعليدية وبين الوضعيين والعقليين والقائلين بحرية التدين الذين اعتبروا انفسهم احراراً في مناقشة الاناجيل كا هم احرار في مناقشة اية شهادة أخرى .

بينا كان التاريخ متجها ، ولو ببعض الصعوبة ، شطر التعريف بماضي الانسان في جميع مظاهره ، كان علم الاجتاع ببعث عن نهج واساوب . كان رأي ماركس ان التركيب يجب ان يرتكز الى الجدل وقوة الصراع بين الطبقات ؛ أما هربرت سبنسر فقد اعتقد بوضع قواعد مذهب تطويري يكون نتيجة تكيف المجتمعات تدريجيا على البيئة . ثم جاء « دورخسايم » يقاوم المدرسة الآلية التي يمثلها « باريتو » و « والراس » والمدرسة المعنية بعلم طبائع الانسان التي يمثلها « جايس فرايزر » _ وهو من سار على خطى « فردريك ماكس مولر » باهنامه بتفسير الاساطير — » والمدرسة المعنية بعلم النفس التي يمثلها « تارد » و « فوييه » ، فحساول بقوة وضع الشروط التي قد تتبع لمالم الاجتاع القيام بعمل علي حقاً ؛ وقد نشر كتابه «قواعد الأسلوب الاجتاع » في السنة « ١٨٥ ، فكان له بدوره صداه العظيم .

الايمان بامكانات العلم والعلم فالواقع الاختباري قد فرض نفسه فرضاً على الانتباء. واذا الاخلاق النفعي صدق كاود برنار ؟ فان العقل البشري قد تفرغ منذ الدوم الى

و دراسة الظواهر الطبيعية في واقع الأشياء الموضوعي » . زد على ذلك ان رينان قد اعلن منذ السنة ١٨٤٨ : و العلم دين ؟ العلم وحده قادر على تمكين الانسان من حل المسائل الازلية التسمي تفرض طبيعته حلها بالحاح » . ولكن الاختبارية النفعية تنتهي عند و جون ستيوارت ميل الى إدبار ممائل أمام علم المعقولات . وان مذهب الطبيعة المؤمن بامكانات العلم الشاملة قد حمل و تين على رد النشاط الدماغي الى تصادم الذرات العقلية . ورأى اتباع المذهب الطلموي من امثال

د بان » و د جایس میل » ان الوجدان لیس سوی توارد افکار وصور (ولن یری الباع الظاهریة الحندیة ، من امثال د مودسلی » و د هکسلی »، فی الوجدان ، سوی مجسرد ومیش فوسفوری دماغی) . وعاد د بوخنر » و د فوغت » و د مولسکوت » الی صیخ د کابانی » (الدماغ یفرز الفکر کا تفرز الکبد الصفراء ، مثلا) ، وقد عاصرت بیاناتهم تحقیقات علم الوظائف ، وافتت د و و ندت » فی لیبزغ مختبراً لملم النفس ، واسس د قشنر » عسلم النفس الطبیعی ، و ربط د رببو » بین علم النفس و علم وظائف الجهاز العصبی . فتبخر کل مفهوم سام او لمعد سوی و هم خادع .

ولحن نشاط الفرد ، مها بلغ من ارتباطه بعلم الوظائف ، لا يفسر تفسيراً مقبولا الا على الصميد الاجتاعي . ان هذا الوجدان الاجتاعي المتفاوت الطواعية ، يشكل الترباق الواقي من الحتمية المطلقة المستحيلة ، عند ماركس كا عند سبنسر ، وعند جون ستيورات ميل كا عند درينوفييه ، ومن جهة ثانية ليست الحربة في نظر هذا الاخير ، كا في نظر «كانت » ، سوى مبدأ اسامي مسلم به من مبادى العقل العملي ، وأعطى « هكل » مذهب الواقع الواحسد الذي قال به ممنى فلسفة البهجة الخلاقة ، وأبان « ووندت » مجلاء هيمنة الارادة .

يتضح من ثم ان الايمان بامكانات العلم الشاملة عارم بالنشاط والقوة الفاعلة . ومادياً كارف أم مشبعاً بالنفعية ، فانه لا يبتعد عن علم المعقولات السامي الاليكتفي بالواقع. وسيعلن «وليم جايس » ان « الفكر حقيقي لانه نافع ، وانه نافع لانه حقيقي » ، كا سيظهر مسذهب العملية ايضاً كعلم اخلاقي موضوعه العمل .

وانعصل واشالت

استكشاف الأرض وانتشار المثل الأوروبية

انطلق الانسان الغربي بفرح ويهجة الى فتح الكوة الار<mark>ضية . وإن</mark> ما دفعه معرفة الارض وتثيلها . وإن ما دفعه دفعة الارض وتثيلها . دفعا الى امتطاء المفامرة هو الحوى والشجاعة والسكلف بالرسالة والعلم ، لا سيا وان عالم الجهول ما زال واسعاً جداً .

غذات الرغبة الحسارة في المعرفة مجموعات المؤلفات وروايات السفر وكتب الارشادات والتعليات . فقد بيم ه ملايسين عدد يرمياً من و اخبار لندن المصورة ، التي ظهرت في السنة ١٨٤٢ . وقد عرفت و مفامرات روبنسون كروزويه ، نجاحاً, مطرداً منقطع النظير ؟ ونقلت الى كافة لغات اوروبا ؛ فأوجدت الكثيرين من امشال روبنسون ؛ السويسري ؛ والاميركي ؟ و « روبنسون البالغ من العمر اثنق عشرة سنة » و « امثال روبنسون الحقيقيين» و لا سيا مفناة « او فنباخ » الهزلية . واشتهر عدد من ارباب القصة الاجنبية : « ماريات »، مؤلف « مقامرات بيار سمبل ، ، والاميركي و ملفيل ، ، والسكتلندي و ستيفنسون ، ، و و لوتي ، ، الملاح الحارف الذي تذوق جمال الكون اثناء تجواله فيه تذوق الفنان المتوحد . وأوجد د جول فيون ،القصة الجغرافية . فتجول هو ايضاً في المالم ، دون أن يفادر مكتبه ، وجع بين السبق العلي ومشاهدة المناظر والمجتمعات مشاهدة صحيحة ، وخلق اشخاصاً يستهوون الفتيان ، كرد فيلياس فوغ ، الذي يدور حول العالم في ثمانين يوماً ، والقبطان و نيمو ، الذي نسير على خطساه ٢٠٠٠٠ عقدة تحت البحار ، والقبطان هاراس الذي انتصر على القطب الشالي ؛ وهي الماسة الاسطورية ؛ و نجم الجنوب ، ؟ ما لفت انتباهه ؟ في السنة ١٨٦٧ ؟ إلى افريقيا الجنوبية ؟ أما فكرة الدوران حول العالم فقد أوحى بها اليه ، في السنة ١٨٧٢ ، اعسلان لوكالة كوك . وسوف يتولى دور الراوى الفرح في « كتب الغابة المتلبدة ، احد قرائه ، روديارد كبلنغ ، الذي كان ، من جهــة ثانية ، صديقاً لان و توماس كوك ، ,

لم يعد قط من مدرسة خاو من خريطة قارات العالم الخس وخريطة الوطن الأم. واذا وفر الاطلس تمثيلا اكثر دقة ، فان الأداة العلمية المثلى ، التي جاءت ثمرة عملية مسح وقياس ارتفساح استفرقت وقتاً طويلا ، هي الخريطة الطوبوغرافية : وهكذا فان المسقيط الخروطي الشكل الذي صححه « بون » قد استخدم في رسم خريطة بقياس ١/٨٠٠٠٠ محلت في فرنسا محسل خريطة « كاسنى » .

اسهم علم طبيعة الارض ، والجيولوجية ، والجنوافية الطبيعية اسهاماً متوازيباً ، ان لم يكن تضامنيا ، في معرفة الكرة الارضية . فقد أمكن وزن هذه الاخيرة وقياسها . اجل ، لقد تماقبت النظريات حول طبيعة التشرة الارضية ، فعلت الواحدة محسل الاخرى ؛ ولكن تفسير نواتيء الارض بات اذ ذاك أكثر ارضاء واقناعاً حين نشر « سويس » الفينتي في السنوات تفسير نواتيء الارض » . وقسم صرح ١٨٨٨ – ١٨٨٨ ، بروح شاعر وعالم واسع الاطلاع ، كتابه « وجه الارض » . وقسم صرح « كورتلين » آنذاك ايضاً : و لا اقرأ من المؤلفات الخيالية سوى النشرة الجوبة احياناً » ؛ ولكن علم المناخ الذي اتفنه تمساوي آخر ، هو « هان » ، قد اثبت في العهد نفسه تقريباً ، ان درس التيارات الحواثية الكبرى وانواع الطقس الختلفة قد سجل نتائج قيمة مهدت لها دووس مهندس البحرية الاميركية و موري » ودروس « لو فرييه » .

هي حاجات الملاحة بصورة خاصة ما يجدر بنا أن نعزو اليها النجاحات الجديسة المحتفة في علم البحار . فبين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ أدت اسفار و ديمون دورفيل » و و ويلكس » الى رد القارة الجنوبية أبعد الى الجنوب . وبالاستناد الى المعلومات التي دونها و موري » في خريطة جميلة التيارات البحرية » أو في و ترجيهاته الملاحية » القيمة » ابتكر و بروك » مرجاسا سهل تحديد الاعماق البحرية » واتاح البخار كذلك سهولة استخدام الملفاف لانوالى اجهزة المراقبة واخراجها . ولعل اهم حدث هو الرحلة التي قامت بهسا بين السنة ١٨٧٧ والسنة ١٨٧٧ والسنة ١٨٧٠ أوردتها لجنة برئاسة و ويفيل طومسون » السفينة و شالنجر » التي عادة بمعلومات وفيرة جداً اوردتها لجنة برئاسة و ويفيل طومسون » في ٥٠ بحساداً . وفي السنة ١٨٨٥ سيتر » البير الاول» امير موناكو بعثته العلمية الاولى . وفي السنة ١٨٥٠ ، وأني السنة ١٨٥٠ ، وأني السنة على دولى دائم لاستكشاف البحر .

الاستكشافات البية من افريقيا وفي آسيا الوسطى والجزيرة العربية و ه امازونيا » . وما زال من افريقيا وفي آسيا الوسطى والجزيرة العربية و ه امازونيا » . وما زال تكون الجبال وحياض الانهار يخفي مفاجيات كثيرة » والاستكشافات البرية تسفر ابدا عن وقوع ضحايا كثيرة . فركوب مخاطر الصحارى الشاسمة الاطراف ومناطق النوامي الحرجية يقتضي صوفية حقيقية وجاداً غير اعتيادي . وهو الجل الافغاني القادر على البقاء ١٣ يوما بدون تجرع الماء ، ما استطاع وحده اجتياز الصحراء الاوسترالية ؟ ولم يفلح و لابرين » في اجتياز الصحراء الافريقية الكبرى الا بمونة جنود من قبيلة وشامباء يتطون الجال ؟ كا ان و برازا » ، على الرغم من رغبته في الظهور بمظهر المسالم ، قد اصطحب ٣٠ بحاراً ورقيباً ، و ٥٠٠٠ بحسار



شكل ٦ ـ اكتشاف الارهى في القرن التاسع عشمرًا

منغالي ، ١٢٠٠ جذاف أوكندي أو أدومي وقرابة الف حمال باتكي وبابوندي وخمسة زوارق بخارية و وجهز مستودعاً في و ليبرفيل ، وأنشأ ٢١ محطة ومركزاً عسكريا بسين الشاطيء والكونغو . زد على ذلك أن أمر المهمة الحسامل توقيع أحد الملوك لم يكن شيئا يستهان به : فقد استحصل و ناشيغال ، على مثل هذا الامر من ملك بروسيا لتقديمه إلى الشيخ عمر في و بورنو ، وقصد وجوزف هاليفي ، مأرب مدينة ملكة سبا القديمة ، مرتديا زيا اسرائيليا، ومزودا بكتاب توصية من حاخام صنعاء ؛ وتنكر و بالغراف ، على غرار و كاتبه ، في الصحراء الافريقية - بزي اسلامي ليتمكن من وخول صنعاء عاصمة الوهابيين . ولم يهمل كذلك أمر المال والبضائع . فكشفت القارات اسرارها .



كانت هنالك مسألتان في افريقيا : مسألة الانهار الكبرى التي تصلح دون غيرها لربط ساحل بآخر عبر السباسب والاحراج ، ومسألة الصحراء الافريقية الكبرى التي تمتد بدين المتوسط والمناطق السودانية . يضاف الى ذلك مسألة النخاسة ، لان النخاس مجرص على ان يضل المسافرون المسالك ، ومجر له الزعاء البلديين ، ويقاوم بالحيلة ، وحتى بالمنف ، كل دخول يرتدي طابع المداء للرق . ففي منتصف القرن نجح و بارت ، و و ديفرييه ، و ورولف ، و و ناشتيفال ، ، ببذل جهود خارقة ، في اجتياز الصحراء وبلوغ الساحل النيجيري و و تشاد ، واسدل في الوقت نفسه الستار الذي كان يخفي الشبكة المائية في المنطقة الاستوائية : اهتدى ليفنفستون الى ينابيم الزامبيز وينابيم الكونغو ؛ اما ستانلي الذي انطلق للبحث عنه فقسد

110

قام بجولة كبرى في المنطقة الكونفولية . وفي السنة ١٨٨٠ بدأت عملية تقاسم الاراضي .

لم يكن قلب آسيا اسهل منالا . بينها كان الروسيان و تشرسكي و و برجفلسكي » يدخلان الاراضي المرتفعة في الشرق الاقصى السيبيري ، كان وريشتوفن ويتجول في اصقاع الصين ويصفها . ولكن العائق الحيف كان وسطح العالم » الواسع الذي توفق فيه برجفلسكي الى اكتشافات هامة ، اعني بها ينابيع الديانغ تسي » و و تاريم » و و لوبنور » ؛ ولم يستطع لا و ماننغ » ولا الايوان العازريان و هوك » و و غابيه » مشاهدة ولاسا » الا باخفاء شخصيتهم ؛ ولم يحتق غيرهم هذه الامنية . فقد الف الارتفاع حاجزاً : واذا استطاع هواة تسلق الجبال اقتحام اعلى القمم شعوخا في اوروها ، فان قمم آسيا قد تحدت جرأة الانسان الابيض .

القطب بعتذب كالمفنطيس ؟ ومثال القبطان و هاتواس ، ليس من نسج الحيال . سارت السفن الشراعية أولاً على خطى كوك في البحار الجنوبية ؟ فجر صيد الحوت الحظم الملاحين جرأة الى أبعد من القواعد المأهولة . وبرزت الرغبة كذلك ، في عهد مبكر ، في اكتشاف بجاز بين الاطلسي والهادي شمالي اميركا وآخر الى الشهال من العسام القديم . ولكن العموبة قامت في وجوب تمضية فصل الشناء في مناطق يمند فيها الليل بين أوبعة وسنة أشهر ، ومقاومة الجبال الجليدية التي قد تتداخل وتسحق السفينة : فهكذا انتهى في ظروف فظيعة الاميركي ولونغ ، ومن معه على السفينة و جانيت ، خلال رحلة الى الجماز الشهالي الشرقي ؟ وفي هذا التاريخ نفسه تقريباً عرفت بعثة و غريلي ، النهاية نفسها في و غرينلند ، حيث عثر على جشت مرعبة ابترت اعضاؤها العلوية والسفلية ، بسبب دفع الجوع ببعضهم الى أكل لحسوم البشر . فست الجاجة من ثم الى التجهز بأدوات خاصة والتزود بغذاء ملائم . وليست البعثة الى القطب من يا يلائم الشاليين فعسب ، فهي توجب ارتداء البسة شعوب المناطق المتجدة والتدهن بالشخوم . في أواخر القرن ، كان و نانسن ، و و بيري ، و و اموندسن ، قد تلقوا درساً من الاختبار ، فلم يتركوا شيئاً لمصادفة : بنى و نانسن ، و لسفينة و قرام ، القادرة على مقاومة ضفط الجليد ؟ وتود بمؤن تكفي لمدة خس سنوات وفكر حتى ببعض اسباب اللهو ؛ وتعلم بيري تقنيسة وتزود بمؤن تكفي لمدة خس سنوات وفكر حتى ببعض اسباب اللهو ؛ وتعلم بيري تقنيسة الاسكيمو الذين ادخلهم في خدمته و امتحن رجاله ومعداته على جليد الارض الغرينلندية .

بعد أن تلاشى الاعتقاد بوجود قارة جنوبية ، بقي التقدم ، ما أمكن التقدم ، فوق الامواج المتلاطمة باتجاه القطب الجنوبي ، وفي سبيل تحديد موقع القطب المفنطيسي الجنوبي ، وضـــع ويلكس وروس رسماً تقريبياً لحدود القــاوة المتجمدة الجنوبية الحقيقية وتعرفوا الى براكينها وخلجانها الواسعة . ثم توقفت النجاحات: اذ اقصروا العمل على صيد الحوت والاستيلاء على الجزر والارخبيلات الصغرى المتناثرة في مياه المحيط المتجمد الجنوبي .

يرد هذا التوقف الى أن مسألة مجازي الشهالي الغربي والشهال الشرقي كأنت اشد استهواء . فقد عند البريطانيون في بذل الجهود لاكتشاف الاول ، وانتهى و ماك كلور ، ، الذي انطلق للبحث عن بعثة و فرانكلن ، المفقودة ، الى الدوران حول القارة الاميركية من الشرق الى الغرب . ثم

لجمع و نانسن » ، و و اموندسن ، من بعده ، في اجتياز و فرينلند » . أما مجاز الشال الشرق ، فقد توصل و فرد نسكجولد » الى عبوره بالسفينة و فيفا » بعد أن امضى الشتاء في الجليد على بعض المسافة من مضيق و بيرنغ » . عند ذلك دفسع وهم و بحر القطب الطليق » بالسفينة و تجتهوف » ، ثم بالسفينة و جانيت » ، نحو الشيال ؛ ولكن حوص البحسر المتجمد الشيالي لم يستكشف إلا في أعقاب حيدان مركب و نانسن » ، و فرام » ، عن طريقه طيلة ثلاث سنوات ، فاستفاد المهندس الاميركي و بيري » من ذلك وسار تكراراً على رأس بعثات قر بنه شيئاً فشيئاً الى القطب الشمالي الذي توفق الى بلوغه في السنة ١٩٠٩ بواسطة مزالج تجرها الكلاب .

كان القطب الجنوبي أكثر بعداً وأشد وعورة ، ولكن المستكشفين ما لبثوا أن بلغوه هـو ايضاً . لقد تعددت المحاولات بين السنة ١٨٩٧ والسنة ١٩٠٥ ؛ فسان شاكلتون قد اقترب من الهدف وبلغ نقطة ترتفع اكثر من ٣٠٠٠ متر وتبعد عنه أقل من ٢٠٠٠ كيلومتر ، ولكنه افتقر في النهاية الى المؤن ؛ وأخيراً ظفر اموندسن النروجي ببلوغه في السنة ١٩١١ ، بينا لاقى سكوت حتفه في عاصفة ثلجية .

معرفة الكون ما هي بالضبط الشعوب الختلفة التي يتألف منها الجنس البشري ؟ لقد وقع معرفة الكون المعرق العرق موقع الرضى من الرومنطيقين الذين تكلموا عن العسرق الفرنجي والعرق الجرماني ؟ فالعرق يفسر كل شيء ؟ وحتى السلوك الفكري ؟ وسوف يبث « غوبينو » فكرة وجود عرق آري ، هو أنبل الأعراق البيضاء و مُمك المهام الخصابة وقد قام نقاش حاد بين القائلين بوحدة النوع والقائلين بتعدد الانواع . لا بل لم يعرف ما اذا كان يجدر الكلام عن علم طبائع الانسان أم عن علم خصوصيات الشعوب . وكان مقدراً للصوفية المنصرية ، بغمل تشوش الآراء ، أن تغذي ، في أواخر القرن ، الاهواء القومية والتوسعية الاستمارية .

الا أن هذه النظرية الساذجة قد صادفت مقاومة شديدة تولاها اولئك الذين ارتأوا؟
ك د ميشليه ، مثلاً ، ان البيئة والحياة المشتركة أعظم أهمية من الدم أو شكل الرأس في تكييف الشعوب والامم . يضاف الى ذلك ، من جهة ثانية ، أن دكارل ريتر ، الذي يبدو المهسد الحقيقي لجغرافية بشرية تفسيرية ، قد حاول ، منذ السنة ١٨١٧ ، وصف البلدان وسكانها وصفا يستهدف اثبات تبادل الارتباط . وفي هذا الاتجاه سار من بعده د برغهوس ، و د بيترمن ، و د ركاو ، وبينا يقترح د راتول ، المتشبع بالنظريات الحتمية ، درس العملائق القوية بين الدول وسياستها وبين المعطيات الطبيعية ، تشبث د فيدال دي لا بلاش ، ود ماكندر ، بالتوسم في مدلول طريقة الحياة الناجم عن تعاون صادق بين النوع والطبيعة قادر على تفسير التعددالفائق في طرائق التكيف، ومن ثم تفسير النهاذج البشرية . ونزولاً عند طلب د لافيس ، وعلى طريقة ميشليه ، سوف يقدم د فيدال دي لا بلاش ، لكتاب مفصل في دناريخ فرنسا ، من وضع مجموعة من المؤرخين ، بد د لوحة جغرافية ، متنوعة الألوان .

نظر الغربي الى الاداة والنسيج والطريق والحسط الحديدي ، درو اللغة في انتشار الثقافة الارربية وحتى الى المسكن ، كما الى وسائل عمل في الاجزاء الأخرى من المالم ، ولكنه لمس الحاجة الى افهام غيره فوائد وجوده . واذا وجد موافقاً أن يتعلم بالضرورة لغات تختلف كل الاختلاف عن لغته ، فقد بدت له أفضلية انتشار لغيات تنقل بسهولة تأثيره وحالته النفسية . وقد رأى سابقة تثير الانتباه في قوة انتشار اللغتين الاسبانية والبرتفالية في المالم الجديد .

من دواعي الأسف أننا لا نستطيع أن نتعقب ذاك الهجوم اللغوي الذي قام به المهاجسر والمستعمر والتاجر ومعلم المدرسة والمرسل ، بواسطة الصحيفة والبيان والكتاب – وكتاب التوراة بصورة خاصة . وهكذا فان اللغة الفرنسية ، التي احتفظت بمركزها في جزيرتي هايتي وموريس ، قد احرزت تقدماً مطرداً في كندا وأفريقيا الشهالية (حيث اقتبست بعض المفردات عن العربية) والشرق الأدن وحتى الشرق الأقصى . ولكن كمان اشعاع اللغة الأنكليزية أعظم قوة : فان الأماكن الكثيرة التي تحمل أسم فكتوريا وادوارد وجورج في العالم لدليل على عظمة البريطانيين العالمية ؛ وإنما تفاهت الشعوب بواسطة اللغة الانصلانية في الهند ؛ واللغة الانكليزية غريبة : ففي د لويزيانا ، عرفت البقاء لغة عامية فرنسية – زنجية ، ف خامبو ، وفي آسيا على عائمة بنات مشتركة الشرقية يتكلم الحال والعامل والتاجر لغة عامية تعرف باله و بدجن الانكليزي ، ومن الصعوبة بكان احيانا كتابة لغة بالاحرف اللاتبنية أو الانتقال من كتابة الى أخرى (ان مثل اله كوك نفو ، في فيتنام مثل استثنائي على وجه العموم) . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الدولة المستعمرة آلات في المستعمرات تنشئة البديين عن طريق لفتها الخاصة : فالطريقة البريطانيت المستعمرة ألات في المندية تعكس الاساليب السائدة في اوكسفورد وكمبردج ، ولم يهتم المعتمدة في الجامعات الهندية تعكس الاساليب السائدة في الهنة الماليزية واللغة الجاوانية . الموانية واللغة الماليزية واللغة الجاوانية .

اعتبر الاوروبي والاميركي الذان حركتها الحرارة الدينية ان الحلة الصليبية لم انتشار السيحية تتوقف قط. لذلك فان المذاهب التي تنتسب للمسيح قد نمت نمواً مطرداً ؛ زد على ذلك ان العالم الجديد الذي 'بشر فيه بالانجيل واستُعمر في آن واحد قسد زاد من الحيوية المسيحية . اما دعوة الرسالة ، التي عرفت فترة من التوقف ، فقد نمت مجدداً يساندها الاستعار الذي ساندته هي يدورها .

برزت قوة الارثوذكسية ، التي ساندتها اجهزة الدولة الروسية ، في مسا بين الشرق الادنى وآسيا الشرقية . بيد ان علينا في الدرجة الأولى تقدير الأهمية التي ارتدتها تقوية الكاثوليكية في مركزها . فان ما فقدته الكنيسة الرسولية الرومانية في ابطاليا ، في المجال الزمني ، أمسام تيار الحركة القومية ، قد حاولت بنجاح الاستعاضة عنه في المجال الروحي بتحديدمر كزها بدقة ليس من الالحاد فحسب ، بل من المبادى المصرية أيضاً . الم يؤكد المجمع الفاتيكاني في السنة ١٨٧٠

ان خليفة القدس بطرس ويمتلك ... المصمة التي اراد المخلص الالمي ان يقلدها كنيسته في تحديد المعيدة حيال الايان والاخلاق ؟ وبفضل الوحدة وتسلسل السلطان حقق العمل الكاثوليكي ؟ انذاك نتائج قيمة خارج اوروبا. فقد سبق لبيوس السابع ان احيا جمية اليسوعيين واعاد إنشاء جمية الرسالات في الحسارج . واستفاد خلفاؤه من الظروف (ضعف الامبراطورية التركية ؟ واحتلال الجزائر ؟ والتدخل في الصين) لاحداث نيابات واسقفيات وسولية جديدة . وقسم جمعت جمية نشر الايان وحدها ٢٦٨ مليونا ؟ تبرع الفرنسيون به ١٧٤ منها ؟ بين المنة ١٨٢٢ مو والسنة ١٨٩١ . فاستطاع بيوس التاسع ولاون الثالث عشر تقسيم اوقيانيا ؟ وافريقيا ؟ وآسيا من ارمينا الى اليابان ؟ الى دوائر كنسية . وقد برزت أسهاء شخصيات شهرة : الآب و هوك ؟ وساحبا السيادة و اوغدار » ؛ و رسول الكونفر » ؟ و ولا فيجري » ؟ مؤسس الآباء البيض ؟ والاب و دي فو كو » الذي كان ناسكا اكثر منه مبشراً على كل حسال . وبينها لم يكن هناك أكثر من ٢٠٠٠ مرسل خارج أوروبا في السنة ١٨٩٠ ؛ نرى عسدهم يرتفع الى ٢١٠٠ في السنة ١٩٠٠ ؟ بصرف النظر عن جوقات المربين . فسارت الهند في الطليمة لجهة عدد الاهتدامات ؟ افريقيا . اما اذا اخذنا عدد السكان بمين الاعتبار ؟ فاننا نرى ان النجاح المحرز في بعض الجزر أفريقيا . اما اذا اخذنا عدد السكان بمين الاعتبار ؟ فاننا نرى ان النجاح المحرز في بعض الجزر افريقيا . اما اذا اخذنا عدد السكان بمين الاعتبار ؟ فاننا نرى ان النجاح المحرز في بعض الجزر افريق تقريباً .

اعتمدت البروتستانتية على مستمرات التوطين الكبرى التي اسسها الهولنديون - في الكاب - ولا سيها البريطانيون؟ ثم اشعت الولايات المتحدة بدورها بكل غيرة . فاسفرت و يقظة ، القرن الثامن عشر عن ولادة مؤسسات كبرى لنشر المسيحية المصليحة : الجمعية الممدانية التبشيرية ، رجمية لندن التبشيرية ، اللتين تأسست على غرارها منظات عديدة لا تقل عنها غيرة تبشيرية متقدة . ففي السنة ١٩٠٠ كانت ٢٤٩ جمية بروتستانتية تتولى أمر الانفاق على ١٩٠٠ ميشر ؟ كان جمية الكتاب المقدس باعت أو وزعت ؟ ملايين انجيل طبعت به ٢٥٠ لفة ؟ وتراوح عدد المهتدين بين اربعة ملايين وأقل من ثلاثة (بحسب المؤلفين) ، وتوزع بين المند ، وافريقيا الجنوبية واندوبيسا ، وجزر المناطق الحارة ، والصين . وكانت المكاسب هنا ايضاً اكبر منها في المستعمرات الصفيرة الخاضعة لوصاية ادارية شديدة .

ليس من ينكر فائدة التدخل السياسي للدفاع عن الايمان . أجل قد يحدث أحيانا ان تتأذى الارساليات من التدابير التي تتخذها بعض الحكومات بحق بعض الجمهرية الفرنسية الثالثة للاكليروس لم يعتبر يوما مادة من مواد التصدير . لا بل غالباً ما الخسفت من الدفاع عن المصالح الدينية حجة لتبرير توسميتها الاستمارية . ولذلك غالباً ما نرى قضبة الانجيل تختلط في نظر البلدين بقضية الاجنبي الذي يريد السيطرة عليهم .

يضاف الى ذلك ان الشكل النجاري الذي ارتداه النبشير الديني قد اغاظ هؤلاء البلديين . فقد اشتهر المديد من المهتدين الصينيين باسم و المسيحيين من اجل الارز ، . ولم ينس اليابانيون

يما « الاقراء بالحرير والبندقية الذي استخدمه اليسوعيون لا بستالتهم . وهو الطبيب الميشر ، الله « شارل غلوف » ، من ركب السفينة كترجمان في خدمة شركة « جاردين وماتسون » أبيع الاقيون من الصينيين في السنة ۱۸۳۷ ، بعد ان قبض منها مساعدة مالية ، ودخسل الاب « فيناز » اليسوعي « تاناناريف » في السنة ۱۸۵۵ متنكراً برفقة عميل مصنع فرنسي للاسلحة ، ولا شك ، في رأي « ستانلي » ، ان الافريقيين جميعهم ، اذا ما اخذنا همجيتهم بعين الاعتبار ، يفضلون التاجر على المرسل المبشر ؟ بيد ان هذا الاخير سيلمب في افريقيا الشرقية دوراً اعظم من دور الاول ؛ اذ ان الكتاب المقدس يجب ان يسبق بالة البضائع ؟ في حال ان المكس هسو ما حدث في افريقيا الغربية .

تناسقت المنافسات بين الارساليات من جهة ثانية مع الخلافات بين الدول. فقد استمر الغزاع حول الاماكن المقدسة تتخلله حوادث مفجعة في أغلب الاحيان ؟ وقام هذا الغزاع في الهند بين الكاثوليك والبروتستانت ، وبين الاكليروس البرتفالي في و غسوا ، والارساليات الكاثوليكية الفرنسية ، وفي الصين بين المازريين في و مكاوو ، واليسوعيين ، وبسين هؤلاء والآباء الانكلوساكسونيين، وفي مدغشقر لم تخف المنافسة بين الكاثوليك والبروتستانت الخصومة الفرنسية الانكليزية .

فن الوهم الحادع من ثم الاستنتاج بان المسيحية قد حققت مكاسب حاسمة . وبصرف النظر عن مقاومة متباينة العنف قابلتها بها السلطات التقايدي<mark>ة في الش</mark>رق الاقصى ، يجب الاعتراف بان الاسلام قد صمد في كل مكان ، لا بل حقق نجاحات ذات قيمة في افريقيا وربيا في آس<mark>با</mark> دونها نحاحات المسجمة .

انتثار الردح الانسانية ؛ داني اكبر علو اللهمة الذي تبرهنون عنه حيثها اقتضى ذلك خسلاص مراصلة مكافعة النخاسة البشر ». ولحكن هذا العمل الروحي لا ينفصل عن الحبة التي تستهدف التخفيف من الآلام الارضية وتتصل بدورها بصراع العلمانيين من اجل الانسانية .

كانت مكافحة المرض مع التعليم مهمة الارساليات الرئيسية ، دينية كانت هذه الارساليات ام غير دينية . فان و بنات الحبة اللواتي اسس جمعيتهن القديس و منصور دي بول قد انشأت في الجزائر والشرق الادنى ومدخشقر والصين ملاجىء للاطفال ودور ايتام ومستوصفات وادرن مستشفيات دخلت في عدادها مستشفيات البرس احيانساً . وكان الكثيرون في الهند ، من بين المبشرين البروتستانت ، أطباء وممرضين و ولما كانوا متزوجين ، فقد سعوا الى ازالة عدادة تعدد الزوجات ورفع مستوى المرأة . وكان العسمة وحفظها ، في نظر الاوروبيين والامير كيين ، احد حقوقهم الاولى في اقرار السكان البلديين بفضلهم .

اعتبروا ان للاستممار ما يبرره اذا ما نجع في استئصال احدى افظع آفات عالم المناطق الحارة طفيانا ، اعني بها النخاسة . فكان عليم ، والحق يقال ، إقفال هذه السوق الكبرى ، بسبب

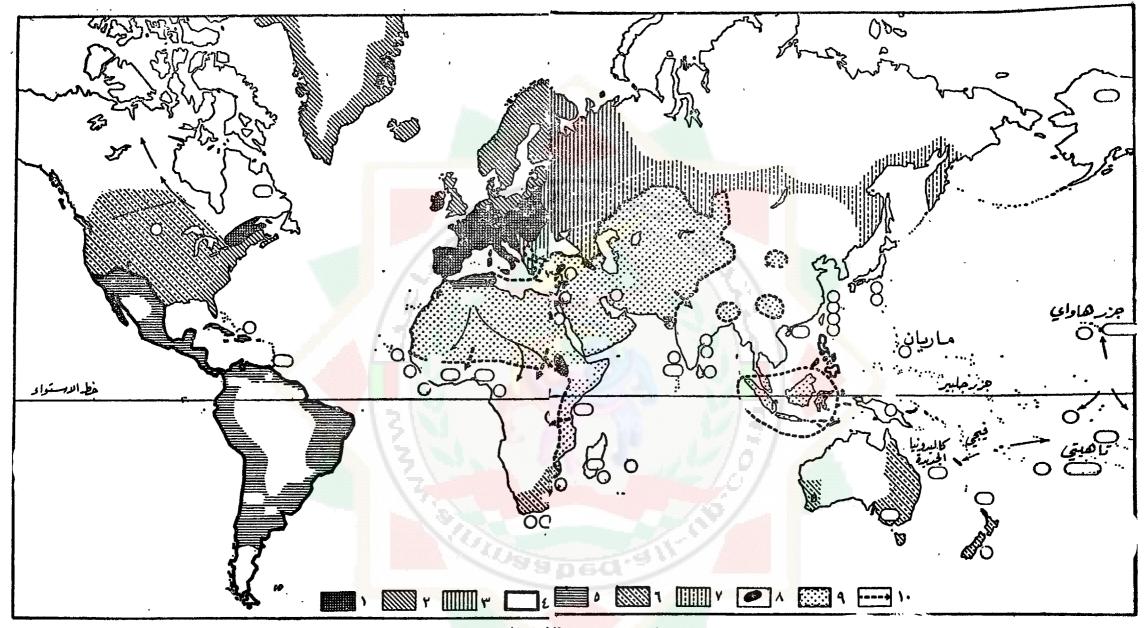
تُعهدهم اياها في مغارسهم في العالم الجديد. ولكن ما هو السبيل الى استنزاف النبع الذي يغذيها ان لم يكن عراقبة الغارة الافريقية بكليتها ؟

كان المستكشفون والمبشرون يملون بالآفة ، ويفتدون بعض المساكين ويعتقونهم . ولكن علية استثمالها كانت تستلزم بوليساً دولياً وحملات عسكرية منظمة . الا ان و الجمية الدولية الافريقية ، التي اخذت على عاتقها فتح ابواب افريقيا امام الحضارة عقدت في و بروكسل ، في السنة ١٨٧٦ جلسات ظهر فيها و ليوبوله ، ملك بلجيكا بمظهر و الحسن الى الزنوج ، ، ولكنها ما لبثت ان تحولت عن هدفها الى استعار رابح يخدم مصالح الملك ، ولن يحدث شيء حاسم قبل سنة ١٨٨٠ .

في هذه الاثناء مارست انكلترا الضغط على سلطاني زنجبار ومسقط للحيلولة دون النخاسة بين شاطئي المحيط الهندي ؟ واستحصلت من جمهورية افريقيا الجنوبية على وعد بتلطيف حالة النوج ؟ وعاتبت خديوي مصر واستحثته التدخل في و دارفور » . ولكن النخاسين ، بعد ان اقصوا عن الحيط الهندي ، صموا اكثر فأكثر بالقابلة على الاحتفاظ بالطرق التي يسلكونها بين السودان والبحر الاحمسر ، وفي الوقت الذي اعترفت فيه الدول المجتمعة في برلين ، في السنة المعدد ، الكونفو المستقلة ، موجبة عليها مكافحة النخاسة ، سقطت الخرطوم في ايدي الثورة المهدية ، وربحا بدا موت و غوردون » باشا ، الذي كان يمتبر فارساً من فرسان المسيح ، في قرن لا يعير الفروسية الهنهاما يذكر ، تحدياً لاوروبا المسيحية المناهضة النخاسة . المسيح ، في قرن لا يعير الفروسية المتهاما يذكر ، تحدياً لاوروبا المسيحية المناهضة النخاسة . فقد في بركسل في السنة ١٨٩٨ مؤتمر جديد واجه اتخاد تدابير قانونية ، ولكن النخاسين لم يزولوا من السودان الا بعد سحق الدراويش على يسد كتشنر في السنة ١٨٩٨ ، وسحق ملك و ولداى ، و ولادا من السودان الا بعد سحق الدراويش على يسد كتشنر في السنة ١٨٩٨ ، وسحق ملك ولداى ، و ولودا ، و ولداى و ولداى و ولداى ولداى و ولداى و ولداى و ولداى ولداى ولداى و ولداى و

لا ريب في واقع الماطفة الانسانية التي املت هذه المكافحة. ولن يستوقفنا هنا سوى النجاح المنقطع النظير الذي احرزه كتاب و كوخ العم توما ، من تأليف السيدة و بيشر ستو، الذي نقل الى معظم اللفات الغربية وطبع اكثر من ٥٠٥ طبعة وصيغ حق بابجدية العميان. ولا نستطيع كذلك ان ننعت بالمراءاة كلمة التهدئة التي ترد باستمرار في كتابات المستعمرين حين يعلن هؤلاء عزمهم على وضع حد للحروب الداخلية ، والجرائم الطائفية الطابع ، والاتاوات المرتفعة التي تفرضها الاقطاعيات البدية . فقد استهدفت اتفاقية بروكسل في السنة ١٨٨٨ واتفاقية برلين في السنة مصير السكان والفاء النخاسة وتجارة الاسلحة وبيع المحول . وفي السنة ١٨٨٨ اصدر لاون الثالث عشر رقما اثنى فيه على مبادهات الكردينال لافيجرى .

كان من شأن هذا العطف الكريم ، في اعتقادنا ، تبرير الوصياية التي توجبت ممارستها على حضارة متفوقة . فهو قد وفر عليها الاستناد الى حسق الاقوى ، لا سما وانه اتفق كل الاتفاق والرغبة ، الصادقة إيضا ، في استثمار الكرة الارضية استثماراً أبعد بصيرة .



شكل ٧- الاستشارالسيي

١ - بلدان كاثوليكية أو ذات أكثرية كاثوليكية في اوائل القون ؛ ٧ - بلدان بروتستانتية اوائذات اكثرية بروتستانتية في اوائل القون ؛ ٧ - بلدان بروتستانتية الكثرية بروتستانتية في اوائل القون ؛ ٥ - مناطق انتشرت فيها المسيحية (اكثرية كاثوليكية) ؛ ٦ - مناطب التشرت فيها المسيحية (اكثرية الشرت فيها المسيحية (اكثرية ارثوذكسية) ؛ ١ - مسيحيون اقبالاً وأرمن ؛ ٩ - مناطق يسيطر فيها الاسلام ؛ ١٠ - مكاسب الاسلام .

ومنصل ومروبس

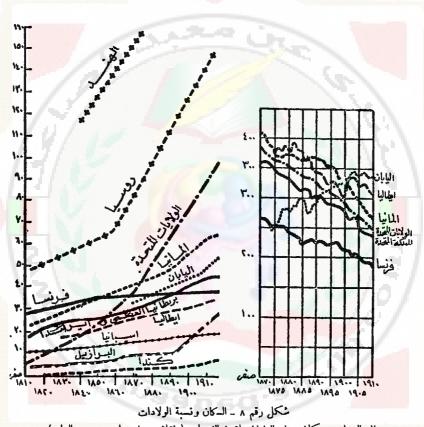
ارتفاع عدد السكان ونزوحات الأوروبيين الكبرى

نو عدد السكان في اوروبا والعالم الثاني عشر اسرع منه في القرن الثامن عشر ؟ وقد برزت هذه الظاهرة بروزاً أوضح بعد السنة ١٨٥٠ . فاذا سلمنا بأن عدد سكان الارض كان ٥٠٠ مليون في الشاة ١٨٥٠ و فاننا بأن عدد سكان الارض كان ٥٠٠ مليون في السنة ١٩٥٠ و السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٠ والسنة ١٨٥٠ والسنة ١٢٥٠ والسنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ والسنة ١٢٥٠ والسنة ١٨٥٠ كا نرى ان معدل الارتفاع في النصف الاول من القرن التاسع عشر أعلى منه في النصف الاول من كل من القرن التاسع عشر أعلى منه في النصف الاول من كل من القرنين السابقين ، الا في آسيا . وعلى الرغم من ان سكان آسيا قد تجاوزوا ابداً نصف سكان الارض ، فان هيمنة هذه القارة قد ضعفت . و كذلك فان اميركا لم تحتل بعد سوى مركز وضيح على الرغم من تقدمها الملحوظ . أما الكتلة الاوروبية الآسيوية فقد جمت بمفردها ثلاثة ارباع السكان ، ولكن ما يستوقف انتباهنا بصورة خاصة هو سكان اوروبا : كان اكثر من خس كان الارض في السنة ١٩٠٠ ، فارتفع الى اكثر من الربع بقليل في السنة ١٩٠٠ . فاذا اعتبرنا ان هذا المدد قد بلغ ضعفه على الاقل خلال القرن التاسع عشر ، وان مساحة اوروبا تأتي في المرتبة الرابعة بين القارات الخس – وفي المرتبة الاخيرة ، اذا لم تدخل فيها روسيا – فاننا المرتبة الرابعة بين القارات الخس – وفي المرتبة الاخيرة ، اذا لم تدخل فيها روسيا – فاننا ندرك الطاقة الديوغرافية التي تنطوى علمها .

يجب الانتسى ؛ بالاضافة الى ذلك ، ان اوراسيا انما نمت بذاتها . فان افريقيا قد استقبلت اكثر بما اعطت ، والامريكتين لم تقدما اي عنصر للهجرة ؛ كما لم تقدم اوقيانيا اي عنصر ايضا . والحال ، نحن نرجح ان الذين هاجروا آسيا اقل عدداً من أولئك الذين هاجروا اوروبا . ففي السنة ١٩٠٠ ، يجب ان نضيف الى ال ١٠٠ مليون اوروبي كل البيض الذين جاؤوا الى القارات الاخرى من أوروبا او انحدروا من ارومة اوروبية : لذلك فان ابناء اوروبا قد مثلوا آنذاك

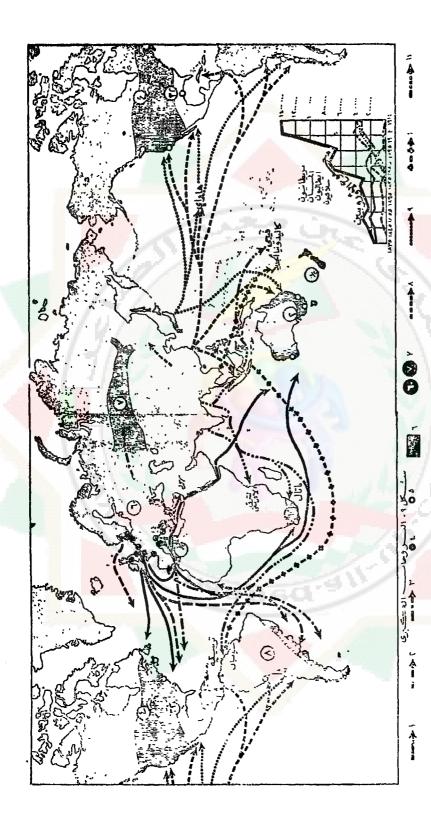
				ثلث الجنس البشري(١) .
		كان باللايين	عدد السح	(1)
	11	140.	14	, .
•	1.1	*17	144	ادروبا
	4	¥1.	• ٧ •	آسيسا
	14.	1	1	افريقيا
	Ä	**	1	اميركا الجنوبية
	75	44	11	اميركا الوسطى وإميركا الحنوبية
	٦	•	Ť	اوقيانيا
	1041	1147	444	
	كوكس وساندربارغ	، تقديرات ويل	نقلا عن	- C
		م السكان	نسبة توزيد	
	11	1400		
1	7010	77.7	7 - 14	اورديا
	***	7817	71.7	آسیا
	717	۸۱۳	1111	افريقيا
	7.6	7.7		اميركا الشمالية
	i i	4.0	717	اميركا الوسطى راميركا الجنوبية
		• • • •	• • • •	ارقیان <mark>یا</mark>
		المكان	। यक्ष	
21	14	140.	14	
	1	7717	1444	اوروبا
	41.4	14	1444	آسیا
	t	411		افريقيا
	***	111	• • •	اميركا الشمالية
- \	411	117		اميركا الجنوبية واميركا الوسطى
	11	V.A	714	ممدل الكثافة
	نقلا عن ساندبارغ))		all all
		الزيادة	نبة	
11	\	١٨٠	۱ ۷ • •	
7. ••	1/ 2+	7.	37	اوروبا
> 14	77 C		***	آسيا
* Y•	.			افريقيا
>777	. > * • •	>	180	اميركا الشمالية
» 4T	3 44	>	• 1	اميركا الجنوبية واميركا الوسطى
***	3 ,	128 6	13 IC \	ارقيانيا

(بكل تحفظ المفترة . • ٧٠ - . ٠٨٠) الزيادة السنوية ٧.٧. بالمئة بين . ١٨٠ و . • ١٨ ؛ ٣٨ ٢٠. بالمئة بين . • ١٨ و . ١٩٠٠ كان لنزوحات الارروبية الكبرى البعيد في المعاصرين. ولا ريب في ان ارتفاع عدد السكان في اوروبا قد كان لها محركا ودافعاً ، واستحث تطورها النقني والاقتصادي ، واوجسد فيها تيارات هجرة أتاحت بعض الترافق بين العرض والطلب في سوق العمسل ، وسهلت على العموم نشأة المدن الكبرى ، ولا سيا مراكز الصناعة الكبرى والتجارة الناشطة . ولكن المقايضات الداخلية لم تكن كافية ، فنزح عدد كبير من الاوروبيين عن اوطانهم ، نزوحاً مؤقتاً او نهائيساً ، رغبة منهم في تحسين مصيرهم .



الى اليسار : سكان بعض البلدانُ بملايين النسمات (نقلا عن احصاء ه بيرو » العام) الى اليمين : نسبة الولادات لل ، نسمة (نقلا عن « هوبر » ، بوئل » ، « بوفر » : « سكان فرنسا » وعن احصاء « بيرو »)

رماكانت هذه الهجرة لتتحقق في القرن الثامن عشر . فان ظروفاً مؤاتية كثيرة - انخفاض كلفة وسائل النقل ، وعدم قابلية المدن لاستيماب كافة النازحين عن الارباف ، وحرية المهاجر في التوجه الى مناطق واسعة خالية من السكان والاستيطان فيها - قد توفرت في الوقت الذي



مينية وماليزيد؛ ١١ - نزوحان هندية . ٣ - مناطق اغتراب الاوروبيغز ؛ ٧ - اعداد الهاجرين (دوائر سوداء) والمتقربين (دوائر موقنة) الاجهالية باللابين ؛ ٨ - نزوحات صينية ؛ ٩ - نزوحات يابلية ؛ ١٠ - نزوحات هندية حينية وماليزية ؛ ١١ - نزوحات هندية . ١ – تزوحات بويطانية ؛ ٧ – نزوحات مكندثقية والمائية ؛ ٣ – نزوحات متوسطية وأوروبيةوسطي وأوروبية شرقية وييودية ؛ ٤ – مراقيء الماجزة الاوروبية؛ ٥ – مراقيء الاغتراب ؛

عكل ١ - النزر حات الكبرى

بدت فيه تقديرات د مالتوس ، وشيكة التحقق في كل مكان تقريباً ، بين الاطلسي والمتوسط ، وحتى الاورال في وقت لاحق قريب . فكان هذا الوقت هو البرهة السريمة الزوال: فبالامس اعتبرت الروح التبعارية نزوح الرعية مضرة باقتصاد الامير ، وغداً ستفرض الوطنية قيوداً اما على الخروج وامساعلى الدخول عبر الحدود . ومنذ السنة ١٨٤٦ ، نادى « ثورنتون » ، تلميذ « مالتوس » ، بهجرة « على نطاق واسع » في كتابه « تضخم عدد السكان وعلاجه » . فنشطت الدعاوة ، دون أي عائق ، في اغراء المساكين ؛ واخسسنت بعض الجمعيات الدينية وشركات الملاحة على عاتقها امر النقل والايواء ، ورضيت الحكومات ، وتولت بعض دول مسا وراء المحار دعارة تشويقية . ولم يكن مها أن يتم السفر في ظروف صعبة (فقد زعهم بمضهم ان مده ١٥من اصل ٥٠٠ م مسافر من بريطانيا المظمى قد ماتوا في الطريق او بعد انزالهم الى البر في السنة ١٨٤٧) ؟ اذ ان اليقين من وجود اراض وعمل مضمون كان حافزاً قوياً للمعوزين. اما أولئك الذين ارغمتهم الازمات السياسية او الاضطهاد الديني على الجلاء او الانتفاء فكانوا اقلية ضئيلة (عدة آلاف من الفرنسيين بسمد السنة ١٨٤٨ ، وعدة آلاف من سكان الالزاس واللورين بعد السنة ١٧٨٠) : قالمليون يهودي شرقي الذين دخلوا العالم الجديد بعد السنة ١٨٨٠ قد فروا من البؤس ومن الاضطهاد الروسي (« بوغروم») على السواء . وقد سبق l « ميشليه » في السنة ١٨٣٥ ان شاهد ذلك جيداً في ليفربول : ﴿ جِــاء الآن دور المهـاجرين المساكين الذين ُيدفعون دفعاً الى ظهر السفينة . انهم لقطيع بشري <mark>بائس . . .</mark> لا مفر من أن يسافروا . صفا<mark>ر</mark> الحاكة يتضورون جوعاً في جوار منشستر ، . هذه هي هجرة الكادحين .

تراوح عدد المهاجرين ، حتى السنة ، ١٨٤٠ ، بين ، ٣٠ و ، ٤ السف شخص في السنة : اي ، ٠٠٠ منذ السنة السنة ، ١٨٤١ و كان جلهم من الصناعيين اليدويين الذين افقرهم المعمل والمصنع . ثم ارتفع هذا المعدد في السنة الواحدة ، بقفزة اولى ، الى ، ٠٠٠ ٢٠٠ وحتى الى ، ٠٠٠ ٢٠٠٠ وورد ذلك الى خطورة ازمة ١٨٤٥ – ١٨٤٨ ، والغاء الفدادية في اوروبا الوسطى – الذي حرر الفلاح من ارتباطه بالارض – ، والاندفاع وراء السنده ب كاليفورنيا واوستراليا : وهم البريطانيون والايرلنديون والالمان خصوصاً من هاجروا باعداد كبيرة ؛ قان ، ٨٨ من مجموع المهاجرين بين السنة ١٨٤٥ والسنة ١٨٥٠ ، انتسبوا الى انكلارا وايرلندا وحدها . ويقدر عدد المهاجرين بسين السنة ١٨٤١ والسنة ١٨٨٠ ، ب ١٨٠ مليوناً . ثم مرت فترة توقف نسبي في السنوات ١٨٥٧ – ١٨٧٠ التي توافق انطلاقة صناعية هموسة في اوروبا والحرب الاهلية في الولايات المتحدة . ولكن التدفق تجدد وتعاظم مرة اخرى بعسد الروبا والحرب الاهلية في الولايات المتحدة . ولكن التدفق تجدد وتعاظم مرة اخرى بعسد والنسبة نقسها من الايرلندين والالمان ، يضاف اليهم السكندنافيون ؛ اما الجدة الكبرى فهسي بدء هجرة سكن اوروبا الجنوبية والشرقية : البرتفاليون والاسبانيون اولا ، ثم رعايا فرنسوا بدء هجرة سكن اوروبا الجنوبية والشرقية : البرتفاليون والاسبانيون اولا ، ثم رعايا فرنسوا بدء مجرة سكن والقصر .

حوكة انتقال الشعوب والشعوب الجديدة الاوروبية المنشأ

سجلت الجفرافية من ثم انقلاباً عظيما يلفت الانتباء فيسه واقعان هامان : فن جهة اخذ شطر كبير من اليهود يجتساز الاطلس مجيث اصبحت اميركا ، بعد روسا ، موطن اكبر

عدد منهم في العالم ؟ يضاف الى ذلك ان شعوباً صغيرة عدة ـ كالايرلنديين والبرتفاليين - كادت تتوزع مناصفة بين ديار الاغتراب واراضي الجدود ؟ ومن جهة ثانية ، امتدت شبكة الجمعات المنظمة تنظيماً اوروبياً الى القارة الاميركية كلها تقريباً ، واوساراليا وزيلندا الجديدة ، ومناطق افريقية معتدلة المناخ ، وحتى الى بعض مناطق آسيا . فأسهم المهاجرون في استهار الكرة الارضية ونشروا في الوقت نفسه الحضارة الاوروبية ، بحيث ان وجه هذه العوالم الاوروبية الجديدة ، قد اعاده الى الذكرى ، الاوروبية المدية ، قد اعاده الى الذكرى ، على الرغم من ذلك ، بصورة مؤثرة جداً .

ولغصى ويخابرس

فتح المحاصيل الكبرى الحيوانية والنباتية

طلبت اوروبا من العالم مساعدته على التغذية والاكتساء.

ان التقنيات الصناعية <mark>لم تضعف</mark> فروع الاقتصاد الاساسية بل قو"تها ودف<mark>م</mark>ت العنص والعيد بها الى الامام .

فان ردة الفعل الدفاعية ضد الحيوانات المؤذية قد افضت الى ما يشبه القضاء عليها في الفرب، ولكن حيوانات المناطق الاخرى كانت كذلك مطمح حرصاء لا يعرفون الشفقة معنى . فغذت الجبال المرتفعة والاراضي المتجمدة حول القطبين الاسواق العالمية بالفراء ؛ وفي المناطق الحارة طورد الطبي والغزال ولا سيا الفيل في عملية استثار استباحت كل تجاوز ووحشية . ولا عجب من ثم أذا انقرضت بعض الانواع ، واذا ما توجب ، للمحافظة على الحيوانات المهمة ، ايجساد احتياطي طبيعي او اللجوء الى تربية الحيوان (تولت افريقيا الجنوبية تربية النعامة) . وقد بلغ من الحاح الطلب ان صناعة الفراء قد اكتسبت خسيرة واسعة في فن استخدام كل قنيص موبر .

وعلى الرغم من ان الانسان لم يعدليتقيد بالصوم وانه قد مال اكثر فأكثر الىطلب غذائه من البحر. وقد تحسنت عدته لتحقيق مطلبه ، بينا كشفت المياه عن اسرار حياتها العضوية . فان البخار والمروحة وهيكل السفينة الحديدي قد اتاحت بناء سفينة الصيد التي كان باستطاعتها ، اذا ما زودت بالمحروقات الكافية ، اطالة رحسلة الصيد وتعقب السمكة عن كثب وحتى معالجتها علياً . وقد بوشر في السنة و١٨٧٧ استخدام الشبكة التي تجر تحت سطح المياه . وبفضل التبريد ، بات باستطاعة السفينة المزودة بالجليد توسيع نطاق عملياتها . وقد ولد مرفأ «غريسي» في السنة ١٨٥٨ وجهز « بالخط الحديدي المركزي الكبير » الذي سارت عليه قطارات نقسل في السنة ١٨٥٨ وجهز « بالخط الحديدي المركزي الكبير » الذي سارت عليه قطارات نقسل

لاسماك الاولى . وبرز تشاط ملعوظ في البحار الضيقة والساحلية وعلى شواطيء اوروباالشالية العربية ، واميركا الشمالية في النرب والشرق على النواء ، وآسيا الشرقية . فأثار هذا النشاط مفازحات بين الفرنسيين والانكليز حول مياه و الارحى الجديدة ، الفنية بالاسملك وبين الانكليز والاميركيين في مياه و بيرنغ ، ، فأقر مؤتمر عقد في لاهاي قانونا دوليا الصيد ، كا استهدفت احدى الاتفاقيات حاية الانواع المهدة بالانقراض .

كان الحوت في عداد هذه الأنواع . فقد جد الصيادون في اثره الى ان زال من نصف الكرة الشالي منذ السنة ١٨٥٠ . فتحول الصيد الى الحيط المتجمد الشالي حيث قام به النرويجيون بهارة فائقة وولع عظم . وقد روى « ملفيل ، هذه الملحمة في د موبي ديك ، .

تح<mark>ولت حيا</mark>ة اهل البحر: فطال غياب الصياد ، وامس اقل استقلالاً؛ واز<mark>دهرت ال</mark>شاريع الراسمالية بفضل معدات تميزت بزيد من القعالية .

قضت المجتمعات العصرية على قسم كبير من احتياطي الاشجار الحرجية في استخدام الشجرة الروبا الفربية ، وجر الاستعمار الى الافراط في قطع الاشجار في جنوبي الولايات المتحدة وشرقيها . وكانت الكيات المتوفرة في تناقص مستمر حسين تكاثر استخدام الاشجار على الرغم من اللجوء الى الفحم الحجرى .

ثم جاء دور الاحراج الواسعة في المناطق المحيطة بالقطب الشهالي السقي لم تشك بعد من الاعتداءات البشرية : فغدت اسكندينافيا وفنلندا و كندا دولاً منتجة كبرى . فقدمت شركة و خليج هو دسون ۽ خشب البناء بصورة خاصة حتى منتصف القرن وزودت مصافسيم السفن بخشب الصنوبر ، ثم جاء عهد الالواح الخشبية الطويلة المقطوعة من جدوع ضرب من أشجار الصنوبر وعهد الاشجار التي لم تعر اية اهمية حتى ذاك التاريخ . فوظفت رؤوس اموال جديدة في مشاريع هامة كثيرة كو شركة الورق الدولية ، التي ابتاعت ١٠٠٠ كياومسة مربع . مشاريع هامة كثيرة كو شركة الورق الدولية ، التي ابتاعت ٢٠٠٠٠٠ كياومسة مربع . وقد المتلك اللورد ونورثكليف، صاحب صحيفة الو دايلي مايل ، ٢٠٠٠٠٠ هكتار في جزيرة و الارض الجديدة ، وبنى في و غرائد فولز ، مصانمه الورقية الخاصة .

لم تكن احراج المنطقة الحارة اقل فننة وسحراً بأشجارها الثمينة . الا ان اميركا الجنوبية والهند واندونيسيا قد تقدمت على افريقيا في هذا المجال بفضل وسائل النقل . فبينا استخرج المعفص من شجرة الا كبراكو ، في الارجنتين ، استخرجت الكينا والكوكا من اشجار جبال و اندس ، وعاد و لاكوندامين ، باسم المطاط الذي لن يستخدم صناعيا الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؛ ومنذ السنة ١٨٧٠ ، انتشرت حمسى الذهب الاسود في الاحراج الامازونية : فجال جامعو صمغ المطاط في الاحراج المظلمة لتأمين طلبات الزبن الموسين الذين نقلوا المحاصيل المجموعة عن طريق الانهر . وستبلغ هذه الحي ذروتها في السنة ١٩١٢ .

مكاسب مشاجر المناطق الحارة

مكاسب مناجر الناطق الحارة المرقمة الحرارة: واذا كان استقطار الفحم المدني قد وقر" له صباغات صنعية الاسم قرمزية غواتمالا ونيلج الصين والهند، فأنه ما زال يتجه نحو الطبيعة الغنية بالنباتات الحصول على الجاذبة والقرنفل والالرجية . فوسع زراعة الحشخاش المنو"م التي وفرت له الرباحاً طائلة ، واستخلص من الكوكا احدى لذاته الحقية . وادخل في سلسة الزراعات المتقنة عالم التوابل : اشجار القرفة ، واشجار الرنيلية ، واشجار الفافل واشجار القرنفل ، التي كانت تنمو ، كا يقسنى لها النمو ، بعناية البديين الكسالى . ولم يأبه المضرر الذي سيلحق باشجاره الزيتية الحاصة ، فطلب من الهند زيت السلجم الصباحه واستعمله في غذائه كما استعمسال الفول السوداني وزيت البلح وجوز الهند ، والسمم ، واستخدم الحروع التداوي والتصوير . ووسع كذلك صناعة المنسوجات التي أتته من المصادر عينها : قنتب سيام الذي اسياه «حرير كانتون » كذلك صناعة المنسوجات التي أتته من المصادر عينها : قنتب سيام الذي اسياه «حرير كانتون » والرافيا ، وقنب مانيلا أو « اباكا » ، والقنب المكسبكي ، والقنب المندي بنوع خاص . واتجه مرض التغلغل الطفيلي الذي اصاب دود القز في مقزاته نفسها ؟

ما زال الغرب مفتلناً بالعطور التي وفرتها له المنسساطى الرطبة

بيد أن ما اراد توسيمه واخصابه في الدرجة الأولى هو زراعة القطن . فان الخبازيات النهمة قد انتشرت في أكثر من مليون كيلومتر مربع حين افتقرت بعض المراكز الصناعية الرئيسية في اوروبا الى المسادة الخام بسبب الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأميركية . ومها يكن من أهمية نهضة وانطلاقة زراعة القطن الاميركي – الذي لن ينافسه قطن آخر – فان صاحب المصنع في « لانكاشاير » أو « ميلهوز » أو « شمنيات » لن يستطيع الاكتفاء بمون واحد . لذلك تم الاتفاق على انتاج القطن » حيما سمحت الحرارة بذلك » على أن تؤخذ بمين الاعتبار المياه » والدربة التي يجب أن تكون كثيرة : فسينتج من ثم في والتربة التي يجب ان تكون غضابة ، والسواعد التي يجب أن تكون كثيرة : فسينتج من ثم في البرازيل وجزر الانتيل الانكليزية الصغرى والصين ؛ وأخسيراً في المكسيك و « كوينسلند » ونيجريا و « اوغاندا » . وفي اوائل القرن لم يغط النسيج النباتي الأول سوى ١٢٪ من حاجات ونيجريا و « اوغاندا » . وفي اوائل القرن لم يغط النسيج النباتي الأول سوى ١٢٪ من حاجات البشر ، بينا هو غطى أكثر من ٥٠٪ في اواخره .

ولم يكن توسيع زراعة اشجار الشاي والبن والكاكار اقل الحاحاً في المناطق الحارة ولا سيا وان الاشربة المصنوعة من ثماره كانت مرغوبة جداً. فان الاحتكار الصيني القديم والذي غذى تجارة رابحة عن طريق كانتون وآسيا الوسطى منذ ان زرع البريطانيون في اسام وسيلان والهولنديون في جزر اله وانسولند و شجرة الشاي التي حسنو انواع محصولها . على ان آسيا لم تفقد مرتبتها الممتازة . فان البن والحبشي الاصل والذي احتكره العرب تحت اسم و مخا وقد وجد في اميركا ارضه المحتارة . فقد اعتنى به الهولنديون في جاوا والانكليز في سيلان ومن جاوا انتقل الى وغويانا و ورع البرتغاليون الى الدماسكار انبه و والانتيل وزرع البرتغاليون

شجرته بدورهم في منطقة و برنامبوك ، و و باهيا ، ؟ ثم بلع و ساو باولو ، التي وافقته تربتها الحراء ، ومناخها ؟ وانتقل اخيراً الى أرض كولومبيا و المعتدلة ، والمزارع الفنزويلية ، وتسلق منحدرات ال و كورديليير ، ، وهزا اميركا الوسطى . إلا أن البرازيل انزلت منه الى الاسواق قدراً من الأكياس لم يعد انتاجه معه عمليه رائحة . فليس من اقتصاد أوهى من هـ أ الاقتصاد المرتبط بالطلب الفربي . ولكن اقتصاد الكاكاو ليس بالاقتصاد الافضل : فان الأكوادور تدين له بما تدين كولومبيا او ساو باولو المبن . وكان الكاكاو شراباً مفتخراً في اواخر اللان الثامن عشر ، وقد عرفه هنود اميركا ، فانتقل من ثم الى اسبانيا . ولكنه احتل فجاة مرتبة رفيعة حين انول السويسريان ، وبيتر ، و و لندت ، الشو كولاتا الى الاسواق ، فوظفـت رؤوس حين انول السويسريان ، وبيتر ، و و لندت ، الشو كولاتا الى الاسواق ، فوظفـت رؤوس الأموال في مفارس البرازيل وفنزويلا والاكوادور ؟ ثم انتقلت شجرة الكاكاو الى مستمرة الشاطىء الذهبي حيث أغرى البريطانيون الزنوج بانتاج عائلي . وبفضل ذلـك لاحت في أفق الشاطىء الذهبية ، حوالي السنة ، ١٩٠ ، زراعة لن تقل شأنساً عن زراعة شجرة الشاي في آسيا وشجرة الن في اميركا .

ولكتها لن تستطيع مزاحمة هذه الآخيرة طويلاً على المرتبة الأولى في تجارة الموز، أجل لقد عني المستعمرون الانتبليون باشجار الموز التي تظلل اشجار الكاكساد والبن ؟ ولكن موز «كاناري »كان موضوع تقدير اعظم. فتبدل الوضع في أواخر القرن حين ابتاعت بعض الشركات الاميركية — وعلى رأسها «شركة الثار المتحدة » — اراضي واسعة جداً في اميركا الوسطى ؟ يضاف الى ذلك ، من جهة ثانية ، أن أحد فروع هذه الشركات ، « الدرز اند فيفز » ، قسد احتكرت تجارة الموز مع الكاناري .

النار والبعول ط الحوان في النوب الروبا واميركا الشالية حديثاً . وقد تنوع الغذاء من ثم المصورة عامة النار والبعول ط الحوان في النوب الروبا واميركا الشالية حديثاً . وقد تنوع الغذاء من ثم المصورة عامة المدن من الثار والبعول التي طالبت عامة المدن من الأرياف المحافظة على الطرائق التقليدية فحسب المن من من الثار اضي التي اكتشفت المفضل هذه الزراعة المحافظة على الطرائق التقليدية فحسب الله من من الأراضي التي اكتشفت الساحلية و وكورنواي الانكليزية وبعض المناطق المتوسطية من زراعة بواكير الثار . فان هنالك الله جانبي خطي المرطان والجدي مستعمرات اتقنت انتاج النبيذ والزبيب والزيتون والبواكير المختلفة الكثيرة . أما مناطق زراعة شجرتي التين والبلح فكانت محاذية لهذه الأراضي وأبعد نحو الصحراء . وقد اتسعت كذلك اتساعاً عظياً أراضي زراعة المحضيات : ففي السنة وأبعد نحو الصحراء . وقد اتسعت كذلك اتساعاً عظياً أراضي زراعة المحضيات : ففي السنة المحرب سفينة بخارية من فالنس وأفرغت في لندن شحنتها الكاملة من البرتقال . وفي السنة المحرب طط حديدي بين كاليفورنيا الجنوبية وشرقي الولايات المتحدة . وما لبثت كاليفورنيا وفاوريدا والانتيل ومستعمرة ال وكاب وأوستراليا واليابان أن انتجت التفاح الذهبي غرار الملدان المتوسطية القدعة .

التنافس والحوب بين

سناس واحرب بين بثلاثة كيلوغرامات للشخص الواحد كا في اوائل القرن، بل اصبح بجاجة الى ٤٠ ؟ واستهاك الفرنسي منه ٧٣ بدلا من ٢ ؟ واستهلكت المانيا ٧ ملايين قنطار في سنة ١٩٠٠ مقابل مليون واحد حوالي السنة ١٨٥٠ ورلن ثلبث الولايات التحدة ان يؤلف سوق البيع الاولى لهذا الصنف . اجل ان في ذلك لدليل يسار : ولكن مسايلفت الانتباء من جهة تانية أن هذه المادة الغذالية قد رغب فيها سكان المناطسة الشمالية اكثر من سكان المناطق الجنوبية ، وان المدينة اكثر من القلاح . لذلك لم يعد قصب السكر لمكنى بعد السنة ١٨٥٠ ، فانتزح الشمندر مركزه ؛ بعد ان احرز نجاحات ملوسة:ولكنه تأخر عـــاس منيت به المناطق الحارة ؛ عند الفاء النخاسة ؛ امام اوروبا واميركا الشالية اللتين همتا الدورة الزراعية راسستا المزيد من معامل السكر في كنف الحابة الجركية .ولكن الاشياء عسادت الى حالمًا بعيد الثورة الكوبية التي وافقت في الزمان فترة تدن في الزراعة : وقد افضى الى ذلك المجهود الذي بذله في آن واحد الهولنديون في جاوا والبريطانيون في الهند وجامايكا وموريس، والبرازيليون في بلادم اواليابانيون في فورموزا اولاسيا الخطوة التي خطتها كوبا و وبورتوريكو، الى الامام في كنف الولايات المتحدة . ثم اوجدت الاتفاقات الدولية المساواة بين الزراعتين ؛ فتوزع قصب السكر والشمندر ، مناصفة تقريباً ، انتاجاً استهلك الغرب ثلاثة ارباعه .

ارتفعت نسبة استهلاك السكر ارتفاها كبيراً. فلم يعد البريطاني ليكتفي

توسيع مساحات زراعة الحبوب

كان الجدب بالامس يعني الحاجة الى الخبز. ومن جهة ثانية قايلت التحمعات البشرية المناطق الن كانت فيها الحيوب مرتكز الغذاء. ولذلك كانت مع كة الارز في آسيا ومعركة الحنطة في اوروبا معركتين حيويتين في نظر المجتمعات

المرتفعة عدداً ؛ ولكن كانت هنالك معركة الذرة الصفراء عند الهنود الاميركيين ومعركـة الذرة البيضاء والجاورس في افريقيا . وقد اشار « ماتيو دي دومبال » الى الصيفة التي توافق ارروبا الضيقة : د ان الاهراءات الحقيقية لليسار هي الدورات الزراعية المتقنة، ولكن الزراعة الوفيرة الانتاج متعذرة في المساحسات الواسعة التي يجب ان د تصنع فيها الاردس ، اولا . فهي المساحة الصالحسة للحراثة مسايعول عليه حين يكون المقصود فتوح الارض البكر بواسطة المحراث.

انه لظاهرة عظيمة تقدم جبهة مستصلحي الاراضي عبر المروج ار السباسب من الشرق نحو الغرب في اميركا الشمالية ، ونحو الشرق عبر سيبيريا ، ومن الشواطيء نحو الداخل في المناطق الجنوبية . ومن الطبيعي ان الامكانات وطرائق المعيشة قسه اختلفت بين فريق وآخسسر : فشتان بين و المزارع ، الاميركي الذي استفاد من الخط الحديدي والآلة الزراعية ، وبين الفلاح الروسي المشدود الى عادات جدوده في اعتماد الزراعة الجاعية . اما وجه التشابسه فهو ضعف الانتاج الذي يعيض عنه ضعف الاستهلاك عليا بجيث اعطت اراضي زراعة الحبوب فسسائض انتاج بيع بمنظمه في الاسواق العالمية . 'ضف الى ذلك أن الطرائق والتقنيات قسد اقادت من الاختبار: فقد شوهد قمح شتوي ، هو القمح و التركي الاحر » ، يزرع في اراض واسعة بين و كنساس » وداكوتا ؛ وقمح ربيعي ، هو ال ومزمار الاحر» الغاليسي المنشأ ، يغزو واونتاريو» و مانيتوبا » و و ميناسوتا» و وداكوتا»؛ ثم بلغت اراضي زراعة القمح في تقدمها المناطق نصف الصحراوية التي وافقت ، بفضل و الزراعة البعلية » ، نوعا من الحنطة اعظم قسدرة على مقاومة الجفاف والبرد ، هو و المركيز » الذي استحصل عليه بتهجين والمزمار الاحمر » والقمح الهندي . اما في الهند فقد وجه الانكليز جهودهم شطر البنجاب والسند حيث ساعد الري على انتاج قمح ربيعي .

بيد ان اعظم نجاح هو نجاح اميركا الشهالية التي افادت من تنظيم تجاري مثين مرتكز الى الاهراءات ، ووسائل نقل سريعة ، وصناعة طحينية متقدمة . فقد خصصت لزراعة الحبوب ، عا فيها زراعة الذرة الصغراء ، مساحة ٧٠ مليون هكتار في الولايات المتحدة ، و ٧ في كندا ؟ فتوفر ٥ مسلايين طن من طحين الحنطة في السنوات ١٨٩٠ – ١٩٠٠ . وباتت «مينيا بولس » و « شيكاغو » و « وينيبغ » تؤمن الخبز ل ١٠٠ مليون نسمة . اما الارجنتين واوساتواليا والهند فقد اسهمت ، بامكاناتها المتواضعة ، في تسليم اوروبا الغربية ما تحتاج اليه ، اي ١٢ مليون طن بالاضافة الى ما كانت تسلمها اياه اوروبا الشرقية على غير نظام .

تقهقرت امسام القمح الحبوب المعروفة منذئذ بالثانوية ، لان الخبز الابيض كان دليل حضارة متقدمة .

ولا يخلو من المغزى كذلك التقدم البطيء في انتاج الارز الذي لم يعره الغرب اهتاماً يذكر . ولكن الغرب قد توفق ، بجمل بورما تلعب دور ممورث الجماهير الآسيوية الشاكية من التغذية الناقصة ، الى ان يتحكم بتموين شطر هام من هذه البشرية .

إن المروج والسباسب التي يسهل اعدادها لزراعة الحبوب تصلح لتربية المواشي المواسبة المواسب

هذه هي حال الخروف الذي انكفأ في اوربا الغربية والوسطى امام النباتات المفيدة المففية ، ووافق المساحات الجافة الشاسعة في الغرب الاميركي والسهل الروسي ونصف الكرة الجنوبي . وتعطينا اوستراليا على ذلك مثلاً عظيا. فإن الحدث الرئيسي بالنسبة لها ليس انزال ١٥٧٥ كم مك من لفظهم المجتمع في خليج (سدني) بامرة «ارثور فيليب » في ٢٦ ك ١٧٨٨ ، بل انزال ٢٩ خروفاً . ففي السنة ١٨٦٠ ارسلت بالات الصوف الاولى الى انكلترا، وفي السنة ١٨٦٠ ارتفع عدد الاغنام الى ٢٠ مليون رأس ، والى ١٠٠ مليون في السنة ١٨٩٠ . وعلى الرغم من الجفاف الرهيب الذي حصل في السنة ١٩٠٠ ، ومن جرد الارانب للارض ، اللذين اضدوا اضراواً

وهنالك واقع آخر كان من شأنه تشجيع تربية المواثني ؛ اعني به أهميه اللحوم والاجبان في تغذية المجتمعات الجديدة . لا ربب في أن مجهود أوروبا الشالية الغربية ، التي حسنت فيها المراعي . التي ترويها امطار كافية ، قد تكلل بالنجاح : فعلى غرار الزراعة ، ارتدت تربية الأبقار والغنم طابع التصميع على انتاج عظيم . ولكن النشاط الزراعي في البلدان الجديدة ، التي توفرت لهسا المراعي الطبيعية الواسعة والحبوب المغذية ٬ قد تقدم كل مجهود . فان « منطقة الأبقار » ، حيث اعتمدت في تربية المواشي الطريقة البدوية ؟ مع ما استازمته من رعاة بقر وحراس (Gauchos)؟ ليست سوى المرحلة الأولى من النشاط في هذا الحقل ؛ ثم جاء دور المحطات الثابتة ؛ او مزارع التسمين ، التي غذت صناعة الملبات ؛ ثم اخذت ترتسم انطلاقة الحليب : فقد دخلت كندا وزيلندا الجديدة وأوستراليا الى جـانب الولايات المتحدة في منافسة الشال الغربي الأوروبي في قيمة المنتوجات ، وقد سهلت الذرة الصفراء ومصالة الحليب ، بالاضافة الى ذلك ، غو تربية الخنازير، ونجاح الـ « مارغارين » (مزيـج حليب وشحم حيواني حققه « ميج – مورييس ») وشحم الخنزير . ولم يكن أقل شأناً كذلك تقدم تربية الطيور والدواجن ، يفضل الانتقياء النزاوجي وبسبب طلب متماظم للحوم والبيض . أما الن<mark>حل فقد</mark> اصبح موضوع استثار أ<mark>كار</mark> تنظيما قياسياً : فبعد « ريو مور » > جاء هوبير و « دزيرزون » اللذان اكتشفا التناسل الذاتي لدى الماملات الساضات ، و « لانفستروث » و « دادان » اللذان ابتكرا القفران ذات النحت المتحركة . كان الغذاء الحيواني المنشأ لا يزال نادراً ومتوسطاً في القرن الثامن عشر: فلا مجال من ثم التقليل من أهمية التبدل الذي حدث في هذا النطاق ؛ إذا مسا اردنا فهم ارتفاع مستوى المعيشة العام في الغرب منذ منتصف القرن اللاحق .

الا ان الانسان قد تأثر ، على الرغم من ذلك ، بالنتائسج غير التشار الفربيين ونتائجه غير المقصودة المرتقبة التي اسفرت عنها اتصالاته . وقد لاحظنا ان استيراد على الانواع النباتية والحيوانية الصواف المناطق الجنوبية كان كافياً لانتشار أكثر من خساية

نوع نباتي جديد حول مراكز صناعة الجوخ في جنوبي فرنسا . ويفسر شراء الحبوب من الشرق الأوروبي دخول بعض انواع نباتات البورات الى فرنسا. وقد انتقلت من العالم الجديد الى أوروبا آفة الارمداد التي فتكت منذ السنة ١٨٤٧ بالكرمة المتوسطية القديمة ، بينا قاومتها الانواع الاميركية مقاومة فضلى . وانطلاقاً من نصف الكرة الغربي ، انتشرت كذلك آفسة العقونة وقمل الشجر المثمر. وكان الصرصور الذهبي قد تودد الى الباذنجانيات البرية في الولايات المتحدة قبل

أن يفتك فيها بالبطاطا ، وظهر في أوروبا مرتين بين السنة ١٨٧٦ و ١٨٨٠ . واتلف داء الكرمة كذلك الجفون الأوروبية التي زرعت في اميركا قبل أن ينتقل الى أوروبا ويحدث فيها الكارثية التي لم تعالج إلا جزئياً بعملية تطعيمها ، وظهر داء أوراق البن العربي في سيلان ، ثم انتشر في أقل من عشرين سنة في كافة البلدان الواقعة حول المحيط الهندي ، وتسرب أخسيراً الى قلب أفريقيا . أما الدوري النهم فقد دخل أميركا بعيد السنة ١٨٥٠ ثم أوستراليا حيث جاء الأرنب بدوره يحدث أضراراً أكثر مثولا للعيان أيضاً . وإذا استُصوب في بوهيميا إدخسال الجرد المستك الذي ابتفاء الكنديون من أجل جلاه الفروي ، فانه من جهة ثانية قد تكاثر تكاثراً خطراً في موطنه الجديد .



والنصل ولشاوس

العبقرية الصناعية فيأفج الناج الفحم الجري وعند ظهور الفولاذ

« راأسفاه ! ان المطحنة التي تدور ، تدور ثم تموت » .
 (« فيرمايرن » ، « الامسيات »)
 « ايما المغزاة العساة العلوب ، اتما التم آ قون لتحرموني من شعلة عورقي ... »
 شعلة عورقي ... »
 (« خودو » ، « اختية القحم الحجري»)

ترويض القوى الطبيعية وسيطرة الفحم الحجوي

سارت الحضارة الصناعية بخطى حثيثة بعد السنة ١٨٥٠ : فارتسم حينذاك الخلاف في أوروبا بين بلدان الحصان البخاري وبلدان حصان الجر ، وتوصل الاميركي الشمالي حقاً ال

استثار ثروات قارته ، وحقق الفرب في العالم تفوقًا ماديًا ساحقًا .

لم تنخل المياه قط عن وظيفتها كِقوة فاعلة . فبالاضافة الى الخدمات الضرورية التي مسا زالت تؤديها ، من غسل نسائج وتسقية شفار وتوفير الانبجساس القوي المضغوط الذي يستخدمه المنجم التحليل ، نراها تحرك آلات الرفع وتغذي مضخة و ايولد » المبعدة عن المركز وتتيسع تركيب المصد وتولد الكهرباء بواسطة المنفة . واذا ما تدنى شأن المطحنة الهوائية والسفينة الشراعية ، فإن المواء المضغوط قد حرك كذلك المساصر والمثاقب وامن المتانة لفرمة و وستنكهوس » .

 أعظم فاعلية : اما بواسطة الحواء الساخن كما توخاه « اريكسون » و « فرانشو » ، وامسا بواسطة الفاز كما ارتأى « هوغون » ، وكما ارتأى بعده « لنوار » و « اوتتو » و «لانجن» ، واما بواسطة محروق سائل ايضاً . ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق تحققاً نهائيا ، وقد عجزت الكهرباء نفسها التي اثبتت قدرتها على اضاءة فضلى ، عن توفير قوة دافعة كافية . فالجال ما زال واسما المام الفحم الحجري .

امتد المنجم ونشر الدخان ولوث الاراضي الجاورة الحادثة ؟ وجمع البشر بمئات الالوف في هذه و البدان السوداء ، حيث اخضمهم لعمل شاق مضن ؟ وغالباً ما تسبب بالموت والاحقاد و ولكنه عرف كيف يستميل الناس اليه . وتعبق الدهليز بفضل المطرقة القارضة والمثقب (مثقب وكافي، حوالي السنة ١٩٨٠) ومثقب وسوماييه ، بعد ذلك بشير سنوات) ، وبهضل اجهزة فضلي للتدعم والضخ والنهوية والافراغ (بواسطة سلة مزودة بفرملة ابتكرت في السنة ١٩٥١) . وسهلت الآلات استنزاف المياه والفسل والفربلة ؟ ولكنها لم تخفف الجهد اللازم لقطع الاشجار ودحرجتها واعدادها التخشيب ولردم الحفر . فتضاعف الانتاج تضاعفاً متبايناً جداً . ولكن نسبة الاستهلاك ارتفعت ارتفاعاً عظيماً جداً . فتنوع استعمال الفحم : المسبوب والفولاذ ؟ وسير العديد من الانوال ، واحدث ثورة في صناعة الحديد والحديد والحديد واوجد معمل السكر الشمندري ؟ و كرار فأعطى غاز الانارة الذي حل على الزيوت والنفط؟ والقار الذي استخدم منه البنزين والاتيلين ، ومواد تلوينية كشديرة ؟ وحوامض الفينول على انواعها التي استخدمت في الطب الدوائي وصناعة الجلود ، واملاح حمض البكريك القابسة الإنفحار .

يقدر العارفون ان استخراج الفحم قد انتقل من ٩ ملايين طن حوالي السنة ١٩٩٠ الى ٩٠ مليونا في السنة ١٨٥٠ ولكنه ارتفسيم حق ٣٠٠ في السنة ١٨٥٠ وناهز ال ١٠٠٠ في السنة ١٩٠٠ وقد كتبت صحيفة التايس يوما : و ان الاماكن الفنية بالفحم الحجري امست وكأنها حجر الفلاسفة المعاصر ... ورأى فردريك سيمنس في الفحم و قياس كافية الاشياء » وسيذهب ومكسيميليان هاردن الى ابعد من ذلك باعلانه: ولا خلاص بدون الفحم ». فقيست القوة منذ ذلك التاريخ بالوحدات الحرارية التي يولدها الوقود المعدني . ومها يكن من الامر فان سلاح المحارب وقلم الدبلوماسي يجب ان يحسبا حساباً لمول عامل المنجم . ومنذ السنة ١٨٧٠ انتجت مناجم الرور » ضعفي ما تنتجه مناجم فرنسا . وعلى نقيض هذه الاخيرة ، تجمعت اخلى حدود البلدان المنتشرة بين ال و أبالاش » وال و دونتس » اغنى طبقات الفحم الحجرى في نصف الكرة الارضية الشالي : الولايات المتحدة ، بريطانيا العظمى المانيا ، ولا سيما بريطانيا المظمى التي تقدمت غيرها في الاستثار واستفادت من تسهيلات كبرى لعقد الصفقات .

كانت الاولوية البريطانية ساحقة في السنة ١٨٥٠ (٥٦ مليون طن) ؛ ولن تزول الا قبيل

السنة ١٩٠٠ عن احتلت الولايلت المتحدة بدورها المرتبة الاولى . ولكن بريطانيا العظمسى احتفظت ، حتى بعد هذا التاريخ ، بالسيطرة على الاسواق من حيث نسبة المبيعات : واذا هي تراجعت بعض التراجع في اوروبا الوسطى امام المنافسة الالمانية ، فانها ما زالت تزود الموانسىء البحرية بالوقود . فكانت نتيجة وجود الفحم الانكليزي في كل مكان الوجود الانكليزي في كل مكان الوجود الانكليزي في كل مكان ايضاً . وان لندن التي توفرت لها هذه الامكانية العظيمة قد سيطرت في كل مكان ايضاً .

ارباب صناعة الحديد والفولاذ التصارات تقنية تثق بنفسها وبالمستقبل: بناء الجسور المعدنية

الكبرى في « بروكان » و « فورث » و « غارابيت » – وقد بنى هذا الاخير « ايفــل » » « رجل الحديد » ، رجل البرج – ، وبناء هذا البرج الساحر نفسه فوق معرض السنة ١٨٨٩ . وغزا المعدن المروض حياة الغربي ودخل في كافة ادواته المألوفة . فالريشة بقيت ريشة حتى ولو صنعت من الفولاذ ، واستمرت المرأة في حمل لحى المشد وان لم تكن لحى حوت حقيقية .

تحتمت هزيمة الفحم الحشبي الذي كان يفذي « الكور الكاتالاني » ؛ لقد انتقلت السيطرة الى الفحم الحجري المقطر: اندلتحول بطيء لعمري اخترته في أماكن عديدة نوعية المنتوجات المحققة حتى ذاك التاريخ والمصالح المشتركة القائمة بين الحدادين واصحاب الاحراج . وازدادت طاقة المصاهر بفضل اكبار « كوبر » : فقد بني منها ما انتج ٥٠٠ طن في اليوم الواحد ، وحمن طريق النوم الواحد ، وحمن التصفيح الذي تناول الفولاذ ايضاً .

وكان انتاج الفولاذ المستوفي كافة الشروط هدف الطرائق التقنية التي مثلت ثورة حقيقية في صناعة الحديد والفولاذ خلال القرن . فقد اعطت بعض المعادن الحديدية غير الخسالصة فولاذا سائحاً عن طريق التكليس في مصهر مزود بجرايا عاكسة للنور ؟ وأنتج في أمسيركا فولاذ عرف بالفولاذ الممزوج بالحكربون ؟ وتحقق الفولاذ «الدجاجة » في « بتسبورغ » في السنة ١٨٤٠ ، والفولاذ السائح في السنة ١٨٥٠ . وفي هسنده الاثناء فكر « هنري بسمر » الذي كان قد هوى تعطيل الطوابع البريدية واستخراج عصير قصب السكر واختراع مضخة مبعذة عن المركز ، بتحويل الحديد المصبوب تحويلا مباشراً الى فولاذ سائح بواسطة تيار هوائي مضفرط ؟ وكان تحوله هذا يبعد كربون الحديد المصبوب السائح فلا يبقى الا الاستعاضة عن الكربون بواسطة حديد مصبوب مزوج بالمنفنيز او الكبريت . وكان ذلك في السنة ١٨٥٦ . الكربون بواسطة حديد مصبوب مزوج بالمنفنيز او الكبريت . وكان ذلك في السنة ١٨٥٦ . فاستقبل الاختراع في البدء استقبالاً حماسياً ، ثم تغلب الارتياب ، فاضطر بسمر لان ينشى، فاستقبل الاختراع في البدء استقبالاً حماسياً ، ثم تغلب الارتياب ، فاضطر بسمر لان ينشى، فشيئا ، مع انها لم تنطبق على المعدن غير الخالص المزوج بالفوسفور واستازمت مادة خماماً فقية حداً .

ثم ابنكرت طريقة اخرى : هي طريقة اذابة الحديد المصبوب مع الحديد اللدن . وكان

هذا الاختبار قديم العهد : وقد سبق لـ « ربح مور » و « هاستفرائز »ان اشارا اليه. فقد عاداليه و لويس لو شاتلسه ۽ في السنة ١٨٥٦ بواسطة كور مزود بالمرايا پحترق فيه الكربون احتراقســــاً بطيئًا ﴾ ومن شأنه إتاحة استخدام نفايات الحديد وقراضاته . ولكن العملية لم تنجع نجاحاً تَامًّا بَاوكسيد السليسيوم ومولداً المغاز من صنع « فردريك سيمنس » . فتم انتاج الفولاذ بشق درجائه وبكيات كبرى . وانتقل استخراج المدن الغير الخالص من ٤ ملايين طن إلى ١٨ مليونا بسين السنة ١٨٨٠ والسنة ١٨٨٠ .

في هذه الأثناء تحسنت السقاية وتعلم الناس الاستفادة من المفادن غير الخسسالصة المروجة بالقوسفور . وكان و غرونر ، قد اثبت أن القاعدة الكيميائية وحدها قادرة على تثنيت الجسم الممزوج <mark>بالنوسفور</mark> والحالي من الماء ؟ ولكن لما كان جدار الكور مزوداً بأوكنني<mark>د السليس</mark>يوم [.] فان القاعدة كانت تحلل هذا الأوكسيد . والحال وجد لفسألة حلان في السنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ : فن جهة فكر و توماس » و و جلكرست «بتلبيس الحول بكربونات الكلس المزدوج والمنيزيا؟ ومن جهة ثانية اعتميد و بورسيل ، و د فالراب ، تلبيساً مماثلًا لكور د مارتين ، ، فقفز الاستخراج قفزة جديدة ، وبلغ ٢٧ مليون طن في السنة ١٨٩٠ و ٤١ مليوناً في السنة ١٩٠٠ .

تسبب هذا التطور السريع في التقنيات في انتقال المشاريع من مكان الى آخر . فقد كانت المؤسسات الصغرى من قبل موزعة هنا وهناك على مقربة من الاحراج والمياه . ثم برزت الحاجة الملحة الى حديد وفحم حجري يتوفران مماً . ففي انكلترا مثلًا تجمعت المصانع في « مدلندس » ومنطقة وغلاسكو ، الغنية بالحديد ؛ ولكن منجم الفحـــم الحجري لا يلبث أن ينزف ولا يكفي: فتنتقل المصانع نحو البحر الذي تأتي عن طريقه المعادن غير الخالصة من البلدان الأخرى، وتستخرج هذه المعادن كذلك من الطبقات الجوراسية بين «كليفلند » و « غاوسستر » ؛ ولكن هذه المعادن لم تكن كثيرة الانتاج بسبب امتزاجها بالفوسفور . بيد أن طريقة توماس لم تحل دون فقدان الجزيرة أولويتها ؟ لا سيا وقد اسلتم فيها بافضلية طريقة مارتين . وتأخرت بلجيكا كذلك تأخراً نسما لأن الحديد قد نزف فها . وأحدق الخطر بفرنسا التي انقذها منجم اللورين الصغير . ولكن هذا المنجم الأخير لم يكف المانيا ، فكان أن الصناعات الحديدية والفولاذية الكبرى في انكلترا وألمانيا قد استوردت حاجاتها من بلدان لا تستخدم كل ما تستخرجه من المعدن غير الحالص (فرنسا ، اسوج ، اسبانيا) أو تصدره بكليته (الجزائر) . وفي روسيا ، تأخر الأورال نسبياً أمام تقدم الـ (دونل<mark>س) . وفي الولا</mark>يات المتحدة باتت بتسبورغ عاصمة صناعة استخراج المعادن وتنقيتها ومعالجتها ، وحتى في السنة ١٩٠٠ ، اجتذب اليها كرنجي ، المالك فيها سعيداً ، معدن و ماركيت ، الادبس اللون بفضل فتح قناة و سولت ... سانث -- ماري ، • ١٣٠١٠ فيها سعيداً إلا أن المؤسسات العاملة لحساب البحرية قد اقتربت من الاطلسي ، والجنوب أخذ يتجهز شيئساً فشيئًا ، وقامت مدن الحديد والفولاذ في السهول الكبرى بعد اكتشاف أهمية المناجم الحديدية

في منطقة البحيرات ، دون أن يؤدي ذلك الى تخفيض انتاج هذا المركز العظيم . فأكد كرنجي حبنذاك أن الولايات المتحدة « سوف تستطيع سد حاجات العالم بأجمه » .

كان الفولاذ من ثم امتزاج حديد وكربون . أما صناعة انواع تنوع المادن غير الحديدية والاملاح الفولاذ الخاصة فقد استلزمت معادن غير حديدية كثيرة كان بعضها جديداً ٤ كالتونفستين والمنفنيز والنيكل .

صنع الشبهان من امتزاج النحاس والخارسين ، وحل محل الورق المقوى في صناعة اسطوانة الخرطوشة ؛ وبفضل لدانته استخدم في صناعة انابيب المسابيح وصناعة الصنابير ؛ وماثيل المجوهرات وارتدى مظهر البرونز المذهب . ومن حيث ان النحاس مادة حسنة الإيصال فقد استخدم في مصانع التقطير والتمحيص ومعامل السكر ؛ ودخل في خدمة الكهرباء . أما الزئبق فقد استخدم في اذابة المعادن الآخرى وأضفى على المتفجرات خاصيات فاعلة ، واستعين بسه لمالجة المصابين بالداء الزهري . وأمنت علب الحفوظات ازدهار الحديد الابيض (التنك) الذي ليس سوى حديد ملبس بطبقة رقيقة من القصدير . واستخدم البورق لبرنقة الزجاج وطلي الحزف الصبني والتصوير . وتمت كذلك تقنيات خاصة سيقوم لها التحليل بالجرى الكهربائي عونا كيراً ؛ وهو هذا التحليل ، بصورة خاصة ، ما سوف يحقى آمسال و وهار ، و و بونسن ، و حسانت كلير دفيل ، باتاحته تحليل الألومين ، ولكن اذا استثمرت أوروبا ثرواتها خير استثار ، و حسانت كلير دفيل ، باتاحته تحليل الألومين ، ولكن اذا استثمرت أوروبا ثرواتها خير استثار ، فانها لا تستطيع مقارنة مواردها من النحاس والرصاص والنكل بموارد اميركا : وليست جزر فانها لا تستطيع مقارنة مواردها من النحاس والرصاص والنكل بموارد اميركا : وليست جزر فانها لا تستطيع مقارنة مواردها من النحاس والرصاص والنكل وروبا له و هدر » .

بين الاملاح ما زال ملح الطعام ، المقري والمسدر للبول ، والضروري للانسان والحيوان ، يستخرج من الملاحات الساحلية ومناجم الملح . وليست هذه المادة ما افتقرت اليهسا أوروبا . ولكن الحاجة مست الى املاح أخرى في الزراعة ومن أجل خصائصها الصناعية . فأوجد وليبيغ ، في و جيس » و وجان باتيست دوما» و و جليب » و ولوز «من بعدها ، الكيمياء الزراعية ، مم ان المزارعين ما زالوا يفضلون الأسمدة العضوية على انواعها : الدمن والاشنة ومقذوفات البحر والفوانو . وقد غذى هذا الأخير ، الذي ليس سوى فوسفات كلسي تكون من دبوقاء الطيور ، تجارة كبرى خلال نصف قرن في كاف ارخبيسلات المنطقة الحارة ، لا سيا وأن استثار جزر وشنشا » في و بيرو » قد استمر منذ السنة ١٨٣٠ حتى السنة ١٨٧٥ . ثم اكتشفت أهمية املاح طبشورية فوسفورية . وفي الوقت نفسه لفت الانتباء إلى شواطىء اميركا الجنوبية نفسها ملب طبشورية فوسفورية . وفي الوقت نفسه لفت الانتباء إلى شواطىء اميركا الجنوبية نفسها ملب البارود الذي صنع منه عمال المناجم بارودهم والذي كان من شأنه انتاج سماد ازوتي من النوع الجيد . وبسرعة ذاعت شهرة هذه الاملاح ، فاستفاد الشيليون من الحرب المعروفة عمرب الباسيفيكي في ١٨٧٠ — ١٨٨١ وانتزعوا من و بيرو » و و بوليفيا » المنساطق الفنية بنتراث الباسيفيكي في جوار صحراء و اتاكاما » . ومن جهة ثانية وفر الملح الطبيعي المعروف بال وكاينيت » السوديوم في جوار صحراء و اتاكاما » . ومن جهة ثانية وفر الملح الطبيعي المعروف بال وكاينيت »

والمركب من سلفات المفنيزيرم وكلورور البوتاسيوم ، الاشنان للزراعة الأوروبية المتقدمة ، ثم توفق د جوزف فوغت »، اثناء مجثه عن الفحم الحجري في السنة ١٩٠٤ ، الى اكتشاف كلورور البوتاسيوم الطبيعي في الالزاس العليا .

كانت نتيجة توسع المناجم أن الغرب امتلك مواد خاماً وفيرة المبراطورية الكيمياء الواسعة الاطراف ومتنوعة جداً تطلبتها عبقريته الصناعية وتفتحت في تحويلها. وقد سلكت في ذلك طريقين .

فان الكيمياء قد اشتركت اشتراكا فعالاً في المعركة من أجل الحياة وغدت عاملاً قوياً من عوامل الموت . حاربت الأمراض التي تصاب بها الانواع النباتية كالكرمة ، وحفظت المأكولات (حين حقق د شارل تلبيه ، – بعد د جاكوب بركنس،) – التبريد الاصطناعي بواسطة روح الحوامض الخشيبة والكاورور الكلسي ، قامت السفينة والبراد ، في السنة ١٨٧٦ برحلتها الأولى ذهاباً وإياباً بين اميركا الجنوبية وأوروبا <mark>)؛ وحسنت</mark> عملية التخمير واشتركت في اعداد الجمة. وساعدت على مزج الخور بسوائل أخرى وعلى غشها أيضاً ؛ ووسعت نطاق الانبيق والكعول التي تعاظم استهلاكها تعاظما مخيفاً ، والتي صلحت ، اذا ما أفسدت ، للتدفئة والانارة والصباغة وصناعة البرنس على اختلاف انواعه. ومن بين فروعها الأولى انتاج الحامض الكبريق الذي لمب دوراً رئيسياً في صناعة الأسمدة الفوسفاتية والقلى والمواد الملونة والعطور والمتفجرات ، والذي صنم بواسطته الحامض الأزوتي والحامض الكلوري. يضاف إلى ذلك أن صناعة القلى قد تجددت <mark>بالطريقة المرت</mark>كزة الى محلول النشادر الق احكها « سولفاي »و « شاوسنغ » : وأن هذا <mark>الملح قد</mark> أعطى ماء (جافيل) بامتزاجه بالكاور؛ وصلح للتبييض اذا ما أضيف اليه كبريت أو كربونات؛ واذا ما أضيف اليسم البيكربونات سهل الهضم واختار العجين واشترك في تركيب معجون و بوردو ، لمكافحة طفيليات الحداثق، وإذا ما أضيف اليه حامض البور أصبح مطهراً واستخدم في صناعة الجاود الرقيقة . واذا ما عرف الكيميائي كيف محسن توشية النسائج (انتقلت التوشية من لونين في النسائج الهندية والنسائج القنتبية في السنة ١٨١٣ الى ٨ بفضل و كوشلين ، في السنة ١٨٥٦ والى ٨٥ في السنة ١٩٠٠) عقائه لن يلبث أن يبتكر العديد من الألوان بفضل « رونج » و « باير ». ولكنه بانتظار ذلك سيبتكر ، بجرد إضافة الكسافور الذي يخفف من الخصائص التفجيرية التي يتميز بهـــا السلولوز الازوتي ٬ والسلولوبيد الذي صنعت منه الامشاط واطواقالقمصان واطراف الاكبام (هذه هي السياضات الاميركية) ؛ والذي حل محسل القشرة والندُّوالذي استخدمه دايستمن ﴾ في صنع الأفلام الفوتوغرافية . ثم أن تثبيت الصور بواسطة الاملام السريعة التأثر بالنور قد أحرزت نجاحات عظيمة جداً .

اودع الانسان فكره الورق اكثر فاكثر يوماً بعديوم. فجاءت الكيمياء عوناً له بواسطة المعجون الحشبي الذي عالجه بالكلور والقلى والاشنان والنشادر. وفكر « مونفولفييه ، بخشب الزيزفون؟ وفي السنة ١٨٦٠ عند الساعة الخامسة مساء كرجت « الصحيفة الاميركية الشهالية ، من المطبعة

بينها قطعت شجرة الحور التي ضعي بها من اجلها في الساعة العاشرة من صبيحة النهار نفسة .

« ولكن الانسان يحارب الاحراج الهادئة ...»

(« اغان واناشيد » ا « فيكتور دي لابراد »)

قبل الولاعة الفوسفورية ، مثل الثقاب خير نجاحاته في اشمال النار : جمسم بين مفاعيل الكبريت والفوسفور وبين الخشب ، بعد ان اقترحه و رومر » و وبريشل » في النمسا ، فحسنه و لوندستروم » و و جونكوبنغ » . فبدأ القرن الثامن عشر ، الذي لجأ ابدا الى ضرب الصوانة بمعدن لاشمال الصوفان وكأنه ، بالقارنة ، اقرب الى المصور الاولى . وكان غاز الانارة موضوع رضى لسكان المدن ، فتقدم تقدما حثيثا سهله ليس صنبور « اوير » فحسب بل مضرم و بونسن » ايضا . وقوجب على الشمعة الشحمية ان تحسب حساباً للاستيلين ولا سيا للمصباح البترولي الذي بدا علياً واقتصادياً ، وفرض الهيدر كاربور نفسه بصورة مفاجئة في اعقاب احكام الاجهزة المزودة بالفتيل التي يصعد فيها الزيت بفعل الخساصية الشعرية ؛ ولكن لنجاحسه تفسيره في نجاحات استخراجه وتقطيره : فان حمى البترل التي انتابت اميركا غداة الاستبار الذي اجري نباحات استخراجه وتقطيره : فان حمى البترل التي انتابت اميركا غداة الاستبار الذي اجري قد رفعت الانتاج من ٥٠٠٠ هكتوليترفي السنة الاولى الى قرابة ؛ ملايين منذ السنة ١٨٦٥ . وبينا تأسست شركات قوية لاستثهار هذا المصدر غير المرتقب اللاوة » واجه بعضهم الطاقة الحرارية ، تأسست شركات قوية لاستثهار هذا المصدر غير المرتقب اللاوة » واجه بعضهم الطاقة الحرارية ، وابعه بعضهم الطاقة الحرارية ، وابعه بعضهم الطاقة الحرارية ، وابعالي مصدر القوة الفاعلة ، التي قد بوفرها هذا الوقود السائل اذا ما ابتكر محرك موافق .

لا شك في ان المستقبل يخبى، في طياته تهديداً البترول كما<mark>مل انارة</mark> تباش<mark>ر الكهرباء الجديدة</mark> بفعل نجاحات الكهرباء . فـــان و بلانتيه » قـــد اخترع المركم ؟

و ه غروف ع فكر بأول مصباح كهربائي، و و رايت ع استحصل على شهادة اختراع قسوس كهربائي توفق و فوكو ع الى تطبيقة عملياً بمد حين : كان كل ذلك مجرد تباشير . ولكن الجدة المشجمة تحققت في السنة ١٨٦٩ حين وفر وغرام، بدينمه تياراً قادراً على تغذية المصدر الضوئي. ثم حقق و جابلوشكوف ع شمعة من الفحم المركوم . اما المصباح الكهربائي الاول المضيء في الفراغ فيجب نسبته الى وسوان ع . ولكنه لم يضىء سوى برهة قصيرة . فأخذ اديسون يبحث آذاك عن خيط ثابت ؟ وفي سبيل الحصول عليه اوفد البعثات الى كافة الجهات ، وبمد ان امتحن الخيط القطني ونشارة الصنوبر وشعر اللحية ، استقر اختياره على نوع من الخيزران الياباني. ثم جاءت السنة ١٨٨٩ : فاحدث الاكتشاف ضجة كبرى . وقامت اول شبكة توزيع منذ شم جاءت السنة ١٨٩٩ : فاحدث الاكتشاف ضجة كبرى . وقامت اول شبكة توزيع منذ بالامكان مقارنة اضاءة و مبنى عام بمعدل ١٦ شعمة في المتر المربع بإضاءة و رواق المرايا ، التي لم بلامكان مقارنة اضاءة و دمبنى عام بمعدل ١٦ شعمة في المتر المربع بإضاءة و رواق المرايا ، التي لم تعط سوى و و ٢ فقط. ولكن الشوط لم يبد خاسرا ، لا بالنسبة للغاز الذي كان اقسل كلفة ولا للصباح البترولي الذي كان اكثر ملاءمة للمساكن الوضيعة والارياف .

جهز « برجيس » اول شلال ماثي في السنة ١٨٦٩ فولدت الكهرباء المحققة شعوراً قوياً بأن

النيار الذي سينتج سيكون وفيراً. وجاء التلغراف والهاتف الكهربائيان نمطين ثوريين لنقل الفكر. وشق التحليل بالمجرى الكهربائي ، في الوقت نفسه ، الطريق امام تحويلات عظيمة في المادة : وبحسب الطريقة التي اشار اليها و ارنست - ورنر سيمنس ، استخدم و هــول ، في اميركا و وكيلياني ، في المانيا و و هــيرو ، في فرنسا فرناً لاذابة معدن الالومينيوم بواسطة الميركا و وكيلياني ، في المانيا و و هــيرو ، في فرنسا فرناً لاذابة معدن الالومينيوم بواسطة القوس الكهربائي ؛ ثم طلع و مواسان ، بصناعة الكربورالكلسي ومركبات الحديد والمعادن الاخرى ، ولن يلبث الشرر، الذي يشمل امتزاجاً غازياً قابلا للاحتراق ، ان يولد المحرك المني على هذه الظاهرة : وهكذا فان الكهراء ستسهم ، بمغالطة غريبة ، في فتح آفاق وامكانات جديدة امام البترول .

لقد افضى كل شيء الى انتصار الآلة التي بدت وكأنها لا تعرف الكلل وتتفوق المجوم الآلي على الانسان تفوقاً كبيراً بالسرعة وبعزيد من الاتقان والدقة في الحلب الاحسان،

ففي السنة ١٧٧٦ كان عشرة اشخاص ينتجون ووه ١٨٠ دبوس: فجاءت الآلة ، بعد مسرور مئة سنة ، تنتج ١٨٥ دبوسا في الدقيقة اي ما يعادل مليونين بالنسبة لهؤلاء العال العشرة . وفي الولايات المتحدة انتج عامل النسيج و٩٦٠ بردة من النسيج القطني في السنة ١٨٤٠ خلال ١٣ ساعة عمل في اليوم وفي السنة ١٨٤٠ خلال ١٣ ساعة عمل في اليوم وبينا كانت امهر عاملات صناعة الجوارب تنجز بين ١٥٠ و ٢٠٠٠ عقدة في الدقيقة انجز النول المستقيم والنول الآلي و٥٠٠٠ والنول المستدير ذو الابر المتصلة حق و١٨٠٠٠ وبواسطة الة و ماك كورميك ، الحاصدة التي يجرها حصانان ، جمع المزارع الاميركي سنابل سبعة هكتارات بينا لم يستطم فلاحان اوروبيان ، في الوقت نفسه ، حصد اكثر من هكتار واحد .

تطلبت الآلة وقتاً للممل منظماً بكل دقة . وباستطاعتنا تحسديد السنوات ١٨٥٠ - ٢٠ تاريخاً لانطلاق صناعة الساعات صناعة منسقة ، وهو فيلبس من احكم زنبرك السرقاص في السنة ١٨٦٦ .

> « ايتها الساعة ! الاله الناحس ، والمخيف ، والعديم الاحساس ... » « بودلىر »

حقق<mark>ت الآلة ا</mark>كثر الاشغال دقة ، فانتشرت انتشاراً عظيماً ، سواء في اعمال الجشب (آلات النجر والنشر والتفريض والتلسين) ام في اعمال المعادن (الخارط، والمثاقب، والمناشير المتصلة الاطراف ، والمثاقب اللولبية) . وقد احكم « هويتوورث و دقتها بعد « مودسلي » . و « كليان » .

حافظ القطن ، بين النسائج ، على تقدمه التقني . فاعتمدت آلات غازلة جديدة ، نسول « روبرتس » الذي عمل آليا ، والنول المستمر الحسركة الذي ابتكره « بار كورتيس » و « مادسلي » . وارتفع عدد الصنانير في النول الواحد من ٣٠٠ او ٤٠٠ الى ١٢٠٠ . وازدادت كذلك سرعة المكوك في الحياكة . وبشر النول الآلي ، الذي ابتكره الاميركي « نورثروب » ،

بتغييرات هامة جداً : فاللحمة تستبدل آليا حين ينقطع احد الخيوط، وباستطاعة حائك واحد ان يراقب لاآلتين نقط او اربع الآت بلحق ٤٠ و ٥٠ آلة .أجل، لن تعرف آلة و نورثروب، في اوروبا قبل السنة ١٩٠٤ . ولكن الانتاج في الساعة قد تحسن في كلمكان (ارتفع خلال قرن في بريطانيا من ١٠ الى ١٠٠ في الفزل ومن ٤ الى ١٠٠ في الحياكة) . وزودت صناعة الفسل بآلات تؤمن عمليات التقصير والمضمضة والتنشيف والتنظيف الكيميائي. وكانت آلة النظريز مصدر ثروة لوسان غيال ١٠٠ كل ان آلة وبوناز ، للخياطة والتطريز ، التي اخترعت في السنة ١٨٦٣ ، قد استعملت لصنع الالبسة والاثاث ، ونول وموشليه ، واقسق تخريم النسبج الدقيق ، فانتشرت آلة الخياطة انتشاراً سربعاً وتحسنت ، تحسناً مطرداً ، فاحتلت المركز الاول في صنع الالبسة . واستخدمت الآلات في خياطة القفافيز وتثبيت العقب وخياطة الساق وجع وجه الحذاء والنعل . وتوفرت لصناعة الفراء احهزة تدلك وتصقل .

واذا ما زال الحجر ينحت باليد ، فان الانسان قد استخدم آلات لرفع الاثقال ؛ وجلب الى مراكز عمله القراميدوالآجر والانابب المصنوعة كلها آليا بواسطة الطواحين الهارسة والكسارات المبعدة عن المركز والخارط . وفي صناعة الزجاج وفرت الناقلة الآلية على العامل الاقترا بمن الفرن ؛ وقضت الآلة النافخة على طريقة استخدام القصب المثقدوب الذي كار ينقخ في المالم .

وجاء انتصار الآلة كاملاً في صناعة الورق. فقد استخدم و مدونفولفييه ، ، في هدرس الحرق الرقة ، الآلة العاجنة المخترعة في اميركا ؛ واكتملت اجهزة صناعة الورق بالة تقطيع الحرق وآلة رفع المعجون ومنظم الحركة وجهاز التصفية والمساطح . وكان الحدث الاكبر في حقل الطباعة ظهور الالة الدائمة الحركة التي احكمت شيئًا فشيئًا بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٥ بفضل استخدام الصفائح المستديرة والوشيعة التي تطبع الوجه والظهر: فبينها لم يطبع سوى ٥٠٠ مطلحية في الساعة وعلى الوجه فقط في السنة ١٨٥٠ اصبح بالامكان طبع وم ١٩٥٠ طلحية من طلحية في السنة و١٩٥ وو ١١ وو ١٥ طلحية بحسب المراد .

والى السنة ١٨٦٧ يعود تحقيق الآلة الكاتبة الاولى على يد الاميركيين وشول هو و دنسمور اللذين اشترى (رمنفتون) شهادتيهما . ولكن طموح الآلة بلغ حد منافسة آلات الطرب نفسها أو اقله حد تسجيل الاصوات : وهذا كان الهدف من الحساكي (الفونوغراف) الذي ابتكره اديسون في السنة ١٨٧٧ .

فهل كان من أمل في تحقيق نتائج على مثل هذة الأهمية في انتاج المواد الفذائية يا ترى ؟ انه لجلي أن الآلة الزراعية أعجز من أن تنظم هذا الانتاج على غــرار الآلة المستخدمة في الصناعة ، ولكن من شأنها تلافي نقصان السواعد والمساعدة على فتح مساحات جديدة ما كانت الزراعة بدونها لنلتزعها من الطبيعة الفامرة . وهكذا فقد اهتدت إلى أرضها المحتارة في اميركا

الشهالية حيث نستطيع ملاحظة تقدمها في عهدين ثلاثينين: عهد الآلة الحساصدة ابتداء من السنة ١٨٥٥ وقد عقب عهد الحراث الحديدي ، ثم عهد الحاصدة الرابطة . ويجب هنسا ان نعترف لد ه ماك كورميك ، بفضله الأول في تحقيق حركة اسنان المنشار تناوبياً . وقد سهلت المسلفة استخدام المبدر الآلي ففدت تتدحرج وتدور وتهرس ، بينا جمع الحراث في هيكله حتى أربعة اجهزة حارثة . وأتاحت الآلة الدارسة ، الكندية الأصل ، التي ادارها فريق من ستة رجال ، درس ١٥٠ هكتولتراً بينا لم يستطع الرجل الواحد درس أكثر من ٣ بواسطة المدقة . وفي صناعة الطحين التجاري تخلى الرحاعن مركزه لمسحق مستدير من الحديد المصبوب المسقي و ونظف القمح بالنساسيف والفرابيل ، ونخل الطحين بالمناخل. واذا تأخر اعتاد المعجن الآلي في صناعة الخبز، فإن الآلة قد لعبت دوراً هاماً في صناعة البسكوت والمجونات الفذائية ، ومعامل التصفية ، وصناعة الشوكولاتا. وفي المسالخ جزرت الآلة الحيوانات ونظفتها بالفرشاة وأفرغتها وقطعتها وملحتها . وفي المزرعة أخذت آلة مبعدة عن المركز تحل محسل المخضة ، ودخلت مصنع الالبان مفرزة الكثاة الحركة .

لا يعني ذلك أن التيار كان عارماً لا يقاوم ، وأن طرائق العمل القديمة كان محكوماً عليها بالزوال في كل مكان. فكل ما حصل هو أن التضاد قد أتضح وبرز بين مهنة واخرى وبين بلد وآخر. ويجب ألا ننسى من جهة أخرى أن المسألة غالباً ما كانت مسألة دفسم إلى الامام. فبالإمكان مثلاً تسيير الآلة الدارسة بساعد الانسان ، أو المدورة ، أو البخار ، ولكن ما هو الحرك الذي يجب استخدامه في العاجنة الآلية ؟ وكيف يجب جر الالة الزراعية ؟ وفي هدف الحال الأخيرة ما زال الحسان مفضلا على القاطرة البخارية التي عرضت منذ السنة ١٨٥٠.

أكب القرن من ثم على زيادة قوة الجهاز الحراري: فخفف ضرر نقاط فقدان مفعول مكبس المحرك في سيره ، وحد من التخثير في الاسطوانة ، وزاد مساحة الاحماء ، ولجأ إلى الانفجار المزدوج والثلاثي وحتى الرباعي بواسطة الطريقة المركبة . ولكن هذا الحرك مسا زال ثقيل الوزن ، كبير الحجم ، متوسط الفعالية بالنسبة للوقود المحرق . وعلى الرغم من ذلك فقد قدر بعضهم أنه أدى لأوروبا واميركا ، حوالي السنة ، ١٨٩ ، عملا يوازي عمل مليون عبد .

تباهى ذاك المهد بتحقيقاته ، فطاب له تمدادها واظهارها . ففي السنة ١٨٥١ جمعت المارض لندن ١٧٠٠ عارض في قصر الباور حيث أحل « باكستون » ، في مساحة تبلغ ه هكتارات ، الحديد والزجاج محل الحجر والقرميد ، وفي السنة ١٨٥٥ ، قسام في باريس قصر الصناعة مع « رواق للآلات ، تحرسه أربع قاطرات صنعت على شكل أبي الهول. وفي كل عرض جديد توسع نطاق المعرض وتعاظم الاقبال . وعلى غرار لندن التي دعت العالم في السنة ١٨٦٦ وجهت اليه باريس المدعوة في السنة ١٨٦٦ لزيارة قصر الا «كوليزيه» المظم ذي الاروقة الدائرية السبعة التي كان أحدها « رواقاً جديداً للآلات » : فكتب « هوغو » : « هذا هو الميثاق السلمي

المظيم ، وفي السنة ١٨٧٣ أقامت فيينا معرضاً في إطار اله براتر ، وليون في إطار والرأس الذهبي ، وفي السنة ١٨٧٦ أقيم معرض في فيلادلفيا التي جعلت منه احتفالاً بالذكرى المثوية للاستقلال الاميركي ؛ وفي السنة ١٨٧٨ ، أقيم معرض جديد في باريس التي شيدت اله وتروكاديرو ، وعرضت المصنوعات الخزفية . ثم أقيمت المعارض على التوالي في وسيدني ، و و ملبورن ، و و امستردام ، و و انفرس ، و و اورليان الجديدة ، و و برشلونة ، و و بروكسل ، وشيكاغو التي أحيت في السنة ١٨٩٣ ذكرى اكتشاف كولومبوس لاميركا . ولكن اعظم المشاهد كانت المشاهد الباريسية بمناسبة الذكرى اكتشاف كولومبوس لاميركا ، والاحتفال بنهاية القرن المشاهد كانت المشاهد الباريسية بمناسبة الذكرى المشرات الملايين للتمتسع برؤيتها . و ان السنة الرسمي في السنة ١٩٠٠ : فقصدها الزائرون بعشرات الملايين للتمتسع برؤيتها . و ان السنة الرسمي في مرسوم صدر في السنة ١٩٠٠ . ووسوف تكون كذلك عتبة عصر يتنبأ العلماء والفلاسفة في مرسوم صدر في السنة ١٩٨٠ . ووسوف تكون كذلك عتبة عصر يتنبأ العلماء والفلاسفة بعظمته وسنبلغ وقائعه حيث لم تبلغ احلام مخيلاتنا في الارجح ... فعرض السنة ١٩٠٠ سوف بشكل تأليف القرن التاسع عشر ويحدد فلسفته ، .

وسواء كانت الممارض شاملة أو دولية ٬ فانها توزّن السير الظافر للحضارة الصناعية

وفنصل ولشابع

الانطلاقة الكبرى لوسائل المواصلات في عهد البخار

ان حلم سان - سيمون باحتلال الكرة الارضية بواسطة الخط المتصاد الخط الحديدي قد تحقق ما بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٩٠٠ : نصف قرن كان جديراً ياسم و عصر الخط الحديدي ، الذي اطلق عليه . ولكن الجسر على الخطوط الحديدية بقي عمل الفرب بصورة خاصة . ففي السنة ١٨٦٠ تقاسمت اوروبا والولايات المتحدة ، عما يقارب التساوي ، ١٠٥٠ كيلومتر ، بنها لم يتجاوز طول هذه الخطوط في اجزاء العالم الاخرى الده ١٥٠٠ كيلومتر ؛ وفي السنة ١٩١٠ كان نصيب الولايات المتحدة ٣٨٠٠٠٠ واوروبا

. . . . ٣٣٠ من اصل مليون كيلومتر ونيف في كافة انحاء العالم .

لقد جند بناء الخطوط الحديدية رؤوس اموال عظمى وافضى الى ولادة اجهزة خا<mark>صة قوية ؟</mark> حين لم تتواكه الدولة مباشرة ؟ والى قيام اشغال عظمى. ودفع كذلك بصناعة المعادن ؟ واضفى على الآلة الدخارية كل رونقها ؟ وكثر الاعمال الفنية .

ان الخط الحديدي ، الذي اخترق الارياف ، قد استازم تسوية ترابية متينة ، وقد صنعت الموارض من خشب السنديان الذي حفظ من الفساد مجتنب بالكريوزوت او بكاورور الزنك . ثم حل الخط الفولاذي على الخط الحديدي ، كا استعيض عن الجسر الحجري بالجسر المعدني .

وان في اختراق الجبال ما يثير الاعجاب في هذا المجال . ففي التسلق امتحا<mark>ب ل</mark>لبخار ، وفي فتح الانفاق امتحان للتقنية . وسوف يستخدم المساس والمثقب المحرك بالهواء المضغوط للنفلب على الحجارة الصلبة ؟ وسوف يلبس الرواق بالحديد المصبوب لا بالخشب ، وتؤمن التهوية بواسطة الآلات الجاذبة الهواء او النافئة . وجاء تحقيق نفق و سنيس ، مشجعاً جداً من هدا

القبيل على الرغم من ان انجاز الرواق على ارتفاع ١٣٠٠ متر وبطول ١٣٦٠ متر قد استفرق ١٥ سنة . وبفضل الخبرة المكتسبة ، تحقق نفق و غوتار ، في عشر سنوات ، بطول ١٥٠٠ متر تقريباً ، بواسطة المثغب الآلي وبالرغم من عذاب العال الذين اضطروا الى تحمسل حرارة بلفت ٨٦٠ درجة مئوية . ثم فتحت الانفاق بالتفضيل في اسفل الجبال (نفق سمبلون سيفتح على ارتفاع ٢٠٠ متر) ، فصرف النظر رويداً رويداً عن النفق في المرتفعات ، كنفق وسمرنغ ، الذي فتح منذ السنة ١٨٥٤ بعد ١٤ نفقاً تأنوياً و ١٦ جسماً .

فلم يلبث النفق من ثم ان بدا افضل من الجسر لاجتياز الانهار العريضة والاقسام المستطيسة الضية من البحر . فحفر الانكليز نفقي و مرسي، و وسفرن، (طول هذا الاخير ٧كياو مترات) والامير كيون نفق و هدسون ، ولكن العقبة السياسية حالت دون تنفيذ مشروع اتصال تحت مضيق و با دي _ كاليه ، كما ان الاتصال بين شبه الجزيرة السكندنافية والمانيا قد تم بواسطة سفن خاصة مجهزة بخطوط حديدية لنقل القطار ، بين و ساسنينز ، و روغن ، و و مالمو ،

احرزت القاطرة تقدماً حاسماً منذ ان فكر المهندس الانكليزي بين وكرامبتون ، بوضع المعجلات الحركة في مؤخر مسخن البخار لا تحته ، وهي عجلات مترابطة "ثناء" تتناقل حركة دورانها . وفكر النمساوي دانفرت المخطوط السريعة الانحدار اوالفرنسي دبتييه القطارات نقل البضائع المأجهزة محكمة خاصة . فارتفع الوزن شيئاً فشيئاً من ٢٥ و ٣٠ طنا الى ١٥٠ طنا الماسطاعت القاطرة جر مقطورات ببلغ وزنها ٢٠٠٠ طن . واستعيض عن المكبح اليدوي القديم بالمكبح الآلي او المائي او المكبح المامل بالهواء الحقيف الكثافة او الهواء المضغوط . وأحكم تسيير القطارات البخارية التي تسير بالحبال على منحدرات الجبال (في ريفي وبيلاط المواحكم تسيير القطارات البخارية التي تسير بالحبال على منحدرات الجبال (في ريفي وبيلاط المشارات . كما اتاحت العربة السهلة التوجيه المقطورات السير في منعطفات الخطوط واطسالة الاشارات . كما اتاحت العربة السهلة التوجيه المقطورات السير في منعطفات الخطوط واطسالة والمقطورة .

الت المقطورة اكثر راحة . فأنيرت بفاز زيت المنضد بمد ان كانت تنار بزيت السلجم . أجريت محاولة إفارتها بالكهرباء على خط و لندن » - و برايتون » . وتمت التدفئة بواسطة مساخن يفذيها البخار . وبسبب المسافات بنى الامسير كيون مقطورات للنوم مع منتفعاتها ومقطورات للاستقبال وحتى مقطورات فخمة استطاعت المائلات الثرية بواسطتها الانتقال درن ان تخالط المسافرين الآخرين . وجهزت القطارات التي تصل دول العالم الجديد بجسور ضيقة تتبيح التجول بين مقطورة واخرى اثناء سير القطار . وفي السنة ١٨٨٠ اضيفت الى قطار خط الباسيفيكي مقطورة تحتوي على مطبعة اصدرت فيها صحيفة يومية تنشر الاخبار الواردة برقيا في المحات . وازدادت السرعة ازدياداً مطرداً . فمن معدل ٢٨ كيلومتراً في الساعة حوالي السنة ١٨٨٠ كريومتراً في الساعة حوالي السنة ١٨٨٠ ، وبعد انقضاء

عشر سنوات تجاوزت سرعة القطار بين نيويورك و « بوفالو ، ١٠٠ كياومة في الساعة . كا أن السفر من باريس الى مرسيليا لم يعد ليستفرق سوى ١٤ ساعة . وفي نصف قرن انخفضت الكلفة الى نصفها وحتى الى ثلثها مجسب البلدان .

اذا استثنينا بريطانيا العظمى وبلجيكا وجزءاً من المانيا ، لرأينا ان الخطوط الحديدية لا تؤلف شبكات في بلاد اخرى قبل السنة ، ١٨٩ . إما في فرنسا فان الاتصال بين باريس وصدن الحدود الكبرى او المرافىء فقد بدت تباشيره في الافق. وقد بذل الجهود الكبير في هذه البلاد في عهد الامبراطورية الثانية واوائل عهد الجهورية الثالثة. فارتسمت حينذالك بوضوح في اوروبا الفرية شبكة خطوط حديدية هامة تقع الى الشيالمين جبال الدبيرينيه والا دابنين و وجبال الالب الشرقية ولم تشمل هذه الشبكة شبه الجزيرة الايبيرية والسوق الايطالية والبلدان الواقعة الى الشرق من خطالطول المار به ددانزين و وبودابست ، ولكن ايطاليا الشهالية استفادت منها بفضل الانفاق الالبية . وأخذت سويسرا تلعب دور الانطلاق في وسط اوروبا ، وبينها اتصل الغرب بالنمسا بواسطة نفق و ارلبرغ » ، نرى النمسا ، التي حققت نفق و سودباهن » على طريستى تريستا ، تعدد شبكتها نحو الدانوب الشرق والبلقان وتتصل بالقسطنطينية وتصل اوروبا الوسطى بالشرق الادنى .

وفي اميركا الشالية لم يطرأ على البناء اي توقف . فهي الولايات المتحدة ما وضعت في السنة ١٨٦٩ اول شريط معدني يصل بين الاوقيانوس والآخر . انها لفكرة جريئة اخرت الحرب الاهلية تحقيقها ، على الرغم من ان الاعمال ، التي تقررت منذ السنة ١٨٦٧ ، قد شرع فيها في السنة التالية . وقد اشرف القائد و غرنفيل م . دودج ، على هذا المشروع اشرافه على حسلة عسكرية : فجند اليد العاملة في و الغرب الاوسط ، من بين الجنود المسرحين والمهاجرين الايرلنديين واستخدم الصينين في كاليفورنيا . وقد واجه عقبات كثيرة اهمها الهنود – وقبيلة وسيو » بصورة خاصة – ونواتيء الارض وفقدان اليد العاملة ، ولا سيا التنافس بين شركة والاتحاد الباسيفيكي ، وو الشركة الباسيفيكية المركزية ، اللتين كان على حكومة الاتحساد والاتحاد الباسيفيكي ، وو الشركة الباسيفيكية المركزية ، اللتين كان على حكومة الاتحساد عدودة ؛ ولكن اكتال العمل قوبل بحماس منقطع النظير ، وسوف تنجز خسة خطوط هامة اخرى بين الحيط والحيط ما بين ١٨٦٩ و ١٨٩٣ ، بما فيها ذاك الذي انشأته الحكومة الكندية بين « هاليفاكس » و و فانكوفر ، مروراً ، و كيبيك ، بنية تحقيق ضم كولومبيا السبريطانية بين « هاليفاكس » و و فانكوفر ، مروراً ، و كيبيك ، بنية تحقيق ضم كولومبيا السبريطانية الى مشاقها الاتحادى .

وجاء الجمهود الروسي بماثلا ، وأن متأخراً ، بمساعدة رؤوس أموال الغرب على كل حال ، وبغية توسع نحو الشرق الآسيوييقابل التوسع الذي قاد الولايات المتحدة وكندا حتى الباسيفيكي . فأنجز الخط القزويني أولا ، الذي سوف يكله الخط الارالي في السنة ١٩٠٥ ، وهسو أقصر من الاول واكثر استقامة : وهذان الخطان هما في آسيا الوسطى شبيهان بالخطين المارين في الصحراء

الافريقية . وبدت الصعوبات في سيبيريا ادهى مثها في اسمسيركا : طبقات ارضية متجمدة أو تسرب مياه اثناء فوبان الجليد ، وانهسار عريضة يجنب البتيازها ، ومسافات شاسعة ، وكثافة سكان متدنية جدا ، يضاف اليها نواتىء جبال و بايكال ، المستعصبة . ولكن الطرق للمسدة المغيل لم تعد لتفي بالحاجة امام الاستعار المتوقع والمستقبل المنشوري . فشرع اذن في اطول خط حديدي في العالم منذ السنة ١٩٠١ وصل الى و فلاديفوستوك ، في السنة ١٩٠١ بغضل اتفاق عقد مع العين اجيز برجبه اجتياز منشوريا الشالية .

كان الخط الحديدي أداة توحيد جلى لاميركا الشهالية وللامبراطورية الروسية . وقد خدم كذلك الشراكة الجركية في الدول الالمانية ، وعرف الريخ البسماركي خير معرفة ما هو مدين له به ، فلم يتركه في ايدي الافراد . وفي ايطاليا ايضا كان عوناً لامرة و سافوا » على إرساخ سلطتها ، فعممت حكومة روما الشركات الخاصة واشترتها . ولكن الشركات الخاصة ما زالت تتقاسم الارض الفرنسية ؛ تلك هي الشبكات الست ، ولكنها اتجهت كلها الى باريس باستثناء شبحة الجنوب ، ومنذ السنة ١٨٥٧ ، وضع اللورد دالوزي تصميماً لشبكة هندية تكون خير صدة بين بلدان وشعوب غير متلاحة وربما خير وسيلة لارساخ السيطرة البريطانية .

نبض الخط الحديدي بطاقة كبرى وكاد يتمخض بخلق الامم ، وكان بالاضافة الى ذلك قادراً على اصدار احكام بالموت . فكان ممكنا ان يتسبب في الاضرار بالطريق المائية وحتى ان يقضي على بمض التجارات (سيكون الخط المنشوري سبب زوال قوافل نقل الشاي التقليدية بين بكين وسيبيريا) . ولكنه احيا المقايضات الستي ادارها ، والمشاريع الستي استخدمته ، والمناطق التي اجتازها وانتهى اليها . وقد نقل بسين ٥٠٠ و ٥٠٠ مليون مسافر وبدين . . ٢ و . . ٣ مليون طن من البضائع حوالي السنة . ١٨٥ و ٤ مليارات مسافر و ٥ مليارات في كل من السنوات ٥ . ١٩ - ٧ - ١٩ .

<mark>سباق الط</mark>رق البرية ودفاع ال<mark>ط</mark>رق المائية

على الرغم من مقاومة يائسة ، كان على نقل البضائع بالمجال ان يعترف بخسران قضيته حيثًا مر الخط الحديث . فكانت الضرية قاسية للطريق البرية التي توجب عليها من ثم تحديد اطباعها

فلن تكون بعد اليوم سوى رافد الخط الحديدي وتكون سعيدة اذا ما اتصلت بمحطة القطار الحديدي وحافظت على وظيفة توزيع ما ينقله القطار. كانت كافية للعربات والمشاة والدراجات. ولكن اذا لم تتوفر المصلحة القديمة للنقل البري ، فغالباً ما لا يكون هنالك شيء البتة . احسا الطربق الزراعية فقد استفادت من النشاط التجاري الذي أغنة الخطوط الحديدية ، وتحسنت .

واذا ما أيدت الطرق المائية بعض المقاومة في ظروف أفضل ملاءمة ، فمرد فلسك الى انها كانت تتقاضى اجور نقل أفل ارتفاعاً بالنسبة للوزن. وما زال الجدل قائماً بين انصار كل من طريقتي النقل المذكورتين . اما الحقيقة فهي ان النقل المائي يتقهقر اذا ما اعتمد معدات واجهزة

قُديمة الفهد. ففي انتخائراً مثلاً اشترت شركات السكك الحديدية وسائل النقل المسائي ، وفي فرنسا كادت الملاحة تتلاثى في بعض الانهر كالا لوار » والا و آلمييه » ؛ ولكن الرأي المسلم أقلقته قوة أسياد الخط الحديدي ، ومنذ السنة ١٨٧٣ ، كرس اكثر من مليسار فرنك لاعادة انشاء وتوسيع شبكة يكون مركزها في المناطق الصناعية الشهالية والشرقية.

أحست المانيا بجياس حقيقي الملاحة الداخلية . فاستخدمت ما استطاعت الى ذلك سبيلا الطرق الطبيعية المتازة التي تؤدي إلى بحر الشال وتؤمن المواصلات بين مختلف مناطق رينانيا ، ولكتها نظمت كذلك تمون برلين بالخامات وجعلت منها مركزاً صناعياً من الدرجة الاولى . وكان الشريان الكبير الذي يشكله نهر الرين موضوع هناية يقظى : سدود في حوض و كولونيا ، تقويم منعرجات ، وتنظيم بجرى في الوادي الضيق وما قبله من جهة الينبوح ، وحفر احواص بالفة الاتساع في المرافىء التي جارت المرافىء البحرية من حيث محول السفن ؛ والخفاص أجور النقل الخفاضا بعمل النهر ينظم ويحرك ويقلب تيارات مقايضة كسبرى ، ويجتذب المؤسسات النقل المخفاضا بعمل النهر ينظم ويحرك ويقلب تيارات مقايضة كسبرى ، ويجتذب المؤسسات الصناعية ، ويسهم في ازدهار ال و رور ، وكافة المحاء المانيا الغربية ، ويتحكم برقمسة واسمة تؤلف سويسرا جزءاً منها ، ولم تتجاهلها برين وحتى هبورغ ، وتنازعتها كذلك المرافسى، البلجيكية والهولندية ، واذا كانت قناة و دورتموند » — و امس ، غيبة للآمال ، فقد ارتست الخطوط الكبرى لطريق نهرية كبرى تصل الغرب بالشرق .

ولم يكن تجهيز الحوص الدانوبي اقل فتنة واغراء . ولكن انتاجية الاحمال كانت اقل شأناً . فبعد أن توفقت معاهدة باريس ، في السنة ١٨٥٦ ، الى تحرير النهر من كل عائق سياسي ، تنظم الامن فيه بوثيقة ملاحة وتولت الملكية النمساوية الهنغارية تنظيم تدفق مياهه ؛ وتحول الانتباه بعد ذلك الى مختنق و الابواب الحديدية ، وعجاز و سولينا ، اللذين يغلقان المر الضيق العميق الماء الصالح للملاحة : والسبب في هذا التحول مرده الى اهمية النهر المتماظمة لتجارة الحبوب .

استمر التضاد بين روسيا والولايات المتحدة المتشابهتين من حيث اهمية شبكة النقل الطبيعية فيها . فقد فتحت روسيا قناة الا و نيفا » وانجزت شبكة و ماري » التي كانت تكمساة لطريق تبلغ ... ؟ كيلومةر بين بحر قزوين وبحر البلطيق . ولكنها لم تستخدم سوى ثلث انهارها ولم يتجاوز طول اقنيتها مجتمعة الا .. ٨ كيلومةر ؟ يضاف الى ذلك أن نهر الا و فولفا » الذي سار فيه اكبر عدد من السفن لم يتصل بالانهار الصابة في البحر الاسود . اما في اميركا ، فلم تعمق قناة و ايريه » القديمة تعميقاً مستمراً فحسب ، ولم تنظف مصاب المسيسي فحسب ، بل اصبحت المحرات الكبرى بحراً داخلها حقيقها تنشط فيه حركة نقل عظمى ايضا .

وقد امنت السفينة البخارية ، في البرازيل بواسطة الامازون ، وفي الصين بواسطة الديانة تسي ، ، توغل التجارة الى مناطق شاسعة شبه خالية من الطرقات والخطوط الحديدية بمساعدة رؤوس الاموال الاوروبية اجمالا . كا انها سهلته احيانا بالاشتراك مع الخط الحديدي ، على النسل والكونفو و د البارانا ، مثلا .

طي غرار عربة المسافرين التي عرفت ذروة اكتالها حين كأن مقدراً لما أن التهدر السنينة الشراعية أرج عزما وتدرى السنينة البخارية تنعني امام القطار الحديدي ، كذلك بلغت السنينة الشراعية أرج عزما حين أخذت السنينة البخارية تقصيها عن البحار.

ان السفينة الشراعية السريعة الحركة ، المفدة للأسفار البحرية الطوية ، قد لعبت دوراً لامعاً عتى أواخر القرن. فإن السفينة البخارية المزودة بالمروحة لم تتفوق عليها سرعة إلا حوالي السنة بكره ، والمنزعة ثنها على كل حال . ولذلك استمرت الملاحة الشراعية ، في طرقات كثيرة ، لنقل المشحونات الثقيلة. فالبناء المعدني قد ساعد على إطالة هياكل السفن : فانتجت بين السنة المواسنة ، ١٩٥٩ والسفن الطويلة الكبرى المزودة باربغة وحق بخمسة صوار التي جابت البحار الواسمة في نصف الكرة الشالي ، وشحنت النكل من كاليدونيا الجديدة وقنب مانيلا وقصدت الدونيا الجديدة وقنب مانيلا وقصدت غالباً ما واجهت الصعوبات بين الاطلسي والباسيفيكي حول رأس و هورن » - الرأس الرعر بينا توفقت منافستها في مضيق و بجلان » . وهو فتح ترعة السويس بصورة خاصة ما كال لها فضربة قاسية (قالقناما في مضيق من أن تساعد على السير يمنة ويسرى ، والأرباح نادرة في البحر الاحر) . واخيراً ازداد الامان بواسطة السفينة البخارية وكان التأمين على الأشرعة مرتفعاً. ففي اللحر) . واخيراً ازداد الامان بواسطة السفينة البخارية وكان التأمين على الأشرعة مرتفعاً. ففي السنة عمول ، • ٢٠ سفينة بخارية • • • • • ٢٠ ملن وعمول ، • ٢٠ سفينة شراعية ولد فينا الثابي يولده غياب صديق قديم » .

قال و وليم مورس ، عن السفينة البخارية و أنها كالدرائية الع<mark>ص</mark>ر الصناعي ، ، وقسد اثارت حماس روسكين نفسه : فان هذا الأخير يحمد الله الذي أتاح له رؤية الباخرة التجسارية الكبرى التي هي اشرف ما انتجه الانسان ، ذاك الحيوان العائش في جماعة . فقد تماظم قوامها واتضحت خطوطها الخاصة التي لا تخلو من الأناقة .

في السنة ١٨٥٢ انزلت الى البحر السفينة الأولى المعدة لنقسل الفحم ، وجون بور ، وهي سفينة بخارية مزودة بمجلات . فتعددت من ثم مستودعات الوقود على الطرقات البحرية . ومن جهة ثانية اتاحت موانى و التموين بالمحروقات تموين مسخن البخار بالمياه العذبة لأن مياه البحر قد تتاكله . فقام آل بورن مؤسسو و شركة الملاحة البخارية في شبه الجزيزة والشرق » ينشئون مستودعات الفحم وخزانات المياه واحواض إصلاح السفن في السويس وعدن وبومباي وكلكوتا . وحوالي السنة ١٨٧٠ استخدم المخثر الذي وقر الماء والآلة المركبة التي وفرت الفحم . زد على ذلك أن هذه الالاقد زادت من السرعة ايضاً .

لكارديف يعود الفضل في قوة الاسطول البريطاني ، وللهيكل المعدني كذلك . والسبب في ذلك أن المروحة لا تلائم إلا هذا الهيكل . وقد اعتمدها آل بورن في السنة ١٨٥١ في السفينة حلايا التي عين لها السير على خط مدينة الكاب ؟ ولكن استماضتهم عن الخشب بالحديد استهدفت

كذلك تجنب المفونة والاهتراء وتعرض الخشب النمل الابيض في مياه المناطق الحارة ؟ وبالقابلة احتفظوا بالعجلة في المتوسط الذي تفتقر موانئه الى احواض الاصلاح السفن ، وكانت شرحة وكونارى قد انزلت الى البحر سفنها الخشبية الاربع المزودة بعجلات ذات لوحات ؟ وفي السنة ١٨٥٤ كان في حوزتها سفينة حديدية ، و برسيا » التي كانت تستهلك ، ١٥ طنسا من الفحم الحجري في اليوم وتعبر الاطلسي في تسعة أيام بدلاً من اربعة عشر بفضل آلاتها المزودة برقاص جانبي ؟ وفي السنة ١٨٦٧ كسبت اربعاً وعشرين ساعة بفضل المروحة ، ولكن جهازاً من الحبال والمحال احتفظ به فيها لمساعدة الآلات عند الحاجة . أما البارجة نابوليون ، من الاسطول الحربي الفرنسي ، وقد بنيت وفاقاً لتصاميم و ديبوي دي لوم » ، فقد بلفت سرعتها ١٣ عقدة في السنة المربية بزيد من وسائل الراحة : فان مالك النفن ، واسماي ، الذي اسس شركة و الملاحة البخارية البحرية ، قد زود السفينة و اوسيانيك ، بغرف وردهات بنيت في الوسط لا في المقدمة ، وبقاعة البحرية ، قد يواء المسافرن .

حين استخدم الفولاذ بدلاً من الحديد ؛ اجازت متانة الهيكل وصلابتها قياسات كبرى وسرعة متزايدة . وقد استحدثت حيازيم جانبية عززت ركانة السفينة . وأعطى مسخن البخار والآلات الحركة ؛ بفضل المروحة المزدوجة ؛ طاقة فاعلة كبرى ؛ بينها تدنى استهالك الوقود نسبياً . فانتقل معدل محمول السفن في السويس من ٢٩٦ طناً في السنة . ١٨٧ الى ٢٠٠٣ في السنة . ١٨٩ و ٢٠ في السنة . ١٩٠ في السرعة الفريط الازرق ، بين الشركتين البريطانيتين وكونار ، ووالنجم الابيض ، وبين شركة و الخطوط البحرية بين همبورغ واميركا ، فدفعت الى انزال سفن الى البحر تتميز بمزيد من الحجم والسرعة (فان قوة آلة السفينة وبريطانيا ، كانت . ٥٠ حصان بخاري في السنة . ١٨٤ ، بينها بلغت قوة آلة والامبراطور ، ٢٨٠٠)

دفع من ثم بصناعة بناء السفن الى الامام. وقد صنعت المعامل البريطانية وحدها ثلاثة ارباع البواخر بين السنة ١٨٨٠ والسنة ١٨٩٥ ، ثم خمسيها فيا بعد .

انخفضت اسعار الشحن . فان كلفة نقل مد القمح الاميركي إلى انكلترا، التي كانت . ٦ سنتيها في السنة ١٩٦٠ ، ولم يتسم في السنة ١٩٦٠ ، ولم يتسم السفر في ظروف فضلى فحسب ، بل نقلت البضائع بسعر متدن ايضاً . فوحد البحر العالم أكثر من أي وقت مضى .

أوجدت السفينة المرفأ ؛ فجددته وأحيته الاساطيل البحرية . ووصل المرافىء البحرية الحالي البحرية . ووصل المرافىء البحرية الحديدي كذلك بين المرافىء وبين مجمر وآخر ، فتقاربت بذلك أوجه الاوقيانوسات المتقابلة أو المتدابرة . فلمبت أوروبا اكثر فأكسش دور برزخ حقيقي لا

بل دور برازخ عدة بين الاطلسي والمتوسط ، واميركا الشهالية دور الجسر بين الاطلسي والباسيفيكي .

استندت حياة المرفأ بالامس الى كل ما من شأنه الاجتذاب اليه . وغالباً ما استخدم المعرب والنشاطات الاقتصادية معا . فان ولو هافر » قد بقيت مرفأ عسكريا حتى السنة ١٨٢٤ . وفي برست و شربورغ ، كانت الوظيفة العسكرية مثاراً للوظيفة التجارية . إلا أن التخصيص لم يعد شيئا نادراً . فمرفأ صيد السمك هو لعمري من انجازات القرن التاسع عشر . و كارديف مدينة بندوها الفحم الحجري ولبواخر نقله ، وقد قد ربعضهم أن نسبة ارتفاع عدد سكانها كانت من . . . ا نفس لكل مليون طن تصدرها الى الخارج ؛ وفرت لهما لندن وبريستول وليفربول الموافقة الفراد الفذائية ، وبلغت دائرة عملها شانفاي نفسها . وانشىء في اقرب النقاط الى البحار المعيقة مرفأ السرعة الذي ترسو فيه السفن فترة قصيرة . وفي أمكنة أخرى أخذت الوظيفه الاقليمية بعين الاعتبار . أما الوظيفة الدولية ، وهي اوسع نطاقاً ، فقد تجزأت بفعل توسع الشبكات بعين الاعتبار . أما الوظيفة الدولية ، وهي اوسع نطاقاً ، فقد تجزأت بفعل توسع الشبكات نازعتها اياما برين وهمبورغ ، بينها تزاحمت جنوى ومرسيليا على مداخل أوروم الآلية . وأما لندن التي كادت تحتكر اعادة التوزيع فقد تقهرت نسبياً ، ولكن نيويورك مدينة العسادة التوزيع هذه بثروة طائلة جداً . وعلى الطرقات البحرية الكبرى ازدهرت المرافىء الجهزة خير التوزيع هذه بثروة طائلة جداً . وعلى الطرقات البحرية الكبرى ازدهرت المرافىء الجهزة خير التوزيع هذه بثروة طائلة جداً . وعلى الطرقات البحرية الكبرى ازدهرت المرافىء الجهزة خير التوزيع هذه بثروة طائلة جداً . وعلى الطرقات البحرية الكبرى ازدهرت المرافىء الجهزة خير

إلا أن السفن المتعاظمة قوة والمشكائرة عدداً استازمت احواضاً أكثر عمقاً واتساعاً. فالمعلوب تأمينه هو الدخول والخروج والتحميل والتفريخ في أقصر وقت ممكن . وبرز من ثم مثالان ويشكل أولها غزو اليابسة للبحر بواسطة سدود مبنية وأرصفة تعزل الاحواض المقتطمة بمحاذاة الشاطىء ؟ وهذا المثال غير نادر في المتوسط : فحين لم يعد جون مرسيليا الطبيعي ليكفيها ، تقدمت نحو الشال الفربي حيث بنت حوض ولاجوليات ، ثم الحوض الامبراطوري أو الوطني ، ثم حوض ولابينيد، وحوض ومدراغ ، أما المثال الثاني فيقوم بالحفر في اليابسة عند مصاب الانهر الواسعة ، كا في لندن وليفربول وانفرس وهمبورغ ونيويورك . وبغية تجنب مصافير الارساء قرب الارصفة في النهر ، جهزت لندن احواضاً واسعة جداً في نهر التايس لتعويم البواخر. ولما كانت البرك وراء السدود قد اتسمت ، فقد امتدت انفرس الى ، و هكتاراً منها . ثم ووجهت كانت البرك وراء السدود قد اتسمت ، فقد امتدت انفرس الى ، و هكتاراً منها . ثم ووجهت مسألة المداخل ، المقضة بالنسبة لروتردام ، ضحية تراكم الرميل في المرات الضيقة القائمة على طول ٣٣ كياومتراً وعتى و امتار تحت مستوى البحر اثناء مده . وانشت اجهزة قوية منجسور قابلة التدوير ، وعطات لربط السفن بالقاوس ، وآلات لرفع الاتفال ، ومستودعات في الاماكن فابلة التدوير ، وعطات لربط السفن بالقاوس ، وآلات لرفع الاتفال ، ومستودعات في الاماكن المرومة بالاتربة وفي المسلاجيء البحرية السفن . وجلي أن كل ذلك قد قرض تقنية ، متقدمة حداً .

لو نظرة إلى شكل القارات لرأينا أن الاطلسي يؤلف اداة اتصال كبرى فتح الترع: السويس وبالما بين نصفي الكرة الارضية ، وان العالم الجديد يشكل حاجزاً محول دون الملاحة حول الارض ، وان افريقيا تشكل كتة بماثلة تحول دون المرور من الغرب الى الشرق بين الاطلسي والحيط الهندي . ولكن الكنلتين البريتين الرئيسيتين تبدوان وكأنها تتلاشيان في وسطهما . فان البحار المتوسطة تخارقها ولا تبقى منها في هذه النقطة سوى برازخ ضيقة ما كانت لتحول ، الا بنوع من السخرية ، دون الملاحة حول الارض عند خطوط المرض الوسطى .

كان مقدراً لفكرة ايجاد طريق مائية بين المتوسط وبحر الهند أن ترى النور في الدرجية الاولى . لقد رأت النور منذ القرن الثاني عشر مشاريع كثيرة استهدفت فتع هذا والبوسقوز الجديد و كانت ستستوقف السانسيمونيين وتستهوي محد على : فتأسست شركة مهمتها اعداد الدروس لفتح قناة ، اشترك فيها و انفانتين و و دارليس — دينور و و دبولين تالابو و مسع ستيفنسون الابن ، بعد ان ثبت لهم ان مستوى المياه في المتوسط لا يختلف عنه في البحر الاجمد ،

إلا ان احد محاذير المشروع كان انه يخدم النفوذ الفرنسي في نظر المسؤولين البيطانيين الذين صرفتهم مصالح كبرى ، من جهة ثانية ، عن ان يعدوا له يد المساعدة . في زالت الطريق المألوفة هي طريق الكاب ، كما ان نقل البريد والمسافرين ، الذي يرتدي طابع السرعة ، ما زالت تؤمنه منذ ١٨٣٩ — . ٤ ، مصلحة و البريد عبر اليابسة ، التي كانت تستخدم السفينة في المتوسط حلى الاسكندرية ، ثم بين السويس وبومباي ، بعد اجتياز مصر بطريق النيل وبطريق برية . أجل كان الانتقال يستفرق عشر ساعات من الاسكندرية إلى رشيد ، وستة عشر ساعة من رشيد الى الفاهرة ، وثمانية عشر ساعة من القاهرة الى السويس، يضاف اليها الوقت الذي يُضاع في الحطات بين مرحلة وأخرى ، بما يرفع مجموع الساعات الى ٨٠ أو ٨٥ . فكان يقتضي شهر لقطع المسافة بين مرسيليا وبومباي ، في حال ان السفر بين لندن والهند ، عن طريق الكاب ، كان يستفرق بين مرسيليا وبومباي ، في حال ان السفر بين لندن والهند ، عن طريق الكاب ، كان يستفرق شهد فيها فندق توفرت فيه وسائل الراحة بما فيها حوض للسباحة ، و رجند الوف الجال والجالين المبور الصحراء . اما كان يكفي لذلك خسط حديدي ، بني بين السنة ١٨٥٥ والسنة ١٨٥٩ على كل حال ؟

في هذه الاثناء كان و فردينان دي لسبس ، القنصل السابق في الاسكندرية والمشدود بصلة القربى الى الامبراطورة واوجيني وبصلة الصداقة الى الامير محمد سعيد ، ابن محمد علي، يتقدم سواه في تنفيذ المشروع واطلع على آراء السانسيمونيين، وتعيز بطبيع متكبر، وكان فارسا ماهراً ، فتوصل الى اقناع سعيد باصدار فرمان ينح الامتياز بموجبه لمصلحة شركة عالمية قدم لها المهندس النمساوي ، و نفرلي ، ، مشروع قناة دون سدود ؛ واخذ على عاتقه المجاز المشروع به المهندس النمساوي ، و نفرلي ، ، مشروع قناة دون سدود ؛ واخذ على عاتقه المجاز المشروع به الموال اللازمة ، واستحصل من صندوق التوفير الفرنسي على اكتتاب به ٢٠٠٠ سهم من اصل ٥٠٠٠ سهم قيمة كل منها ٥٠٠ فرنك وتخلى منها عن

٠٠٠ ٨٥ سهم للخديري الذي اصدر امرا عصادرة ٢٠٠ من فلاح . فشرع في فتح الغرعة في شهر نسان من السنة ١٨٥٩ .

ولكن عشر سنوات قد انقضت دون ان تجول اليها المياه . فقد قامت صعوبات سياسية : اعترضت انكلتر لان الفرمان لم يمرض على موافقة الباب العالي؛ وحين ترفي سعيد في السنة ١٨٦٣، وجب مراعاة جانب نوبار ، وزير خارجية خلفه المتردد ، اسهاصل . وكان هناك مسألة المد العاملة المقضة ، التي استفلم الخصوم القناة: فقد بلغ من الاحتجاج على التسخير ان الشركة ارغمت على استخدام عمال احرار براي نابليون الثالث نفسه الذي احتكم اليه في هذا الموضوع؛ اما المهال البالغ عدده ٥٠٠ ه ١ ، فقد جاؤوا من المحام حوض المتوسط المختلفة ، ولكنم تقاضوا اجوراً مرتفعة ورفضوا جبل الطين بايديهم: فارغم ذلك على اللجوء إلى الآلات ، ولاسما مجارف الرمل البخارية ، بعد أن ضحى عبثًا بالعديد من العمال. وحين تحققت الفلبة على العائق التقني الرئيسي، وأعنى به سحى الوحول السوداوية اللون ، قام عائق جديد هو انتشار الهواء الاصفر والتشوس. اجل لقد تبدل الرأي المام الانكبزي شيئًا فشيئًا في هذه الاثناء بعسد ان ادركت الاوساط المنشسترية الفائدة التي ستجنبها التجارة من هذا النجاح . ولكن ما زال هناك الشاغل المسالي، لان الاكلاف قد تجاوزت التقديرات الى حد بعيد : وقد فشل الاكتتاب بموجب سندات في السنة ١٨٦٨ ، لاسباب مختلفة منها حملة قامت بها الصحافة البريطانية ، ولكن الهيئة التشريعية انقذت الموقف باقرار اصدار بشكل انصبة . واخيراً احتفل في السنة ١٨٦٩ بايصال البعرين بمشهد شرقي فاتن : اذ رافقت السفن الذاهبة من بورسميد الى السويس ؛ مروراً بالاسباعيلية ؛ الانوار التزيينية والموسيقي والرقصات الشعبية .

ان القناة البالغة ١٦٧ كيلومتراً طولا و ٢٧ متراً عرضاً و ٨ امتار عمقا قد فرضت قيادة السفن بحذر وبسرعة محدودة (يتم التلاقي في د الحطات » ويستفرق عبور الترعة ثلاثة ايام). ولكنها استفادت من وجود السفينة التجارية ومن اتساع حركة المقايضات بين اوربا واراضي الشرق ، مشجمة بدورها هذا الطراز من السفن ومسهمة اسهاماً قوياني الانطلاقة التجارية الممنية. وبدا بين ليلة وضحاها وكان العالم القديم كله قد اقترب من اوروبا الغربية ، وكانت نيويورك نفسها قد اقتربت من الحيط الهندي . فان و جول سيففريد » قد امضى ستة وعشرين يوما في السنة ١٨٦٢ للانتقال من مرسيليا الى بومباي ، وفي السنة ١٨٧٧ ، لم يمض و فيلياس فوغ » الآتي من لندن سوى ثمانية عشر يوماً لبلوغ المرفأ الهندى . وتدنت اجسور النقل الى ربعها الآتي من لندن سوى ثمانية عشر يوماً لبلوغ المرفأ الهندى . وتدنت اجسور النقل الى ربعها المارة في القناة لن يبلغ الارقام التي قدرها و لسبس » المتفائل الا في السنة ١٨٨٨ . وحين تقوت الشركة بفعل الوجود البريطاني في مصر والاتفاقية الدولية المعقودة في الاستانة ، اخذت توزع ربائح مفرية وقررت توسيم وتعميق القناة وتجهيزها بالانارة الكهربائية . فكان ان سهم الد ٠٠٠ فريك الذي سعر برعمة وقدرت توسيم وتعميق القناة وتجهيزها بالانارة الكهربائية . فكان ان سهم الد ٠٠٠ فريك الذي سعر برعمة وقررت توسيم وتعميق القناة وتجهيزها بالانارة الكهربائية . فكان ان سهم الـ ٠٠٠ فريك الذي سعر بعرية وقررت توسيم وتعميق القناة وتجهيزها بالانارة الكهربائية . فكان ان سهم الـ ٠٠٠ فريك الذي سعر بعرية وقررت توسيم وتعميق القناة وتجهيزها بالانارة الكهربائية . فكان ان سهم الـ ٠٠٠ في السنة ١٩٨١ . وجهة القول

ان القناة ربما كانت و اعظم انجازات القرن ، .

انتظر الرأسماليون نجاح قناة السويس للاهتام بالبرازخ الاخرى . فان قناة كورنثوس؟ التي فكر بها نيرون ؟ قد تحققت بين السنة ١٨٩٥ والسنة ١٨٩٣ ؟ وحققت المانيا في السنة ١٨٩٥ الاتصال بين البلطيق وبحر الشال بواسطة قناة «كيال » التي ستكون مشروعاً خاسراً على كل حال ؟ وفكر بمضهم بحفر ترعة «كرا » ؟ ودرست بعض اللجان مشروع قناة بين الاطلسي والمتوسط . ولكن المفامرة الكبرى كانت مفامرة باناما .

ان فتح قناة في هذه الجهات كان والحق يقال ، اقل إفادة لاوروبا منه للاميركيين. فبالنسبة لمصر: فتنة المكان ، مفترق اجزاء العالم الثلاثة ، والمضرورتان المتوسطية والآسوية ؛ اما هنا فطيعة تسيطر عليها امطار غزيرة ، واحراج واسعة وغابات متلبدة ، ومنطقة غير آحاة ، على شواطىء محيط لا يسلك بعد الا نادراً. وعلى الرغم من ذلك فسحر المشروع كان أخاذا ، لا سيا وان البرزخ يضيق باطراد بين تهوانتبيك (١٩٧ كيلومتراً) حتى باناما (. ٧ كيلومتراً) . فالقرن السادس عشر قد استرسل في خياله في صدد مثل هذا المشروع ؛ وهمبولدت فكر به في السنة ٨. ١٨ . وحين افتتح بوليفار مؤتمر باناما في السنة ١٨٢٦ افترح غوتيه بدوره فتح القناة ، ونادى كلاي بعمل جماعي . جاءت السنة ١٨٥٠ : حين سمع الناس صوت نداء الذهب الكاليفورني . فعقدت الولايات المتحدة اتفاقاً مع كولومبيا بفية اعلان حياد البرزخ في اضيق نقاطه ؛ ولما كانت انكلترا تحتسل بليز وشاطىء الا و موسكيتو ، ، وتسلم باهمية جون فرنسيكا، عقد الامير كيون معها معاهدة تنم عن حذر متبادل بمنعها كل تحصين في تلك الجهات ، فرنسيكا، عقد الامير كيون معها معاهدة تنم عن حذر متبادل بمنعها كل تحصين في تلك الجهات ، فرنسيكا، عقد الامير كيون معها معاهدة تنم عن حذر متبادل بمنعها كل تحصين في تلك الجهات ، فرنسيكا، عقد الامير كيون معها معاهدة تنم عن حذر متبادل بمنعها كل تحصين في تلك الجهات ، امسا في فرنسيكا، عقد ارادوا كسب الوقت و آثروا العمل بمفردع خط حديدي بين كولون وباناما . امسا في الواقع فقد ارادوا كسب الوقت و آثروا العمل بمفردم .

في السنة ١٨٦٩ فتحت ترعة السويس السفن واجتاز اول قطار و الجبال الصغرية ، وعلى الرغم من العودة الى مشاريع فتح القناة ، اما على تهونتييك ، وامساعلى نيكاراغوا ، فلا شيء يدعو بعد للاسراع في العمل ، فان المصالح البحرية ومصالح الخطوط الحديدية قسد تضافرت للحيلولة دون تنفيذ مشروع اجمع الرأي على اعتباره محفوفا بالاخطار . فهل تركب اوروبا الخطريا ترى ؟ اما اميركا فقد وقفت مرة اخرى موقف التريث والتبصر والسخرية ، فأوصت بعثة دوايز - ركلو » (١٨٧٦ - ٧٨) بباناما ؟ ثم حصل و وايز ، على الامتياز في بوغوتا ؟ ثم انعقد المؤتمر الاول للدروس الذي رفض اقتراح ايفل حفر قناة ذات سدود ووافق على اقتراح لسبس حفر ترعة عميقة يكون مستوى مياهها موازيا لمستوى مياه الحيطين ؟ ثم وضع مشروع تقديري بالاكلاف التي بلغت ١١٧٤ ميلونا ؟ ثم اسس لسبس الشركة العالمية القناة ما بين الحيطين ، التي احاطت الشروع في العمل بزيد من الدعاوة ، على الرغم من انها لم تجمع سوى ما بين الحيطين ، التي احاطت الشروع في العمل بزيد من الدعاوة ، على الرغم من انها لم تجمع سوى مه مين المينات النهر من المينات النهرة وانهيارات جاني الترعة ، فانتهى مشروع هذه القناة الى الفشل وانفضت الشركة في السنة المتكورة وانهيارات جاني الترعة ، فانتهى مشروع هذه القناة الى الفشل وانفضت الشركة في السنة المتكورة وانهيارات جاني الترعة ، فانتهى مشروع هذه القناة الى الفشل وانفضت الشركة في السنة

١٨٨٩ بعد أن لجأت إلى الرشوة لحل البرلمان الفرنسي على منحها قرضاً مقابل أسهم ودون أن لتمكن من حفر قناة ذات سدود . وبعد هذه الفضيحة السياسية والبرلمانية والمالية والمصرفية معالمي انتهت بالحكم على لسبس وابنه وأيفل ، مست الحاجة إلى قيام شركة بديلة أخرى . فعرفت أوروبا بذلك فشلا ستستفله أميركا .

سبق ل و غرانت ، ان اعلن بان ما يازم الولايات المتحدة هو و قناة امير كية بمال اميري، في ارض امير كية ، فاستمرت المنافسة مع انكلترا في نيكاراغوا ، وفي السنة ١٩٠٧ ، سوف يلشأ خط حديدي في بهوانتيبيك. اما في الواقع فهي باناما ما يترصده الاتحاد . فقد استفاد من النزاع الجنوبي الافريتي لانقاء مطالبة بريطانيا ؛ فأعلنت المعاهدة الموقعة لهذا الفرض حياد القناة قبل حفرها ومنحت الملنزم ، في الوقت نفسه ، حق تحصينها واقفالهما في حالة الحرب وبات بعقدوره من ثم ارغام كولومبيا على الاعتراف بدولة باناما التي تخلت عن كل ما يحتاج اليه بنساء الترعة وحايتها . وبينها تولى الزعم غوبهاذ ، الاختصاصي في بنساء السدود ، ادارة المشروع الفنية ، قضت الحلة التي تولاها روس على البعوض الذي ينقل الحواء الاصفر والملاريا ؛ ثم زود بالمعدات قضت الحلة التي تولاها روس على البعوض الذي ينقل الحواء الاصفر والملاريا ؛ ثم زود بالمعدات مده عامل (من بينهم ٥٠٠٠ زنجي) استهوتهم الاجور المرتفعة ، ففتحوا المهر المائي الذي سيدشن في ١٦٥ ب من السنة ١٩١٤ . وقد بلغ ما انفقه الامير كيون على هسذا المشروع الذي سيدشن في ١٦٥ من اله الفرنسيون ١٩٧٤ . وقد بلغ ما انفقه الامير كيون على هسذا المشروع المهراء ١٩٨١ مليونا بعد ان كرس له الفرنسيون ١٩٧٤ مليونا .

ك<mark>انت</mark> بإناما فكرة طلع بها القرن التاسع عشر ، وهي ستسهل في القرن العشرين <mark>ارتقساء</mark> اميركا يجعلها الباسفيكي والشرق الاقصى اقرب الى نيويورك منها الى لندن .

بعد السنة ١٨٥٠ نما نقل البريد نمواً فجائياً . فان ممدل الرسائل في المانيا الاتصال البعيد مثلاً كان مرا للشخص الواحد في السنة ١٨٤٠ و ١٩٢١ في السنة ١٨٧٠ ، و ١٩٠٨ في السنة ١٨٧٠ مثلاً كان مرا الشخص الواحد في السنة مليون ونصف المليون من الطوابع البريدية في السنة ١٨٥٠ ، و ٢٩٩٨ مليوناً في السنة ١٩٠٠ .

وعما يثبت كذلك توسع الشبكة التلغرافية المتمدة رمور و مورس » والتمديدات التي بلغت ١٩٠٠ كيلومتر من الشريط حتى السنة ١٩٥٨ و والتي ستبلغ ستة ملايين في السنة ١٩٠٠ و وقدارسلت في اوروبا ٩ ملايين برقية في السنة ١٩٥٨ و ٣٣٤ مليونا في السنة ١٩٠٠ (منها ٧٠ مليونا الى الولايات المتحدة). ومنذ السنة ١٨٦٠ اتاح جهاز هوغالا كتفاء ببئة واحدة المحرف الواحد وطبع الحرف مباشرة وخطر له هويتستون ان يطبق على جهاز مورس طريقة المحرف الواحد وطبع الحرف مباشرة وخطر له هويتستون ان يطبق على جهاز مورس طريقة احكام جهاز نول دجاكار بشكل دائرة الساعة و وبفضل د الطريقة الازدواجية » التي انتهت اليها دراسات «ستيرنز» ارسلت في الوقت نفسه برقيتان في اتجاهين معكوسين عمم وصلت آلة وماير » الباعثة عدة اجهزة بخط واحد واتاحت طريقة ديردو » الرباعية بث ٧ كلمة في الساعة

بدلا من ٢٠٠٠ براسطة جهاز هوغ ، وهو عدد سيرتفع الى ٢٠٠٠ بفضل البث على تيارات غني تيارات على تيارات

استهوى الابراق الدول المفتقرة الى الطرقات والخطوط الحديدية. فان ايقاف الاعسدة الخشبية ومد الخطوط اسهل من ترطيد عوارض السكة الحديدية بالقطع الححرية. ولذلك كان لبلاد ايران في السنة ١٦٠٠، ١٦٠٥ كيلومتر من خطوط التلفراف مقابل ١٣ كيلومتراً من الخطوط الحديدية ، ولبلاد الصين ... ٣٥ مقابل ..ه.

ولم يقف البحر حاجزاً في سبيل الخط التلغرافي. فنذالسنة ١٨٤٥ ، وبفضل صمغ المطاط، غط الامير كيون حبلا سلكيا تحت نهر الهودسن. ولكن السنة الحاسمة كانت سنة ١٨٥١. فقد ساعد المهندس كرامبتون مواطنه وجاكوب برايت، على تحقيق الاتصال بين دوفر وكاليه. وفي السنة ١٨٥٣ غط الحبل السلكي تحت قناة الشهال من جهة وتحت بحر الشهال من جهة اخرى، ثم حاول جون دووكنز برايت ، اقامة خط نحت البحر المتوسط ، بين الشاطىء البروفنسي وكورسيكا وسردينيا اولا ، ثم بين هذه الاخيرة والجزائر ، واثناء حرب القرم انشىء خط تحت البحر بين قارنا و بالاكلافا .

تكو"ن آنذاك مشروع اتصال عبر الاطلسي . فأسس الاميركي و سيروس - وست فيله ه شركة اسندت الى مؤسسة و غلاس واليوت عبى لندن صنع حبل سلكي يبلغ . ٣٥٥ كيلومتراً طولا بفية ربط جون فالنتيا وترينتي - باي على شاطىء الارض الجديدة . الا ان العملية لم تتكلل بالنجاح بعد ثلاث محاولات فاشلة ، الا في ١٦ آب ١٨٥٨. وفي ١٦ منه وجهت الملكة فكتوريا رسالة الى الرئيس بيوكانان : فاستغرق نقل بعض الكلمات ١٧ ساعة و . ٤ دقيقة ولم يتحقق المشروع اخيراً ، بعد شتى الصعوبات ، الا باستخدام حبل سلكي اعظم متانة ولم يتحقق المشروع اخيراً ، بعد شتى الصعوبات ، الا باستخدام حبل سلكي اعظم متانة يبلغ وزنه . . . ٢٤ طن ، من انتاج معمل هنلي في وولويتش . ثم انشئت شبكة عالمية بلغت بلغة وزنه . . . ٢٤ طن ، من انتاج معمل هنلي في وولويتش . ثم انشئت شبكة عالمية بلغت القادرة وحدما على الاتصال مباشرة بعظم بلدان الارض (مراكز ٢٢ شركة من اصل ثلاثين تقريبا موجودة في الشارع نفسه). فبدا ما كتبه وادمون ابو، في السنة ١٩١٤ ونالواقع الى حد بعيد : و لا يقتضي في ايامنا اكثر من شهر حتى تدور الفكرة دورة كامسة حول الارض ، وحين احتفل بيوبيل و ولي طومسون ، (اللورد و كلفن ،) في غلاسكو في السنة ١٨٩١ ، بعث اليه ببرقية عن طريق الارض الجديدة وسان فرنسسكو وواشنطن اجيب عليها خلال سبم دقائق .

ولكن الكهرباء اثبتت قدرتها على نقل الصوت ، اي الكلمة . فأبصر الهاتف النور ، بعد ايناع طويل الامد ، في السنة ١٨٧٦ ، بفضل العالمين الاميركيين و اليشع غراي، ووغراهام بل،

فحقق هذا الاخير الاتصال الاول على مسافة ٣ كيلومترات . وكان الاختراع مرتكزاً الى قدرة الكهرباء على ان تنقل الى مسافات بعيدة الارتجاجات التي تسجل على صفيحة رئانة ويغاد تسجيلها على لوحة اخرى عندما تبلغها الارتجاجات المنقولة . وقد اصبحت الطريقة عملية بفضل الميكروفون الذي ابتكره هوغ وبفضل الملف المغناطيسي الذي ابتكره اديسون والذي يوسع الارتجاجات . فافتتح المكتب الاول في نيوهسافن في السنة ١٨٧٨ والثاني في باريس في السنة ١٨٧٩ . فبلغت الاجهزة ، في السنة ١٨٩٠ ، اثني عشر مليوناً في العالم ، منها ثمانية ملايين في اميركا الشالية ، وثلاثة في اوروبا . وقد اعلن وليم طومسون آنذاك : وعجيبة العجائب » .

ولم يكن اقل إثارة للعبعب الحاكي الذي يسجل الصوت والذي توصل « شارل كرو » الى ا اكتشاف مبادئه واديسون الى تحقيقه في السنة ١٨٧٨ ، سنة مؤتمر برلين .

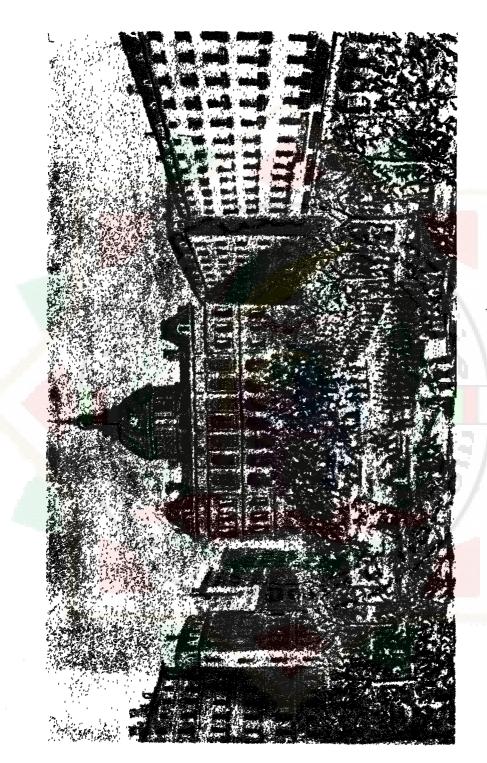


٣ - نقل المسافرين بواسطة البيغار للمرة الاولى .



٣ - تجربة الآلة الحاصدة التي اخترعها سيروس هول ماك كورميك (١٨٣١) .





ه – الجملس الثوري في (سانت اتيان) في السنة ١٨٨١ .





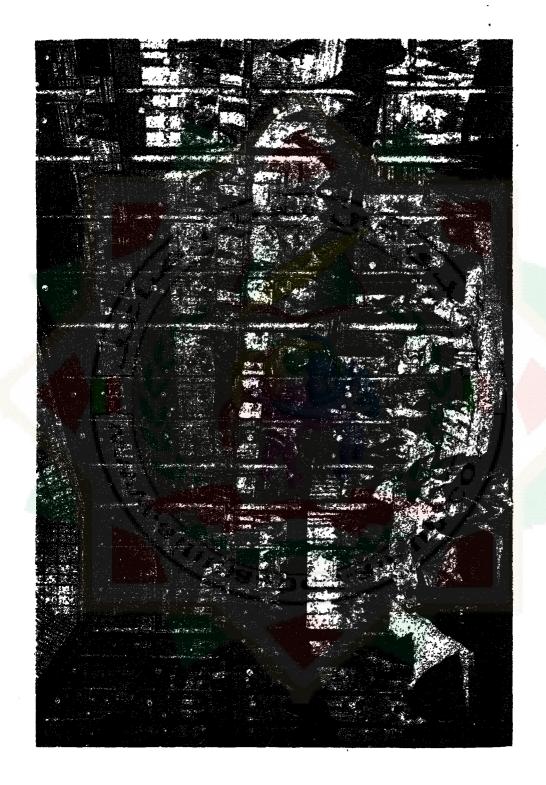
٧ - مقاعد الجلس التشويعي (١٨٣١) .

٨ – أعلان الجمورية أمام قصر بوربون في ٤ أيار ١٨٤٨ .



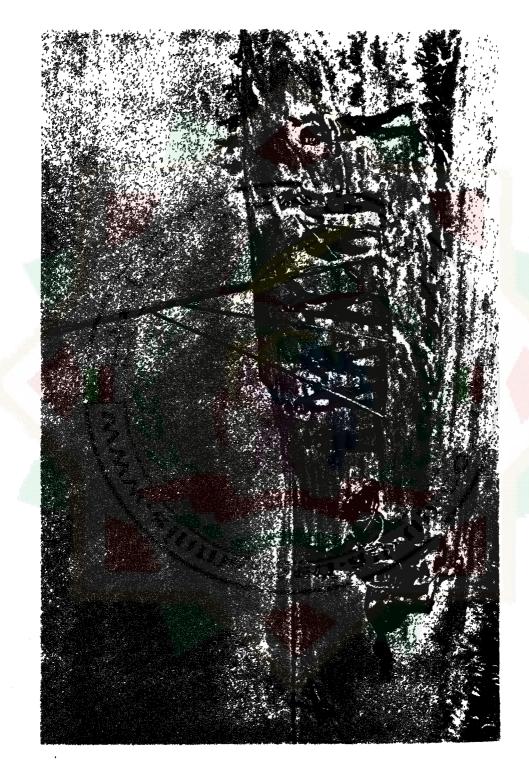
۹ باستور في مختبره .





١٢ - مقطورة الدرجة الثالثة .

١٠٠٠ - تدشين قناة السويس .



10 - طلاب المنعب الامير كيون في طريقهم نحو كاليفورنيا (١٨٤٩) .



١٦ – مؤسسة تجارية في مدينة لندن .

لانفصل لانشابي

انطلاقة الرأسمالية في الغرب

> وفرة المعادن الثمينة سيادة الذهب

رأينا ان القرن التاسع عشر هو قرن الفحم الحجري والحديد ، ولكنه في الوقت نفسه قرن الذهب والفضة ايضاً . فقد برزت مناطق جديدة غنية بالذهب ، هي اعجب ما عرفته البشرية في تاريخها : كاليفورنيا ، «كلونديك ، ، «كبرلي » ، «ويتووتر سراند ، . بيد ان الكثيرين قد

و مونت - مورغان ، ، وكلونديك ، ، وكبرلي ، ، ويتووتر سراند ، . بيد ان الكثيرين قد خشرا من ان يفقد المعدن الابيض والمعدن الاصفر ، اللذان لم يعودا نادري الوجود ، صفته الذاتية الرئيسية ؛ وعلى نقيض ذلك ، ابتهج كثيرون غيرهم بمن رأوا الصلة الوثقى بسين النشاط الاقتصادي ووفرة المعادن المعروفة بالثمينة . ومها يكن من الامر ، فان الغرب هـــو الذي استثمر هذه الكنوز لمصلحته ، وهي الاراضي الانكلوساكسونية التي ورثت الامتياز الذي كان في فترة من الزمن امتياز الامبراطوريات الايبيرية .

اذا نظرة الى الذهب وحده ، واعتبرة ان معدل الانتاج السنوي قبل اكتشاف اميركا هو ١ ، فان هذا المعدل يرتفع الى ٥٤ في اواخر القرن الثامن عشر ، والى ١٠٠٠ في السنة ١٨٦٠ ، والى ١٠٠٠ في السنة ١٩٦٠ ، والى ١٠٠٠ في التداول، في الفترة المعدة من المسنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ ، وازدادت السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٥٠ ، وازدادت كذلك كمية الفضة ازدياداً عظيماً : قبعد الت تجمع منها ١٤٠ مليون كياو بين السنة ١٤٩٣ والسنة ١٨٥٠ و ١٨٥ مليوناً بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ و ٢٧ مليوناً بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ و ١٨٥ مليوناً بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ و ١٨٥ مليوناً بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ و ١٨٥ مليوناً بين السنة

قبل ان تتخلى المكسيك الولايات المتحدة عن كاليفورنيا بتسمة ايام ،عثر دمارشال ، مسانع العربات ، صدفة على بمض قطع المعدن الاصفر في جوار و ساكرامنتو ، قاندفع الناس وراء الذهب اندفاعاً منقطع النظير . وقد جاؤوا من كل مكان : استخدم بمضهم مسالك و لارامي ، الذهب اندفاعاً منقطع النظير . وقد جاؤوا من كل مكان : استخدم بمضهم مسالك و لارامي ، و مقطورة و سانتا — في ، وكانت المسافة تستفرق خسة اشهر — وسلك البعض الآخر طريق و باناما او دماجلان ، فكان سفره في البحر مضنياً لا بل مهلكا احيانا ؛ ووصل قرابة ؟ من آسيا ، اما نتيجة هذا التدفق ، الذي ادى الى خلو الحقول والمسافع من اليد العاملة ، فكانت تنشيط بناء وحركة السفن ، واستقرار واكتشاف الزئبق في دنيو المادان ، وإلحاح الحاجة الى تحقيق الاتصال بين الباسيفيكي والاطلسي بواسطة القطار الحديدي .

وكان « الهواء الاصفر » قد انتقل الى اوستراليا ﴾ القارة الخسالية من السكان تقريباً » التي اطلق عليها ، بمرفة غريزية غريبة ، اسم « الشاطى، الذهبي » في الخرائط البرتفالية القديمة . وخشية من اختلال النظام والانضباط بين الجرمين المبعدين اليها البالغ عدده م ٠٠٠ ه ع حاول حاكم ولاية «وايلز الجديدة» الجنوبية اخفاء سر الاكتشاف الذي توفق اليه احد الرعاة في شهر شباط من السنة ١٨٤٩ ، في مقاطعة باثورست . ولكن سفر المهاجرين المستمعرين قد احدث انقلابا وقد تعذر من جهة ثانية منع هذا التدفق حين توفق المهاجر هارغريفز العائد من اميركا ، الله اكتشاف ذهبة تبلغ قيمتها ٥٠٠ ع جنيه استرليني واثبت تشابه التربة بين منطقة ساكر امنتو ومنطقة ماكاري . وبما شجع البحث عن الذهب ان مستمعرة فكتوريا ، التي تنظمت في السنة ١٨٥١ ، خصصت مكافأة لمن يكتشف ذهبا في اراضيها . وهكذا تم العثور على منجم بالارا وبنديغو الشهير ، وقد بلغ من تدفق الحفارين ان عدد سكان فكتوريا قسد ارتفع الى اربعة اضعافه خلال اربع سنوات .

اما مجتمع هؤلاء الباحثين عن الذهب فمجتمع غريب. لقد عاشوا في اكواخ خشبية مسقوفة بصفائح حديدية او تحت خيام بسيطة. وقاسوا الامرين من الفيار والاذبة والتهاب الاعين والحي التيفية . وبرهنوا عن بطولة ، على طريقتهم الخاصة ، وسنوا لانفسهم قانونا ديموقراطيا مختصراً احترموه احياناً . ولكن حالة الحدة الدائمة التي سيطرت عليهم جعلتهم قادرين على القيام باسواً اعمال العنف . وقد جرم تفاوت العدد بين الجنسين الى الفجور ، والدعارة كما ان تجارة السواً اعمال العنف .

النساء في كاليفورنيا جملت من الانسان الابيض منافساً رهيباً للرئيس الهندي الذي صعب عليه جميع النساء في حرمه . اضف الى ذلك ان الحفار العامل لحسابه قسيد افسح مكانه شيئاً فشيئاً للمامل المأجور الداخل في خدمة الشركة الرأسمالية التي اعتمدت تقنية اكثر اتقانا .

خلال اربعين سنة سيطرت اميركا الشهالية واو متراليا على سوق المعادن الثمينة . فقد اجربت بين وارض الناره و الاسكا اعمال تنقيب منظمة . وجمع الباحثون الذهب الرسوبي من نهر فواذر في كولومبيا البريطانية . واستفادت وليدفيل » في الكولورادو من بحث واسع مماثل في منحدر و بيكس بيك » : ففي اقل من سنتين خرجت من الارض مدينة مبنية بالقرميد جمعت بسين من و و و و و و و منافر ، و خس كنائس و و و فندقاً ومسرحين وقرابة مائة قساعة للاجتماع والرقص ، يضاف اليها الكثير من الخانات والمقامر ؛ وكان فيها بائمو المشروبات ومديرو المحال المذكورة اسياداً مسيطرين ؛ وصدرت فيها اربع صحف منها اثنتان يوميتات . ولكن الفضة كانت اوفر من الذهب ، مزوجة بالرصاص والنحاس وحتى بالزئبق ، واعتبرها بعضهم نوعا ثانوياً من المعادن الاخرى التي تميرها الشركات الصناعية اهتماماً اكبر احياناً ، ففي ليدفيل مثلا اهتم الناس على التوالي بالغضة ، والرصاص الممزوج بالفضة ، والزنك ، وهو النحاس ما انقذ و بوت » و و هملنا » و و واناكوندا » .

تسبب الذهب بمد ذلك في تدفق بشري جديد في اقصى الشمال الاميركي : و كلونديك و و آلاسكا ، فقد نزل بين ٣٠ و ٠٠٠ ؛ باحث في سكاغواي واجتازوا الجبال التي تفصل بين الباسيفيكي والد و يوكون و وانحدروا بواسطة الزوارق او الاطواف على نهر الدولوم م حتى داوسون سيق : فاغل المنجم ١٠ ملايين دولار في السنة ١٨٩٨ و حتى ٢٢ في السنة ١٩٠١ و وفي السنة ١٩٠٠ و السنة ١٩٠٠ عدث تدفق جديد باتجاه شبه جزيرة سيوارد قبالة مضيق بيرنغ ؟ ففي ونوم التي تسيطر عليها ارباح جليدية ، وحيث انشئت على جناح السرعة حانة وبيت دعارة وملهى عثر في الرمال ، في اشهر ممدودة ، على ذهب تبلغ قيمته اكثر من مليون دولار . وفي السنة هراك الناس عن بحيرة دور كوبين ، بمد ان اظهر فيها حريق طارى هرايين مرو ابيض .

وعلى الرغم من كل هذا ؟ فان نصف الكرة الارضية الجنوبية كان قد انتزع ؟ منذ ها تقريباً ؟ صولجان الذهب من اميركا التي احتفظت بصولجان المعدن الابيض . ففي اوسار اليا وايلز والت الاكتشافات : في مونت مورغان من اعمال كوينسلند وفي دبروكن هل » من اعمال وايلز الجديدة . وحدثان احد المهاجرين ممالك الارض التي سيجمع فيها الاخوة مورغان وليم دارسي ثروة طائلة ؟ باع الاكر بجنيه استرليني دون ان يعلم بماكانت تخبثه ارضه ومات حزناً . ولكن اوستراليا لم تكن اقل ثروة معدنية واجتذاباً للباحثين : فقد اكتشف الذهب في الصحراء على مسافة ٥٠٠ كيلو مسافة ٥٠٠ كيلو متر من برث ؟ في منطقة تتميز بمناخ حار جداً ؟ وهو الجل ما انقذ المشروع من الخطر بنقله الماء والمؤون والمعدات ؟ قبل ان ترنى اقنية جر المياه والخطوط الحديدية . فضمن ذلك الماارة

الاوسترالية المرتبة الاولى في السنة ١٩٠٣ .

كانت قد اعطت اكبر كمنات من المعدن الاصفر . اجل لقد بذلت محاولات فاشلة بغية الوصول الى كنوز السودان الاسطورية انطلاقا من الشاطىء الذهبي وعبر السهول المشبة . ولكن مسا ذهب بعقل الناس آنذاك هو هضبة و فلد ، الجنوبية . فقد توفق احد اله و يوير ، ، في السنة ١٨٦٣ ، الى اكتشاف الحجارة الكريمة الأولى ، ثم أشهر اكتشاف و نجم الجنوب ، حقول الماس حول كمبرلي . وكانت شركة و دي بيرز ميننغ ، التي تولت الامر على علم بان الذهب لم يكن بعيدا . فقد اكتشف في السنة ١٨٧٧ في « غريكوالند ، ، ولكن حكومة دبريتوريا، حاولت منم الباحثين من فعص الارض لمرفة ما يجويه جوفها من المادن في منطقة ويتو وترستراند التي قدر بانها اغنى المناطق ثروة ممدنية ؛ اضف الى ذلك من جهة ثانية ان الباحثين ما لبثوا اس واجهوا طبقات صوانية تمتد تحت الاتربة والصخور الرملية . ولذلك مست الحاجة الى استخدام الوسائل الآلية ، ولم يتمكن من الاستمرار في العمل سوى المشاريع الكبرى القوية وحدها . وصادف في السنة ١٨٨٧ ان و ماك ارثور » و و فورست ، من غلاسكو توفقا الى قصل الذهب عن كبريتور الحديد بواسطة التحليل بالجرى الكهربائي او بالزنك . فأسست شركة دي بيرز فرعا لها هو شركة والحقول الذهبية في افريقيا الجنوبية ، التي عقدت اتفاقات مع شركة شارترد لصاحبها وسبيل رود، وشركة نوبل ، وقد نص الاتفاق مع هذه الاخيرة على أن تقدم النياز وغليسرين القادر على تفكيك المعدن الحام. وقد تغلبت هـذه المصالح الكبرى في النهاية على اشمئزاز وكراهمة البوتر بعد تدخل انكليزي مسلح . وكما ان الناترات كان سبباً لحرب الباسفيك ، كذلك لم يكن الذهب غريباً عن حرب الـ « ترنسفال » . وهكذا فقد كان مقدراً لافريقيا الجنوبية ، التي بلغ انتاجها من الذهب الناعم ٢٢ طن في السنة ١٨٩١ ، ان تنتج . ١٨ طنا في السنة ١٩٠٦ و ٢٨٣ في السنة ١٩١٢ ؟ كأكان مقدراً لها ان تتفوق بدورها على او سترالما والولامات المتحدة .

ادت وفرة المادن الثمينة الى وفرة النقد . اضف الى ذلك ان الخلافات والاتفاقات المالية حيازة مخزون معدني هام قد سمحت باصدار كميا<mark>ت اكبر حجها من النقد الورق . فاعتاد الناس استخدام الورقة النقدية كعملة رائجة .</mark>

كان النقد المعدني في نظر الساعين وراء الربح التجاري هو الثروة بمينها ، بيسنا نظر اليه القائلون بمذهب الحرية نظرهم الى وسيلة مقايضة . ولكن سوء الطالع اراد ان لا يحون إداة قياس ثابتة . فهل يتحقق توحيد القواعد النقدية القومية على الاقل يا ترى ? لا شك في ان قيام و الاتحاد اللاتيني ، في السنة ١٨٦٥ كان سيراً في هذا الاتجاء ؛ الا ان البلدان الانكاوساكسونية لم تقبل بفرنك المائة سنتيم كما لم تقبل من قبل بالنظام المتري .

ولم يكن اختيار العيار النقدي اقل صعوبة . فقد قام نقاش مستمر بين انصار المعدن الواحد

وانصار المعدنين . فقبل السنة ١٨٥٠ ، وبينا لم تعرف آسيا سوى الفضة ، كانت بريطانيا قبله اختارت العيار الذهبي ، واختارت اغلبية الدول الاوروبية الاخرى والولايات المتحدة عمليا العيار الذهبي والعيار الفضي معا . ولما كان تدفق الذهب قد صادف بين السنة ١٨٦٠ والسنة ١٨٧٠ طلب المزيد من الفضة في الهند والشرق الاقصى ، اهتم المسؤولون بالنتائج التي قسد تستتبعها اولوية المعدن الابيض . ولكن هذا الاتجاه قد انقلب شيئا فشيئا حسين تعنى انتاج الذهب وخطا استخراج الذهب بالمقابلة خطوة كبرى الى الاهام . ثم جاء الانحطاط الاقتصادي واعاد رباطة الجأش الى انصار المعدنين الذين ساندم و بارونات الفضة ، في الولايات المتحدة . ولكن لمان نجم الترانسفال واوستراليا وآلاسكا قد اتاح الفرصة لانصار العيار الذهبي لاعتباره قادراً على الوفاء بالحاجات ، بينها كانت قيمة الفضة آخذة بالتدنى .

مها يكن من الامر، فان الارتباط المتبادل بين حركات الاسمار وحجم النقد المتداول قد بدا وكأنه تأيد تأيداً واضحاً. وعلى غرار «بودين» و كانتيون» و كثيرين غيرها ا فكر على الاقتصاد القائلون بمذهب الحرية بان نمو حجم الممادن الثمينة مفيد ، وقد سبق لميشال شفالييه ان حيّا ارتفاع انتاج الذهب معتبراً اياه و حدثاً على جانب كبير من الاهمية للجنس البشري بأجمه » . وكان ماركس قد عارض وحده تقريباً هذه النظرية الكمية للنقد ، اعتباراً منه ان ارتفاع الاسمار مرده الى الكسب الرأسالي . فكانت من ثم معركة النقد: مظهر المنافسة ؟ والاتفاقات النقدية : مهادنات مؤقتة او جهود لتقاسم الاخطار والمكاسب على السواء . ولكن بعض الاستقرار قد لوحظ على الرغم من الازمات والثورات .

نمر سوق رؤس الاموال والجهاز المصرفي

كتب وكورسل سنوي ، في السنة ١٨٤٨ : و لا يحصل دامًا على الاعتباد بطرق المواصلات ؛ اما بالاعتباد فالحصول على طرق المواصلات امر مضمون ». وفي كتابه دناريخ المصرف » ، قارن

د ماك لود » الاعتاد بغيضان النيل الخصاب . وقد سبق السانسيمونيين ان اعتبروه علة قيام كل مشروع كبير .

فالمال من ثم ضروري للعمل . ولكن اين يوجد المال ؟ اعتبر التوفير احت<mark>باطها اسا</mark>سيا . والتوفير توفير اقتصاد لعمري ، وقد تبارى الصحافيون والسياسيون الاحرار في تعظم هسذه الفضلة . ولكن من المستحسن ان يتخذ هذا التوفير شكلا اشد نشاطاً .

هذا هو منذ الآن مثل التوفير – التأمين . فالتأمين يستجيب لحاجة الامان ، ولكنه خلاق . من حيث هو يتصل بالقرض الطويل الاجل. وقد اهتمت الادارة باكراً بفروعه الثلاثة الرئيسية : التأمين المنامين الحياة . وفي اواخر القرن ، أمنت ٨٥ شركة ب ٢٢ ملياراً . وقدر بعضهم ، باتخاذ المعدل ١٠٠ في السنة ١٨٥٠ ، ان حجم التجارة العالمية قد بلغ المعدل ١٥٠٠ في السنة ١٨٥٠ ، المعدل ٢٥٠٠ وحجم المبالغ المسؤمنة بلغ المعدل ٢٥٠١ وحجم المبالغ المسؤمنة بلغ المعدل ٢٥٠١ . وتعددت

ائحادات التأمين الدولية واجرى التأمين على التأمين على نطاق واسم. وربما كان هذا القطاع خير القطاعات لنقدم الراسمالية المسالية . وكانت معظم الشركات التي تأسست في سويسرا شركات تأمينية . كاكانت الصلة وثبقة بين التأمين والتجارة والملكية المقارية .

بقي المصرف المؤسسة الرئيسية للاعتاد. فقد وفر لاوساط الاعمال مساعدة لا بد منهابشكل حسم. فبينها تأرجح معدل الفائدة تأرجحاً بطيئاً (انخفض شيئاً فشيئاً من ه الى ٣ ٪ بين السنة ١٨٧٠ والسنة ١٩٠٠) ، بقي الحسم خاضعاً لحركات فجائية وغير منتظمة. وقد حساولت مصارف الدولة الكبرى ، كمصرف انكلترا ومصرف فرنسا ، تنظيم نسبته . وفقدت السفتجة بمض جدورها بفعل التسهيلات الجديدة في وسائل المواصلات. الا ان لندن قد احتفظت بمركزها الممتاز ، لا بل حسنته ، في ما يعود للسفاتج في المناطق الخارجبة . وانتشر استخدام الشك في المالم الانكلوسا كسوني اولا ؟ وقد سهل الى حد بعيد تسديد الحسابات بمجرد معاملات كتابية وليست اوراق الدفع اللخزينة سوى اشكال مختلفة التسليف القصير الاجل . واذا ما لجات الحكومات الى القرض ، فانها قد توجهت الى الموفرين توجها مباشرا اكثر منه في السابق ؟ ولكن ارباح المصارف ما زالت هامة جداً .

هو التسليف الطويل الاجل ما اتاح توظيف رؤوس اموال كبرى في الحقل الصناعي والتجاري، فتوسع فرع الاموال المنقولة من ثم توسعاً عظيماً. وقد نشر دبرودون في السنة ١٨٥٣ كتاب المضارب في المصفق ، احتجاجاً على دعصر اتخذ المصفق واعماله لوحة وصايا إلهية ، والمصفق فلسفة ، والمصفق سياسة ، والمصفق علما اخلاقياً ، والمصفق وطناً وكنيسة » . وتحت صحافة مالية ، وقامت الصحف الكبرى بدعاوة فمالة لخدمة اصدار الاوارق المالية . ثم جاء التشريع في حينه يخفف من وطأة تجارة المال . ففي السنة ١٨٥٨ صدر قانون يوسع حريات والشركات المالية المتحدة » ؛ وفي السنة ١٨٦٧ والسنة ١٨٦٧ ، شجعت الامبراطورية الثانية قيام الشركات الحدودة المسؤولية . واذا لم يصدر سمساسرة ولومبارد ساريت » في لندن سوى نشرة يومية واحدة في السنة ١٨٦٠ ، فانهم قد اصدروا ١٦ نشرة يومية حوالي السنة ١٩٠٠ انطوت على و د اورانينبورغرستراس ، في برلين . وفي مصفق باريس ، و د وول ساريت » في لندن ، و د اورانينبورغرستراس » في برلين . وفي مصفق باريس بلغ مجموع التقد المقايض ١٩٠٠ مليوناً في السنة ١٨٥٠ ، و ١٨٥٠ مليوناً في السنة و ١٨٥ مليوناً في السنة ١٨٥٠ ، و ١٨٥٠ مليوناً في السنة و و الموناً في السنة و ١٨٥٠ مليوناً في السنة و ١٨٥ مليوناً في السنة و و الموناً في السنة و الموناً في السنة و الموناً في السنة و الموناً و ١٨٥٠ مليوناً في السنة و و الموناً و ١٨٥٠ مليوناً و ١٨٥ مليوناً و

استلزم توزيع الاعتاد اجهزة اكثر عدداً واعظم تخصصاً. ففي اساس النظام احتفظت مصارف الاصدار بمركزها المتاز ، منظمة نسبة الحسم ، ومزاولة دور تسوية وتعديل (دور المكتب المركزي) ، وموافقة على تسليف السلطات العامة . ولكن مصارف الاعمال المساهمة قسد تكاثرت ، وجرت في الوقت نفسه عملية توزيع بين المصارف الحديثة منها ، التي اهتمت بشؤون التوفير ، وبين بعض المؤسسات القديمة سالمصرف الفرنسي السامي مثلا الذي يعود الى النصف

الأولى من القرن - التي تخصصت في رقابة الأحمال الكبرى. دولم يشهدا التوزيع دون منازعات؟ فللنازعة بين و بيرير ، و و الأبي ، في فرنسا واوروبا البرية على امتلاك خطوط المواصلات الكبرى ليست سوى احد عده الغلافات المروفة جيداً ؛ وبعد ان تغلبت على مصرف التسليف ، استفادت مجموعة و روتشليد ، في السنة ١٨٨٧ من تضمضع الاتحاد المام الذي كان يحاول بدوره منازعته السيطرة . اضف الى فلك ان مثل هذه التنازعات امر مألوف في الولايات المتحدة . وقد كان لها صداها البعيد في الحياة السياسية . ومها يكن من امر ، فان العالم المسالي قد وطلب مركزه الاجتاعي .

قال ﴿ باستيا ﴾ عن المناقسة ؛ ﴿ انها اكثر القوانين تقدمية ومساواة والمناويم الراسالية وجماعية من بين القونين التي وكلت اليها العناية الالهية تقدم المصائر البشرية ﴾ . بفضل هسندا المنبه ﴾ وفي مناخ الحرية السياسية والقضائية ﴾ ارتفع عدد المؤسسات الصناعية والتجارية ارتفاعاً سريماً . وهو انجاه استفاد ﴾ من جهة ثانية من توسع عملية التسليف ﴾ وتقسيم العمل ﴾ والنجاحات التقنية ، وحاجات الحضارة الفربية .

وجدت الحرفة الصغرى والحانوت علة وجود جديدة في هذا التخصص . وما ذالت المهارة اليدوية ؟ التي انقذت الكثير من الصناعات التقليدية ؟ ضرورية جداً في الانتاج الصغير الحجم . وتقدمت بعض فروع الصناعات المنزلية لانها استخدمت صناعين يدويين ابعدرا عن عملهم او يدا عاملة نسائية : وهذا ما حدث في صناعة الالبسة والخياطة وصناعة الملابس الداخلية .ونمت تجارة التفصيل ؟ على الرغم من ان المخازن الكبرى قد انتشرت انتشاراً عظيماً ايضاً .

ولكن الحدث الذي لفت الانظار هو التوسع الذي عرفته الشركة المحدودة المسؤولية. فان الاموال الطائلة التي وظفت في المانيابعد السنة ١٩٨١ قد ادت الى قيام ١٩٠٠ قد ارتفعت رؤوس اموالها الى الاحسمة الادارة الاميرية الفرنسية في السنة ١٩٠١ قد ارتفعت رؤوس اموالها الى ٣٦ ملياراً. ولكن مشاريع كثيرة لم تمرف سوى وجود سريع الزرال. فكل ارتفاع في الاسعار بعث ازدهاراً جديداً ، وكل ازمة او كل هبوط ادى الى الاقلاسات. هذا هو الانتقاء الطبيعي في نظر الاقتصاديين الاحرار: انما الفلية للاذكياء والاقوياء في النهاية: فلا يمكن من ثم ان يتوالى تكاثر المشاريع الى ما لا نهاية له ، لان ذلك قد يضر بانتاجية الاعمال نفسها.

وينجم عن ذلك أن نظام التنافس يفضي أيضاً إلى الحصر الذي يفضي بدوره إلى الاحتكار ويميل طبعاً لملاشأة هذا النظام . ولكن التخصص أدى منذ البدء إلى هذه النتيجة : أن القطاع المستثمر حديثاً عرضة لان يسيطر عليه عدد صفير جدا من المشاريسم.

شوهد تأيد هذا الاتجاه الآخر منذ البداية في صناعة الحبال السلكية وصناعة النفط كلما جدت جدة في صناعة المعادن او الكيمياء . وكانت الصناعة المنجمية الالمانية احدث عهداً من الصناعتين البريطانية والفرنسية فتجمعت وانحصرت اكثر منها فلم يقل عدد الشركات الفحمية عن ٧٠٠ في الارخبيل بينها غن نرى في الرور ان اربع او لحمس مؤسسات قد أشرفت على صناعة الفحم منذ السنة ١٨٨٠. وهو الحصر الافتي ما برز في البداية . ولكن و كيردوف و و سننس و ثم و تيسن و ٤ انطلاقاً من الفحم الحجري و و كروب و ٤ انطلاقاً من صناعة الممادن و قد اشرفوا منذئذ على اشكال اولية للحصر العمودي بايجادهم اسواقهم المخاصة البيع ووسائلهم الخاصة النقل . ومنذ تأسيسها في السنة ١٨٣٧ الجهت و شركة الجبل القديم و طبعاً الى تنظيم صناعة الزنك تنظيما محمد العمودة التجاوة المعقودة في السنة ١٨٣٠ وبعد معاهدة التجاوة المعقودة في السنة ١٨٣٠ وبعد معاهدة التجاوة المعقودة في السنة ١٨٣٠ كان مناخ البدان الحدد الاكبر من ارباب صناعة الفولاذ الفرنسية، وبالاختصار اذا مساكان مناخ البلدان الحديثة العهد في الانتاج الكبير اكثير ملاءمة للحصر و فسان الحصر يبدو تلقائيا وكأنه تدبير دفاعي غريزي لاتقاء الاخطار يُتخذ اثناء الصراع الذي يقوم بين مؤسسات متفاوتة القوى .

تماظم دور مقرض المال واتسعت في الوقت نفسه المسافة بين المتمهد والمسام . وربحت الشركة المساهة على حساب المشروع الفردي او العائلي ، بحيث قسامت صلات وثقى بين مؤسسات الفرع الواحد ومؤسسات الفروع المختلفة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان التجمع المسرفي كان شرطاً ونتيجة مما لادارة رأس المال ؛ وقدولد بدور والتجمع الصناعي والتجاري . ولكن الاتفاقات قد نجمت على الرغم من ذلك من تنسيق جغرافي النشاطات سهله تقصير المسافات وتوسيع الآفاق . وقد استهدفت بصورة طبيعية تحسين تنظيم الفمل بتجمعات جديدة تشيح مطابقة العرض على الطلب مطابقة اكثر دقة . وهذا ما عبرت عنه مفردات خساصة : وموافقة حكرام الاخلاق ، و دالشراكات ، اسواق البيع ، الجمعيات ، النقابات ، الاستثارات ، التجمع العمودي ، الانصهار ، الضم .

و ان مستقبل فرنسا لا يختلج بعد اليوم في شارع سان - دنيس ' الرجوه الرأسالية الكبرى وساحة و غريف ' الارض الكلاسيكية لاندلاع الثورة ' بـــل في شارع فيفيان وساحة و فندوم » ' عند و بيرير » وعندكم » . (من رسالة و جول فاليس » الى جول و ميريس » ' ١٨٥٧) .

يتوقف النجاح على الانسان الذي يقهو الزورق أذلك و الانسان المسكوني، الجريء والمتبصر القادر على التضعية بصحته وماذاته اليومية اسمياً منه وراء القوة المادية والمال اوقتناعاً بأن عليه ان يلمب دوراً مفيداً وبأن على المجتمع عدم مطالبته بالمظمة والثروة لانه يعمل التقدم العام ويوزع المهام ويستطيع ان يظهر بعظهر نصير الانسانية . وقسد اعرب له جوريس عن تقديره واحترامه : و ان في الانتاج البورجوازي وقوته وتجدده التقني المستمر ومسؤولياته المتجددة ابدا لداقعاً عظيماً لطاقات العمل عند من يشرفون عليه » .

تمايشت الفئات الرئبسية الثلاث تعايشاً كاملاً : التاجر الذي تقلقه بصورة خاصة حاجات

السوق وامكاناتها (الرأسمالية التجارية)، والصناعي الذي يستنزف نشاطه في الحقل التقني (الرأسمالية المالية المليم مرحلة المؤسسين ، التي قسة الميها مرحلة ثانية تعرف بمرحلة الحققين . ولا شك في ان عباقرة الاجيال السابقة غالباً منا اصبحوا آباء لمسلالات كبرى ، ولكن استثمار طريقة او فكرة او موقف قسد يؤدي في كل آن الى بروز مؤسسين جدد . وغالبا ما انحدر حديثو المهد بالثروة من اصل وضيع : فاذا مسا ذكرت اميركا و روكفار ، و و وفاندربلت ، كابني فلاحين ، و و كرنجي ، كابن حائك ، و هماريان كابن راع مموز ، واذا كان و سلفردج ، ، مؤسس الخازن الكبرى في شيكاغو ثم في لندن ، قد بدأ حياته خادما في ميدان السباق ، فان هيريو و شوشار كانا بائمين عاديين قبل ان يؤسسا الدولوفر ، و وجاندورف ، و وتياتس ، و «ورتهايم » مؤسسي الخازن البرلينية الكبرى ، قد كانوا من قبل اصحاب حوانيت صغرى ، شانهم في ذلك شان بوسيكو ؟ كان وباس » ، ملك صناعة الجمة الانكليزية ، كان حوذيا ، و وجوسنغ ماسون ، الذي اسهمت ريشته المعدنية في اثراء مناعا ما خوالا في الطرقات والارياف .

بيد ان غيرهم قد تحلى بثقافة تقنية وحتى علمية : بسمر، أميل راتنو ، سيمنس . وقد تردد معظمهم في المرهم قبل ان يهتدوا الى الطريق التي سيجدون فيها الشهرة والثروة . ودان بعضهم <mark>بال</mark>كثير للحروب والازمات التي اتاحت لهم تحقيق <mark>مضاربات</mark> جريئة . ولكن لكل <mark>الفروع</mark> «مفامرها الفاتحين » : فان براسي قد فرض نفسه متعهداً للخطوط الحديدية ، وجوزف طوم في البناء ٬ وموند في صناعة ملح القلي ٬ وكوهلمن وبيشيناي في صناعة الكلور ٬ و رياز في العمل الفندقي ، وبولنك في المصنوعات الصيدلية ، وكروسلي في صناعة طنافس هاليفاكس ، و وورث وغيلدرو و باكين في الخياطة ، و مارينوني في الطباعة وغوردون بنت و ويلميسان و مياو و جان ديبوي في الصحافة ؛ وما زلنا نتذكر كبار بنائي السفن من أمثال كونار و اسهاي و ويلرايت وپورن و الان و رود ولکن « هېوليت رورمس ، هو من زود مرافيء التموين <mark>بالفحم الح</mark>جري ، وجدد « بوتين ، طرائق تجارة الافاويه ، ولكن لويس <mark>دريفو</mark>س قد اضطر لان يفسح مكاناً لـ « بيرير » وهنري جرمان وتشرنوسكي و لازار . وغني عن البيان ان المؤسسات الموطدة الاركان قد حافظت على مستواها او استمرت في سيرها الصاعد احيانا . وما زالت كذلك في سيرها الصاعد اعمال عائلة روتشيلد التي لم تترك فرصة تفوتها دون استثار اموالها ؛ واذا ما تقهقر مصرف بارينغ الشهير قديماً فإن تقهقره لظاهرة استثنائية . وقد توالت اجيال عدة عند آل شنيدر و وندل و دميدوف وكروب في الصناعة المعدنية الثقيلة وآل بوجو وجابي وكوشلين في الصناءات الآلية ، وآل دولفوس وشاومبرجيه في خيوط الخياطة وآل ميكيليه ــنوبلو في الصناعات القطنية المختلفة؛ وآل سان في صناعة الانسجة الكتانية والحبال؛

وآل هاربلاي في صناعة الورق ، وآل فيلورين في انتاج الحبوب ، وأل حنسي وكوذنيه وكال التاج الحبوب ، وأل حنسي وكوذنيه وكواننيه وكوانتو و برنو في صناحة المشروبات . ويلفت الانتباء كفلك الن توظيف الاحوال في الاملاك النير المنتولة ما زال سرخوباً فيه جداً : ففي نيويورك كدس استور ووجويت ووالت طائة ببيع الاراضي للبناء ، في سمال ان ارستوقراطية الاحمال في أوروبا قد ابتاحت التصور واعادت تذهيب اشعرة الشرف القدية .

ما كان مؤلاء العظهاء ليستطيعوا شيئا الا بتجنيد الجسامير تبنيد اليد العاملة الماجودة المراجة المحرمة على بيع طاقتها العملية. وبفضل هجرة الارياف الواسعة تعباً جيش الماجورين الذين هاجر بعضهم الى اميركا ودخلوا في خدمة مشاريعها . زد على ذلك ان المرتكز الى الكسب قد أبعد الوسط الزراعي عن الاحمال التي تستهدف مجرد سد الحاجات الاولية ، وان توسع المدن قد أبعد نشاطات موافقة لنوسع الاسواق .

اذا كان نظام الاجور مرتبطاً بالنظام الرأسمالي ، فرد ذلك الى ان هذا الاخير يمتبر قوة العمل سلعة تخضع لسنة العرض والطلب . واغا عيل مذهب الحرية الاقتصادية الى تأمين العمل يهذه السنة . لا بل ان ماركس ، الذي عاش العمراع المتكرر ضد النظام التماوني من جهة ، وضد الرق والفدادية من جهة اخرى ، قد استخلص من ذلك ان استثار الماجور يفسر الكسب الرأسمالي . وقد استطاع تو كفيل ان يكتب ما يلي : و ماذا نفعل حين غنسم الزنوج مؤقتاً من امتلاك الارض ? اننا نضعهم في موقف العامل الاوروبي ، اما كورنو فقد شك في ان النيرة على الاعتناء بخير البشر ستفلح في التوصل الى إلفساء الرق . بيد ان العبودية كانت تبدو منافية للاستثار الموسع الذي يستجبب لمتطلبات الفرب . والدليل على ذلك ان المطالبة بالفاء الرق لم تجد سنداً اثبت من اوساط الاعمال ؟ فان ستيفنس الصناعي المشهور من بنسيلفانيا ، و و جاي كوك ، الصير في ومؤسس شركة الباسيفيكي الشمالي هما من ادارا عملية تجديدالبناء . وهذان الرجلان كوك ، الصير في ومؤسس شركة الباسيفيكي الشمالي هما من ادارا عملية تجديدالبناء . وهذان الرجلان نفساهما هما من استصدرا قانونا غايته اعمار الغرب بالمستعمرين الاحرار . ولذلك فان الاقتصاد الرأسمالي ، الذي توفرت لديه وسائل الانتاج ، قد استطاع دون غيره تجنيد الفسلاح المبعد عن الرأسمالي ، الذي والعبد السابق والعبد السابق والعبد السابق والعبد السابق الجردين عن الاراضي .

حدثت في منتصف القرن فررة تجارية حقيقية . كانت الرأسمالية منطقية حرية المقايضات مع نفسها ، فأرادت تحطيم المواثق القائمة في سبيل حركة انتقال البضائع انتقالاً حراً . فحدث تيار قوي يقول بحرية المقايضة في الفترة الممتدة من السنة ١٨٤٠ حسس السنة ١٨٤٠ وهي الفترة التي تحقق فيها ارتفاع سريع في حجم المملاملات ، وانتشار التسليف وغو وسائل المواصلات . وهي بريطانيا المظمى ، المتمتمة بمركز صدارة لا ينازعها اياه منازع في حقول المال والتجارة والتقنية ، التي اعطت المثل بسلوكها هذه الطريق ؛ فمدرستها المكشسةرية هي التي قامت مجملة ناشطة من اجل سوق عالمية موحدة ، مستندة في دعاوتها الم

الفوائد التي يجنيها السلم والتقدم - المرتبطان ارتباطاً وثيقاً على كل حال - من تضامن اشد قوة بين الشعوب والافراد على السواء بفضل تنسيج العمل تقسيماً مبنياً على العقل .

اجل كان محتوماً لمثل هذه الحركة أن تصطدم بالروح القومية . ولكن التجارة الحرة ، بشكل مهاهدات مجارية تفرض تخفيضاً ملوساً على رسوم الاستيراد والتصدير ، قسد وافقت الدول الصغرى – بلجيكا وهولندا – التي تعيش من تجارة مرور البضائع . لا بل ان اسبانيا وروسيا نفسيها قد تخلتا عن موقفها المتصلب المعاكس . ولكن فاتحة عهد الاتفاقات الناصة عسل المقايضة الحرة تعود في الواقع الى الانقلاب الجمركي الذي قام به نابوليون الثالث ضد مجموع ارباب المهن المتسكين عدهب حاية الصناعة الوطنية .

ان هذه السياسة التي شجعت المقايضات بين الدول وكانت حافزاً لنجديد التقنيات ؟ قد كانت في الوقت نفسه بمثابة ناقوس نعي و الحصرية ، المزعزعة قبلا . ثم خطت بريطانيا المظمى خطوة اخرى الى الامام ، فألفت الحقوق التفضيلية ؛ ومالت الى منح المستعمرات و الحكم الذاتي ، فواقتت حيالها على معاملة الباب المفتوح . ثم زالت و الحصرية ، الفرنسية بدورها بعد السنة ١٨٤٨ . فزالت شركة الهند الانكليزية من الوجود بعد ثورة الجنود البديسين . وعلى غرار نظام الامتيازات الذي بموجبه منحت الامبراطورية العثانية والفرنجة ، بعض الحصانات ، فتحت الدول الآسيوية ابوابها تحت ضفط الاوروبيين السلمي او المسلح . وفي الانجساه نفسه حلى الميل الى الباب المفتوح - عدلت دولة الكونفو الحرة في السنة ١٨٨٥ عن قرض اي رسم على دخول البضائم الاجنبية . وحتى في السنة ١٩٥٦ سنرى وثيقة و الجزيرة ، حسول مراكش دخول البضائم الاجنبية . وحتى في السنة ١٩٥٦ سنرى وثيقة و الجزيرة ، حسول مراكش دستوحى فكرة المقايضة الحرة .

وعن طريق الاتفاقات الدولية سوي حبياً عدد معين من المسائل التقنية والاقتصادية التي تهم مجموع الامم . فقد تأسست سبعة أجهزة دولية قبل السنة ١٨٥٧ – بما قيما لجنة الدانوب الاوروبية التي تأسست في معاهدة باريس في السنة ١٨٥٦ ؛ ورأت النور ١٢٨ لجنة بسين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٩٠٠ . فنجم عن ذلك قيام اتحادات دولية كان عددها ٧ في السنة ١٨٦٤ ، ثم اصبح ٣٣ في السنة ١٩١٤ . وكانت هذه الاتحادات في البده اوروبية في الدرجسة الاولى ، ثم شملت او استهدفت شمل كافة اقطار العالم . وقد عني معظمها بالمواصلات وانتقال البضائع . أما أول انفاقية من هذا النوع فهي الاتحاد التلغرافي الذي تأسس في السنة ١٨٦٥ . وفي السنة ١٨٥٠ . وفي السنة ١٨٥٠ . وفي السنة ١٩٥٠ . وفي السنة ١٩٥٠ . وفي السنة ١٩٥٠ . وفي السنة ١٩٥٠ . وفي المدول ، وفي احد المؤتمرات اختيرت باريس مركزاً لاتحاد من اجل توحيد النظام المتري بسين الدول ، وأقر في اتفاق آخر تنظيم الطرق البحرية . وعقدت مؤتمرات اخرى ، من اجل الكونفو في وأقر في اتفاق آخر تنظيم الطرق البحرية . وعقدت مؤتمرات اخرى ، من اجل الكونفو في ولين (١٨٨٤ - ٥٥) ، ومن أجل تدويل قناة السويس في القسطنطينية (١٨٨٨) .

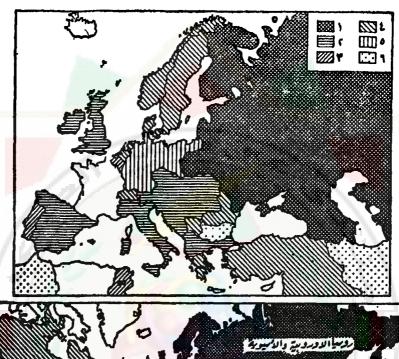
اذا كانت التجارة بين الدول تقدر بمليارين ونصف المليار حوالي الحركة العالمية الدائرية المعايضات السنة ١٨٠٠ ، فقد ارتفعت الى ٢٧ ملياراً في السنة ١٨٠٠ والى ١٠٠ في السنة ١٩٠٠ . ويقدر الحبراء ان معدل التجارة في بريطانيا العظمى قد ارتفع خــلال قرن من ١ الى ١٤ ، وفي قرنسا الى ١٥ ، وفي ألمانيا الى ٣٤ ، وفي الولايات المتحدة الى ١٤٩ . الا أن بريطانيا العظمى قد احتفظت بالمركز الاول باحتكارها سدس مجموع المعاملات التجارية العالمة .

ولدت المنافسة وتقسم العمل اتجاهين أساسين . فكان هناك أولا نوع من التوزيع الافقي النشاط بين الدول المتطورة صناعيا ؟ وكان ذلك نتيجة عجز كل منها عن أن تكفي نفسها بنفسها ؛ فان فرنسا وبريطانيا العظمى مثلا قد تبادلتا شراء الكثير من المستوحات الرائجة. ثم حدث تقسيم عمودي العمل : فمن جهة طلبت اوروبا من القارات الاخرى الخامسات الزراعية والسناعية ، بغية تحويلها بنفسها ؟ ومن جهة ثانية زودت الدول الجديدة النامية بالمستوحات . وقد سهل توظيف رؤوس الاموال هذه الحركة الدائرية ، لأن رؤوس الاموال تنشط استسبار المناطق المتخلفة وتزيد من قدرة سكانها على الشراء . وجملة القول ان العالم كان سائراً في طريق التحول الى مجوعة اقتصادية رحيدة عظيمة مرتبطة بالرأسمالية الاوروبية ، وانسه جاز البريطانيين الاعتقاد بأن موقفهم خير موقف لجني خير الثار من مثل هذا النظام .

إعلام واسع وإعلان ناشط والحاجات، ولكن الجهاز العظمى الى معرفة السلع التجاريسة والحاجات، ولكن الجهاز القادر على تجميع كافة المعطيات لم يكن مترفراً. فقد انشئت دوائر استعلامات في لندن أولا ، ثم في نيويورك وباريس ؛ وتوفر ابرلين مد ومد و ٧٥٠ جذاذة في السنة ١٨٩٠. وعقسدت مؤتمرات الاحصاء الاولى وتناولت موضوع المعارض عندما سنعت الظروف. وابرزت صحف عديدة كاله اقتصادي » (ايكونومست) و « صحفة الاقتصادين » ، و « الاقتصادي الفرنسي » معلومات ومستندات وفيرة. وفي السنة ١٨٧٩ عقد في يروكسل مؤتمر للجغرافية التجارية .

كانت السوق الدورية ، من قبل ، ملتقى الشارين والباعة . ثم تلاشت اهميتها ولم يبق منها حوالي السنة م 190 سوى سوق الناذج وسوق العرض . ومرد ذلك الى ان التفاوض في المعاملات النجارية اصبع بجري في المصافق أي في اجهزة داغة تقرر فيها الصفقات نقداً ولآجال مسنة في الدرجة الاولى . فعقد البيع المؤجل قد نظم المعاملات التجارية التي تتناول كميات كبرى من السلع بين اطراف تفصل بينهم مسافات كبرى . ولكن المضارية قامت الى جانب وظيفة المصنق الطيعية ، من حيث أن البائع يرجح تدني الاسعار لأنه يكسب عند التسلم ، بينا يحسب المشاري حساب مكاسب الارتفاع ؛ ومما يؤيد ذلك أن التفاوض غالباً ما تناول سلفاً وهمية وكان أشبه ما يكون بالمراهنة . فقد تناول التفاوض حصيد قمح أو قطن مقبلا ومنسوجسات أو مصنوعات معدنية لم تخرج بعد من المصانع . ومنذ السنة ١٨٤٤ ، مست الحاجة في لندر الى

تشييد بناء لـ « لمقايضة الملكية » بغية التخلي عن البناء القديم لـ « مقايضة المخزونات، ثم تأبسنه التخصص شيئًا فشيئًا ! فتقرر مصير القطن في ليفربول والهافر وبريمن ونيويورك ومصير الحرير





شكل رقم ١٠ ـ الثروة الفرنسية في الحارج ١ ، توظيف لكثر من خمس مليارات ؛ ٢ ، بين مليار وخمسة مليارات ؛ ٣ ، بين ٥٠٠ مليون ومليسار ؛ ٤ ، بين ١٠٠ مليون و ٥٠٠ مليون ؛ ٥ ، بين ٥٠ مليونا و ١٠٠ مليون ؛ ٦ ، اقل من ٥٠ مليونا . « نقلا عن التحقيق الذي اجري في السنة ١٩٠٢ »

في ليون وميلانو ، ومصير الحبوب في انفرس ومرسيليا وشيكاغو . وكان من عدد العمليات في لندن ان مراكز الاجتاع قد تكاثرت : فقصر الهم في « مسارك لاين » على الحبوب ، وفي

و منسخ لاين ۽ على الشاي ، النح . و في ما مضى ، اختلف سعر الحبوب بين منطقة انتاج واخرى: ولكن التجارة الكبرى توصلت شيئًا فشيئًا الى فرض الاسمار وفاقاً للحصيد والطلب العالمين . ومن ضفاف اله و ميشيفن ، الى ضفاف اله و مرسي ، ، ومن مونتريال وسيدني وبوينوس ايرس الى لندن اعطيت المعارمات يومياً ، بواسطة التلفراف ، حول اهمية الخزونات والحساصيل المرتقبة وطلبات البضائع والاسمار المتداولة . وركزت مؤسسات الحرير اهتامها على ظروف الصناعة ، التي غدت بمثابة تعكيم تقني حقيقي في موضوع النوعية .

وتماظم دور الوكالات. فسارت و هافاس ، قدماً في طريقها الصاعدة: وقد توصلت شبكة فروعها ، التي كانت على اتصال تلفرافي يومي بالوكالة الام الى ضمالصحافة الفرنسية في الولايات. وغدت و رويتر ، في لندن اكبر جهاز اخباري في العالم : فان الابن الثالث للحاخام وامرائيل بير ، قد امن الحدمة بين الماصمة الانكليزية والبر الاوروبي منذ السنة ١٨٥١ ؛ وفي السنة ١٨٥٩ فاز بموافقة صحيفة ال و تايس، على نشر البرقيات حول الحرب الايطالية ؛ وخلال حرب الانفصال اعطى الاخبار بواسطة مركب بخاري يلاقي السفن الآتية من اميركا في عسره البحر ؛ وفي السنة ١٨٦٦ استحصل على امتياز حيل سلكى يصل لنسدن بالهند مباشرة.

كان و بارنوم » مثال المعفرة العصري ، وربا عاد اليه فضل ترويج اللون الاعلاني : فبعد ان عرف و طوم بوس » الشهرة بواسطة الدعاوة ، دون آراءه حول من جمع الثروة باستغلال فضول البشر وسرعة تصديقهم المفرطة (و خدائع العالم » ، ١٨٦٥). فلجأ الثلاثي و موريسوف » - و بار » - و هولواي » آنذاك الى الاعلان لتمجيد الاقراص الدوائية ، وزاد و غور دن بنيت » من نسخ صحيفته و نيويورك هارولد » بفضل ادراجات يشتبه في مغزاها الاخلاق ، ودان اميركي آخر هو و سلفردج » للاعلان الصاخب بنجاح بخزنه في ساحة لندن ، وقابل الدعاوة لصابون و بير » الدعاوة لصابون طرائق جديرة ب و بارنوم » لتصريف شايه في الاسواق الانكليزية . وقد اشمأز كثيرون من المصباح السحري الذي عكس على عموه نلسون دعاوات للساعات او المواد الصيدلية . فدخل الاعلان نهائياً في الاعراف الصحفية التي نلسون دعاوات الساعات او المواد الصيدلية ، فدخل الاعلان نهائياً في الاعراف الصحفية التي السهم في افسادها اسهاماً كبيراً » ولحكنه لم يسد مسد المقال المدفوع الذي كان يخدم ، محجد الاعلام ، هذه الصفة التجارية او تلك ، فاستمر الاستيلاء على الرأي المام بواسطة المال .

وقد جندت الرغبة في هذا الاستيلاء كذلك البيانات والجداول الاعلانية السيقي وزعت في الهارق العامة او ارسلت الى المنازل . فلا عجب من ثم اذا ما علمنا بأن طوماس هولواي كرس نعف مليون دولار لتعريف الاميركيين بأقراصه الدوائية في السنة ١٨٥٠ . فهل يجب ان نوفض شهادة الراعي الالماني الذي ذكر انه استلم ١٣٥٥٧ صفحة من المنشورات التجاريسة في السنة ١٨٥٠ ؟ ان من المسلم به ان الدعارة في فرنسا حوالي السنة ١٩٥٠ قد كلفت زهاء ١٠٠ مليون خصص اربعون مليونا منها للاعلانات في الصحف . ولكن الاعلان قسد غزا المناظر الطبيعية . فبواسطة الاعلانات المعلقة على الجدران مفرض الاعلان فرضاً على البصر في شوارع

المدن والطرقات وقاعات الاجتاع والمسارح . فقد اعتبر الاعلان الملق اداة نظرية للدعاوة وقد ولد بولادة الطبع على الحجر ومكابس الطباعة الكبرى ، وبدافع الرغبة في مقابلة الانتاج الكبير بتوزيع كبير على مستواه . فكان الاعلان مزعجاً بملازمته للرائين ولكن أثره الجماعي كان عظماً حداً .

كانت الرأسمالية الاوروبية في موقف المسلف الجليل الفائدة . اجل ان منطوياً على اخطار كثيرة ؟ ولكنه قد وفر لهسا دخولات كبرى وسمح لها في الوقت نفسه بتنشيط الحركة التجارية الدائرية . فكان من ثم عده صغير جداً من البلدان بمثابة صيارفة للدول الاخرى لقاء دخل تقتطمه منها . وباستطاعتنا تقدير هذا الدين به ١٥٠ ملياراً حوالي السنة ١٩٠٠ يعود اكثر من نصفها الى بريطانيا المطمى . وقسه توزع قرابة ثلث الاوراق التجارية الفرنسية في الخارج . ويجدر لفت النظر هنا الى ان توظيف الاموال في المستمرات لا يمثل سوى نسبة مثوية فسئية جداً .

كان التعويض الفرنسي لألمانيا مفيداً لمشاريع الحكومة الألمانية في الدرجة الاولى ؟ ولكن حصيلة التوفير الجرماني ، بعد أزمة السنة ١٨٧٧ ، ولا سيا بعد السنة ١٨٨٠ ، قسد سلكت بالتفضيل طريق الحارج (وقد تشكى بسياراك نفسه من ذلك لدى مصرف و بلايخرودره) : فقد المجهت اما بشطر الولايات المتحدة او اميركا اللاتينية ، واما شطر اوروبا الوسطى المجاووة ، واذا بدأت الولايات المتحدة تصدر الرساميل الى اميركا اللاتينية ، فان المال الاوروبي ما زال يستثمر فيها. ولما كان المكتتب البريطاني منقسباً على العموم الى الطبقات الاجتماعية الميسورة ، وواقفاً على وضع السوق التجارية ، فقد ساند ، في اوروبا وسواها ، معظم المشاريع التي تتطلب مصنوعات بريطانية . فهو قد فكر ، قبل السنة ، ١٨٥ ، بوسع افقه واهتم اكثر فأكثر بالبسلدان المتامه منذ ذلك الحين بأميركا . ومنذ السنة ، ١٨٥ ، توسع افقه واهتم اكثر فأكثر بالبسلدان وعستعمراته .

ما زالت بعض رؤوس الاموال المتوفرة توظف في انحاء اوروبا ، وقد سارت في الجماهسين منفصلين هما الشرق والجنوب اللذان كانا اعجز من ان يجهزا بالادوات بوسائلها الحسساسة ، ففي الشرق اصبحت الامبراطورية الروسية ، منذ السنسة ١٨٨٠ ، المستعمرة الأوروبية الرئيسية للرأسماليين الفرنسيين .

ان الشرق لميدان عمل واسع : مشاريع خطوط حديدية ومرافى، ومناجسم ، وقروض للحكومات الفقيرة ، وعمليات اخرى كثيرة ، مفرية ومحفوفة بالاخطار معا ، قد تنجم عنها ملابسات سياسية شتى . وكان هنالك ميدان مفضل آخر للمسلفين : امسيركا اللاتينية حيث احرزت سوق لندن تقدماً ما زالت تحافظ عليه . اما الشرق الاقصى فقد كان له سحره القوي على الرغم من بروزه متآخراً ؟ وهنا ايضاً كانت السيطرة الندن .

وحبذا لو نستطيع تقدير النفوذ الذي توصلت اليه المؤسسات التجارية الكبرى في البلدان التي . عملت فيها : فانها كانت دولا حقيقية داخل بعض الدول .

ادمات الراسالية بحتمية الازمات الدورية التي تلازم نظاماً محكم على نفسه بالاكثار من بحتمية الازمات الدورية التي تلازم نظاماً محكم على نفسه بالاكثار من

الانتاج احياناً بقعل اقتطاعه الارباح من اجور اليد العاملة . لا بل برهن ماركس والمجلز ان الراسالية منتهية حتماً الى الاضمحلال بقعل متناقضاتها . وقد مثل دجوغلار» الازمات بمراحل الانتقال من عهود الازدهار الى عهود التقهقر التي شبهها « باريتو » و « والراس » » تلميسة « كورنو » » بالحركات التذبذبية . وقد عزاها « جيفونس » انذاك لاسباب كونية .

بدت الظاهرة وكانها حركة دورية ، يتألف الدور فيها من مرحلة مؤاتية ومرحلة غير مؤاتية ويستفرق عشر سنوات تقريباً. وهذا ما حدث منذ السنة ١٨٥٥ ؛ وهذا ما سيحدث بعد السنة ١٨٥٠ ، اذ تماقبت الازمات الحنامة في السنوات ١٨٥٧ ، و١٨٦٠ و١٨٩٠ ، و١٨٩٨ ، و ١٨٩٨ – ١٨٤ و ١٨٩٠ . ولكن بينها كانت الازمة ، في السنة ١٨٤٧ ، ازمة نظام قديمة او ازمة من الطراز السابق الرأسمالية ، التي تبرز في القطاع الزراعسي اولا والتي يكون عاملها الرئيسي افتقاراً الى المواد الغذائية ، نرى على نقيض ذلك ، في السنة الاراساني يكون عاملها الرئيسي افتقاراً الى المواد الغذائية ، نرى على نقيض ذلك ، في السنة الاراساني يفسه هو ما تحل به الازمة قبل غيره ، في اهم مركز من مراكزه ، المهامة و والتجارة ، واخيرا الارياف . وقد بدا ان الازمة تنشأ ابدا من افراط في المضاربة يتسبب في النيار مصرفي جزئي .

فهل كانت الازمات ازمات نمو ، مفيدة بعض الشيء ، وعاجزة على كل حال عن ايقاف النظام الرأسالي في سيره ؟ ام ازمات مشؤومة وسيئة العاقبة لا تترك طبيعتها المزمنة اي شك حول نهاية الرأسالية ، باعتبار ان فترات الانطلاقة ليست سوى هنيهات سريعة الزوال ؟ ومها يكن من الامر فقد اتفق الاحرار والاشتركيون على ملاحظة انخفاض معدل الفائدة وحساجة السوق الملحة الدائمة الى التوسع : وهو تطور يرافق التقدم الاقتصادي في نظر الاولين ، ويؤدي الى اشد التسلطات خطراً على مستقبل البشرية في نظر الاخرين .

التقلبات الطويلة الامد السنوات الجيدة ١٨٥٠ ـ ١٨٧٣

بعد هسيزات السنة ١٨٥٧ والسنة ١٨٦٦ ، استؤنف العمل استثنافا بيناد ولكن الاسعار تدنت تدنيا حقيقيا بعيدازمة السنة ١٨٧٧ ، ولم ترتفع نسبة الفائدة بعد انخفاضها ، واستمر

الهبوط في الاوراق النقدية والهبوط في الارباح بصورة عامة . فقارن المعاصرون عصرهم بالعصر الذي سبقه وتساءلوا عن معنى انقلاب على مثل هذا الوضوح والتبادي في الاتجـــاء . فعاودت سكان الارياف ، الذين عانوا من هذا الهبوط اكثر من غيرهم ، ذكرى والسنوات الجيدة » : التي

سبقت الحرب الاهليّة بالنسبة للمزارعين وأصحاب المزارع في اميركا . وعلى الرغم من استقرار السلم في اوروبا ، فقد بدا لعالم الاعمال ان الاعمال كانت اكثر سهولة قبـــل السنة ١٨٧٠ ؟ ولم يعكن الفلق الذي أثاره السباق الى التسلح ليفسر الجمود السائد .

فاذا ما درسنا الاسمار ، استطعتا الخاوص الى وجود مرحلة استثناف عسل تعقب مرحلة المبوطالتي عرفها الربع الاول من القرن ، وتبتدىء بعد ازمة السنة ١٨٤٧ – ١٨٤٨ لا بل قبل ذلك في انكلترا . ويظهر الخط البياني المنحني المخفاضاً يكاد يكون مستمراً ، ثم ارتفاعاً قوياً بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ يليه تقلبات بقيت اسعار البضائع معها اعلى منهافي المرحلة السابقة (١٠٠ واذا اتخذنا المعدل ١٠٠ اساساً السنة ١٨٥٠ في فرنسا ، كان معدل مجموع الارباح ٣٥٨ ومعدل الارباح المناعية ٢٥٦ ، ومعدل الارباح المناعية ٤٥٦ ، ومعدل الارباح المناعية ٤٥٦ ، في السنة ١٨٥٠ . ولكن الحركة كانت عائلة في كافة البلدان الغربية .

لوحظت آنذاك حركة تجارية ناشطة ؟ فسالت مياه نهر الحرية الاقتصادية غزيرة ؟ وبدا غو الاسواق السلمي امراً بمكناً بسبب توفر وسائل الاثراء دون اثارة الاطهاع . وانطوت الاساليب الاستمارية نفسها على مزيد من الرفق والتلطف . فعرف هـنا المهد بالمهد المنشساري . وعلى الرغم من الازمات العابرة والحروب ، التي ربحا اسهمت في غو الانتاج والاستهلاك على كل حال ، فان المناخ العام ، الذي كان مشجعاً ، قد حل على التفاؤل .

هبوط <mark>السن</mark>وات ۱۸۷۳ ـ ۱۸۹۰ ونهایة الموجة ۱۸۹۵ ـ ۱۸۹۵

انحنى الرمم البياني للاسمار مرة اخرى بعد السنة ١٨٧٣. فتكاثرت الدلائل المكدرة: مزيد من المنافسة حول سوق يبدر نشاطها مصاباً بالضعف والارتخاء؛ تدن جلى في الطلب

بالنسبة للمرض ؛ هبوط نسبة المكاسب ؛ وجدير بالانتباه ان هذه الرقائم الثلاثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً . وأبطأت في الوقت نفسه حركة الدخل الحقيقي للشخص الواحد التي لوحظت منذ السنة متفوقاً على الطلب بفضل النجاحات التقنية ؛ لا سبب وأن القيمة الشرائية لم ترتفع ارتفاعاً كافياً متفوقاً على الطلب بفضل النجاحات التقنية ؛ لا سبب وأن القيمة الشرائية لم ترتفع ارتفاعاً كافياً بسبب استثار اليد العاملة استثاراً مفرطاً . وأدى بروز البلدان الحديثة الى اشتداد المنافسة ، فتضرر منتج الارياف بصورة خاصة بسبب اقتقاره الى الادوات المتفنة : فأدى المخفاض المحاصيل الريفية الى انخفاض المحاصيل الريفية الى انخفاض سأمل سريع الخطى . وصحدت الاجور في البدء صوداً دونه صودها خلال الفترة المقابلة التي دامت من السنة ١٨١٥ حتى السنة ١٨١٨ : ولم ترتفع الاجور الاسمية ارتفاعاً مطرداً فحسب ، بل لوحظ ارتفاع الاجور الحقيقية ايضياً . الا ان الازمات الدورية كانت مطرداً فحسب ، بل لوحظ ارتفاع الاجور الحقيقية ايضياً . الا ان الازمات الدورية كانت على المامل ورب العمل على السواء . فكان على المشروع ان ببذل جهداً توفيقياً كبيراً ،

⁽١) راجع الرسوم البيانية في الصفحات ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ .

بالسمي وراء انتاجية مازايدة ، واعادة التنظيم لجهة التجميع ، وتوسيع العمل. واشتدت حدة العراع من اجل التصريف في الوقت نفسه الذي اشتدت فيه حدة المركة الاجسماعية . ولكن التغييرات المدخلة على الادوات ووسائل العمل انقذت مؤسسات كثيرة : فان معمل « هولنز » للغزل ، في احدى ضواحي « نوتنفهام » ، الذي هبطت ربائحه من ٢٦ الى ٩٪ ، قسد تحول الى نسج صنف اسكتلندي جديد واستغنى عن الوسطاء بتعامله مباشرة مع الباعة بالتفصيل ؟كا ان معمل « فورتن » للغزل في « غنت » قسد جُهر بانوال جديسدة واستبدل آلات التحضير عملات آلية .

يتضح من ثم ان الهبوط الكبير قد استعجل التقدم التقني ودفع بالرأسمالية الغربية الى الضغط بزيد من القوة على مناطق العالم الاخرى .

يمب لفت الانتباه ؟ بالاضافة الى ذلك ؟ الى ان ارتفاع الاسعار ونسبة الفائدة في السنوات ١٨٥٠ حبر كان مربع الزوال . اوليس الانخفاض الذي ابتداً منذ السنة ١٨٧٧ هو مسالستماد حقوقه بعد السنة ١٨٧٣ ؟ لذلك فان الواجب يقضي بادخال مفهوم موجات تكاد تتجدد قرناً بعد قرن ؟ هي اعظم تمادياً من التقلبات الطويلة الامد . فيكون امامنا موجة جديدة تمتد من السنة ١٨١٧ حتى السنة ١٨٩٥ و وتشمل ٨٤ سنة تقريبا ؟ وتذكرنا بالموجة السني امتدت من السنة ١٨٧٧ حتى السنة ١٨١٧ و تميزت بارتفاع تطاول عهده جداً ؟ وبموجة اخرى ابعسلام المتدت من السنة ١٨١٠ عنى السنة ١٨٧٧ و تميزت بالانخفاض عموما . وربسا بلغت الرأسمالية الحرة ذروتها اثناء هذه الموجة تقريبا ؟ مستفيدة من النجاحات التقنية وتوسم الاسواق التجارية . وجملة القول ان كل ما حدث قد حدث وكأن النظام الاقتصادي ؟ بعد ان استفاد من تدني الاجور اولا ؟ ثم من تبدل الاجور بالنسبة للاسعار والمكسب خلال الارتفاع العابر ؟ قد وجد نفسه في موقف دقيق حين تدنت الاسعار والمكاسب مرة اخرى وصدت الاجور في وجه بالعبقرية الصناعية ؟ وسلك طريق التسلطية متحمسا ؟ ولجأ عند الحاجة الى الطرائق التي قسد بالعبقرية الصناعية ؟ وسلك طريق التسلطية متحمسا ؟ ولجأ عند الحاجة الى الطرائق التي قسد توحى مها الله القومية .

القومية الاقتصادية تستميد مكاسبها: العودة الى مبدأ الحماية

ان الهبوط الذي طال عهده من السنة ١٨٧٣ حتى السنة ١٨٩٥ قد كال الضربات القاسية للمقايضة الحرة . وعبشا حاول القائلون بهذه السياسة تقديم الادلة على ان الانانسات

القومية مسؤولة عن القلق السائد ، لأن توزيع العمل بين الدول ما زال ناقصا . اما الخصوم فقد نسبوا لها هبوط الاسمار والمكاسب . وكان الحدث الهام في هذا المجال تحول العناصر الزراعية الى مبدأ حماية الانتاج الوطني ؛ فجاءت آفة الكرم نفسها ، التي قضت على آمال الكرامين في فرنسا تدعم هذا المبدأ مثلا . فتحول كافة المستائين بأنظارهم نحو الدولة وطالبوا بمساعدة

موظفي جاركها . اما الحكام فقد استجابرا لنداءات هؤلاء المنتخبين دون صعوبة لأن الرسوم ستساعدهم على دفع نفقات الخدمات المامة والتسلح . يضاف الى ذلك ان الاوروبيين استطاعوا بذلك اتهام الولايات المتحدة التي استفادت من الرسوم الضئيلة لتعدير محاصيلها ومعنوعاتها ورفضت تسهيل بيع سلع العالم القديم . ولكن العصيان قام في وجه بلاد المدرسة المنشسترية : فمشت المانيا البسار صحية على رأس المتمردين ، وانتصر مبدأ الحسياية بسرعة نسبية حتى في بلجيكا ، ولم توفضه سوى هولندا وبريطانيا العظمى . وبينا كانت الحروب الجركية قائمة بين فرنسا وايطاليا ، وبين المانيا من جهة وروسيا واسبانيا من جهة اخرى ، وبينا كانت الولايات المتحدة تعزز تكراراً اجهزة الحاية ، قام حلف والتجارة السمحاء ، يحاول اقصاء والتجارة المرة عن وطنها الام .

وهكذا احتمت الرأسمالية الغربية في مواقع مذهب الحاية الدفاعية ، فأطلقت الحريسة المقومية وتميزت عزيد من التسلطية . أنه لصير محتوم ، سينتهي اليه البريطانيون انفسهم حتى ولو رفضوا التنكر الكوبدنية التي تتصل ذكراها ، بالنسبة لهم ، بذكرى عظيمة اخاذة .

فيتضح من ثم بعد البحث والتدقيق ان النظام الاقتصادي السائد في اوروبا واميركا الشهالية سينتهي حتما بالاولى ، وبالثانية من بعدها ، الى التوسع بفعل الظروف والاتجاه الطبيعي .

وهصل ويتاسع

الأستعمار الاوروبي ونشأة السياسا<mark>ت النو</mark>سعية الكبرع

« المستمعرات احدى ضرورات الحي<mark>اة العصرية ... »</mark> (فرنشسكو كريسي ، في ۲ <mark>آيار ۱۸۸۸)</mark>

 « إن المقياس الرحيد الواجب اعتماده في كل مشروع استعماري هو درجة فائدته ومجموع المائدات والمكاب التي يحب أن يدرها للوطن الام » .

(﴿ اُوجِينَ الَّيَانُ ﴾ ، مقال في الـ ﴿ ثَانَ ﴾ ، ١٨٩٧)

بعد القضاء على سيطرة الاسبانيين والبرتفاليين البرية في امير كا؛ لم يبق في منتصف القرن سوى امبراطورية واحدة عالمية حقا؛ هى الامبراطورية البريطانية ؟ فمعظم الممتلكات الهولندية

اتفاق الطووف القومية في اوروبا و<mark>الاس</mark>تعمار في منتصف القون

كانت مجموعة في جنوبي شرقي آسيا ، ولم تستطع فرنسا حتى ذلك التاريخ سوى التمكن هنا وهناك في بعض النقاط الدائرية من افريقيا واوقيانيا والهند الصينية . والحال توفق الاوروبيون خلال سنوات قليلة ، في النصف الثاني من القرن ، الى الاستيلاء على الشطر الاكبر من افريقيا (١١٪ فقط في السنة ١٨٧ ، و ٩٠٪ في السنة ١٩٠٧)، ومجموع الاراضي الاوقيانية تقريبا (٨٨٪ مقابل ٥٠٪) ، بينها تكونت نهائيا حدود الولايات المتحدة الواسعة في اميركا الشهالية . وإذا ما استثنينا المغرب وليبيا ، فإن المستعمرات الاوروبية قد تحددت آنذاك مما يقارب ثلاثة الحماس اليابسة واكثر من نصف سكان الكرة الارضية ، بصرف النظر عن اوروبا. لم تشكل المنازعات القومية حجر عثرة في سبل هذا التوسع . وإذا كانت الحروب الكبرى

التي نشبت بين السنة ١٧٩٢ والسنة ١٨١٥ قد اعاقت مؤقتا الجمود الاستماري الفرنسي

والهولندي ، قانها قد أدت من جهة ثانية الى توطيد الوجود البريطاني خارج اوروبا ؟ ويجبا انتظار السنة ١٩١٤ حتى نرى دولة تفقد مستمراتها حين ينقطع اتصالها بها . لا بل ان النصر الالماني في السنة ١٩٧٠ وقيام الملكة الايطالية قد استعجلا في الواقع ظهور تيار استماري قوي . فمن جهة افضت ادعاءات روما الى تحويل البحر الابيض المتوسط الى حلبة منازعات ؟ ومن جهة ثانية اسهمت السياسة الاميركية في تحريك رغائب الدول الاستمارية التقليدية ، ودفع فرنسا الى الانقضاص على افريقيا ، وروسيا على آسيا ، ووقوف فرنسا وروسيا مما ضد بريطانيا المطمى التي ما كانت لتقف موقف اللامبالاة من اقتسامات جديدة . ولعبت المصادفة نفسها دوراً هاما في ارشاد منافس جديد ، هو ليوبولد ملك بلجيكا ، الذي استفلها بمهارة ، الى طرق القارة السوداء . وبعد ان قطع قوزيع الانصبة شوطا بميداً ، اعلنت المانيا، ربما بعد فوات الاوان ؟ عن عدم رضاها واستهلت سياسة استمارية رهيبة .

بيد أن التوسع الاستماري قد صادف خصوما يناهضونه .

توزع القوى الوطنية . أفلم يبد نابوليون الفد الثالث هذه الملاحظة في السنة ١٨٤١ : و نحن نفقد الجزائر بحرب لا هدف لها...ان هذه الممتلكات النائية ، الباهظة الاكلاف في ايام السلموالمسببة المصائب في ايام الحرب ، تشكل سببا من أسباب الاضعاف ، و وقد قاوم حملة المكسيك شطر هام من الاعيان المحافظين والمعارضة الجهورية : وقد لاحظ المدعون العامون آنذاك ان الرأي العام يعتبرها و باهظة النفقات ، ... ولا نتيجة لها » . واتفقت احزاب اليمين والراديكاليون في عهد الجمهورية الثالثة على طلب منع ارسال الجيوش الى خارج اوروبا : فقد صاح كليمنصو في السنة ١٨٨٧ قائلا : ويجب الا نحاول ارتداء عنف اسم الحضارة الخداع ، . وفي السنة نفسها على بسارك في ال و رائيستاغ ، : و لن نعتمد سياسة استعارية ما دمت مستشاراً » . وقسد امتنم سواد البلجيكين عن مساندة ما انتواه الملك ليوبولد .

وغالبا ما استئند الى الاعتبارات الماطفية والانسانية ، ووقفت الاشتراكية موقف مماديا
بيتنا من السياسة الاستمارية لانها نظرت اليها نظرتها الى احدى طرائق الرأسمالية التسلطية .
ولكن يجب لفت الانتباه الى ان النفور قد تجلى زمنا طويلا في صفوف الرأسماليين الاحرار
بصورة خاصة . فقد اكد و ايف غويو » في السنة ١٨٨٥ : و اذا ما رغبنا في ان نمثل تمثيلارمزيا
ما كلفه من ضحايا الدوم ٢٥٠ مهاجر مستعمر الذين استوطنوا الجزائر ، لتبين لنا ان كلا منهم
يجلس على اربع جثث ويحرسه جنديان » . ولا يخلو من مغزى ذاك الاتجاه القوي الذي ارتسم
في بريطانيا العظمى بين السنة . ١٨٤ والسنة م ١٨٦٠ واستهدف شمل المستعمرات ب و الحكم
الذاتي » والتوقف عن كل فتح جديد ، وقسد كتب و دسراييلي » نفسه الى و ملمسبوري » في
السنة ١٨٥٠ : وكل هذه المستعمرات اللعينة ستصبح مستقلة بعد سنوات ، وهي بمثابة رحا

معلق بمنقنا » . وقد سلم « روجزز » امين سر الدولة لشؤون المستعمرات ، بأن « مصيرها الاستقلال » . وفي السنة ١٨٦٣ صدر كتاب « غودوين سميث » المشهور » (الامبراطورية » الذي اقترح فيه المؤلف انفصالاً حبياً بين بريطانيا العظمى وبعض البلدان ككندا واوستراليا . وفي كتابه » « المستعمرات » اعلن الرحالة الالماني العسالم باصول الشعوب » « ادولف باستيان » عداء الصريح الفتح الاستعاري . أضف الى ذلك الانطباع القوي الذي تركته قصة « ماكس جافلار » لا « ادوارد دوز – دكرز » الذي بسط » باسم « مولتاتولي » المستعار » تجساوزات طريقه « فان – دن – بوش » الاسمارية في الهند النيرلندية . اما السياسة السفية » والمتحفظة على كل حال » التي سيعتمدها « غلادستون » المنشستري » فلها ما يبررها على ضوء نفعية تجسارية عززت موقفها المعادي التسلطية الاستعارية نجاحات « الازمنة الجيدة » : فان استثار الثروات عززت موقفها المعادي التسلطية الاستعارية نجاحات « الازمنة الجيدة » : فان استثار الثروات العالمية لا يبرر البتة تملك هذه الارض أو تلك بوجب مبدأ قومي وحتى تحضيري » ولكنه يستازم منافسة حرة باعتاد سياسة الباب المفتوح . ولذلك كان كافياً أن يحمي « بامرستور . » ولكنه حرية البحار التي بغضلها تأمنت ثروة بريطانيا العظمى وكافة الشعوب المتطورة .

ابدى و كوبدن و هذه الملاحظة التي لا تخلو من الغم: و تتمسك ديرمة التعليد الاستماري الطبقة الوسطى بالمذهب الاستمساري تمسك الارستوقراطية والخطوط الاولى لمذهب تسلطي الطبقة الوسطى بالمذهب المين مدة و وتلك و . اما الحجاز فقد أسف على ان العال و يتمتمون بكل طمأنينة مع الراديكاليين المحافظيين والاحرار باحتكار النكاترا الاستماري وباحتكارها السوق العالمية و فقد ساد الرأي من ثم ان التخلي عن المستمرات عاقمة الانحطاط .

اهتمت الحلات المسكرية في النصف الاول من القرن بتنبية فرق الاختصاصيين المؤهلين المحرب والادارة في المناطق الحارة ؟ فأعد هذا الاعداد الجنود والموظفون المرساون الى الهند والجزائر الذين استفيد بعد ذلك من خبرتهم في مناطق آسيوية وافريقية اخرى . وقد تجددت تقاليد قديمة في كثير من العائلات الفخورة بالانتساب الى « رسالة الجندية » او « الحدمة » . وامنت الامبراطورية الثانية استمرار الجهود الذي ما زالت انكاترا تبذله اقله لتوطيد مراكزها . وقد جاهر بلمرستون بما يلي: « لا تتخاوا ابداً عن رأس دبوس محق لكم الاحتفاظ به وتعتقدون ان باستطاعتكم الاحتفاظ به وتعتقدون ان باستطاعتكم الاحتفاظ به وتعتقدون

ربما مت ذلك بصلة الى المفهرم التمديني للصليبية المسيحية ؛ السلمية او المسلحة . وكان هذا المفهوم قد استماد قوته بفعل الحماس الذي اثاره تبار القوميات . فبينما ما زالت بعض الشعوب منشغلة بهاجس وحدتها ، تولت شعوب أخرى رسالة اوسع آفاقاً . ألم يقسدم كيريافسكي على الشعوب الاخرى ، حوالي السنة ١٨٣٠ ، و الشعبين الفتيين الطربي العوده ، اي الشعب الروسي والشعب الاميركي ؟ اضف الى ذلك ان صدى السلافية الرومنطيقية الشاملة قد تردد في مؤلفات

«كاتكوف» و « أكساكوف» بفكرة الدور الجميد الذي تـــــذخره العناية الالهية لروسيا الارثوذكسية ، وان دوستويفسكي ارتأى ان وكل شعب قوي يؤمن ويجب ان يؤمن ، اذا أراد لنفسه حياة طويلة َ بأن خلاص العالم متوقف عليه وعليه وحده ﴾ . وقبل ان تستغل الداروينية وينشر د غوبينو ، كتابه دمحاولة في اختلاف الاجناس البشرية ، ، جزم د اغاسيز، دوكاترفاج ، بتفوق الجنس الابيض ، وتكلم « كوريه دي ليل ، عن « الاجناس المتفوقة بالطبيعة ، ، وكتب « كارليل ، الذي امتدح الحكام ، ما يلي : « أن جزيرتنا الصغيرة باتت ضيقة بسكانها ، ولكن اتساع العالم يكفي لستة آلاف سنة ، . وفي أسلوبه الديني ، عظم « شارلز كنفسلي ، ، العزيمة الجماعية ، بينا تغنى، تنيسون ، بالبطولة في خدمة السياسة البلمرستونية . وحين نشر ، شارلز ديلك ، كتابه و بريطانيا العظمي ، افتان قراؤه ، قبل أي شيء آخر ، بالنشيد الخصص لعظمة ما وراء الاوقيانوسات فبات بمكناً ان يأتي دسراييلي ويحل الحزب التوري من العربة المنشسارية ويمين له مهام اعظم نبلا ويجمل من فكتوريا المبراطورة الهند . وعلى الرغم من أن غلادستون ، الذي جاء بعده ٬ قد اصدر اوامره بالجلاء عن أفغانستان والترانسفال ٬ قان الحلة التوسمية قد عرفت منذئذ نشاطاً مطرداً : فان وسيلي ، ، تلميذ و داروين ، ، قد عرض في كتابه و توسع انكلترا ، ارتقاء مهيباً منذ اليزابيت؛ كما أن و فرود ، اللهيذ كنفسلي ومنفذ وصية وكارليل ، ، قد طاف في الماضي والعالم البريطانيين ، فرأت النور و ع<mark>صبة ف</mark>كتوريا، ووعصبة الامبراطورية، و و عصبة الامبراطورية البريطانية ، ، وارتسم في الافق مثال جديد للسياسة الخسارجية . وجرى تحول ذو مغزى الى فكرة امبراطورية سيدة مسيطرة تكفي نفسها بنفسها ، هو تحول حوزف تشميرلن ، ، تاجر البراغي ، الغلادستوني والمنشستري .

عملت الوطنية والرأسمالية مما وهذه الاخيرة ، تحت ظل التأخر الاقتصادي في المجاه التوسع الاستعاري . فان وديبون هوايت ، كان بمثابة عهد الطريق حين عين للدولة مهمة واغناء البشر بإضافة المستمرات والاسواق النائية والاسواق الجديدة الى وسائل انتاجهم او مقايضاتهم » . ولكن وليست » و « روشيه » كانا قد عارضا كذلك المدرسة السمينية ، فأخذ الناس يصغون اليهم في المانيا حيث افلحت الجميات الاستمارية ، يساندها مجهزو السفن والصناعيون ، في ارغام بسيارك على «كانوسا » جديدة ، بانتظار والسمر الجديد» الفليومي . فأعاد « بول لروا - بوليو » حينذاك طبع كتابه و الاستمار عند الشعوب المعاصرة » وفاز بحمل القائلين بمذهب الاحرار على اعتناق هذا المبدأ : و ان الشعب الذي يستعمر هو شعب يبني ركائز عظمته في المستقبل » . وهو سيوجز وقد برر « فر"ي » مبادهاته بربطه بين العظمة والمسلحة : فمن جهة « تأسيس المستعمرة يعني المجاد سوق » ومن جهة ثانية و للأجناس المتفوقة حقوقها حيال الاجناس الدنيا » . وهو سيوجز برنامج الرأسهالية الاستعمارية بمد ذلك في جملة واحدة : والسياسية الاستعمارية وليدة السياسة الصناعية » .

بعد انهيار النظام التجاري القديم ، عرف الديومة بعد السنة الخطاط الشركات المتازة العدية المديدة على الاحتكار .

اجل لم تجدد الملكية ، ولا نابوليون ، شركة الهند الفرنسية ، ولم تزدهر ايسة مؤسسة من مؤسسات هذا المهد باستثناء الشركة الهولندية الجديدة التي تعاطت حتى السنة ١٨٧٥ تجارة رائحة في ال و انسولند ، والشرق الاقصى . وحين تجديد عقدها لم تفقد شركة الهند الانكليزية امتياز التجارة مع الصين فحسب ، بل رأت امتيازها في الهند ، المحدد بعشرين سنة ، يرتسدي طابع بجرد مستودع المتاج . ثم حد بعد ذلك من صلاحياتها ، وما لبئت المؤسسة المحترمة ان انهارت بعد ثورة الجنود البديين في السنة ١٨٥٧ .

كان في نية معظم الشركات القديمة الممتازة استثار المناطق الحارة . والحال كان عدد منها قد عرف الديومة في الشهال الاميركي الفني بالفراء . لا بل ان الشركة الروسية الامديركية وشركة الشهال الغربي وشركة خليج و هودسون » قد تنازعت بشراسة المناطق الخصصة القنص والممتدة من الآلاسكا الى الاوريفون واللابرادور . واتحدت الشركتان الاخيرتان بغية التمكن من مقاومة الشركة الاولى التي كانت تزود سوق بطرسبورغ وقارس في الوقت نفسه في آلاسكا احتكاراً وضع حداً له ضم هذه البلاد الى الولايات المتحدة في السنة ١٨٦٧ . وبعد ان قامت شركة خليج هودسون بعمل ناجح باهر ، اضطرت بدورها الى الانحناء امام الاستمار الحر الذي غزا الاوريفون ؛ ثم تأسست كولومبيا البريطانية ؛ وحين ابتاعت كندا منها ، في السنة ١٨٦٩ منطقة و روبرت » (مانيتوبا) ، الغنية بالاحراج ، تولت استثاره بوسائل جديدة . ولكنها منطقة و روبرت » (مانيتوبا) ، الغنية بالاحراج ، تولت استثاره بوسائل جديدة . ولكنها منطقة و روبرت » (مانيتوبا) ، الغنية بالاحراج ، قولت استثاره بوسائل جديدة . ولكنها منطقة و روبرت » (مانيتوبا) ، الغنية بالاحراج ، قولت استثاره بوسائل جديدة . ولكنها منطقة و روبرت » (مانيتوبا) ، الغنية بالاحراج ، قولت استثاره بوسائل جديدة . ولكنها مناكانت آنذاك سوى شركة رأسمالية ، شأنها شأن غيرها .

كانت الفترة ١٨٥٠ – ١٨٧٠ ، وهي فترة المقايضة الحرة ، اقل الشركات التعاقدية الجديدة الفترات موافقة للامتياز. ولكن حين احرز مذهب حماية البضائع الوطنية بعض التقدم ، بدت المشاريع الحاظية بالعطف والتشجيع ، التي قهد الطريدي للاستثمار الاستعماري ، مفرية للرأسمالية التوسعية .

مارست ام الشركات اعمالها في ظل الوصاية البريطانية او الالمانية. وقد اهتمت كلها تقريبا بالقارة الافريقية حيث رأت امامها مثل الجمية الدولية التي اسسها الملك ليوبولد بغية استثمار الحوض الكونغولي. وهكذا تواجهت في هضاب افريقيب الشرقية و الشركة السبريطانية لافريقيا الشرقية ، و و الشركة الالمانية لافريقيا الشرقية ، التي حملت الدكتور و بيترز ، ثم أسس عدد من التجار الانكليز والشركة الشركة الافريقية المتحدة ، التي حملت و اسم الشركة اللكية النيجيرية ، بعد اتحادها بشركة والتجار الافريقيين في الشاطىء الذهبي ، .

على الرغم من حداثة عهد هذه الشركات التعاقدية الجديدة البيدو انها كانت ذات شأن عظم في تاريخ الترسع الاستعماري . فحين اضمحلت و الشركة الملكية النيجيرية ، التي لم قعش سوى

١٧ سنة ، دفعت لندن ٢٧ مليونا للاستيلاء على ما يعرف الآن بر و نيجيريا ، التي يبلغ عسده سكانها ٢٥ مليون نسمة وتوازي مساحتها ضعفي مساحة فرنسا . وكانت هده الشركة مدينة لضابطين بريطانيين ، هما وجورج توبمان غولدي ، واللورد و ابردير ، اللذان بلغا الروت المدان بعد ان اجتازا الحساجز الحرجي في سواحل غينيا . وكانت قد وقعت اكثر من اربعماية معاهدة مع الزعماء البلديين ووفرت فائدة سنوية قدرها ٢/ لمساهميها. وحين ارغمت على التخلي عن احتكارها امام حملات التجسار في الوطن الام ، لم تتوار عن مسرح ارغمت على استخدام موظفيها من ذوي الجبرة واستحصلت على حتى استيفاء الرسوم المنجمية لمسلحتها الخاصة طيلة تسع وتسمين سنة . وقد ادت خدمة جلى المظمة البريطانية في افريقيا الفريدة .

ولكن اشهر هذه الشركات التعاقدية اطلاقاً هي والشركة البريطانية لافريقيا الجنوبية ، التي السيا و سسل رودس ، .

لم يكن و تابوليون الراس ، ملكا متربما على عرش ، ولكنه كان شركة سبيل رودس التماقدية ملك الماس والذهب ، واسس لانكلترا امبراطورية جنوبية. كان ابن رجل دين ، وقصد و ناتال ، للاعتناء بصحته الهزيلة ، فسمع نداء و روسكين ، و لاستثهار الاراضي البائرة ، ؛ وكان عازباً ونافراً من النساء ، فاخذ يفكر في نفسه قائلا : و ان اخضاع الشطر الاكبر من العالم لشرائمنا سيكون بمثابة نهاية كافة الحروب ، وكان مسالماً على غسرار وكوبدن ، وكان مسالماً على غسرار وكوبدن ، نوضم الاستمار والرأسمالية في خدمة والسلام البريطاني ، سار في البسدة في

« كوبدن » ، فوضع الاستعار والرأسمالية في خدمة « السلام البريطاني » . سار في البسده في تيار البحث عن المساس في كمبرلي ؛ فاشترى امتيازات الاستثمار وجرب حظه . فوافاه الحظ حين اعتمد ، على غرار روكفار، التقنية والتجميع مماً . وقد ضمنت شركته ، ودي بيرز ميننغ » في السنة ، ١٨٥ ، رقابة سوى الماس . ثم وقع اختيار رودس كذلك على ذهب الترنسفال ، في السنة ، مقول الذهب في جنوبي افسريقيا ، التي اشرك فيها آل « روتشليد » . ولكنه فأسس شركة « حقول الذهب في جنوبي افسريقيا » التي اشرك فيها آل « روتشليد » . ولكنه

ما لبث أن اصطدم بالتشريس و البويري » . وهو لم يكن تاجراً معامراً فحسب . فقد كان مولماً بالحضارة الاوربية ، التي يؤلف العنصر

البريطاني خميرها ، فتخيل امبراطورية افريقية تكون قاعدتها هدينة والراس ، وقمتها قناة السويس حيث تمر طريق لندن بومباي عبر البحر المتوسط الذي يصبح بحراً بريطانياً وانها يجب اسهام البوير لتحقيق ذلك - لا سيها وانه كان يحتقر الزنوج ، امسا اذا لم يستجب انسال المولنديين لندائه ، فانه سوف يسحقهم ، ولكن مشروعه يستلزم السرعة لان الالمان والبرتغاليين ينحدرون باتجاه المنطقة الحارة الواقعة بين ولمبوي » و و زامبيز » . فاعرض حكام والراس » انفسهم عن تبني المشروع . لذلك تحول رودس بانظاره نحو لندن حيث اعتمد على صداقاته في عالم الاعمال واسس والشركة البريطانية لافريقيا الجنوبية » التي استلت في السنة ١٨٨٩

صنك التماقد الذي خولها و تنمية بيشوانالند والمناطق الواقمة ابعد الى الشهال ، . فبني على الفور معمل و فورت ـ سالسبوري ، في قلب الغابات ، وراء بلاد البوير ، على الطريق التي يسلكها البورتغاليون . وعندما اصبح رئيس وزراء والراس ، اخرج البورتغاليين من المنطقة المتنازع عليها واشترى من شركة والبحيرات الافريقية ، منطقة شمالي الزامبيز وسحق مقاومة ال وزولو ، فضمن له ذلك اعتبار البوير في والراس ، وفي السنة ١٨٩٥ ، احتلت وروديسيا ، مكانها على الخريطة . ولم يبق سوى ضم جهوريتي و اورانج ، والترانسفال ؛ وسوف يحققه بعد انتزاع موافقة المسؤولين البريطانيين . ثم اجهز الذهب والامبراطورية على استقلال البوير حين واقته المنت في السنة المنه في المنه في السنة المنه المن

كا<mark>ن ليوبولد الثاني الدولية الافريقية</mark> ك<mark>ان ليوبولد الثاني استبدادي المزاج ، ومحتالا ومتع</mark>ملياً ، ومعند ليوبولد الثاني الدولية الافريقية ومنتسبا الى اسرة مالكة مرموقة ، ومفتقراً الى المال ، وشغفاً

بمرفة العالم ومكبلا في تصميمه على العمل بفعل الن<mark>ظام السياسي في مملكته نفسها ، ولكنه</mark> تميز بؤملاته لان يكون مؤسس امبراطورية عظيمة . فقد كتب منذ السنة ١٨٦١ : ١ لما كان التاريخ يعلمنا ان للمستعمرات قسطها الأوفر في تكوين عظمة الدول وازدهارها ، فلنحاول بدورنا الاستحصال على مستعمرة. . فتحين الفرص وكان على استعداد لشراء الفلبين أو الكاناري أو أي ارخبيل اوقيانوسي آخر ، الى ان وقع اختياره على <mark>افريقيا الو</mark>سطى البكر . واذا هو عقد في السنة ١٨٧٦ مؤتمراً في يروكسل من اجل حملة شديدة تستهدف ﴿ العلم والانسانية والتقدم ﴾ ﴾ فانه لم يلبث ان ادرك الفائدة الشخصية التي باستطاعته ان يجنيها من مؤسسة مجردة عن الغاية في مستهل نشاطها . وفي سبيل الاستيلاء على البلاد ورسم خريطتها ، فكر بـ و غوردون ، وتوجه الى ﴿ بِرَازًا ﴾ واستهال ﴿ ستانلي ﴾ ودفع الثمن غالياً . وفي سبيل الحصول على رؤوس الاموال ﴾ طرق كافة الابواب، ثم لجا الى الحيلة وتقدم شيئًا فشيئًا في تنفيذ مطلبه ، فعرف كيف يبعد عن مصاب النهر الدول الاستعمارية القديمة التي كانت تطالب بحرية التجارة ؛ إلى أن أناط مؤتمر برلين (١٨٨٥) هذه الحرية بجمعية الكونفو الدولية التي انفرد بعد ذلك في تحويلها الى دولة الكونغو المستقلة ، ثم حمل المجلسين التمثيليين البلجيكيين على منحه حسق « رثا<mark>ستها » وان</mark>صرف صعوبات مسالية حالت دون مشروعه بالاستثهار فأوصى بالكونفو لبلجيكا في السنة ١٨٩٠ واستحصل على قرض بقيمة ٢٥ مليونا وعلى اجازة باستيفاء رسوم الدخسول . اضف الى ذلمك من جهة ثانية أنه لم يتقيد باي تعهد ، فجند اليد العاملة بالقوة واحتفط لنفسه بمكاسب اراضي الناج الواسمة وسلم الاراضي الاخرى شركات لم تنسه ولم تنس ذويه عند توزيع الربائع .فسكان ما كان من التهافت الجنوني على جمع الماج والمطاط؛ وكان ما كان من و فظائم الكونفو . ولكن ليوبولد قد امتنع بفطرسة حتى وفاته عن التسليم بان عليه تأدية حساب للرأى العام .

تدخل الدول الاوروبية الاستعادية سخدمة المصالح الرأسمالية : مثل توتس ومثل مصو

كتب و ديلك ، ما يلي ؛ وحيث تكون المصالح يجب ان تكون السيطرة ، . اجل لم يحظ الاختبار الكونفولي بساندة الامة البلجيكية المباشرة ؛ بينها حال تدخل القوة البريطانية

في والراس » دون حراجة الوضع وتأزمه المحتمل . فسياذا أعوز و بريتشارد » السيطرة على وتاهيتي » ان لم يكن مساندة لندن غير المشروطة ؟ وبامتناعها عن التدخل المملن ، اطالت فرنسا وانكلترا على السواء عمر الحكومة والهوفية»، وربها كان و سربا بنتو في توصل الى توحيد انفولا وموزمبيك لو استطاعت لشبونة مساعدته مساعدة قمالة . وعلى نفيض ذلك ، درجت الشركات الرأسالية على رفع البيرق بجسارة كلما خاضت الدبلوماسية ، وحتى القوة المسلحة ، غمار المعركة . لذلك فان ارتباط السياسة بالاعسال ، ظاهراً كان ام مستترا ، يفسر معظم الفتوحات الاستمارية . واذا فات النجاح عملة المكسيك ، فانه قد توج حملة تونس وحملة مصر تتويجاً كاملا .

مثلان غوذجيان وتشابه عجيب ملكان مسلمان يغرقان في الديون بسبب رغبتهما في العيش ببذح وتفخل ؟ بلادان تتميزان بمركز وموارد من شأنها اثارة الاطماع ؛ دولتان حريصتان على حقوقهما وقادرتان على دعم مطالب رعاياهما . هنا وهناك غزو رؤوس الاهسوال الاوروبية الذي سهله وضع الاقتصاد المتردي ؟ في مالية باي تونس ومالية خديوي القاهرة ازمة لا يمكن ممالجتها معالجة مؤقتة الا بقروض جديدة ؟ ثم رقابة دولية يفرضها المقرضون الجسازعون الجشمون ؟ تحسن مؤقت وجزئي تعزز الادارة المالية بفضله مراكزها بوضع يدها على الرهون والكفالات وجميع الموارد الاميرية . وحدث اخير : فبينما خضع الباي للحماية الفرنسية ؟ والكفالات وجميع الموارد الاميرية . وحدث اخير : فبينما خضع الباي للحماية الفرنسية ؟ اقبل الخديوي اسماعيل خلفه توفيق الى القبول بوجود الجيش البريطاني . فمن جهة ازالت حكومة باريس الخطر الايطالي والحقوق الايطالية ؟ ومن جهة اخرى صرفت حكومة لندن حكومة بالنظر عن امكانية لم تنظر اليها بعين الرضي هي امكانية مشاركة فرنسا لها في الحكم ، وكانت النتيجة فتح ابواب البلادين لنشاطات الغرب الصناعية والتجارية تحت ستار الوصاية السياسية والادارية والعسكرية .

د<mark>ور الضابط ال</mark>استعماري فاتح ومدير

و وفي افريقيا نفسها ؛ ماذا احببت يا ترى سوى نشوة دامت سنتين ، نشوة النسيان الخالصة ، نشوة الشمس ، والنور ، والكال الفي بكل ما للكلمة من معنى ?... » (ليوتى ، في السنة ١٨٨٢).

لقد برزت وجوه كبيرة ، مؤسسون ، و و فنيو ، استعمار . فكان هناك المستعمرون الاداريون : موظفو دائرة الاستعمار مثلاً و جايس فيتز – جايس ستيفن ، الذي أمسى ، ابتداء من السنة ١٨١٣ ، وطيلة خمس وعشرين سنة ، الرئيس الحقيقي للامبراطورية بعدد الخطاط النظام و الحصري ، ، او اللورد و كارنارفون ، الدافع الى الاتحادات ؛ وفي فرنسا ، مديرو الوزارات ، من و فيلو دى سانت ايلار ، الى و غاستون جوزف ، الذن يبقون في مراكزهم بينما

يتماقب الوزراء ؟ او ذاك المدير الآخر ، البلجيكي و اميل باننغ ، الذي كان يذكر و الهريقيا الباقية مدفونة في عزلتها والمنبطحة انبطاح عبدة جسيمة عند اقدام اوروبا اللامبالية ، ويريد ان يجمل منها و حقلا حراً لكافة النشاطات التجارية ، فيشجع انعقاد المؤتمرات الدولية، ولكنه يصطدم برغبة الملك ليوبولد في الكسب .

عمل جنود الفتح بهذه الارشادات او تجاوزوها ، متعرضين لمسؤوليات كبرى احيانا ، وقد واطأم على الذنب المسافة وصعوبات علهم اليومي . و بهجة النفس تكن في العمل ، ك هذا هو الشعار الذي اقتبسه ليوتي عن و شلي ، أم يتكم يوماً عن و العمل المعمل المقدس والالهي ... ، هو الذي لم يود ان يكون سوى و محارب وزعيم قبلي ، و و سيد اقطاعي شاب ، ؟ فقد كتب من تونكين : و انني اسير الحياة والعمل المباشر ؛ قبعد قضاء يومنا في المقدمة ساعين وراء شق طريقنا بالفاس بين الاشجار الكثيفة ، وباحثين على الارض عن دلائل المرور ، وسائرين في الماحق الركبتين ، ومتسائلين باضطراب ، عند نهاية المرحلة ، عما اذا كار الارز سيصلنا ام لا ، وق الركبتين ، ومتسائلين باضطراب ، عند نهاية المرحلة ، عما اذا كار الارز سيصلنا ام لا ، هوجاء تبلل مخيم الجنود ، اؤكد لهم ان الوقت لا يتسع لتفحص النفس ، التي لا يمنها ذلك من هوجاء تبلل مخيم الجنود ، اؤكد لهم ان الوقت لا يتسع لتفحص النفس ، التي لا يمنها ذلك من ان تكون في احسن حال ، . وفي رأي سسيل رودس ان على كل مستعمر ناجم ان يتقن لعبة الكرة والصولجان ولعبة كرة القدم . اما غوردون الذي كان صوفيا حقيقيا يضع سيفه في خدمة الكرة والصولجان ولعبة كرة القدم . اما غوردون الذي كان صوفيا حقيقيا يضع سيفه في خدمة الكرة والصولجان ولعبة كرة القدم . اما غوردون الذي كان صوفيا حقيقيا يضع سيفه في خدمة الكرة والصولجان ولعبة كرة القدم . الما غوردون الذي كان صوفيا حقيقيا من الاستشهادات الكرة والمولة الدنية على السواء ، فقد الكر في ومياته ، من الاستشهادات التقدية .

حكم الدباوماسيون على مبادهاتهم بأنها كانت متهورة احياناً وبأنها لم تخدم المصالح الكبرى دائماً . فهم قد درجوا على انتقاد الدوائر الادارية والسياسيين الذين كانوا محتقرونهم . كانوا قساة في ادارتهم ولكنهم كانوا يتباهون بمرفة البلدي على حقيقته وباحترام عاداته وبعدم التقيد بخدهب اداري معين . وقد جاء في كتاب و غالباني » ، و مبادىء التهدئة والتنظيم » : و لا شيء يجب ان يكون اكثر مرونة من تنظيم بلاد يجري تطورها باشراف موظفين حازمين تستخدمهم الحضارة الاوروبية والاستعار الاوروبي » . كا جاء ايضاً : و كل عمل سياسي يجب ان يمسيز العناصر المحلية الصالحة للعمل ويقضي عليها » .

انحدر جيل اول من الحروب النابوليونية ، حروب اسبانيا وروسيا التي تطلبت مسلم ا وجلدا ومعرفة صحيحة للسكان والموارد . وقد تخرج من هسنده المدرسة رجال من امثال د بوجو » ، و «شارلز – جايمس نابير » ، و « غسو » اللذين انتصرا على المهرات والسيخ ، و « باسكيفيتش » و « مورافياف» (كارسكي وأمورسكي) و بيروفسكي ، ابطال الفتوحات في القفقاس وآسيا الوسطى وسيبيريا الشرقية .

ثم جاء اولئك الذين خرتجتهم افريقيا السوداء والهند نفسها، ونخص بالذكر منهم وفيديرب،

الذي لم يكن من نواصي الناس مثل بوجو ولم يكن له مطاعه السياسية كمحافظ اجتاعي ، بسل كان ابن حانوتي فقيراً وتأملياً وعنيداً ومثالياً ، فاتكل على غراره على الملاحظات المباشرة ، وسيطر على السنفال بوسائل محدودة ، وأسس دكار ، وحارب النخاسة وادخسل التلفراف الكهربائي ، وتسك بالمدرسة المهانية الفرنسية وبالتعليم الفرنسي الاسلامي العلماني ؛ وغالباني : السكيت ، والحريص على الحبر الثابت والنشاط العملسي ، والفاتح في السودان والتونكين ، والاداري القدير في مدغشقر ، والقادر بدوره على اعداد تلامذة كثيرين اشتهر بينهم ليوتي الذي سيطبق المبادى، الواقعية خير تطبيق في الامبراطورية الشريفية . وبالمقابلة تخرج من جيش الهند بنناة الامبراطورية الأفريقية البريطانية : و روبرت كورناليس ، المنتصر على الجنود البلديسين ، الذي سير في السنة ١٨٦٧ حمة اثارت الاعجاب على النجاشي ثيودوروس (فقد نقل كل معداته ومؤنه على ظهور الفيلة ثم فتح طريقاً عبر الاحراج) ؛ و و ولسلي ، الذي ارغم ال و اشانسي ، على المناسق و دخول القاهرة ، ولكنه اخفق في محاولة قام بها لانقاذ الخرطوم التي كان يحاصرها الدراويش ؛ و دروبرتس ، الذي كان مع نابير في الهند وفي الحبشة قبل ان يقود في السنة ١٨٧٦ الحسلة و دروبرتس ، الذي كان مع نابير في الهند وفي الحبشة قبل ان يقود في السنة ١٨٧٩ الحسلة و دروبرتس ، الذي كان مع نابير في الهند وفي الحبشة قبل ان يقود في السنة ١٨٧٩ الحسلة و دروبرتس ألتي سنتفلب على البوير ؛ و دكتشنر ، الذي انتصر في الخرطوم ثم في الترانسفال .

ربما كان القرن التاسع عشر قرن الحروب الاستعادية . ولمسل سنة المروب الاستعادية واحدة لم تنقض منه دون ان ينفذ الاوروبيون عملا حربياً في احدى

نقاط القارات الاخرى .

اذا ما استثنينا الروس ، تبين لنا ان كل هذه الاعمال استلزمت مجهوداً بحرياً. فان الحملة على الجزائر قد عبات ٢٧٦ سفينة تنقل قرابة عشرين ألف رجل . وقد تألفت الوحدة الممدة لمهاجة و ماجونفا » في السنة ٢٨٩٤ من ١٥ الف محارب . فيتضح من ثم الدور المنوط بالبحارة . اجل لقد عاد ا و كوربيه » امر قيادة الهجوم على الشواطى الصينية ، و ا و فردريك بوشان اجل لقد عاد ا و كوربيه » امر قيادة الهجوم على الشواطى و الصينية ، و ا و فردريك بوشان اجبه ، قصف الاسكندرية بالمدافع في السنة ١٨٨٢ ؛ ولكن القيادة العليا للحملة قد اسندت احيانا لضباط البحرية ، ك و دي بتي - توار » في اوقيانيا ، و و سيمور » في الصين ، وقسد أهب البعض الى الكلام عن و كوشنشين امراء البحر » في عهد الامبراطورية الشانية . وكان مشاة البحر السلاح المفضل في الجيوش المدة للاتزال الى البر، وقد برز بينهم مستعمرون لامعون من أمثال القائد و برير دي ليل » .

باستثناء حملات قليلة لم تستفرق وقتاً طويلا ؛ اعترضت معظم الحمسلات ظروف صعبة ، فتطلب النهوض بها وقتاً غير قصير وخسائر فادحة في الرجال والعتاد . اما العائق الاهم فكان المناخ في اغلب الاحيان . وقد باه الهجوم الاول على قسنطينه بالفشل بسبب الجوع والسبرد

والعناء . وعلى الرغم من جلد الجيوش التي قادها بيروفسكي ؟ فانها كانت ضعية شتاء قاس في سيرها على و خيفا » ؟ اما في المكسيك والتونكين ومدغشتر ، فهي الحرارة الرطبة والحيات ما فتك بالجنود . وقد تم هجوم ولسلي على الاشانتي في أشد الطروف صعوبة ، عبر مستنقمات السواحل اولاً ، والفابات الكثيفة ثانياً . لذلك كانت الانهار عظيمة الاهمية عسلى الرغم من الشلالات التي تتخللها : فان ستانلي قد استخدم الكونفو ، وكتشنر النيل ؟ كا ان و مارشان » قد انتقل من الكونفو ، و وهومو » .

انطرى كذلك عدم معرفة السكان ولغاتهم وطرائق معيشتهم واساويهم الحربي معرفة كافية على صعوبات خطيرة . اجل كان تفوق الاوروبيين التقني ساحقاً ؛ ولكنهم بصرف النظر عن اضطرارهم التكيف وفاقاً لطبيعة البلاد وسكانها ، ما كافوا ليحققوا النصر بوسائلهم الحساصة وحدها . فكانت المسألة من ثم مسألة تجنيد الفرق المساعدة . ففي الهند جرب الانكليز اختباراً تكلل بنجاح عظيم على الرغم من خطر احدق يهم في احد الظروف : اسندوا المحافظة عسلى الامن الى السيخ والا « غورخا » ؛ وجند « بوجو » الا « زواساوا » (زواف) والفرسان والقناصة المفارية واستخدمهم ضد غيرهم من المسلمين ؛ وسيطر فيديرب على السنفال بواسطة القناصة الداولوف » ولجأ لابرين الى الا « شامبا » للمحافظة على الامن في الصحراء الكبرى .

اذا حدث ان اسندت السلطة مباشرة الى احد العسكريين ، فان موظفي الولاء المدنيرن الادارة الاستمارية قد اختيروا قانوناً من بين الموظفين الذين ينتسبون الى ملاكات مدنية خاصة . ولكن غالباً ما توجب على المستعمرين النهوض بالاعسال الحربية والاعمال الادارية في آن واحد ، فتكاثرت الخلافات بين العسكريين والمدنيين. وقد تصرفت كل دولة بحسب مزاجها وبمقتضى الظروف . فطرأت على النظام الاستماري الفرنسي بنوع خاص تبدلات كثيرة ؛ ويجب انتظار الجمهورية الثالثة حتى يعود الحكم في المستعمرات ، بصورة عامة ، الى السياسيين (و لانسان » ، و جونار » ، و دومر ») ، او كبار الموظفين (و بول كامبون » ، مثلا) .

اختارت بريطانيا المطمى في صفوف ارستوقراطيتها موظفين تحلوا بصفات نادرة وعرفوا؛ في كنف ادارة المستمرات المركزية ، كيف يجدون في مختلف انحاء الامبراطورية البريطانية الحلول الموافقة للحاجات الطارئة دون ادخال اي تبديل على السياسة الاستمارية التقليدية . فقد اجاد ممثلو العائلات الكبرى هؤلاء ، في الحقل الاستعماري ، تطبيق مبادىء الاختباريسة التنظيمية . وقد اتوا مأثرتهم الرائمة في فتح الهند وادارتها معا . فهكذا تولى المركسيز و دي دالوزي » بنشاط الاعمال الحربية وبجهود التطوير التقني . ثم بدأ اللورد كاننغ سلسلة نواب الملك التي ضمت شخصيات قوية من امثال اللورد و الجن » واللورد وليتون» واللورد دريبون». واختير كذلك اختياراً موفقا الحكام المدون لتمثيل جلالته في المستعمرات المتمتمة و بالحكم

الذاتي ، . ونذكر منهم على سبيل المثل اللورد كرومر حاكم مصر الاول .

الحميات والستعمرات الحكم الذاتي واما نحو التمثيل بالوطن الام ، في المناطق الما خو المحميات والستعمرات الحكم الذاتي واما نحو التمثيل بالوطن الام ، في المناطق المساهولة بالاوروبيين او في المستعمرات القديمة ، بدت الحماية اكثر ملاءمة من الوصاية المباشرة لاهداف ووسائل اوروبا الرأسمالية في المناطق المحتلة حديثا . ولا يمني ذلك ان الاحرار المنشسةريين قد ابتكروا الطريقة : فقد سبق ل « دوبلكس » ان طبقها ؛ كما كان البريطانيون في المند والمولنديون في « جاوا » متمشين عليها . وفكر المؤولون في تطبيقها في الجزائر والسنف ال وكوشنشين . ووجد الروس فائدة في ابقاء بعض خانات توكستان الناف ني مراكزم ، واستسهل فرسي الذهاب الى تونس بالتذرع بمد يحد المساعدة الباي ، وصرح غامبتا بها يلي : واستحصل « ودوار دي لاغربه » من ملك كبوديا على الاعتراف بحق فرنسا في حمدايته من واستحصل « دودار دي لاغربه » من ملك كبوديا على الاعتراف بحق فرنسا في حمدايته من واستحصل « ودودار دي لاغربه » من ملك كبوديا على الاعتراف بحق فرنسا في حمدايته من الرحماء اللاوسين . وقد جرت الامور عموما على هذا النحو كلها رأت الدولة المستعمرة نفسه من المام انظمة توخت هي خراً من مداراتها .

الا ان الضم كان واجبا حين كانت السلطة البدية بجزأة او لا شعبية او معادية جدا. فتصبح المستعمرة آنذاك مستعمرة سيطرة او إفراد: تبقي الادارة الاوروبية على الزعساء المحليين في مراكزهم وتجردهم في الوقت نفسه من السلطة السياسية وتخضعهم لرقابة شديدة ؟ وقد تستبدلهم بكفلاء عاديين تختارهم من بين البلديين الآمنين ؟ وتدير مباشرة شؤون البلاد وفاقا لما ترى فيه مصلحة السكان العامة . وقد استخدم البريطانيون هذا النظام في الهند حيث لم يكن نظام الحاية كافيا ؟ ثم استخدم عسل نطاق واسع في افريقيا السوداء ؟ وحتى في مدغشةر ؟ بعد قلب الملكة الهوفة .

خلال القرون السابقة تسببت المنازعات الاستعمارية في حروب المنافسات الكبرى والتقسيمات بين الدول الاوروبية . والحال ، كما أن سياسة المعاهدات مسسم الزعماء البلديين قد اعتبرت خير سياسة ، كذلك سويّت الحلافات الدولمة بطريقة المفاوضة .

تخلص العالم الجديد اكثر فأكثر من هذه المنافسات. فباسم المونروية التي كانت تتوخدى ابعاد الاساليب الاستمارية عن القارة الاميركية ؟ انتهجت الولايات المتحدة طريقة الشدراء للحصول على المناطق التي ما زال الاوروبيون يمتلكونها فيها: وهكذا تم انتقال هام في السيادة في السنة ١٨٦٧ حين تخلت لها روسيا عن آلاسكا. ولكن الدانيارك باعت كذلك من بريطانيا العظمى قطاعها الغيني ؟ كا باعت اسبانيا من المانيا « بالاوس » و « ماريان » و « كارولين ». العظمى قطاعها العيني ، كا باعت اسبانيا من المانيا « بالاوس » و « ماريان » و « كارولين ، مناطق الاحتكاك الكبرى قامت في اماكن اخرى . فقد اتصل اهمها شأنا من

الفرب الى الشرق ، من مضيق جبل طارق الى الحيط الباسيفيكي الفربي ، على جنبات البحسار الداخلية ، والبرازخ والمضائق التي تتبح انتقالا يسيراً بين الكتلتين الاوراسية والافريقية ، ثم على الاراضي الساحلية الجنوبية والجنوبية الشرقية من آسيا. وقد تعاونت فرنسا وانكاترا فيها على ابماد روسيا او اختلفتا اختلافاً متكرراً. وتأزم الوضع في المتوسط بعد السنة ١٨٧٠ عند نزول ايطاليا الى الحلبة . وامتد البراز الانكليزي الروسي الى كافة المحاء آسيا الوسطى ، ولا سيا عند مشارف الهند . ويحدر لفت الانتباه هنا الى ان الحدث الحربي الوحيد الذي جسرى في اوروبا نفسها بسبب المنافسات الاستمارية – حرب القرم – مرده الصراع من اجل السيطرة على اكثر بقاع هذه المنطقة المارة المتنازع ، الشرق الادنى .

لم يعد صحيحاً ان الخصومة بين بريطانيا العظمى وروسيا كانت قائمة بين المبراطورية بحرية والمبراطورية بحرية والمبراطورية برية. فالدولة التي كانت مسيطرة على البحر كانت مصمة على الاستثان منجة اليابسة . وفي هذا الجمال يبدو احتلال الهند بكاملها سابقة ذات مغزى . ولكن الحدث لم يعد لينطوي على اي طابع استثنائي ؟ اذ ان احدى بميزات الاستعمار آنذاك كانت الحصول على قواهد برية كبرى . وجاز ل و جول فري ؟ ان يؤكد : و اما اليوم فهي القارات ما يطلب همه ، وهو المالم الاوسع ما يطلب اقتسامه ؟ . وان في تقسيم افريقيا لخير ممثل علىهذه السياسة . الا ان منافسة قامت من اجل السيطرة على الباسيفيكي .

على <mark>غرار ما حدث في الماضي ٬ سويت الخلافات على العموم</mark> بين دولة ودولة بفضل <mark>اتفاقات</mark> تلزم الطرفين . وباستثناء جزر « الهبريد الجديدة » ؛ حيث ادخل في السنة ١٨٨٧ ، لم يعش نظام و الامتلاك المشترك ، حياة طويلة في اي مكان : فهو لم يدم لا في مصر ولا في و ساموا ، . وعلى نقيض ذلك ، اذا لم يعط التحكيم بدوره سوى نتائج هزيلة ، فانه قد اثار في السنة ١٨٨٤ حدثين جدرين بأن نتوقف عندهما: فمن جهة ، النداء الموجه الى البابا ، الذي سلمك ساوك البابا اسكندر السادس وفصل في الخلاف الاسباني الالماني حول الكارولين ؟ ومن جهة اخرى ؟ انعقاد المؤتمر الدولي في براين . فكان على هذا الاخير « أن يستدرك المنازعات التي قد تثيرها في المستقبل الاستيلاءات الجديدة على شواطىء افريقيا ، . وفي الواقم ، كان اعتقاد بسهارك بأنه سيلمب فيه الدور المفيد نفسه الذي لعبه في مؤةر السنة ١٨٧٨ حسول المسألة الشرقية . وكما حدث في السنة ١٨٧٨ ، جرت المناقشات الهامة وراء الكواليس حيث عينت حسدود الدولة الكونفولية . ولكن لم يمض وقت طويل حتى تجدد السباق ، بحرارة لم يسبق لهما مثيل ، من اجل احتلال المناطق الداثرية . الا أن فكرة عرض المائل الاستعمارية الشائكة على محكية دولية لم تضمحل قط ؛ فهي التي ستوحي بالد<mark>عوة الى</mark> مؤتمر « الجزيرة » في السنة ١٩٠٦ . ومها يكن من الامر فان ريشة الدبلوماسين قد وجدت لها عملًا دائها ؟ فقد رسمت على خريطة العالم الاشكال الهوائية للانصبة التي آلت في النتيجة الى الدول الاستعمارية الختلفة دون ان يتعرض السلم الاوروبي للاخطار

مصير السكندينافيين المشرف في الشمالي الاطلسي

ان المؤسسات الاستعمارية السكندينافية تتصل في الارجع بنزوحات و الفيكنفز، القديمة . وكان السكندينافيون خير مجارة وصيادين وقناصة في المياء الثمالية ؛ فتأثروا بهذه الصفة بسحر الميساء

الجنوبية ؛ وما كانت الجزر والاسواق التجارية في المناطق الحارة لتستهويهم استهواء بذكر . وبينا كانت النشاطات الزراعية والصناعية كافية لتشغيل السويد ؛ اضطر النروجيون ، المرتبطون بهم منذ السنة ١٨١٥ ؛ الى حصر توسعهم في الاستيلاء على « سبتربغ » و المطالبة به « جان مايان » وارخبيل « فرنسوا – جوزف » و « غرينلند » . ولكن الدانماركيين نظروا دائماً الى هذه الارض الاخيرة ومعادنها واسماك مياهها الوفيرة نظرهم الى مملك خاص . فهنا تقوم حدود المبراطوريتهم التي تضم بالاضافة « فار اوير » و « اسلندا » . زد على ذلك استقوم حدود المبراطوريتهم التي تضم بالاضافة « فار اوير » و « اسلندا » . زد على ذلك السالندا كانت سائرة في طريق الاستقلال ؛ تعرضت لامتحانات قاسية وعانت من المناخ وثورات البراكين والزلازل والجاعات واوبئة الجدري ؛ فتخلصت شيئاً فشيئاً من حالتها السيئة باحياء الزراعة وصيد الاسماك وفازت بجمعية علية ، والغاء « الحصرية » ثم باستقلال ذاتي حقيقي في النراعة وصيد الاسماك وفازت بجمعية علية ، والغاء « الحصرية » ثم باستقلال ذاتي حقيقي في السنة ١٨٧٤ ؛ فأرشدت بذلك ابرلندا جارتها الى الطريق التي يجب عليها ساوكها .

اغتنم الاسبانيون والبرتغاليون بذكرى ماهل اعظم سحراً ايضاً ، ثم الانعطاط الايبيري بنعل كارثة لا دواء لها. فلم يبق في حوزة كلا الشعبين سوى بقايا متناثرة على طرقاتها الامبراطورية القديمة ، ولا وسائل لديهما لتحقق نهضة متوخاة .

انهارت الامبراطورية البورتغالية انهياراً سريعاً في النصف الاول من القرن بانفصال البرازيل عنها ، وباحتلال الهولنديين لبعض جزر السوند ، كجزيرة و فلوريس ، مثلا ، السي خلت من الحاميات العسكرية ، وبالتخلي عن شطر كبير من غينيا والغابون . ثم تلاشت الاسواق السسي كانت لشوفة تحتفظ بها في الهند والانسولند على السواء . الا ان محاولة اصلاحية قد جرت بفتح المستعمرات المتجارة الخارجية ، ونقل الممتلكات في المستعمرات الى ايدي المهاجرين المستعمرين وبالغاء الرق . ثم تعللت البورتفال بأمل تحقيق السيطرة على افريقيا الجنوبية والوسطى ولكن وبالغاء الرق . ثم تعللت البورتفال بأمل تحقيق السيطرة على افريقيا الجنوبية والوسطى ولكن المالح تحمد كارلوس الاول بمعاهدة مذلة وقعها في السنة المالح تحطمت في مؤثر براين ، وقد وسم مطلع عهد كارلوس الاول بمعاهدة مذلة وقعها في السنة من المالح نصف المالي ونع الرأي في اوروبا ان البورتفال قد تسلم بالتخلي عنها مقابل تعويض كبير ،

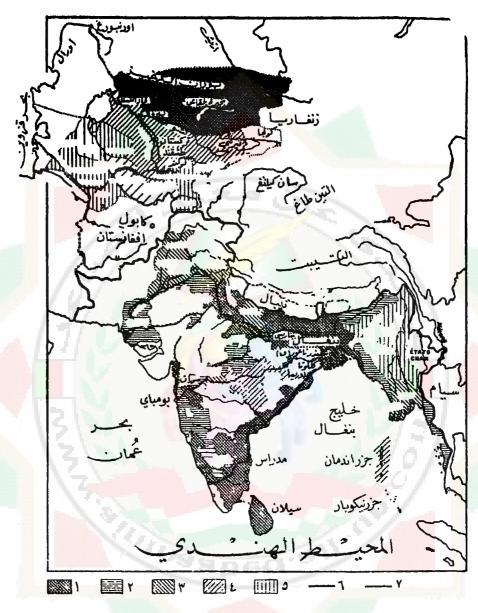
تعذر على الحكومات الاسبانية المتعاقبة التفكير بأي مشروع خارجي حسى السنة ١٨٥٠ بسبب الاضطرابات الداخلية . وقد حاول القائد و اودونل ») بدافع النفوذ الشخصي ، تجديد عهد الحملات الصليبية بانقاذ حصون سبتاومليلا التي ما زالت قبائل الريف تهاجمهابدون انقطاع ؟ ولكن مناورته امام طنجة وو لاراش » وتطوان لم تدم طويلا بسبب تدخل انكلتوا . وجوت بعد ذلك محاولة مجومية فاشة في اميركا اللاتينية : اشتركت اسبانيا في حمة المكسيك واكنها

انسحبت منها مع انسحاب بريطانيا العظمى ؟ وانزلت جيوشا في و سان - دومنغ » ، ولكن الاهالي الثاثرين طردوا الجيوش منها ؟ وارسلت اسطولا الى شواطىء الباسيفيكي واستولت على الجزر الفنية بالفوانو ، ولكن تحالف الدول الآندية ارغمها على الانسحاب . وبعد ذلك ثارت كوبا على سيطرة احتفظت بمعيزات و الحصرية » ، وازدادت حالة القلق خطورة في الفيلبسين و « بورتوريكو » اللتين عانتا الامرين من اهمال الادارة وتفافلها . وكانت كارثة السنة ١٨٩٨ قريبة الحصول حين احتل الاسبانيون ساحل و ربو دي اورو » الصحراوي وزهموا حينذاك انهم يقومون و بأول عمل في سلسلة اعمال سياسة افريقية » ستتبح لهسم تعزيز موقفهم عند الطالبة بتقسيم المفرب المحتمل .

في الوقت الذي نظر فيه الآب « دي برادت » الى البلجيكيين نظره المتمرار العظمة النبرلندية الى « الله عادمي الفضول في المعرفة وغرباء عن كل ما يجري خارج بلادم » ، كان للهولنديين تقليدهم الاستماري الراسخ اجل كانت لهم خسارة « الراس »وسيلان ضربة فاسية ؛ ولكن مملكة هولندا حققت السيادة ، أقله نظريا » في السنة ١٨١٥ على مستمبرات شاسعة اوسع من رقمتها بستين ضعفا ومأهولة بأربعة اضعاف سكانها : وتتألف هذه المستممرات من مجموعتين متميزتين متباينتين شأنا يغلب فيها المناخ الاستوائي ، مجموعة الهند الغربية (بعض جزر الانتيل ، كو كوراسو » وسورينام) » ومجموعة الهند الشرقية المتكونة من ارخبيل السوند والشطر الاكبر من بورنيو و «سيليب » والمولوك فكان ذلك كافيا لنشاط شعب صغير جلود ومتبصر : تفرغت هولندا منذئذ لهذه الممتلكات دون ان تحاول توسيمها محاولة تذكر ، فهي بعد اليوم لا تتقدم ولا تتراجع ، بل تثبت اقدامها .

واصلت روسيا ، عبر سهولها اللامتناهية ، حربا هي أشبه بحرب المبراطورية الروس الاوراسية استرداد الاراضي من الاسلام الذي لم وده الى الوراء بل دخلت بعيداً في الاراضي التي يسيطر عليها . ويبدو من جهة ثانية ان النزاع القديم بسين الحضر والبدو كان لا يزال قائماً لان التقدم الروسي عنى كذلك اقامة الفلاحين المزارعين في البقاع النائية من منطقسة البورات الواسعة الاطراف. واذا كانت سيبيريا اخيراً ، في مناطقها الشهالية الشرقية ، امتداداً لطبيعة روسيا القاسية ، قان امبراطورية القياصرة لم تتصل بالبحار الباردة فحسب ، اذ كان باستطاعتها النزول الى المر المنشوري حتى وسط عالم الشرق الاقصى ، بسل بلغت في الجنوب المناطق الحارة الى المر المنشوري حتى وسط عالم الشرق الاقصى ، بسل بلغت في الجنوب المناطق الحارة . ولا يجوز ان نرى في هذا التقدم تصميماً على فتح المنافذ الى الحيطات فحسب : فهناك هجرة شعب مطرد التكميلة .

د ايه روسيا ، ألا تشعرين بأنك منطلقة نحو الجهول على غرار الـ « ترويكا » الجامحة التي لا يستطيع احد اللحاق بها ؟ » (« غوغول ») « النفوس الميتة ») .



شكل ١١ ـ البريطانيون في الهند ، والروس في آسيا الوسطى

١٠ احتلال بريطاني حتى السنة ١٨١٥ وتوسع روسي في اوائل القرن الناسع عشر ؛ ٢٠ تقدم بريطانسي حتى حاكمية اللورد دالوزي » العامة (١٨١٥ - ١٨٤٨) ؛ ٣٠ قدرحات اللورد دالوزي حتى ثورة الجندين اللبديين في الجيش البريطانيين بين السنة ١٨٥٨) ؛ ٤٠ تقدم الورس ومكاسب البريطانيين بين السنة ١٨٥٨ والسنة ١٨٥٠ ؛ ٢٠ حدود امبراطورية الهند ؛ ٧٠ الحطوط الحديدية الوئيسية المبنية في القرن التاسع عشر .

اديرت العملية بجلد وطول اناة منذ زمن بعيد. اما الوسائل فكانت هي هي ابداً:القوزاق، التجارة ، ﴿ البغشيش ﴾ ، والمفاوضة عن طريق الدين كلما كان ذلك مفيداً. فكانت روسيسما ارثره كسية في البلقان والشرق الادنى ، واسلامية في خيفًا ، وبوفية في منغوليا .

تميز هذا الاستمار ، من جملة ما تميز به ، باسهام القوزاق فيه اسهاماً رئيسياً . اشتركوا في كافة الحروب الاوروبية ، وسيشتركون فيها في المستقبل ؛ ولكنهم خدموا عزيد من الاندفاع ايضا في هذه البورات التي تذكرهم ببوراتهم . وجند القيصر فرسانه المتفوقين من بين طوائف ال و ستانتساس ، التي كانت تعيش من تربية المواشي وتروض الجياد بحب تفضيلي . وكانت قيادة كل من فرق القوزاق الاحدى عشرة (فويسكوس) - لآلي، التاج الاحدى عشرة - مسندة الى قائد يدعى د اتامان ، . وكان التوزاق محاربين لا يبالون بالنعب ، يأكلون الاسماك واللحوم والخبز الجفف ، ويشربون الماء ويتطون صهوات خيولهم بدون مهاميز ، ويقبضون على السوط الجلدي ، ويرتدون ثوبا كبيراً يعرف بال « بورقا » : يتسلمون مجربة ، وسيف دون غمــــد ، ومسدس ، وبندقية قصيرة خفيفة ، ويتوجهون بدون خريطة ولا بوصلة مهتدين بالشمس والنجوم . واذا دان معظمهم بالارثوذكسية - وقد انتمى بعضهم الى شيع ، راسكولنيك ، -فقد يحدث ان يكونوا مسلمين في د ترك ، او د كوبان ، ، وبوذيين في ما وراء بحيرة د بايكال ،؟ وكان بعضهم يهوداً . واشتهر قوزاق اله دون ، بقيادة دبافل يعقوبلفيتش ديريننكامبف ، في حروبهم ضد فارس ، وفي بولونيا والقفقاس وهنغاريا والقرم . ثم عمد القيصر ، رغبــة منه في توطيد فتح القفقاس ، الى تنظم قوزاق كوبان ، وقوزاك ترك مقطمًا ايام بعض الاراضي في هذه المناطق. واشترك قوزاق الاورال في حمسلة بيروفسكي . وكان « سكوبليف » بطلهم في تركستان وفي حمسلة البلقان في السنة ١٨٧٧ ؟ وكانوا يلقبونه بال « باشا الابيض » . وتألفت في وسمير تشنسك ، فرقة من قوزاق سيبيريا لمراقبة تركستان . واضاف مورافييف إلى الفرقسة المقيمة في ما وراء بحيرة بايكال فرقة اله امور ، مجنداً افرادها من بين اله وبوريات المفوليين، البوذبين المشهورين بالقنص واحتساء الشاي . وكان هؤلاء بمثابة المراكز الامامية السيطرة على الشرق الاقصى التي لن يربطها الحط الحديدي بروسيا الاوروبية الا في اواخر القرن .

كانت هذه الامبراطورية اكبر من ان تدار بالضبط اللازم : قان مسألة المسافة لم تحسل الا حزئياً بانشاء الخطوط التلغرافية وببناء خطين او ثلاثة خطوط حديدية كبرى . فقد بقي هناك شيء ناقص لم يكتمل ، أعنى به وضع اليد على الارض ، بسبب عدم اتصال المناطق المأهدولة . ولكن الخطر الروسي كان جديا على حدود هذه الكتلة الضخمة التي بدت وكأنها ستسحق آسيا بكاملها في يوم من الايام .

جمع الفرنسيون شيئًا فشيئًا العناصر التي ستتألف منها ، خلال تأسيس امبرأطورية استعمارية مئة سنة ، احدى أوسم الامبراطوريات الاستعبارية ، دون ان فرنسبة جديدة يسيروا على مخطط مدروس ودون أن تحركهم الحاجة إلى مناطق

قادرة على استيماب المهاجرين ولكنهم كانوافي ذلك حريصين على الدفاع عن مصالح لم تكن دائما

مصالح مادية .

لم يبق من الممتلكات الماضية سوى بعض اجزاء مستعمرات المناطق الحارة التي تصادم حول ادارتها التعليد التجاري ورأي مواليد المستعمرات من الفرنسيين ومبادىء السنة ١٧٨٩ . وقد اثبتت الجهورية الثانية وجودها القصير الامد بالفاء الرق واستهلال سياسة التمثيل ؟ وفي عهد الامبراطورية الثانية زالت و الحصرية ، نهائياً من الوجود .

كان الحدث الهام احتلال الجزائر الذي اثار بعض الاسئلة : امتداد للوطن الام ? أم تعايش مع البلديين وفاقاً لنظام مختلط ؟ تلمس المستعمرون طريقهم الى ان تأيد عمل فرنسا في المناطسة الحارة بارتسام عالمين استعماريين مختلفين ؟ احدهما في افريقيا والثاني في آسيا : فحوالي السنة الحارة بالاقتصادية ؟ بدت الحاية بمرونتها كخير نظام لادارة مناطق مختلفة كل الاختلاف كافريقيا الشالية والسنفال وكوشنشين ؟ ولكن فرنسيي الجزائر قسد قاوموا فكرة و المملكة العربية » .

كانت الجمهورية الثالثة مرتابة حيال المستقبل ومرغمة على الوقوف موقف الارتقاب ، فاختارت في البدء سياسة التمثيل التي كان مدعواً للاستفادة منها لا مستعمرات الجزائر القديمة فحسب بل السنغال والمؤسسات الاستمارية في الهند ايضاً . ثم تألفت كتـــلة افريقية ، من المتوسط - بجبهة زادت اتساعاً على هذا البحر - حتى خليج غينيا و « دارفور » وحــــق الكونغو <mark>الاسفل . وجرى تجمع آخر في داخل المثلث المرسوم</mark> بــــين جيبوتي وشاند<mark>رنا</mark>غور و « سانت – ماري » في مدغشقر ؛ وارتسمت كتلة ثالثة في الهند الصيئية . واذا اضفنا الى ذلك ان فرنسا موجودة في اميركا واشتركت في اقتسام اوقيانيا ؛ اتضح لنا ان امبراطوريتها قد تميزت بوجودها في كل مكان على غرار الامبراطورية البريطانية . وانما تقابلت نزعات مختلفة اتصل بعضها بالفلسفة الجمهورية الديموقراطية وبعضها الآخر بالموضوعية النفعية ، او كانت توفيقاً بين المبادى، والرقائع . واضطرت الانتهازية الاضافة الى ذلك، الى ان تأخذ بمين الاعتبار الممارضة المقاومة للاستعار ؛ فقامت بتبديل الصيغ وفاقاً للظروف والحالات ؛ وتبرير « الاستبداد المستنير » الذي يعتمده الحكام، وافساح الجال في الوقت نفسه للمشاريع الرأسمالية. ولم يكن هناك وزارة مستقلة للمستعمرات قبل السنة ١٨٩٤ : بل اكتفي بمجلس أعلى استشاري انشيء في السنة ١٨٨٣ ، ومديرية ترتبط أما بوزارة التجارة وأما بوزارة البحرية ، بينا ارتبطت محميتا تونس وأنتام بوزارة الشؤون الخارجية . وترقبت التجمعات الاقليمية (اتحـــاد الهند الصينية ، وافريقيا الفربية الفرنسية ، وافريقيا الاستوائية الفرنسية) انشاء ملاك الحكام الاستماريين في السنة ١٨٨٧ . يضاف الى ذلك ان ردة فعل مذهب حماية الصناعة الوطنية قد شجعت السياسة المعروفة بسياسة الربط التي كانت التدابير الجركية نفسها ممكنة التطبيق بموجبها في الوطن الام والجزائر والمستعمرات القديمة ومدغشةر. اما بصدد الحميات والممتلكات الاخرى فيجب التفاوض مم الاجانب . ان ترثيق الروابط هذا بين فرنسا وممتلكاتها قد صادف في الزمن فارة الهبوط الاقتصادي . فاعتمدت الانتهازية والاختبارية طرائق جديدة . وقابل اللامركزية الاداريسة والتجمعات الاقليمية ترجيه نحو الاستقلال المالي الذي كان من شأنه تشجيع التجهيز دون ان يتحمل الوطن الام نفقات كبرى .

دخلت دفرنسا الكبرى » هذه في المتراث العاطفي الفرنسي ، مع ان الفرنسي لم 'بجد تحديدها كا بجب التحديد . ولكنها لم تعرف ، لمدة طويلة ، سوى تقدم بطيء جداً ، لأنسه كان ينتظر منها اكاثر مها يسله باعطائها .

منذ أواخر القرن الثامن عشر تجدد ارتقاء بريطانيا وسيرها قدما . فقد التفوق البريطاني حلت محل امبراطوريتها الاولى ، التي كانت تجارية وتمثلت في اميركا اكثر منها في القارات الاخرى ، امبراطورية ثانية ارتسمت حدودها حوالي السنة ، ١٨٥٠ وبلغت الذروة في السنوات ١٨٥٠ – ١٨٨٠ . تلك هي امبراطورية المهد الفيكتوري : امبراطورية المها الفيكتوري : امبراطورية المهابية الحرة ؛ امبراطورية بريطانيا العظمى التي اصبحت بدون منازع اعظم دولة بحريسة وتجارية وصناعية ومصرفية ايضا . زد على ذلك من جهة ثانية ان الهيمنة البريطانية قد بلغت، كا يبدو ، من الرجحان الذي لا يقاوم ما جمل بعضهم يعتبرون استخدام القوة وحتى عرضها علية تافلة كان لها ما يبررها قبل تلك الايام ؛ فليس من حاجة الا للمفاوضة والتجارة لترجمح علية تافلة كان لها ما يبررها قبل تلك الايام ؛ فليس من حاجة الا للمفاوضة والتجارة لترجمح المجمعة البريطانية . الا ان وجود الامبراطورية كان ضمانة جليلة الفائدة للتقدم .

تألفت الامبراطورية من عناصر ثلاثة موروثة عن العهود السابقة ما زالت تتقدم تدريجياً: المستعمرات الاسكان في المنطقتسين المستعمرات الاسكان في المنطقتسين المعتدلتين.

كان المضرب العظيم الذي حاكته انكاترا على سطح الارض على وشك الاكتمال. وقسد طنبته شبكة كثيفة من الاسواق التجارية ونقاط المساندة ومرافى التموين ، وفاقا الطريقة الاستمارية البورتفالية . فحيثا وجد جون امين ونقطة يسهل اقتراب السفن منها على الطرق البحرية ، هناك يكون البريطاني. اممن في البحث عن الجزر وحتى عن الجزيرات في المضائق، وجمل منها عطات بحرية لتزويد اساطيه بالمياه والمواد النذائية والمحروقات وتموين السفن الاجنبية . وعلى فيها اسلاكه التلفرافية . وانطلق منها ، عند الحساجة ، لاستطلاع الوضع التجاري في القارات القريبة. واستخدمها كقواعد المعليات البحرية وحتى البرية . فامتلك من ثم معظم الجزر المتناثرة امام الشاطىء الاطلسي في العالم الجديد ، التي كانت بمثابسة الركائز لمسر عظيم يصل اوروبا بافريقيا الجنوبية (حتى ولو كانت ترفع علما ايبيريا) ، والجزر المتناثرة كذلك في الحيط الهندي – الذي احتفظ به لنفسه – او الحيطة به ، والجزر السيق المتناثرة كذلك في الحيط الهندي – الذي احتفظ به لنفسه – او الحيطة به ، والجزر السيق قسطر على مدخل بحرالصين . واضاف بيريم الى عدن لمراقبة باب المندب مراقبة فضلى ،

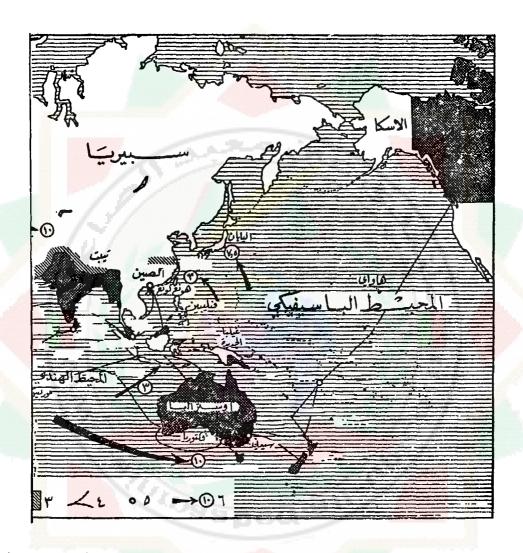
وهوئغ كونع الى سنفافوره لاستقطاب تجارة الصين ، وحين شعر بأنه ما زال بحاجة الى محطة اخرى ، استولى على جزيرة و لابوان ، أمام ساحل بورنيو الشهالي ، التي انطلق منها لاحتلال بورنيو الشهالية البريطانية ؛ وخلال السنة ١٨٧٨ ، حين اشتدت الازمة بينه وبسين روسيا ، وضع يده على قبرص في المتوسط الشرقي ؛ ولم يكتف بانزال جيوشه الى جزر البحرين وكشم في مضيق اورموز لمراقبة الخليج الفارسي ، بل وقع اختياره على رأس جارك قبسالة مسقط ، وجزر كوريا — موريا جنوبي الجزيرة العربية ، وجزيرة سكوطرة عند مدخل خليج عدن ؛ وباستيلائه على جزر و فيجي ، احتفظ لنفسه باحدى المحطات الفضلي على الطريق البحرية عبر الباسيفيكي من الشمال الى الجنوب . وكانت هذه المواقع بمثابة نوافذ على الاراضي الجساورة : الباسيفيكي من الشمال الى الجنوب . وكانت هذه المواقع بمثابة نوافذ على الاراضي الجساورة : سنفافورة على الدول الماليزية ، ولايوان على بورنيو ، وعدن على مؤخرتها العربية ، ولاغوس على نيجيريا ، و و عباز ، على افريقيا الشرقية ؛ بالاضافة الى زنجبار التي قايض هليفولند بها في السنة ، ١٨٩٠ .

الهند الغربية والهند الشرقية: لوحتان دلتا ابداً على المعتلكات الكبرى في المناطق الحارة. فن جهة ارخبيل و وندوورد و وارخبيل و ليوورد و في الانتيل و وجامايكا الجيلة و كبرى مستعمرات و غويانا و وبقعة من و هوندوراس وحول و بليز و ومن جهسة الحرى الهند وملحقاتها . وفسيا بينهما و اي في افريقيا و مستعمرات لا اهمية كبرى لها : غامبيا و و سييراليون و وسوقا اكرا ولاغوس على الشاطىء الغربي . فقد المحصر الاهمام كله بالهند التي لم يدخر الانكليز وسما في سبيل استمارها وحماية حدودها . اليها اتجهت كافة الطرقات السق سهرت عليها غيرة مفرطة : الطريق القديمة التي زاد نمو افريقيا الجنوبية البريطانية من تعزيزها والطريق الجديدة التي كادت تصبح بدورها طريقا بريطانية بعد احتلال مصر . وقسد تلاحمت حينذاك الحلقة الاخيرة من السلسلة الامبراطورية الستي امتدت بين لندن وبومباي مروراً بجبل طارق ومالطا والبحر الاحمر .

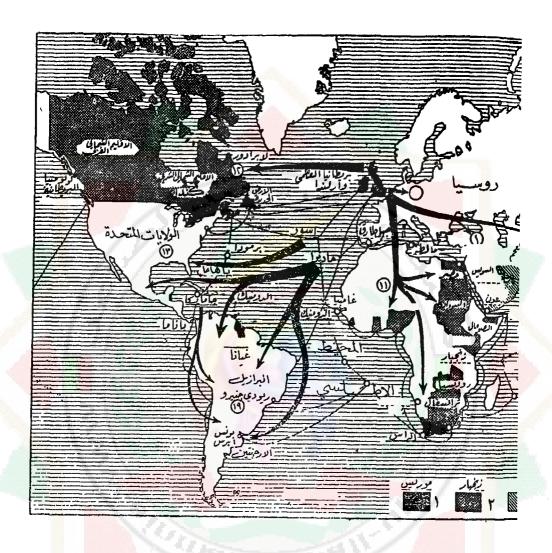
ولم يعتد بكندا وافريقيا الجنوبية والمستعمرات الاوسترالية للاسكان بقدر ما اعتد بهسا لمساحاتها الكبرى . بيد أن الاوروبيين اخذوا يتوافدون عليها بأعداد كبيرة ، وغت فيها حياة على الطراز البريطاني . فأخذت تترعرع شخصيات قومية قوية في هذه الاراضي التي اكتسب فيها المهاجر عادات جديدة اضافها إلى اخلاق الوطن الام .

والحال ؛ في الوقت الذي ما زال غلادستون يثبت فيه انه المعبر الامسين عن الحرية المنسترية ، وبينا تواصل في الوقت نفسه ، في الوطن الام ، وفي مستعمرات الإسكان ، وحسق في مستعمرات المناطق الحارة ، تطور نحو نظام تمثيلي اوسع عسدداً ، دخلت الامبراطورية الثانية في مرحلة تحول .

هي نتيجة الهبوط الافتصادي ما جملت المنافسة اشد حدة والحمسى الاستمارية اعظم خطورة في حين بدأ التسابق الى النسلح . فاتخذت الدولة البريطانية احتياطاتها عسلى طريق



شكل ١ ٢ ـــ العظمالبري المطالبة في السنة ١ ١ ١ ١ ؛ ٢ ، التوسع الاقليمي خلال القرن التاسم شر. ٥ ، موانى، التموين والمحطات البحرية الهامة ؛ ٦ ، وجهات وقيم الاموال البريطانية الموانبة ،



لمانية في الدرن التاسع عشر ؛ ٣ ، مناطق النفوذ ؛ ٤ ، الخطوط التلغرافية البحرية الرئيسية التي تمتلكها شركات بريطانية؛ بملايين الفرنكات ، في السنة ٣ ، ١٩ ، (نقلا عن ٥ هر روت فايس ٣ في «اوروبا،صير في المالم»).

الهند عبر السويس ؛ ولكنها ما كانت لتستطيع البقاء بعيدة عن اقتسام افريقيا واوقيانيا الني سوف يتحقق بكل سرعة . اضف الى ذلك من جهة ثانية أن القوميات الفتية استيقظت في داخل مستعمراتها الاسكانية التي سبق ومنحتها الحسكم الذاتي : فاذا اصبح بمقدور ممتلكة كندا في شبابها ان تنفتح على اميركا الشهالية ، فان اوستراليا وزيلندا الجديدة اخذنا منذ ذاك الجن تنشطان في الجزر الاوقيانوسية الصقرى ، وانطلاقاً من د الراس ، تأسست شيئاً فشيشاً افريقيا جنوبية بريطانية واسعة الارجاء . وهكذا بيها كانت بريطانيا تعزز حدود الهند باستيلانها على المرات الايرانية والهملاوية وبضمها بورما ، هجمت يحيوشها على افريقيا حيث اقتطعت مستعمرات واسعة جديدة . وكانت مكاسبها الاقليمية عظيمة جداً بدين السنة ١٨٨٠ والسنة ٢٨٨٠

وات الامبراطورية برية اكثر منها مجرية . وبعد اليوم تمثلت فيها الجساعات البشرية المتأخرة حضارة والمتخلفة تطوراً تمثلا اقوى ، فتماظم التضاد سياسياً بين هذه المناطق السي كان الوطن الام حريصاً على الاحتفاظ بها وبين المجتمعات الاوروبية الطابع السي ستكورت الممتلكات . ولكن بريطانيا اهتدت بمرونة الى خير صيفة تلائم مزاج كل منطقة . واذا قضت الحاجة بأساليب مختلفة ، واذا اقلقت بعض القوى الانفصالية ، الشعوب الانكلوسا كسونية الجديدة ، فان التضامن قد عززته الحاجة الى دفاع مشترك واعتاد مبدأ الحماية التجارية اعتاداً مطرداً .

و في <mark>آخ</mark>ر القرن كان العالم البريطاني محافظاً على تلاجمه و<mark>على ا</mark>لاعتزاز بتفوقه .

المستعمرون الاخيرون : من الارث البلجيكيالى المطامع الالمانيةوالايطالية

في السنة ١٩٠٠ كان اقتطاع المستممرات قد بلغ مرحلة متقدمة جداً ، وهي الدول القديمية ، ولا سيا فرنسا وبريطانيا العظمى ، ما اصابها النصيب الاوفر . ولعكن

دولاً استمارية جديدة قد برزت .

فان الدولة الكونغولية التي كانت ثمرة مبادهة ملكية ومعاهدات دولية لم تضمن مستقبلها ؟ سوف تخضع لرقابة حكومة بروكسل : انها أوسع الانصبة مساحة واكثرها تجانساً واوفرهسا ثروة واصعبها استثاراً .

كان بسيارك قد اشرف على ولادة و الدولة ، المستقلة . فهل هو لم يصمم بعد على تحمسل مسؤولياته يا ترى ? ام هل أنه كان راغبا في مراعاة جانب انكلترا ? واذا كان هذا هو واقع الحال ، فهاذا تستطيع المانيا ، ان لم يكن الاستثثار بما تبقى بعد التقسيات الكبرى ؟ وهكذا تكونت ، في اقل من عشرين سنة ، مستعمرات المانية شملت بجموعتين ، الاولى في افريقيا (جنوبي غربي افريقيا) وهي نصف صحراوية وتتميز بعدم الاتصال وصعوبة الاستستار ، والمانية في الماسيفيكي (في ساموا ، وغينيا الجديدة ، ومجموعة الجزر المجاورة) ، وهي نائية وقلية التجانس . ومن جهة ثانية لم يبتغ بسارك سوى تشجيع مشاريع مواطنيه ؟ فهو في

كل مكان تفريباً قد اراح نفسه من شجون الادارة ملقياً اياها على عائق الشركات التعاقدية * وحين حل د الرايخ ، على هذه الاخيرة ، وجد نفسه أمام د مقاطمات موضوعة تحت حماية الامبراطور ، لا ترتبط الا بالمستشارية الامبراطورية . وبعد بسارك لم يبق من احمية لحده المستعمرات ، في برلين ، الا بالنسبة السياسة التوسمية الجرمانية ؛ فقد تمتعت فيها الشركات ذات الامتياز بكل حرية ، وأتت التجاوزات نفسها التي انتها الامتيازات البلجيكية أو الفرنسية :

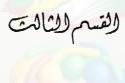
ولكن ألمانيا ؛ التي عجزت عن ارضاء حاجات هجرة واسعة وحاجات وأسمالية تزايدت مشاريعها ، والتي لم تمتلك اي موقع من المواقع الهامة الرئيسية ، والتي كانت مع ذلك في موقف ملائم للمطالبة ، اذ ان ممتلكاتها كانت محاطة بمتلكات الدول الاخرى ، ارغمت بالضرورة على اللجوء الى التهديد الجدي للحصول على فوائد جديدة .

كانت ايطاليا دون المانيا قوة ، ولكنها على الرغم من ذلك ، كانت واغبة في الاسليلاء على تونس : فخاب املها مرة أولى . ثم توجهت بانظارها الى افريقيا الشرقية : ولكن قواعسه انطلاقها (اريتريا والصومال) كانت ضيقة ، فانتهى مجومها على الحبشة في السنة ١٨٩٦ بكارثة كبرى . وجلة القول انها كانت غنية بالرجال وفقيرة بوسائل العمل ، فلن توضى ولن تقنم ، بل ستوجه اطباعها شطر ليبيا .

بيد ان مجالات المنافسة قد ضاقت حين استفاد<mark>ت الولايات</mark> المتحدة من الانمطاط الاسباني ودخ<mark>لت</mark> المعترك بدورها . فحول المناطق الاخيرة التي لم تدخل في فلك احسبد – المغرب ؟ والشرق الادنى ؟ والشرق الاقصى – كانت الدول الاستعمارية ؟ القديمة منها والجديدة على السواء ؟ في حالة ترقب وتأهب . وفي الشرق الاقصى برز شريك مضارب اخير هو اليابان .

لقد بلغ توسع اوروبا الاستعماري ذروة اشرف منها على الانحدار .





الحضارة الأوروبية في النصف الثانية من القرن التاسع عشر

بلغت اوروبا في هذه الحقبة من تاريخها ذروة القوة والسيطرة . فهي تنعم بما تم ما من سؤدد وسيادة وسلطان . هنالك لعمري ، في الشرق والجنوب منها ، مناطست ويفية لم تتأثر كثيراً بالتطور الرأسمالي . فالمدينة هي التي تبعث في الغالب ، الحركة والنشاط وتدفع بهما الى الامام بسرعة . ففي الاطار المدني ، البورجوازية هي التي توجه الانتاج وتشرف على توزيع الساروات وتتحكم بالمدينة التي تنعم بالحرية وتكيف ما يقوم فيها من نظم ومؤسسات.

ومع ان حملية تفاعل المناصر التي تؤلف قوام الحضارة الاوروبية تنمو بسرعية وتنشط استمرار المالتنوع لا يزال يستبد بالنظر في هذه القارة التي تفيض البارغم من صفرها المفارقات الاقليمية والاجتاعية . فالاثراء في قلب كل دولة من دولها المتعددة يرسم منعنى تلحظ المين بسرعة ما فيه من نقاط سود يرسمها الفقر . فاذا ما ارتفع فيها المستوى العام للحياة المحقوق البروليتارية فيها آخذة بالتضخم .

والى هذه كله فالنفوس في غليان موصول وممين الفن فيها ابعد من ان يجف او ينضب .

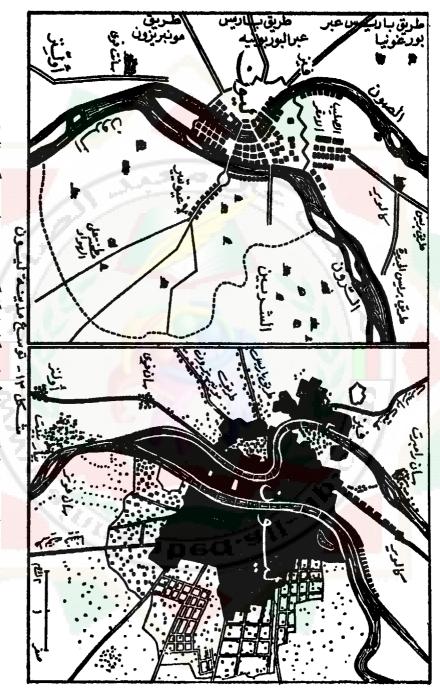
الغصل الكأول

المدينة ودفعها الشديد

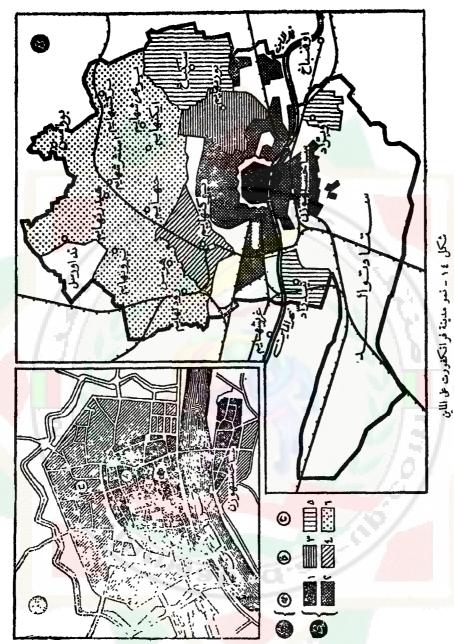
«اخضمت البورجوازية الريف للمسدينة وخلفت مدناً جبارة » . (بيان الحزب الشيوعي- ١٨٤٨) .

ازدياد السكان في المدن والانساع لم يسبق له مثيل للآن . كان سكان الريف، حتى عام ١٨٥٠ ازدياد السكان في المدن والانساع لم يسبق له مثيل للآن . كان سكان الريف، حتى عام ١٨٥٠ اوفر عدداً منهم في المدن ، باستثناء انكلترا . واخذت حركة الاحتشاد والتجمع في المسدن تزداد بسرعة . وهذا التجمع والتمركز تم بالطبع على حساب الريف، واخذ يتطور ويتضخم . فهو ناجم عن حركة نزوح سكان الريف ، ولا يكن رده بصورة من الصور للنمو والتزايسة الطبيعي لنسبة الموالد في المدن . ففي فرنسا مثلا نرى ان الجتمعات التي يكن وصلها بالمدينية (وهي التي يحب الايقل عدد السكان فيها عن ٢٠٠٠ نسمة) ارتفع عدد السكان فيها ، بين احصاء ١٨٤٦ و ١٨٩٦ ، الى ١٨٩٠ وهو عدد يشير ليس الى مجموع الزيادة العامة فحسب بل ايضاً الى نسبة امتصاص المدن من سكان الريف ما مجموعه ١٢٦١٠ تسمسة . وهنا لا بد لنا من الملاحظة ان سير هذا التطور كلي تفوق مديني يزداد يرما بعد يوم في وجه هسذه القارة والجنوب ، وهكذا برز لنا بوضوح كلي تفوق مديني يزداد يرما بعد يوم في وجه هسذه القارة الاوروبية التي لا تزال بعد ريفية في صميمها .

منالك حوالي ١٨١٥ ، اقل من ٢ بالمئة من سكان اوروبا يقطنون نحواً من عشرين مدينة يتجاوز عدد سكان الواحدة منها ١٠٠ الف نسمة ، بينا نرى عام ١٩١٠ ، ست مدن يزيسه عدد سكان الواحدة منها على عدد سكان الواحدة منها على مدينة يزيد عدد سكان الواحدة منها على ١٠٠ الف فتضم مما ١٥ بالمئة من المجموع العام السكان في اوروبا . فالمرتبة التي تحتلها عواصم



الى اليسار : ليون وضراحيها عام ١٨٠٠ (مأخوذة من كتاب 1، كلينكوو وعنوائه : ليون : تكويخ المديئة ه ص ١٩٠٠) . الى اليمين : ليون عام ١٩١١ « مأخوذة من كتاب ف. دواك : « تاريخ منطقة ليون » صفعسة ١٩٩١ « وموم بيافية من وضع ل. وونتار » .



لولا - فوانكفووت عام ٢٠٩٢ بيدو في الرسم : ١ - الالستادت عل مقرية الجسر القديم؛ ٢ - النعو الثاني : الامتدادالاول الذي تم في القون الثاني عشر . ٣-4 ثانياً ـ فمو فرانكفورت في القرن التاسع عشر : يظهر الرسم للدينة القدية بأحيائها : الالستادت والنوسنادت فيهما ٠٠٠٠ نسمة عام ١٨٠٠ و تأخذ المدينة الترسع والامتداد رراء السور الذي اقيم في القرن السادس عشر . تبلغ مساحة المدينة اذ ذاك ٧٨٦ مكتاراً . كما يرتفع عدد سكانها عام ١٨٦٦ الى ٥٠٠٠٠ نسمة ، وتأخذ المدينة بالتوسع على حساب المساحات الواقعة وراء السور ، مجبث اصبحت نَّمد ، عــــام ه ١٨٩٥ اكثر من . . . ۲۸۰ وارتفعت مساحتها الی ۸۰۱۶ هکتاراً .

الدول تلفت النظر وتستبد بالانتباء والملاحظة . فقد شمت لندن ؟ عام ١٨٨٠ ؟ تحسواً من ٤ ملايين من اصل ٣٠ مليونا المكايزيا ؟ وشمت باريس فراية ٣ ملايين من اصل ٣٧ مليونا فرنسيا



فالزيادة في قرن واحد بلغت ٣٠٠ بالمائة في مــــدينة بطرسبورغ ، و ٣٤٠ بالمائة في لندن ،

و ٣٤٥ بالمائة في باريس وبلغت في فيينا - ٤٩ بالمائة ، وفي برلين ٨٧٢ بالمائة . فسكان لندن اذ ذاك يمادلون سكان بلحكا .

والطابع العالمي والدولي لسكان المدن الكبيرة يشتد ويبرز باستمرار . فتيارات الهجرة الضغمة تتجه اليها . فالايرلنديون والسكندينافيون والعديد من سكان القارة ينزحون الى لندن . بيسنا السلافيون والمجر واليهود يقصدون فيينا . فمن مجموع سكان مدينة ميونيخ ، في عام ١٨٩٥ ، المائة فقط ولدوا فيها م 100 بالمائة فقط ولدوا فيها م 100 بالمائة .

فاذا ما ساعد القرن على تأمين النمو للمدن القائمة ، فقد عمل المدينة العدية ونوسع المدينة الحديثة . فقد عمل المدينة الحديثة . فالاكثر على صقلها وافراغها .

صحيح ان المنجم والمصنع ساعدا كثيراً على خلق مدن جديدة كانت مواقعها في الامس القريب خواء . والامريم ، بالاحرى مع المصنع الذي يقوم عادة حيث تتوفر المحانات التوزيع . وقد جاء الخط الحديدي هنا يقوم بعملية غربة او تخير افادت منها بعض التجعمات اكثر من البعض الآخر ، كا ان فن الملاحة وتطورها ساعد كثيراً في نمو المرافىء وامتدادها . ولا بد من الملاحظة هنا ان النشاطات السياسية والادارية والفكرية حتى والدينية منها لعبت هي الاخرى دورها البارز في نمو المدن وتوسعها .

ولما كانت المدينة ترقبط بالريف الذي يحيط بها ارتباطاً وثيقاً فتؤلف منه سوقياً وبندراً تجارياً ، فقد عرفت كيف تحافظ على اسباب وجودها . فقد تجلت صورتها لموريس بار"يس عام أمراء كا يلي : وهاهي منذ اجيال تحتل الرابية نفسها التي تقوم فوقها الآن . هاهي ذاتها تقريباً ، باستثناء سورها الذي فقد الكثير من متانته الاولى . فقد استحال الحير الذي شغله حدائق غناء وجنات خضراء وضعت فيها ساواها ومتعتها . ففي كل يوم ، وفي الساعات والاوقات ذاتها نرى هذه الايدي التي تعتني بها . . . »

كثيراً ما يحدث ان هذا الماضي الماثل امامنا لم يلحق به عصر الصناعة الكبرى الذي يسيطر الآن، اي اذى، وهذه المظاهر والرؤى المتنالية تحيى معاً وتارا كب بعدان تتخلعن مميزاتها القارقة. فللدينة القديمة هي التي تحدد موقعها على العموم، وعلى كل خطة توضع لتجميلها ان تحسب حساباً لها وان تتكيف ومقتضيات هذا الوضع الطوبوغرافي. وتبذل حركة تطوير المدينسة كل جهد مستطاع لتحترم آثار المدينة وخططها التاريخية ، فلا تمسها معاول الهدم . ولذا فاتراكم المنازل وتراكبها بعضا على بعض كثيراً ما يجري في هذه الاحياء التاريخية . وقد يجري هدا الاحتقان قبل ان تتبيح وسائل النقل السريعة على اختلاف انواعها ، مراعاة حركة البناء والامتداد لتوفير الفراغ والساحات فيا بينها . ففي برلين حيث الاتساع والامتداد تم باكراً وبسرعة غريبة ، الفراغ والساحات فيا بينها . ففي برلين حيث الاتساع والامتداد تم باكراً وبسرعة غريبة ، فقد بلغت كثافة السكان في قلب المدينة ، عام ١٨٥٠ ، ما معدله ٣٧٥ شخصاً في الهكتار الواحد ، مقابل ٥٥٠ نسمة للهكتار بالنسبة للمدينة حكلها . ومع ذلك فبفضل حركة الامتداد

والاتساع ، لم يمد مركز القلب ليمثل ، في لندن ، سوى ٨،٥ بالمائة من مجموع السكان عام ١٨٩١ ، بينما كان معدله ١٥ بالمائة عام ١٨٠١، بعد أن فقد قلب المدينة ٧٠ بالمائة من سكانه. أما في برلين ، فالاحياء Alstadt وال Ferderichstadt يستجلان تأخراً او بالاحرى تقهقراً بين ١٨٧٥ - ١٨٩٦ ، أذ هبط معدل السكان فيها من ١٧٠٦ الى ٧٠٣ بالمائة . وفي باريس ، هدمت الامبراطورية الثانية الاحياء العائدة فيها الى الاجيال الوسطى او الى عهد الملكية المطلقة " وذلك بما يوازي مساحة ٥٠٠ هكتار من اصل ٣٣٧١ هكتاراً هسمي مساحة المدينة داخل الحصون التي امر بتشييدها الملك لويس فيليب. فقد امر بفتح ثغرات او فبجوات واقام ميادين او مساحات في قلب المدينة ، وبني دوراً للحكومة رحبة ، كما امر بهدم المنازل السكنية الحقيرة النظر ذات المساكن الضقة لتحل علما مبان بررجوازية ضخمة. فهاهو برودون يحسداننا عن و المدينة الجديدة الرتبية ، الملة التي انشأها هوسمان ، مع ما لها من جادات مستقيمة الزوايا وفنادق ضخمة وأرصفة بديمة ، مقفرة ، ونهرها الكتيب الذي لم يمد يرى ينقل سوى احمال الحجارة والرمل مع مراثب وعنابر قائمة لدى منتهيات الخطوط الحديدية الستى بعد أن حلت عل مرافىء المدينة وموانثها القديمة ، افقدتها سبب و<mark>جودها لهذه الساحات والميسادين ودور</mark> التمثيل الجديدة وطرقها المرصوفة بالحصباء ، وهذه الطوابير من الكناسين ، وهذه السحائب الخيفة ، من الفبار المتصاعد . واخذت الاحياء ترتدي طابعا خاصا ميزا ، لكل منها منظره الهندسي الحاص. هذا الاحياء الخاصة بالتجارة بالجلة ، وهذاك احياء محطة سكة الحديد. واحياء الادارات العامة وهذه الحواجزوالفواصل الماديةلم تلبث ان حملت طابعاً اجتاعياً مميز أاخذ يبرز من خلال ارادة البورجوازية . • فالعملاء أبعدوا بقسوة عن قلب المدينة ، • كما يلاحظ اوغسطين كوشين. اما في منشستر حيث يسكن اصحاب الفبارك والمصانع عام ١٨٣٠ يسكنون منازل ، اسودت جدرانها من تراكم السخام عليها ، منازل كانت تحيط بها اكواخ العسمال وزرائبهم ؛ فلم يلبثوا أن نزحوا إلى ضواحي المدينة حيث يتوفر الهواء الطلق ، بعيدين عن كل اتصال بطبقة البورجوازيين والمياومين الذين اخذوا يتكدسون في احياء تفتقر الى الوسائسل الصبحة .

وعلى جانبي الشارع الذي خططوا له من عهد قريب ، ترتفع هذه المباني والعبائر المسدة للاستثار ، من ابرز انواعها هذه العبارات ذات الواجهة الجيلة ، بينا الظهر منها يطل على ساحة داخلية ظليلة ، والطابق العلوي محتفظ به المخدم والعشم وقسد قسم دائريا الى حجرات ذات سقف سقف سندي بدخلها النور من منافذ في السقف . والطابق او الدور الواحد يقسم الى شقق او مساكن ، يضم كل واحد منها عدة غرف كبيرة ، رحبة بعد ان ضحوا بالمطبخ والقسم الصحي، اذ ان غرفة الحام لم يهتموا بها الا فيا بعد . فكل شيء في المبنى جرى تصعيمه على اساس تجاري برسم الايجار .

ويقوم حول المدينة جسادة دائرية أو صف من مراكز الدخولية . وتجسساوز هذا الخط الى

الى الوراء يعتبر حدثا هاما في تاريخ تطور المدينة وامتسدادها ، اذ يحررها ، الى الابسد ، من النطاق المضروب حولها ويفتح امامها مجال التوسع والامتداد . وقد قسام حول باريس عدد من هذه المناطق الدائرية استحالت فيها بعد حارات واحياء جميلة متحدة المركز ، وقسد حد "من طاقتها على التطور والاتساع سلسلة الحصون التي انشئت حولها عام ١٨٤٠ . ولم تخضع لندن للل هذا الارتفاق الذي يحد من قدرتها على التوسع . وقد حل نطاق من المباني والعمائر محسل الاسوار بعد ان أزيلت من الاساس و مدمت عسام ١٨٥٥، وأزيلت كذلك تباعاً من مدينة انفرس اسوارها عام ١٨٥٥ ، وكذلك من مدينتي بال وبرشاونة ، عام ١٨٦٠ ، ومن كوبنهاغن ، بين اسوارها عام ١٨٥٠ ، ومن كولوني عسام ١٨٨١ ، وامتدت ميلانو الى ما وراء سلسلة الحصون التي كانت تحميها ، كا ان مدينة امستردام تجاوزت كثيراً نطاق شبكة الاقنية المائية والترع التي كانت تحميها ، كا ان مدينة المستردام تجاوزت كثيراً نطاق شبكة الاقنية المائية والترع التي ولن تلبث المدينة حتى غطت الضواحي القريبة فاصبحت بدورها احباء عامرة اصبحت واسطة المقد بين الريف والمدينة .

هنالك رغبة شديدة في ادخمال تعديل اساسي عملي همذا الطراز بحثًا عن مندسة خاصة بالدن المعماري المسيطر على الاذواق في بناء عمارات ضخمة ؟ بالجملة .

فغي مذكراته يمترف هوسمان و بأنه كثيراً ما ضحى بالخط السوي في البناء ، ويأسف كثيراً لان عهد الامبراطورية الثانية لم يشهد مهندساً خلافاً محاول اجراء تجديد في فن العمارة بحيث براعي الموجبات الجديديدة ، وبالغمل ، فالعصر كله يتمثر في تردده ، ويكثر من التقليد كا ان ايتكاراته تفتقر الى الإصالة .

ويشعور من الوجل والجرأة ، والتردد والاقسدام ، خيل الكثيرين في هذا العصر ان عليهم او باستطاعتهم ان يقلدوا ، على هواهم ، الفن القديم او الفن الغوطي او فن عهد النهضة والانبعاث ولذا نراهم يندفعون وراء التجديد والتقليد . فقد علقت باريس بالفن الايطالي في عهسد النهضة عتذية بذلك حدو العصر الذهبي الكبير (القرن السابع عشر) فتحيي بذلك الفن الكلاسيكي الروماني ، كا يظهر ذلك جلياً لمن يتملى النظر في كنيسة الثالوث الاقسدس وسان فرنسوا كسافييه ، والاوبرا واللوفر الجديد ، كا يحلو لفارنييه الاحتثار من تزويق الأوبرا بشكل ينبو عن الذوق السليم ، كا ان دو كسنوى عمد هو الآخر ، الى تقليد الفن الكلاسيكي في هندسته لمحطة عن الذوق السليم ، كا ان دو كسنوى عمد هو الآخر ، الى تقليد الفن الكلاسيكي في هندسته لمحطة تولى بناء الحال الذي اكثر فيه من المواد المعدنية آثر ان يضفي على كنيسة القديس اوغسطين ، مظهراً بيزنطياً . اما البريطانيون المحافظون فقد مالوا بالاحرى الى الطراز الغوطي بينا اخسة الاحرار منهم بالطراز الكلاسيكي كا نتمثل ذلك في قصر بو كنفهام مشك وفي اروقة كاتدرائية الاحرار منهم بالطراز الكلاسيكي كا نتمثل ذلك في قصر بو كنفهام مشك وفي اروقة كاتدرائية سانت بول ، والطابق الارضي لمسلة نلسون ، بينا ارتدت مباني الجامعة في لندن طرازاً يونانياً . اما في فيينا فالطراز المسطر عليها هو المروف بطراز فرنسوا جوزف . فقد تمثل في الكنيسة الما في فيينا فالطراز المسطر عليها هو المروف بطراز فرنسوا جوزف . فقد تمثل في الكنيسة الما في فيينا فالطراز المسطر عليها هو المروف بطراز فرنسوا جوزف . فقد تمثل في الكنيسة الما في فيينا فالطراز المسطر عليها هو المروف بطراز فرنسوا جوزف . فقد تمثل في الكنيسة الما المالية بالمالية بالمال

والهندسة قلدت على اقدار مختلفة من النجاح المتعارف من فنون القرن الثامن عشر كالجادات والميادين العامة والحدائق. واستعملت على نطاق واسع و فن الحفر لتزيين القصور ومفسارق الشوارع الكبرى والمتعائيل والانصاب. ولما كان الحجر يوحي داغًا فكرة الضخامة و فقسد حاول بعضهم استخدام المواد المعدنية فيأتي مظهر البناء من الخارج مندنما مهفها ... فالمهندس لابروست يكار من المواد الحديسدية في المكتبة الاهلية في باريس و في مبنى سانت جنفيف خففاً بذلك من تراكم الاعمدة . فالاحجام الدقيقة المشوقة والهيفاء وتليق كثيراً بالمباني الخساصة بالمعارض ومحطات السكك الحديدية وبالهالات .

اثار نمو المدن السريع وامتدادها مشكلات متعددة متعاظلة المدن المدن البدية الصحية فاذا مسا حفظ لنا تاريخ تطور باريس اسمساء يتمتع اصحابها بالشهرة وبعد الصيت امثال : رمبوتو وهو سمان وبوبيل ، فبروكسل تفخر وتدل برئيس بلديتها أناباش ، معاصر هو سمان وزميله في الوظيفة محافظا ، كا اشتهر جوزف شمبران بوصفه امينسا لمدينة برمنفهام .

فق<mark>د</mark> عدت لندن ١١٤٠٠٠ شارع اي ما يعادل طول ٨٥٠٠ كم كم كم الغ معدل طرق باريس ٢٣٤٥ كلم ، رصف معظمها بالحبارة والبلاط واقيمت الارصفة العريضة على جانبيها. ورصف الطرق بالخشب ، أخذ به عام ١٨٨٠ ، كا لجأوا الى تزفيت الطرق بعد ذلك بقليل وتم للنقل ثلاثة انواع من الوسائل : الامنيبوس او سيارة كبيرة للركاب ، وعربة الجر والخط الحديدي على سطح المدينة او تحت الارض ، ثم الترامواي: مكهربا كان او غير مكهرب، وغاز الاستصباح يبلغ استعماله الذروة عام ١٨٩٠ ، فهو وسيلة سهلة للتدفئة لم تلبث ان عمت المطابخ . أفييقي بعد هذا جائزاً التمويل في تأمين المياء على الحالين والسقاة ، ولذا رأت ادارة المدن المودة الى استعمال قناطر الجر هذه القناطر التي عول عليها الرومان ، من قبل . فكانت باريس اول من فكر بين المدرب باستنباط الماء من تحت الارض بواسطة الآبار الارتوازية ، ولمل اول بئر من هسدا النوع هي بئر غربنيل. وراح المهندس بلغران محاول جمع مياه بعض الينابيع المعروفة في المنطقة ، قارتفع استهلاك الماء لدى الفرد الواحد من ٦٨ لتراً الى ٢٤٠ لتراً في السنة . وبنت مدينة مدريد قناة لجر المياه طولها ٧٠ كلم . ومدينة منشستر تزودت بالمياه من كمبرلاند . وتصريف المياه القسدرة او الملوثة عملية ضخمة تطلبت نفقات باهظة . فقد احدث بوبيل (عدافظ باريس) ثورة في تلك المدينة عندما اصدر امره بان تطرح النفايات في صناديق خساصة ليتولى عمال من قبسل البلدية فيا بعد ، جمعها ، ونقلها ، دون أن يبالي بمعارضة ، ٠٠٠٠٠ من جامعي الخـــرق والاسمال. احشاء باريس ، هذه هي التسمية التي اطلقها زولا عندما راح يتكلم عن هال باريس . فالمدن الكبرى في الفرب تعول ، في تأمين موادها الفذائية ، ليس على هذه المناطق الحيطة بها فتؤمن لها حاجات من الخضراوات والحبوب فحسب ، بل ايضاً على هذه المناطق النائية عنها . ففيينا تستقدم حاجاتها من اللحوم من مقاطعات الالب والحبوب من هنفاريا ، والجعمة من ففيينا تستقدم حاجاتها من اللحوم من مقاطعة الروهر يؤمنون حاجتهم من البطاطا من المانيا الشرقية ، ومن هولندا ، والحنطة من اميركا ، والخضراوات من هولندا ، وفرنسا ، والحس على انواعه من مناطق البحر الشهالي ، والقاكهة والاتمار من فرنسا وابطاليا . وهكذا ندرك الآن كيف ان الالمان تمكنوا من اخضاع الباريسيين عن طريق تجويعهم .

وهذه الاقوام المحتشدة في هذه المدن العملاقة تعيش جماهيرياً ، الشارع في عبثه ولهوه وملذاته للمساعلة من الغضب والحب . فباريس لا تغتفر للمجلس في

فرساي ومجلس ابناه الريف، كما يلقبونه ، منافسته لها على لقب و الماصمة ، و فتعرب عن هياجها وعن ثورتها عندما يتقدم احد امراء آل هو هنز ولرن ليرشح نفسه لعرش اسبانيا. ويحلو لهذا الشعب الباريسي التهكم وبالتونكيين ، ويتحلق حول بير انجيه ويصفق له ويظهر عداءه السامية خلال و القضية ، و قضية اليهودي دريفوس) ويهتف للقيصر مرددا :

لرؤية القيصركا يجب قم باختراً واحضر بسرعة ولا تتمهل في سريرك

وقد تفاءل إدوار السابع خيراً خلال زيارته لباريس ، من موقف الشعب الفرنسي موقفاً حيادياً من الاتفاق الودي ، وراح شعب مدريد ، عام ١٨٨٧ ، يحيي الملك الفونس الثاني عشر ، اثر عودته من زيارة قام بها الى المانيا ومر فيها على باريس (التي اظهرت استياءها وغضبتها) يهتف قائلا : هليحي الملك الرامح ، وهذا لم ينعه قط من أن يحتج بشدة على أنزال فرقة المانية في جزيرة باب . البزة العسكرية لها أغراؤها لعمري : فها هو أبن لندن أو زائرها الاجنب يسارع لمشاهدة حفلة تغيير ألحرس أمسام قصر بو كنفهام ، وأبن باريس كابن برلين ، يهرول في سيره لمشاهدة حفلة المتمراض للجيش تقام في أحياء العاصمة . فالتهائيل والانهاب الوطنية والشوارع تعمد باسماء مشاهير ألوطن ؛ والمبني التذكاري يلعب الدور ذاته الذي لعبه الضريح من قبل .

وجاذبية الشارع أقوى من اي وقت مضى . فالمناظر المتنوعة تأسر الانظار وتسبي الالباب بعد ان تكون شوارع العاصمة قد تألقت بالانوار السواطع ليلا . والنساء والفتيات لا يتحرجن قط عن الخروج ليلا . وفي باحات المقاهي يحتشد النظارة والزبن يتحدثون ويتسامرور عدقين بعضهم لبعض . وفي باريس اصبح للشوارع ولجداداتها البديمة سحر وفتنة دونها سحر القصر الملكي ، والاقبال على احتساء اكواب الجعسة اصبح من الامسور التي غزت اعراف

الامبراطورية الثانية بعد ان جاءتها من المانيا . فواجهات المخازن الكبرى تلفت اليها الانظار والاعلان يجتذب النظر .

بين الأخلاق الباريسية والاخلاق البورجوازية

فالموضة او الازياء ، تخرج من باريس وتتحكم بالاذواق في الوقت الذي تفخر معه لندن بأنها عور الاذواق الرجالية ، كما ان فيينا هي عسور الموسيقي المرقصة . هنالك لعمري انباط من

الحياة هي من صميم حياة الشعب أو الجماهير . فالعامل يتخلى عن ارتداء و الباوزة ، أو السارة بينا يتمسك بارتداء الكاسكيت أو القيمة . فهو يشعر بانه في محيطه وبيئته لدى مشاهدته هذه الاعياد التي تقام عند حاجز العرش أو في سوق المعجنات والحلويات ، أكثر بما يشعر به عند مرأى الشانزليزه . له العابه المفضلة كالكرة والبلياردو والدومينو والورق . فهو يتردد عسلى الخارة ويأتي الى هذه و الدواخة ، ، كا ينعتها زولا في وصف لها أخساذ . ألا أن هذا المجتسم الذى تتحكم به البورجوازية ، كثيراً ما نظر اليه نظرته الى غريب بعيد عنه .

فقد حرص البورجوازي على ان يتميز عن العامل. فهو يلبس الريدنغوت والجاكيت. فاذا ما اعرض عن السوالف ، فهو شديد الاهتام والعناية بلحيته وشاربيه. اما امرأته فتتبسع بيقظة واهتام شديدين تطورات الزي السائد (الموضة) التي لها غرائبها ومستهجناتها السنوية واحيانا الفصلية ، فتسبب لها نفقات غير ملحوظة كما تقتضيها المزيد من اوقات الفراغ ، فسواء حصرت نفسها في مشد او فضلت الشكل المبهم ، وسواء أفضلت القبعة الكبيرة او اختارت القصيرة ، فهي تهتم الى حد بعيد بأحذيتها وتفضل منها ما كان على الزي ، وبقفازاتها ، والحطة اوالطرحة ، والنقاب او الخار ، وبالمروحة اليدوية ، ولما كانت دواعي حياة العصر تحفزها اكثر فاكثر الى الحركة والتنقل والى ركوب العربة ، كان عليها ان ترفع اطراف فسطانها الذي يشكو من الطول اجمالاً . فهي تتطور الاحوالي عام ١٩٨٥ ، بحقيبتها الصغيرة تودعها منديلها وبعض اغراض زينتها . قالالبسة لا تتطور الاحوالي عام ١٩٨٠ ، خالرجال يفضلون بالاكرث السروالوالقبعة المستديرة الشكل، تتطور الاحوالي عام ١٩٠٠ ، فالرجال يفضلون بالاكرث السروالوالقبعة المستديرة الشكل، وقبعة القش ، بينا تؤثر السيدة التايور والحداء الواطي الكعب . فالرياضة البدنية وركوب الدراجات والاستقبالات وارتباد المناظر في الاوبرا ، أمور معقدة وتدعو البذخ .

اما الدار او المنزل ؟ فقد حرصوا على ان يوفروا له احسن ما يكون من المفروشات والاثاث والرياش. فقد اخذ الناس يكثرون من الدمى والصحون المزخرفة بشتى الالوان ورسوم الاسرة ؟ كما حرصوا على ان يؤمنوا لهم غرفة للطمام فرشها من طراز هنري الثاني ؟ وغرفة للنوم من طراز لويس الخامس عشر او لويس السادس عشر . وكثيرا مسايتدلى من السقف الشريات الجيلة ؟ كما حرصوا على تزيين المداخن بالشموع . اما المائدة فترفل عادة بالاطسايب من الالوان وصنوف الاطممة ؟ ولذا كثيرت جداً الكتب والمطبوعات التي تدور حول المطبخ واعداد الطمام . والملاعق والشوك والسكاكين هي مفضضة على طراز دبولز وكريستوفل وهلفن والبيانو يضفى على البيت مسحة من الشراء والغذى ولا ينقرض في اصحابه مواهب موسعة عالمة ؟ ويصطحب الغناء عادة .

فهو الآلة الموسيقية المفضلة لدى الطبقة البورجوازية الحديثة العهد. وبانتظار تهيئة البائنة قبل الزواج، تنصرف الفتاة لاشفال الابرة والتطريز. اما تبادل الزيارت في ايام ومواعيد محسددة مسبقاً، فهذه من الامور والواجبات التي تتقيد بها السيدات في الجتمع، اما الصالونات الادبية في المنزل، فمثل هذا الامر لم يعد موضوع اهتام.

وكثيراً ما يلتقي في هذه الضالونات والنوادي بمثلو الطبقة البورجوازية العليا وابناء طبقة النبلاء القديمة ، على الطريقة الانكليزية ، كنادي جوكي كلوب وناذي الاتحاد .

والاقبال على جمع الاشياء القديمة والتعلق بحفظها يلتقي والغريزة المحافظة التي ميزت هذا العصر . فهذه الهواية تخدم المتاحف والمجموعات الفنية المخبرى . فاذا ما خطر يوماً لاحد هؤلاء الهواة ان يلقي نظرة عابرة على المجموعات الفنية الخاصة المتوفرة في باريس ، كان لا بد له من ان يقفي سنة كاملة قبل ان يشبع فضوله ، كا يؤكد لنا عام ١٨٦٠ ، ولم بورجر ، كل بورجوازي من علية القوم يحترم نفسه يرغب صادقا في ان يؤلف له مجموعة منها محتذيباً في ذلك حذو ابناء الطبقة الارستوقراطية ، والهبات الخاصة تتوافر وتتكاثر بحيث يمكن انشاء متاحف عامة . فآبل غييمه يحرص على جمع غرائب الشرق الاقصى ثم يهبها للدولة ، والصراف سرنوش ، والبارون دافليه ودوقة غاليارا وآل كونياس – جساي ؛ وآل روتشيلا ، وهبوا الدولة مجموعاتهم دافليه ودوقة غاليارا وآل كونياس – جساي ؛ وآل روتشيلا ، وهبوا الدولة مجموعاتهم النادرة .

وه<mark>واي</mark>ة جمع الكتب تستهوي الاذواق ، اذ ذاك ، فمن ناطور العهارة الى ساكن السقيفة المعلومة الى ساكن السقيفة المعلى المارية الكورية المعلى المارية الكورية المعلى المسلسلة التي تحرص الجرائد المعنية بالإعلام والازياء على نشرها تباعا. وقد توفر من هذا كله ادب روائي رخيص هو من القصص الشعبي او القصص البوليسي .

ومثل هذا الهوس يستحوذ على النفوس فيقبلون بجماس على المسرح الغنائي. فالفن كل الفن يقوم باستثبار اللحن او النهج الفنائي على الوجه الاكمل. فاناشيد روسيني ومدرسة ماير بير وبوالديو وهيرولد وأوبير ومن لف لفهم تنتشر بين الجماهير الشعبية. وبعد هذا الجيل الذي صفق عالياً و للافريقية » و « اليهودية » تطل علينا الميلودراما التي تفص صالات العرض بالمستمعين اليها من الهواة ، منها اله Mignen تأليف امبرواز تومساس ، وفوست ، وميراي لنونو ، وكارمن لبيزه ، ومانون لماسنه ، وباريس تقوم وتقعد لواغنر الذي قاد المركة ، سنة ١٨٦١ وخسرها حول rannhauser وكل مدينة لها شيء من الشأن تعمل على انشاء مسرح لها وفرقة موسيقية ، ملازمة له ، و «موسم» فني ، تنظم هذه الجوقات رحلات لها تطوف معها الولايات والمقاطمات ، والآلة تفيد كثيرا من التقنية التي ازدهرت في هذا المصر ، كما ان فين التزيين والتحلية يتطور بسرعة ، وعرف فن الضوء ، كيف يفيد من غاز الاستصباح ، ثم من الكهرباء .

وهذا الشعب يرغب في ان يلهو وان يمبث . فسالى جسانب المسارح الستي تسير في نهجها على تكريم المؤلفين الاتباعيين (الكلاسيكيين) ، كالكوميديا الفرنسية التي برز فيها نبوغ

مثلين امثال : يروهان ومونيه –صولي وروزين برناردت (التي اشتهرت باسم ساره برنار) ، فقد عمل بمعزل عن الاوبرا مسرح المهرجين ومسرح بيجازيت ومسرح الأمم، واسرح المستحدث (Nouveaulés) . وهذا الفن الباريسي الاصيل : الفودفيل أو الملهاة الذي يقول عنه سأنت بوفانه : مثال لا يخرج كبيراً عن مثال هذا الجيل الذي لا مثالية له ، فن يضعنا وجها لوجمه امام رواية يشاهدها المرء وهو متكىء الى درابزون الشرفة « موضوع هواية الطبقة الوسطى التي لا تحلم بشيء احسن عن وبعد هذا النجاح المنقطع النظير الذي سجله سكريب امكن للابيش ان يطلع علينا افيلعب لوحده او مع بعض المساعدين له نحواً من ١٠٠٠ مسرحية ابين ١٨٣٦-١٨٧٦ واكثر سخرية منه واوفر، كما برز كل من اميل أوجييه واسكندر دوماس الابن الذي تمكن من أقلمة مسرحيات ذات فكرة معينة او تصف لنا اخسلاق المجتمع . والاوبريت التي تداني الفودفيل ، تبتعد عن الاوبرا المضعكة على نسبة ما يصبح هـــذا الفن الاخير دراما تقف عند منتصف الطريق من القصص الوصفي؟ اذ كان من المفروض القيام بحركة معاكسة لما يسميه تموفيل غوتسه الفن الهجين الحقير الذي جاء خليط من طريقتين التمابير تمارض احسداهما الاخرى حبث يسيء اللاعبون تمثيل ادوارهم بحجة أنهم مغنون ويغنون بصورة شاذة تحت ستار انهم يقومون بعملية تمثيل . كان على الاوبريت ان تضحى بعنصر المرح وحرية الموضوع بدلا من التضحمة بالموسقى التي كان يطلب إعداد الجو الملائم لها . ومع ذلك فالمؤلفون امثال لوكسوك واودرا**ن وبلانكيتومساجيه اتقنوا الىدرجة عالية <mark>افنالتلحين</mark>ار التوزيم الموسيقي للاوركسار<mark>ا ؛</mark>** وقاموا بردة معاكسة ضد هذا الفن الذي وصفه برليوز « بالزقاقي » والسافــــل او الواطى ٬ والكثير الحركات > ضد هذا الفن الذي بفضل النجاحات التي حققتــــها ﴿ هيلينا الجديدة ﴾ و د الحماة الماريسية ، رواجاً عظيماً .

هنالك معذلك لذا ذات ايسر منالا وأيسر اخذا واشد وقعا. فقد اقبلت باريس على المراقص حيث تقع الدين على ما يذهل ويدهش ، امثال ميمي ، تاب تاب ، وبيبيه والبطينة ، كا استساست لهواية السيرك الذي غلك الاذواق وسارت شهرته بفضل العاب بارنوم ، فعرفت باريس اربع فرق منه في وقت واحد ، حيث أخذ القوم بألعاب الخفة التي قام بها مازورييه ، صاحب الوجه الصبوح ، واوربول ، هسذا المهرج الذي ليس من يعدله ، ثم الاخوة برانكوني الذين وضعوا تحت اعين النظارة العاب السيرك الاولمي الذي لم يلبث ان حل محسل سيرك الشاتليه ، وقتح مسرح قولي برجير ابوابه في باريس حيث تألب الناس لمشاهدة الضواري والكواسر والالعاب البهلوانية ، ومشاهد العري والعاب الخفة ، وراجت كذلك المقاهي الغنائية حيث يستطيع المشاهد ان يدخن ويشرب على هواه ، فعدت باريس منها عام ١٨٨٠ نحواً من ٢٠٠٠ مقهى .

كل ما في المدينة ليس باللائق. ففي بعض احياء باريس المضارة المدينية : مساوئها وعوراتها امثال الد Salpétière ، والمحطة والبيت الابيض ، وفي اماكن ومواقع كثيرة على الخط الدائري تقوم المثلب الليلية وبيوت المشاغلة والتسرى .

ولستراسبورغ مثل هذه ، هي الاخرى ، اشهرها الـ (Ponts - Couverts) ومثل لذلك لمدن روبيه وليون ومرسيليا . اما في لندن ، فقابل الاحياء السكنية الغنية الى جهة الغرب يقسوم حيها القدر ، الوسخ Enst - End ، واحياؤها الفقيرة القسنرة . ويرى ماكس اوريل في لنسدن مزيجاً بشما من الجمة والانجيل ، وخليطاً من مشروب و الجين ، والتوراة ، والسكر والرياء ، والاوساخ بما لا يرى في غير مكان ، والبنخ الجنوني والبؤس المدقع ، والازدهار والانحطاط وغير ذلك من المفارقات والمتناقضات الصارخة ، وهؤلاء البائسون الجائمون ، الحيارى، وهذا الفريق الفارق بصلف وعلياء في الفن والذاذات .

فهذه الزرائب والحشود البشرية التي هي اقرب الى السائمة منها الى الناس ، هي نتيجة هــذا الازدحام والقذارة معاً . فني عام ١٩٨٥ ، كان معدل الفرف التي يسكنها شخصان ١٤ ٪ في باريس ، و٢٥ ٪ في برلين وفيينا ، و ٢٦ ٪ في بطرسبورغ . وجاء في احصاء حول بروكسل ، عام ١٨٥٠ ان ٤٩ اسرة تملك مسكناً خاصاً بها و١٣٧١ تضم ثلاث غرف على الاقل ، و ٨٠٥٨ للواحدة منها غرفتان فقط ، و ٢٩٧٨ اسرة لها غرفة واحدة ، و ٢١٨٦ اسرة تسكن غرفة عادية تحت السقف ، و ٢٠٠٠ في كهف او دهليز ارضي.

ففي عهد ديكنز 'آوت ارصفة لندن وعنابرها و ١٠٠٥ سارق. وهايد _ بارك حيث لا تظهر الارستوقراطية نهاراً الا على صهوة الخيل 'هو مكان يتعرض من يجتازه ليلا لخطر الموت ' وكلمة و غضب بدمانه ،هي على كل شفة ولسان . ففي فرنسا ٢٧شخص من كل ١٠٠٠٠٠ من سكان المدن يقدمون لحاكم الجنع مقابل ١١ في الريف ' عام ١٨٨٠ وحوادث الانتحار هي تقريباً ' وبصورة ثابتة بنسبة اهمة التحشدات .

ففي لندن ؛ عام ١٩٠١ نحو ١٨ ولادة لكل ١٠٠٠ شخص في همبستيد ، و ٢٥ في بتنسال غرين ، و في تورينو ٢٤٠٦ ولادة في الحي الارستوقراطي سان فرديناندو، و ٢٤٠١ في حي سان لورتزو الفقير . اما ممدل الحياة ، فالاحصاءات تقسدم لنا ارقاماً في غاية التضارب والتضاد . فالاحصاء الذي وقع ١٨٧٣ – ١٨٧٥ ، كان ممدل الوفيات ١٥٠٧ في المقاطمة الثامنة في باريس، بينا بلغ هذا الممدل ٢٦٠٧ في حي ١٩١ ، عام ١٩١١ ، مقابل ٢٠٥ و ٢٠٢٤ . اما في برمنفهام فقد انخفض الى ٢٦ عام ١٨٥٠ و الى ١٩١٩ ، بعد ان تطورت الامور الصحية في المدينة ، وارتفعت اسبابها . وتعلل مقاطع مستمدة من نصوص كثيرة ان سبب هذا الوضع انها يمود كله الى تأثير الزرائب والاحياء الفاسدة في المدينة ، فكلهات السكر والسرقة والبغاء والامراض ترقص على لسان الشعراء وتتدافع الى شفاههم عندما يتحدثون عن المدينة اللمينة .

من خلال الأنوار التي تعبث بها الارياح بيوت البغاء تتألق نورها في الشوراع (بودلير : ازاهير الشر) كثيراً ماجاشت نفس ابن الضيعة حسداً من ابن المدينة على عيشه ، في الوقت المرب من الدينة الذي يفكر هذا الاخير بمناسبة لتغيير الهواء الذي يستنشقه. وهكذا نرى ان حضارة المدينة طلعت علينا برغبة جامحة وميل قوي للتنقل والانتقال طلباً للذة وانتجاعها للصحة ؛ وكلما توفر لابن المدينة بعض اوقات الفراغ وكان باستطاعته السفر شمر للرحلة متوخياً المواقع الجميلة واماكن الاستجام وكلمة سياحة اطلت علينا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويخرجها ليتره في معجمه الشهير من الكلمة الانكليزية Tourist فقد جاء تناهذه الحركة ونسميها اليوم هذه الرياضة ، من الانكليز . الا ان الاسفار اصبحت عادة استبدت بالناس وطفت عسلى الامزجة بعد طلوع السكك الحديدية ، فكثرت بين ايدي المسافرين كتب الادلة والحراقط التي تشير بدقة الى معالم الطرق وخطط البلدانية . فالنادي البريطاني للرياضة البدنية للتصعيد في الالب ، نشأ عام ١٨٧٧ وسميته النادي الفرنسي ظهر عهام ١٨٧٧ وتولى ادارة الثاني منها شخصيات لها شهرتها الواسعة للترسيخ للرياضة البدنية وحركة السياحة ، امثال : ادولف جوان وفيرله – لودوق، ودوق دومال والبارون نفليز . وطلع علينا بيارا بالخريطة المصورة السيق تشير الى المواقع الاثرية المشهورة .

فاذا ما حرصت كل مدينة على ان تؤمن في محطاتها الكبرى ونهايات خطوطها الحديدية الرئيسية الفنادق الفخمة لاستقبال المسافرين والسياح ؛ فالصناعة الفندقية فرشت مناطق برمتها ومقاطمات بكاملها بالفناديق والاوتيلات على اختلاف درجاتها . وعلى شواطىء البحر قامت مسابح اثيرة يرتادها المستحمون من كبار القوم واثريائهم ومشاهيرهم .

ورياضة الجبل راجت ، هي الاخرى ايما رواج . فقد ام شامونيكس ٩٠٠٠ زائر عسام المونيكس ٩٠٠٠ زائر عسام ١٨٦٠ كا امها حوالي ٢٥٠٠٠ عام ١٩٠٠ . واخذت سويسرا تصنّع السياحة في بلادها فدر"ت عليها هذه الصناعة دخلا طبيا . فسويسرا هي التي طلعت علينا بما نسمي Palace و و و و و مناعية ماندة الضيوف ليقدم لهم بديلا عنها غرفة الحمام . ورؤوس الاموال التي استثمرت في صناعية السياحة بلغت المليار ، عام ١٩١٠ والرياضة الجبلية استفادت من هذه الحركة الناشطة لتحسن ستنار قنن الجبال وقممها ، وفتحت بذلك الطريق امام رياضة المتزلج على الثلج .

فقد هبط فيشي ٢٠٠٠ ضيف أو زائر عام ١٨٥٧ ، و ٦٠ الف عام ١٨٩٠ و ومدينة بلمبييه تجمع ينابيمها المديدة عام ١٨٥٧ ، حتى أن مترنيخ دعا ممثلي الحلف المقدس لقضاء فنترة استجمام في مياه كارلسباد ، ونابوليون الثالث يتردد كثيراً على فيشي ويقوم بمفاوضة كافور في بلمبيد، بسيارك يأتي وبياريتز. وعدد كبير من المفاوضات الدولية جرت في مراكز المياه المعدنية: في أيشل ، وغاستاين ، وبادن. والبرقية التاريخية التي ارسلها غليوم الاول الى بسيارك في تموز في ايشل ، وناطلقت من أيلو حيث كان الماهل الالماني يستجم .

وفي ميادينها وساحاتها الممشوشبة اخذت انكلترا تحيي العابهـــا المفضلة : التنس والغولف

وكرة القدم ولعبة الكريكيت واخذت عادة النزلج تغزو باريس منذ عام ١٨٦٠ / ٢٦ على مجيرة لونشان. اماهواية القنص والصيدبواسطة الكلاب فبقيت الهواية المفضلة لدى الطبقة الارستواقرطية وكبار يمثلي البورجوازية الذين لهم من مذخور وفرهم ما يسمح لهم بالانصراف لهذه المنعة. اما صفار القوم فيقنعون منها بصيد صفار الطير ودقيق الطرائد بالبندقية. واخذ الطب يدعي المرياضة البدنية ، واقبلت عليها المدرسة تشجع في صفوفها الرياضة ولا سيها الالعاب السويدية التي روج لها ايما رواج آل لنغ ، الاب والابن . وقامت جمعيات رياضية في جميع البلدان تدعيو الشباب للالعاب الرياضية في الهواء الطلق ، ومثل هذه الجمعيات لها موسيقاها واعيادها الوسمية، من هذه الجميات من وضع نصب اعينها اغراضاً وطنية كجمعية السوكول عند التشيك مثلا ، التي رمت الى تغذية الروح القومية في قلب الشباب الرياضي .

ولنصل ليشياني

استقلال السنوق

كلما تقدم بنا العصر نعمنا بالمزيد من انتاجالادب والفن.وقد استعلال كل من الكاتب والفنان تم لنا ذلك بفضل هذا التطور المزدوج في مج<mark>الي الفن وال</mark>اثراء

وتوفر اسباب الفراغ والتعليم والتقنية . فالمنشورات على انواعها تتوفر في كل مكان وعن كل شيء . فالجريدة تنير وتزود قراءها بالمعلومات وتثير الفضول في نفس القارىء . وقسد طفى الكم على النوع وليس بمستفرب . ومهما يكن فقد ادى انتشار الثقافة الى طلوع نشاطات فنية كانت من قبل وقفاً على اقلية ضئية ونفر قليل ، كالموسيقى مثلا . لنمد بالفكر الى هسدا الحد الذي سيطر على فيينا فارة من الدهر وكأن المره فيه شعر بانتقاص من كرامته ادا لم بأت اهتمامه بفنون المسرح دون اهتمام الحياة وشؤولها الدنيا . فتألفت جميات فنية ، عنت باقاصسة الحفلات الموسيقية وكرلون المحرد ، وكلما رمت لتصحيح الذرق وصقله وتهذيبه ، كا ان جمية الحفسلات الموسيقية في ولامور ، وكلما رمت لتصحيح الذرق وصقله وتهذيبه ، كا ان جمية الحفسلات الموسيقية في الكونسرفاتوار الرطني التي نظمهاهابنيك اخذت تعرف عبقرية بيتهوفن الى الرأي العام الفرنسي . فاذا ما حل النصراء من رجال المال الذي لا تتوفر دوماً لهم ثقافة عالية على النصراء الامراء ، فكثيراً ما رأينا نصيراً ذكياً مستبداً يحل محل هوي يبسط للفنان يداً رفيقة دون ان يفره عليه الامور او الاشياء الاثيرة لديه . فالتوصية حملت دوماً شيئًا من الاستبداد والتسلط . على هذا الهوي الا يأخذ بعين الاعتبار والملاحظة ، هذا الحيال الجنح الحلاق ، بل عليه ان فعلى هذا الهوي الا يأخذ بعين الاعتبار والملاحظة ، هذا الحيال الجنح الحلاق ، بل عليه ان

فكان لا بد ، والحالة هذه من ان يدافع الفنار_ عن حريته وان يصعد في وجهه الضغط الذي يتعرض له من الجهور. فقد تكاثرت المذاهب والمدارس الصغرى لتفي بمطالب الجماهــــير، فراحت في تعنتها توصد ابرابها في وجه العديدين . وحكذا راح الالحام يصون نفسه من هذه

الزقاقية . هنالك المجاه بارز يرمي الى صبغ الفن بالديموقراطية . فقد استطاع الجيل الرومنطيقي ان يفرض تمطه كما يفرض الطغيان ذاته . ومع ان الرومنطيقية بقيت لها القدرة على التعبير عن لواعج النفس بعد عام ١٨٤٨ ، الا انها كانت اعجز من ان تشبع الغرائز في ثورتها على الاعراف والتوافه . فثورة الشباب التي اتسمت بالرومنطيقية قبل عام ١٨٣٠ ، قامت عدام ١٨٥٥ تقف في وجه الرومنطيقية . الا ان مراكز العبادة هذه تاقت اكثر من كل وقت مضى ، الى جع اتباعها وضمهم بعضاً الى بعض . فعبق الجو بهذا الاربج وهذه الالوان الزاهية والانفام الساحرة ، كما يؤكد بودلير لنا ذلك .

والحال ، فالبورجوازي لا يستطيب كثيراً ما يخرج عن الحد الوسط . وفي هذا العمري كل جاذبية الربح وسحره - في هذا العهد المعروف بالعهد الواقعي - الذي قابل ، بإعراض كل حرفة الادب والفن لمجزهما عن تأمين الخبز لحترفيهما . فقد سبق الشباب الرومنطيقي وأحتج بشدة على ما يكتنف العيش من صروف وظروف قاسية ٬ وشروط راح برودون يفرضها على الفنان في عهد لويس فيليب . فقد راح ميليه ، في مطلع حياته الادبية يقلد بعض آثار القرن الثَّامن عشر بعثهرين فرنكاً للقطعة الواحدة وي<mark>صور بإفط</mark>ات . فقد باع صورة «البشارة» ١٨٠٠<mark></mark> فرنك ، التي بيعت ، بعد ذلك بقليل ب ٥٠٠ ٥٥٠ فرنك عند بيه مجموعة سكريتان وراح بعض هؤلاء الفنانين يتساهلون ويتنازلون عن غلوائهم في سبيل استدراج توصيات وطلبات جديدة . وراح الناس يتذوقون اللوحات المرسومة <mark>بربشة فلان</mark>درين وشاسريان بينها رفضوا ان بعرضوا الصورة: د جنازة في اورمانس ، بريشة كوربيه ، في متحف باريس للفن ، عام١٨٥٠، فاضط<mark>ر لع</mark>رضها في كشك من خشب . والمحكمون الفنيون لم يعاملوا معاملة احسن آثار <mark>مانيه .</mark> وقد أحمل الى القضاء اصحاب هذه الآثار الادبية او الفنية : أر<mark>اه</mark>ير الشر — ومدام بوفاري – وتبريز راكن – ومادلين فيرات ، والمدوخ، مججة انها انتهاك للآداب العامة. فقد ترك لنسبأ بعض بنيه الى ساوكها ، ثم يروح ويصفهم بخارجين على الجتمع . ويسلهب ستيفن زفايخ الى اطراء مناخ باريس الغريب « المشبع بالسذاجة ، وبهذه اللامبالاة المتسمة بالحكمة والرصانة » ، هو الذي و خرج من مدينة فيينا هذه الطائشة ٬ اللعوب ٬ وقد وقع الانفصال حقاً: فقد أعلنت مونمار<mark>تر ومونبا</mark>رناس تمردهما في باريس نفسها واصحاب الشهرة لم يعودوا من خ<mark>اــــق ال</mark>نوادي والصالونات ؛ ولا وقفاً على الاغنياء ؛ بل من صنع المقاهي – المساقي والاهراءات . وقد يحدث ان اللغة المحلية في هذه الاماكن لم تعد مفهومة لدى الطبقات العليا . هنالك ضوء خافت يضيء بعض المطلمين او المريدين ، الا أن هذا الضوء لا يبلغ المدينة.

وهذه الثورة ضد الالتزامية أو العرفية - وهي ليست بشيء جديد - ظهرت في جميع البلدان على اقدار متفاوتة ، فها هو احد الكتاب الروس يتأوه عالياً نادباً حظه التاعس لوقوعه تحت كابوس الروح السلافية ويندب حظه لان أدبه ليس من هذا « الادب المتهم » . فبعد أن استعرض شعراء أيطاليا وقصاصوها البلاد الذي يتضرس به الوطن المضطهد المهض الجناح في

تطلعهم بإعجاب لهذه الاعمال التي تم انجازها برعاية الاسرة المالكة سعيداً في سردينيا. والفكر الالماني القلق ، المضطرب دوماً ، يمرض جانباً عن هذه المغربات التي توفرها له سياسة بسيارك الوطنية ، فيتيه حائراً بين الفلسفة الراديكالية وبين اللاعقلانية . اما في الجزر البريطانية ، فقد انتصب في وجه هذا الرياء الذي طبع العصر الفكتوري ، هذه الفردية بما اتصفت به من سخرية ومرارة . فلا يسيرون معها بالضرورة على خطى اوسكار وايلد الذي تحكم عليه لخروجه عسن جادة الادب، متجاوزاً هذا التشكك اللااخلاقي، برفضهم لسهولة التعبير فطلعوا علينا بمظم هذه الآثار الادبية التي وصلت الينا . .

اتكون هذه الحضارة المدينية في اوروبا، اسفيناً او اداة طرد بعد أن سجلت في حسابها مثل هذا التطور ، ما ترى ؟

وهذه الرومطقية ؛ الغنائية السادرة في تأملها والعاطفية كسر قوتها مخلفات المدرمة الرومنطيقية وسر بقائها ، في قدرتها على ورودها ورد الاحلام والخيالات المجنحة والحماس الوطني. وهذه البنابيسع التي كانت تصدر عنها زاخرة ، فيساضة اصبحت الان اشبه بعفط دقيق يكاد يضيسع بين هذه التيارات الجديدة التي اطلت علينا من هذه البلدان التي شهدت طلوع ادب وطني قومي ، فقد كان بوسعها ان تردفه بدفع شديد، فلا نراها تشكو من اي ضعف او وهن في المجال الموسقي .

وهذا الهس العاطفي والمادة الشعرية الدفينة بقي يستمد منها نبراته المثيرة . فالحب المشبوب طي الضلوع والمتمطي بين ثنايا لواعج النفس ، يلهم هؤلاء الادباء صفحات تمور بالحرارة والرهج والدفء كالاديب الانكليزي روستي ، والاديب الاسباني بكر ، ومعظم الشعراء السلافيين والرومان والسكندينافيين والطابع المميز لآثار روبرت بروننغ هو الطابع السيكلوجي، وهوغو الذي ادركته الشيخوخة وراح يعاني من اغراضها ، اخت يعنى اكثر فاكثر ، بامور الحياة والموت هذه القضايا التي عالجها الكانب النرويجي بجارس منذ ١٨٨٠ . ومع ذلك فحياسة الناصريين تبرز على اتمها في المانيا ، في ما عرف به الفن المثالي الذي لمسح فيه ماكس كلنجر ، الناصريين تبرز على اتمها في المانيا ، في ما عرف به الفن المثالي الذي لمسح فيه ماكس كلنجر ، الاكاديمية او التقليدية الفنية والتي كان بعض نتائجها هذا الازده التي ظهرت في انحكاتر ضد الاكاديمية او التقليدية الفنية ، التي راح وسكن ، وبورن – جونز الذين حرصوا جميعاً على اين ينموا فيهم البدائية الفنية ، التي راح وسكن ، هذا الناقد الذواقة الذي راى « في كل فسن كبير، شكلا من اشكال العادة ، وسكن هدفا الذي كان همه الاول والآخير ان يطهر البشرية كبير، شكلا من اشكال العادة ، وسكن من هذه اللطمة التي لحقتها من جراء وقوع نظرها على هذه المناظر البشعة التي طلحت بها علينا الصناعة ، وهذا الحنين القوي الى الاجبال الوسطى هذه المناظر البشعة التي طلحت بها علينا الصناعة ، وهذا الحنين القوي الى الاجبال الوسطى غيده وعند وهيبل ، ، كما نجده من جهة عند وليم موريس وولتر كراين اللذين

حاولا تجديد فن الزجاج الملون وصناعة السجاجيد والفسيفساء ، او عند غوستاف مورو هــذا الفنان الذي عني بفن النمنمة والتزويق الناعم .

والاشاحة عن المدينة والهروب منها يولد بالتالي النزوع الى الدخيل او الدخيل المستجلب من الحارج الذي يبعث الشوق الى تنويع المناظر . « اني امقت كل ما توافقوا على وصفه مجضارة وما طلع علينا من نظريات المساواة » . يصرح لوتي ، كما ان موباسان يحتب بدوره قائلا : « لن ارى بعد الآن اناساً لابسين الحداد ويشربون الافسانت وهم يبحثون شؤور مشاريعهم التجارية » . فاذا ما راح برودون يستعيد بلذة ظاهرة ذكريات حداثته ، عهد كان يحرس قطمان البقر ، ويستحضر كوربيه امامنا الاعمال التي نقتضيها المناية بالارض . والاقبال على تصوير المناظر الطبيعية ، هذه النزعة التي اطلقها بربيزون لقيت رواجاً عظيماً وكانت امتداداً لفن السمفونيات الراعوية .

وقد ذهب بعضهم الى ابعد من ذلك حتى انهم اوغلوا ؛ غير هيابين ، في مجال المستهجن ، فالحوف من الجهول الذي يرزح على الصدر ، عرف ادغار بو ان يفيد منه الى اقصى حد وبعنف كما اجاد ذلك مريميه بمهارته المعروفة ، وغوتييه بذوقه الرهيف ، وجيرار دي نرفال بجاليته . وسيستمر موباسان وكذلك الرمزيون بعده ، في سيرهم على حافة اللاعقلانية .

وهذا العصر يصر على ربط الحاضر بالماضي. من ذلك مثلا مناظر البطولة التي يرسمها لنا على غرار هوغو في اثريه الخالدين : والقصاص » وملحمته واسطورة الاجيال » ، وتنسون ، ووليم موريس وماثيو آرنولد ، وفريتاخ في روايته والجدود » وتولستوي في روايته : دالحرب والسلم » مؤلدا السبب بالذات لقسي واضعو القصص التاريخي ارتياحاً لدى الرأي العام واقبالا شديداً منه ثم ان الاستمساك بالارض الام والتعلق بتاريخها ، قدم منجهة ثانية ، اللشمر الملحمي ، موضوعات قوية . ومع ان هذا القصص خضع لمستازمات الواقعية واحياناً راعى ، مبدأ الفن لاجل الفن ، فالرومنطيقية ، بقيت تكاة لحذه الآداب الحديثة العهد ، تعتمد على بعث الماتي العظيمة التي تتنزى ، على اقدار متفاوتة بين الكبر والصغر ، بأسطورة هذه الماتي والانجازات التي عرف القصص الشميي ان ينفخ فيها الحياة . وهكذا اخذت بمعاضدة حركة البحث القومي التي سار في خدمتها منذ عام ينفخ فيها الحيان الواقعة بين البلطيق في الشمال والبحر الابيض المتوسط ، في الجنوب ، وعرفت ان ثعضدها وتهيء لها اسباب النجاح ، كما احسنت تعجيد الذكريات الوطنية بسين وعرفت ان ثعضدها وتهيء لها اسباب النجاح ، كما احسنت تعجيد الذكريات الوطنية بسين الموحيات القوام السلافية ، وسكان شبه الجزيرة الابيرية . وفي هذا الجال ، يستلهم كاردوتشي الموحيات التي استوحاها بيرس غالدوس او فركليكي . فنحن في عهد تدوي فيه الدنيا بالاناشيد الوطنية التي استوحاها بيرس غالدوس او فركليكي . فنحن في عهد تدوي فيه الدنيا بالاناشيد الوطنية وتشهد ابداعاً موسقياً في الحقل الوطنية .

ومن هذا المعين الرومنطيقي الذي لا ينضب ، تتفجر باستمرار تيارات الهرمونيا . فمنذ ان توارى عن الانظار الممثلون الحقيقيون لهذه المدرسة ، امثال ويبر ، وشوبرت ، وشومـــان ، وشوبان ، وليست ، جرت عبثاً محاولات تهد لطلوع مناهج أو مدارس جديدة . فكل هؤلاء الذين يكتبون وفقاً لروح العصر ، لا يستطيعون مقاومة الرغبة في استخدام الطريقة الاحتفالية وباستلهام الموضوعات التي كانت عزيزة على قلوب جيل الثلاثيثيات . فشكسبير ما زال مصدر وحي والهام لكثير من المواضيع ، وفوست يعي اكثر من كل وقت مضى ، الموضوع المفضل . فالعبور من ليست الى واغنر تم بصورة طبيعية مع ما صحبه من عنصر الحوارق والمعجزات .

القيادات الرجمية ضد الرومنطيقية : الواقعية ، الطبيعية ، الفن اللاشخصى

ما لا شك فيه قط ان الرومنطيقية لاقت ، منذ عهد بعيد حركات عديدة مناهضة لها . فكثيراً ما قرأةا عن الحركة السابقة للرومنطيقية ، وهي حركة معادية اطلت من نواح

عديدة : من باذاك وميرعيه ، كما أطلت علينا من ستندال . وكم راح بيالنسكي يتمنى ، قبل عام ١٨٤٨ ، إن يطلع علينا شعر واقعي (وهي امنية تحققت على يد نكر اسوف. وضحكة غوغول لم ١٨٤٨ ، إن يطلع علينا شعر واقعي (وهي امنية تحققت على يد نكر اسوف. وفاوبير بسحنته لم يكن فيها شيء من الرومنطيقية ، إلا أن رينان بقي قريب الصلة بميشله . وقاوبير بسحنته الحمراء وبصوته القاصف والذي تجلت له افاريز ضخمة ، يوضع لنا قائلا : « الطبيعي عندي هو الشاذ الغريب ، المستهجن هذا الزعيق الميتافيزيقي او الميثولوجي ». فلا يحق للروائي ، ايا كان ، وان يعبد المنافيزيقي الميتافيزيقي علم المنافي يبدل جهداً كبيراً لشيلا ودع الرقة اي شيء من قلبه » . وزولا نفسه يعترف قائلا : « انا اكره الرومنطيقية وامقتها فحد النربية الزائفة التي لقنتها ، فأنا لا أزال احمل في نفسي الرها وهذا ما يهيجني بالفعل » فيجمع به الخيال .

ما من احد لاحظ ان المذهب الواقعي انتشر بيسر اكبر في هذه البلدان التي سيطرت عليها الثورة الصناعية . وليس من يستطيع ان يتجاهل ما للوضعية والروح العلمية من تأثير بعيد في هذا المجال ... ! و ان ما أرغب فيه ، يصرح ديكنز على لسان احد شخوصه ، هو الوقائع ... فالوقائع او الاحداث هي الشيء الوحيد الذي نحن بجاجة اليه على هذه الارض ... علينا النئني المخيلة وان ننتزعها عنا الى الابد ، فانتشار الزندقة على هذا الشكل ليس بغريب قط عن هذا الاقبال على الامور الحلاعية والمقذعات فلم يعد ثة من موضوعات سامية اوخسيسة عطة . كل شيء يمكن ان يصبح موضوعا بعد ان تحيز واصبح واقعيا . فاذا اعسترفنا للماضي ببعض الشأن ، فعلى شرط تجريد الوقائع التاريخية من العنصر الاسطوري الذي يقلقها . وعلى هسذا الاساس انزل رينان يسوع الى الارض ورده الى الحيط الذي و'جد فيه وفسره من خلال الناس الذي عاش بينهم . وهكذا تسقط فتنة الاجيال الوسطى ويزول سعرها ، هذه الاجيال السق الذي عاش بينهم . وهكذا تسقط فتنة الاجيال الوسطى ويزول سعرها ، هذه الاجيال السق تبعث الرعب بما فيها من ايمان وبرص وبحاعة ، حسب ما يقوله لوكنت دي ليسل . فالتاريخ المقديم وعهد الانبعاث ليسا بأفضل منها . فعدم التأثر والتجرد من الفرض كيكن صاحبه من تشريح المقديم وعهد الانبعاث ليسا بأفضل منها . فعدم التأثر والتجرد من الفرض كيكن صاحبه من تشريح المسرح واعادت اليه حيويته ونشاطه ، منها اميل اوجييه ودوماس الابن ، في فرنسا ، وهيل المسرح واعادت اليه حيويته ونشاطه ، منها اميل اوجييه ودوماس الابن ، في فرنسا ، وهيبل

وهوتمان ، في ألمانيا ، والثالوث الشهالي الذي تألف من بجرسن وابسن وستراندبرغ ، وفي روسيا تشيخوف . اما انكلترا فيمكن ان تباهي به : تأكراي وجورج اليوت ، وبولوير لتن ومريديث طليمة سلسلة طويلة لا تقل خصباً وشهرة في حقل القصة والرواية تتمثل على خير شكل بفونتان في المانيا ، وكيار في سويسرا ، وتورغنيف ثم دستويفسكي وتولتسوي ، مهما كان من روحانيتهم فقد وصفوا لنا بدقة لا ترحم ولا تأخذ بالوجوه ، بألوان صارخت ، الطبقة الارستوقراطية الروسية العليا ؟ وعمل فلوبير مع الاخوة غونكور ، على الترويج للمذهب الواقعي، هذا المذهب الذي حرثه الفونس دوديه بكل دراية والذي وصل به زولا الى حافة المذهب الطبيعي وعرفت الذي حرثه الفونس دوديه بكل دراية والذي وصل به زولا الى حافة المذهب الطبيعي وعرفت ايطاليا ، هي الاخرى المذهب الواقعي (الموسيقي والأدبي على السواء) ، هذا المستحب الذي يتمثل على أمّه في مؤلاء الروائيين امثال فرغا وكمبوانا والموسيقار مسكاني وليونكا فالتو وبوتشيني .

وكوزبييه من رجال الطليمة بين الفنانين الذين تصدوا بشدة لا بل بمنف لهسده التفاهات الرومنطيقية ، كانوا من جند المذهب الواقعي . وقد عرفوا ان يجتذبوا اليهم ميليسه الذي يرى انه : « لا حرج قط من استخدام اللفظ الزقاقي اذا ما صلح التمبير عن السامسي الجزل ، وكلاهما يؤلف « كتلة » انتصبت في وجه هذا الرياء الاجتاعي . امسا في البلدان الاخرى ، فتصوير الواقع عنى بالاحرى ، بتحديد التفاصيل بكل دقة . ومختصر القول على كل من ينادي بمبدأ الفن الفن ان يطرح جانبا كل عاطفة شخصية .

فهذا الشاعر الذي يحرص على نحت وصقل عمله الاثري نحت الصائغ لقطمة ذهب بين يديه وصقلها ، يبتمد كثيراً ، ولا شك ، عن عنصر التأثير . وهنا عودة ثانية الى النمنمة الي نشاهد رواجها عند السابقين المنزعة الروفائيلية ، كها انها عودة الى الانشودة . غير ان المذهب الوضعي ترك اثره البعيد في لو كونت دي ليل، وفي وتينه ، ولا سيا في مؤلاء الذين على شاكلة براغا زعيم مدرسة كوامبرا ، يرون في الحادث الواقعي مظهراً جمالياً . واذ كانوا مهتمين كثيراً بتعديد الجال فقد برزوا لنا خير من يمثل الفلسفة الجالية . فشخصية رسكن مع باتر تسيطر تماماً على هذا الفريق في انكلترا، وبير من لو والون وفوسمير في هولندا، مع تين وواغنر ونيتشه ، كل هؤلاء عبروا عن هذه الفكرة الصحيحة الكامنة تحت هذا النشاط الفني الناصع والمشرق الذي يرى فيه المالم الاجتاعي غويو التعبير الاسمى لهذا التجاوب الجاعي في الشعور .

ان مثل هذه النزعة تنفق تهاماً وعودة الكلاسيكية او الاتباعية . فقد تبنى تيوفيل غوتيه عبارة افلاطون عندما يقول: « الجمال هو تعبير عن الواقعي الحيز » . و « تين» معجب الاعجاب كله لهذه الحياة الاغريقية المتواقعة . فنظريات انفر وتعاليمه استمرت في سيرها نحسو الامام ، بعد ان عرف كيف يصمد في وجه العواصف الرومنطيقية ، وبوفيس دي شافان ربط بدوره فن التصوير بالرسم الهندسي رغبة منه في تأمين الانسجام والمساوقية . ومن مندلسوهن الى براهمز وسان - ساينس وفوريه ، عرف التقليد ان يصمد بعد ان تعسك بتأليف موسيقي آسر

وفقاً للقواعد التي وضعها القرن الثامن عشر ، بينها راح كاردوتشي يقارح الطريقة اليونانية اللاتينية . الا ان تذوق التاريخ القديم يتباين الآن نوعاً وقدراً . فاذا ما راح اناقول فرانس يعب بلذة ظاهرة من أربع فلسفة أبيقور، فرينان بدوره استعمل حبراً سرياً ، كما وجسد فن الرقاء تلامذة مخلصين ، وفيلسوف التشاؤمية شوبنهاور ينتهي بشكل طبيعي، الى فن، يرى فيه كل الحلاس .

« فالرومنطيقي الذي اتفن فنه لم يلبث ا<mark>ن اصب</mark>ح ابداعياً ؛ ولهــــذا السبب عينه انتهت الرومنطيقية ، إلى البرناسية ، كما يؤكم فالبري ، ويرى تيوفيل غوتيه من ناحيته : د على الكاتب أن يمرف كيف يتحكم بشعوره ويكبت احاسيسه في كل ما يكتب ، ؟ ولو كونت دى ليل هذا الجهوري من تلاميذ فوربيه ومريديه ونصير القابة ضد المصنع وضد <mark>تمديات الص</mark>ناعة · والمستسلم بكليته الى بدائية تقول بالاشتراكية ، لم يعد لبرغب في علمائه وكبرمائه واشمئزازه ، الا الانقطاع الى هذه اللذائذ الوضعية . فمعرفة الايقاع والانفام هي فوق كل معرفسة ثم تأتي التفصيلات الدقيقة فتكل ما ينقص . وهذه الدقة التي تميزت بها شاعرية كادوتشي وشادت عظمته ، سيمرف جوزيه - ماريا دي مربديا ، الذي طلع من الجزر ، على شاكلة لوكونت ، كيف ينميها بدوره ويعني بها في ديوانة Les Trophées مجيثان كل مقطع من مقاطعها و سجل منتهى الدقة ومنتهى الجزالة ، ؟ وهذا الفن الذي بتسم بالقوة عند الشاعر الابطالي صاحب : «الأناشيد البربرية» ٬ والذي يتنزى بالعلم والدقة ٬ و<mark>الذي يعنى</mark>الى اقصى حد٬ بالصيغة المتناهية الكال ، لا يخار دوماً من مسحة من الكاّبة والسام. فالامثولة كان لها دوي عظم : فظهرت عام ١٨٨٧ و الاناشيد القديمة ، كا أن و الاناشيد المفجمة ، لن ترى النور قبسل عام ١٨٨٥؟ وني هذه الفضون ينشر بودلير ، عام ١٨٥٧ ديوانه الموسوم • ازاهــــير الشر ، كما ينشر فرلين عام ١٨٦٦ : ﴿ الْاناشِيدِ الرَّحَلِيةِ ﴾ ؟ وفي سنة ١٨٥٧ ، وضع واغتر : ﴿ مَذَكُرةَ تربستان » . وهكذا أطل علينا شعر جديد ، رمزي الطابع وجد الطربق امامـــه ممهدة بهذا الانشاء الجزل الدقيق.

الدرسة الإنطباعية في عام ١٨٧٤ راح ناقد فني يعلق على احد الرسوم يوقع اسمه كلود مانيه فيصفه وبالفن الانطباعي ، بينيا دليل المعرض يشير اليه بسارة و انطباع ، الشمس الطالعة . و يا لذا من مساكين ، وسنبقي مساكين ، طفق يردد الفنانون بعد ان اطلقوا عليهم هذا الوصف التعربفي .

وقد شاء بعضهم ان يرى في مذهب الاخوة غونكور ظهور مدرسة ادبية جديدة يرمي الى وصف الاشياء كما تبرز للميان في اوضاعها المتبدلة . فهم يشددون على الالوان وعلى المظاهر . ولما كانوا من الاوائل بين من ادخلوا الفن الباباني الى فرنسا ، فليس من عجب قط اس يقعوا تحت تأثيره المباشر . وقد اطلق جول لوميتر فيما بعد على نقوده الذاتية عنوان: «انطباعات حول المسرح ، . وأناتول فرانس نفسه لا يستعمل تعبيراً آخر عندما يعرض افكساره الشخصية في

كتابه: والحياة الأدبية ، .

نحن الآن امام شيء من هذا ، في الموسيقى . وشابريه الذي عرف ببراعته وتفننه سار هو الآخر في اتجاه أفضى به الى مذهب دي بوسي . ولا يسمنا هنا الا ان ننوه بالرواد من الموسيقين الانطباعيين ، امثال موسور غسكي الذي عرف بقدرته على تنويع التدوين الموسيقي . وقسد يكون استبقى ، من هذه الناحية في كتابه الموسوم : و بوريس غودونوف ، الرغبة التي طالما اعرب عنها دي بوسي ، وهي الاحتفاظ بما يسمى طابع المفوية او الطابع الزئبقي .

ان اساوباً من هذا النوع ، وقد يكون شيئاً آخر - ظهر مع ذلك بين الرسامين . فالفنان الإنطباعي يرى كزميله الفنان الموضوعي بين الامور المستمدة من حياة العصر ، اشياء طيبة . الا أن الأول منها دأخذ على الثاني اعتقاده بطاهر وظواهر دائمة مستمرة كا يأخذ عليه انصرافه للرسم <mark>القاتم ؛ في</mark> مرسمه السيء الان<mark>ارة والاضاءة . والحال ؛ فالمهم في الامر هنا ليس هذا</mark> الشيء بداته ٤ بل الضوء الذي يكشفه أو يبرزه . فالحادث الثوري وقم بالفعل عام ١٨٦٣ عندما عرض مانيه في صالون المرفوضين رسمه المشهور باسم : ﴿ ترويقة على الحشيش ﴾ وهـــــى صورة وضميا في الهواء الطلق . وعلى شاكلته نرى مونيه مأخوذاً ﴿ يهوس الضوء وحميسي النور ﴾ . والحال؛ فالنور او الانارة تتغير وتتبدل بتغيير الظروف والاحوال الطارئـــة . ومن ثم فالشيء الماثل امامنا هو هــو ذاته في كل الحالات اذ ان لاتغير ولاتبدل في ذاتيته . مما لا شك فيه اننا هنا امام تأثير ال Estampe الياباني الذي لقي في فرنسا نجاحاً عظيا بعد ١٨٧٠ عندما أخذت امبرا<mark>طورية</mark> الشمس المشرقة تلفت اليها انظار العالم ولا <mark>سيما الاور</mark>وبيين [،] كما اننا ايضاً ا<mark>مام تأثير</mark> الفن الهولندي والاسباني ايضاً كما هو ثابت.وهذه الثورة مدينة بنوعخاص لعم البصريات الجديد الذي استشاطه التصوير الفوتوغرافي ومظاهر المشهد الصناعي: فالرمادي والاصفر يغشيان كلشيء حيث تغيم الالوان وتبهم وتشتد بالنالي الحاجة لنور ساطع . فالفنان الانطباعي لا يمزج ألوانه على الملاون (الوحة الالوان). فهو حريص على أن يضع جنباً الى جنب الازرق والاصفر ليحصل بها على الاخضر . فهو يحل المركب ويترك للمين مهمة التركيب عن بعد . وهكذا فهو يضاعف اخف المؤثرات وادقها ، والهواء الطلق يوفر له اللقطات الآنية، كما يفعل المصور الفوتوغرافي اذ يأخذ الشاهد بنت ساعتها .

و كاود مونيه الذي يعتبر خير ممثل لهذا الطراز الفي لم يلتقط من الديكور المسارض سوى المناظر الآنية ، والمناظر الهروب ، اذ ان الموضوع لا شأن له مجد ذاته . فالابعداع او السعو يكون في رسم و الحنواء » . وسيزلي يضحي بمهام الارض في سبيل السهاء ، ورينوار الذي برهن عن روح استقلالية كبيرة والذي انطلق من كوربييه الى مونيه ليكون اكثر فأكثر على مقربة من ديلاكروا، آثر الوانا تهيج الحواس وتثيرها لا يمكن اعتبار ديناس في عداد الفتانين الانطباعيين المؤمنين ، هذا الرسام المحافظ ، اليقظ ، انقطع المرقم (البستل) وتوصل به الى نتائج مدهشة فاذا كان من المسير وضع هوسار في مرتبة مونيه فقد دشن ليبرمان ، مع ذلك ، في المسانيا ،

مَدرسة القطيمة او الانفصام ، هذه المدرسة الفنية التي تنتسب للانطباعية وطرفت بعورهـــا رواجاً وازدهاراً كبيرين في البلدان الشهالية ذات الجو السويدائي . وبوفيس دي شافان مسدين بهذا الصفاء الذي عرف به لقضايا من هذا النوع سيطرت عليه واستبدت به .

كثيراً ما وصف نفسه ب tondtchter اي شاعر الموسيقي الذي واغنر والاتجاه نحو انفن اللامقلاني جم في شخصه كل التيار ات الفنية الذي عرفها القرن. رومنطيقي، فقد وكانه؛ كل حياته ، اقله في انفتاحه للموسيقي . فقد واجه ثورة ١٨٤٨ كما يواجه حدثًا داويًا يصبب النظام الاجتاعي فطلم علينا سيغفريد فوضوي يتحدى الآلهة . وقد وقف في كتابه : راسين الى سكريب ، ما هو تقليدي ، في سبيل ، النبوغ ، كما لم يوفر في موقفه هذا اليهودي ، اى روتشيلا مرمزاً من تعابير Glaubiger الى دائن المساوك وملهى المؤمنين ، ومندلسون وماربير مم العلم أن البهودي يمكن أن يرجم أنسانًا أذا ما تجرد من يهوديته . ففكرة التحديد تسيطر عليه ، هذه الفكرة المتحكمة باتباع المدرسة الرومنطيقية بالرجوع الى الهرمونيا ، الى « برباعية خاتم آل نيباد نجن، فوضع نص النشيد و احكم الحبكة بين التأويل الموسيقي والمشهد. وتطالمه فلسفة شوبنهور القائلة بالفن المنقذ . ويتجه فنه بعيد عام ١٨٤٨ ، نحو الرمزية السيق تجلت بكل معانيها في كتابه : « تريستان ، وبعد الفشل الذي اصابه بـ « تانهوزر ، في باريس ، لاذ بمرفأ السلامة الذي وفره له لويس الثاني ٬ ملك بافاريا <u>. وم</u>نذ ذلك الحين وضع ك<mark>ل آماله في</mark> المانيا المتجددة . فالقطمة التي وضعها بعنوان : Les Maitres Chanteurs de Nuremberg هي مجلى لسمو العبقرية المتحررة التي انقذت في شخص، لوثير المانيا من هذه الصيغ والقوالب الضيقة ، وبهر مسرح بيروث ليشهد تمثيل وقائع سيفغريد الذي برز الآن بطلا قومياً وكذلك برزت شخصة برسيفال المنقذ .

واستبداد موسيقي واغنر بالناس واستثنارها بأذواقهم يتفق وطلوع الوحدة الالمسانية . قليلون جداً الموسيقيون الذين لم يؤخذوا بسحر هذه الموسيقي ، ولم يستطع كل من قسام منهم بحركة رجعية منهم ، امتسال دوبوسي ، ان يتفادى سحر الرمزية . « خرجت غبولا من مشاهدتي Felstspielhaus ، صرحفيما بعد ادوار هريو بعد ان استمعو شاهد الرباعية Felstspielhaus ، مشاهدتي المنهم ، هذه المعربية المالكرتزياني الحديث العهد ، لاستمتع بهذا المشهد الموسيقي الضخم ، هذه المينانية المنافقة والحب ، ولاحتال مرأى تشنجات البرنيخ الغزم والحركات السحرية التي ترسمها الحلقة الساحرة في دورانها الذي لا ينتهى حول المرسة .

وقد خطر للبيست أن بوسع واغنر أن يحقق حلم المسرح الموسيقي ذي المسدلول الفلسفي العالى . والآثر الواغنري هو الذي حققه نيتشه . فبعد أن وضع جانبا العقلانيسة السقراطية ، واعتقد بالسائل الحيوي الديونيسي الذي يستطيع اذا ما تعاون مع القوة الابولينية ، أن يخلق

الانسان الكامل . فقد نزع نيتشه بارادته لمحو القول بمبدأ حياتي سام ، الا انه يأخذ بعد قليل ، بمهاجمة موقف واغنر من قضية الفداء أو الخلاص ويتطور ، بعد موت واغنر عام ١٨٨٤ ، بالجماه فلسفة نيورومنطيقة شخصية ، صرفة ، كان لها تأثير كبيرني اخريات القرن التاسع عشر .

ربما كان بودلير بين الأوائل ممن انبروا للدفاع عن واغنو مع الابداع الشمري المستقل والرمزية الرجل الغريب الطباع ؟ الوجيع، الصعب التصنيف، كما يقول فيه هوغو وقشعريرة جديدة ٥٠ وفرلين الذي يستحق هو الآخر الشفقة ، والذي تأرجح بين الايمان والتهنك وسيطرت عليه ابسط الفرائز مشترطاً « توفر الموسيقي قبل كل شيء » ؛ متصرفاً بكل حريته بالانظمة ؛ دونما النزام ؟ مزدرياً بهذه الاصنام وبهذه التاثيل ؟ وقد رُفع على ألها كل رسميا بعد عشرين سنة من وفاته . وبأسلوب يفيض بالجرأة الت<mark>ى لم تعرف لها</mark> شبيها من قبل٬ راح رامبو ، محمولا على اجتحة الاحلام والحنيال الشرود ، يرصف امام اع<mark>يننا، صوراً لم تخطر ي</mark>رماً عـــــلى بال ، باحثاً عن الش**ك** بقليل ﴾ طلب علنا مالارمه بنظمه التقليدي ينشر على الله عددا محدوداً من قصائده الرقانة الداوية ارادها و ساحرة ، تفيض نقاء فكرياً . وهذه الرمزية جاءت كما ارادها واغنر ، أذ شدت وثبقاً ، بن الموسيقي والشمر . وهذا الفريق من الشعراء المروفين ب Décadents ومن بليهم من الشعراء الرمزيين ، وصفوا انفسهم بشعراء فرنسا الشباب في الحي اللاتيني و قبلة ممن فتحت لهم الابواب ، فتقبلوا بارتباح كلى » ، البيان الجمالي الجديد الذي طلم علينا به مورياس. فاذا كان المراد بالرمزية هذا الفن الذي استسلم · بعد ان <mark>تسلح</mark> بالشعر المرسل *ا*لشعور وحده

والعناصر الموسيقية ، وقام بحركة رجعية ضد البيان الوصفي واستخدم الايحاء واكثر من الجاز الشعري ، هذا التيار ارتدى اذ ذاك ، اتساعاكيراً . فقد غزا بلجيكا وتمثل فيها على خبر وجه بمترلنك وموكل بقطع النظر عن فيرهارين . وقد تمثل في انكلترا بالشاعر بريدجس وسونبرن كما ترك كم ترك ميسمه في الثالوث الشمالي ، وجانب الكاتب الايطالي دانونزيو وترك فيه اثره ، كما ترك ميسمه في الكاتب السويسري سبتار ، ودخل روسيا مع تيوتشيف « فت » . فألهم المسرح كما ساعد في تمهيد الطريق امام الثورة التي قام بها دوبوسي في الموسيقي.

حركة انقطاع او انفصام تام عن المذهب العقلي او مذهب التعقلية . وفي سنة ١٨٨٩ اخسة برغسون يطلع على الناس بنظرية الاكتناه . ونتبين بين هذه التيارات الفكرية والفنية الدقيقة تباعداً تقدمياً نحو النظرية الموضوعية . وهكذا جاءت خاتمة حقبة عظيمة لعمري .

ولفصل ولشالت

الريف يأخذ جزئيا بأسباب النطور

فاذا لم ترجع كفة المدينة عددياً من الرجهة السكنية ، فقد سجلت مع ذلك، في جميع الحاء اوروبا شاناً لا ينكره الاكل مكابر عنيد . فعلى العالم الريفي ان يتكيف وان يتطور بما يتلامم وهذا الوضع . ويحق لنا هنا ان نتساءل ما اذا كان بالامكان ان نقارن بين و الثورة الزراعية ، و الثورة المناعبة ، كيا ترى ؟

اكتظا<mark>ظ ا</mark>لريف بالسكان ونزوحهم الى المدينة

ومذا الازدياد السريع في حركة السكان في المدن بقابلها المخفاط نسبي في حركة السكان في الريف . فالاسر السبق تميش على مرافق الزراعة انخفضت نسبتها في كل من

ايرلندا وفرنسا . فالريف لم يمد في فرنسا سوى ٢٣ ٤٩٢ نسمة عام ١٨٩٦ ، بينها كات عددم ٢٦ ٧٥٣ ٠٠٠ ؛ وبلغ من وضع بعض البلدان من هذه الناحية و أن راحت تنعي الارض التي تحتضر ، :

> فالسهل كثيب كتعب كليس من يحمي حياه والسهل حزين يحتضر وقد ابتلمته المدينة (فبر هارين و المدن الاخطبوطية »)

ومع ذلك ، فهذا الوضع لا يعني قط ان الهبوط النسبي الذي طبيع معظم الدول الاوروبية يعكون انخفاضاً مطلقاً فلا نزال نشهد في كل من انكلترا والمانيا تزايداً مطسرداً وان جاءت حركته اضعف مها كانت عليه في الماضي . أما في الجنوب والشرق من اوروبا ، فهذاالنمو يطسره بصورة محسوسة .

فكل مرة تعجز الارض عن إعالة سكانها أو تعجز عن الاحتفاظ بهم ، نرميها باكتظاظ السكان . ومع أن المدن لا تعوّل في معايشها على الفلاحين الاوروبيين وحسيدهم ، فكثيراً ما زراهم يتخلون عن بعض انتاجهم الطيب طمعاً بالربح أو نزولاً عند مقتضيات القانون (فتصدير

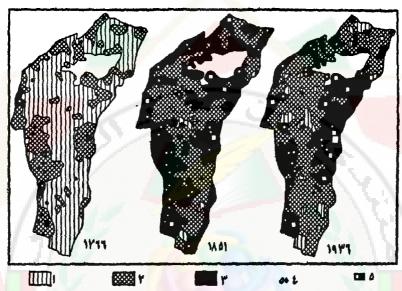
الحنطة في روسيا مثلا ليس نتيجة فائض الموسم ، بل زهداً بالخبز الابيض) . فكثافة السكان في الريف يمكن اعتبارها على شيء من الشدة في عام ١٨٥٠ ، اذا ما قارناها بنسبة المحصول . ولما كان معدل الوفيات لا ينخفض الا قليلا او انه يبقى على حاله ، فقد كان من المتوقع التوتع هذه الكثافة على اقدار ملحوظة لولا حركة نزوح السكان الى المدن او هجرتهم خارج اوروبا .

ومها يكن ، ولكي يتجنب الفلاح النتائج الوخيمة التي كأن لا بد ان يغضي البها ازدياد السكان ، كان عليه ان يبقى حيث هو ويعمل عسلى زيادة موارده ، او ان ينزح عن ارضه ويحل بعيداً .

فهو لن يتخلى عن ارضه بمل ارادته . ولذا نراه على شاكلة من تقدمه من السلف الراحل و حثيراً ما يؤجر خدماته . فالهجرات الفصلية او الموسمية ازداد الاخذ بهما بفضل طرق المواصلات والنقل الميسرة وهي هجرة تسببها دوريا الحاجة اليد العاملة ، في هذه المزدرعات الضخمة ، في بعض المواسم الفصلية ، كالقمح والكرمة . فواسم الحصاد في سهل Beauce يحتذب اليه عدداً كبيراً من الحصادين يأتون من بين سكان مقاطعة بريتانيا او من البلجيكيين . كما ان هذه المواسم في مقاطعة الساكس تجتذب العديد من البولنديين العمل فيها . والانسان لا يتردد عن ركوب البحر اذا ما دعاء داعي الهجرة الى ذلك . فها هو الاسباني والبرتغالي والايطالي ينزحون الى اميركا الجنوبية اثناء الشتاء الشمالي العمل فيها خلال فصل الصيف ، فوضع العامل الفصلي او الموسمى ليس فيه قط ما يرغب او يشوق . فأيام الشفل عنده مضنية ، مرزحمة ، بينما يبقى عاطلا في ما تبقى من ايام السنة . وهكذا يساعد ذويه ويؤمن لهم اسباب العيش كما ان الملاك الراسمالي يستثمر الى اقصى حد في مزارعه هذا الرديف الآني من اليد العاملة .

وهكذا ترى كيف ان المجتمعات الريفية اخذت بالتفكك والانحلال في اوروبا الوسطى بينما ينصرف صاحب قطعة الارض الصغيرة للاستدانة في سبيل استثارها وتوسيع نطاقها . أما في المانيا فالاسر التي يعمل بعض افرادها في الزراعة ، اخسند عددها بالتنافض بين ١٨٧٥ - ١٨٩٥ بينما يزداد ، من جهة اخرى ، عدد الاجراء والخدام العاملين في المزارع . فغي جنوب انكلترا حيث الاستثارات الضخمة تشغل ٨٠ بالمائة من مساحة الارض ، فرى تيار الهجرة فيها يجرف عدداً اكبر مما يجرف في الشمال . والهجرة اشتدت في شرقي المانيا أكثر منها في غربيها، ولكي تحد الحكومة من تيارها الجارف فرضت النظام المعروف عنده المحال اللياومين أراضي بموجب عقود خاصة تخولهم استثارها. وهذا التدبير اتخذ يقضي باقطاع العمال المياومين أراضي بموجب عقود خاصة تخولهم استثارها. وهذا التدبير اتخذ مثله في كل البلدان التي تقوم فيها الملاك واسعة للدولة كما اصاب ايرلندا وشبه الجزر المواقمة الى الجنوب من اوروبا على البحر الابيض المتوسط، والبلاد الاخرى الواقمة الى الشرق من اوروبا، فاذا ما راح ملاك كبير يفرز ارضه قطعاً صغيرة للاستثمار اجتذب اليه عدداً من الفسلاحين المزارعين ، فأدى ذلك بقسم من الهيا المهربة الى انشاء عدد من القرى الجديدة قامت حول المؤارعين ، فأدى ذلك بقسم من الهيا المهربة الى انشاء عدد من القرى الجديدة قامت حول

مزارع معزولة عرفت عندهم باسم tahyos حمرها اقوام من غاليسيا وآخرون من سلوفاكيا . اما تلك المناطق الجبلية كجبال الالب وسلسلة الجبالالوسطى حيث وصلت عملية احياءالاراضي الموات الى حدود المناطق الزراعية فقد عادت عليها هذه الحركة بالحيف والخسارة لصالحالسهل



شكل رقم ١٦ _ كثافة السكان الزراعيين في ألزاس السفلي

١ - اقل من ٥ ٧ فسمة في الكياومتر المربع، ٢ - من ٥ ٧ - ٠ ٥ ١ فسمة ١ ٣ - اكثر من ١٥٠٠ ، ٤ - مجمعات كنية تعداد كانها اكثر من ١٠٠٠٠ ، ٥ - مجمعات سكنية تعداد سكانها اكثر من ١٠٠٠٠ .
 الى الغرب: منطقة الكورم وكوشيرسيرغ . إلى الشال: منطقة هاغنو وغابتها . إلى الشرق : منطقة الرييد على طول نهر الربن .

يلاحظ النزايد الفلاحي حتى منتصف القرن ثم الجنوب الذي مارسته ستر<mark>اسبورغ ومنطقتها .</mark> (نقلا عن جوييارالحياة الفلاحية في الزاس السفلي ، ص ٣٢٩) .

اذ راح المزارع الفصلي يستقر فيها بعد أن اطمأنت نفسه الى ظروف الميش المؤاتية . فمنطقة المرابع الفيض المؤاتية . فمنطقة المرابع مثلا كانت في وضع أخف من غيرها ؛ اما في ضواحي مدينة سانت أتيان ، فالهبوط لحق بالاخص المقاطعات الريفية حيث اخذت تنشط صناعة صغيرة للتعدين ، بينها الصناعية الضخمة تقتل الحرق المتشتت بعضها عن بعض كما انها تستقطب اليد العاملة المتوفرة .

هذه التغييرات السكانية انما تشير صراحة الى المساوى التي يتأذى منها الريف. فاذا ما أدت حركة النزوح هذه الى التخفيف بعض الشيء من الضغط الذي يحدثه اكتظاظ السكان على وضع إقتصادي محدود النشاط ، فقد اضطرت طبقة الفلاحين التي بقيت مسلازمة للارض للاخسف باصلاحات جزرية تساعدها على قهر الصعوبات التي تتعرض لها والتحكم بها .

تطور التقنيات الجديدة واستئبار أصلح الارش

من المبادىء التي تعتمدها المندسة الزراعة وتنهض عليها هي ان الزراعة مظهر من مظاهر الصناعة ووجب من وجوهها المتعددة ، تخضع مثلها المعتضيات العلم والتعنية . قعلم النبات

وعلم الحيوان والاقتصاد الزراعي اساسها كلهاالماوم الطبيعية والفيزيائية والكيميائية وعلم الاسواق عبا تقوم عليه من فنون التسويق والتنفيق . ولذا انتشر التعليم المهني وذاع . ولا شك ان رأس المال لعب هنا دوره البارز بحيث ان الفلاح المتعلم هسو على الغالب ملاك ، ينعم بيعض الثراء . ولكي يتخلص المستثمر الصغير من المصاعب التي يعاني منها ، كان عليه ان يتغلب على مساطبع عليه من روح فردية وان يبرهن عن استعداد العمل بروح تعاونية . فالمفارقات تبقى كبيرة ، واضحة بين من يرسفون في قيود العادات القديمة البالية ، وبين من اخذوا باسباب التجدد ، يجاهد الفريق الاول منهم ويناضل في ظروف وصروف غير متساوية مسع الجهود التي يبذلون . فليس بغريب قط ان تلعب 'سنة الاصلاح وقانون الاكفأ لعبتها المعروفة هنا ايضا .

ومن جهة اخرى فهذه الاقطان والاراضي الزراعية القديمة في اوروبا لا تصلح جميعها على السواء للاجهزة الميكانيكية. فقد تركت فرنسا المانيا تبزها في هذا المضمار وتتجاوزها بعيداً. فقد كان لالمانيا عام ١٨٨٠ من الحاصدات الميكانيكية ١٢ ضعفا عماكان لفرنسا منها ، وضعفان من الدراسات التي تعمل على الخيل ايضاً، فبلدان اوروبالشمالية وتتبنى قبل غير هامن البلدان الاوروبية الاخرى المماخض الآلية ، لان صناعة الالبان فيها اصبحت موضوع عناية وتخصص مستعرين.

فاذا ما اخذت الزراعة بالتقهقر في هذه الاراضي المرتفعة الواقعة على سفوح الجبال بعد التقلت عنها يد الانسان العاملة ، فالاعمال المتعلقة باحياء الاراضي الموات تتقدم باطراد مستمر وعلى هذا هبطت في فرنسا مساحة الاراضي البور بين ١٨٨٧ – ١٩٠٨ من ١٩٠٠٠٠٠٠ الى وعلى هذا هبطت في فرنسا مساحة الاراضي البور بين ١٨٨٧ – ١٩٠٨ من ٢٠٨٠٠٠ الى و ٢٠٨٠٠٠ كان اعمال تجفيف الاراضي تسير على قدم وساق في مقاطعات سولوني والبراين والدومب كان اعمال تجفيف الاراضي تسير على قدم وساق في مقاطعة وكامارغ ، وبدلت جهودا جبارة باستمرار لاستصلاح الاراضي المخفضة عن سطح البحر (Polders)، واستخلاص بطون المناجم من رواسب المياه وابتنزاح الرمال من هذه الاراضي المتعدة من مقاطعة با دي كاليه الى مشارف سكندينافيا . ومثل هذه الجهود تخصص لمقاطعة كعباين ، ولهذه السهول المنبسطة التي تمتد على شواطىء هولندا والمانيا، واراضي الجوتلاند والسويد السيئة التصريف. وانفرس تستعمل نفاياتها والمقول ، ومواسم طيبة من الحضراوات والبقول ، ومواسم طيبة من الحضراوات والبقول ، ومواسم طيبة مناخرة القطوف من البطاطا ، واعمال تصريف المياه، واقامة السدود والمقيان المياه . امسا في ايطاليا الشهالية ، فقد استعملت اقنية الري على نطاق واسع من قيل لطفيان المياه . امسا في ايطاليا الشهالية ، فقد استعملت اقنية الري على نطاق واسع من قيل لطفيان المياه . امسا في ايطاليا الشهالية ، فقد استعملت اقنية الري على نطاق واسع من قيل لطفيان المياه . امسا في ايطاليا الشهالية ، فقد استعملت اقنية الري على نطاق واسع من قيل لطفيان المياه . امسا في ايطاليا الشهالية ، فقد استعملت اقنية الري على نطاق واسع من قيل لطفيات قناة كافور ان تروى ٢٠٠٠٠ همكنار من الاراضي الزراعية ، كما انه وضم

فيها برنامجاً واسع النطاق لاستصلاح الاراضي شمل كل انحاء الجزيرة الايطالية. ومشكلة التشجير هي موضوع اهتام الجيسع منذان تبينوا الاخطار التي تتهدد التربة من جرءا تعرية الارض من الشجر وتعرضها للانجراف مع المياه المتدفقة شتاء من سفوح الجبال نحو البحر.

كذلك بذلت عناية كبيرة لتحسين قدرة التربة على العطاء والانتاج . فالعهد الذهبي الذي عولم افيه على سواد الفوانو والذي يقع بين ١٨٥٠ - ١٨٨ ولى وأدبر لتحل محه محسبات جديدة طلعت علينا بها الكيماء الحديثة جساءت مسعفاً كبيراً السواد الحيواني . واستعمال السهاد الكيماوي الذي نجع نجاحاً باهرا في هذه الناحية ، كان فعله بطيئاً في نواح اخرى ، مما اتاح الفلاح مردوداً لكبر وادى بالتالي الى نتائج اطبب في المحصول . والنهوض باتربية الماشية ، عن طريق الانتخاب الطبيعي والتأصيل ، واستيلاء عروق جدية ، ومكافحة الاوبئة والجوائح الحيوانية فقد نصح خبراء الزراعة بالتمويل على تسميد الارض بالسواد الطبيعي ، واعتماد انتخاب افضل في الحيوانات الداجنة ، وتأصيل في النبات ، وكلها ذرائع ووسائل علمية ادت الى معصول أطيب في البطاطا مثلا اذ اعطى المكتار الواحد في المانيا ه ٢ طنا عام ١٩٠٠ لقاء سبعة اطنان ونصف في فرنسا ، واعطى محصول الشمندر ١١٪ من المادة السكرية بدلا من ٧٪ . كذلك بذلت عناية اكبر في عمليات التطعيم والدرخ ، كما اشتدت اعمال المكافحة ضد الامراض الطفيلية في النبات اللازهرية ، وهكذا تغلبت زراعة الكرمة على مرض الارمداد ومرض المفن الفطري وعلى الفلوكسرا.

فكيف السبيل بعد لتطبيق هذه الاكتشافات وفقاً للبيئات الجغرافية ؟ فاذا ما اقتصرنا على المساحة ، فالمسائل التقليدية لا تزال هي المسيطرة حتى الآن . فالطريقة الزراعية القديمة المنددة المزروعات ، وهي الطريقة التي تمليها الفريزة والحكمة ، وذات المردود الضعيف ، تصمد في كل مكان وتقاوم تيار التجديد في تلاثم تماماً نشاط صفار الملاكين ، وهذا الفلاح الذي لا ارض له ولا املاك ، لا يقبل التخلي راضياً عن العادات والاعراف المعمول بها في مجتمعه والمعول عليها في بيئته . ففي الجنوب الاوروبي ، يتألف معظم الريف عا يعرف عنده ب Saltus اي من اراضي للرعي تجاور ما يعرف عنده بالاراضي الصالحة للزراعة التي درجوا في استثارها وفقاً لنظام التحويل الزراعي . كم هو كبير عدد البلدان التي تمتد حلقاتها من البلدان السكندينافية حتى سلسلة جبال شيارا مدورينا في اسبانيا وفي البلقان ، اصبحت عملية الاحتشاب عندهم من ذكريات الماضي البعيد .

والملاقات في الحياة والاتساع الذي تتخذ، في المجتمع هي التي تعمل على تعديل ذهنية ابن الريف. والعلامتان الفارقتان اللتان لا تدعان مجالا المشك هما التخلي عن نظام الدورة الزراعية وفقاً لما درجوا عليه منذ القديم ، والعزوف عن تعاطي زراعة الحبوب وتربية الماشية. ففي هذا انهاك للارض من جهة بوجب الركون الى تسميدها، ومن جهة ثانية ضان نجساح التخصص وترسيخ لاصول الزراعة الاحادية ، مع العلم ان نجاح تربية الماشية يستدعي استبدال عملية

ال Emblavure بالمشب وزراعة النباتات العلقية والبطاطا التي تحل بشكل اجدى وانفع محل الارض البور . فيمد الفصل بينها ، تختار كلمن زراعة الحبوب وتربية الماشية ، الاراضي التي تلائم بالاكثر ، كل واحد منها . وتربع الواحدة منها ، من حيث الانتاج والحصول، مسا تكون خسرته من المساحة ، بدنها يسجل الثاني ازدهارا اكبر. وهذا الانفصال الارضى يعود بالخير على زراعة الكرمة والحداثق وبساتين الخضرة . غير أن الفصل يستدعي تبادل الحدمات ، والاخذ بنظام يرمي لتقديم الانتاج الزراعي الذي له قيمة اكبر من الوجهة التجارية. فالاكتفاء الذاتي يعني ان تنتج البلاد ليس كل ما تحتاج اليه ، بل القدرة على تأمين ما لا تنتجه البلاد بسعر منخفض . فكل بلد يحدد نوع الاختصاص الصالح له حسبها محدده علماء الاقتصاد الحر . فبعد ان عزفت انكلةرا عن تأمين حاجتها من الحبوب محليا لتحصر جل نشاطها الزراعي بتربية الماشية ، فقد كانت اول بلاد تقوم بمثل هذا الاختيار ، وهو تصرف لم يلبث أن حذا حذوه كل من هولندا وسكندينافيا وسويسرا ، والدول الاخرى التي لا تتوفر لهــــا امكانات اكبر كفرنسا مثلاً تركت لختلف مقاطعاتها وعافظاتها ان تختا<mark>ر علىضوء مصلحت</mark>ها وحاجتها ؛ نوع النشاط الزراع<mark>ي</mark> الذي يلاثم طبيعة تربتها . فالكرمة تنوعت نصوبهـــا ، وتلونت هروقها في الجنوب ، حيث حاءت التحرية تشت بإنه من المقاطعات الواقعة على الساحل الغربي ، لا يمكن أن يعول عليها لتأمين البواكبر في انتاج الثمار . والسهول الغرينية اثبتت صلاحيتم الانتاج الحنطة والشمندر فنشطت ؛ في المقاطعات الجيلية ؛ تربية الماشية ؛ وهو نشاط تتقاسمهم السهول الرطبة. فالخط الحديدي والملاحة يسملان نقل المحاصيل التي تعطي البلاد مردوداً طيباً . فالمدينة هي التي تنظم وتقنى حركة المبادلات . فهي تشتري لتبيع ، وتمد الريف بالآليات الزراعية وتقدم له كل مسأ لا يستطيم توفيره او صنعه .

> التطور الزراعي يتوال بين مواسم خصبة وسنو<mark>ن عجفاء</mark>

ترتبط الثورة الزراعية ارتباطاً وثيقاً بتقلبات طويلة الامد، بميدة المدى. فقد عقد الريف سنة ١٨٥٠ ، آمالاً طيبة على المواسم ونشطت بالتالي الحركة في المدن كا زاد فيها النشاط

التجاري. فالاستهلاك ازداد ووسائل النقل الجديدة سهلت عملية مد الاسواق المحلية بحاجاتها الاولية. وقدصحب ارتفاع الانتاج الزراعي ارتفاع عام في الاسعار (١٠) ومع ازدياد انتاج الارض ارتفعت قيمة الاملاك بين ١٨٥١ – ١٨٧٩ من ٥٠ مليار فرنك الى ٥٠ ملياراً كما ان ربيع الارض ارتفع في المدة ذاتها ، من ٧٠ – ١٨٨٠ وفي بوسنانيا تضاعفت قيمة الفدان الواحد بين ١٨٥٧ – ١٨٧٠ كما ارتفعت اربعة اضعاف في بروسيا الشرقية . وتحسنت جداً الأساليب الزراعية ، واستطاع مزارعون كثيرون ان يؤمنوا وفسراً طيباً لهم. فنحن في صميم هذه الحقبة التي تواجه فيها بلدان اوروبا الوسطى زوال النظام السيادي

⁽١) راجع الكشف البياني ص ٨٩

عندما راح المهد القيصري يلغي عبودية الارض. وحركة نزوح طبقة الفلاحين التي اخذت اذ ذاك بالاشتداد ، اثارت شيئاً من الارتباح ، بين المديد من الاسر. وهكذا سام قسم كبير من الريف في شبكة المبادلات والمقايضات ، مع العلم ان منافسة الدول التي طلعت حديثاً لم تكن بعد شعروا بها بصورة ملحوظة .

واستمر التطور السابق في سيره الصاعب وزاد بنسبة الميل الى الهبوط. ونشطت حركة الهجرة في الريف والنزوح منه ، وهي حركة لم تقتمر على الرلندا وبريطانها المظمى، بل تمدتها الى بلدان أوروبا الوسطى واقطار أوروبا الجنوبية والشرقية على السواء. فالمزروعات التقليدية ؛ وفي الدرجة الاولى منها الحبوب ، سجلت خسائر كبيرة اضطر ممها المزارعون ، اكثر بما فعاوا في الماضي ، الى تحسين طرق استثمار الارض باستخدا<mark>مهم وسائل</mark> وادوات جــديدة للحصول على انتاج اكبر: وهكذا انصرفت العناية للمزروعات التي تؤمن مردوداً اكبر:كمية اصفر من القمح ومقداراً اكبر مناللحم وكمية اكبر من الهكتولترات ف<mark>ي المكتار ا</mark>لواحد . وتم الفصل تماماً ؛ في هذه الحقبة بين الحبوب وتربية الماشية . فقد استحالت مساحة ١٦٢٠٠٠ كيلومتراً مربعاً مــن الاراضي الزراعية في انكلترا الى مراع . فقبل عسام ١٨٥٠ ، كانت بلدان اسكندينافيا تبيع مواسمها من الحبوب لتشتري اللحوم . ولكن منذ عام ١٨٩٢ لم تعد تنتج سوى نصف ما كانت تنتجه من القمع ، وثلاثة محصولها من الشوفان ، الا انها ضاعفت عدد الماشة فيها ، واخذت تصدر الزبدة . وقدام الداغارك بثورة جزرية في اقتصاده الزراعي ، وارتفع الى البلدان الطليمة نفسها حققت تقدماً محسوساً في هذا المضهار بعسد ان تخلت عن زراعة الحبوب لتشجيع المروج الخضراء والمراعي للماشية وبيعها من الانكليز. وتخصصت هولندا بانتاج المواد الغذائية ذات القيمة الغذائية كالحبوب وانواع الجبنة والزبدة والزهور . فالحدائق والبساتين تقام بسرعة في الجنوب بينها تهدد الكرمة جوائح طارئة . فبلدان اوروبا الوسطى وغربيها هي التي اخــــذت ، على الاجمال؛ بأسباب حركة التكبيف والتنسيب هذه ، بينما لا تزال الاقطار الشرقية منها في طور زراعـة الحبوب .

وهذا لا يعني قط أن الجهود المبذولة لتأمين حركة التطور ودفعه إلى الامام كانت كافية .

فالازمة تصيب بالاحرى هذه المناطق التي لم يطرأ تبدل يذكر على نمط العيش فيها . وبفضل هذه الفريزة التي ر'كبت فيها بالفطرة ، اخذت الطبقة العاملة في الزراعة تلتمس من الدولة حمايتها . فسياسة الحماية الجركية ليست بعلاج بحد ذاتها . فهي ليست باكار من مسعف آلي – اذ تفسح امامهم الامل بتحسين الاسعار . ومع ان هذا التدبير له كل مساوى و المخدر الوقتي ، فسلم يكن بوسع الحكومات الا النزول عنده . ومن جهة ثانية ، فقد اخسد قسم من سكان الريف بجدأ تأليف التعاونيات ، كا اخذ قسم آخر – ولا سيا هذه البروليتاريا العاملة في الحقل ، بجدأ النقابية .

ليس بستبعد قط ان ملاكا من اصحاب الاقطان الكبيرة

الملكية الضخمة :امكاناتها ومسارئها

تتوفرله الدراية الكافية ولديه الوسائل الكفيلة عمن راس المال واليد العاملة الرخيصة ، ان يأتي في طليعة حركة النجدد هذه ، فيأخذ ، كما حدث لآل بولزني في ايطالها ، باستصلاح جانب من السهل الالمساني وسهل الجر . والمألوف عوماً هو إن يؤجر ارضه حصصاً لقاء نسبة من ربيع الارض وغلتها . وقد ينزل به هبوط اسمار الارض ، كا حدث في الكاترا مثلاً ، ضربة مؤلمة ، كما ان الاجراءات الرسمية والتدابير التي عرفت ، فيها باسم (قانون الاراضي الزراعية ، وطدت جانب المزارعين والمتمهدين الزراعين الذين تمتموا باحكام قانوت الايجار) ، بحيث أن رأس المال الخصص للاستثار ينفصل عن الرأسمال العقاري. في سنة ١٨٩٠، كان ال<mark>متع</mark>دون الزراعيون يستثمرون ٢٨ مليون ف<mark>دان ، في الوقت</mark> الذي كان فيه ا**صح**اب **الاقطان** يستثمرون بانفسهم خمسة ملايين فدان لا غير . فالصورة المرتسمة في الاذبهان تصور لنا طبقة بورجوازية تنعم في مجبوحة وارستوقراطية لا تزال تحتفظ بالملاك وعقارات ضحمة جداً عفالاراضي المرجية تعدى ملايين مكتار ، درت عليها ربعاً بلغ ٢٥٠ مليون، وفي بعض الاملاك المتوسطة الحجم بلغ الربع نحو نصف مليون). وفي ارلندا، وضعت الازمة البلا<mark>د امام مجاعة وهو وضعاوجب على</mark> مجلس العموم البريطاني؛ عام ١٨٧٠ ، سن قانون خول المستأجر حق المساومة حول قيمة الايجار دون ان يربطه ذلكبشي. صحيح ان الفقر لا يزال ضارباً اطنابه ، الا ان تيار المهاجرة وحركة الاصلاح التي بوشر بها امران بشرا بطاوع عهد افضل طل على المستأجر الصغير الذي توصيل · شيئًا فشيئًا ﴾ الى ان يتحرر من الرسوم التي رزح تحتمًا في الماضي . ووقع في ولاية غروننغ تطور شبيه بالنطور الذي وقع في انكلترا استحال معه المستأجر مشاركًا في الملكية . وهــذا النظام هو المعمول به في مناطق كثيرة في شمال<mark>ي المانيا وشر</mark>قيها. والطالب الزراعية التي كان على اولي الامر في الرايخ ان يعنوا بها وان يهتموا لها نحت عن المشكلات الق تخفيها ما يعرف عندهم . Junkertum

اما في النمسا وايطاليا وشبه الجزيرة الايبيرية ، فالاملاك العقارية الضخمة كانت تتسبب في اطالة البؤس والاضطرابات في البلاد . فالكنائس والاديار وابناء الارستوقراطية العاسسانية لا

ففي هنفاريا ١٠ ملايين هكتار من الاراضي الزراعية ، الخصبة هي في قبضة ٢٣٠٠٠ من كبار الملاكين . بينما ١٬٢٤٠٬٠٠٠ هكتار يتقاسمها ١،٢٧٩٬٠٠٠ من صفار الملاكين. فقد حاز احد امراء استربازی وحده ۲۳۱٬۰۰۰ هکتار کیا حاز احسید امراء آل فستتیك ٨٨٠٠٠٠ هكتار ؟ هنا زرائب واكواخ مبنية من قوالب اللسين ، مغطاة بالقصب ، وهنالك صروح وقصور باذخة ، فخمة يقطنها عظهاء البلاد . وفي مقاطعــة بوكوفينا نرى ٤٠٧٪ من مجموع مساحة الارض يملكها ٢٥٧ شخصًا وان ٢٦٪ مزهده المساحة موزعة يسين ٠٠٠ ١٩١ ، بينها في ترانسلفانيا ٣٦٢ شخصاً يلكون ١٨ بالمئة في حين يملك ٢٠٠٠، ١٥٠ وشخصا ٣٩٤٦ بالمئة ويؤلف المرابعون في ايطاليا مع العبال المباومين السواد الاكبر من الشعب الايطالي. فايطاليا لا تعد من أصحاب الاملاك سوى ٤٠٠٠٠٠ بينما سويسر ا تعد ٢٠٠٠٠من الملاكين. فصاحب الارض يؤجر أرضه عادة ٤ حصصاً صغيرة بموجب صك ايجار ينص على اقتسام الارباح والخسارة Mezzudria او Boaria ، ما لم يازتمها الى متعمد عام يستأجر لها المد العامسلة الرخيصة . ففي مقاطمة توسكانا ٩٣٠٧٪ من الاراضي المستثمرة؛ لا تزيد مساحة القطمة الواحد عن ١٠ هكتارات ، وهي تمثل ١٩ بالمائة من مجموع الاراضي الزراعية في البلاد ؛ بينما ٢١٠٦ بالماثة يملكها ١٠. بالمائة من الملاكين، و ٣٢٠٤ بالمائة يملكها ٢٠. بالمائة. والصورة تكاد تكون مماثلة في كل من اسبانيا والبرتفال . فالمقارات التي تبلغ <mark>مساحة ال</mark>واحد منها ١٠٠٠ هك<mark>تار</mark> توازي من ٥٠ - ٧٠ بالمائة من مساحة مقاطعات اسبانيا الجنوبية (أي بمدل ٣٠٠٠ لـ ٢٤٨ شخصياً بينها يصيب معظم المزارعين ٣ هكتارات للشخص الواحد . فالقانون الاسباني الذي صدر عام ١٨٨٩ يؤثر التمامل مع الملتزم الواحد بحيث يسهل الدفاع عن مصالحه من جراء هبوط الاسمار مثلاً ﴾ والقوانين التي تسهل مبدئياً حق التملك بقيت بالاحرى حبراً على ورق . وقد نجم عن هذا كله ، كما حدث في ايطاليا ، اضطرابات مزمنة تسببت في حركة مهاجرة واسعة النطاق .

> تطو<mark>ر الملكية الصفيرة ومشكلاتها</mark> والاستعمار المباشر

حطمت الفردية في النظام الزراعي ليس الجتمسع القروي فحسب بل ايضاً هذا الطوق الذي وضعه حول عنق المستثمر اصحاب المقارات الضخمة . من الامور المرعسة الاشادة

بحسنات الملكية الصفيرة التي تكسب اكثر من استثارها الارض مباشرة . الا ان صغر القطيعة الزراعية وتشتتها قد يولدان شيئا من الضآلة في المواسم يجعل نظام الاستثار مهدداً بخطر الزوال. ان استملاك الارض من قبل من يستثمرها بقي عرضة للطوارىء اذ لم تكن المراحل التي عرفها هذا النظام متشابهة بين بلد وآخر . فالايجار الدائم او صيغة شريك في الملك حثيراً ما افضيا الى وضع قد لا يختلف كثيراً عن الاستملاك. ففي سكندينافيا والداغارك حيث عقب عملية وزيع الاملاك السيادية عملية اخرى قامت على تجميع هذه القطع عن طريق التسوية او المبادلة)

نال الفلاحون بموجبها القدر الكافي من الاراضي المنسية . الا ان هذه الاملاك الصغيرة الحجم او المساحة اخذت تضيق وتصغر لحاقا ، عن طريق الارث والتوزيع المتماقب بحيث اصبح وضعها وضع اراض اشتدت حو لهارغبة الطامعين بها. فقد رأينا كيف عرف صغار المستثمرين في انكلارا الذي لا تزيد مساحة ارض الواحد منهم عن ٢٠ إيكر (٨ هكتارات) بالاكثر ان يتفادوا المطوق الذي حاول فرضه عليهم النظام الاقتصادي الممروف بنظام الامتلاكية واصحاب المزارع الضخمة ، الذي حاول فرضف الوحدات الزراعية اي ما لا يزيد على ٢ بالمائة من مساحة الاراضي الزراعية . مناكون معا ثلاثة ارباع مساحة الاراضي الزراعية ، بينما ملايين من صغار الفلاحين كبارهم ومتوسطهم يملكون معا ثلاثة ارباع مساحة الاراضي الزراعية ، بينما ملايين من صغار الفلاحين يملكون الربع لا غير . وهكذا يشتط بعيداً من يقول او يعتقد ان ارض فرنسا الزراعية هي بتصرف صغار الفلاحين ، بل الاصح والاقرب الى الصواب القول في انها تخص في غالبيتها الكبيدى ، الملكية المتوسطة ، اذ ما وضعنا في هذا الصف المزارع التي يتراويج حجمها بين ١٠ - ٥٠ مكتار من الاراضي الزراعية . ولما كان عدد القطع الزراعية في البسلاد يبلغ ٥٠٠ ٢١٥ من ٢١٥ منارع ، هنالك من ١٢٥ ٢١٤ علك الواحد منهم اقسل من مكتار من الاراضي الزراعية . ولما كان عدد القطع الزراعية في البسلاد يبلغ ٥٠٠ ١٢٥ ٢٠ على الشورع والتشتت الحسم على اضافى .

ليس من طبقة ريفية اليوم كا في الماضي بـــل طبقات ريفية اليوم كا في الماضي بـــل طبقات ريفية النفر في قلب طبقات الفيش . النفر والفقر في قلب طبقة الفيش .

فاذا ما اقصرنا الكلام هنا على فرنسا ، مثلا ، هل يصح لنا أن نأخذ بمين الاعتبار يعض الناكيدات العامة ؟ ففي عام ١٨٧٠ ، يؤكد بيغوي أن أي رعوية عادية كانت الف مرة أقرب الى رعوية من القرن الخامس عشر أو من القرن الخامس أو الثامن من أي رعوية في يومنا هذا » . ولنصغ ألى ما يرويه لنا الاب و تيانون ، بعد أن رسم أميل غيومين لنا صورة قاتمة عن حياة النكد التي يحياها المرابع ، وذلك في كتابه الموسوم : وحياة أحد البسطاء ، فيقول : و قوتنا غبر الشوفان المجروش ، لون لون السخام ، يجرش تحت الاسنان كأنه مخروج برمل خشن من هذه الرمال التي تسقيها السواقي . وهم يؤكدون لنا أن ترك النخالة في الطحين تزيد من خاصيته الغذائية . أما الحساء أو الشورباء فهو اللون والصنف الرئيسي : شوربا البصل صباحاوفي المساء اما عند الظهيرة فشوربا البطاطا مع الفاصوليا واليقطين مع لحسة من الزبدة . أما شحم الخنزير ، فاون نادر جداً وصنف يترك لايام الاعياد المعدودة .

ويضاف الى هذه الالوان احياناً بعض القالي التي يصعب مضغها بحيث تغرز فيها الاستان
 ولا تستطيع الخلاص منها بسهولة ، وبطاطا مشوية تحت الرماد ، وفاصوليا مساوقة يضاف اليها

كمية قليلة من الحليب يكاد لا يتغير لها معه لون ، . ومع هذا أفلا يجوز لنا ان تجاري جوريس في تساؤله : « كيف يتدبر هذا الفلاحامر. من موسم الى آخر، في عمل هو هو، واسمار محاصيله دوماً في هبوط٬ وهذه الديمومة في عمل روتيني٬ وتدني سعر قمحه وسعر ماشيته، وتبيذه ومحصوله من القنب ؛ ومن الزبيب والحلسب ؛ وأمام هذا الجفاف ؛ والقحط ؛ وهذه الضربات المتتالية ؛ لا يستسلم لحكم القضاء والقدر استسلامه له المام هبوط البرّد وهبوب العاصفة واشتداد الجفاف ومع ذلك فهو يشعر ببعض التعزية و لاول مرة في حياته لمشاركته حياة المجتمع ، . علينا ان نقر ونعترف ، مع ذلك ان الفلاح ، كان <mark>غذاؤه على وج</mark>ه العموم، احسن مها قرأةا له من وصف . فخبزه اكار بياضاً . فقد ازدادت كمية البطاطا التي يتناولها كما ازدادت كمية النبيذ السق يشتريها ، او الجعة او شراب التفاح الذي يشربه حسب ظروف المكان.فهو الآن يتناول القهوة ويستهلك السكر ويأكل اللحم اقله مرة في الاسبوع وفي ايام الاعباد . الفذاء عنده أوفر حجماً وكمَّا منه نوعاً وصنفاً . وشبح المجاعة تضاءلت إسباب ظهوره واوضاع سكنه تحسنت قليلا . فاذا ما قلت رؤية الغرفة الواحدة سكناً للمائلة الواحدة بكاملها ، فلم يكن ، مع ذلك من النادر قط ، ان نرى اهل الدار يتقاسمون مع ماشيتهم بيتاً واحداً هو مسكن واسطبل معساً يفصل بينها حاجز رقيق. وشيئًا فشيئًا ، فقد حل القرميد عسل القش على السقف ، وكابوس الحريق لم يمد المفزعة الق ترزح كابوساً على صدر العائلة . وقبل ظهور الكهرباء لم يعكن التنوير شيئًا عمليًا ومأمونًا والعتمة كانت دومًا تسير جنبًا الى جنب مع قلة النّهوية . أما الفرش أو الاثاث فغاية <mark>في ا</mark>لبساطة ، مع ان الخزانة او الدولاب هي <mark>داءًا هنالك</mark> من طراز ما . والكوس<mark>ي حلت</mark> والاسرَّة اشياء اخذوا يهتمون لها والكل يراعي فيها الزي المسيطر في المنطقة على الاذواق الا ان الفلاح اخذ يتبرم من شيوع مندام ابن المدينة .

فالوصف الذي تركه لنا زولا عن فلاح قليل الكلام ، عنيف الطبياع ، متأفف من نبر الضرائب والقرعة العسكرية قد يبدو قاتماً اذا ما أطلقناه على هذه الفترة الواقعة بين ١٨٦٠ - ١٨٧٠ ، بينها يبدو مفاليا او مبالفاً فيه عندما يصورونه لا يلين ولا يستجيب للتطور ولا يأخذ بأسبابه ، يحمل في قلبه للارض التي هي بعنايته تعلقاً شديداً ، لين العريكة امام ممثل السلطة ، وذا طبع مستقل يجمل منه من مؤيدي السلطة المطلقة دون أن يدري . واذا كان عليه ان يخرج طوعاً واختياراً من عزلته وأن ينزل للمدينة ليبتاع منها ما هو مجاجة اليه ، ساعده فذلك على اثارة الفضول فيه ، وراح يشمر ، ولو بصورة غامضة ، بالحاجة للتحوط ضد طواريء الحان المدينة المناه المحانة ، الحاجة التحوط ضد طواري،

⁽١) ما هي بالفعل نسبة ارتفاع الاجر لدى سكان الريم ? فالعامل في الزراعة كان يقبض في اراخو القرن الثان عشر في انكلترا تسمة فرنكات في الاسبوع ، و ١٢ فرنكا حوالي ١٨٥٠ ، و ١٥ فرنكا حوالي سم

فبينها يرى البعض ان المامل في الارض هو من هذا الفريق الذي يسلم فريسة القوي ، ويرى غيرهم بأنه حليف قوي في وجه الديماغوجيين، فهو ينظر نظرة تقدير النظسمام التمثيلي ويؤمن بسحر ورقة الاقتراع التي يطرحها في صندوق الاقتراع. فاللعبة السياسية لم يعد في مكنتها تحامله قط.



١٨٨٠ . إما في فرنسا فكانت اجرته في السنة ٥٠٠ فرنك عام ١٨٤٠ و ٥٠٠ فرنك عام ١٨٨٠ . اما الجر خادم في مزرعة فكانت اجرة العامل اليومي غير الممون او المكفى . قالاجر في الريف دون ما هو عليه في المدينة ، ووصع المرأة في كلا الحالين مجعف جداً بحقها ، اذ كان معدل الاجر الذي يدفع للعامل في الحقل ، عام ١٨٨٠ ، هو ٢٠٢٧ فونك للرجال و ٢٠٢٠ فونك للنساء العاملات في الحقل ، بينما يدفع للعامل ٥٠١ فونكات وللعاملة ١٠٧٧ فونك في المدينة . ومع ذلك فحينتال القمح كان يساوي ثمنه معدل المحامل عام ١٩٠٠ . بينما لم يكن يكلفه سوى ٧٠ ساعة عمل ، عام ١٩٠٠ .

والغصل والروابيع

المدينة المنحررة بين الموى المحافظة والاشتراكية

« لا بد للحرية من العقل » ادمون بينو ــ « مساوى، التربية والتعليم العام » كاديس ١٨٦٧

الدول القرمية رعبادة القومية على الساس قومي وطني ، ولم يبقى فيها سوى وضح جغرافي واحد اساسه اسرة وراثية تتعاقب على الحكم هي اسرة آل هبسبورغ ، المتزمت لها سياسة قامت على التنازلات إرضاء للقوميات المختلفة التي تألفت منها . فآل رومانوف يعتمدون بالاحرى الشعور القومي الروسي لتدعيم امبراطوريتهم بينها تنمي تركيا عجزها عصن إضرام شعلة الوطنية الخافتة في البلاد . فقد تبدى لاحرار البورجوازيين ان الأمة هي مشاركة شعور ومصالح متبادلة واحترام حقوق الانسان والمواطن. ويقابل الانتساب الحر الى الأمة رابطة الدم الواحد والتفكير الواحد الذي يوجب على افراد المجتمع الواحد ان يعيشوا معاً إن اقتطاع الالزاس وقسم من اللورين ، عام ١٨٧١ دليل كاف على بطلان الاحتجاج بالحق التاريخي دون ان يثير ذلك عاصفة من النقد والجدل .

كل شيء يدعو لبعث الشعور القومي بين افراد الشعب الواحد: المدرسة والتجنيد الاجباري وخدمة العلم وتطور طبيعة الملاقات التي تشد اجزاء الوطن الواحد يعضها الى بعض ، ووحدة النمط في العيش والنهج المشترك في الحياة ، فعظمة الوطن وجماله هما من هذه الموضوعات التي تهم الشعراء وتهم رجال الفن ، فالقصص التاريخي الوطني ينشط ويروح الشعر يتغنى بهده الابجاد والذكريات الوطنية المشتركة ، والموسيقي تستاهم انفاعها من هذا الادب الشعبي الذي

يلهب القاوب والعقول معاً ، ويصبح التاريخ معيناً للتوكيد ان الماضي يهسي، الحساضر ويبرز الايان بطاوع مستقبل زاهر امام الامة . والروح القومية بفضل ما لها من شمبية تعمل على قتل الروح الاوروبية لما لها من طابع ارستوقراطي وبورجوازي . فهي اقل اخذاً بأسباب العقل ، وألصق بالشمور والعاطفة .

ذاب في هيكل الأمة ما فيها من فئات خاصة وطبقات و مجتمعات الاقليات وحقوقها ضمن الامة دينية أو مهنية . فالتسليم العام بالوضع القائم ليس سوى شيء فكري أو عقلي . فقانون الدولة اساسه ارادة الاكثرية . وقد يقوم احياناً وضع خاص نجم عن ضغط أو التزام ما .

والاقليات الدينية هي على الاجمال أكثر الفئات الخاصة رعاية واحتراماً. فمن مبدأ التساهل الذي طلع به القرن الثامن عشر ، طلع مبدأ الدولة العلمانية اي الحيادية. فالروح الليبرالية بالاضافة الى عدم اللامبالاة الدينية من شأنها ان تجعل حياة الكاثوليك اسهل وأيسر في هذه البلاد التي تتألف اكثرية السكان فيها من البروتستانت ، والعكس بالعكس . ومع ذلك فالبرلمان الانكليزي لم يقر قانون فصل الدولة عن الكنيسة الا في عام ١٨٦٩ . وبفضل هذا القانون تم تحرير الايرلنديين الكاثوليك من تابعية الكنيسة الانكليكانية . وسياسة الفصل بين الكنيسة والدولة على مثال ما حققته اميركا لم تنتصر في فرنسا إلا في عام ١٩٠٥ .

وتحرير اليهود حركة لها مغزاها ومدلولها هي الاخرى . فقد جاءت نتيجة ، حتمية لهذا التطور الذي خضعت له فكرة المساواة ، في العالم ، وتقهقر روح العصبية الدينية ، كا أن هذه الحركة قابلت ، ارتفاع شأن الرأسمالية ، فقسد شهد عام ١٨٤٨ تحرير القوميات في اوروبا الوسطى، وفي هذا الاتجاء سارت ايضاً كل من اسبانيا والبرتفال ، بينا حركة الاضطهاد الديني نشطت في الشرق من القارة الاوروبية وحركة معاداة اليهودية السيق تغذيها هذه الاقليات القوية النفوذ في كل من اوروبا الغربية والوسطى ، وهدذه الملايين من هؤلاء البؤساء التعسين في اوروبا الوسطى ، لم يخب تارها في اي مكان. هذا دليل قوي على رسوخ بعض الاوهام في عقول الناس بالرغم من التطور الذي قطعه التحرر الفكرى في العالم .

فقد عجزت لندن عن التوفيق بين وحدة امبراطوريتها وبين النزول عند مطالب الايرلنديين الحقة . فمن هذه المفارقات الصارخة ، مقاومة الشعب الايرلندي الضغط السبريطاني اصبح رمزا المتحرر بينها المضطهد المتعسف هو هذا البريطاني الذي يضرب المثل باحترامه المشخصية الانسانية . والقضية البولونية تشبه من وجوه عدة القضية الايرلندية : صراع دولة مستعبدة في سبيل تحرير ارضها، وتأمين حريتهاالسياسية والدينية وتحقيق استقلالها السياسي، يقابلها من الجانب الآخر مسائل تتملق بأمن الدولة المسيطرة لتبرر موقفها المتصلب الذي لا ينهض على دليل تاريخي بل هو حجة القوي التي عرفوا ان يدعموه في الوقت اللازم ، والرايخ الذي اقتطع الالزاس واللورين ، والذي رفض ان يعيد الى الداغارك مقاطعة الشلسويغ، والامبراطور الملك الذي راح من فييناو بودابست .

يستخدم القومية الالمانية والجرية لكبح جماح الاقليات الواقعة تحت سيطرته ، والقيصر الذي يرغب في لجم المقاطعات البلط ، والفلنديين والبولونيين، يحتج بسلامة الدولة وامنها ، وهو عذر سهل يبرركل فتح . فالتناقض يبرز بين حق الاكثرية ، وبين سوء استعمالها لهذا الحق . فالدولة التي تهب عليها روح الحرية تبدر عاجزة . فسويسرا وحدها وجدت الحل المرتجى من نظمام الاقضية الذي ارتضته نهجاً سويا لها .

الابقاء من الوظيفة الملكية جمهورية الدوقات ؟ في فرنسا ؟ بصورة مدهشة ملكية برلسانية ومقادمة الارستوقراطيات والملكية في بريطانيا تستعيد قسماً من شعبيتها . وعلى شاكسة بلجيكا

ما كاد معظم الدول البلقانية تفوز باستقلالها حتى تولى رئاستها ملوك جاؤوا من الاسر المالكة في اوروبا . وفي ايطاليا تتم حركة التجمع والالتفاف حول الاسرة المالكة في السافوي ، كما تستم في المانيا حول اسرة هوهنزولون . وما كادت النوويج تنفصل عن السويد حتى اقسامت فيها النظام الملكي .

فعهد المشاحنات السلالية ولى وأدبر. فالملوك الذين تشدهم بعضاً الى بعض وشائج وطيدة من التزاوج والمصاهرة، أملكوا بحق الهي، كما هي الحال في كل من بروسيا والنمسا، او ملكوا بدون ان يحكموا، كما هي الحال في كل من لندن وبروكسل، يؤلفون من بينهم عشيرة يسودهسا التضامن والتعاضد، وهي صفات تلمب دوراً رئيسياً في الملاقات الدولية.

والى كنف النظام الملكي تلجأ الكنائس التي تتمتع بامتيازات خساصة والارستوقر اطيات العلمانية . فالكاثوليكية والانكليكانية واللوثرية تحترم كالارثوذكسية التقاليد التي تقول بعضد المرش الميكل . وهذه البلاطات الملكية ، سواء "اتسمت الحيساة فيها بالبذخ او بالبساطة تستمر حية ناشطة . فبعد ان وقفت في وجه تجاوزات السلطة الملكية ، راحت طبقات النبلاء تطالب بقيام مؤسسة تقيها شر الديموقر اطيات الساحلة . ويكفي ان نلقي نظرة عابرة الى هذا الفريق السياسي لنتبين الدور الكبير الذي تلميه هذه الطبقات مناصفة مع كبار عشلي البورجوازية والماملين في خدمتها ، امتسال بسمارك وهوهناو ورصفاؤهما في كل من انكلترا ، في شخص دربي وسلسبري ، وفي فرنسا ، اقله الى بروز عملي و الطبقات الاجتاعية الحديثة ، بطاوع غبتا مروبل وديكاز .

قالطبقة البورجوازية التي ثارت ؟ عام ١٧٨٩ ضد امتيازات العهسد الطور المسالح العامسة الكبرى القديم وضد الاستثناءات العديدة التي كان ينعم بها ، تصدت كذلك لروح الفطرسة والاستبداد في الادارة ، هذه الروح التي لم تكن سوى اداة الدولة الحديثة في تطورها الصاعد . ولذا راح غيزو يصرح قائلا : « ان فرنسا دولة يوجهها الموظفون ، . وفي المانيا بين ١٨٨٠ -- ١٩١٠ ، ارتفع عدد الموظفين العاملين في مصلحة البرق والبريد ومصالح الخطوط

منالك مصالح تقليدية يتدبر امرها موظفو «السلك» من عسكريين ودباوماسيين واداريين . فالسلك لا يدخله الا اصحاب الاستحقاق والاهلية ، ويقتضي ، الى جانب المؤهلات الشخصية شيئاً من اليسر المسالي والثروة ، يشد بين اعضائه روح من تضامن الزمالة ، وهي روح تضمن الاستمرار ، فيها يقوم سركل تجاح . ولذا راح الموظف الكبير يردف الرجل السياسي ويحل بديلا عنه على رأس وزارة حكومية او على رأس حكومة كلما دعت الى تأليفها مصلحة السلطة العلسا .

فالمدالة في البلاد والشرطة هي من هذه المصالح التي تقع مسؤلياتها على كاهل الدولة التي يؤول اليها مهمة السهر على السلامة العامة وحفظ النظام في البلاد الذي يفترض فيه احترام الاشخاص والحفاظ على ممتلكاتهم . فاذا ما توفر القاضي بعض الاستقلال في عمله ، واذا ما تطور الاخذ بنظام الحكمين فقد كان لا بد من وجود هيئة عليا للامن العام يؤمن ، تدخلها المكشوف او الحنفي ، الاستمرار المحكومة او سقوطها فعوادث الثاني من كانون الاول (ديمسبر) ١٥٥١ ، يجب اعتبارها ، قبل كل شيء عملية بوليسية ، في الدرجة الاولى ، كما ان سقوط الامبراطورية في ايلول ١٨٧٠ جاء نتيجة لاقصاء البوليس من قصر البوربون . د فالنظام الادبي ، يعتمد عليها قبل كل شيء ، ومدير البوليس لابين يغذي علاقات طيبة مع هذه الجمهورية الراديكالية السيق يخدمها بكل اخلاص .

فالمصالح العامة في الدولة العصرية: كالبرق والبريدو الخطوط الحسديدية والنعلم ، تتولاها هيئة من المواطنين ذات طابع ديموقراطي لا بل شعبي ولكنهم ليسوا عيالاً على السسدولة اذ ان مقتضيات الاقتصاد الحر تستلزم عدم وضعهم على نفقة الجماعة .

ومع أن الأمية لا تزال البلاء الاعظم الذي يعاني منه الجتمع ، مشكلات التعليم الذي يعاني منه الجتمع ، مشكلات التعليم الله في التشريعات الحديثة المني لم تدخل حيز التنفيذ في كل مكان . فالتعليم الابتدائي سجل تطوراً اكبر كا نلاحظ ، في البلدان الشيالية والمانيا وفرنسا وسويسرا . ومع تفاوت الاعتادات المرصدة له في موازنة الدولة العامة ، فستبقى هذه الخصصات دون الاعتادات المخصصة لاغراض الدفساع بكثير .

ومها يكن فقد ارتفع حول المدرسة وقضايا التعليم جدل طويل وصراع مرير ارتسمت صورته في ذهنية الطبقات الادارية التي تفاذفتها تبارات مختلفة كضرورة الاخسة بفكرة التطور والتمسك الغريزي بالنظام. فبعد بستلوزي واحفريق من امثال لانكاساته وفرويبل وموناترينو بنبذون بشدة

التقريرية او الجزمية . فالانتقائي فكتور كوزين ، اتخذ قاعدة عمل له المبعدا القائل : « ان كل المواطنين من ابناء البعلاد ، مها كان دينهم او مذهبهم ، لهم حق تلقي التعليم » . الا ان حق احتكار التعليم الجامعي الذي كان لا يزال يقول به ويبرر القيام به ، رفض الاحرار المتمنتون القبول به من حيث المبعدا ، كما ان الكنيسة الكاثوليكية لا يمكن لها ان تسلم به . ومن جهة اخرى ، هل بالامكان تصور تعليم علماني يحترم في وقت واحد كل المعتقدات الدينية ، ويستطيع ان يؤمن الوحدة الفكرية في الوطن ؟ ثم هل من الموافق ومن الحكمة ، من وجهة الهافظة على المجتمع البشري ، ان يكون الله بالضرورة حاضراً في المدرسة ؟

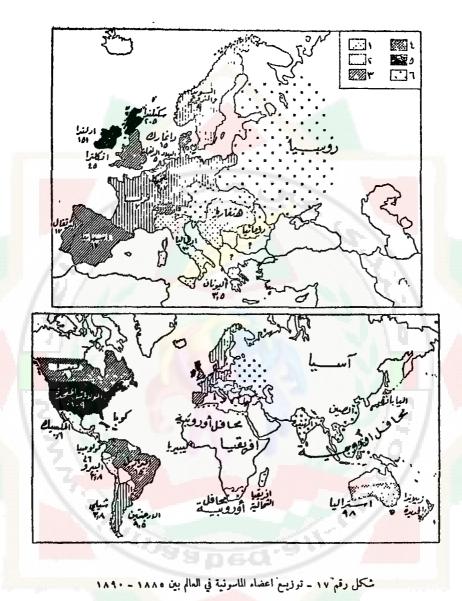
سجلت فرنسا في هذا المجال حادثاً تاريخياً يتمثل في قانون و فلتو ، الصادر عام ١٨٥٠ ، هذا القانون الذي جاء يوفق بين نظريتين : النظرية المسيحية والنظرية الوطنية القومية . وفي بلجكا تمكنت المدرسة الطائفية من تقرير مساواتها رسمياً بالمدرسة العلم الني النسبة العالمة من الطلاب الذين ينتمون اليها امنت لها مساعدة السلطات العامة على قسدم المساواة مع منافستها الاخرى . ففي الحين الذي راحت فيه الامبراطورية الالمانية تفرض وجوب التصريح عن الدين في التعلم الرسمي الوحيد ، قررت بريطانيا العظمى ، مراعاة لمزاجها الخاص ، الوقوف بجانب التنويع دون ان تلفي التعلم الديني من مناهجها التربوية ، فالدول البروتستانتية تميل نحو التساهل المدني ، هذا النساهل الذي ينطبع ، من الوجهة المبدئية على الاقل ، بالفكرة المسيحية ، بينها تنتصب العلمانية في الدول الكاثوليكية في وجه المدرسة الطائفية .

فالجدل حول المدرسة ليس سوى مظهر من مظاهر الصراع الذي احتدم بين الكنيسة والحركة العلمانية التي لا تعني بالضرورة ، مناهضة رجال الاكليروس ، بينها تعلم الاخرى ان لا خلاص للجنس البشري

مبوط في الايمان التقليدي وتطور الفكر الحسـر

خــارج التعالم الدينية الموحى بها .

ان انصراف المقول عن الدين وزهد الناس بالميادات والطقوس التقليدية إمر لا يختلف فيه اثنان . وقد اشتدت وطأة هذا التحول في المناطق الصناعية أو في تلك المناطق التي اكتظت مدنها بالسكان دوته ان نستطيع الجزم ما اذا كان اصاب البلدان الكاثوليكية اكثر من البلدان البروتستانتية والمنه أبعد عن الارثوذكسية وعن الطقوس التقليدية المعمول بها جانباً كبيراً من المعنصر الاسرائيلي . ويؤكد الاب بشرت عسمام ١٨٥٦ . و أن المهمة الملقاة على عاتق عصرنا هذا هو إعادة الطبقات التفقيبية الى جادة الايمان ... ، وقد خشي غليوم الثاني كثيراً من إعراض الناس المتزايد عن الدعوات الكهنوتية . ففي فرنسا كانت حوادث السيامات الكهنوتية ارتفع عددها ، عام ١٨٥٠ ، التهبط بعد حين ، ثم تعود فترتفع قليلا بين ١٨٧٠ – ١٨٨٠ لتهبط من جديد . هنالك ١٢٠٠ راعوية ، حوالي ١٨٤٨ ، واكثر من ٤٠٠٠ حوالي عام ١٩٠٠ ليس من جديد . هنالك على خدمتها . فالاكليروس الذي قلت بضاعته من العلم والثقافة ، ضؤل استعماده القيام بالمهمة الملقاة عليه . وقد لاحظ لامنيه ، منذ عام ١٨٢٧ ، هذا الوضع المستحك ،



۱ _ ه اعضاء من ۱۰۰۰۰ نسمة با ۲ _ من <mark>ه _ ۱۰ با ۳ _</mark> من ۱۰ <mark>_ ۵۰ عضوا با سمن ۵۰ ـ ۱۰۰</mark> عضو با د ـ اکثر من ۱۰۰ عضو با ۳ ـ وجود اعضا<mark>ء بدرن ت</mark>حدید عدد .

عندما يقول: ﴿ يجب رد قوة اعداء المسيحية ليس الى انهم يعرفون كثيراً وبل الى ما هم عليه من جهل الطبيعيون المدافعون عنها و فلا الفنون التشكيلية ولا الهندسة يتخذان بيداً من التقوى الدينية ، و ففن السان سولبيس و يفتقر اصدلا للانطلاقة و الموسيقى الكنسية اصيبت و هي الاخرى بالخسف و الموسيقارليست عجز تمامياً عن التعبير الصحيح الطقوس و هذه الطقوس التي حاول غير انجيه ان يبعث فيها النشاط والتجدد .

وقد احتدم الجسدل والنقاش الديني بين البروتسنان . فالكنيسة الانكليكانية تجساز ازمة حادة بعد ان هزيها اعادة السلطة الى الكنيسة الكاثوليكية ، في تلك البلاد وراحت المشاحنات تتجاذب الكنيسة العليا ، والكنيسة العريضة والكنيسة السفلى . والطساهر ان اليقطة استنفذتكل نتائجها ، وفي بروسيسا والبلاد الراطية ، احتدمت المعركة الدينية بين مستقيمي الرأي واصحاب الرأي الحربحيث لم تلبث هسنده المشاحنات ان امتدت الى الكنائس الانجيلية في كل من سويسرا وفرنسا . وحف الخطر من كل صوب بالطقوس التقليدية من جراء احتدام نقد الكتاب المقسدس . والارثوذكسية اليهودية نفسها المعروف عنها تمسكها الشديد بأسباب الدين تعرضت لهزات هدامة جاءتها من هذه الحركة الاصلاحية ، الموجهة ، فسد التلدود ، كما اصيب الولاء اللغة المبرية بالتراخي والانجلال من جراء الانحطاط الذي استشرى بين المتعال المهجةاليدية هذه اللهجةالعبرية المجين من المتعال اللهجةاليدية هذه اللهجةالعبرية المؤمنين الذي انقطعوا عن عمارسة مرامم العبادة فاستحالوا جاحدين ملحدين . فسانت بوف المؤمنين الذي انقطعوا عن عمارسة مرامم العبادة فاستحالوا جاحدين ملحدين . فسانت بوف المؤمنين الذي انقطعوا عن عمارسة مرامم العبادة فاستحالوا جاحدين ملحدين . فسانت بوف المؤمنين الذي انقطعوا عن عمارسة مرامم العبادة فاستحالوا جاحدين ملحدين . فسانت بوف المؤمنين الذي انقطعوا عن عمارسة مرامم العبادة فاستحالوا جاحدين ملحدين . فسانت بوف الطمعة ، والحلولين الوضعين . والحلولين الوضعين .

من الصعب تحديد الدور الذي لعبت الماسونية . ففي عام ١٧٨٥ ، بلسخ عدد المحافل الماسونية في العالم ٥٠٠٠ و ١٧٥٠ عفل ضعت أكثر من مليون من الاعضاء ، نصفهم في اميركا ، بينهم اكثر من و٠٠٠٠ من البريطانيين . فالجمية ليست بثوروية . فماوك البلدان البروتستانتيسة وانسباء هؤلاء الملوك من الأمراء يشرفون على مصير هذه الجمية . ففي الدول الكاثوليكية عرفت هذه الجمية ان تجتذب اليها عدداً كبيراً من موظفي الحكومات الذي يحبذون الروح العلمانية ويعملون على الترويج لها وعلى مناهضة رجال الدين . ويجهد خصومها على التشهير بها بشكل لا يخاو من المبالغة ، ويبينون الناس مالها من قوة ونفوذ . ولكن ، اليست بعد هذا كله ، كا يقول فيها اناول فرانس : «جمية » . . . تؤمن الترفيع المتبادل » !

مقاومة الكنائس لها كيف تحتفظ بما لها من مواقع حصينة ، كما أن قدرتها على الكفياح مصانعتها للدولة المتحررة والنضال لم تن ولم تضعف .

فمندما وطدت البروتستانتية اقدامها ورسخت اصولها في بلد ما تعمل على انشاء علاقسات

طيبة مع الدولة التي كثيراً ما ترعى مصالحها ، وتفتى بوصفها الحكتم ، في هذه المنازعات التي كثيراً ما تنشب بين النزعات المحافظـــة والنزعات المتحررة . ومع أن المعاهدة الديلية (الكونكورداتو) المعقودة بين الدولة والكنيسة اعترفت بوضع الكلفينية في فرنسا ، فقذ آثر اتباع هـــذه الكنيسة ان يعتمدوا على انفسهم ورضوا بفصل الكنيسة عن الدولة هذه السياسة التي اقترح فينه الأخذ بها والنهج علمها باعتبارها شرطها اساساً في عملية الاصلاح . وهذه الروح الاصلاحية التي كان بوسمها القيام بحركة تبشيرية واسمة النطساق ، لمبت دوراً بارزاً في اعداد هذه القوانين الانسانية وفي قضية التعليم العام واخذت تنزع للحؤول دون تشتت الراعويات وتباين المذاهب المقائدية ٬ وذلك بالاتجاء نحو اعمال البر والاحسان٬ منها مثلا ، مؤسسة جيش الخلاص ، هـ ذه المؤسسة التي تشكلت على غزار الرهبنة اليسوعية ، ولاقنى تأسيسها نجاحاً تاما ؛ وقد غذت هذه الاعمال الايمان في النفوس ليتلاءم عماماً مع تجمع القولي . واستمرت الكنيسة الكاثوليكية تعلل النفس بحشد القوى وجمع الطاقسات الخيرة إلا ان النجاحات التي حققتها في كل من انكلترا والبلاد الواطية لم تفض قط الى وضع حد لهـــــــده الانفصالات التي أدت اليها سياستها المتصلبة ، وهكذا أدت اعمال هرناك الى توضيح وجهة النظر اللوثرية وجلائها ٬ بينما سياستها الرامية لتوطيد السلام تدور على نفسها فقد نجحت سياسة تأييد سيادة البابا . وبعبارة أخرى ، ففي الوقت الذي يتوطيد فيه الشعور القومي وترسخ الروح القومية بين الشموب في المجال الملماني ، فقيد نزعت ، من جهة أخرى ، الى الهبوط في قلب الكن<mark>يسة</mark> . فعملية التوحيد تمت لمصلحة الليثورجية وال<mark>فلسفة القومية ؛ التي عرفت رواجًا كُنيراً</mark> وتجدداً جديدين ؛ قو"ت من امتيازات الكرسي الرسولي . ان أعلان عقيدة الحيـــل بلا دنس ؛ والوضوح الذي ميز فهرس الكتب والتعاليم المحر، ف Syllahus لدى الكنيسة الكاثوليكية ، هيأ إعلان عقيدة عصمة الباما ، هذه العقيدة التي تم إعلانها في مجمع الفاتيكان عام ١٨٧٠ ، معلنا بذلك الراعى الدائم. ومكذا فالكنيسة الكاثوليكية في ردتها المفوية في الدفاع عن النفس ، زادتها مركزية وجعلتها تتجه بالتالي نحو الحكم المطلق . فأمام هذه الروح التحررية قامت روح مسكونية ، بعد أن استشرت الروح العلمانية بين الدول ، وادخال هذه الروح على وسائسل الموا<mark>صلات التي</mark> تعمل على حشد الخدمات في المدينة الخالدة .

فاذا ما زاد إعداد الكهنة المانيين صعوبة ، فقد عرفت المؤسسات الرهبانية من جهتها ازدهاراً أدى الى تأييد نفوذ الكرسي الرسولي . فقد أدى القرن التاسع عشر من هده الناحية الى دمل أحد الجروح التي فتحها القرن الثامن عشر ، اذ ساعد على إعهار الاديار ، كا ادى الى تأسيس عدد من الرهبانيات الجديدة . وهذا التجدد والبعث للحياة الرهبانية ساعد كثيراً على القيام بحركة التبشير بين المشاقين من المسيحيين وفي هذه البلدان التي لا تزال على الوثنية ، بحيث اصبح من المكن التحدث الآن عن حركة اصلاحية مماكسة ، في اوروبا نفسها ، الخصم فيها الملحد المطل أقل منه الهرطوقي . وتكاثرت المشاريع الدينية التي وضعت نصب اعينها تجديد الروح المسيحية عن طريق الحية والكرازة والتبشر .

ابتمدت مظاهر العبادة عن المفهوم الجنسيني ، وهذه الروح الرمزية التي انطلقت من ايطاليا عمت الكثلكة جماء . وتجلت الناس عواطف تقوية تمثلت في هذه الاحتفالات والمظاهرات العبادية ، وتبلورت على اتمها في هذه الزياحات وهذه المزارات والحجيج الى الاماكن المقدسة . وقد اتجهت عواطف المؤمنين الى بسوع الرؤوف ، الرحيم . ولذا راح المطران هواست يتكلم عن و عصر القلب الاقدس ، الذي تكرست له الشعوب ، وعن مريم العذراء . والعبادة المرعية تألقت آنيا بهذه الظهورات العجائبية كالم salette ولبرناديت سويبروس . وقد كان من سحر لورد العجائبي ان جذبت اليها وفوداً ضخمة من حجاج السيحيين ، اذ ضم حج واحد اكثر من الحب عام ١٨٧٠ ، كا انه وفد على لورد من الحب المنه بين ١٨٧٠ – ١٨٧٨ احشر من

وقد حدث مع ذلك ما نم عن بعض النحسن في الوضع . ففي البراءة التي نشرها بعنوان : Inmortable 10ei يصرح آلبابا قائلا ان الكنيسة لا يمكن ان تقف موقفاً معاديا من أي و تساهل غادل في إولا تبدي العداء للجرية المسروعة الحقة وهي محاذير أقل وطأة وأخف اثراً . ويؤكد في براءتُه انه لا يمكن شجب اي شكل من اشكال الحكم ؛ اذا ما احترم حقوق المؤمنسين ، وقد بدا طاوع عهد من التقسارب الى انصسار الجهورية في فونسا الذين ملقوا من انتشار الروح الاشتراكية ، وراحسوا يتمنون لو يصار الى تهدئة ، ولذا راح البابا ليون الثالث عشر يوحي بوجوب الولاء للانظمة الشرعية القائمة ، بينا رسم في براءته الجديدة برنابجاً خاصا بطبقة العالى العمال الى معادئه المعتدلة .

ولم َ تَحَل الفوارق والحصومات القائمة بين الكنائس والمجتمع العلماني من عقد هذه الاتفاقات والتنازلات التي لابد منها . أفليست العبادة من هذه الخدمات العامة ؟ ومن ثم فهذا المجتمع العلماني ، في سعيه الحثيث لتآمين استقلاله عن السلطة الكنسية تردد كثيراً قبل ان يقطع صلاته بالدين وشؤونه . ففرنسالم تقر الطلاق النهائي – مع ان مبدأ الطلاق اعترف به منذ عام ۱۷۹۲ – الا عام ۱۸۸۴ ؛ ثم ان الاقبال تدريجياً على الزواج المدني لم يلبث ان انتشر في البلدان الأخرى . والسويد لم تسلم به الا لغير اللوتريين كالبرتفال الذي أقره لغير الكاثوليك ، ولم تسلم كايطاليا ، إلا بانفصال الزوجين . الكاثوليك ، ولم تسلم كايطاليا ، إلا بانفصال الزوجين . فالبلدان البروتستانتية ، اختلف موقفها بنسبة تبان الروح التحررية فيها . فلنسمع ما يقوله هوغو هنا : دكل حضارة تبدأ بنظام ثيوقراطي وتنتهي الى نظام ديموقراطي . .

من الاقتراع الضرائبي الى فظام الاقترع المام ومن حكم النبلاء الى حكم الدوقر اطية

في براءته المعنونة Diururnum الصادرة عسام ١٨٨١ ؟ يذكر البيابا ليون الثالث عشر: «انه اذا ما اردنا ان تحدد مصدر السلطة في الدولة علينا ان نصفي الى ما تعلمه الكنيسة بهسذا الصدد بوجوب البحث عنه في الله ، ؟ ثم يضيف قائسلا: « فاذا ما

ربطنا هذه السلطة بارادة الشعب نكون استهدفنا للشطط ، من حُيثُ الاساس ،ونكون أولينا السلطة اساساً و مِنا سريع العطب ، لا قوام له » .

وقد وضع العاملون على توطيد النظام التمثيلي نصب اعينهم ، ضان الحريات الفردية . فقد كانت انكلترا ، في هذا المجال ، مثالاً يحتذى ، اذ أن سياسة الصراحة التي درجت عليها تلك البلاد العريقة في نظمها القانونية با فيها من ملاكين وذوي أهليات. امنت الاستقرار للحكومة والسير بمقدرات البلاد وتوجيهها التوجيه الصحيح . أن نظاماً من هذا الشكل كان من شأنه في نظر الاحرار ، أن يحول دون استئثار الفرد أو فئسة معينة ، السلطة . ولكن هل كان بوسع مثل هذا النظام أن يبقى بعيداً عن السلطة الشخصية ، كا تستطيعه الديموقراطية ؟

فالنصوص الدستورية تفسح الجال عادة علواجهة الجلس الادنى المنتخب من قبل الشعب بعجلس اعلى تمينه السلطة التنفيذية او يجري انتخابه من قبل هيئة انتخابية مصغرة . ومع ذلك فهذا النظام – باستثناء فرنسا حيث كان يعمل به منذ عام ١٨٤٨ – مع العلم ان الامبراطورية الثانية عرفت ان تتلاعب بسه بما يتفق ومصلحتها – لم يستقر في اوروبا إلا بصورة تدريجية . هنالك ، باطبع بعض تغيير يطرأ على مفهوم الحسرب والحزبية ؟ اذ اخذت قاعدته بالاتساع ؟ بحيث بتع الشعب بأطر اتخذها من بين النبلاء والاعيان : حزب الطبقة الذي اخذت الاشتراكية تدعو الى قيامه ، لخير الطبقة العمالية الامر الذي بعث الريبة والتشكيك في هذه المستجدات الخطرة .

هل يترتب علينا ان نرى في هذه الدولة الحديثة و وضعاً من الضرائب والوارد المالية في الدولة نسج الخيال كلواحد فيه يحاول ان يعيش على حساب الفير» ،

كاكان يقول بستيا ، او ، لجنة ادارية تتولى شؤون البورجوازية المشتركة » ، كا جاء على لسان ماركس ؟ كل هذا والنبلاء يمارضون ما وسعهم ، فرض الضرائب على الثروات التي جمعوها .

والحال ، قان تضغم موازنات الدول ، سنة بعد سنة ، اثار في صفوف الاحرار المتشددين موجة من الاستياء والتذمر ، فزاد من ضغط الحكومات على دافعي الضرائب، وربطهم اكثر فاكثر بإصحاب رؤوس الامروال . فقد بلغت النفقات العامة في فرنسا المليار عام ١٨٣٠ ، ثم ارتفعت الى مليارين عام ١٨٦٩ لتصبح عام ١٩٠٠ اربعة مليارات محيث ان ٢٦ مشروع موازنة جاءت تشكو العجز سنة بعد سنة عام ١٨٧٥ . فالدولة تغطي نفقاتها عادة بفرض الضرائب . الا ان الملاك واصحاب رؤوس الاموال كانوا دوما يحاولون التخفيف من وطأة الضرائب المباشرة التي تكل امر جبايتها الى مأمورين يعدون م انفسهم جدول دافعي الضرائب في الوقت الذي نراهم يقدحون فيه منافع الضربية غير المباشرة او غير الملحوظة التي تستند الى الاستهلاك الحلي وكانت يقدمون فيه منافع الضربية على الدخل التي تبنت مبدأ الاخذ بها الحكومة البروسيانية حيث للموظف هيبة وسطوة كبيرة ، كا تبنتها الحكومة الانكليزية ، كبدير في منصراً الا قبيل الحرب المالمية الاولى ، بمؤازرة الحزب الاشتراكى .

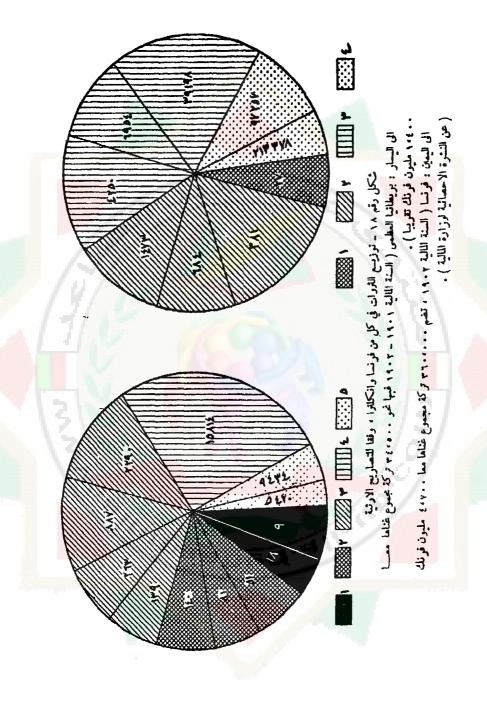
ولما كانت الضرائب التي تجبيها الدولة لا تفي بالحاجة كان لا بد لها من الاستدانة والاستلاف وقد بلغت الديون المستحقة على الدول الاوروبية ما اربى على ١٣٦ مليار بحيث ان هذه الديون المتوجبوفاؤها ، لو وزعت على المواطنيين لأصاب الفرد الواحد منها فرنكا في سويسرا ، و ٢٣ فرنكا في فرنسا ، عام ١٩٠٠ .

ا<mark>زدیاد</mark> سرکة الثراء العام وتفاوت الثروات

حدد آدم سمث معنى الثروة في الشعب و حيازة ك<mark>ل الاشياء</mark> اللازمة للحياة والمسهلة لها ». ويلاحظ بعضهم عسدم الدقة الملازم لهذا التعريف . ومع ذلك فنمو هذه الثروة المطرد

ليس من ينكره ؛ اذا ما تمثلت هذه الشروة بنقد متداول لم تتغير قيمته خلال القرن . وعلى هذا الاساس فقد قد رسوشير ؛ ثروة بروسيا ٢٨٥٦ مليونا عمام ٢٨٥٦ ؛ بينها ارتفعت الى ١٠,٧٠٨ ملايين عام ١٨٩٠ ؛ وذلك على اساس ضريبة الدخل التي لم تكن تطال غير ٥٠٠٠ ، شخص من أصل ٢٢ مليون نسمة . ومنذ عام ١٨٩١ كانت حصية الضرائب التي تصيب مليونين ونصف من دافعي الضرائب ، ١٨١٥ مليونا ؛ عام ١٨٩٢ ؛ و ٨٥٥ عام ١٩٠١ . فالضريبة الموضوعة على التجارة والعناعة في انكلترا اعطت ٢٠١ ملايين ليرة انكليزية تقريباً عام ١٨٤٣ بينا اعطت ١٣٠ ملايين ليرة انكليزية تقريباً عام ١٨٤٣ و ١٠٠ ملايين ليرة بينها الضريبة تم ١٨٥٠ ؛ والضريبة له (على رأس المال) اعطت تباعاً ١٨٥٨ و ١٠٠ ملايين ليرة بينها الضريبة تقريباً عام ١٨٤٠ والفريبة المون ليرة . وقد قدر بعض علماء الاقتصاد ليرة بينها الضريبة تق (الاجور) درت ٩٣ و ١٨٠ مليون ليرة . وقد قدر بعض علماء الاقتصاد دخل كل من بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية ٥٠٠ ؛ و ٢٧ و ٢٠ و ١٨٥ عام ١٨٥٠ ، لقاء ٥٠ و ٢٠ و ١٨٠ .

من العسير جداً التحديد بدقة ، توزيع هذه الشروة ، بين مختلف طبقات المجتمع او بسين الافراد. فالاحصاء الذي جرى في انكلترا ، عام ١٨٧٨-١٨٨٨ ، يشير الى ان ١٨ بريطانيا يحوز الواحد منهم اكثر من ٢٥ مليونا (روتشيلد ٢٧ مليونا) وكل من بيرنغ وبورتلاند ٣٨ مليونا).



ويدل الكشف الموضوع التركات المورثة على ان التفاوت يقل بالانتقال من انكاترا الى ايطاليا ، الى فرنسا وبروسيا . وهكذا نحصل على ٢٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠ و ١٥٠٠٠ و ١١٥٠٠٠ و ١١٥٠٠٠ و ١١٥٠٠٠ الى ١٦٠٠٠ ما الم ١١٥٠٠٠ أو ١١٥٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ ما الم ١١٥٠٠ على مليون . فالعالم الاقتصادي فوفيل ادخل منذ عام ١٨٨٣ ، في حسابه ٢٠٠٠ عسائلة من اصحاب الملايين توجد في انكلترا، ثم اضاف قائلا : د ان هذه ثروات تزيد بكثير على المدل، في بلاد لا يتجاوز عدد سكانها ٢٨٨ مليون نسمة . فليس في العالم كله على الاطلاق بلد يضم مثل هسذا العدد من كبار الاغنياء اصحاب الشروات الطائلة » . ويكن لنا ان نضيف هنا ان الغامن كبار الملاكين يملكون ثلث مساحة البلاد او ان ٥٪ من سكان البلاد يجمعون في ايديهم نصف الثروة المنقولة ، وانه يوجسد في خدمة الاسر الغنية مليون من الحدم والحشم ، وان ٢٠٠٠ وأس من الحيل تدرب كل سنة على فنون الصيد في هذه الاطيان الضخمة .

فني الحقبة الواقعة بين ١٨٤٣ - ١٨٨٠ ، ارتفع عدد البريطانيين المسجلة اساؤهم في جدول فئة (D) من اصحاب ال ٢٠٠٠ و ليرة ، ثمانية اضعاف ونصف ، بينها معدل الزيادة في الفئات الاخرى تضاعفت ثلاث مرات لاغير . وفي بروسيا ، نقلت الزيادة في الحقبة الواقعة بين ١٨٩٦ – ١٩٩٧ ، وفقاً لجدول ضريبة الدخل ٢٣٠٤ بالمائة لدى من زاد دخلهم على ٢٠٠٠٠ مارك ، وهكذا مارك ، و ٣٦ بالمائة لدى اصحاب الدخل الذي يتراوح بين ٢٠٠٠٠ و و ٢٠٠٠٠ مارك . وهكذا يكن لنا ان نؤكد ان تجميم الشروة تم في ايدي اقلية ضئية .

تفاقم الاختلاف بين اصحاب أس المال والعبال في هذه الحقية اضرابات البد العاملة وتطور الروح الواقعة بين ١٨١٥ – ١٨٤٨ في الوقت الذي زاد حرجاً التقابية

وضع اصحاب الاجور ، كما لا بعد من المسلاحظة هذا ان حوادث الاضرابات والبطالة اخذت تتناقص بعد عام ١٨٥٠ ، وهو هدوء يمكن رده الى عوامل عديدة، منها قشل الثورات والفتن التي نشبت والضغط السياسي وعسودة النشاط الى الحركة الاقتصادية ، والتخفيف من اسباب البطالة والارتفاع الاسمي ، ان لم يكن الفعلي للاجور ، فبعد ان خابت آمال هذه الطبقة واتعظت مجوادث الدهر ، اخذت تفكر بتنظيم نفسها لتحصل على ما ترضى عنه من الوجهة المسلكية فتصبح بالتالي ، اكثر تحصناً ضهد النظريات الثورية التي تتعلقها .

وقد شهدت انكلترا ازدهار الروح النقابية عقب عهد الوثنية التي نادى بها بعض المصلحين الاجتماعيين من انكلترا التي جاءت رومنطيقية اكثر منها سياسية حرفية عهد النقابية العمالية . وبذلك اخذ أوين ثاره . غير ان هذه الاتحادات لم تضم في صفوفها سوى نخبة ممتازة من العمال اصحاب التخصص الاعلى مرتبا . ومع ذلك ، وبالرغم من حظر الاتحاد لم تمت في فرنسا روح المقاومة وبقيت خافتة تحت الرماد تتريث سنوح الظروف المناسبة ، المظهور والانطلاق من جديد.

ان ارتفاعة كاليف الحياة والتعقيدات التي جرت اليها حرب الانفصال (في الولايات المتحدة) في صناعة النسيج كانت السانحة لانطلاق الهيجان منذ عام ١٨٦٠ وعلى غرار التقابات العهالية ظهرت حركة نقابية لا طابع سياسي لها في المانيا . وراحت حكومات فرنسا وبروسيا وساكس ، حرصاً منها على ارضاء العمال واستبالتهم ، تمنحهم حتى تشكيل اتحادات عمالية ، وهو حتى جاء في الوقت الذي طلعت فيه علينا الدولية الاولى التي تبينت ما تخفيه الحركة النقابية من شأن وقوة وما يمكن إن تقدمه من فوائد جمة ، فراح اعضاؤها يستميلونها الممل الثوري . وعقدت الحركة النقابية العمالية في انكلترا مؤترها العام الاول وراحت تشجب فيه اعمال العنف التي وقعت في مدينة شفيله ، كا اعربت عن ارتباحها لاصلاح قانون الانتخاب عام الممالية في الروهر وسيليزيا والهابنو وسورانغ وأنزين وريكاميري واوبين والكروزو . واخسة العمالية في الروهر وسيليزيا والهابنو وسورانغ وأنزين وريكاميري واوبين والكروزو . واخسة الإضطراب محتدم ويشتد الى ان ظهرت فتنة الكومون في باريس ، وهذا الحادث يؤلف تاريخا بارزا في حركة البروليتاريا مع ان الباعث الاول والوحيد لهذه الفتنة الشعبية التصميم هو الوقوف بارزا في وجه الرأسمالية . وامكن قمع اعتصاب ثان في سيليزيا العليا حين ظهر فجأة قانون يعترف في وجه الرأسمالية . وامكن قمع اعتصاب ثان في سيليزيا العليا حين ظهر فجأة قانون يعترف بيمض حقوق العمال النقابية .

وقد أتضح الآن أن الازمات تزيد من ضنك وبؤس صاحب الأجر المحدود وتحمله على الثورة. فهي تاتركه في وضع يبقى فيه عرضة أكبر للمخاطر ؟ إلا أن موقفه يصبح أقرى مسم رجوع الازدهار مع أنه لا يفكر بالمطالبة مجتوقه . فأذا مسا راح يطالب بزيادة في الأجور فجهوده تنحصر في تخفيض ساعات العمل والشغل لمدة ثمان ساعات ؟ وهذا أقصى ما يحلم به .

وقد أثارت أزمة ١٨٧٣ موجة جديدة من الاضرابات والاعتصابات في انكلترا اشترك فيها المهال الماملون في التعلق الزراعي. إلا أن القانون المعروف بقانون رب العبال والعامل الذي صدر عام ١٨٧٥ أدى الى شيء من التهدئة؛ فالظروف المتحكمة أذ ذاك توضح لنا صعوبة نهوض المنظمات العهالية في أمانيا العبالية في المانيا وتبين لنا سلسلة حوادث الفشل الذريع الذي اصيبت به الحركة العبالية في المانيا والولايات المتحدة الامركمة.

ففي الوقت الذي تزداد فيه الهوة همقاً ، غيل موازنة العامل الى تحقيق التوازن بسهولة أكبر حتى ان الأجر أخذ احياناً بالارتفاع ، على شريطة أن تكون حركة تشغيل العبال مرضية . فالاضرابات تخف حوادثها بيغا تزداد الحركة النقابية قوة وباساً في فرنسا ، وتأخذ بتنظيم نفسها في المانيا ، وتشكاثر في بريطانيا حيث قامت اتحادات عالية جديدة فتحت صفوفها لعبال غير متخصصين . واليد العاملة في كل مكان في الريف تتمامل وتتحرك دون أن يطرأ أي تحسين على دخلها بل انه مال الى الهبوط احياناً ، وراح الجهوريون في فرنسا يعترفون للعبال بحق تأليف نقابات لهم ، كا راح بسيارك ، من جهته ، يجري تغييراً في الصورة بوضعه خطة للضان الاجتاعي. وحدث اثر تحسن وقتي في الاسعار ، عام ١٨٨٦ ، سلسلة من الاضرابات العنيفة ولا سيا في

مقاطعات الهاينو وليباج ، وفي بريطانيا العظمى والمانيا . وقامت موجة شديدة من هدة الاضرابات، عام ١٨٨٩ ، وعطل عال الارصفة في الجزيرة كل نشاط في موانى انكاترا لمدة خسة اسابيع متوالية ، وفازوا بمطالبهم بفضل ما لقيت حركتهم هذه من عطف عليهم لدى الرأي العام ولتضامن العال الاوستراليين معهم . ونال عمال المنساجم في منطقة الروهر من الامبراطور غليوم الثاني ، بعد ان تخلى عن بسارك وصرفه ، وعداً بتطبيق مبدأ العمل لمدة ثماني ساعات في اليوم . وعلى أثر الحوادث الدامية التي وقعت في ديكازفيل ، يحاول تحسد ، على غرار هندمان عبر المانش ، ان ينقل الحركة العمالية النقابية ، الى الماركسية ، كا ان البلاد الواقعة في الجنوب شهدت ، هي الآخرى ، حوادث دامية عديدة .

واخذت اسعار الحاجيات تهبط، بمد عام ١٨٩٠ و قيزت سنوات ١٨٩١ و ١٨٩٣ بالازمات الشديدة التي شهدتها ، وقد قابل هذه الحركات تصلب من قبل أرباب العمل في مواقفهم ، في كل من اوروبا والولايات المتحدة الاميركية ، لا سيا وقد اخذت الحكومات تجزع شديدا لحوادث القتل والاغتيالات ، بمد ان سادت الفوضى نتيجة لردة فعل قوية فسالت الدماء غزيرة في مدينة فورمي ، كما ان المضربين حققوا لهم بعض النجاح الحلي في مدينو كارمو ، وقد علل عال المناجم على أمرهم في مقاطعة السار والروهر ، و تحول قسم من نشاط اتحاد العمال الى الجمعية الفابيانية عدوة العنف والضغط ، كما اتجه بلوتيه نحو العمل السياسي البرلماني ، واستطاع ان يثير بنجاح كلي ، في بورصات العمل ، فكرة انشاء نقابة ضخمة مستقلة تماماً عن الاحزاب السياسية ، عرفت بالتحالف العمالي العمل فكرة انشاء نقابة ضخمة مستقلة تماماً عن الاحزاب السياسية ، عرفت بالتحالف العمالي العمل في المانيا فقد وضعوا ثقتهم بالحركة العمالية في ايطاليا نفسها ، وتم شيء من هذا الانقابة وضعوا ثقتهم بالحركة العمالية الاجتاعية التي واحت تطعن بقدرة الحركة النقابة .

الحركات الاشتراكية رالفوضوية عام ۱۸۹۰ الد<mark>ولية الاولى</mark> ركومون عام ۱۸۷۱

وضع رايبو ، عام ١٨٥٧ ، بحثاً نشره في و موسوعة الاقتصاد السياسي ، جاء فيه : و إن الحديث عن الاشتراكية يكاديمني نمياً لهذه الحركة والقاء رئاء فيها . فالجهسد المبذول لنشر الاشتراكية انقطم ، ومدلولهسا غمض وجف . فاذا ما استمر

الشغف لهذه الحركة ، فتحت ستار آخر وتحت تفريرات أخرى ، . وبالفعل ، فهذه الحركة الثورية التي اصيبت في الصمم والتي تلبّس نشاطها الواناً واشكالاً شتى : كالمؤامرات والجميسات السرية ، واقامة الحواجز في الشوارع والأزقة ، اقتضى لها عشر سنوات لتميد تنظيمها ولتتخذ لها عبرة وعظة من تجربتها الأولى .

والساعة الحاسمة في نظر ماركس هي فترة التريث والانتظار الجاهدة ؛ انتظار الحادث الاغرالضخم دالرأسمال الذي انصب على وضمه ونشره فاصدر منه الجزء الأول. وقد كرسه لتحديد خصائص الرأسمالية وتوضيح مميزاتها بدقة ، فكامات السر والشمارات التي جاش بها دالبيان ، هي التي شقت طريقها وثيداً والحق يقال ، الى المقول والنفوس ، فالمفهوم الرومنطيقي عنسد الحبذين

للانقلاب بالقرة 'يمد سراً وفي الخفاء' وتقوم بتنفيذه أقلبة حازمةصلية العود والرأى 'يتمثل على الاخص ، في تلاميذ بلانكي « الشيخ ، و « السجين ، . وقب اصطدم نفوذ ماركس بالدعوة للاشتراكية على الطريقة اللاسالية ، وبالروح الفوضوية. ولاسال الذي رضخ لاحكام قانون الاجور الشديد، ألزم نفسه بعدم الدفاع عن المطالب التي تقدم بها العمال ، كما رأى نفسه مضطراً للتفاوض مع بسمارك حول الشروط التي قد تؤول الى الاتفاق بين الدولة المشبعة بروح العطف الابوى وبين الطبقة العالمة و وهو وضع يعبد الى الذاكرة التنازلات التي قام بها برودون الطاغمة في الثاني من شهر كانون الاول ؛ بحيث ان انصاره زرع<mark>وا في قلب ا</mark>لحركة الاشتراكية الديموقراطية ؛ جرثومة الاتفاقات التي يمكن التوصل اليها فيمفاوضة زعماء الرايخ. وبما هو أوسع من هذه الحركةوأرحب، النظرية الفوضوية ؟ فالروح التحررية المطلقة تكتسر فرنسا وسويسرا وقساكبير أمن البلاد الى الجنوب " وتتفلغل بين المهال وبين فريق من طبقة البروليتاريا من انصاف سكان الريف وأن<mark>صاف سكان</mark> المدن، الذَّين لا يرون في جماهير الثورة الاجتماعية غير بغض السلطة وكرهها ؛ والرغبة في التحرر منها . وها هو ماركس بلتقي مع برودون ، برودو<mark>ن هذا الذ</mark>ي نشر على الملأ شعارات هزت كل شي<mark>مفي</mark> طريقها ، منها مثلا تصريحه : « أن الاشتراكية ليست بشيء ، ولم تكن شئياً للآن ولن تصبح شيئًا في المستقبل ، ، وكامته المـأثورة الأخرى : « من المستحمل ان لا تفضى الاضرابات التي تمقيها زيادة الأجور الا إلى التشديد بالمطالبة بأكثر، وهذا شيء واضح وضوح ٢ + ٢ يعملان ٤٠. وقد رد ماركس على ذلك قائلا: « نحن ننكر هذه التأكيدات في الاساس باستثناء القول ان ٢ زائد ۲ <mark>یعم</mark>لان ؛ ، ، مارکس هذا الذی رأی فی کل تنازل تقوم به الرأسمالیة تنازلایفش<mark>ی بالثالی</mark> الى اضعافها وابهانها .

والحال فالنظرية الفوضوية (على مذهب برودون) التبادلية؛ الفدرالية؛ المضادة للاكليروس؛ اذا ما التقت بالبلانكية في شعارها: ولا إله ولا رب عمل »؛ ليست ببعيدة قط عن الجماعية الفدرالية المضادة لكل سلطة ، هذه النظرية التي راح باكونين يحاول نشرها في جميع انعناء اوروبا . و انا أمقت الشيوعية - راح ينادي هذا البوهيمي في مؤتمر السلام والحرية المعقود عام ، ١٨٦٩ كلها تؤلف نفياً للحرية ؛ اولا ؛ ولأنه يستحيل على ان اتصور شيئا بشريا يفتقر كليا للحرية ». وباكونين الذي يسلم بقانون الأجور الحديدي يرفض رفضا باتاً دكتاتورية البروليتاريا ويقف بجانب البؤساء ، بجانب الفلاح الروسي الموجيك . وقد رفض ماركس الدعوة الى ثورة اشتراكية اوروبية تقتصر على عالم الزراعة وتنحصر في هذه الاقوام الروسية والسلافية العاملة في بحالاتها . ففي زعمه ان البروليتاريا الواعية القائمة في فلك دولة رأسمالية هي وحدها تستطيع ان يحالاتها . ففي زعمه ان البروليتاريا الواعية القائمة في فلك دولة رأسمالية هي وحدها تستطيع ان يسلم بوسع الفوضوية تفاديم . أهو احتقار الالماني السلافي – هـذا السلافي الذي يحيش صدره بكره بغيض للمزاج اليهودي؟ اهو احتقار هذا البورجوازي الصغير المستكين، في قلب الفرنسي بكره بغيض للمزاج اليهودي؟ اهو احتقار هذا البورجوازي الصغير المستكين، في قلب الفرنسي بودون ؟ هنالك من ظن ذلك وقال به . الاان تشابه هذه النزعات وتعارضها أمر واقمي ،

قائم بالفعل. فهو ينغص العيش على الحماة الدولمة.

وفي عام ١٨٨١ ، جرى عماد الجمية المهالية الدولية على يسد النقابات المهالية والمهال المتخصصين في فرنسا الذين وقتعوا المنشور المعروف به « بيان الستين » الذين كانوا تماونيين اكثر منهم نقابيين . ومع ذلك ، فقد تولى ماركس نفسه إعداد خطبة الافتتاح ، وأخذ بمناهضة كل من البرودونية والباكونينية ، وراحت منذ ذلك الحين ، الاختلاقات والشقاقات الداخلية تعمل على ايهانها ، مع انها بقيت توحي الرعب وتسمر الحوف في قلب الحكومات . وامتدت مظاهراتها الى كل مكان ، حتى الى الولايات المتحدة واميركا اللاتينية . الا انها عجزت كلينا عن قطع الطريق على الحرب ، وعن انقاذ الدومون في باريس عن طريق إثارة ثورة شاملة في اوروبا خسسه الجورجوازي .

وما هي الكومون ، يا ترى ؟ فتنة طارئة قام بها سكان باريس ، بعد ان انزل بهم الحصار الطويل الذي تمرضوا له ما انزل من آلام وعدابات وحرمان، وبعد ان شاهدوا هول الهزية التي أصيبت بها فرنسا في الحرب ، وعملية استسلامها ، والفوز الانتخابي الذي حققه النبسلاه و الريفيون ، وقد تسربلت سربال سلطة بروليتارية ، وهي سلطة وهنة لعمري ، محصورة في مدينة ، ضخمة منعزلة ، محدودة الموارد ، والتي رفعت ، بالرغم مما انتابها من انقسامات ، العلم الاحر ، وأقرت فصل الدولة عن الكنيسة ، وألفت العمل ليلا في الافران والخابز ، وشجمت قيام و جميات تعاونية ذات رأس مال مشترك لا يمكن التصرف به او مسه ، واقادحت وضع منهج فدرالي ، شعوبي للدولية ، له اتجاهان رئيسيان يمكن لهما ان يتلاقيا . فبعد ان تخلبت على أمرها في معركة طاحنة ، دونها بكثير أهوال ثورة ١٨٤٨ ، فقد خلفت وراءها دويا تجاوبت اصداؤه بعيداً . وأدت هزيتها الى هزية الشيوعية الدولية الأولى ، الأمر الذي اتاح لتبير ان يلاحظ معقباً ; و لم يعودوا يتحدثون عن الاشتراكية ، وحسناً فعلوا ، فقد تخلصنا منها » .

حدثت انطلاقة جديدة عندما راح تلاميذ لاسال وماركس الالمان رائة الاحزاب الانتراكية يشكلون عام ١٨٦٩ الحزب الذي عرف بالحزب الاشتراكي رتاليف الدولة الثانية يشكلون عام ١٨٦٩ الحزب الذي عرف بالحزب المهجة عصه الديوقراطي . صحبح ان مؤتمر غوتا وضع برنامجاً معتدل اللهجة عصه ماركس بنقد لم ينشر الاسنة ١٨٩١ . وقد عد هذا الحزب اذ ذاك مليونا ونصف مليون من الاعضاء كا انه تمثل في مجلس النواب به ٣٥ نائباً. وقد استمد هذا الحزب ما عرف به من روح الصراع والمقاومة من هذا الاضطهاد الذي اصطلاه به بسيارك اكثر من إردات الثورية واف اصبح بعد وقت قصير من الزمن القوة الصناعية الاكثر والاحسن تنظيماً في اوروبا جعاء كقد قدمت المانيا للمال اجم نموذها للاشتراكية النبابية حسنة التنظيم والانضباط عوفت بسالحدر والحسان .

وهذا النموذج الجديد للاشتراكية برز كثير التعقيد والتشعب في البلدان الاوروبية الآخرى.

ان تطور المؤسسات والنظم التمثيلية ، وتوسيم القاعدة الشميية للانتخابات ، وقصور المكاسب التي حققها النقابيون ؛ والنتائج الضئيلة التي أدت اليها الاضطرابات ؛ كل هذا ومسا اليه ؛ ساعد على ظهور الاحزاب الاشتراكية على المسرح السيامي بعد أن تقاسمتها فشات المطالبين بالحرية المطلقة ، والحزب الاصلاحي والحزب الماركسي ، وهي احزاب أخذت توصي بمجابهة الاحزاب البورجوازية ، على اساس من المعارضة المنهجية . اما الحزب الاصلاحي فقيد تعرض للغوص في الوحل ، في تعاونه مع السوسيال ديموقراط الذين يكرهون الجماعية . وقد أطل علينا من جهة أخرى ، في الاطار الوطني ، بصورة اوضح ، مزاج خاص يؤذي حركة بجب ان تتصف بروح دولية . وهكذا طلع علينا عدد لا يحصى من الغثات والاحزاب السياسية ، اخسذت لها لبوساً شتى : إصلاحياً (المستطاعية في فرنسا ؛ النزعة الشرعية او التطورية في ايطاليا) ، بينا لبس الآخرون لباس الماركسية (هــذا وضع حزب العال في غسد) وحزب العال في بلجيكا الذي الذي كان يرمي الى اقامة سلطة بلدية فوضوية او شيوعية الذي ابتعد بدوره عن اتحسساد العمال الاشتراكيين في فرنسا ؟ كا ابتعد عن مذهب الاستطاعية Possibilisme الذي هدف الي السيطرة على المصالح العامة بينا تألف المذهب الفسدي مع بلانكية اللجنة المركزية الثورية . فقد أوجد له انصاراً في الشمال ، وفي الوسط حيث تقوم صناعات التعدين بينا تعتمد الاستطاعية على منطقة بارسي.

وخلافاً لما يجري على القارة ، بقيت بريطانيا العظمى مستمسكة بالنشاط النقابي ، اذ آثرت المنظمات العمالية ان تؤثر على الحزبين التقليديين مما في البلاد دون ان تلحستى أي ثشويش أو اضطراب بالللعبة البرلمانية المعمول بها . فقد انتخبت ، عام ١٨٧٧ ، عاملين اعضاء في مجلس المعموم ، و ١١ نائب من و العمال الاحرار ، الذين اعطوا اصواتهم لفلادستون ، كا ان حزب الاصلاح الاستراكي ، راح على مثال رسكين ، يحلم بالمدن ذات الحدائق ، وبمناهج تربوية كالجمية الفابية ، مثلا (انشئت عام ١٨٨٧) . وعندما رأى حزب العمال المستقل النور عام ١٨٩٣ ، فقط كان ظهوره دعماً قوياً للنظام البرلماني .

وعندما قوفي ماركس ؛ عام ١٨٨٣ ؛ بدا للناس وكأنه اعظم بكثير بمساكان في حياته . والجزء الاول من كتابه : « رأس المال » صدر عام ١٨٦٧ ، وترجم من بعسد ، الى الفرنسية فالانكليزية وعرف عدة طبعات له بالالمانية .وقد تابسع انجلس رسالة المعلم وانجز العمل العظم . كذلك ترجم « البيان » الى عدة لفات ، والبداء الذي وجهه الى ابنساء البروليتاريا بالاتحاد والالتفاف حول العلم الاحمر ، تجاوبت اصداؤه في جميع اطراف العالم . وقسد كتب فيه ادوار فيان قائلا : « ان منزلة ماركس من هذا العصر ، بالنسبة للعلوم التساريخية والاجتماعية ، هي منزلة دارون من العلوم الطبيعية . هذان الاسمان يبرزان فوق العلم الحديث . فما من احد ساهم

مثلهما على تسليح المقل البشري وتحريره كما فملا ، .

هنالك بجهود يبذل لتنظيم الشيوعية الدولية وجعلها فوق كل النزعات الاشتراكية وخلال المعرض الدولي في باريس عام ١٨٨٩ ، عقد مؤتمر سيطر عليه الماركسيون اتخذت فيه توصية بهذا المعنى وفيه اتخذ القرار بجعل اليوم الاول من ايار في كل سنة يوم مظاهرات عامة في جيسم انحاء العالم ، بحيث يطالب العمال في كل صقع ومصر ومدينة ، السلطات العامة بجعل ساعات العمل في اليوم ثماني ، وقد تميز اول ايار عسام ١٨٨٦ ، في مدينة شيكاغو بفتنة لاهبة ، أخمدت بالدم .

وقد نبذ انصار الحرية المطلقة الماركسية والمذهب الاصلاحي ، على عهد الاغتيالات الفوضوية السواء لشجبها كل دعاوة ذات طابع انتخابي ، وقد هبت على روسيا

منذ عام ١٨٧٠ موجة جارفة من الارهاب. وعقد المذهب الفوضوي ، في لندن ، عام ١٨٨١ ، مؤتمراً كان من بعض مقرراته اللجوء الى داعمال العنف، ورفع العلم الاسود. وستصبح الولايات المتحدة من جهة ، واروبا الفربية من جهة ثاتية ، مسرحاً لحوادث الاغتيال توجه ضد الافراد وضد المقتنيات. وحركة الاضطربات هذه اشتدت في كل من فرنسا وبلجيكا ودول جنوبي اوروبا ، دون ان تستثنى دول اوروبا الشالية. وقد نهض الايرلنديون بهذه الحركة في الجزر البريطانية قاصرين دعوتها للاضراب على بعض الاوساط التي اظهرت بعض الاستعداد لتقبل نظريات بودون وباكونين الهدامة. وعملت هدفه الحركة في كل من ايطاليا واسبانيا ودول اميركا برودون وباكونين الهدامة. وعملت هدفه الحركة في كل من ايطاليا واسبانيا ودول اميركا ورؤساء الحكومات في الوقت الذي استهدفت فيه حركة القمع توجيه ضربة شديد ضد الاشتراكية. ورؤساء الحكومات في الوقت الذي استهدفت فيه حركة القمع توجيه ضربة شديد ضد الاشتراكية . وتحت مكافحة الاعمال الموجهة ضد الروح العسكرية اخذت الحركة المطالبة بالحرية المطالمة تتفلنل بشدة بين النقابات وتوجهها نحو نهج سياسة مستقلة عن الاضراب وخاصة نحدو المطالبة التي تمدف صراحة الى الثورة.

وراحت الحاكم تصدر احكامها تباعاً ضد هذه النظريات وضدالرجال الذين يقفون في وجه النظر الرسمالي ؟ واخذوا يصورونهم ؟ بالكلام والكتابة ؟ اعداء السلطة الشرعية والحريات. فيهم الخطركل الخطرعلى الامة وعلى السلام الدولي. فانضمت الكنائس الى الملمانيين المتدليل على ما هو عليه هذا الفريق الآثم من شر خبيث. وراح البابا بيوس التاسع يشجب بقوة هذه التماليم التي ينعتونها شيوعية و هذه الانظمة المنوعة ؟ وهذه الاضطرابات التي تهدف بقوة الله غالفة الشرائع السياوية والارضية ؟ كما ان البابا ليون الثالث عشر، هاجم بمثل هذا العنف والشدة وهذه الطائفة ، التي ترمي الى هدم حق التملك ؟ هذا الحق الذي هو من حقوق الانسان

الطبيعية ، والتي تغذي في النفوس ، ﴿ حقد الفقراء على اصحاب الاملاك ، .

وارباب الاعمال يلجأون الى السلطات العامة عندما يرون انفسهم مهددين بالخطر، وكثيراً ما يأخذون المبادرة بأنفسهم . دفأنا حر باستخدام منارغب باستخدامه في معاملي ومصانعي، كان يصرح شنيدر لوفد من العال جاء لمقابلته في كافرن الثاني (يناير عام ١٨٧٠ ؛ «وافضل الف مرة ان تخمد النار في مسابك معاملي وتنطفىء الى الابد ، على ان انصاع تحت الضغط والتهديد ، وافضل جسواب وانجع رد على محسالفات العمال هسو الطرد من الحسدة وهي طريقة كثيراً مسا اعتمدها ارباب العمل من الانكليز ، منذ عام ١٨١٥ . وقسامت بسين ارباب العمل اتفاقات بالتراضي ، فتألفت في إيطاليا محالفات ليس بين ارباب الصناعة فحسب ، بسل ايضا بين الملاكين واصحاب الاقطان الضخمة الذين اخذوا ينظمون حركة المقاومة في وجسه المطالب التي يتقدم بها المرابعون والعمال المياومون .

حدد الخبير الاقتصادي المتحرر لاروا بوليو الاشتراكية المماملة الابوية والتشريح الاجتاعي بانها وحالة مرضية ، فكيف يمكن ، ياترى ، معالجة هذا

المرض ومداواته ?

بلغ من حدة القضية العالية بحيث لم يعد من المستطاع تجساهلها ولا مواجهة حلها بالبطش والمنف . وراح المنيون بالامر يقلبون الرأي ويعدون الابحاث والتحقيقات حول هذه المشكلة الاجتاعية ، موجهين الاضواء الكشافة لاكتناهها على الوجه الصحيح، معربة عن حقيقة العذابات والضنك الذي يكتنف وضع العهال ، والذي راح كل من ميلرميه وفيلنوف بارحونت بميطان اللثام عنها ، قبل عام ١٨٤٨ . فقد ارتسمت ، من جهة ، حركة ، تعاطف اشتراكية من وحي مسيحي ، قابلها من جهة اخرى، بين احرار البورجوازين، حركة ، انسانية علمانية ، وحدت بينها رغبة مشتركة في تخفيف ، ان لم يكن في ازالة ، هسذه المساوى، والشرور التي تكتنف بينها رغبة مشتركة في تخفيف ، ان لم يكن في ازالة ، هسذه المساوى، والشرور التي تكتنف الطبقة البروليتارية ، وذلك عن طريق الاخذ باصلاحات لا تتمرض ، من قريب او من بعيد ، لمبادى، الملكية الخاصة ، ولا تضر قط بحرية العمل ، فعلى الطبقات الموجهة ان تتفهم الوجبات المترتبة عليها ، كا على الطبقات المرهقة ان تعتبرف باخلاص ونزاهة ، بالانجازات الاجتهاعية التي المترتبة عليها ، كا على الطبقات المرهقة ان تعتبرف باخلاص ونزاهة ، بالانجازات الاجتهاعية التي تحققت لخيرها ونفعها .

وقامت البروتستانتية هنا بحركة اجتاعية شديدة جاءت تتجه لهذا العمل الاجتاعي الطيب الذي قامت به بعض الطوائف ، ووفاقاً للمبدأ الذي قال به وعلم بنتهام . فقد خطر لدزرائيلي نظام ملكي يستن له سياسة ابوية نحو العبال ، ولم يبد قط ان عضو المحافظين هذا كان بميداً عن بسيارك في النظرية التي قال بها الضيان الاجستاعي . وقد خيم على النقابية العبالية جوديني بعث الدف في الجعية الفابيانية، ودفعت نحو حزب العبال العصبة المسيحية الاشتراكية وفي المانيا كانت فلسفة فخت والفلسفة المحرفة الطريق المام نظرية الدولة الإبوية او الدولة العطوف.

ومن جهة اخرى ، فقد وجدت الثقابات في المنهجية التاريخية عذرا لها وتبريراً لفوائدها ، هذه المنهجية التي انبثقت منها مدرسة روشير وهيلدبراند وبرنتانو ، التي كانت تدعي بأنها تنبثق من الواقع وبأنها تحسب حساباً للتطور سيراً منها مع مذهب التقليدية الذي قال به الفقيه سافيني . ومهما يكن ، فقد أطلت علينا حركة اشتراكية طموحة تبنتها الدولة في إثر ردبرتوس بعد ان تشبع لاسال من كتابه : « رسائل اجتاعية »و كذلك شمولر وادولف وغنر . والمنهاج الذي وضعه أيزيناخ هو بمثابة اعلان حرب حقيقي ضد مذهب كوبدن الذي كان من بعض تأثيره على بسارك ان غرس فيه اليقين ووطد فيه الاعتقاد بان الامبراطورية الالمانية ستعرف كيف تصبح ، بعد لأي قصر ، غودجاً يحتذى للدول الابوية .

وقد قام بين البروتستانية الفرنسية والفلسفة الوضعية اكثر من نقطة اتصال استطاع رينان ، في اعقاب حرب ١٨٧٥ ان ينتقد «حب الذات، مصدر الاشتراكية والحسد مصدر الديمقوقراطية ، كا اعجب تين بالروح التجربية التي تمست البريطانيين اعداء التجريد الكاسع . فهم يتمنون ، على شاكلة ليتريه ، حكومة رائدها المقل ، إصلاحية بحكمة وتمقل. فمقلية هؤلاء الجهوريين الذين يشكلون الدولية الثالثة ويوجهونها تبرز ايضاً في هذه الحسافل الماسونية حيث تدرس الموضوعات الانسانية الطابع وتناقش . فهي مدينة بعض الشيء لهسنده الفلسفة التي قال بهسا رينوفييه الذي بعد ان شدد على ما للانسان من منزلة وكرامة ، وعلى فكرة المدالة ، واح يوصي بفكرة التضامن والتماضد التي تلقي على الدولة الديموقراطية واجبات شديدة من المتوجب عليها القيام بها في جو مشبع بالحرية . وها هو السيد له بلاي الذي عرف ان يربط بإحكام بين الفلسفة الوضيعة والكاثوليكية الاجتماعية ، راح هذا الباحث القدير يشيد بفضائل الاسرة ويعتمد على الاخلاق اكثر من اعتاده على التشريع في سبيل تحسين الملائق بين العامل ورب العمل ، ويوجو ان يمامل هذا ذاك كا يعامل الاب ابنه ، ولكن كيف السبيل لنجعل من المعمل او المصنع شيئا النه بالاسرة ؟ اليس بالعمل على إعادة الروح النقابية ؟

منالك فريق من الكاثوليك المحافظين يتطلعون الى النظام القديم بحاتجلى به من مراتب مسلسلة ومن طابع مسيحي، ونذر كل من المركيز دي لاتور والكونت دي مون وكلاهما من ضباط الجيش المحترفين اعجبا وهما في الاسر في المانيا، بالانجازات العظيمة التي حققها المطران كثلير، نفسيها لتأسيس نواد للمسهال الكاثوليك. وراح الاتحاد الكاثوليكي للدراسات الاجتاعية واتحاد فريبورغ الذي بعث فيه المطران فرميلود النشاط، يسلقان بألسنة حداد النظام الرأسمالي و وعبادة العجل الذهبي، وتجلت فعلا عام ١٨٨٦ الديوقراطية المسيحية بظهور الجمية الكاثوليكية للشبيبة الفرنسية. وراح ليون هارمل من جهته يقوم بعمل رسولي خليق بكل تقدير في اوساط اصحاب المعامل الكبرى. واخذت هذه الارادات الطيبة تتوقع صدور إشارة مامن قداسة البابا. وتردد البابا ليون الثالث عشر في الامر، وشجب النشاط الذي كان يقوم به فرسان العمل في الولايات المتحدة الاميركية، وابى على نفسه ان يؤازر هدذا الفريق

من ابناء قرنسا الذين لا كلمة مسموعة لهم عند الزعماء الجهوريين . ومع ذلك قرؤساء الاساقفة غيبونز وايرلند اخذا يعطفان على النقابيين الاميركيين ؟ كا ان رئيس الاساقفة ماننغ راح يبذل وساطته لصالح عمال الارصفة المضربين في لندن . وثداء الالتفاف » او التجمع حول الجهورية الفرنسية الذي توقع الفاتيكان منه ان يحمل والتهدئة » الى البلاد ، قد يمني ايضاً اتفاقاً ضد الاشتراكية ، من هنسا تبدو اهمية البراءة البابية التي يمكن اعتبارها البراءة الكاثوليكية الاولى الحركة الاشتراكية . وفي خطابه للحجاج الفرنسين الذين قابلوه برئاسة دي مون ، راح البابا بؤكد بأن و القضية المهالية والاجتماعية لا يمكن لها ان تلاقي حلها المرتجى والعملي في الشرائع المدنية السرفة حتى في افضلها . فالحل الامثل يتوقف كثيراً على الضمير والوجدان » .

كان من المفروض على السلطات المسدنية والكنيسة ان تتعاون معاً وفقاً لتقاليدهما لتامين القيام باعسال الاسعاف والوقاية. الا ان اعمال المؤاساة كانت تروح بالاخصالي المرضى والمشوهين والاولاد الذين تخلى عنهم والدوم، وقليلا جدا الى الاسر المستورة. وقد جاء في تقرير وضع عام ١٨٧٤ : د التشريعات الفرنسية التي تنظم الاحسان الساسها المبدأ القائسل ان واجبات المجتمع الادبية ان لا يترك متالماً ما دونها علاج. فالاحسان الموجه للمعوزين لا يمكن المطالبة به كواجب مفروض » .

شهدت المانيا أول ما شهدت طاوع الدولة الوالدية ، وذلك عندما صدر فيها اول تشريب يمل الفيان الاجتاعي إلزاميا . وقد تباور مفهوم هذا الفيان ، شيئا فشيئا وتجلى على أتم بانشاء تعاونية وصندوق نقابي .ثم صدر قانوت آخر اولى الحكومة صلاحية تشكيل ادارة خساصة أنيطت بها مهمة مراقبة النقابات المهنية التي تنشأ فيها صناديق اسعاف . ومع ذلك فبسارك يتردد كثيراً قبل ان يخطو الخطوة الحاسمة وذلك لارتباطه باتفاق مع حزب الاحرار . وراح الكاثوليك في المانيا والحزب الانجيلي يطالبون بتشريع يسيج حول العمل والعبال بحيث يقطع الطريق على الدعاية الاشتراكية . وفي بيان له منشور ، راح الحزب الوسط في الرايشتاخ يعرب عن تمنياته باستصدار قانون خاص ينظم العمل والعبال . وبعد ان اعتمد مستشار المانيا على حزب المحافظين والحزب الكاثوليكي ، فاز بالتصويت على الضمانات الثلاث : ضعان الحوادث، حبان المرض وضمان الشيخوخة والمجز عن العمل . إلا انه رفض ضمان البطالة والاضراب . وبعد ان راح يستشهد بفكرة الطمأنينة ، دعا أرباب العمل والعبال التماون معان البطالة والاضراب . الرابخ كا عزم عزماً اكيداً على تنظيم العمل بحا يضمن ازدهار الاقتصاد الالماني . ولما كان المبال لا ثقة لهم باخسلاق الربين عام ۱۸۸۹ ، راح فيه ممثله الشخصي يؤكد قائلا : « لما كان العبال لا ثقة لهم باخسلاق البورجوازية ، فهم يتوجهون بطالبهم نحو التشريم الرسمي » .

وقد اعترف للعامل بحرية تشكيل الاتحسادات العالية مع حق تأليف الجمعيات ، وهي تنازلات محسوسة نعم بها العامل ، كان ذلك ضربة شديدة توجه للروح التحررية الفردية بنوع

خاص كما تؤلف الى حد ما عودة الى فكرة التجمع المبني والمسلكي . ولما كانت هذه الحركة الاصلاحية لا تطبق على الموظفين والمهال العاملين في خدمة الدولة ، كان باستطاعة ارباب العمل ان يستفيدوا منها فائدة كبرى . ولما كان القانون الفرنسي الصادر عام ١٨٨٤ يخضع النقابات التفتيش ويقصر نشاطاتها على والدرس وعلى الدفاع عن مصالحها الاقتصادية والصناعية والتجارية والزراعية ، كان المطلوب ، حسب رأي غسد ، تطبيق قاندون لوشابلييه على و مقتضيات الرأسمالية المستجدة ، وبدرجة اقل إلغاء هذا القانون . ومها كان من الامر ، فسالاعتراف الطبقات المتنافسة بعق تنظيم صفوفها ، لا يساعد على التهدئة والمسالمة ، الامر الذي اولى النقابة الختياطة هذا الحق الذي اولى النقابة الختياطة هذا الحق الذي المي الولى النقابة المتنافسة بعق تنظيم صفوفها ، لا يساعد على التهدئة والمسالمة ، والحال ، لم نر في اي مسل المتنافسة بعنى والتهدئة تعمل بصورة فعالة (من ذلك مثلا الطريقة الفرنسية الستي توصي بتأليف لجنة محكمين اعضاؤها منتخبون بين العال وارباب العمل او لجنة من الحكمين ، كا هي الحال في كل من المانيا وانكلترا)

والتشريع الذي صدر بشأن والعمل:مداه وظروفه، ؛ كان هو الآخر كردة فعل ضد النظرية التحررية (١). تاريخ معقد ومنشعب تألف من توصيات واحكام عديدة ، تطرح دوماً مسن جديد على بساط البحث امام الشارع الذي يرغب في وضعها موضع التنفيذ .

قليلة جداً هذه القوانينالتي تعرضت لسكن العمال، فالقوانين التي حددت في انكلترا غاذج في بيوت السكن في المدن ، توجب على المالك القيام بالاصلاحات التي تقتضيها اوضاع البيوت. وراحت بعض المدن الانكليزية ، كمدينة برمنغها مثلا ، باقتراح من تشميران ، قدرج في التصميمات التي تضعها لتحسين المدن ، مساكن العمال . وفي المانيا كانت الدولة توزع مساعدات المدن ولارباب العمل تعطى للشركات وتعاونيات البناء . وهكذا تصرف اصحاب معامل كروب وغيرهم من ارباب العمل . الا ان المتبع ، على الاجمال هو ان هذه النزعة الابوية والرأسمالية كانت تؤثر تشييد ابنية خاصة للايجار تؤمن لاصحابها دخلا في السنة . فالمستخدم قسلما يتمكن ، بالنظر للأجر الضئيل خاصة للايجار تؤمن لاصحابها دخلا في السنة . فالمستخدم قسلما يتمكن ، بالنظر للأجر الضئيل الذي يتناوله ، ان يستمتع بمنزل لائق مستوف لجميع الشروط .

عندما يتعاون الناس ويشاركون في انتاج بعض السلع او في آمال وحسود الحركة النتابية تنفيقها ؛ لا يفعلون ذلك الضرورة بسدافع منهم للربح والإثراء ؛ وهي فكرة كثيراً ما راودت خواطر اعضاء الجمعيات الراغبة في الوصول الى طريقة

⁽١) بقيت هذه الظروف قاسية على الاجمال . فالعامل في المنجم بقي ، كالسابق عرضة لامراض عدة كذات الرئة والسل، كما ان العمل في معامل الكبريت وعيدان الثقاب كان يعرض العامل للتسمم وبالتالي الموت ، وكذلك العمل بالقصدير في معامل القصدير، وصانع السكاكين عرضة للهيب لعدم استعمال ما يقيه لفح الذار ، وكذلك الزجاج الذي ينفخ بواسطة انبوب الحديد ، وهو عمل يسبب تشقق الشفاه وافتفاخ الوجنات وظهور بثور في مجرى اللعاب ، ويعرض صاحبه للفتق ولانتفاخ حويصلات الرئة .

كاملة التنظيم او التجديد الاجتاعي عن ظريق الحرية الشخصية وفي حدودها . و قالمهدورت العدال الذين قامو في روشدايل ، عدوا ، بادىء الامر ، الى تشكيل تعاونية الاستهالك ، الغاية منها بيم حاجيات ذات منفعة عامة يشتد عليها الطلب ، بادنى سعر ممكن ، مسم حسم صغير على الربح يكون بنسبة الكمية التي يشتريها الزان الذين هم بالضرورة من حسلة الاسهم في التعاونية . وقد انتقلت العدوى والعمل بهذا النظام الى حرف اخرى ، كالخبازين مثلاً وهكذا استطاع غزن روشدايل ان يقترح على زبائنه تنفيق بعض الحاجيات التي تولى صنعها . ولما رأى الشارع بكل ارتياح هذا المشروع ينمو ويتطور ، فلم يلبث ان اضفى عليه وجوداً شرعياً وصفة قانونية . وحدث بعد ذلك ان بعض الحلات التجارية التي تبيع بالجسلة ، في منشستر وفي غلاسكو ، وسعت في نشاطها التجاري بحيث امتد الى اطراف العالم ؛ وقسد بلغ من إقدامهم وجرأتهم ان اشتروا بعض مزدرعات الشاي في سيلان واراضي زراعية واسعة في كندا وحقول النخيل في سيراليون ، حتى ان بعض هذه الحسلات استحال مصارف تعاونية ، واقبلت على صناعة البسكوت ومعلبات اللحم والالبسة والمفروشات حتى والتبغ ، بعد ان كان متشل ومكسويل وامثالهم روح النشاط والحركة فيها .

وهذه التعاونيات الانتاجية بدت مغرية جذابة في نظر بوشير ولويس بلان في فرنسا ، الا الشركاء في مشروع الاستثار هذا صعب عليهم ان يدركوا ان مصلحتهم تقوم في استسثار ارباحهم في مشروعات تتبح لهم التوسع تدريجيا في الاعمال ، وكان جواب تبير لاعضاء المجلس الناسيسي الذين راحوا يطالبون عام ١٨٤٨ ، باعتادات خاصة : وليس بثلاثة مسلايين يجب ان تطالبو ، بل بعشرين مليونا . فانا على استعداد كلي لمنحكم اياهسا ، اذ ليس بكثير قط ان ارفع مثل هذا المبلغ لاثبت لكم خواء هذه الشركة وعدم كفاءتها » ومع ذلك فقسد جرت بعض التجارب في باريس . فقد عهدت الكومون الى بعض اللجان الخاصة بهمة ادارة بعض المصانع التي تخلى عنها اصحابها ، كما ان مؤترات العمال التي تم عقدها بعد عام ١٨٧٠ اخذت بمناقشة الموضوع . الا ان الاشتراكيين بقوا متحفظين حيال هذه القضايا . ورأى غسد ، على غرار بلانكي ان هذا النوع من التعاونيات لن يلبث ان يحمل البروليتاريا على النعاس . حقسق غرار بلانكي ان هذا النوع من التعاونيات لن يلبث ان يحمل البروليتاريا على النعاس . حقسق المشروع بعض التقدم حوالي ١٩٠٠ . اما عند البريطانين ، فبالرغم من الدعاية التي قسام بها القسيسان موريس و كنفسلي والمحاميان لدار وفانسيتارت نيل ، فقد دام إعراض الحركة النقابية والرأي العام طويلا ، ولم تسجل القضية اي تقدم الاعام ١٨٨٤ ، مع ظهور جسمية العمل التعاونية .

اما خطة إشراك اصحابالاجور بالارباح ، فقد جاءت اقل توفيقاً ورواجاً . فقد راح عامل رسام يؤسس عام ۱۸۲۷ لحسابه الحاص محلاً استطاع ان يقنع بعض العمال بمشاركته والمساهمة به . الا ان مشروعه هذا لم يلبث ان اصبح برمته بين ايديهم ، وراح المسدعو غودين ينظم هو الآخر ، في مدينة غيز ، مشروع استثار عائلي ، الا انه اضطر بعد قليل للتخلي عن مشروعه

المعمال العاملين فيه . وهنالك بعض المشاريع من هذا النوخ قامت عسلى هذا الأساس ، بينها مطابع ، والـ Bon Marché ومناجم بريغز في يوركشير ، وشركة الفاز في مدينة لنسدن ، ومعامل الجمة البرلينية لصاحبها بوروشرت . فقد تعرضت كلها لحسده الحصومات والمنافسات التي وقعت بين الاشتراكيين واصحاب العمل .

الا ان التسليف الزراعي سار بنجاح . ومثل هـذا المشروع قلما يخدم مصلحة طبقة البروليتاريا الذين لا تتوفر لهم الامكانات والطاقات المالية ، مثلما يخدم مجوعة من صفسار الملاكين الفلاحين الذين يحتاجون في اعمالهم ومشروعاتهم لعملية تسليف طويلة الاجل ، فقد وضع برودون اصبعه على الجرح وحاول وصف العلاج اللازم لبرئه عندما اخد يفكر بإنشاء مصرف شعبي ، الا ان النجاح اصاب هذه المشاريع التي قامت في المانيا ، كالمشاريع التي تمت على يد رايفيزن وشواز ، تخصص اولهما في الامور الزراعية كما اتجه الثاني للجميع من سكان المدن والريف على السواء . وقد فتحت مصارف من هذا النوع في جميع المبلاد .

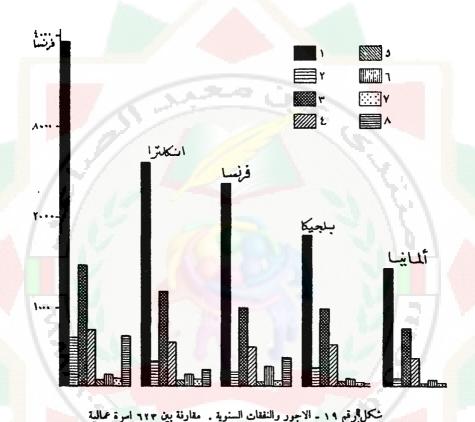
والازمة التي ألمت بالريف ، في ذلك الوقت ، ساعدت كثيراً على نشر نظهام التعاونيات الزراعية التي تعاطت على السواء ، الشراء او البيع او الاثنين معاً . ومثل هذه المشاريع تروق الفلاح الذي يتمكن ، بمثل هذه الطريقة ، من ان يؤمن له ، كل ما يحتاج اليه من الادوات الزراعية والأسمدة ويجد اسواقاً لتنفيق محاصيله . وهكذا قامت في الداغارك وازدهرت تعاونيات للاجبان والفاحجة .

فالت<mark>ما</mark>ونية ؛ على هذا الشكل تصبح طريقة سهلة م<mark>ن مصالح ا</mark>لمهنة . فكل همسا أن تحصل تخفيضاً محسوساً لاعضائها في اسعار السكلفة وزيادة في ارباحهم ؛ مع العسسلم أن اعضاء المجتمع لا بغيدون منها بالضرورة .

وفكرة تعاونية التوزيع التي تتجه من المستهلكين عرفت الازدهار والرواج بفضل هذه الازمات الاقتصادية التي وقعت بين ١٨٧٥ -- ١٨٩٥ . وراح بعض رجال الاقتصاد والعلماء ، الازمات الاقتصادية التي وقعت بين الناس فكرة تقديم الاستهلاك على الانتاج ، وهي فكرة تبنتها مشال والراس ومنجر بيثون بين الناس فكرة تقديم الاستهلاك على الانتاج ، وهي فكرة تبنتها مدرسة نيم بعد أن بعث فيها شارل جيد النشاط . وفي السويد وبلجيكا عن طريق فورويت ، مدرسة في انكلترا بواسطة كتابات ويب ، راح الناس يحلمون يجمهورية اشتراكية لها القدرة على إشباع احتياجات الناس دون إلحاق الفرر بأجور يحمل فيها الحسم المضاف الى الرأسمال على الربع .

ويرى ممارضو هذه الحركة وشاجبوها ان النظام التماوني الذي فشل في اجتذاب رؤوس الاموال اللازمة ، عجز كذلك عن فرض نفسه في قلب النظام الرأسمالي ، واذ لم يكن في وسعه ان يبيع بالدين ، كان لا بد من ان يفشل في تغيير او تمديل الظروف التي تكتنف حياة البروليتاريا .

الطبقة العمالية تحت وطأة مرض المادية من جراء التحسن الفعلي الذي طرأ على مرتباتهم بقطع اجتماعي مزمن : الفقر النظر عن التحسن الاسمي . الا ان التحسن المادي في بعض السلم البروليتاريا على الاجمال هو اقل ظهوراً للعيان منه لدى البورجوازية . هل نحن يا ترى



في صناعة الحديد ، موزعة بين ، بلدان ١ - المرتب ؛ ٧ - الايجار ؛ ٣ - العذاء ؛ ٤ - اللباس ؛ ٥ - الفراءة والمطالعة ؛ ٦ - المشروبات (بينهــــا الكحول) ؛ ٧ - التبــغ ؛ ٨ - الوفر . الكحول) ؛ ٧ - التبــغ ؛ ٨ - الوفر . (تتحقيق قامت به وزارة العمل الاميركية ، منقول عن غولد : الوضع الاجتماعي للعمل ، ١٨٩٣).

امام حركة افتقار تصاعدية ? أن عملية مقارنة بين النفقات التي يستطيع رب عمل ، من جهسة تحملها ، ومن جهة اخرى ، عامل يعمل في المشروع ذاته ، تستطيع وحدها أن توقر لنا عناصر الجواب عن هذا السؤال . فالاحصاءات التي تمت في هذه الناحية المحصرت كلها في موازنسة المامل .

من هذه الابحاث والتحقيقات التي قام بهسا مكتب العمل في الولايات المتحدة الاميركية ، يتضح لنا ان العامل في الصناعة المعدنية ، مثلا، تستهلك اعاشته نصف مرتبه تقريباً او اكثر من ذلك بقليل ، ولا يبقى له بالتالي الا القليل لايجار منزله ولباسه وتغطية نفقات نثرية اخرى كالمشروبات والقراءة والتدخين ، اما السكن فيعود على الانكليزي والبلجيكي اغلى مما يعود على الفرنسي والالماني ، او انهم يكرسون له مبلغاً اعلى نسبياً . فالالماني يكتسي بثياب اقل جودة وأرخص بالطبع . واذا كان معروفاً عن الفرنسي إنه اكثر تعاطياً للشرب ، فلأن النبيذ قد عد بين المشروبات الكحولية . فالتوفير يكاد لا يظهر على البلجيكي وعلى الالماني ، ويصبح محسوساً عند الانكايزي ولا سيا عند الفرنسي .

فاذ<mark>ا ما قارنا</mark> بين وضع الممال الاوروبيين والاميركيين لاتضح لنا جليا انخفاض الوضع عند الآخرين (۱) . ومن ثم فالتوازن لا يمكن تأمينه الا بعمل المرأة ، ان الرجل ، انكليزيا كان أو فرنسيا ، لا يحصل الا ع/ موازنة اسرته والبلجيكي ه/ " ، والالماني س/ " ، والاميركي . سرازنه السنوية .

ان معظم الاسر العمالية التي قام بدراسة عنما في الحي الثالث عشر من احساء باريس كل من درمسنيل ومنجنو ، تخصص لايجــــار سكنهــــا من سدس الى نصف دخلهــــا . وبعد حسم نفقة الابجار هذه ٤ لم يبق ل ١٣٤ اسرة من اصل ١٨٦٦ اسرة جرى درس<mark>ها سوى</mark> • • ورنك يجب ان تكفيها للسنة كلها . فالبعض من هذه الاسر يخصص من ٢٠-١٥ سنتيماً للفرد الواحد كمصروف يومي لغذائه ولباسه ، مع العلم أن كياو الخبز يساوى ٢٥ سنتيما ، وكيلو اللحم فرنك ونصف ، والسكر ٧٥ سنتيها . فما من احد ينفق فرنكا في اليوم على فرد واحمه . وفي بروسيسا حوالي عام ١٨٦٠ . كانت الفئات الاكثر فقراً تخصص من ٧٠ –٣٦ من دخلها لتأمين حاجتها من المواد العدائية ، بينا أحسنهم وضعاً كان يخصص من ٨ - ١٠٪ من دخلهم . وكان العامل الالماني في برلين الذي يشتغل في مصنع الابنوس او في ادارة سكة الحديد يقبض ، عام ١٨٨٨ لحواً من ١٠٢٤ ماركاً ، يدفع منها ١٦٨ ماركاً اجرة غرفة مع مطبخها (الطبخ دون نافذة) وكان ينفق على طعامه ٧٤ ماركا ، ويفادر مسكنه صباحا بعد ان يكون تناول في الصباح كوباً من جريش القمح (عِثابة قهوة) مع حليب وسكر وينتقل على نفقته حاملا معه من المقانق ما ثمنه Pfennigs ۱۰ و يتناول في المساء حساء من الخضار والبطاطا. والعائلة تنفق من ٢-- ٤ ليبرات من اللحم في الاسبوع، ولا تخصص اكثر من ٤٢ ماركاللملموس. وكتب المدرسة ثمنها ٩ ماركات ، كما كان عليها أن تخصص ٧ ماركات ثمن الصابون لاعيال التنظيفات . الا ان وضع الاسرة لا يسمح لها بشراء جريدة .

فالضنك والعوز هما ابداً ضيفان ثفيلان يحلان على الاسرة بقطع النظر من هبوط الاسعار .

ولكن أكان من حق الناس في اوروبا ان يسلماوا لليأس ؟ ان دليلان على تحسن الوضع الاجتماعي مدى الحياة يستطيل على الاجمال. فمعدل الحياة ارتفع ، في فرنسا، صعة احسن واخلاق انعم بين ١٨٣٠ - ١٨٣٠ ، من ٣٨ الى ٤٦ ، والشيخوخة بين الناس

خففت من تقهقر معدل المواليد في البلاد . فاذا كان هذا الانكفاء او الانحسار الذي يمكن رده الى تناقص البؤس والشقاء لا يزال يقلق بمض المواطنين ، فتناقص معدل الوفيات يجب ان يدخل خانة حسنات الحضارة . فقد كان معدل الوفيات ٣١ بالآلف في اوروبا ، عام ١٨٥٠ ، فبط الى ٢٦٪ خلال الفترة الواقعة بين ١٨٩٠ – ١٩٠٠ .

وطال امد الحياة لدى الانسان لان الاسباب التي كانت تعجل من وفاته الحذت بالزوال الآن (كالحرب) او ان تأثيرها ضعف وخف . وبفضل التحسين العام الذي طرأ على وسائل التعذية سجلت مكافعة المرض تطوراً ملعوظاً ؛ تبان الشعور بها ، في اوروبا ، باختسلاف البلدان والطبقات الاجتاعية ، وهو تقدم لا يمكن لاحد نكرانه . وهذه الأمراض التي تسير دوما في ركاب الحرب كالوباء والتيفوس اصبحت الآن في خبر كان (مع أن الأول زرع الرعب بين الناس في سنة ١٨٨٤ – ١٨٨٧ ، وفي سنة ١٨٩٧ ، والثاني انتشر في جنوبي فرنسا عسام ١٨٩٩ وفي سنة ١٨٩٠) . ومعظم الامراض السارية ، تناقص عدد ضعاياها ؛ قالامراض الزهرية تحسنت كثيراً وسائل معالجتها () . وقد تراجع ايضاً مرض التدرن الرئوي في بعض البلدان ، كإنكلترا مثلا ، بينا فتكا ذريعاً في فرنسا . كذلك تعاطي المسكرات الكعولية التي جرت مكافعتها بنعائج طيبة في البلدان السكندينافية وفي هولندا ، عد بنجاح في انكلترا والتي أتت مكافحتها بنتائج طيبة في البلدان السكندينافية وفي هولندا ، عد المناه المناور والشروبات الكعولية ، كها ازداد عدد علات بسعهذه المشروبات بكتور الانتجار . استهلاك الخور والمشروبات الكعولية ، كها ازداد عدد علات بسعهذه المشروبات بكارة. كذلك نلاحظ ارتفاع معدل الذين يدخلون مستشفيات الامراض العقلية ، ومعدل حوادث الانتجار . ومعدل حوادث الانتجار .

ولما كانت غريزة الكبح في الانسان وعقيدة التكفير اخذت ترجح تسدريجياً على فكرة التخويف وعلى الأمل المعقود على التأديب الاصلاحي ، فقد اخذت الشرائع الجنائية تفقد شيئاً

⁽١) فغي ايطاليا حيث الرفيان كانت تعد بالملابين ، هيط معدلها بين ١٩٨٧ - ١٩٠٧ من ٤٣٠ لل ١٢ أي مرطن الجدري ، ومن ١٨٨ الى ٢٥ في مرض التيفوئيد ، ومن ٥٥ الى ٥٥ للمسلاول ، ومن ١٨٥ و ١٩٠١ و ١٩٠١ مرض الحصاف او البلاغرا . اما في افكلترا ، فقد احصوا المفترتين الواقعتين بين ١٨٧٦ - ١٨٧٠ و ١٩٠١ - ٥٠٥ لموض الحمدل البلاغرا . اما في افكلترا ، فقد احصوا الفترتين الواقعتين بين ١٨٧٦ لفحايا التيفوئيد ، و ٥٥ و ٢٠٠ لفحايا التيفوئيد ، و ٢٥٠ و ٢٠٠ لفحايا المتدرن الرئوي و ٢٠٠ لوضايا التيفوئيد ، و ١٨٥ و ٢٠٠ لوضايا التيفوئيد ، و ١٨٥ و ٢٠٠ لوضايا التيفوئيد ، و ١٨٥ و ١٨٠ لوضايا التيفوئيد ، و ١٨٠ و ١٨٠ لوضايا التيفوئيد ، و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ لوضايا التيفوئيد ، و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠ و ١٨٠ و ١٨٠٠ و ١٨٠

فشيئاً من قوتها . ولم تطبق انكلترا منذ عام ١٨٢٣ ، وبلجيكا منذ عام ١٨٦٧ ، الا بصورة استثنائية عقوبة الاعدام ، بينها قررت البرتفال والبلاد الواطية ، وإيطاليا فيا بعد ، إلغاء هذه العقوبة . وفي قرنسا اخذوا يواجهون تعديل احكام القانون الجنائي بقصد التخفيف من هدة العقوبة تدريجيا منذ عام ١٨٣٧ ، وبعد أن راح كل من بكاريا وهوارد ، ومن بعدها بنتام ، بهاجة عقوبة النفي والابعاد ، اصبحت هذه العقوبة مثالا للجدل والنقاش الطويلين في البلاد ، فقد اتجهت الافكار الى الجزائر ثم وقع الاختيار على الغويان الى ان استقر في نهاية المطاف على كاليدونيا الجديدة . وهكذا احتفظوا بعقوبة اللومان او السجن المؤبد ليس فقط عند استبدال عقوبة الموت بالسجن المؤبد بيل ايضا لمن يحاد التعرض لحق التملك (ان شخصية جان فالجان عبرد شخصية خيالية او روائية او من يهدد امن الدولة وسلامتها) فالحكم على الضابط دريفوس كان له دوياً عظيماً ، وقد زالت بالتالي العقوبات الجسدية من نظام السجون ، بينها رأى فيها العمن تدبيراً تأديباً لا غبار عليه قط .

أما المرأة العائرة فقد بقي مصيرها مؤلماً للفاية . وبالرغم من الدعوة لادخالها احسدى دور الرعاية او ملجاً خاصاً فقد اخضمت لمراقبة شديدة محطة وغير ناجعة من قبل شرطة الأخسلاق التي لم تستطع أو لم ترد ان تضع حداً للنخاسة بين البيض ؟ كا ان اغلاق بيوت الدعارة في كل من برلين وفي انكلترا لم يضع حداً للبغاء . وقد تبدى للمراقبين بأن هسندا النشوز يجب رده الى البؤس اكثر منه الى حب الرذيلة ؟ والى تخلي المضل عن ضحيته بعد ان يكون غرر بها ؟ والى عمل القوادين او المستثمرين للنساء والى فرض الاقامة على بنات الهوى. وكان من تأثير الاعراف والمادات المعمول بها ان حشيراً ما أدت الى اقدام الفتاة التي تضع سفاحاً على قتل طفلها كا ان الده غير الشرعى ببقى منبوذاً في المجتمع .

وبدون أن تصبح مساوية للرجل في الحقوق اخذت رفيقته مع ذلك تتحرر شيئاً فشيئاً من هذه المقمدات التي تحط من شأنها. فباستثناء فرنسا حيث الطلاق اصبح مشروعاً ممنالك بعض البدان معظمها على البروتستانتية الباحث للمرأة قطع الرباط الزوجي كلما كانت الزوجة في وضع يجلب لها الذل وتتعرض فيه للمهانة . وخلافاً لبرودون الذي لم ير في المرأة غير ربة مسنزل او خليلة و فقد استطاعت المرأة على اقدار متفاوتة من النجاح ان تفتح أمامها أبواب الجسامعة والماهد الثانوية اكا فقتحت امامها ابواب المهن الحرة والوظائف العامة . فاذا ما أثارت حركة تحرير المرأة التي قامت في فرنسا بعض ألنساء امثال جورج صاند وفلورا تريستان وبولين رولان ومطالبة جون ستيوارت مل بالاقتراع العام لم تذهب سدى . فقد اعترفت كل من انكلسترا والسويد بهذا الحق ولو حصرته الاخيرة منها بالانتخابات البلاية . ومساهمة المرأة في تولي ادارة والسؤون العامة ، امر لا يثير اي اعتراض من قبل الذين لا يعترفون لها مجق المساواة المسدنية فحسب ، بل ايضاً يقرون بمقدرتها في كل ما يتعلق بشؤون التعلم والصحة .

فاسمع ما كان يصرح به الاب فنتوراه بهذا الصدد : « الحضارة هي قبل كل شيء احسارام المرأة » .

خطر السلام القائم على التسلح وضآلة مكاسب القالون الدولي

كان اميل جيرار دين يردد: « المدنية هي السلام » ثم يضيف سلح قائلا: « الضانة الوحيدة ضد القوي هي الوضع الذي تكون ديل عليه المدنية » . في هذا يكن الالتباس الخيف. فقيل عام ١٨٤٨

كان الحلف المقدس يتحكم بالدول الصغيرة أكثر عاكان يشركها في الحكم . ومع ذلك ، فاذا ما راح بعض المفكرين امثال جوزف دي مستر وفخت وهيفل يعتقدون بأن لا مندوحة عن الحرب ، فقد راح كثيرون غيرهم كالكويكرز واتباع بنتام ، والسان سيمونيين ، وتسلاميذ فوريبه ومازيني وبرودون مجبلون تأليف بعض تشكيلات فدرالية من شأنها ، في نظرهم ، ان تضع حداً للحروب . وراح المطالبون باطسلاق حرية التبادل التجاري ، في كل من انكلترا وفرنسا يدلون بدلائهم في هذا الاتجاه . فاجتمع في باريس ، عام ١٨٤٩ ، مؤتمر السلام دعي هوغو لترؤسه وأسندت نيابة الرئاسة فيه الى كوبدن ، وخرج المؤتمرون بالشعار التسالي : و الولايات المتحدة الاميركية ، ، وهذا الشعار نفسه كان شعار الجريدة التي اصدرتها عصبة السلام والحرية في اعقاب مؤتمر عقد في ما بعد ، في جنيف عام ١٨٦٧ .

وعادت الحروب الظهور من جديد ، ولم تلبث اوروبا ان عاشت في ظل سلام مسلح الحكم فيه ألمانيا البساركية ، اذ راح المنتصرون في حرب ١٨٧٠ يدعون لانفسهم انهم هماة النظام الجديد في اوروبا ، بينها الفتوحات التي حققوها ، والقوة المسكرية التي تمت لهم ، أولتهم السيطرة على اوروبا ، هذه السيطرة التي رفض البعض الاعتراف بها بينها خضع لها البعض الآخر ، وشجعت السباق الى التسلح ، وهو سباق كان يكلف اوروبا من خمسة الى عشرة مليارات فرنك كل سنة وكان يستدعي للخدمة العسكرية الفعلية من اربعة الى خمسة ملايين جندي بصورة مستمرة . وقد رضي بعضهم بهذا الوضع معترفين مع سبنسر بأن السلم المسلح هو شراخف وله بعض الحظ بالاستمرار والديومة ، مها بهظت تكاليفه ومهما بدا سريح الزوال ، في الظاهر .

وفكرة اوروبا واحدة موحدة 'مسيحية ملكية كا تمنوها في بدء الامر 'عاد لتبنيها دونما نجاح يذكر ' انصار الجمهورية واصحاب حرية الفكر الذين انضم اليهم ' فيها بعد المطالبون بحرية التبادل التبحاري . وفي اعقاب حرب ١٨٧٠ ' اخذت الحركة الاشتراكية تسدء والشعوب للوقوف في وجه مستثمريهم من اصحاب رؤرس الاموال ' وان يضعوا فوق كل اعتبسار ' تضامن العمال العام وتآزرهم ' بينما مضت الكنائس والنفوس المؤمنة تبتهسل وتضرع الى رب السلام ' لاشاعة السلام على الارض . وراح الفقهاء المتشرعون والدبلوماسيون يبسلطون للناس مفهوم الحق العام وبعملون على توطيده . وتألفت جمية تتولى ابراز هذا الحسق والتشريع له والتسييح حوله 'كان اعضاء المعهد الدولي القانون اخذوا بعقد مؤتمرات عامة سنة بعد سنة 'وراح مفكرون امثال لورير وبلونتشلى ومارتنز وفيور يطيلون النظر فيما عسى ان تكون عليسه مفكرون امثال لورير وبلونتشلى ومارتنز وفيور يطيلون النظر فيما عسى ان تكون عليسه

المنظمات الفدرالية او الكونفدرالية ، كا رفع ايزمبير بذلك تقريراً عاماً رفعه الى مؤتمر العلوم السياسية عند انعقاده في باريس عام ١٩٠٠ .

وقد أثارت فكرة التحكيم الدولي غاوف وظنون الدول التي كانت تخشى ان تفقدها هذه المنظمة شيئاً من حقوق السيادة والاستقلال . وعبثاً راح مؤتمر باريس المعقود عام ١٨٥٦ يوحي بالرجوع الى وساطة او تحكيم دولة صديقة ، قبل اللجوء الى السيف . وعبثاً ذهبت النتاذ . ب الطيبة التي أسفر عنها مؤتمر جنيف المعقود عام ١٨٧٢ للنظر في الاختلاف الناشب بين انكلنرا والولايات المتحدة الاميركية بخصوص مقاطعة ألاباما ، فأثبتت هذه القضية ان الحكم الصادر عن مجلس المدل الدولي يمكن تطبيقه . ولعل اهم القرارات التي صدرت عن محكمة العدل هي تلك القرارات التي صدرت عن محكمة العدل هي تلك القرارات التي رمت الى تحسين اوضاع الحروب والتخفيف من ظروفها وويلاتها ، من ذلك مثلا مؤتمر جنيف الذي عقد عام ١٨٦٤، والذي دول الخدمات التي توفرها مؤسسة إسعاف عرفت بالصليب الاجمر الدولي ، والخدمات الصحية في الجيش ، واخيراً التوصية التي اتخذها عرفت بالصليب الاجمر الدولي ، والخدمات الصحية في الجيش ، واخيراً التوصية التي اتخذها مؤسسة مؤدم بطرسبورغ عام ١٨٦٨ ، بعدم استخدام رصاص دمده .

نتائج حقيرة جداً بالنسبة لهذه المخاطر التي هددت المجتمع الاوروبي المنقسم الى دول وطنية تحافظ جهدها على ما يشبه ان يكون هدنة ، بينما تتهيأ بحرارة واندفاع وبدون انقطاع للمركة الفاصلة. هناك خطر كبير دائم يتهدد هذه المدنية التي تعمل باستمرار على تحسين وسائل التخريب والدمار ، كا تعنى من جهة اخرى ، بأسباب إطالة الحياة .

لالغصى لايخامسى

بين المحيط الأطلسي والبحرالأبيض المنوسط السدول الاوروسيسة

« قوام القومية لا يقوم عل المرق ولا عل اللغة »
 (فوستيل دي كولانج – الى بمسن – ١٨٧٠)

وجه بارز القسمات نافر التقاطع ، هكذا تبدو اوروبا في ديمومتها . فبالرغم من يسسر المواصلات وسهولتها ، والمكاسب التي حققها هسذا الطراز السوي ذو الطابع المدني والصناعي ، فقد عرفت غرائز الدول القومية فيها كيف تحافظ على سماتها وكيف تتحامى . وقد شهدت اوروبا عمليات تجمع جغرافي وتركيز قومي . قامت على اعتبارات قومية ، ان لم تفض الى فك اوصال الملكيات الدافربية والروسية ، ساعدت على التجمع الالمافي والإيطافي ؛ الا ان تقهقر تركيا وسيرها من سيء الى أسوأ فتح المجال امام و بلقنة ، ، شبه الجزيرة الواقمة الا ان تقهقر تركيا وسيرها من سيء الى أسوأ فتح المجال امام و بلقنة ، ، شبه الجزيرة الواقمة المنابية الروبي شرقي اوروبا . وقد برزت بعد هذا كله ، مفارقات عدة ، تمركزت في المنطقة الشمالية الفربية المتطور ، وفي المنطقة القلبية الشمالية ، والمنطقة الواقمة الى الجنوب والى الشرق ، المتميزة بضعف حيويتها وقلة نشاطها ؛ وفي قلب معظم هذه البلدان ، بين اوفرها انتاجاصناهيا ونشاطا بخاريا وبين هذه المناطق الريفية الطابع والمتأخرة في تطورها ، ومن هسذا التنوبع والنباين المظيم في التفاصيل والجزئيات ، تبرز هسده الفوارق الكبرى التي تطبع حكل عضو من اعضاء الامروبية .

بريطاليا المظمى الشديدة البأس في عام ١٨٣٨ دشنت الملكة الفتاة فكتوريا عهدها المديد الذي التهيد في عهد اللكة فيكتوريا التهيد الله في عهد الملكة فيكتوريا الفهد الفكتوري كأيمن عهد في التاريخ الانكليزي ، فيه كاد يتحقق

سلطان يريطانيا الاكبر ، وسناؤها الأغر.

ومها بلغ من نشاط انكانرا ، قبل عام ١٨٠٠ ، فلطالما ارتفع صوتها بالشكوى من قدلة السكان فيها بيغا تجارتها الواسعة واستثار مستعمراتها الشاسعة الواقعة عبر البحار امنت لها ارباحاً مالية ضخمة ، بيغا شكلت اطيانها الضخمة قاعدة متينة لجمتم عقداري وارستوقراطي . والحال فقد رأت انكلترا عدد سكانها يقفز بين ١٨٠١ – ١٩٠١ من ١٠ ملايين الى ٣٧ مليون نسمة . فاسمع هتاف كبلنغ المدوي : ‹ ، بني ، محلت كثيراً من البنين ولا يزال ثدياي ابعد من ان يجف حليبها ، و هذا هو الحصب الذي استشعره ملطوس بخوف ورعدة . فقد هاجر عدد كبير منهم ! اما الآخرون ؟ هذا النسغ الخصب فرض عليها في الوقت ذاته ، تحديا اكبر وجرأة اشد ، فاستقدمت بحراً ما لم تستطع ارض بريطانيا وما تحت الارض فيها توفيره وتأمينه لهذا الشمب المتزايد .

فالمصير الفاشم وضعها طوعاً أو قسراً امام حتمية الاختيار: بين التجسارة او الزوال من الوجرد. وامام هذه الحشود المحتشدة في المدن التي توفرت لها كل ما تطمع به وتريد: من اساطيل ورؤوس اموال وتقدم تقني منقطع النظير ، وامبراطورية استمارية ولا اكبر، عرفت بورجوازية مدينة منشستر ان تقبض بقوة على دفة السفينة وراحت تطلب الخلاص والازدهار عن طريسق التبادل التجارى الحر. وهكذا فقد ضمنت الفوز والاستقرار لفترة نصف قرن ، على الاقل .

وهكذا استمرت انكاترا الشاغة ؛ القديمة العهد ؛ في تطورها الصاعد نحو الذروة ؛ امــــام مرأى <mark>و</mark>مشهد اوروبا التي تهاز وتضطرب تحت الهزات الت<mark>ي تنهال</mark> عليها ؛ وقد قامت في<mark>ها ملكية</mark> شعبية رنظام تمثيلي مستقر ، وحكومة قادرة على تأمين الديمومة والاستمرار مم محافظتها على الحرية . وبفضل ما عرفت به من احترام عمين التقاليد المرعمة ٤ استمرت ادارة المنافع العامة في البلاد بيد فريق من سراة القوم أمَّن لهم مــاكانوا عليه من غنى وثراء ٬ الاختصاس واوقات الفراغ. وعرفوا بوصفهم من اصحاب الاقطان الضخمة كيف يتكيفون ؟ ما وسعتهم الحيلة ؛ مع تطور الاقتصاد الزراعي المعول به مند القديم ، وتعاونوا ، على اقدار متفاوتة ،مم كبار البورجوازبين الذن يوجهون اللمبة . وقد توفر للبلاد ؛ رأس مال حكم ؛ فطن ؛ وعرف كيف يناو<mark>ر ويحشد و</mark>يستثمر، ليجمل من بريطانيا العظمى، اكبر سوق تجاري في العالم <mark>واغنى ب</mark>لد دخلًا وطنياً في العالم. وهذا المجتمع البريطاني الثقيف ، الهذب الذي توفر له الى حد بميد ، السكن وتعشق اللمب في الهواء الطلق ، برى ان ثقته بالله وايمانه به لا حد لهما ، تزكمها وتبررها فلسفة إنتفاعية لا ينكرها إلا كل متعنت مكابر . وهذا الاشعاع العظيم الذي عرفته البسلاد في الشعر والقصة والنقد ، وهذه الاصالة التي عرف الفنان الانكليزي ان يكتسبها ، كل ذلك دل بوضوح، على ما 'ركز في الطبع الانكليزي ، من شعور <mark>صا</mark>دق بالواقم ، وما أوتى من قوة التحليــل ، وما طبع عليه من ميل فطري الى مباهج الطبيعة وما فيهما من فتنة وسحر ، كما ان إشراقة من الالهام تملت ثنايا الهندسة والموسيقي عند هذا الشعب . إما المفارقات المتضادة فتطالمك عند كل مأتى عين ومحط بصر . فالجفرافية منها تتمثل على أصحها في هذه البقاع السوداء وهذا الريف الخضل المورق ، في هذه المدن التي غشاهـــــا السواد وجلببها السخام والتي كبرت وتضخمت بسرعة فائقة ٬ وفي هذه المدن الغمافية التي شابت وهي بعد فتاة في شرخ شبابها ما الاجتاعية من هذه المفارقات فامثلها هذه الفروق الصادعة الصارخة في تفاوت الثروة والغنى نما لا يتوفر بمضه في اي بلد من بلدان اوروبا الغربية ٤ مم العلم اري الانسان لا يتمتع في اي بلد كان ، عا يتمتع به الانسان البريطاني من ضانات عدلية وقضائية . المجتمع البورجوازي ؟ هي على ما يبدو لنا ؟ الحربة الكبرى ؛ لانها قثل ؟ على ما يظهر ؟ استقلال الفرد الناجز ، ومنها ايضاً هذه الفكرة : « اية حرية ? وحرية كن ؟ هي هذه الحرية التي في وس<mark>مها سحق ا</mark>لعامل ? » . وهذا الوضع هو الذي اوحي لصاحبه عنوان كتابه: « حول انحطاط انكلترا، الذي اخذ فيه مؤلفه لو درو – رولن ان يتنبأ بسقوط بلد تقوده أقلية من هذا الطراز. ومع ذلك أن أيلاء الممال حتى الاقتراع المام ، هؤلاء العمال الذين ينعمون ببعض اليسر ، والأخذ بسياسة نقابية حكيمة ، فطنة ، يتكفلان وحدهما بكبح شعب لم تستهوه يوما الافكار الثوروية . صحيح ان الازدهار الذي حققته سياسة التبادل التجاري الحر ٬ لعب دوراً بارزاً في العزوف عن مسالك الوثيقية . فقد عرف كويدن وييل أن يؤمنا السلام الاجتاعي لجيل كامل ٤ عبر الازمات الخانقة التي ميزت الحقبة الواقعة بين <u>١٨٧٣ – ١٨٩٥ ؛ الخوف في النفوس . فالي</u> القل<mark>ق الذي استحوذ علىالريف يجبان نضيف هنا الصعوبات</mark>التي اعترضتالصناعة البر<mark>يطانية ؛ في</mark> كفا<mark>ح</mark>ها المربر ؛ احتفاظاً منها بزبائنها. ففي وجه ط<mark>بقة من الع</mark>هال متصلبة في مطالبها <mark>؛ وفي وجه</mark> المنافسة الاجنبية المنبفة ⁶كان لا بد من التريث والتخفيف من <mark>س</mark>رعة السير امام إمارات من عسر التنفس ظهرت على البلاد . والقضية الارلندية الحادة اقتضت حاولًا سريعة. وهذه الامبراطورية التي رحمت اطرافها واتسمت جنماتها ، أخذت تتطور كما راحت ادارتهــــا تمحث عن صفة استمهارية جديدة في وقت اظلم الأفق واكفهر.

في قلب الملكة المتحدة التي نودي بهسا عام ١٨٠١ ، وقعت الامة النام الايرلندية فريسة امة اخرى ظامت لها واخذتها بالمنف والشدة . وبما انها بلد زراعي يقوم افتصاده على الأرض ، فقد طلبت ان تنعم بارضها وارزاقها ، وبوصفها بلداً كاثوليكياً ، فقد راحت تطالب بتحررها الدبني ، وبما انها ضمت الى بريطانيسا العظمى قسراً وكرها منها فقد راحت تطالب بالفاء قانون الاتحاد هذا . فجل ما حققه اوكنيل هو الحصول على المساواة في الحقوق للكاثوليك . الا ان ايرلندا الفتاة هذه ، الرومنطيقية تجساوزته بعيداً في مطالبتها ، الشديدة بتشكيل دولة ايرلندية مستقلة من ضمنها الاقلية البروتستانتية في مقاطمة الاولستر ، وهو مصر رفضته الاقلية . وبعد لأى قصر وقعت الجائحة الغذائية عسام ١٨٤٧ ،

وعقبتُها حركة نزوح عارمة جرفت بسكان الجزيرة خارج البلاد والهيساج الذي سببه حزب الفانمان السيامي .

اخذت الجزيرة بالانحطاط والتدمور. فقد هبط سكانها من ٨ ملايين الى خسة فهي تماني كثيراً من الأمية وتلسكم في البؤس والشقاء ، وهو وضع حرص كبار الملاكين على إبقائها فيه ، أوتي شعب هذه الجزيرة خيالاً مجنحا وذلاقة في اللسان وعرف باستمساكه بدينه وأرضه ، وبغنى أدبه الشعبي الغاليكي ، وقد تخلت طوعاً واختياراً عن لفتها الام لتقتبس لغة المغتصب ، فانزوت الروح الكاتبة في هذه المقاطعات المستوحشة في الغرب التي قسا عليها القدر الغاشم .

ويوادر النهضة يجب ردها اصلا الى هذا التحول الذي طرأ على الارض التي تزرع حبوب فحولت الى اراض للمراعي والكلا. وقد انتزعت من ايدي الوف الفلاحين الاراضي التي كانت في حيازتهم غير ان القوانين الزراعية التي اخذ غلادستون المبادرة الى وضعها (بعد ان رضي من قبل بفضل الكنيسة الانكليكانية عن الدولة ، وبالغاء العشر المترتب على الكاثوليك دفعيه للكنيسة الانكليكانية هذه) بجعل من المتعهد الزراعي شبه شريك للمالك ومن جهة اخرى ، فالجهود التي بدلها بارنيل لحل البرلمان ، في لندن على قرار فصل في امر سياسة الوحدة ، والمطاقبة و بوطن قومي ، ادخلت الرعب في قلوب البريطانيين ، فسقط المشروع في الجلس ، عام ١٨٩٥ . واذا كانت ابرلندا عاجزة بعد عن تحقيق استقلالها فقد صرفت جهودها لتحسين تربية الملشية على ارضها وطورت صناعتها وسهلت اسباب التعليم لمن يرغب فيها من ابنائها ، وراحت تنعي المروح والاعراف الكلتية في ابنائها ورفعت من مستوى الحياة فيهسا ، وايقظت فيهم الشعود بقواها الروحية . وهكذا ، فساعة الحرية لم تكن لتناخر فتدق منذرة بالتحرر والاستقلال .

امام هذا التطور العظم الذي حقق البريطانيون عبدو هزيلا وحريسا الازدمار بم سكندينانيا الشفقة بالنسبة لمسير هسفه المنطقة المجاورة لبريطانيا في الشهال . في هذه المنطقة المرتفعة من خط العرض ذات التربة المسكة المفتقرة الفحم ، وصاحبة الدور الثانوي المتواضع على المسرح الاوروبي منسف القرن الثامن عشر . فالداغارك والسويد والنرويج التي تتقاسم الجزر واشباه الجزر المتناثرة بين الحيط الاطلسي والبحر البلطيقي ، عجزت تماسا عن ان تبعث الى الوجود هذا الاتحاد القديم الذي رأى النور في كامار . فشه الجزيرة السكنديثافية الكبيرة هذه ، تم توحيدها موقتاً بالرغم من النرويج ، ولصالح السويد . وهذه المملكة السويدية النرويجية لا يتعدى سكانها معروه وموم نسمة ومليون داغاركي . فمعدل الوقيات فيها عبال جداً وكذلك المجرة لاشتداد الفقر فيها ، الامر الذي حمل اكثر من ٨ ملايين سكندينافياً على النزوم تباعاً عن بلادهم الى اميركا ، خلال القرن التاسم عشر .

ليس في وسعنا هنا التبسط طويلا حول الاعجوبة السكندينافية . فيضل عهد من السلام استتب طويلا (اذ ان الحرب الدانمار كية الجرمانية عام ١٨٦٤ ليست سوى مرحدة قصيرة

اضطرب فيها الامن) ، بفضل ما تفتحت عنه هذه البلاد من نشاط جم وبعد نظر حكيم . فقد حقت شعوب هذه البلاد درجة من اليسر والازدهار حسدتها عليها شعوب الجزر الواقعة الى الجنوب من البحر الابيض المتوسط . فنمر سريعاً بظاهرة تكسائر السكان في هذه البلاد . فالمنانية ملايين التي ضعتها عسام ١٩٥٠ والد ١١ مليون التي بلغتها عام ١٩٠٠ ، بقيت ارقاماً متواضعة . وهذه الزيادة الملحوظة في السكان يمكن ردها بالاكثر الى هبوط قوي في معسدل الوفعات منها الى ارتفاع نسبة المواليد .

وبخلاف البريطانين لم ينزح السكندينافيون عن مواطنهم في الريف اسوة منهم بالارلنديين. فلم يزدد عدد السكان في كل من كوبنهاغن وستوكهولم على ٥٠٠ الف نسمة ، عام ١٨٩٠ . أما كرستيانيا(اوسلو اليوم)فلم يزد عدد سكانها على ٠٠٠و١٥٠٠ ولعل ابرز حادث <mark>ميز تاريخ هذه</mark> البلاد الحديث ، فهو الثورة الربغية . صحيح أن جبال الترويج الشرقية اقتصر نشاط سكانها على مقايضة محاصيلهم الزراعية. فالاسر القديمة فيها لا تزال تتمتع بالسيطرة على مقاطعات غودبرنسدال واوستردال . فالمنازل هناك معتمة ، والبياضات او الملابس الداخلية نادرة والجرب متفش ، الا إن زراعة البطاطا اتسمت وعمت اطراف البلاد ، كما اخذ الناس يعولون في غذائهم على السمك الملح. وقد جرت في الوقت ذاته ؟ حركة تجميع بين القطع الزراعية الصفيرة بينما انصرفت حركة عارمة من الاصلاح الزراعي الى وزيسم الاملاك الضخمة فنشطت في البلاد طبقة من الفلاحين انصرفت لاستغلال مزارعها المشتتة التي كان لها من الانساع مع ذلك ، ما جعل منها وحسدة إَسْتَمْهَار مستقة اخذت تزدهر ، عولة في تطورها إلى اراض زراعية أو صالحة التربية الماشية ، الكثبان الرملية والبطائح التي تكونت بفعل الانهر والجليد . وحرية التبادل التجاري وجهت اقتصاد البلاد نحو تنفيق المحاصيل والبيسع ، وفتحت امام عاصيلها من الحنطة واللعوم والبيض والزبدة الاسواق البريطانية ، كما شجعت تصدير خشب الشوح . واذ كانت السويد عساجزة عن منافسة الدول الكبرى الصناعية ، كا كان شأنها في السابق ، فقد اخذت ليس في بيم ما لدي-من فلز الحديد العالي القيمة فحسب 4 بل ايضا اخذت في صنع ادوات وآليات ثقنية متطوزة 1 از دادت نشاطاً فيها بعد بفضل الشلات ومساقط المياه وكلها قوات محركة تذكرنا من قريب بهذه الطاقات الضخمة التي تتوفر لكندا.

والدغارك الواقع عند مداخسل البلطيق والذي ضعف مركزه ووهن شأنه راح يقوي مو قاعدته الزراعية. فقد ساعدت حركة التطور التي اخذ باطرافها على التخفيف من حوة معارضة التاج وإلانتها ، كا خففت مسن معارضة النبلاء والاكليروس اللوثري . وبعد أن فقد فوقية شلسويغ هولشتاين اضطر الملك كريستيان التاسع للرضوخ لمطالب الاحرار في الوقت الذي دعم فيه سلطته ونفوده بهذه المصاهرات التي عقدها مع العائلات الملكية . الاخرى وقامت في البلاد، حركة ادبية وفنية وعلية حملت بعيد شهرة عاصمة السويد الجيلة .

وعلىغرار السويد فقد بقيت بعيدة عن لعب اي دور بارز.ولما كانهم الدغاركيين الاكبرصوت

مكانتهم رهبتهم الدغارك ، فقد كان بامكان ابناء وحفدة برنادوت ان يتولوا ادارة الانحساد السكندينافي . ولكن الحركة السكندينافية التي صاغتها الاوساط العلمية في البلاد ، جاءت على شاكلة الحركة الجرمانية والسلافية .كان اوسكار الاول مختصاً بالقضايا الجنائية ، فقد صرف همه الى مد البلاد بشبكة من الخطوط الحديدية وباصلاح قوانين البلاد ومكافحة المسكرات وفي عهد الملك شارل الخامس عشر ، خلعت السويد طابعها الارستوقراطي لترتدي طابعاً متحرواً تقدمياً فأنشأ في البلاد بجلساً نيابياً حديثاً ، حل عل ، طبقات ، النظام القديم ، وعارض بشدة الاعتادات الحربية ، وتجملت ستوكهوام وخيم على هسذه السويد النشيطة التي اطلعت اركسون ونوبل ، جو من الاحترام والتقدير العالمين. ان ادخال الخط الحديدي على البلاد والتلفراف لم يقتل فيهم ذوق Stamming . الذي عرف ان يؤمن الانسجام بين الكائنات والاشياء . واقسر الملك اوسكار الثاني حق الاقتراع العام ، كاكان عليه ان يواجه بغطنة ، الحركة القومية التي هزت النرويسج .

اما النرويج فلم تكن تشعر قوياً بهذه الروابط التي شدتها للعرش في السويد ، وذلك لما بين البلدين من تباين في الامزجة وفي المصالح . والمجتمع النرويجي الديموقر اطي القاعدة تألف اصلاً من البلدين من تباين في الامزجة وفي المصالح . والمجتمع النبحر ، فابعدوا عنهم المواطنين الدنماركين كا قضوا على كل نفوذ بينهم لطبقة النبلاء ، عيونهم وولاؤهم هي باتجاه بجلسهم التمثيلي . شواطؤهم المفتوحة بطولهما على البحر ، واستثمارهم لمطارح السمك الغزيرة الواقعة على مقربة منهم ، ونشاطهم كسياسرة نقل بحري ، كل ذلك مكنهم من تفادي الفقر والموز . فقد كان لديهم عام ١٩٠٠ اسطول تجاري حل في المرتبة الرابعة بين اساطيل العالم التجارية الكبرى ، وبر الاسطول الفرنسي من هذه الناحية . وبحق تفاخرت الامة النرويجية بنوابغ رجالها المشهورين امثال غريج الموسيقي وإبسن في الادب ونانسن في كشف القطب . فاشرأبت نفسها للاستقلال . وحققته ورنا صعوبة او هدر دم ، عام ١٩٠٥ ، وأولت العرش اميراً دانماركيا ، المخذ له اسم هاكون السابع حكم بمساعدة مجلس تمثيلي .

والنخبة الفكرية في السويد التي كانت دومياً تنزع الفكر والادب الفرنسيين ، لم تلبث ان وقمت تحت تأثير المانيا القوي واقامت معها علائق وطيدة ، مع بقاء بريطانيا العظمي مسيطرة من جهة العلاقات الاقتصادية .

بعث النشاط في مولندا وبلجيكا الجفرافي الذي تألف من البلاد الواطمة ؛ اذ ان مروز مربط أنما

اله ظمى من جهة وركود النشاط في منطقة الرين من جهة اخرى وألحق الحسف بهذة المقاطمات المتحدة و وبلجيكا التي وقعت تباعا تحت حكم النمسا ثم فرنسا ، لم تحسن النهوض بمرافقها الزراعية والصناعية فحسب بل لم تأت شيئا لتشجيع وتنشيط الحركة التجارية في مرفأ انفرس.

ولقد شاهدنا رسيسا من النشاط خسلال عهد اورانج - ناسو وملكها على البلاد . الا ان الشراكة بين الشعور بأنهم راحوا ضعية الشراكة بين الشعور بأنهم راحوا ضعية مؤامرة سياسية . وقد تركت هذه العلائق المسومة شيئا من اثرها الوخيم عالقا في الاذهان طبع بالعنف الحركات التي ادت الى شطرها شطرين متعيزين مستقلين .

الا ان وقوع هاتين المملكتين في صميم اكثير بلدان أوروبا اكتظاظا بالسكان ؛ أذ زاد عدد سكان بلجيكا على 7 ملايين نسمة بحيث بلغ معدل الكثافة ٢٠٠ شيخص في الكيلومتر المربع الواحد ، كما ان سكان هولندا زاد على خمسة ملايين بمعدل ١٥٠ نسمة للكيلومتر المربع الواحد، مكنها من الافادة الىاقصى حد من مركزها الممتاز ولوقوعها بين بريطانيا العظمي وفرنسا والمانيا تناولها مقادير ضخمة من الفحم ، مما يبعث الهمم والنشاط في هذه الحبوية التي جماشت في صدر هذه العرق الذي جاءت ازمة ١٨٤٧ - ١٨٥٤ امتحانا جديداً له . أن التحسينات ادخلت على التقنيات الزراعية ﴾ واستخلاص اراض جديدة من البحر ومن الرمول ، وهذ، الاهمال الضخمة التي اقتضاها إستصلاح المسالك والاقنية النهرية ، والمرافىء وأنشاء شبكة محكمة من الخطوط الحديدية والاقبال على التصنيح الآلي ، واعتاد سياسة التبادل التجاري الحــــر والمشاركة في الحركة الاستممارية الضخمة واستثبار رؤوس الاموال المتوفرة في كثير من بلدان العالم ؛ كل هذه العوامل كانت اساسًا لهذه النهضة، المادية التي ألمت <mark>بمرافق البلا</mark>د المختلفة . فالوسط البشري يحمل الكثي<mark>ر م</mark>ن سمات البيئة البشرية في الارخبيل الانكليزي الج<mark>اور ؟ وبما توفر له من اخلاقية تميزت</mark> بالفطنة والدرايةوالارادة الصادقةوالاقبال على ما يؤمن الراحة مع العلم أن هذه الشعوب أصبحت أقل قدرة على الخلق والابداع في المسور الفكر والفن مسيها عرف عنها في الماضي ، فانقطمت بكليتها الى عمل دؤوب اصبور وتمتعت بسلم طويل بفضل ما نعمت به من نعمة الحياد السياسي ان لم يكن قانوناً فبالفعل.

والتطور العظيم الذي اخذت هاتان الدولتان باطرافه وجاء متوازيا بعيداً عن كالضطرابات مقلقة موجها لها وجهة النظام التمثيلي ، شدها شداً قرباً الى بريطانيا العظمى. من جهة عرش تنارب عليه تارة آل اورانج وطوراً الى ساكس كوبورج ، تشبع عميقاً من هذه الامتيازات التي تقت له ، غير انه اضطر لمصانعة التمثيل الوطني والتواري امامه ؛ وبورجوازية رشيدة ، حكيمة حريصة عرفت ان تحتفظ طويسلا بنظام انتخابي اساسه النسبة الضرائبية ، تنكرت للحركة الاشتراكية واخذت باسباب سياسية ابوية متحفظة ؛ هنا في بلجيكا شعب كاثوليكي نشيط متحمس ، وهناك في البلاد الواطبة ، كنيسة كلفينية ، متحفظة ، جفول ، يتعاونان في مناهضة الحركة العلمانية التي جاشت في صدر احرار الفكر من البورجوازيين ، وقيد عتب عهد التحرر الترضيات والتنازلات المتبادلة بين الاحزاب الدينية التي زادت نشاطاً وحيوية في توسيع قاعدة الاقتراع العام . وبعد ان انصرفت الطبقة العمالية فيها على تنظيم نفسها واكثرت من انشاء مسا

ترغب فيه من نقابات وتماونيات واستجابت لنداء التشكيلات السياسية التي تتلام معها، راحت تناهض الامتيازات التي يتمتع بها اصحاب الاملاك العريضة .

رمن مشاكل بلجيكا المقدة الخاصة بها ؛ انقسام الشعب فيها الى شطرين متباينين لفة وحفسارة : شطر فرنسي الطابع والميزة اخذ بالتوسع منذعام ١٨٣٠ ، وشطر فلمنكي راح يعرض بحياس مطالبه . أفيبدو فريبا ان تفكر بروكسل ، مثلا ، بانتهاج سياسة اقليمية تذكرنا بالسياسة الحلية الاخرى التي سارت عليها سويسرا .

هل بامكان الجغرافيا ان تفسر وان تعلل لنا كيف قامت في قلب الدير قراطية الجبلية في سويسرا جبال الآلب ؛ دولة مستقلة ، مسع انه لم يسبق ان حدث شيء عائل لهذا ؛ لا في شرقي اوروبا ولا في غربيها ؟ استطاعت اقاليم السويسري ان تستقطب حولها الاقوام التي تمور في جبال الآلب وجبال الجورا ؛ فألفت من مجموعها حمى او ملجاً كان خيراً من هذه الوديان المعزولة عند اطرافها ، معواناً لها لتقي نفسها من تعديات الدول الجاورة لها .

وبعد ان تمرضت لفزو عابر طارى، من قبل الفرنسيين ، استطاعت سويسرا بعد ان بعثتها مماهدة فيينا الى الوجود ثانية وسيجت عليها بالحياد، عرفت كيف تتفادى الحروب التي استهدفت لها واستطاعت رفع مستوى العيش بين سكانها الآخذ عددهم بالنمو والتكاو.

فمن مليون نسمة عام ١٨٠٠ ارتفع عدده عام ١٩٠٠ الى اكثر من ثلاثة ملايين. وبلغ من شدة كنافة السكان فيها ان قام ١٨٠ شخصا في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة جد مرتفعة افا ما اخذنا بعين الاعتبار ان ثلثي عدد السكان بتمر كزون اليوم في مساحة من الارهى مرتفة على الاجال . وهذا العدد الضخم من السكان الذي طبع البلاد من عهد بعيد ، كان معينا لا ينضب من المهاجرين والبد العاملة في الصناعة . صحيح ان المدينة فيها جاءت صغيرة على نسبة الناحية او القاطعة ، مع ان سكان كل من زوريخ وبال في سنة ١٩٠٠ تجاوز ١٩٠٠ في كل منها ، الا ان الخرفة المسطرة على الاسرة فرض قيامها في المناطق الجبلية ، كما ان النشاط الريفي تأثر بعيداً ال المرفة المسطرة على الاسرة فرض قيامها في المناطق الجبلية ، كما ان النشاط الريفي تأثر بعيداً الماشة فيها بين ١٩٠٠ - ١٩٠١ ، وعرفت ان تحكسب لهما شهرة عالمية بأجبانها الدسمة وسكاكرها من الشوكولا . واذ كانت تفتقر اصلا الفحم الحجري فقد اتجبت الصناعة فيها الى الصنوعات الدقيقة ، فاستمرت فيها صناعة النسيج القديمة على از دهارها المعروف ، بينا خلقت الصنوعات الدقيقة ، فاستمرت فيها صناعة النسيج القديمة على از دهارها المعروف ، بينا خلقت الصنوعات المنانكية الدقيقة ، عند همذا الشعب الذي توفرت له تربية مهنية قوية ومراس الصنوعات المنانكية الموروبية للواصلات الجديدية فأوجدت لها مركزاً منها الم خطوطها الحديدية ، الشبكة الاوروبية للواصلات الحديدية فأوجدت لها مركزاً في الجمال السباحي ، ولم تلبث ان افاقت على عهد من الفحم الابيض بعد ان عرفت كيف

تسخر ما لديها من مساقط المياء والشلالات لتوليد الطاقة الكهربائية . فراحت البسلاد تستثمر ثرواتها الطائلة في اعمال التأمين وفي مشاريع انشائية كبرى في الخارج .

وهكذا ازدادت شراكة المصالح وثوقاً وترابطاً وأدت بالتسمالي الى تقوية الشعور القومي والرغبة المشادكة في الميش مما في رفقة . وهذا النكتل الذي تألف من هيئات ارستوقراطية وتعاونية من اعيان المدينة ومن مجتمعات <mark>ربغية ٬ ه</mark>و الاتحاد الفدرالي السويسري ٬ تبدّى لنا ٬ عام ١٨١٥ وكأنه حلف بسيط ضم الاقالم بعضها الى بعض، فالتمسك الشديد بأعراف الجدود، ابقى حماً قوياً ؛ نفوذ الأسر القديمة . ومع ذلك فمو كب الديرقراطية يسير دومـــا الى الأمام ؛ بصدق وعزم وعزيمة 6 بشيء ملحوظ في التحفظ والاعتدال .ولذا فلا عجب أن تتضع حركة التطور هذه ضد الأقلبات والجتمعات الريفية صاحبة الاطبان ؛ ضد د اسباد ، برن ، وضعه المقاطمات الكاثوليكية في الوسط ، بدافع من بعض الفئات الرأسمالية ولا سيا البروتستانتية ، في كل من زوريخ ، وبال ، وجنيف ولوزان . إلا ان هزيمة Sonderbund جاءت تبشر بدنو أجل. Staatenbund وبقرب ظهور Bundestaat الذي جاء اكثر اخذاً بالنظام الرئاسي الاميركي منه بالنظام الفرنسي، واستمر الصراع قاعًا بين السلطة الفدرالية والمقاطعات . وفي اعقاب حرب القوميات أدى تعديل الدستور ، عام ١٨٧٤ الى تقوية الطابع الاتحاديوالعلماني للكونفدراسيونالذي تولى توجيهها الحزب الراديكالي الديوقراطي البورجوازي المحب<mark>د لتطوير الخدمات العامة والتوسم فيها ؛ والمعادي لكل تشريع اشتراكي الطابــــــع او</mark> النزعة ٬ وتحافظ كل مقاطعة بمنتهى الغيرة على حقوقها بتنظيم العمل وتنظيم التعليم فيها كأترغ<mark>ب</mark> وترى ومساهمة الشعب بالحكم مباشرة تشتد باللجوء إلى عملية الاستفتاء العام في كل مرة بتوجب فيها إقرار او التقدم عشروع قانون هام .

يتمتع السويسري على المعوم ، بأخلاق رضية. فقد اشتهر بثقافة فنية وبالمنابة بالصحة ، لا يبالي كثيراً بالدراسات الادبية وبالفنون. وهو رصين ، مرح ، عملي التفكير ، ذو طبيعة فياضة.

الديوقراطية الفرنسية لم يتفير وجه فرنسا جغرافيا . هنالك حادث توسع من جهة الألب ، وقع بين النظام والحركة عام ١٨٦٦ ، وعملية اقتطاع من جهة الرين بعد ذلك بعشر سنين . امسا التوسع والامتداد فيقع خارج فرنسا ، وعدد السكان فيهسا يبقى كا هو تقريباً ويؤمن للبلاد كثافة متوسطة ، وهذه ظاهرة تفسر لنا أشياء كثيرة عن الحياة الفرنسية . هل اشتط بريفو – برادول الرأي وذهب بعيداً في تشاؤمه عندما راح يؤكد، ونحن الفرنسين، سمكون لنا من الوزن بالنسبة للعالم الانكاوسكسوني ـ مع الاحتفاظ بكل نسبة عما كان منه لانينا

⁽١) انتقال البلاد من نظام الكونفدراسيون الى نظام الفدراسيون ، مع بقاء الاصلاحساريا على الشفاء .

قديماً بالنسبة للعالم الروماني ، . فالمقارنة بين فرنسا والمانيا ليست قسط في مصلحة الأولى . فلم يكن عدد الالمان ؛ عام ١٨٩٠ ، ليزيد كثيراً عدد الفرنسيين ، بينا بلغ عدد الالمان ؛ عام ١٨٩٠ خسين مليوناً (اي ما نسبته ٩١ نسمة الكيلومتر المربع الواحد) . بينا كان عدد الفرنسين ، في السنة ذاتها ٣٨ مليوناً (اي ٧٥ للكيلومتر المربع الواحد) . ففرنسا هي الدولة الكبرى في اوروبا التي فتحت ابرابها على مصراعيها امام الهجرة .

وقد ألفت قواعد شعبية ريفية جذور هذه الأمة التي لم تشعر بأي ضغط ديموغراني . ومسع ان المدن الفرنسية تضخمت واتسمت ، فأن معظم الفرنسيين فضاوا السكني في مــــدن صغيرة نسبها قامت في محيط ريفي ، واذا ما احتلت باريس محلاً لا يضاريها فيه أحد ، فهذا مرده أصلا الى أن المركزية الادارية والأدبية تضخمت في الوقت الذي تضخمت فيه مراكز النشاطات ونلاحظ حركة جذب واستقطاب باتجاه المراكز الصناعية الانكاو جرمانية دون ان يطرأ أي ضعف أو وكمن على الروابط الوثيقة التي تشدما الى البحر الابيض المتوسط. وبدون ان نلاحظ أي قطيعة في التقاليد الريفية الفرنسية نرى تحولا أو بالاحرى إنصرافا بطيئًا عن بعض الاقاليم، يفرغها من سكانها ، لا سيها في الوسط وفي الجنوب الغربي . فالمزارع الذي هو في الغالب صاحب الارض أو مستأجر لها ؛ لا نتوفر له الادرات والعدة الحرفية اللارمة لارضه ؛ كما انه لا يستأنس كثيراً لحركات التجدد ويعتول كثيراً على النائب م<mark>مثله في المجل</mark>س النيابي ليتولى الدفاع عـــــن مصالحه ، ولذا نراه يستمسك بشدة بالمظام التمثيلي ، ويرجو من الطبيعة الحليمة التي يعيش في ظلها ومن نظام تمثيلي يرضى عنه ،بتوفير غد له يطمئن اليهويأتلف مع اطماعه المحدودة. وهذا العامل الذي يعمل في الصناعة الضخمة أو في المنجم؛ في هذه المناطق الصناعية الرئيسية ، يؤلف طبقة بروليتارية أخذت تمي مصلحتها الطبقية بينما عرف ان يحافظ على هذه الذهنيسة الفردية التي هي من مديزات العرق الفرنسي . واكثر من هؤلاء ٤ الصناعيون واصحاب الحسرف الذين يعماون لحسابهم الخاص أو لحساب هـذه البيونات التجارية الكبرى ، وهم متشبعون بفكرة الاستقلال أو نسّزاعون الى الاضرابات . فالحرف الحرة أو العامة التي يختلف الناس رأياً فيهما والتي تتفاوت بينها الاجور ، تستقطب نسبة كبيرة من المواطنين في بلد شقتت فيه البورجوازية طريقها الى الوظيفة ، بينما ظل صغار القوم فيها يجاهدون في سبيل البروز والظهور والتقدم . اما هؤلاء الاعيان من اصحاب الاطيان والعقارات الضخمة ، أو من رجال الاعمال أو من رجال الصناعة ، فحبهم للنظام ، والحذر الذي يقابلون به الافكار والنظريات الجديدة ، يمازجه كره لا 'يغلب لهذه التدابير و لهذه الاجراءات المالية التي من شأنها أن نمس دخلهــم ، كما يمقتون إ تدخل النقابة في تحديد عقود العمل. فبالرغم من اختلافاتهم على الصعيد الفكري وبمنأى مــن كل عقيدة ، فهم لا يرغبون بوساطة الكنيسة الكاثوليكية وبمساعدتهــا ، الا بالقدر الذي ترمي، إ ممه للدفاع عن المجتمع . فلا عجب أن تتأثر الحياة العامة عميقاً بمثل هذا الوضع .

هنالك من يدعي ان فرنسا ، في ظل النظام التمثيلي ، كانت دوماً تتردد بين النظام والحركة ، هنان النزعتان اللتان تتقاسمانها اجتاعياً وجغرافياً بحيث ان أقل بادرة تأرجح تبدو على الهزاز الانتخابي تكفي لترجيح هذه الكفة او تلك . والواقع ان جهرة الفرنسيين لا تنزع الى « ردة فعل ، ، تؤمن الغلبة للعناصر الحافظة وسلطة البوليس ، كا انها لا تميسل الى التعالم والنظريات الجريئة التي تقول بالتجدد الاجتاعي . يجب على اية خطة عامة او اي برنامج عمل عام ألا يحدث الجريئة التي تقيراً كبيراً في الوضع السائد . هي ذهنية صفار البورجوازيين وصفار الملاكين التي تسيطر حتى على طبقة البروليتاريا .

بعد الهلع العام الذي استحود على الناس ، سنة ١٨٤٨ ، جاء الحكم الامبراطوري تدبيراً اعتباطياً سارت معه البلاد من سيء إلى أسواً ؛ أذ راح يعرض النظام للاعبان والفلاحين ، والعمل لمن يرغب فيه، ويحاول التسوية بين م<mark>بادي،</mark> عام ١٧٨٩ والسلطة. ولكن ما ان سنحت الظروف المؤاتية وتوفرت الوسائل ، حتى راح اعيان البلاد يعملون على اقامة حكومة تقدمية متحررة ، فجاءت كارثة عام ١٨٧٠ وسهلت لهم الأمر. وفي ا<mark>عقاب الكومون ، كانت المطالبة بالعودة الى</mark> النظام البرلماني مطلب الأعيان من نصراء الملكية والاعيسان من نصراء الجمهورية . إلا أن الفشل الذي اصيب به النظام الادبي ، أدى الى طلوع جمهورية معادية لروح الدين ولرجاله ، قنعت من الأمر بدستور عام ١٨٧٥ ، الذي جاء نتيجة اتفاق تراض بين النزعتين . وموجز القول ان الجهورية الثالثة جاءت وليدة ارادة أكثرية الشعب الفرنسي وكمرساة انقاذ او خلاص طالما تمنوا الوصول اليه منذ عسمه بعيد اربما منذ عام ١٧٨٩ وهو نظام سيكتب له البقاء لأن باستطاعته ان يفرض احترام النظام القائم ، وأن يمد السبيل أمام بعض اصلاحات ، بأقل قدر من حكم الجمهورية ، كما يشير الى ذلك ، اناتول فرانس في كتابه : «التاريخ المماصر». هي اعجز من ان تحقق ﴿ المشروعات الكبرى ﴾ ؛ وقد تكشفت عن كونها انتهازية ؛ 'فرَصية ؛ تقدمية ممتدلة ؛ وقد خففت من عدائها لرجال الدين ، وتقوم « بتهدئة » ، وتسلك في سياستها الخارحية ، وفقاً لتقاليدها الدباوماسية ، وتتحالف مع الامبراطورية الروسية وتكشف عن روحها الاستمارية او الاستثارية؛ كما أنها خففت من الهزات السياسية تحت ستار عدم الاستقرار الوزاري في الحكم، وتغلبت بقدرة فاثقة ؛ على عدة ازمات ؛ وراعت بفنها الناعم ؛ الاعراف المرسومة ؛ ويشتد منها السا<mark>عد على مرو</mark>ر الزمن والمراس الموصول . وطسمتها الديوقراطية المملنة لا <mark>تعيشها ق</mark>ط ⁴ للسبب نفسه ، من وضع منهاج اشتراكي ، حتى ولا راديكالي .وقد عرّ فت فترات كمن الخطسر يتطور بالقدر الذي تم لالمانيا وسويسرا . اما المطبخ الفرنسي فهو اطيب المطابخ والذها، والمناخ بعد هذا كله لطمف ، حلم .

وقد عرف الفرنسي٬ باقل سرعة من غيره في مجال انتاج المواد الاستهلاكية ، كيف محافظ على

تفوقه الادبي والفني بسرعة الخساطى عنده ،وذوقه الرفيه وقدرته على التحليل والنقد ، كل ذلك جمله يبرز في مجال الفلسفة التجريدية والنقد التحليلي . ومسم انه أقل إقبالا من جيرانه في الشمال على الاعمال الكبرى ، فهو لا يزال يفيض إلهاماً ووحياً ، في مجالات العلم والفن ، كما انه لم يعرض قط عن ملذات العيش الرضي .

لعل في رئسا هي البلد الوحيد الذي يستمد الدفء مماً من ادروبا المتوسطية ومعيزاتها الفارقة المراكز الصناعية في المنطقة الفحمية ومن شمس البحر الابيض

المتوسط. فهي تشارك ، عن طريق اللانفدوق والبروفانس ، بهذه الحياة الساطمة التي تنعم بها البلدان المطلة على هذا البحر ، وتأخذ كثيراً من طبائسم واخلاق هذه الاقوام المرحة الفرحة ، الطيبة القلب ، التي عرفت الني تقيم لها اسماً بعيد وشهرة عالية في عالم التجارة وفي عالمي الادب والفن .

ويرزح الرضع الاقتصادي في بلدان البحر الابيض المتوسط تحت ثقل الركود والجود المتطاول. فالتبارات التجارية الكبرى غابت عن ساحته وانتفت عن شواطئه حيث تطالمك الخاط من النشاط الصناعي والزراعي ، على الطريقة القديمة : هنالك لقاءات مدهشة يتناوب فيها الروض والبحر . فالصحراء تقف مارداً في وجه الحقل الزراعي ، كا يطرد البدو الحضر ويخنق الجبل الارض القابلة للحرث، فالاقلم يفتفر اصلا للفحم فيضعف النشاط في الصناعات المدنية كا ان المنطقة تفتقر جذرياً لرؤوس الاموال .

وتطل علينا ، مع ذلك ، طلائع نهضة تثقف وتطوير الخط الحديدي كا ان السفن البخارية الحدت تعول ، اكثر فاكثر ، على هذا البحر الذي يتمتع بوضع جغرافي عظيم الاهمية لا سيا ، بعد ان تم شق قناة السويس ، فالآمــال التي عقدها ميشال له شفاليه لن تلبث ان تتحقق . فمنذ عام ١٨٨٠ ، اخذ ربع اساطيل العالم يتردد على مرافيء البحر المتوسط ، موزعة في كل مكان ، الفحم والآلة والمنسوجات وتعود منها محملة الخور والفاكهة والزيوت وفازات الممادن مؤمنة الانصال بين اوروبا وآسيا ، ثم ان استيطان الاوروبيين مناطق افريقيا الشهالية ومصر عاد بالنشاط على الحركة التجارية في هذه الاقطار ، كا نشطت بالتالي حركة الحجالي الاماكن المقدسة المسيحية والمناطق الاوية القديمة وأطل علينا عام اليونان اولاً ثم عالم ايطاليا ، بعد ان وحزحت الثانية ، ظل الدولة البابوية ، الأولى عنها ، على غوار اسبانيا والبرتغال ، ثير الاسلام ، كا زحزحت الثانية ، ظل الدولة البابوية ، بعد ثورة عارمة ، جاعة ، بقيادة دولة قارية ، شبيهة بقشتالة وليون ، هي دولة البيامونت .

تأخر اسبانيا والبرتغال عن الركب مهما بدأ الرضع الجفراني للدول الايبيرية عظيماً قلم يعد يخولها مع ذلك ايتميزة قط. فهما ابداً في تأخر وتقهقر واصبحتا في عداد الدول الثانوية ، فاسبانيا لا تفتقر الرجال ، اذكان عدد سكانها عـــام ١٩٠٠ وهي زياددة عدد سكان انكلترا ، وقد اوشك هذا العدد ان يرتفع الى الضعفين ، عــام ١٩٠١ وهي زياددة

بزت نسبياً الزيادة التي حققتها فرنسا من هذه الناحية . اما البرتفال التي ارتفع عدد سكانها من هم ملايين الى ستة ، فعستوى العيش فيها بقي متدنياً .مها يلفت النظر عندها ، ه فيها التفاوت العظيم في توزيسه السكان . فبينما كانت نسبة تكاثف السكان في البرتفال ،ه نسمة للكيلومار المطيم في توزيسه السكان . فبينما كانت نسبة تكاثف السكان في البرتفال ،ه نسمة ولي منطقة ببعه المربع ، عام ، ۱۹۰ ، كان معدل هذه الكثافة ، في مقاطعة بورتو ، ۲۲ نسمة وفي منطقة ببعه في اقليم غلمتيخو ١٤ نسمة لاغير . كذلك قام في قلب اسبانيا الساحلية تفص بالسكان من جهتها السكان تتكون من هذا الصيد الجبلي الوسيط، كما أن اسبانيا الساحلية تفص بالسكان من جهتها ، المخان تتكون من هذا التوزع الى جيوب او خلايا ، المتحصل عن طبيعة البلاد الجبلية ، من شأنه ان يخلق شيئاً من العزلة بين هذه المناطق فيغذي فيها النزعات والمطالب الاقليمية ، كما كان من شأنه ان يمرقل ، الى حد بعيد ، استثمار الاراض . فاذ ما شكت اسبانيا دوماً من تصور شبيكة مواصلاتها البرية فخطوطها الحديدية التي انشئت متأخرة و كلفت غالياً والتي تم انشاؤها بفضل رؤوس اموال فرنسية ومهندسين فرنسيين ، فقد كانت طاقتها ، من هذه الناحية محدودة المفاية . اما اسطول اسبانيا التجاري فلم يكن بوسعه ان ينقل اكثر من ثلت بضائها . فالانكليز لا يزالون بسيطرون اسبانيا التجاري فلم يكن بوسعه ان ينقل اكثر من ثلت بضائها . فالانكليز لا يزالون بسيطرون قاماً على الشواطيء وهم حوطيء قدم وطيد جداً في لشبونة .

اما مواردها المعدنية ، فعظمها بيد الاجانب والصناعة الاستخراجية تبعث بها الى الخارج (ان ١٠٠٪ من الاسهم والاعتادات التجارية في اسانيا ، سنة ١٩٩٧ كانت الفرنسيين). وهدا الماضي الزاهي الذي عرفته الصناعات التعدينية ، في شبه الجزيرة الايبرية لم يبق منه غير الذكر الحيد ؛ وهذه الافران والمسابك الكبيرة التي قامت في مقاطعة كتالوني انطفا الواحد منها بعد الآخر واصبحت أثراً بعد عني . وستطل على البلاد حركة بعث جديدة ، عام ١٨٨٠ تتركز في مقاطعات استوريا وبلباو حيث يتوفر بكثرة العاملان الانساسيان لكل صناعة : الحديسة والفحم ، وبالاضافة الى صناعة النسيج التي نشطت في هذه المقاطعات ، هنالك صناعات عديدة أمنت المنطقة برمتها ، سبقاً ملحوظاً في هذا المضار ، لعبت معه اسبانيا دوراً شبها بالدور الذي لعبته المنطقة المدوانية في المطالعا ، مما ادى بالنهاية الى تقوية الذرعة القردية في المنطقة .

تعبر الجاهير عن رضاها وعن ارتياحها عندما تشدم بطونها . كانت البلاد تصدر في مطلع القرن الحبوب الامر الذي يحرم المزارعين من هذه الواد الضرورية ، فتضطر الحكومة بالتالي لاستيراد حاجاتها من الخارج لقاء بيمها الخور والفاكهة . فقد تباينت طبيعة الاقليم فيها ومناطق البلاد . فالمنطقة الشمالية الغربية الواقعة على المحيط الاطلسي امتازت بامطارها الغزيرة ، الفارف والاندلس التي يبدو عليها شيء من الطابع الافريقي ، تؤلف ، في مجموعها ، صعيداً متوسطاً قاسياً ، تلين لزراعة الحبوب والمزدرعات في هذه الاماكن المطلة على البحر المتوسط واستطاعت بعض المناطق المشهورة بزراعاتها الكرمة والخضروات والاشجار المثمرة ان تزيد من انتاجها بفضل تصديرها هذه المحاصل الى الخارج ، الا ان التطور العسام في الريف اصيب بالشلل لفرط اهمال الارض ، وعدم العناية بالاملاك واستثارها كا يجب . وهذا العصر الذي تميز

بكثرة اضطراباته وهزاته الاجتاعية وانتفاضاته السياسية ، حال دون قيام اصلاح زراعي عام، كا حال دون تطور التعليم وزيادة المدارس لمكافحة الامية التي يتسع فيها الفلاح وابناء الريف بالاخص.

استهلت اسبانيا القرن مجرب مربرة طويلة ضد الغزو الافرنسي والفتح النابوليوني ارزحت البلاد وافقرتهًا . والحزب التقليدي المعروف في البلاد والذي تألف من كبار المسلاكين ومن الكنيسة ورجال الدين اخذ بصراع طويل مع الحزب الدستوري الحر الذي يسانده الجيش والماسونية والعناصر البورجوازية ؛ كل شيء يقوم على الجيش ويتوقف عليه . فالانقلابـــات المسكرية تتأرجه بين هذا الجانب وذاك ، كا أن النظام التمثيلي أصبح بعد تبنيه ، مجرد وأجهة لا غير . والى هذا الوضع يكن ان نرد بقاء هذه الاضطرابات قائمة في المناطق الشالية لتغذي الحرب التي اثارتها قضمة الملك كارلوس وتأليف الكيانات الاقليمية التي تسن القوانين التي تؤمن مصالحها ، والتي تنزع الى السيطرة على سياسة البلاد وتوجيهها ، والى قيــام هذه الفتن المتكررة في الجنوب ، بن اصحاب الاملاك . والجمهورية التي اعلنت في البلاد ، عــــام ١٨٧٣ ، لم تكن موحدة الاهداف ؛ ولا متجانسة ؛ بل كانت فــــدرالية ؛ ولذا سهل على الجيش امر تصفيتها . وعندما طلمت على الملاد الحركة المهالمة ، نزعت منه اللحظة الاولى الى الفوضوية فسمرت الخوف في قلب اليورجوازية واصحاب الامتسازات <mark>القديمة دو</mark>ن ان تستطيم اخضاعهم.وجا<mark>ءت</mark> الحركة الاصلاحية التي قام بها الملك الفونس ، الذي اعلن ﴿ تَسَكُمُ كَأَسَلَافُهُ بِالْكَثْلُكُةُ ، كَأ اعلن نفسه من جماعة الاحرار المخلصين باعتباره ا<mark>حد ابناء العص</mark>ر » . فلم يتغير شيء وهدأ<mark>ت</mark> الحرب الكارلوسية الا ان السلطة المركزية لم تتوطد قط في البلاد. فالمجالس النيابية لا شأن لها والمرتباتالضخمة أجزلت لكبار ضباط الجيش على حساب موازنة وزارتي التعليم والزراعة ، كما الاخرى ، بالاتساع والامتداد ، وتأزمت القضية العالية. وبالرغم من هذه الأمور ، فقد امكن للمؤسسات الدستورية أن تعمل وتنشط ، خــلال نصف قرن ، أقـــله في الظاهر ، بحسث نشط للممل في ظلها المجتمع القديم الذي بقي حما وسط مجتمع رأسمالي اكثر حموية. وح<mark>صلت ف</mark>ترة شبيهة حكومتا مدريد ولشبونة تسنان القرانين دونما طائل . والمشكلة الاساسية المتمثلة بالاصلاح المادي كانت في نظر الفكرين واصحاب الحجى في البلاد ، مرتبطة الى حد بعيد ، باصلاح عمام يتناول الاخلاق . وراحت الحركة الادبية الطالعة في اسيانيا تحاول الكشف عن طـــاقاتها القومية . كما ان الكارثة التي نزلت باسبانيا عــام ١٨٩٨ ، وافقدتها القسم الاكبر من مستعمراتها أظهرت للملاً قسوة الجهد ومرارة السعى اللازمــين لمقاومة التيار السريـم الانحدار . وبدت في ا البرتغال محاولة لاحلال النظام الجمهوري محل اسرة براغرانس الملكية التي عجزت كلياً عـــن

اخراج ولاية لوزيتانيا من الورطة التي تعانيها .

نقاط التشابه والتماثل كثعرة بسين شبه الجزيرة الاببرية مشكلات الملكة الإيطالية الفتية والايطالية . فالنمو الديم وغرافي اكبر وانشط هنا منه هناك اذ ان عدد السكان فيها قفز من ١٨ مليونا عام ١٨٠٠ الى ٣٣ مليونا عام ١٩٠١، وبذلك بلغ معدل كثافة السكان ١٠٠ نسمة في الكي<mark>ومتر الم</mark>ربع الواحد ، في سهل البو وأودية توسكانا ومقاطعة كومبانيا وعلى سواحل صقلية / بينها بقيت مناطقها الجبلية وسهولها الجافة التي تركبها الحمات ، قلملة السكان ، تردف بقوة حركة الهجرة الى الخارج والاغتراب . نرى من جهسة تقالمد صناعمة تحافظ على ما لها من شهرة واسعة . كما نرى من جهة أخرى افتقار البلاد للوقود والمادن . في البلاد طبقة فقرة من الفلاحين معدمة ترسف في الجيل والامسية وقعت فريسة الملكمات الضخمة ؛ كما تفتقر البلاد الى رؤوس الأموال. وقد مزقتها نزعات اقلسة تماها عهد طويل من التقاطع والتنابذ ، وحماة عارمة في المدن ضفة الأفق ، محدودة المرمى والحمدف . وقامت بن الشهال والجنوب منافسة حادة ومعارضة شديدة ؛ إذ كان الاول اكثر ارتباطاً باوروبا الوسطى وبالتالي اكثر التصاقاً بالقارة الاوروبية ، شعبه نشيط ، دؤوب على العمل والصناعة ، بينها لا مزال الثاني مجمل سهات القدم والعهد السحيق بتسكم في مساوى، الملكيات الضخمة . فالشال هو الذي أعطى الوجود السياسي للملاد وأمن كيان دولة فتبة ، قوية عرفت أن تفرض نفسها بساعدة أجنبية ، مم ان الجنوب كان أقل انقساما سياسيا من الشيال . الا ان عمليسة التوحيد بسين المقاطمات والافراغ السياسي الجديسيد للبلاد التي تمث على عجل ، لم تحل كل

طلعت عليها هذه الصعوبات في الوقت الذي تمت فيه وحدة البلاد . فالجنوب لم يحكسن ليرتاح كثيراً للتقاليد الادارية والعسكرية المرعية في تورينو . واسرة آل سافوى التي كانت تتمتع بالعطف والرضى في المناطق الشهالية لجبال الابنين ، كانت ، في الجنوب ، موضوع تشكك وتنمر . وقام في وجه حزب اليمين المناصر للملكية والمضاد للاكليروس في البيامونت ، وسال الاكليروس واصحاب النزعات الاقليمية في شبه الجزيرة الإيطالية ، والحزب اليساري الذي ، بالرغم من نزعته المضادة الدين ، كان يشوبه شيء من النمرة المزينية لم تكن باشتراكية ، وكان يجسد المعديد من الانصار ، بين هؤلاء الغاضيين في مملكة نابولي القديمة . وراح سكان البيامسونت باجمون بعزم وصلابة أقوى بما تم لهذه الهيئات اللهباردية والتوسكانية المتحالفة ، الامتبازات التي تنعم بها الرهبانيات والجعيات الدينية في هذه المقاطعات التي تم توحيدهسما ، كا راحت تهاجم حروب المناوشات في الجنوب ، محاولين تأمين التوازن في موازنة الدولة وتوجيه ايطاليا للعمل والانتاج . وقد جاءت الاستجابة ضعيفة جداً ، لهذه الحركة الاصلاحية في هذه المناطق التي لا نفوذ فيها الدور جوازية وحيث تسيطر الملكية الضخمة ورجال الدين على الجاهسيد التي لا نفوذ فيها الدور وحيث تسيطر الملكية الضخمة ورجال الدين على الجاهسيد

المشكلات التي اعترضت سير الدولة الجديدة . فالمهمة بدت شاقة ؛ مرزحة لهذه الدولة الحديثة

ذات الامكانات الضقة بالنسبة لدولة يتكاثر سكانها بسرعة ، كثيرة الاحتياجات .

الشمبية التي تتسكم في مهاوي الأمية والجهل المدقع . ومع فوز اليسار سيطر على شؤون الحُمَّجُ ا في البلاد ، سكان صقلمة . فوسموا على ضوء مصلحتهم ، قاعدة التمثيل القائم على نظـــام الضرائب رمارسوا إنساد الضائر على نطاق واسم ، وقمعوا هذه الانتفاضات والفتن التي سببتها الجاعة بين صفوف المهال ، وراحوا يعللون الآمال الكبيرة في الخارج ، وهكذا رأينا كريسبي هذا الماسوني الجمهوري القديم ينهج سياسة التسلط والتحكم بدون أن يتوفر له المسال ، ملوحاً بعظمة الرومانيين وحقوق هذا الشمب البائس . وبالرغم من هذا البطء ومن هذا التفاوت الذي ميز التطورات التي اخذ بها الشهال ومقاطع<mark>ة توسكانا ٬ ف</mark>قد أمن ٬ مم ذلك ٬ استخلاص الكثير من الاراضي وتوصل لانتاج ٢٤ هكتوليتراً من القمح في المكتار الواحـــــ مقابل عشرة هكتو لنترات في الجنوب ، كا تطورت فيا بعد كثيراً زراعة الشمندر السكري والحدائيق وتربية الماشة . وهكذا زادت بروزاً المفارقات بين الشال والجنوب ، هــذا الجنوب الذي نراه يتذمر باستمرار مدعيا انه مرزح ، مثقل كا ان اليؤس الذي يخيم على الجاهير الريفية فيه حملها على المهاجرة بأعداد كبيرة . ان توفر البد العاملة ال<mark>صالحة في الشمال واستثار رؤوس اموال كثيرة</mark> معظمها اجنبية ، وروح الاقدام والمبادرة في الجمال الصناعي هي من خصائص الشمال الذي عرف كيف يفيد كذلك من القوة الكهربائية مع العلمان النظام المصر في فيه كان ضعيفًا وسيريب العطب وان سياسة الحماية الجركية التي سارت عليها البلاد التقدمية لم تقد كثيراً ، وانه الى جسانب بؤس الفلاحين والقضية الزراعية يجب ان نحسب حساباً لبؤس الطبقة العمالية ومشكلاتها الحادة

وايطاليا تعتمل فيها تيارات اجتاعية عميقة الفور. وكان من العسير جدا على طبقاتها الحاكمة ان تبني لها قصوراً في الهواء على نفع او جدوى سياسة كبرى تسير عليها التكلفها نفقات عسكرية مرزحة ولا على موازنة تشكو دوما العجز وعدم التوازن. وهذه الطبقات التي تتحلى بالفطنة تولى عنايتها المحاصيل الزراعية والصناعية التي يؤمن بيع انتاجها تهمين ميزان المدفوعات. الا ان ذكريات الماضي الحية في النفوس ومسوقع البلاد الجفرافي حملها على الاهتام باسطولها التجاري الامر الذي ساعدها على اقامة علاقات واسعة مع دول كثيرة: هذه العلاقات التي ساعدت على استغلال ثروة اخرى تكمن على الاخص في هذه المناظر الطبيعية المديعة والآثار الخالدة الجديرة بكل احترام وثناء وقيام الكرسي الرسولي فيها.

اوروبا الـــوسطى تحت سيطرة المانيا البسماركية

بعد ان خطت خطواتها الاولى نحو الوحدة بساعدة فرنسا واحت ايطاليا تتابع طريقها بساعدة بروسيا مستغلة الى اقصى حسد حرب عام ١٨٧٠ . فقد بقيت انظارها مسمرة نحو در ابن وجاءت

قضية تونس تشدها اكثر فاكثر بالدول الجرمانية . فشق طريق سان غوتار ثم في الوقت الذي عقد فيه الحلف الثلاثي الذي رموا منه الى عزل فعرنسا ووضع روسيا تحت المراقبة .

وأوروبا الوسطى التي كانت لاجيال عـــديدة ساحة حرب وممارك طاحنة ، اخذت هي

الاخرى ؛ بالنجمع ؛ فتقاسمت بلدانها ؛ منذ الآن فصاعداً بملكتان : هما الامبراطورية النمساوية · المجرية التي سيطرت على حوض الدانوب ؛ والربخ الذي وحدّ بين المانيا الشهالية والمانيا الحنوبية تحت سيطرة بروسيا ؛ وقامت بين الامبراطوريتين منافسة حادة وخصومة عنيفة انتهت بينهها الى شيء من المصالحة تمت معها السيطرة للامبراطورية الالمانية .

في هذه الجدود الجغرافية التي تمت المانيا عام ١٨٧١ وهي الريخ الالماني مجال لنطورات عظيمة تكاد لا تزيد كثيراً عما تم من امثالها الفرنسا ، جاءت المانما

الجنوبية ذات النزعة الاقليمية الخاصة والطابع الزراعي ، والمانيا الوسطى ، الجبلية الطابيم ، المتجزئة ، الكثيرة الممادن والاحراج ، والمسانيا الرينانية التي احتلت منذ عهد قريب مرتبة صاعية وتجارية من الدرجة الاولى ، وساكس الوافرة الفنى بجدواردها الزراعية والصناعية ، والسهل الشهلي المترامي الاطراف المعروف بفقره ، الواقع سواده الاكبر في بروسيا والمطل على والسهل الشهالي المترامي الاطراف المعروف بفقره ، الواقع سواده الاكبر في بروسيا والمطل على عدري ، فالنوب والجنوب مناطق كاثوليكية ، بينها الشمال والوسط مناطق بروتستانتية ، في هذه البلاد ثلاثة اقاليم رئيسية : بولونية كاثوليكية الى شرق ، وألزاسية لورينية الى الفرب ، معظمها من الكاثوليك ، ودانم كية الى الشمال ، سيطرت في الشمال منها منها من متوسطي معظمها من الكاثوليك ، ودانم كية الى الشمال ، سيطرت في الشمال منها منها من متوسطي الاملاك الضخمة ، كما قام في الجنوب والفرب منطقة اخرى ، اصحاب الارض فيها من متوسطي الاملاك وصفاره . الى هذا كله تنوع كبير : كثير من المادات القديمة واحترام البزة المرسمة والوظيفة في الدولة ، والسلطة على الاجمال والرضوخ لابوية فعالة والاعتداد بالعمل الذي المرسمة والوظيفة في الدولة ، والسلطة على الاجمال والرضوخ لابوية فعالة والاعتداد بالعمل الذي الجرماني . فلبروسيا السيطرة السياسية وملكها هو الامبراطور ، كا انه من المام المحاد كنفدرالي الموسيات المن المتوجعه على المحكومة الريخ ان تقيم الحدود مع الدويلات التي تسهم في تشكيل Bundesrath والرايشستاخ المنتخبين المريخ ان تقيم الحدود مع الدويلات التي تسهم في تشكيل المهادرالية بمواردها الخاصة . من قبل الامة جماء ، كما انه يترتب علمها تأمين الخدمات والمصالح الفدرالية بمواردها الخاصة .

وهذه الوحدة التي تمت في غمرة الانتصارات الداوية هي بحاجة لسلطة قوية تثبت وجودها امام هذه النزعات الاقليمية والتهديدات التي تأتي من الخارج التأمين الازدهار للبلاد . وبسمارك الرجل الحديدي اليد الذي انشأ الريخ بقيت يده على سكان سفينة الامة يتولى توجيهها وادارتها . فهو منصرف بكلته لتوطيد عمله وترسيخه .

ان ارتفاع الطاقة البشرية في البلاد ، بين ١٨٧٠ – ١٩٠٠ ، من ١٠٠ – ٥٥ مليون نسمة جعل المانيا تتبه فخرا ، فانتشار البسر وتحسن الاحوال الصحية خفض من معدل الوفيات وزاد في معدل امد الحياة دون ان يطرأ اي هبوط او المخفاض في نسبة المواليد التي بقيت قوية . وحركة المجرة جرفت من البلاد عددا من الفقراء ، والاقبال على حركة النزوح الى المدن بلغ من إتساعه وقوة تياره بحيث اخسفت البلاد تعول اكثر فاكثر ، على الصناعة والتبادل التجاري بعد ان عجزت الارض المسكة عن تأمين الغذاء واسباب العيش لمن عليها. فبينما كانت البلاد في الامس

الغابر تصدر الحبوب والماشية الى الخارج، فقد اتَّخِذت لها شماراً الكلمات التالية Verkehr و Handel هذه العجلمات نفسها الق كانت شمار الاتحاد الجمركي المعروف يـ Kollverein المتد طولانيا من مونستر الى سيليزيا فيستصلح هذه الاراضي الرملية والبطاح المديدة ليجعل منها اراضي صالحة الزراعة تمتد من الد Geest في الشمال الغربي حتى المقاطعات البولونية لتعطي اولى غلالها من البطاطا والشمندر السكري ، والخنزير وحشيشة الدينار دون ان يفني مسذا الانتاج عن شراء ما تحتاج اليه البلاد من الحبوب والثار والخشب . فالارض تتوقع كل شيء من الصناعة ووسائل النقل بعد أن تؤمن لها ما هي مجاجة اليه من الآلات الزراعية والخصبات ؟ ومثال هذه المحاصيل تتجة نحو مراكز السكن الكبرى المعروفة بضخامة استهلاكها . وهــــذه الصناعة القديمة التي اعتادت أن تنتج عدداً كبيراً من الادوات والمصنوعات الرخيصة ؟ إنضمت اليها منظهات تجارية قوية سهل تأليفها توفر رؤوس اموال ضخمة ، بعد أن عرفت كيف تفيد من النظام الاجتماعي المسيطر على الملاد ومن <mark>جرأة الاس</mark>اليب العلمية التي هي قيدالاستعمال.وقد برز باكرا ؛ عالم من الاعمال والمشروعات الجماعية رمت الى تأمين حركة بيع وتنفيق ضخمة في الداخل والخارج ؛ على السواء تتناول المنسوجات والمصنوعات المعدنية والمواد الكيماوية والبناء وهي نشاطات توزعت مقوماتها بين مقاطعات رينانيا وساكس وبرلين ومرافىء البحر الشمال بفضل شكة متازة من الخطوط الحديدية والاقنية المائية من المرتبة الاولى وبفضل سودرمان وآل هنريخ مان يطبع هذه الرصانة الهادئة الرزينة والثقيلة الوطأة نوعاً .

فأولو الامر يصرفون جهدهم الاكبر لترحيد العمل واذكاء النشاط في قفير النحسل الذي تمثله الامة الالمانية . فالهدف الاول من السياسة الالمانية هو تسخير الريخ في خسدمة الاقتصاد الوطني . ولهذا بذلت الجهود ليس لتوحيد التشريح في البلاد فحسب كتوحيد المكاييل والموازين واصدار نقد واحد موحد لكل المانيا ، هو المارك ، بل ايضاً رصد مبالغ طائلة للاشفال المامة وللنفقات الحربية ، فالجيش الالماني يجب ان يكون الاول بين جيوش اوروبا كلها . وإذا لم يكن في مقدور الريخ فرض ضرائب على الاشفاص المسجلة اسماؤهم ، وهو امر من اختصاص الولايات استطاع مع ذلك تأمين الموارد اللازمة ، عن طريق قروض داخلية ورسوم جديدة قفرض على الاستهلاك . والرجوع الى سياسة الحماية الجمركية ، عام ١٨٧٩ ، يجب رده جزئيا ، الى حاجة الحزينة . فبسارك في نقاش وحوار لا ينتهي مع مجلس النواب لاقرار الموازنة العامة .

فقبل عام ١٨٧٠ كان ارباب الاراضي الضخمة ، المحافظون والمعروفون بمصبيتهم البروسيانية واللوثرية ، على خصام وجدل مع الوطنين الاحرار هؤلاء البورجوازيين الذين يحرصون شديداً على النظام مع تابيدهم النظام البرلماني . وكان بسيارك قد قطع لهؤلاء ولألئك ضمانة ، اذ قبل الاخذ ببدأ الاقتراع العام ، ودون ان يسمح بتطبيق هذا القانون ، في جميع انحسساء الامبراطورية

الالمانية اذ ان صلاحيات الرايخشستاغ كانت مقيدة وعسدودة ، بينا كان سلطان الامبراطوو وصلاحياته واسعة جداً ، فبعد الحرب كان خوفه من الحزب الديوقراطي الاشتراكي الذي برز للوجود من عهد قريب اخف بما سببت له معارضة الحزب الكاثوليكي من قلق ، همذا الحزب الذي يمكن ان تنضم اليه الاقليات البولونية والالزاس واللورين . فسراح يحاربهم بسياسسة الذي يمكن ان تنضم اليه الاقليات البولونية والالزاس واللورين . فسراح يحاربهم بسياسسة لهذا الفريق الذي طالما مالأه ، وعدل عن نظام التبادل التجاري الحر ، وقام بحركة تقارب لهذا الفريق الذي طالما مالأه ، وعدل عن نظام التبادل التجاري الحر ، وقام بحركة تقارب من حزب الفلاحين المحافظين ، واستخدم ضد الحزب الاشتراكي ، تارة الضغط والاكراه ، وطورا تشريعاً اجتاعياً لم يكن ارباب العمل يوضون الاخذ به بطيبة خاطر ، على طريقة المطران كتلير واصحاب الاراضي .

وفي تلك المضون راحت الازمة الاقتصادية الخانقة تفرض على البلاد في عداد ما تتطلب من مشاريع ، انشاء سوق واسعة تستطيع ان تزاحم الاسواق الكبرى في الخارج. الا ان الدفيع الاقتصادي يتوقف قبل كل شيء على التنفيق والتسويق وقد عقب عهد الوحدة ، عهد الامتداد عهد والسياسة العالمة ».

وعندما دشن الامبراطور غليوم الثاني و العهد الجديد ، كان الجميع الالماني قسد حقق نجاحات ضخمة في بجال الازدهار والرفاهية المادية صحيح ان نصيب الفلاح والعامل من هذا الرفه كان اقل جداً بما ناله كبار الملاكين وارباب المهال وكبار الموظفين . غير ان الوفر المذخر المعظيم الذي امكن تحقيقه ، وأحمية رؤوس الاموال التي امكن استثارها ، كل ذلك جاء دليلا على نمو الطاقة المالية . وحركة تخطيط اصلاح المدن ، انما تدل ، مها تباينت الآراء من الوجهة الجمالية ، كا يدل التصنيع ، على هذه الإدارة الجبارة ، نحو ما هو ضخم ، عملاق . ومهما يكن هذا التوزيع الموسيقي الذي تم على يد واغنر ، فكل شيء يخضع لمستازمات الجاعة ومقتضيات الضخامة ، مدنية جماعية . فالانسان فيها يربط نشاطه الفردي بهذه الانشاءات الوطنية بقصد تأمين ازدهار المجموع . فالفرد يضيع في المجتمع . وهذا التعاضد والترابط يقتل روح الاصالة في الفرد . فن رأي نيتشه : و القوة تخبل العقل ، ، و ولا يكن بصورة من الصور ، الادعاء والتبجح بتحقيق انتصار الحضارة الالمانية . فمبارة القوة توشك ان تسكر المانيا الشاعرة بقيمتها والمشبعة بفكرة تفوقها .

والنصل ولشاوس

أوروب االشرقية ويقظة الصقالبة

لا نرى قط ان مصائر البشرية جماء منوطة باوروبا الغربية وحدما (اسكندر هارزن ـ ١٨٥١)

بعد الخط المند من هميورغ الى تريستا ، تأخذ القارة الاوروبية بالتكثف يروز ادروبا الشرقية والتضخم . فالمناظر التي تتعاقب تحت انظــــــار المساف<mark>ر تشير بانه</mark> يود<mark>ع ٬</mark> شُدًا فشيئًا استطالة العالم القديم في الفرب لدوغل اكثر فاكثر في قلب العالم القديم ، حيث تقسم المين على اقطار اكثر اتساعاً وجمال شجراء وسهول فسمحة الأرجساء ، وطرق تندر وتقل ، وشبكة من الخطوط الحديدية مخلخة المرى . وألوان الطمام تغيرت وتبدلت فحلت العصيدة محل الخيز ، وصرنا نامح الوانا من الطعام بينها ال <u>Barszcz</u> وهو مزيسج من الملفوف والشمندر ، والـ Braga وهو ضرب من النبيذ المستخرج من الذرة البيضاء يشبه الـ Kvass الروسي (بمنا وستطب الالماني صنف الشوكروت مع الجمة) ، وتناوت المدن وتساعدت وهي أقرب الى القصبة من المدينة ، بكنائسها البيزنطية وشوارعها ال<mark>متموجة التي</mark> يبدو عليها الاهمسال . في هذ<mark>.</mark> الجتمع<mark>ات</mark> البشرية ، كثيراً ما نرى تجمعات يهودية عديدة تؤلف احياناً غالبية السكان ، تستأث<mark>ر</mark> بالتجارة واحياناً بالصناعة ، تتكلم المودية وتسكن <mark>حارات خ</mark>اصة يها واحياء تنقطم اليه<mark>ـــا</mark> وتنعزل عن باقي الجماعات ، ترك شاغال لنا عنها العديد من الصور والرسوم . وقد تبليلت فيها اللفات واللهجات المحكمة وتنافرت لتصل احماناً الى عشر لغات مختلفة ، كما هي الحال مثلا في مدينة لفوف (١١ كما تعددت الاديان والمذاهب والممتقدات ، كما في فيلنا (حيث 'وجد ١١ ملة أو طائفة) . ومدينة بودابست هي بمثابة جزيرة من طراز أوروبا الوسطى في وسط ريف على الزي الشرقي . ودالماتيا تؤلف واجهة من طابع لاتيني هي الباب الخلفي او البراني للبلقان . وهذا التشكى في براغ يختلف تماماً عن هذا السلوفاكي في تتراس اختلاف الاسرائيلي في فيينا عن الن دينه في الكربات الروتينية أو في اليوكوفين.

وتضم الامبراطورية الالمانية ضمن وحدثها المتراصة جزءاً – بولونياً – من اوروبا الشرقيــة ليجد نفسه في وسط اكبر واقوى شعب في <mark>اوروبا الوس</mark>طى . اما في حوض نهر الدانوب فالأمر مدو اكثر تعقيداً .

⁽١) ـ بيا ليستوك . من هذه المدينة الاخيرة طلع الدكتور زمنهوف الذي وضع سنة ١٨٨٧ ، لغة الاسبونتو .

الشراكةالنمساوية الجمرية في حوض الدانوب

على إثر معركة سادوا التي كان من بعض آثارها ان تبعد النمسا غسن المانيا وتقضي على الاتحاد الكونفدر الي الذي انشىء عام ١٨١٥ ، توصلت فيسنا الى تحقيق التفاهم مع بودابست ، هذا التفاهم الذي تحولت

ملكية آل هبسبورغ القديمة بموجبه الى دولة مزدوجة قامت على ال Ausgleich الذي تم عقده بين الطرفين عام ١٨٦٧ ، فخرج بموجبه الى عالم السياسة مسمى جديد هو النمسا الجرأو الجر النمسا على حد سواء، فوضع بذلك بملكة القديس اسطفانس والنمسا على قدم المساواة، وبعبارة أخرى اكثر لباقة دبلوماسية، وحد بين ترانسليتانيا ما وراه النهر وترانسليتانيا عبر النهر.

وهكذا ضمنت اسرة هبسبورغ العريقة لنفسها البقاء وحمل رئيسها لقب الامبراطور الملك، رمزها النسر ذو الرأسين رمز الاستمرار والوحدة . وبالرغم من قلب الدهر له ظهر الجن ، فقد عرف الامبراطور فرنسوا جوزف ان محافظ على مركزه ومكانته عن طريق انصراف البلاد الخاضمة له ، للعمل المثمر وطول عهده المديد في الحكم . فقد كان عهده عهد حكم مطلق ، خفف من حدته التكاسل الذي طبع حياة فيينا التي عرفت بنعومتها ورقتها . وكان تعلق السكان بالاسرة المالكة تعلقاً قوياً مخلصاً ، كا كان الجهاز العسكري فيها متيناً والشرطة يقظة .

وقد ألف الحوض الدانوبي ، الى هذا كله ، مجوعاً طبيعياً متحكاملاً متكافسلاً لو تناثرت اجزاؤه وتفككت لأنزل ذلك به كارثة اقتصادية تأثر الجميع من عقابيلها الوخيمة . ومع انها ادر كت متآخرة عهد التطور الرأسمالي والاقتصادي ، وكانت وسائل المواصلات فيهسا فقيرة ضيقة ، فلم تبرهن اسرة آل هبسبورغ عن مقدرة تستطيع معها رفيع مستوى حياة الشعب المتأخر تحت حكمها . فاللجوء الى الغرب ، بعد عام ١٨٤٨ ورؤوس الأموال اللازمة المنهوض بأسباب التطور وقطع مراحله حثيثا ، لم يسمح للامبراطور فرنسوا جوزف الوقوف في وجه الاتحاد الجركي الألماني (Zollverein) فاستطاعت بروسيا ان تؤمن لها الغلبة في ساحة الوغى . الا أن الولايات التابعة للتاج بالوراثة كانت غنية بمواردها الجيولوجية وتتوفر فيها يد عامسلة لا تكن متطلبة . ولا تزال مقاطعات ستيريا وكارنتيا والنمسا العليا والسفلي ولا سيا بوهيميا تنعم بشهرة صناعية واسعة جداً ، تردف بمواردها الزراعية والراعوية الغنية ، الفلال والمحاصيل التي تعطيها سيسليتانيا من الحبوب والشمندر والمراعي . وهكذا يمكن اعتبار هذه الشراكة الثنائيسة أو المنووجة ، سوقين استهلاكيتين تكمل الواحدة الأخرى .

منالك ، مع ذلك ، فوارق ونزعات لا بد للورخ من أن يلحظها ويأخذها بمين الاعتبار . فالصناعة ، في النمساء كانت بحاجة لسياسة حماية جركية ، ومثل هذه السياسية لم تكن هنغاريا تتمناها أو تريدها باعتبارها بلداً مصدراً للحبوب وللمحاصيل الزراعية . ولذا كان لا 'بد مسن التوفيق بين مطلب الزراعيين واصحاب رؤوس الأموال الصناعيين . وهذا ما رمى اليه بالفعل الاتفاق الذي توصل الجانبان الى عقده ، واعادة النظر فيه كل سنتين على ضوء الاوضاع الراهنة .

ومقابل الفوائد التي أمنها هذا الاتفاق الحبي رأت النمسا تعويضاً لها عن 'غبن لحق بها فرض تعريفة مرتفعة . وفي أثر أزمة عام ١٨٧٣ التي جاءت أخف وطأة على المنطقة الوسطى الشرقية منهسا في تلك المنطقة الصناعية الاكثر تطوراً ، فقد انفتح في وجهها باب البلقان بفضل الاتفاقات التي تم عقدها مع كل من صربيا ورومانيا ، وبفضل التعريفة الاكثر رعايسة عرفت مرافىء وموانى ، البعر الادرباتيكي أمثال تريستا وفيومي ، ازدهاراً كبيراً .

فكبار الملاكين والبورجوازية هما القوتان الاجتاعيتان اللتان نسجت وقائع تنافسها حينا ، واتفاقها احيانا ، وتطوراتها ، تاريخ هذه الملكية الثنائية . فالارستوقراطية التشيكية الالمانية في بوهيميا ، والبولونية في غاليسيا ، والجرية في هنغاريا أحكمت السيطرة على مداخل السلطة وغارجها . فقد عرفت ، بما تم لها من ثقافة وخبرات واسعة ، كيف تتخذ لها يداً مسن الاستثارات الكبيرة لادخال التصنيع الآلي الى البلاد ولتطوير الاساليب الزراعية فيها . فهذه الارستوقراطية تصدر الحبوب وتشعنها الى الحارج بينا عدد كبير من سكان البلاد يتضورون جوعاً ويضطرون المنزوح عن البلاد . صحيح ان هبوط اسعار المواد الزراعية تراك أثره العميق على الارباح وعلى ربع الاملاك ، ولذا راحت الاسر الكبيرة العريقة النسب تطالب بالحساح ، على الارباح وعلى ربع الاملاك ، ولذا راحت الاسر الكبيرة العريقة النسب تطالب بالحساح ، اكثر من أي وقت مضى ، ان 'تو وقف عليها الوظائف الكبرى ، كما اخذت تهتم ، من جهسة أخرى ، بالنشاطات الصناعية .

وعندما اشتد ساعد البورجوازية اخذت بمهاجمة المؤسسات الارستوقراطية والاكليريكية ، كا اخذت تطالب بعلمانية الدولة وتحقيق الوحدة الادارية التي من شأنها ان تيسر كثيراً المعاملات الرسمية ، فقد استطاع اليهود ان يؤمنوا سيطرتهم على المهن الحرة وعلى مرافق التجارة في البلاد (ففي الجنازات والمعاهـــد العليا اربعة من اصل خسة هم من اليهود الامر الذي شعن النقوس بعداء مستحكم للسامية) . وبدافع من رجال الفكر والادب هب على البلاد تيار اشتراكي قوي وجد له عــدداً من المؤيدين والانصار بين العال في فيينا والمراكز الصناعية الاخرى . ووقعت اضطرابات وقلاقل اجتاعية ، سنة ١٨٤٨ ، ومنذ ذلك الحين رأت الملكية الثنائية نفسها عرضة للاضرابات وللفتن الريفة .

فقد ألفت العناصر الموجهة في قلب الطبقات العالمية اقلمية ضئيلة رفلت بجميع اسباب الراحة والرفه في المجتمعات الكبيرة وفي القصور . فهل من داع الى وهن اراضيه وأطيانه هذا المستلاك الكبير الذي كثر لديه الحشم والحدم ، والذي تزخر مائدته بأطايب الوان الطعام وترقل باللذيذ الفاخر من الشراب، والذي تم له من طاقم الفضية ومجموعات السجاد والطنافس والحيول الأصيلة والعربات ، والذي يقيم له الحدائق والرياض الغناء (فالامسلاك التي تخص الارشيدوق جوزف في كونتية فيجر والتي نسقت على الطراز الانكليزي حدائقها وبساتينها ، تمتمت بشهرة واسعة من حيث تنسيقها) ويقوم في فيينا بجتمع ثقيف ، مهذب ، لطيف المعشر ، متساهسل ، تعشق من حيث تنسيقها) ويقوم في فيينا بجتمع ثقيف ، مهذب ، لطيف المعشر ، متساهسل ، تعشق الادب الرفيع والموسيقي واشرابت عيناه نحو المانيا والغرب .

وبالرغم من هذا فقد عانى الامسبراطور الملك من صراع القوميات. فحسبار الامرأء وبورجوازيو بوهيميا او غاليسيا هم على استمسداد للتفاهم مع فيينا على شروط معينة . والحقيقة التي لا بماراة فيهاهيان العنصر الجرمانيالذي طبيع عميقاً المؤسسات والاذواق وصناعي التفكير في الامبراطورية النمساوية القديمة لم يجر اتفاقه مع العنصر الجري الا ليتمكن من الصمود في وسعة الدفع السلاني . « صونوا حدودكم نحافظ على سلامة حدودنا » كان بردد واحد من هؤلاء الذين قادوا المفاوضات التي ادت الى هذا الاتفاق (١<mark>) وهذا التفام الالماني الجري 1 ل في نهاية المطاف ،</mark> الى التحالف مم يرلين وبالتالي الى احتلا<mark>ل البوسنة واله</mark>رسك ، وكلامسا من الاراضي السلافية السكان ، فالأمبراطور فرنسوا جوزف لا يلبث ان يصبح ، بعد قليل « الرفيق الجميل ، للرايخ، والجري وسيط بينها .

في حوض الدانوب ؛ كا نرى ؛ ناجحون وفاشلون . ولعدم قيام شكل فدرالي – قد يكون من المستبعد تحقيقه -- بقي التماون <mark>بين مختلف ال</mark>قوميات الواقمة تحت سيطرة آل هبسبورغ .

> من البحر البلطيقي الى الادرياتيكي قرميات مستعبدة تتململ وتتمطى

والقرن التاسع عشر الذي تميز بالاستقرار جغرافيـــــا في اوروبا ، ساعد على ترسيخ التقسيات الجفرافية الكبرى التي وقعت الى الشرق منها ، في القرنيين السابع عشر والثامن

عشر لمصلحة الملكيات الثلاث : النمساوية والبروسيانية والروسية . فالاتفساق الذي تم عقده ٠ عام ١٨٦٧ بمد ان حدد الاهداف وعين المهام الموكولة لكــلا الطرفين، : إضعاف والاجلاف ، قطم سيسلمتانما : الدولوندين والروتين في مقاطعة غالسما ؛ وبإعد بــــين الساوفاك والتشمك والسلوفين والصرب والكروات في مقاطعة دلماتها عن اخوانهم في الدم: الكروات والصرب في هنماريا ٬ واحتفظ للامبراطوية النمساوية بايطاليي البترول وت<mark>ريس</mark>تا وبرومانيي بوكوفينا ٬ كما ادمج رومانيي ترانسلفانيا في ترانسليتانيا ، كل ذلك عملًا بالقول المأثور : ﴿ فَرَقَ 'تُسد ﴾ .

بقيت المقاطعات البلطيقية الواقعة الى الشرق؛ خاضعة منذ الاجمال الوسطى للنفوذ الجرماني. فالتجارة سيطر على مرافقها الالمان فجعلوا من مدينة ريغا مدينة حلوة جميلة ككسا استولى البارو<mark>نات الا</mark>لماري على الاراضى الزراعية . والتعلم في جامعية دوريات (تارتو) <mark>كان ي</mark>عطى بالالمانية . الا أن عدداً من كبار الملاكين اضطر لبيم املاكهم في أثر عملية الاصلاح الزراعي الذي قام بها الروس ؛ عام ١٨٦٦ . وهكذا ظهر في البلاد ؛ من جهة؛ طبقة من صفار الملاكين ؛ كما ظهرت ؛ من جهة ثانية ؛ طبقة بورجوازية محلية ؛ بفضل ظهيور الخط الحديسدي وتطور المرافى، البحرية في هذه المنطقة . وقد نتج عن ذاك ، يقظة بين القوميات ابتدأت في مجسال اللغة ثم تطورت الى المجال السياسي . فاذا ما رأت الحكومة الروسية ان توجه حركة اليقظة هذه ضد التيار الجرماني ، فلم تكن لترمى من وراء ذلك ، الى اطلاق حركة انفصالية ، بسل

⁽١) في عام ١٨٨٠ ، هنالك ٩ ملايين الماني (منهم ٨ ملايين في النمسا نفسها) ، و٦ ملايين مجري ، مقابل ١٧ ـ ١٨ مليون سلافي ، و٣ ملايين ونصف مليون ررماني وايطالي .

رمت الى تشبعيه حرصكة « ترويس » هذه المقاطعات وطبعها بالطابع الروسي وذلك بتحريم استعمال اللغات واللهجات الاقليمية في التعليم والمنشورات الرسمية .

وفي غراندوقية فنلندا الطليلة الاحراج والغابات القاسية المناخ والفقيرة والتي تتمتع بشيء من الاستقلال الاداري والثقافة الروسية واللوثرية التي تغلفلت بين نبلاء البلاد والبورجوازية المتنتشر كثيراً بين سكان الريف الذين يتكلمون اللغة الفينية . وقد ترك الحكم القيصري هنا الشعور القومي ان ينمو ويشتد بحرية وذلك لاضماف النفوذ الالماني المسيطر من عهد قريب كا ان الامبراطور اسكندر الثاني جرد الاكليروس البروتستاني من حسق الاشراف على التعليم وراح يوسع من الحريات المحلية بهذا المرسوم الذي اصدره عام ١٨٦٩ في اعقاب بجاعة مخيفة تضرست بها البلاد وقد اخذ الاقتصاد الفنلندي يتطور مع استثار صناعة الحشب والصمغيات والقطران وصنع رب الورق وعيدان الكبريت . وأنا حدد السكان فيها بسرعة . وأذا اخذت الحكومة الروسية تنظر شزراً الى اشتداد الحركة الوطنية واستفحالها في المنطقة ، فقد المت على نفسها ان تربط بالامبراطورية الروسية ، سوقا تأسطة ومقاطعة لها اهميتها الخاصة من الوجهة الساترة بجية ، وهذا القرن .

فكيف السبيل لعمري الى بعث الحياة في بولونيا وهي على ما نرى مقسمة الى ثلاثـة أجزاء لكل واحد منها محور جذب وسيره الخاص ؟ غير <mark>ان الامة الب</mark>ولونية المتزايد سكانها، المجاهدة<mark>،</mark> الفتي<mark>ة ﴾ تحافظ على وحدتها الروحية . فهذه الآمال الرومنطيقية التي راودت خيالهــــا الجموح ﴾</mark> ذمبت في الارض هباء منثوراً بعد الفشل الذريـم الذي أصاب الثورات التي قامت بها في المنطقة الروسية ، عام ١٨٣٧ و ١٨٦٣ ، على اثر الغاء جهورية كراكوفيا ، عام ١٨٤٦ . هـذا الكيان المهلهل الذي بقى من الاستقلال البولوني . فالارستوقر اطبة البولونية فشلت تماماً في مقاومتها الدول الثلاث التي تقاسمت بولونيا من قبل ٬ كا لم يكن بالامكان مجابهتها بنجاح . وجل ما أطل من أمل مرتجي هو احتمال قيام تعاون موصول بين كبار ابنساه غاليسيا وآل هيسبورغ ، كا ان حركة الاغتراب السيامي الكبيرة في جميع أرجاء اوروبا عجزت في محاولتهما إثارة أي رغبة في تمديل مماهدات ١٨١٥ ، كا ان انتصار بروسيا على فرنسا عام ١٨٧٠ ، والتفاهم القائم بسين الاباطرة الثلاثة ؟ أبعدت عن الانظار مثل هذا السراب الغرار ؟ ومنذ ذلك الحين ؟ غلبت على القائمين بالحركة و النظرة الواقعية أو الموضوعية ، ، أي النظرة الى الواقع بالعسين المجسردة ، أي محاولة الصمود في وجه كل حركة ترمي الى « جرمنة » و « ترويس » البلاد ، والاقبال على تقوية بولونيا اكثر اخذاً بأسباب العصر ، واكثر إقبالاً على أسباب التصنيع ، مع العلم ان نشاطاتهما الرئيسية تسيطر عليها العناصر اليهودية والالمانية . كذلك اخذ يبرز الضمير الوطني اكثر تحوراً بسين البورجوازيسين الاحسداث واكثر اشتراكية بين رجال الفكر والادب واكثرهم من طبقة البروليتاريا الذين راحوا يمولون على الدرر الذي ستلمبه ، في المستقبل الطالع ، حركة هماليه ناشطة . ففي الشطر الالماني ، راح الفلاحون ورجال الاكليروس الكاثوليسكي يقودون حركة الصمود في وجه عملية و جرمنة ، البلاد الواسعة ، في المدرسة والريف . أما في الشطر الروسي فقد آلت حركة و ترويس ، البولونيين الى نشر الامية بين جماهير الشعب . وعلى عكس ذلك برز الوضع في غاليسيا ، أي في الشطر النمساوي حيث سيطر جو حليم خفيف الوطائة ، اد تتمت المقاطمة بشيء من الاستقلال الاداري والثقافي جاء يوثق من روابط الاتفاق الذي شد الروابط بين أعيان المقاطمة من جهة ، وبين حكومة فيينا التي أخذت تشجع تدريس البولونية في مقاطمة لفوف (ليوبول) ، هذه المقاطمة التي ألفت مع كراكوفيا ، مشملا للآداب ومنارة للعلوم والفنون وهذه البرودة التي دبت الى العلاقات بين روسيا وبين الامبراطوريتين المركزيتين للملوم والفنون وهذه البرودة التي دبت الى العلاقات بين روسيا وبين الامبراطوريتين المركزيتين المركزيتين المردين ، ساعدت بدورها على بعث الامل في قرب انبعاث بولونيا الى الوجود .

وتاريخ الاقلية التشيكية اخذ مجراه ضمن الملكية النمساوية . ففي بوهيميا نفسهب عرى العنصرين الالماني والتشيكي تارة على وفاق وط<mark>وراً في خ</mark>صام . فالاول منها، اي الالماني ، يحتل المنطقة الجلسة الغنمة بمادنها واحراجها ونشطت فيها ، كما هي الحال في ساكس وفي سيليزيا ، صناعة النسيج. أما الثاني وفيسكن التجويف الجفرافي الذي يحيق بالعاصمة براغالتاريخية وبمدينة بازن المروفة بصناعتها الحديدية ويطالب عالياً وبحقوقه الناريخية ، في مذه المقاطمات التاريخية التي خصت عرش الملك فنسسلاس، اي باعادة مملكة بوهيميا الى الوجود ، ومن ضمنها مورافياو <mark>سيليزياً.</mark> هنالك ارستوقراطية تشبكية ألمانية ألفت التعاون مع فيينا وراحت تعتمه فينشاطها السياسي ⁴ على آل هبسبورغ ، كما قام من جهة أخرى ، بين بوهيميا والنمسا روابط اقتصادية مثينة. وهذا الوضع بالذات حمل بلاتشكي على التصريح بمد الفشل الذي اصيبت به حركة الجامعة السلافية الفدرالية ، عام ١٨٤٨ ، قائلا: دلو لم توجد الامبراطورية النمساوية من عهد بعيد ، لوجب العمل على انشائها في الحال فير اوروبا جماء، ولذا جاء الاتفاق (بين النمساو الجر) صدمة عنيفة للحركة النمسارية السلافية التي لم تكن لتحقى في قلب مقاطعة سيسليتانيا ، سوى تنازلات جزئية ، كاردواجية اللغة مثلا وكانشاء جامعة تشيكية . وبذلك اخفقت المساعي الى عقد انفاق نمساوي تشيكي شبيه ب<mark>الاتفاق الج</mark>رى الكرواتي . والحال فالشعب التشيكي المعروف بخصب <mark>تناسل ؛ أخذ يحلق</mark> شيئًا من السيطرة في هذه المناطق المتعددة وأخذت طبقة من البروليتاريا الصناعية وبورجوازية تجارية تزيل تدريجنا الطابع الجرماني العالق ببراغ وباذن ، بينها راحت الطبقة التشيكية المفكرة ، تنبذ هي الاخرى ، الثقافة الالمانية . وقام في وجه حزب « قدامي النشيك ، الذي أخذ نفوذهم الهبوط وحزب التشيك و الفتاة ، الذي رفض التسليم أو القبول بسقوط الحقسوق التاريخية ، وراج يطالب بإنشاء دولة تشيكية ديموقراطية . وهكذا حوالي عام ١٨٩٠ ، وجه الاستاذ توماس مازارين التشيك والسلوفاك نحو الاتحاد معاً لدك السيطرة الجرية النمساويــة . فقد حاول اجتذاب الفلاح السلوفاني في تتراس نحو بوهيميا وهو اكثر تطوراً موصياً بأن الهجوم

يجب ان يتجه ضد بودابست وفيينا على السواء .

بين الشعوب التي خضعت للملكية الهبسبورغية كان الشعب المجري هو اول من يستفيد من هذا الاتفاق. فاذا ما أطلت علينا حركة و مجيرة و قبل عام ١٨٦٧ و إذا ما رفض الزعم المجري كوسوت عام ١٨٤٨ للأقليات الاخرى، في مملكة القديس اسطفانس القديمة ما يطالب به هو اليوم للمجر، راح اولو الامر في بودابست يمارسون ضغطهم الشديد عندما وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ. و فعلى هنفاريا ان تبقى هنفاريا او توت و ، بهذا كان يصرح كولومان تيزا. وهجوم المجري على الروماني اتسم بالمنف و هذا الروماني الذي نزح من جبال توانسلفانيا الشجراء ليستقر في مقاطعة باتات وضواحي بيهور و كذلك هجومه على الصربي القابع في ما الشجراء ليستقر في مقاطعة باتات وضواحي بيهور و كذلك هجومه على الصربي القابع في ميا الاخص و هذا المجري المتمركز في الوسط الذي يرى تحت تصرفه الموظفين ويستخدم في سبيل الاخص و هذا المجري المتمركز في الوسط الذي يرى تحت تصرفه الموظفين ويستخدم في سبيل تحقيق اغراضه الثكنة والمدرسة والجريدة والاكليروس والاحصاءات بعد أن يجري فيها تلاعبا للرأي العام في الخارج و والمدرسة والجريدة والاكليروس والاحصاءات بعد أن يجري فيها تلاعبا للرأي العام في الخارج والضغط ولد دوماً ردات فعل عكسية وقده بالسلوفاك باتجاه براغ وفتح الطريق أمام حزب وطني جديد في رومانيا و حمل الصرب على الاتجاء بنواظرهم نحسو بلغراد و عمل على إثارة واهاجة الحركة اليوغسلافية التي الفت خطراً يحسب لها الف حساب بلغراد و عمل على إثارة واهاجة الحركة اليوغسلافية التي الفت خطراً يحسب لها الف حساب في منفاريا المجرية .

وبعتمل صقالية الجنوب بتيارات متضادة . هنالك بالفعل ثلاث أقليات سلافية : اثنتار منها ترسفان تحت حكم آل هيسبورغ من عهد بعيد هما السلوفين والكروات وتتجهان بانظارهما في فينا ونحو روما كذلك، بوصف سكانها من رعايا الكنيسة الكاثوليكية ، ولا يزال طريا في الاذهان ذكر مرور الفرنسيين في إلليريا والمناداة باستقلالها القصير . اما الاقلية الثالثة ، وهي اكبرها على الاطلاق ، فتتألف من هــولاء الصرب المستقيمي الرأي أو العقيدة الذين خضعوا أجيالا طوالا ، للسيطرة العثانية ، ما حمل قسماً منهم على اعتناق الاسلام . من هنا: صربيا التي تحاول ان تلعب من بلغراد ، نحو الاتواك ، الدور الذي لعبه البيامونت ، ومن هناك زغرب التي قد تصبح عاصمة اتحادية لثلاث اقليات هي كرواتية وسلافونية ودالماتية (La Troyadna) . وقد لمب الامبراطور فرنسوا جوزف آخر ورقة بيده هي حركة اوستروسلافية اخــرى . وقد لمب الامبراطور فرنسوا جوزف آخر ورقة بيده هي حركة اوستروسلافية اخــرى . واله تكن النمسا موجودة لوجب ايجادها في الحال » . برنامج يوغسلافي هــنه المرق ، يضعه فالفريق الكرواتي ويدور حول الكروات ، فينما كانت صربيا تتحرك دائرة على نفسها ، فضلت فيينا وراتي ويدور حول الكروات ، فينما كانت صربيا تتحرك دائرة على نفسها ، فضلت فيينا ان تدخل في مفاوضات مع المجر وتوفقت الى ابعاد السلوفينيين عن الكروات فتلقي بهؤلاء الى ابسدي المجر بينما تحتفظ هي لنفسها ، بهذا الحزب من مقاطعة دالماتيا التي تقطنه أقلية صربية المسدي الجر بينما تحتفظ هي لنفسها ، بهذا الحزب من مقاطعة دالماتيا التي تقطنه أقلية صربية وحرواتية الى جانب اقلية ايطالية الحرى . فكان على كرواتيا ان تنزل عند هــــذا الاتفاق

الغامض الذي وقمه قوم يجيشون كراهية للحركة الصربية ، فلم يبق من ثم أي محل ، بعد هذا التدبير ، لالليريا . وتوترت على الأثر العلاقات بين بودابست وزغرب في الوقت الذي راحت فيه المملكة الثنائية ترافع عن الكاثوليك والمسلمين ضد الارثوذكس في مقاطعتي البوسنه والهرسك التي احتلتها عام ١٨٧٨ . وهكذا لم نسعت بعميدين عن هذا اليوم الذي ستشهد فيسه الجامعسة اليوغوسلافية وقوع انهار الامبراطورية النمساوية ـ المجرية وتفسخها لمنفعة صربيا الكبرى.

وهكذا من البلطيق الى الادرياتيك اشتد هياج الاقليات الواقعة تحت الضغط بالرغم من التطور الذي اصاب مرافق البلاد الاقتصادية ، في الامبراطوربتين الالمانية والنمساوية . ومما هو انكى من هذا كله وارقع في النفس هـو ان تصبح هذه المنطقة مكمناً للخطر يهدد السلام في ارروبا .

تقهر تركيا دبردز الدل البلقانية فشبه الجزيرة البلقان يبدو كثير المزالق واكثرميوعة، فشبه الجزيرة الإيارية المقالية وتجعل منها مناطق موصدة وحجيرات شبه مفلقة ، لا تضم ، بخلاف شبه الجزيرة الايارية المقابسة في الطرف الآخر من البحر المتوسط ، أي صعيد في وسطها ، واصبعت على قاب قوسين وادنى من تحررها من نير الاتراك العانيين وعبوديتهم . من هنا أمام فتح مسيحي جديد . فقد حلت التجزئة على الوحدة الاسمية ، وقد استفحل تدخل الدول الاوروبية في هذه المنطقة التي وقعت في صلب ما يعرف بالقضية الشرقية التي تعني النظر في أمر وراثة أو التصرف بتركة و الرجسل المربض ، اذ نرى من جهة ، الروس يشرئبون بأعناقهم الى القسطنطينية والى المضايق ، كسا نرى من جهة أخرى البريطانيين يقفون في وجههم ويقطعون عليهم الطريق، كما نرى الضفط الجرماني المجري يشتد ليتجه من حوض الدانوب السفلي شطر بحر ايجيه ومنافذ البحر الادرياتيكي . لعبة المجري يشتد ليتجه من حوض الدانوب السفلي شطر بحر ايجيه ومنافذ البحر الادرياتيكي . لعبة مشعبة ، معقدة ، يملل فيها الاتراك النفس بالأمل ان يفضي هذا التنافس الى ترسيخ اقدامهم الدول الاوروبية الكبرى من ينصرها ويقف الى جانبها . وهكذا فطلوع هذه الدول الباقانية الدول الاوروبية الكبرى من ينصرها ويقف الى جانبها . وهكذا فطلوع هذه الدول الباقانية وإطلالتها على الدنيا ، تتم نهزة نهزة ، وفقاً لماجريات السياسة الاوروبية الكبرى من ينصرها ويقف الى جانبها . وهكذا فطلوع هذه الدول الباقانية وإطلالتها على الدنيا ، تتم نهزة نهزة ، وفقاً لماجريات السياسة الاوروبية الدول الدول الاوروبية الكبرى من ينصرة ، وفقاً لماجريات السياسة الاوروبية الدول الدول الاوروبية الكبرى من ينصرة ، وفقاً لماجريات السياسة الاوروبية الدول الدول الدول الدول الدول الدول الدول الدولة المناس المناسة الدول المناسة الدول المناسة الدولة المناس المناسة الدولة المناسة الدولة المناسة الدولة المناسة الدولة المناسة الدولة المناسة الدولة المناسة المناسة الدولة المناسة المناسة المناسة المناسة الدولة المناسة الدولة المناسة المنا

فقد فرضت هذه السياسة على السلطة الديانية ، في مطلع القرن العشرين ، الاعتراف باستقلال اليونان ، وهي سابقة حرصت قوميات عديدة على تذكرها في اليوم العصيب ولكن دولة اليونان هذه التي برزت عام ١٨٢٩ ، جاءت درلة فقيرة ، و قاحلة جرداء ، في معظم مناطقها - هكذا تبدت للامارتين ، عام ١٨٣٣ - لا مال عندها ولا حكومة ، قوامها وكيانها يتألف مسسن مقاطمة الاتيك وجزيرة أوبيه ومقاطعة البلوبونيز القديمة (الموره) وجزر السيكلاد ، وهي تتأرجح بين النفوذ الروسي والنفوذ البريطاني ومع ذلك فسيتناز للها الانكليزين الجزر الاينية ، مالهما الحسط فضمت اليها مقاطعة تساليا وفكرت جديساً بضم جزيرة كريت ومقاطعتي الأبير ومقدونيا ، كما اتجمت بأنظارها نحو شواطيء إيجيه الآسيوية : حركة ضم وتوحيسه

جريئة لعمري ، اذا ما نظرنا الى ضعف وسائل التنفيذ والعمل المتيسرة لديها . فحق الاقتراع العام يفعل فعله ، كما ان الأقبال على العلم والتعلم ينبض في كل صدر . الا ان الاقتصاد الوطني يشكو من الفقر المدقع كما ان الحاجة الشديدة للفنيين ولرؤوس الأموال مقعدة لها مرزحة ، اذ ان تحصيل العلم يفضي بطالبه الى مزاولة المهن الحرة والى الوظائف العامة والى المراكز ذات المرتبك المنريةات والى المعترك السياسي و اثينا التي كانت قصبة صغيرة عند الاستقلال ، ألبانيسة الطابع والسمة اكثر منها يونانية ، قفز عدد سكانها من ١٥ ألف عند المناداة بها عاصمة المبلاد الى ١٠٠٠٠٠٠ شقت فيها الجادات الواسعة في وقت عجزت فيه مرافق الزراعة عن تأمين إعالة السكان الآخذ عددهم بالازدياد بسرعة ، فبعد ان عطلت قلة المواصلات وافتقار البلاد للادوات والاجهزة المسعفة كل حركة وسوء توزيع الملكية في البلاد وتوزيع الاقطاعات التركية لم يجل والاجهزة الصعاب الاملاك الضغمة يرزحون تحت وطأة الضرائب والاعشار . فالاغريقي يؤثر التجارة ، وهنالك جانب كبير من الاغارقة يعملون خارج هسذه المملكة الصغيرة التي أمدتها بافاريا بملك من عندها عقبه ملك آخر من الداغارك ، على أمسل أن يبقى هؤلاء الامراء فوق الحزبيات الحلية التي تنطاحن فيا بينها للاستئثار بأكبر عدد من المنافع . هذا هو لعمري وضم الاعجوبة المونانة . هذا هو لعمري

وهذه اليونان التي تؤلف شبه جزيرة صغيرة في قلب شبه الجزيرة البلقانية مع ما اليها مسن جزر متناثرة وتشعر في الصمي انها قتصل بالبحر الابيض المتوسط بكل جوارحها الما القوميات البلقانية الاخرى التي تتسم بالاحرى بالطابع القاري الشرقي ، فهي تمور وتتحرك ضمن حدود مبهمة لا تستقر على وضع ولا على حال .

هنالك ابن تائه للحركة السلافية يحتل في هذه الجبال الوعرة المسالك ، عش نسر لا يرام ، يخضم لسيطرة العثانيين . هذا البلد يعرف عند الاتراك باسم : كراداخ وعند الايطاليين بالجبل الاسود ، وعند الدوغوسلاف به Tserno (Fora ويطل من عل على نهسر كوتور (كاتارو) . وتؤدي الى هذه الامارة الثيوقراطية التي يؤول الامر فيها لآل باتروفتش نيغوش ومن اليهم مسن هؤلاء الاقوام الرعاة الذين يترواح عددهم بسين ٢٠٠٠ و ٢٥٠ ألف نسمة ، الطريق الوحيدة المعد لعربات الجر . فهو يكاد لا يظهر على الخريطة الجغرافية ، ومع ذلسك فقد كان حصناً من حصون الحركة الصربية منذ ان لاقت صربيا دوشان حتفها في معركة كوسوفو الطاحنة .

و تبعث صربيا من جديد، ولو ببطء فتقتطع محلا لها تحت الشمس ليس بين انهار بانونيا ، بل عند ملتقى نهري الدانوب والساف فيجريا مما في وادي مورافيا باتجياه مقدونيا . وهؤلاء الانكشارية الذين اتخذوا من قلعية بلغراد حصناً حريزاً لهم لم يهدأ يوماً لهم روع ولا بال منذ ان تلاحق على مهاجمتهم ، دونما ملل ، هؤلاء الفلاحون الخوارج الاشداء من سكان المقاطعات

الجماورة يربون قطمان الخنازير في غابة البلوط القريبة ، و غابة عدراء ، في عيني لامارتين الذي زارها عسام ١٨٢٩ . وميلوخ اوبرنيوفتش الذي اعلن نفسه رئيساً اعلى ١٨٢٨ للامة الصربية كان احد مربي الخنازير ، على شاكلة كارا جورج الذي تولى قيادة الثورة في عهد تابليون وراحت الامارة الصربية تجاهد صابرة ، دونيا ضجة في الظاهر ، وتناضل في سبيل التحرر من ربقية الاتواك العبانيين ، محاولة التوسع عبر مجاز نهر المورافا. الا انها عجزت عن الوصول الى احواص مقدونيا ، كا فشلت في عاولتها الاتصال بالشقيق الجبل الاسود . فقد استطاع الاتواك الاحتفاظ بالمجازات التي تفضي من تراقيا الى شواطىء البانيا والى البوسنة . وقد أقصيت ، هيذه الاخيرة عام ١٨٧٨ ، من الدولة السلافية الجنوبية ، التي تخلت عنها روسيا وتركتها وشأنها ، برهة من الدهر ، لتقع تحت تابعية الامبراطورية الاوسائل الضرورية واصبحت عالة على القروض التي تأنيها البحر وانعدمت لديها كل الامكانات والوسائل الضرورية واصبحت عالة على القروض التي تأنيها من الخارج ، وبقيت ممكنة آل اوبرينوفيتش ، حوالي عام ١٨٩٠ ، بلداً فقيراً سكانه الفلاحون من الخارج ، وبقيت ممكنة آل اوبرينوفيتش ، حوالي عام ١٨٩٠ ، بلداً فقيراً سكانه الفلاحون من الخارب و وينمون بسرعة تشدهم بعضاً الى بعض وشائج القربي والناسك مع مجتمعهم . ومسم يتكاثرون وينمون بسرعة تشدم بعضاً الى بعض وشائج القربي والناسك مع مجتمعهم . ومسم مناط امل اليوغسلافيين الوطنيين الذين نظروا اليه نظر الايطاليين الى البيامونت فكان محور وحدتهم وعمل على جبهتين ؛ ضد الاتراك وضد النمسا والمجر .

وقد لعبت الـ Munte المولداف والفـــلاخ ، في مطلع القرن التاسع عشر دوراً يشبه الدور الذي لعبته مستولاً عند صغار المزارعين والرعاة الرومانيين متخلين عن الـ Cimp او السهل، للاسياد الروس Echaumadia عند صغار المزارعين العاملين عندهم لعبودية الارض تجار الحي اليوناني الممروف بالفنار . في استنبول فالثورة اليونانية أقصت سلطة السلطان عن الفناريين واستبدلتهم بأمراء محليين من ابناء اليونان جرى انتخابهم من قبل الـ Boiars hospodars الروس . ومع استوقر اطية الاقطاعية حررت الفلاحين واولتهم ، عام ١٨٦٤ ، حتى تملك الارض ، على غرار ما فعلته الحركة الاصلاحية الزراعية في روسيا ، الا انها لم تفقـــد شيئاً من سيطرتها وبأسها بهذا الاستقلال الذي سام تابوليون الثالث بتحقيقه . فهي تحكم رومانيا المولدو - فالاخ تحت ستار دستور معلن ، وتفتح ابواب البلاد امـــام رؤوس الاموال الاجنبية التي تطمح الى السيطرة على ثروات البلاد من الحبوب والخشب والبترول . وهذا الاستثار حرص على ان يبقي متدنيا ، مستوى العيش في شعب خصب التناسل ، سريع الخاطر ، حاد الذهن .

والسياسة الحزبية التي تعلن عن نفسها متحررة ، لم تحال قط دون ثورة الفلاحين ولا دون اضطهاد الاقلية اليهودية في البلاد والغالبة الوجود في المدن أن هنالك نخبة صغيرة ثقافتها فرنسية تقطن قلب بخارست تقابلها هذه الجماهير الريفية التي تتسكم في الجهل والجهالة والسي تفتقر في الصميم لكل جهاز وآلة ، تشاطر الحيوانات الاهلية مسكنها الذي يتألف عادة من اكواخمن اللبن او من روث البقر المجمفف سقفه المعروف من القش أو من القصب ، في جو قاس منفر ، هذا وضع

تفح منه رائحة الروسي الذي يصدر الحبوب في الوقت الذي يتضور الفلاح فيه جوعاً. فالوفيات بينها عالية والانسال في خصب غريب. فرومانيا التي كانت تعد عام ١٩٠٠ خسة ملايسين نسمة هي اكثر دول البلقان سكانا. فضمهم لمقاطعة دو برودجه القفراوية على البحر الاسود لم يموض عليهم خسارتهم لمقاطعة بسارابيا الجنوبية التي اضطروا المتخلي عنها للروس. اما هذه الاتفاقات التي توصلوا الى عقدها مع فينا ومع برلين بتأثير الملك شارل هو هنزولرن فهي لا تنسجم كثيراً ما قبح بها سكان رومانيا المعاصرون عند الدانوب السفلي.

والى الجنوب من هذا النهر تبرز بوضوح سيطرة الاتراك. فأينا أجلت النظروقعت منك المين على الاملاك الضخمة و والجفتلك ، التي تعود لهؤلاء البكاوات والآغاوات والفلاح فيها مشدود الى الارض شدا وثيقا تابعاً لها يرزح تحت الجزية والخراج . فقد سجل الاسلام هنا ارتدادات كثيرة تفادياً من الأهلين الطرد والمسادرة الملاكهم وأراضيهم . وهكذا اعتنق الاسلام البوماك أو بلغار الرودولف والالبانيون في الجنوب وعسدد كبير من قسيرى ودساكر الصرب في البوسنة . ومن جهة ثانية فقد أقام مزارعون اتراك لهم ، هنا وهنالك ، مزارع عديدة ، وفي وادي نهر المارتوا ، حيث خضع الفلاحون لعبودية مرزحة عرفوا هنالك باسم روملي او رومي أو وادي نهر وماني ، الا انهم في الواقع ، من عرق البلغار ، هؤلاء البلغار الذين يرجع أصلهم البعيد الى قمائل الهونز ، تمت صقلبتهم على نطاق واسع واعتنقوا الارثوذكسية واستمسكوا بأراضيهم . وأتيح لهم ان يؤسسوا المبراطورية دامت ردحاً من الزمن ، ولم يلبثوا أن رزحوا تحت ضفط وبعض البندورة والبصل واللبن . فللمدن طابع تركي صرف بمآذنها الشاهقة واسواقها المسقوفة . وبعض البندورة والبصل واللبن . فللمدن طابع تركي صرف بمآذنها الشاهقة واسواقها المسقوفة . ويبدو ان يقطة الضمير القومي في هذا الشعب تمت بصعوبة .

وفجأة أطلت علينا بدافع من أطماع قيصر روسيا عام ١٨٧٠ أكسر خا (امارة) بلغارية كا راح دعاة الروس مجنون الفلاحين المهتاجين على الثورة ويدعونهم لانشاء دولة كبرى لهم ، غتد من البحر الاسود حق مشارف مقدونيا في إطار هذه الاكسر خا . والحال فقد اعتاد السلطان ان مجرك البوماك والارناؤوط المسلمين ضد سرايا الكومتياجي المسيحيين . فالفظاظات السيق اقترفها هؤلاء الباشيزق ، المعروفة في التاريخ « بالمآسي البلغارية » والاضطرابات التي وقعت في المنطقة وامتدت حق البوسنة ، كانت السبب المباشر في اشعال الحرب البلقافية عام ١٨٧٧ ، كانت فرصة لتدخل الجيش الروسي فسجل على الاتراك انتصاراً كلفه غالياً . غير ان مؤتم الدبلوماسيين الذي عقد في برلين ، في السنة التالية لم يقر سوى قيام « أمارة مستقلة اداريا خاضعة لولاء السلطان ، هي بلغاريا الجنوبية التي فصلوا عنها المقاطعة الجنوبية المعروفة باسم الروسي عبر وادي مورافيا واعترف للامبراطوارية الحق بادارة البوسنة والهرسك . والثابت ان الامير اسكندر باتنبرغ اي شقيق الامبراطور اسكندر بادارة البوسنة والهرسك . والثابت ان الامير اسكندر باننبرغ اي شقيق الامبراطور اسكندر الناني اخذ منذ عام ١٨٨٠ ، يعتبر نفسه « امير بلغاريا الشهالية والجنوبية » الا انه لم يلبث ان الماني اخذ منذ عام ١٨٨٠ ، يعتبر نفسه « امير بلغاريا الشهالية والجنوبية » الا انه لم يلبث ان

اختلف والقيصر واضطر أن يرفع استقالته كما اضطر خليفته آلآمسير فرديتان الأول من اسرة ساكس كوبورج الملقب « برثيس الدساسين » أن يهد الطريق لمدة طويسلة وأن يراعي جانب الدول الكبرى وأن ينمي الموارد اللازمة لأمة خصب الانسال فيها والتوالد لا يقل بشيء عما هي عليه جاراتها من هذا القبيل عمدفوعة إلى ذلك بما تركز في طبيعتها من حب العمل ومسافيها من عطش ورغبة في العلم أذا ما أرادت يومساً أن تعاود سيرتها في جمع شمسل كل الشعب البلغارى .

الا ان تركيا لا تزال تسيطر على بمر ضيق من الاراضي ينطلق من المضايق ويستمر بلا انقطاع حتى يتصل بتراقيا وجبال رودولف بمقدونيا والبانيا والأبير حيث يؤلف الاقدوام فسيفساء مده<mark>شة من الش</mark>عوب والاجناس.ويقوم الى الغرب من هذا المهر المرق الالباني، كاثوليكيا كان او ارثوذ كسياً او مسلماً ويعيش مستقلا في جبال صعبة المرتقى كثيرة الانحدار ، تنتهي بسهل ساحلي ضيق يمتد على سيف البحر. أما في الوسط ، فتقوم مقاطعة مقدونيا، ذات الاسم الساحر ، وهي تتألف من كتلة الجبال الصعبة ومن الناس ساكني تلك الجبال ، وهم اقوام يفتقرون الى عرقية واضحة المعالم ، ينظر اليونان الى هذه المنطقة باشتهاء وازورار ، كما يحدجون بأنظارهم سالونيك حيث يؤلفون ، مع اليهود ، اكارية هؤلاء اليهود الذين قدموا من اسبانيا واستولوا على مرافق البلاد التجارية ، كما أن الصرب كانوا يطالبون بها لأنف<mark>سهم تحت س</mark>تار رابطة اللهجة الحكمية؛ يجوبها ظمناً بمواشيهم ، اقوام من رعاة الالبانيين والفالاخ . وفي نهاية الامر يستقر الاتراك فيها وقسيد زرعوا فيها الفوضى باهالهم الفاضح ٤ وعرفوا ان يستثمروا لمصلحتهم الحاصة المنافسات الحامية مقاطمة تراقيا التي تؤلف مفارقا طبيعياً للطرق المتصالبة ، وهي مقاطمة تتميز بطابعها السهلي يتشبث الاتراك بملكيتها كا يطالب بها البلغار على السواء. فهي تضم الرأسين الجفرافيين المندقمين في البحر بالجاء آسيا احدهما محمل عاصمة السلطنة التي تسهر الدول الكبرى العظمى على سلامتها وبقائها بغيرة وحرص كمبرين .

فهذا الجزء من اوروبا الجنوبية الشرقية ، لم يعد اوروبيا بالفعل . فبعسد ان وزح اجيالاً منطاولة تحت وطأة الاتراك الذين اهملوا شأنه وأساؤرا استغلاله ، فقد وقع فريسة سهسلة للتقسيات السياسية بين قوميات مخشوشنة ، مفتولة العضلات ، حربية المزاج فقيرة الحسال ، عرضة دوما للفوضى والاضطراب ، وهو وضع لم تحاول الدول الاوروبية الكبرى التخفيف من حدثه او ادخال اي تعديل عليه . وموقف ألبانيا يذكرنا حتما بموقف مقاطعة القبائل في الجزائر كا تذكرنا مقدونيا بسوريا . اما هذه المدنية الزراعية والراعوية بما لها من عادات مجتمعية ، واعراف قومية وانعاط العيش السائدة بين اقوامها ، فهي تذكرنا ، وبحق ، بروسيا القريبة منها .

العهد الاستبدادي الروسي والنظام القديم قبل حرب القرم

للامبراطورية الروسية منذ حرب التحرير التي خاضتها ضد الفتح النابوليوني نفوذ كبير . فهي الحامية للنظام التقليدي السائد في اوروبا ، وهي الهادفة باستمرار ، الى تحقيست

د الحلم اليوناني القديم ، متابعة فتوحاتها الداوية في قلب آسيا وأطرافها الشهالية الشرقية . الا ان حرب القرم وما رافقها من شؤون وشجون وماجريات كشفت بجلاء عن عورات هــذا الحكم المطلق وعن خلخلته .

هنالك سلطة تفرض الطاعة المساء ، وشعب يأخذ بالخرافات والاساطير ، واحكليوس كهنته جهلة أميون لا اخلاق لهم ولا اعتبار ، يعمل في خدمة السلطان المستبد ويأتمر بحركات بنانه ، وطبقة من اساد الارض يتمتعون بامتمازات عريضة شريطة السير في ركاب الحكومة والنظام ومساعدتها على ابقياء الفلاح تحت ولائها ، وطبقة من الموظفين هم من البساطية والسذاجة ما يخفف كثيراً من وقع تصرفهم الكيفي ؛ الا أن الكسل والاهمال والعجرفة. أصارتهم مكروهين من الناس , (من الماديء التي سارت بينهم ان الكل يسرقون ؟ وان يسوع المسيح نفسه كان سرق لو لم تكن يداه مسمرتين على الصلب) ، وشرطة بوليسية المسا عاكمها الخاصة تخضع البلاد والشعب لمراقبة شديدة ضبقة ، ولنظام حجر صحى آسر شديب يتصل نشاطه خارج روسيا ويعمل بغير علم السفارات الروسية ، وجيش بطاش هــو أداة لفرض هيبة الحكم والنظام في البلاد واداة الفتوحات الاست<mark>مارية والا</mark> ان عدم الانضباط فت في عضده. أما جهرة الفلاحين فهي حيناً راضخة مستسلمة لمصيرها ٤ وحينا متذمرة متأففة من وضعها المرز<mark>ح ا</mark>لمرهق ٬ نزّاعة الى ردود فعل بربرية وحشية ٬ <mark>تكره ن</mark>ظارها وتحقد على وكلائهـــا ٬ ألفت الحياة الجنمعية ، وتكالبت على الارض بنهم ، متخاذلة في مطالبتها بالتحرر من رق الارض وعبودية الفدانة (ظهري مطية لك يا سيدي ؛ اما الارض فهي لي) ، هاجزة ، مم كل هذا ؛ عن أدخال أي تحسين على الوضع الزرى الذي يكتنفها . هنالك طبقة بورجوازيــــة ؛ متوسطة وطبقة من أصحاب الحرف منصبة على العمل (د فليس في روسيا من طبقة ثالثة او طبقة الشعب ، كما قلاحظ مجى مدام دى ستال) . هذالك صناعة مرتبطة بالدولة رأسا او بيعض الاس<mark>ر الشريفة</mark> ،أو بأصحاب رؤوس اموال اجنبية تحميها التعريفات الرسمية؛ <mark>تسير في</mark> تقاليدها الرعمة الا تحدد عنها ولا تجدد فيها . (فالأمير اطورية تتوقف عن تصدير ما تنتجه من الحديد عندما لا تلاقي شاريا او زبونا يرغب فيه بينما تستمر في بيع الحبوب) ومخلاف ما نشاهد في الغرب ، فالثروة المنقولة محدودة للغاية ؛ والحرف اليدوية تفتقر اصلا ، للآلة وتفضل العمل الريسف حيث تتوفر لهما اليد العاملة . والمدن تشبه ، في سوادها الاكس ، قرى وضداعا كبيرة منازلها من الخشب ، بعضها يستخدم كقلاع او حصون كما احياؤها المقفلة ولها ما يعرف عندهم بـ Kreml ، والحركة التجارية في البلاد مشاولة لمدم وجود طرق للمواصلات يسهل معهـــــا التنقل والانتقال ٬ والتضييقات المفروضة عليها من قبل الاجراءات القانونية من جهــة ولقلة النقد بين ايدى الناس ، من جهة ثانية . كل شيء في هذا الهيكل الاجتماعي القاقم في البلاد ، وفي العقلية المسيطرة على الناس يقف في وجه تطور رأس المال الحر الذي يعتبر بحق ، الخير الذي يطلع كل ثورة اقتصادية في البلاد، وسيؤول في نهاية المطاف الى زعزعة نظام الحكم القديم السيادي ، المطلق . فكيف السبيل الى إدخال اصلاحات على المؤسسات والنظم القاقمة في البلاد دون إحداث هزة عنيفة في قلب هذه الطبقة الضخمة من الفلاحين الجهلة وبدون نقل هذه الهزة الى الاقوام الاخرى ، وبالتالي دون مس وحدة البلاد وإثارة التشكك في سلطة القيصر نفسه التي عليها يرتكز كل بناء المدولة ؟ وهكذا ندرك جيداً كيف ان كاتبا مثل غوغول او تورغنيف او سلتيكوف تشيدرين الذين رسموا لنا صورة ناصعة لهذا النبيل المنحرف الاخلاق ، ولها الموظف المختلس، لا يستنكفون عن التنبؤ بالمستقبل الذي ينتظر مثل هذه الروسيا العفنة .

ولكن لم يكن بد لمذه البلاد من ان تنبني الاساليب والاشكال الجديدة التي يعتضيها الانتاج والتبادل التجاري . فوجودها ذاته يتوقف على هذا . فالفشل الذي منيت به الجيوش الروسية امام سبستوبول تعود اسبابه البعيدة التأخر ويجب رد بواعثه الدفينة لهذا الوضع الذي رسفت فيه البلاد . فالغوة الحربية لا يمكن ان تقوم لها قائمة ما لم يدعمها اقتصاد قوي صحيح ، وما لم تطلت البلاد الاساليب البالية التي سارت عليها . وعبثًا 'يخضع القيصر نيقولا الجامعات في البلاد لرقابة خانقة ، ويفرض على الكتب والمنشورات مراقبة لا ترحم ولا تلين ، فهــو اعجز من ان عنم كل اتصال مع الغرب ، ولا يستطيع ان يكم الافكار والالسنة . صحيح انه حدث بعض التطور في الملاد منذ محاولة القتل التي قامت بها جمعية الفحامين السرية. فالافكار المتوارثة عن الثورة الفرنسية تنكفيء وتعود القه<mark>قري في الوقت</mark> الذي تقوم في البلاد ردة ضـــ<mark>د</mark> مقلانية القرن الثامن عشر ، التي تهافتت عليها الاوساط الارستوقراطية تتلقف مبادئها وتماليمها . فقد حل محل الفلسفة الفولتيرية الفلسفة الهيفليانية التي غذت في البيض عبدادة الدولة كما دفعت بالبعض الآخر الى الثورة والتمرد . وهكذا ظهر في البلاد ؛ في اعقاب حرب القرم ، تماران قويان تنازعا السيطرة على الافكار واستبدا بها: تيار والفربيين ، الذين شمروا عمقاً انهم قريبون من خصوم المهد كالاشتراكيين والفوضيين والليبرية البورجوازية اكثر هذه الحركة اللمبرالية ، و « انصار السلافيين » الذين استقر في روعهم أن التقليد الروسي يمكن له ويترتب عليه ان يمهد الطريق لتماون وثيق بين الغيصر والكنيسة الارثوذكسية ، والموجيك (اي الفلاح الروسي) الذي يُشيد كورولينكو وتولستوى بفضائله العليا . ولكن كلا التيارين، ينظر على ما نرى الى الجتمع القروي صاحب المشارع واشكال العمل واهدافه ، نظرة ملؤها الارتياح والرضى . فاذا ما استسلم بعضهم لليأس وراحوا يصفون ما تقاسي النفس الروسية من عذابات اليمة ويصورن الشقاء والبؤس الذي يتسكم فيه المجتمع الروسي الفارق في الفوضى ، فمظم القوم يؤمنون بقدرة البلاد على التجدد كما لا يسقط بمضهم من حسابهم احتمال قيامهسا عيمة ثورونة .

من الواضح أن النهوض بالامة يرتبط أرتباطها وثيقاً بنجاح الازمة الروسية في عهد اسكندر الثاني الاصلاحات وبوادر الحركة

عملية واسعة للاصلاح الزراعي. أن إلغاء رق الارض وتحرير الفلاح لا بزيلان من الطريق كل المقبات . فتحرير الفـــلاح دون تأمين وسائل المنش الكريم له هو بمثابة أعداد مستقبل مليء بالمخاطر والشرور . ولما كان لا يمكن التفكير مطلقاً بصادرة املاك النبلاء دون التمويض عليهم ، كان لا بد من فرض فداء للأرض وفقاً لشروط ، ولو مجحفة نوعاً بعق المسلاك ، بدلاً من شروط يرزح تحتها صاحبها الجديد . ومها يكن ، فعلى السلطة أن تتحرك وأن تقوم بعمل شيء ما . من هذه الاحسداث التاريخية الحاسمة ، الثالث من آذار عسام ١٨٦١ ، اذ فيه يملن القيصر اسكندر الثاني الذي اخذوا بتلقمه ؟ ابتداءً من هذا الموم ﴿ بالحرر › ؛ تحرير الفلاحين . فجمهور الفلاحين يجزل غبطة وسروراً . الا ان خسة الامل لن تتأخر .

المتوجب. فالمتملكون بنالون سبعة هكتارات بوصفهم مزارعين تابعين للتاج وقد تنخفض حصة الواحد الى ٣ هكتارات في الاراضي السيادية حتى تصل الى هكتارين في الاراضي ذات التربة سيبقون يعانون الجوع الذى ستشتد وطأته مع التقسيم الجديد للارض بمد ان يتضاعف عددهم بفضـــل ارتفاع معــدل الموالـــــد في البلاد <mark>. فستمبر</mark>ون أنفسهم قد هـُـزيء بهــــم وراحو<mark>ا ض</mark>حية السرقة بينما تشابك القطم الزراعية <mark>التي نالوها ب</mark>القطمالــــقي بقيت للملا<mark>ك السابق</mark> ستكون مثاراً لدعاو كثيرة امام القضاء كل هذا والنبلاء ينفثون احقاده: فقد اقتطع من حسابهم ليس مبلغ مساو للدين فحسب بل ايضاً لم يستلموا سوى سندات لن تلبث قيمتها أن أصبيت بالهبوط. فلأعجب والحالة هذه ان تبيم املاكها او ان تؤجرها للتجار. فالاملاك التي احتفظت بها لا تستغل بصورة احسن من قبل ، والفلاح الروسي لا يستطيع - لو شاء - أن يعدخل أي تحسين على وسائل الزراعة. وبعض افراد هذه الطبقة لهم من الاراضي اكثر بما تستطيع استثاره (٧٥ مليون هكتار لم يستثمر منها سوى ٢٥ مليونا ؛ حوالي عــام ١٨٨٠ كما ان البعض الآخر الاصلاح عملمة فاشلة من كلا الوحيتين الاقتصادية والاحتاعية

> ردة الفعل ، مكاسب الرأسمالية وبؤس· الجماهير العمالية والزراعية في عهد القيصر اسكندر الثانى

ردت الجماهير الروسمة عـــلي مقتل ﴿ المحرر ، و ﴿ حَسَنَ النمة » بالجود . فحصول سنة ١٨٨١ كان طساكا ان جهاز الدولة عكن من السيطرة على الحركة الإرهابية ، ولم تشهد البلاد سوى بضع مؤامرات فردية منها المؤامرة التي وقعت

عام ١٨٨٧ التي أودت بحياة أوليانوف الشقيق الاكبر للنين . فيمد ان عرف كيف يكسب الوقت باعلانه عن انشاء مجلس عام من الـ Zemstvos وتخفيضه معدل فداء الارض بعد أن جعله

إلزاماً وبانشائه مصرفاً الفلاحين يعني بتسليف الهيئات الزراعية في القرى مسا تحتاج اليه من الاموال لاستثمار اراضيهم وبتخفيض ضربية الاعناق وساعات العمل في المصانع ، وبتنظيم يبعث القرف في النفس ، تحت تأثير استاذه القديم بوبيا دونستزيف الاخصائي الكبير في القانون المدني الذي عين معتمداً المبراطورياً لدى السينودوس المقدس ، والذي راح يدعو الى ملكية. اشتراكية ابوية على اساس من التسلسل الطبيعي . وقد اخذت ردة الفعل تميل نحو النبيلام يمجزون عن استثبار املاكهم ، أعيد الى ال Barine القديم الدور التقليدي الذي مثله من قبل المه وف في الضغط على القوميات الغربية ؛ متبعة في سياستها تلك اسلوباً منهجياً . ولم تلبث السلطة المدنية ان اشتدت وطأتها فضربت بيدمن حديد الطو انف و الملل الاخرى Skopsy (المنحرفين) والعقلاندين ؛ حتى الكاثوليك في بولونها ، والاوثريين في الولايات البلطيقية ، وسببت انزعاجاً كبيراً للبطريوك رئيس الكنيسة الارمنية ولم توفر المسلمين في القفقاس حتى شملت البوذيين في آسيا واشتدت وطأة الاضطهاد خاصة ، على العنصر اليهودي الذي اصبح منذ ذلك الحين هدف لتدابير عنىفة اتخذت ضده. وقد وضع اولو الامر في بطرسبورغ خطة لتحقيق الوحدة فالبلاد. رمت ف<mark>ها</mark> رمت اليه من اهداف الى « ترويس » فنل<mark>ندا والولايا</mark>ت البلطيقية واليولونية و<mark>بساراييا</mark> وطيعها بالطابع الروسي الى حد انها بعثت كردة فعل ؛ حركة انفصالية بين هذه القوميات التي راحت فريسة الضغط والارهاق . وفي الوقت ذاته وجد عهد الاستبداد هــــذا عوناً مالياً ودباوماسيا وعسكريا لدى حكومة الجمهورية الفرنسية في باريس دون ان يقطم علاقات بالامبراطورية الجرمانية .

وهذا الجهد المؤقت الذي بسذله الحكم المطلق في روسيا لاعادة هيبته ونفوذه يجب ربطه بحركة التطور الصناعي الذي اخذت روسيا بأسبابه ، اذ ذاك . فقد تهافتت رؤوس الأمسوال الاجنبية على هذه البلاد بعد ان أخذت بسحر غنى مواردها الطبيعية الهائلة ووثقت بصلاحها للاستمار والاستثار . ففتحت المناجم وارتفعت في كل بقعة ومكان المصانع والمعامل التي اخذ سكان الريف البائسون يتجهون اليها من كل فج وصوب من جميع انحاء البلاد .

والاحصاء الاول الذي وقع عام ١٨٩٧ ، دل على ان سكان البلاد قفز عددهم الى ١٢٥ مليونا بعد ان كان ٥٧ مليونا عام ١٨٥٠ ، كما اثبت ان مقابل ٣ ملايين من صفار المسلاكين ينممون باليسر كما استقر في الاذهان ، هنالك ٢٧ مليونا روسياً هم من البروليتساريا يعملون في خدمة الصناعة ، و٣٦ مليونا من صفار الفلاحين الملاكين الفقراء و ١١ مليونا من البروليتساريا المزارعين . ويشير الاحصاء بشيء من الرضى الى الارقام العالية التي سجلها الانتاج في البلاد . اكتسبت الانبراطورية الروسية ، في بعض الجالات ، عملا مرموقا بين الدول الاقتعسادية

الكبرى ؛ إلا انها تبقى عاجزة عن تلبية حاجة الاهلين من الغذاء . فهي تسجل ادنى مستوى للعيش على الاطلاق في اوروبا وتشير غالباً الى صادرات البلاد العظيمة من القمح وتهمل تمامك الاشارة الى الفقر والجماعة الضاربة اطنابها فيها .

وقد شجع Rejtern بوصفه وزيراً للمالية في عهد القيصر اسكندر الثاني مرافق الصناعة في البلاد ، وهي سياسة تبنيّاها وسار عليه<mark>ا خلفاؤه في ه</mark>ذه الوزارة ، امثال بونسج وفتشسنفرادسكي وفيت (الذي كان موسيقياً أعجب بليست وشرحـــــــه) . واقبلت روسيا تقترض من الخارج واستجابت الدول لنداءاتها في هذا المجال . فالدين العام زاد خسة اضعاف واربى على خمسة مليارات عام ١٨٩٥ كما ان النظام المصر في تطور في البلاد بسرعة . والدليل التجاري الاعلى الذي كان عمدل ١٠٠ في الفاترة الواقمة بين ١٨٠٠ ــ ١٨٢٥ ارتفع الى ٩٧٢٠الفاترة الواقعة بين ١٨٧٤ – ١٨٩٩ في حين أن عدد السكان لم يرتفع الا ثلاثة أضعاف . وهكذا دخلت روسيا حلبة النجارة الدولية على حساب طبقة الفلاحين فيها التي أستبيحت كما أن الطبقات الشعبية فيها راحت فريسة ضرائب ورسوم مرزحة ومها يكن فقد ساعد تهافت رؤوس الأموال الاجنبية على توسيع شبكة الخطوط الحديدية ٬ وأصلاح المرافىء والموانىء البحرية والاقنـــــة النهرية ؛ والصناعات الاستخراجية والانتاج الميكانيكي والمنسوجات في كل من بطرسبورغ وموسكو واوركرانيا . من الرواد في هذا المدان <mark>ولا سيا في حوض الدوناتر ؛ الروسي يوهل</mark> الذي عرف أن يستثمر رؤوس أموال فرنسية والانكليزي يوث . وتولى فرنسيون مسن مدينة ليون ، ادارة شركة كاما الني راحت تعنى بانتاج الصب والصفائح الحديدية ، كما اشرف غيرهم على صناعة الحرير في منطقة موسكو . وشغل بلجيكيون ، والمان مراكز هامة في البلاد وفي هذا العهد راح السويدي لودفيخ شقيق ألفرد نوبل ، وهو من رجال الصناعة المشهورين اذ ذاك ، يتعهد بناء البوارج الحربية في كرونستادت . واخذ يدعو لبترول باكو كها راح يصمم الصهاريج وبواخر النقل الخاص بالبترول.

وأخذت المدن العالية تنمو وتكبر بعد ان 'شيدت على عجل دون الاهتام كثيراً بوسائل الراحة والترفيه. هنالك مساكن يفترش ساكنوها الارض العراء لا حصير فيها ولا فراش. وقد اعد ت بعض الشركات لعالها مباني ضخمة جهزوها بالحسامات والمفاسل وراح بعض ارباب العمل يفرضون على العمال شراء موادهم الفذائية من نحازن التموين التي انشاوها بالقرب من هذه المباني ، كما ان العمال راحوا يؤلفون لهم ، في بعض الاماكن تعاونيات لتأسين حاجياتهم . واليد العاملة غير مستقرة تفرض عليها ايام عمل شاقة وطويلة بأجر سيء وانتاج ضعيف ، كثيراً ما يتمرض العمال فيها لحوادث العمل ، ينمون فيهم روح النقمة وحب الثار والانتقام . ومنذ عام ١٨٨٠ ، قامت في البلاد إضرابات عديدة أدت الى هبوط كبير في الاجدور كما ان ارباب العمل كثيراً ما حمدوا الى اقتطاع بعض اجور العمال اقتصاصاً منهم لسوء العمل . وهذه الاسباب

راحت حكومة القيصر تحاول الحد من هذه التصرفات الصارخة وترسم سياسة اجتاعية التسم روحها الابوية .

ومع ان الطابس العام للبلاد هو طابسع ريفي فلم يستند. الفلاح الروسي كثيراً مسن فوائسه الصناعة . من المفارقات الصارخة ، هذه الأراضي ذات التربة السوداء الصالحة لانتاج القمح . فقطعالارض في منتهى الصغر رحيث تشتد الم<mark>جا</mark>عة فتصبح غيفة (فقد ضربت مجاعة عام ١٨٩١ أرضاً تبلغ مساحتها مساحة فرنسا) اذ يضطر المنتج ان يبيع غلته في الخريف ليدفع ما يترثب عليه من الضرائب والاقساط السنوية المستحقة عليه ثم يضطر بعد ذلك لشراء حاجته من البذار بسمر أعلى مقتنما في غذائه وغذاء ذويه بطمام ردىء . منالك سبمائة ملاك يزيد مجموع ما علكون من الاراضى على ٢٠٠ ملمون هكتار . بينها ١٠٠٠٠٠ من صفار الملاكين لا يزيد مجموع املاكهم على ٣٠٤٠٠٠٠ هكتار . وقد استطاع واكلة ، الاراضي أن يفتصبوا، شيئًا فشيئًا اطيب الاراضي المشاعية التابعة للهيئات البلدية ، بينا نرى فقراء الفلاحين ، في كل مسكان ، في خصام موسول مع هؤلاء القولاق . من هذه البروليتاريا الريفية الآخسة، دوماً بالأزدياد والنمو قسم يتجه نحو الممل او يلتحق ببعض ورش العمل ، كما راح قسم آخر منها يملل النفس بسسأن يستقر بوما في سيبريا حيث تنتظره متاعب الحياة ومنفصاتها . وهكذا نرى الوف ما من مؤلاء البؤساء يجوبون الارض سيراً على الاقدام لا يملكون شروى نقير او ما يمكنهم من ركوب القطار فيتساقط عدد كبير منهم عناء ويموتون فريسة الشقاء والبؤس. فظروف العيش لم تتغير كثيراً عن تلك الظروف التي رسف فيها أرقاء الارض .ولم ي<mark>مد الموجيك</mark> يردد : د ليس غير الكسالي لا يوجه لنا اللطمة ، ، فهو لا يزال برى كا في الماضي : د ان الله بميد عنه في الاعالي ، كما ان القيصر بعيد عنه جــداً في قصره . ففي خضرعه دوماً للحياة الجاعية ولمقتضياته ، فهو يرى نفسه مضطراً لتكييف نفسه ضمن الجدار الذي يحيط بكوخه الحقير - عزبة الشال - المبنية من الخشب ؛ لا نافذة لها ، يحتل الوجاق جانبا كبيراً من كوخه ، ينام فيه صاحبه مع اولاده بملابسهم، أو خطة الجنوب، من اللبن وأحيانًا من القش اليابس. ليس في هذا المسكن من صابون، وقد يفتقر أحيانًا للاضاءة ؟ كا يفتقر لبعده عن الغابة للحطب ؟ فيقنع ؟ ولا اختيار له ؟ بالقش والتبن . فالازدحام انها يعني : الاختلاط والفساد . فالبياي عندم من الكماليات (واعطاء بقشيس؛ في الروسية ؛ انها يعني: اعطاء شيء من الشاي . . وكثيراً ما يحتسون شراباً اشبه ما يكون بعصير التفاح يستخرجونه من نسغ الدردار وعصيره ، يعرف عندهم «كفاس». فالنقص في المواد الغذائية والادمان على المسكرات يرفعان عالياً من نسبة المحلال الفساد . والامسل في الحياة يبقى ضعيفا كما أن نسبة الوفيات بين الاطفال بقيت عالية جداً (فوالدا ليون تروتسكي مزارعان يهوديان ينعمان باليسر يفقدان أربعة من اولادهم الثانية ، غير ان الخصب في التناسل هو مرتفع جداً ويكون معيناً للمديد من الموزين والفقراء .

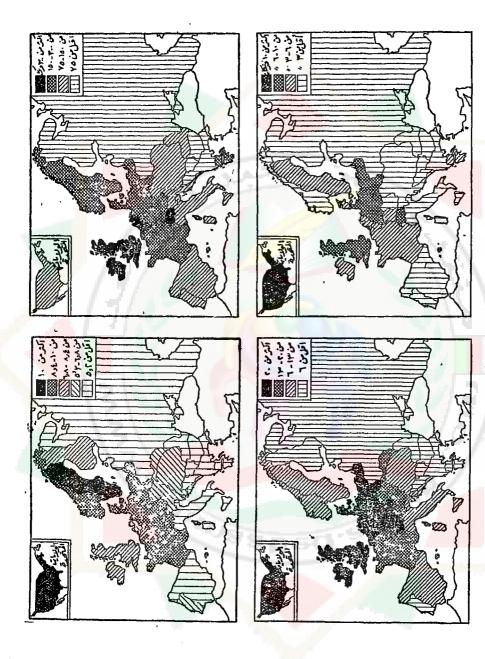
منطران غتلفان لروسيا : نخبة ادبية وفنية ممتازة رتأخر اقتصادي متصل

كانت روسيا ، منذ عهد بعيد ، مثار دهشة الاجانب لما تبديه حضارتها من اضداد ومفارقات . من جهة اخسلاق شعبية ناعمة وان خشنت ملامسها، ومن جهة ثانية ، مجتمع

رفيع مستسلم للذات . هنا ، الجهل والسذاجة الفكرية والعقلية ، وهناك ، مرونة عقلية فائقة.

الادب الروسي أدب غني واقمى ؛ روحاني يصف لنا الموجبك الخشن الطباع والمرح مماً ؛ والتاجر الجشع ، والملاك الفظ بقلب الطفل ، والجذاف العامل على النهر ، والمتشرد التاله الذي لا حذر له ولا ينتمي لطبقة . فمن بوشكين الى نكر اسوف الى بلوك ، ومن غوغسول الى دوستويفكى ، ومن تشيخوف وتولستوى الى غوركي يفتر الادب الروسى عن شمر او قص<mark>ة أو</mark> اقصوصة بلغت سدرة المنتهي بما تمور به من خيال مجنح ونقد لاذع وجــــزالة ادهشت اوروبا المعرفة لا يروى له غلمل ٬ وبقفزة واح<u>ــدة ير</u>تفع الفكر الروسي الى ابعد الحلول جرأة . فالانجازات العلمية عديدة ٬ سواء التجريدية منها والعملية الواقعية . صحيح أن الألهام الهن<mark>دسي</mark> الذي نسم من الوحي الديني خبا وكأنه جف وغار ؟ الا ان معظم المنازل السكنمة والمياني هي مستوحاة من الطراز الكلاسيكي أو الطراز الغريب الذي غلب على اوروبا الغربية . ومـــــــم ذلك ، نحن أمام بوادر نهضة فنية روسية المصدر سلافية الينبوع، كا نرى ذلك في كنيسة المخلص في موسكو ٬ ومدارس الرمم الجديدة من الطراز ال<mark>رومنطبقي</mark> او من الطراز الواقعيي ٬ ور<mark>سم</mark> المناظر <mark>ال</mark>طبيعية مع وفرة من التحف والنقش والحفر والر<mark>سم التزييني ؟ الا ان مظاهر الحساسية</mark> الروسية تجلت على اكملها في الموسيقي . فبينها نرى تشايكروفسكي وغــلازونوف وروبنشتان يقمون تحت سحر الموسيقي الالمانية ؛ نرى فريقاً كبيراً يستلهم مجق الادب الشعبي القومي والاغاني الفلكلورية ، والرقص القومي وأناشد الطقوس الدينية امثال غلينكما ومن امثلهم دارغومسكي اولاً ، ثم (الخاسي ، او الفريق المخمس الصغير Koutchko (او الكومة الصغيرة) كاكان يلقبهم بسخرية خصومهم ومنافسوهم . وقسم برَّز بينهم : بوردوين ورمسكى – كورساكوف وموسورغسكي الذين خرجوا لنا بأنفام والحان موسيقية تأخذ بمجامع القلب لما تتسم به من سمو وروعة ومناغاة وانسجام . وقد تتلمذ على رمسكى كل من سترافنسكى وبروكوفييف وخوستاكوفتش . كذلك عرف رقص الباليه المستوحى من الرقص الشعبي نجاحاً غريباً ، وقع تحت سحره كثيرون من سكان المدن : « فالباليه المسكوبية هي ، ولا شك اكبر لذة يمكن أن يستمتم بها مشاهد ، كا كانت تشهد بذلك مدام جولييت .

تمثل روسيا في الخريطة مساحة كبيرة أذ تؤلف مع مستعمراتها في آسيا كتلة واحدة . فهي في مقدمة الدول الاوروبية بكثرة سكانها ويكون العسكريون لهم فكرة عن الجيش الاحتياطي الذي يتوفر لها كا يكون علماء الاقتصاد فكرة لهم للوارد الطبيعية الهائلة التي تتوفر لهسيا . والحال ، فبالرغم من التطورات العظيمة التي حققتها خلال جيل ، فنشاطاتها لا تؤلف مع ذلك



٣٠) . اعل ، الى الدين : المتجاوة بالنسبة للفرد الواحد (معدل ٩٧ ، فرنكا) . اسفل الى السين : تقةات الدول على التعليم العام بالنسبة للفرد الواحد . اعل ، الى الشمال : الخطوط الحديدية : عدد الكيلومتران لسجل دنسمة (ممدل ٢٠٠١)اسفل ، الى اليمين : عدد الرسائل والبطاقات البريدية المرسلة بالنسبة للفرد الواحد (معدل شكل رقم ٢٠ - نشاط اورويا سنة ١٨٨٠

شيئًا يذكر ' اذا ما قورنت بنشاطات دول اوروبا الغربية والوسطى . قمحصول روسياً من القمح في أواخر عبد استختير الثالث كان يوازي بالنسبة للقارة اجمع 10/ من القمح ' يربى على 70/ من ماشيتها الحالاً تنتج سوى ٢ بالمائة من الفحم ' و ٤ بالمائة من الصب ' و ٣ من الفولاذ ' ولا تصدر سوى ٤ بالمائة من الرسائل وعلها لا يرفرف الاعلى ٣ بالمائة من مجموع السفن التجارية في العالم ' كا لا تساوي تجارتها مع الخارج سوى ٤٠٤ بالمائة من مجموع الصادرات العالمية . الما مدارسها فلا تضم سوى ٢٤ تلميذاً لكل الف نسمة (١٢٧ في المائيا ' و ١٤٠ في السويد) .

قاذا ما سببت منّاهج القيصرية وأعمالها القلق ؛ فالمراقبون السياسيون يشددون على مسا وللمملاق الروسي من اقدام سرّيعة العطب » . وعندما اعلن القيصر نيقولا الثاني ، إثر اعتلائه العرش ؛ عام ١٨٩٤ ، عن عزمه بالدفاع عن مبادى والسلطة المستبدة ، كان الشك يخيم بالقمل حول حيوية هذا النظام بالنسبة للحاجات الكبرى التي يشعر الشعب الروسي اليها وبالنسبة للقوى الجديدة التي كانت تعتمل فيه .'



اذا كانت اوروبا مدينة لتوسعها الخاص بارتفاع مستوى معيشتها واثراء ثقافتها ، فانها قسد اوجدت بدورها مجتمعات جديدة على صورتها وزعزعت اكبثر الاوساط البشرية اختلافاً عن وسطها . الا ان هذه الاوساط – المتنوعة جداً – لم تتطور الا ببطء ، وقد استساغ كل منها على طريقته ، وبنسبة متفاوتة ، ما أتى به الاجنبي . فان المسالم الشهالي ، وافريقيا السوداء ، وشطراً كبيراً ممن اطلق عليهم بصورة عامة ، اسم البدائيين قد تقبلوا ما أتام دون ان يصدر عنهم ردة فعل تذكر . واخذ الاسلام ، بكليته تقريباً ، يرزح تحت سيطرة اوروبا ، ولكنه لم يتخل عن شخصيته الميزة القوية . وسلمت آسيا الرياح الموسمية تسليماً متفاوتاً بدخول الحضارة يتخل عن شخصيته الميزة القوية . وسلمت آسيا الرياح الموسمية تسليماً متفاوتاً بدخول الحضارة الاوروبية وقاومت جماهيرها الكثيفة طرائف اوروبا بتقليدية متصلبة ؛ واذا ما أخذت اليابان تذعن في النهاية لطرائق البيض ، فانها قد فعلت ذلك و كأنها تقصد مقاومتهم مقاومة أجدى . وكاد العالم اللاتيني الامير كي ، الذي كان بالامس اسبانيا وبورتفاليا ، لا يخفي الملامح السق تكورن شخصية هذه الارض المميزة . ومجدر افت النظر اخيراً الى ان الموالم الانكاوساكسونية نفسها في اميركا وافريقيا واوستراليسا ، لم تكن ، ولم تستطع ان تكون ، صورة صحيحة لبريطانيا العظمى القدية .

ويغصل وللأولاب

المجتمعات الشمالية الحقيرة .

ادت الاستكشافات والتجارة ، حول الحوض القطبي الشالي المتوسط الامبراطورية الروسية واميركا الشمالية ، الى اخراج شعوب اقصى الشمال من عزلتها . فكان هنالك الشعوب الرعاة التي اعتمدت في معيشتها على حليب الر"نة ، لجها وجلدها ، والتي وفرت لهماالاحراج الشمالية بعض الموارد الاضافية : الى هذه الفئة انتسب قبائل الآسيوييين القدامى ، الا و اوستياك » ، و الا و صاموياد » والا و تونفوز » وقبائل الا واتاباسكيين »الامير كيين. ولكن سواد هذه الشعوب قدتعاطى في الوقت نفسه تربية الرنة واستثمار الموارد البحرية. ونخص بالذكر منها شعب الاسكيمو ألذي امتحال المكاريبو او الرنة الكندية والحيوانات الفروية وحيوانات المضائق الخساصة ؛ وكان يحسن استعمال الخاطوف ويستخدم المزلج الذي تجره الكسلاب ، والسكاياك او زورق الصيد الجلدي ايضاً . وكان يسح جسمه بالادهان ويتلىء من اكلها ؛ ويعيش منفرداً في الايغلو، الوالكوخ الثلجي المؤقت ، طيلة فصل الشتاء البالغ القساوة في هذه المناطق .

ثم جاء الاجنبي ، وقد استهوته الحيوانات الفنية بالفرو والادهان والزبت والجدل والمواد القرنية والعاجية . فبعلب معه المسكان السلاح الناري ، والاداة المعدنية ، والنفظ الذي سهل الطهي والاضاءة ، والطحين والسكر والشاي بما جعل الفذاء اكرتر تنوعاً ولذة ، والكحول وبعض الامراض ايضاً . وزاول القنص بوحشية فأفنى بعض الأنواع الحيوانية وقلب طرائست الحياة ظهراً على عقب . وهكذا فإن اسكيمو اللابرادور قد اهماوا صيد الفقمة وبمثوا اكرن فأكثر عن الرنة الكندية والثملب القطبي واستطابوا الماكولات الجديدة ، ولكن اوبئة الجدري والسل والداء الزهري فتكت بهم فتكا ذريما ؛ فاضمحلوا اضمحلالاً تاما في آلاسكا الشمالية . وكان ان السلطات الكندية والاميركية ادخلت الى مناطق الشمال الفسيحة الرنة السيبيرية التي اخذت تتكاثر تكاثراً فائقاً مطرداً وفكرت بتنمية الرنة الكندية والثور المستك في الارخبيل الخذت تتكاثر تكاثراً فائقاً مطرداً وفكرت بتنمية الرنة الكندية والثور المستك في الارخبيل الخلاسية المنتحدرة من الاسكيمو والسكندينافيين معاً .

وهضل واشاين

النقدم السريع في العوالم الانكلوساكسونية الجديدة

«... هذا العرق الحميط منذ اليوم بالكرة الارضية والمقدر
 له أن يملأها كلها يوماً ... »
 (تشارلز ديلك ، ١٨٦٨) .

الاعمار : مشايات واختلافات المس في القرن التاسع عشر ، في اعتقادمًا، من احداث اكثر إثارة الاعمار : مشايات واختلافات المانتياه من تكون عالم انكلوساكسوني يشمل اميركا الشمالية كلها ومجوع القارة الاوسترالية وارخبيل زيلندا الجديدة وشطراً واسع الاطراف من افريقيا الجنوبية . واننا نطلق على هذا العالم صفة الانكلوساكسوني لان أناساً ينتسبون الى الارخبيل البريطاني او البلدان الاخرى الحيطة ببحر الشمال قد عمروا هذه المساحات الشاسعة ومهروها بطابع حضارتهم .

وهي اوستراليا وزيلندا الجديدة ، في الارجح ، ما تقدمان المثل على خير اعمار تجانساً .
لقد تأخرت بريطانيا في استعمارهما ، ولكنها استعمرتهما بسبرعة ، دون غيرها ، في النصف
الثاني من القرن . ففي الفترة الممتدة من السنة ١٨٥٠ حتى السنة ١٩٠٠ ، بينما لم تتجاوز نسبة
تزايد عدد السكان سنوياً ١٠٥ بالمائة في اوروبا ، بلغت ٢٠٤ في الولايات المتحسدة ، و ١٢٦ في
كندا ، و ٤٠٤ في اوستراليا ، و ٢٠٨ في زبلندا الجديدة . ولم تكن اوستراليا لمدة طويلة سوى
منفى ببعد اليه المجرمون ؛ ومن جهة ثانية ، لم يبد مناخها ملائماً الالتربية المواشي الستي لا
تستلزم يداً عاملة وفيرة . فحدث آنذاك ما عرف بال و اندفاع » وراء الذهب الذي جاء بعيد

الجماعة في ايرلندا وحراك الهجرة تحريكاً فجائياً: فارتفع عدد السكان الى المليون في السنة ١٨٦٠ ، وسوف يبلغ الحسة ملايين في السنة ١٩٠٥ . وإذا تذنت نسبة الولادات في هذه البيئة ، فأن نسبة الوفيات قدد سقطت الى ١٠٠ بالمائة ، والبلاد قد نعمت بنمو طبيعي عاتم . ولم يبلغ البدائيون أو الآسيويون ال ١٠٠ الف نسمة في البلاد . أحسا الد ماوري ، الذين انخفض عددهم إلى ١٠ الفا ، فلم يكن لهم شأن يذكر في السنة ١٨٠٠ إذاء ١٠٠ الف مهاجر مستمعر . ولكن هذه الدول الاوروبية الجديدة التي قامت في الجهة المقابلة لاوروبا على الكرة الارضية قد تميزت ابداً بطابع ضعف الكثافات البالغ .

في افريقيا الجنوبية كان البيض اقلية ازاء السود . فكان هناك اقل من ٥٠٠ الف بويري في جمهوريتي اورانج وبر انسفال ، وزهاء ١٠٠ الف اوروبي ، ثلاثة ارباعهم من البريطسانيين في و الراس ، وناتال ، حوالي السنة ١٨٥٠ ويجب انتظار التهافت على المناجم حتى تؤلف المناصر الآتية من الخارج خطراً جديا على مراكز المهاجرين الاول الذين كانوا يتباهون بأنهم وافريقيون ، ومها يكن من الامر ، فان اتحاد جنوبي افريقيا ، لم يضم غسداة تكونه سوى ١٩٣٠ ١ ١ ١ ١٣٠ من الأمر ، فان اتحاد جنوبي افريقيا ، لم يضم غسداة تكونه سوى ١٩٣٠ ١ ابيض مقابل ؛ ملايين ماون (يدخل في عدادهم ١٩٢١ الف آسيوي) . اما كثافة السكان فكانت اعلى منها في اوستراليا (؛ انفس في الكياومتر المربع مقابل ١) ، على نقيض المهساجرين الذين كانوا دونهم في اوساراليا بصورة عسوسة ، والذين لم يستطيعوا السيطرة عدديا .

ان أوجه الشبه كثيرة بين كندا والارض الاوقيانوسية الكبرى: اتساع الارجاء واقامة في مساحة ضئيلة من الارض قبل وصول مهاجري العالم القديم و إعمار تدريجي متأخر دونه في اوستراليا بالنسبة الى المساحة . وكا في افريقيا و شمبان متقابلان: الشعب الفرنسي الاقسدم استيطانا والشعب البريطاني الذي لم يلبث ان تفوق عدداً و الا ان مصالحة واتحاداً بجديا قسد تحقق هنا لمسلحة الفريقين . اجل ان جاذب الولايات المتحدة الملاصقة قد اخسلي المنطقة من بعض سكانها (اجتاز الحدود قرابة مليون نسمة بين السنة ١٩٦٠ والسنة ١٩٠٠) . الا ان عدد سكان البلاد و التي اعلنت و ممتلكة و في السنة ١٩٦٧ و قد ارتفع من اقل من مليونين في السنة ١٩٥١ الى اكثر من خسة ملايين في السنة ١٩٠٠ و وصحيح كذلك ان مساحات شاسمة ما زالت شبه مقفرة بين الولايات القريبة من نهر و سان – لوران و وبين المحيط الهادي (مجيث لم تكن الكثافة العامة سوى ٢٠٠) و كا امتدت مساحات مقفرة واسمة في اوستراليا بين الولايات الشرقية و الولاية الفربية . و لكن منطقة المروج الكندية كانت مدعوة لمستقبل لامسع ارتسم في الاخر القرن بفضل تزايد عدد المهاجرين تزايداً مطرداً . وقد تجمع الناطقون باللغة الفرنسية في كندا السفلي حول كيبيك ، ثم تكاثروا بسرعة و تقدموا لحو كندا العليا و ممثلين نسبة ٣٠ بالماثة من بحموع السكان ، بينا عمت اللغة الانكليزية الولايات البحرية وسيطرت في مقاطمة اونتاريو مملكت سعيدة في الفرب .

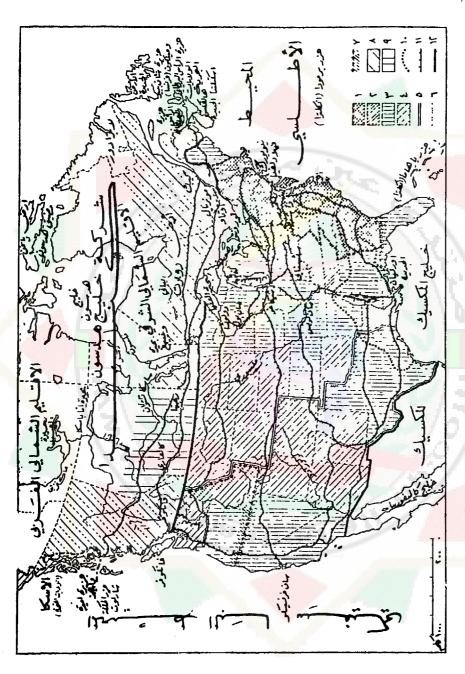
اجتذبت الولايات المتحدة وحدها سلا بشريا دونه السبل البشري الى كافة المناطق السبق

خفق فيها العلم البريطاني . ومرد ذلك الى امكاناتها الانمائية النادرة ، وربما الى استقلالها . سار الاستعار فيها ، كا في كندا ، من الشرق الى الغرب ، وانطلاقا من الشواطىء البحرية ، على ان كل منطقة اميركية قد استعمرت قبل المنطقة الكندية المقابلة . وقد اثار فيها وجود الزنوج والجماعات الآسيوية مسائل تعيد الى الذاكرة مسائل افريقيا الجنوبية ، كا ارتدى الصراع ضد المنود ، في بعض الاحيان ، الطابع الوحشي نفسه الذي ارتدته الحرب الماورية . ولكن اذا لم تنتشر لفتان في الولايات المتعدة كاحدث في كندا ، فان عناصرها البشرية المتنوعة قد خضعت لعملية مزج حازمة اعطتها وجها بميزا .

حوالي السنة ١٨٥٠، وعلى الرغم من أن المهاجرين أتوا من الارخبيل البريطاني وحده تقريباً كان مثال اله ويانكي ، الاميركي قد برز بصورة واضحة . وتفسير ذلك ان تكافر سكات الولايات قد فاق المهاجرين الجدد منذ القرن الثامن عشر ؟ فلم يدخل البلاد اكثر من مليون شخص حتى السنة ١٨٤٠ ولم يتجاوز الداخلون اله ١٠٠ الف شخص الا منذ هذا التاريخ . ولكن سكان الاتحاد كانوا قد بلغوا ٢٣ مليون نسمة ، حين ارتفعت نسبة الهجرة ارتفاعاً سريماً بعيد الازمة الاوروبية بين السنة ١٨٤٦ والسنة ١٨٥٠ : ففي العقد السادس من القرن التاسع عشر ، بلغ عدد الداخلين ٥٠٠٠ ٥٠ ٢ نسمة مقابل ٥٠٠٠ ١٠ في العقد السابق ، و ٢٤٠٠ ٠٠ في العقد اللاحق ، على الرغم من الحرب الانفصالية ؟ وقد بلغ عددهم ٢٨٠٠ ٠٠ خسلال العقد الثامن . وقد نجم عن ذلك ان نسبة زيادة الولادات للداخلين قد تدنت ، فأصبحت ٧ مقابل ١ بدلا من ٩ مقابل ١ في السنة ١٨٥٠ . وهي اوروبا الشالية التي ما زالت تصدر اغلبية المهاجرين؟ بدلا من ٩ مقابل ١ في البريطانيين ، أرسلت الايرلنديين والفلمنك والسكندينافيين والالمان . وقد حدثت آنذاك هجرة واسعة الى داخل القارة الاميركية ولا سيا الى المنطقة التي سيطلق عليها اسم «الغرب الاوسط » . ففاقت الجهورية آنذاك كافة الدول الاوروبية باستثناء روسيا . عليها اسم «الغرب الاوسط » . ففاقت الجهورية آنذاك كافة الدول الاوروبية باستثناء روسيا . عليها اسم «الغرب الاوسط » . ففاقت الجهورية آنذاك كافة الدول الاوروبية باستثناء روسيا .

منذ السنة ١٨٨٠ ؟ باتت الهجرة اكبر حجماً واكثر كثافة ايضاً : فأدخلت ٥ ملايين نسمة في العقد التاسع و ٢٠٠٠ • في العقد العاشر ولكن نسبة الشاليين تدنت الى اقل من ٥ بالمائة وارتفعت نسبة الملافيين والسلافيين واليهود الشرقيين الى ٥٠ بالمائة . وقد ارتفعت نسبة المهاجرين الايطاليين وحدهم من ٦ بالمائة في السنة ١٨٠٠ الى ١٦ بالمائة في السنة ١٩٠٠ . وسيبلغ مهاجرو اوروبا الجنوبية والشرقية ٨٠ بالمائة من مجموع المهاجرين الذين يعبرون الاطلسي . وامام هسذا العدد من المهاجرين الاجانب الجدد ، انخفضت نسبة المقيمين الى ١٥ بالمائة ؟ وحتى الى ٢٠ بالمائة في نيويرك وشكاغو .

في السنة ١٩٠٠ بلغ عدد سكان الولايات المتحدة ٧٥ مليونا ، ولم تتجاوز كثافتهم الـ ١٠ في الكيلومتر المربع.ولكن لم يبقسوىسنوات ممدودة امام الهجرة الحرة اذ ان الدلائل كانت تشير الى تصميم « يانكي، على مقاومة تتيح استمرار عمل البوتقة التوحيدي والتمثيلي .



ئكل رقم ٢١ - تكون الولايات المتحدة والممتلكة اكندية ١٨١٥ و ١٨١٥ : ٤ - ولايات نكومت ميز ١٨١١، و ١٩٠٠ : ٥ - الحدود النوبية المنطقة الني تخات عنها فرنسا في السنة ٣٠٨١، ٦ - مناطق حصلت عليها الولايات المتحدة من ١ - الولايان المتحدة الثلاث عشر الاولى ؛ ٣ - ولايان تكونت قبل السنة ١٨١٥ ؛ ٣ ولايان تكونت بدين 5 : 71 - - ake le Kali linere . ختم الممتلكة الكندية (١٨٨٨ - ١٨٨١)؛

المساحات العسيحة رالحريات العامة : الحكم الذاتي والاتحادات

اذن ضمت الولايات المتحدة مساحات شاسمة يقابلها عسدد قليل من البشر . ولكننا لسنا هنا امسام المبراطوريات أسستها قوة فاتحة تولت هي الوصاية عليها ووزعت فيهاالمهام.

وقد ساد الاعتقاد ، منذ و توكفيل ، ، بأن اميركا لا يمكن ان تكون الا ديوقراطية لأن كُل اشيء فيها يؤول الى السهاح للفرد بالتضرع على هواه الى الله و يجمع الثروة دون اضرار بالفسير . وكانت انكلترا قد اعترفت ، فيها يعنيها ، بأن المؤسسات التمثيلية توافق ممتلكاتها التي تنمو بدررها على غرار المستعمرات الثلاث عشرة التي كانت مفمورة في القرن السابق .

اعطت الولايات المتحدة اول مثل عن كيان اقليمي كبير يرتكز الى المبدأ الاتحادي . فقد بدأ دستورها ، الذي كان بمثابة تسوية بين حاجات الدفاع المشترك واثرة الجماعات المحلية والاقليمية التقليدية ، وكانه مثال الحكة . وقد عرف الديومة على الرغم من بعض المتعديلات التي جعلتها الظروف ضرورية والتي لم تغير منه الروح . فجابه محنة الحرب الاهلية دون استعين اعادة النظر فيه . وبات نفوذ السلطة الاتحادية منذئذ واقعاً لا يمكن انكاره او الاعتراض عليه ؟ وبدا كل انفصال مستحيلاً في المستقبل . فتواصل التوسع الاقليمي دون هزات جديدة : فكان هنالسك ٣٦ ولاية و ١٢ اقليماً في السنة ١٨٦٧ ؛ وسوف تنشأ الولايات الد ١٨ في السنة ١٩٨٦ .

بعد ان مرت كندا في ازمة شباب خطيرة ، حققت وحدتها ونعمت في الوقت نفسه بالحسكم ذاته الذي منحتها اياه دوثيقة السنة ١٨٤٠ . وفي السنة ١٨٤٧ ، اقسدم اللورد و إلجن ، صهر اللورد و دورهام ، على إسناد الوزارة الى الزعماء المصلحين في بورجوازية الاحرار ؛ وكانت هذه الاخيرة راغبة في بذل مجهود كبير للتجهيز ، فتاقت الى تحمل مسؤولياتها . فبدأ حينذاك عهد عمل بناء استهدف تخفيف حدة الخلاف تدريجيا بين الناطقين باللغة الانكليزية والناطقين باللغة الانكليزية والناطقين باللغة الفرنسية . فاتجه الكنديون من ثم نحو فكرة الاتحاد التي تقبلتها لندر في النهاية بحسن الرضى وطيعة الخاطر ، لا سيها وان هذه الصيغة قد بدت ، بعيد الحرب الانفصالية ، قادرة على إحباط بعض مقاصد الولايات المتحدة التوسعية على حساب كندا .

جمت و وثيقة امير كا الشهالية البريطانية ، - وهي وثيقة ولادة والممتلكة ، الاولى في السنة المركبة الذاتي على الطريقة الانكليزية والنظام الاتحادي على الطريقة الاميركية . فقد اتحد ، بموجب ميثاق ، شطرا كندا وسكتلندا الجديدة وبرونسويك الجديدة ، ثم كولومبيا البريطانية ؟ وكما تقرر في الولايات المتحدة ، يمكن ان يقبل في الاتحاد كل اقلم يتقدم بطلب لهذه الغاية ، على ان تؤخذ بمين الاعتبار درجة إعماره وتقدمه . فمن جهة تحافظ كل ولاية على حكومتها الخاصة ، ومن جهة اخرى يكون على رأس الاتحاد حاكم يمثل الملك ، وبرلمان ، شبيه بالكونفرس الاميركي ، يتألف من مجلس المثلين ومجلس الشيوخ . ولما لم يكن هناك رئيس

تنتخبه الامة ، فقد اسندت ادارة الشؤون ، على الطريقة البريطانية ، الى رئيس وزارة يختساره الحاكم ويكون مسؤولا امام المجلسين .

عرفت اوتاوا ؛ عاصمة الممتلكة الجديدة ، منذ ذاك الحين، نظام الحزيين نفسه المعمول به في لندن وواشنطن . وهم المحافظون - تحالف الملاكين العقاريين والبورجوازيسين الكاثوليسك والبروتستانت ؛ المعادين كلمم للراديكالية - من احرزوا الغلبة وتسلموا زمام السلطة اولاً . ثم قرب « الخط الحديدي الكندي الباسفيكي ، المسافات بين الولايات السان - لورانية وبسين كولومبيا البريطانية . وفي السنة ١٨٧٠ ، ادى الاتفاق مع خلاسي النهر الاحر والد اسينيبويا، الى ادخال « مانيتوبا » في الاتحاد . ثم وضعت شرطة اوتاوا يدها على الاقالم الشهالية الفربية حتى « الجبال الصخرية ، بينا قضي على ثورة قام بها الخلاسيون والهنود؛ فهد ذلك لقيام ولايق و ساسكاتشوان ، و « ألبرتا » . وعندما تسلم الاحرار بدورهم زمام السلطة ، تقدموا بمشروع واعدوا مشروعاً لإعمار الفرب واستثماره بسرعة ، وحافظوا على الملائق الطيبة بالوطن الام . ولكن المساواة في الحقوق، في نظر الديوقراطية الكندية - كا في نظر الديوقراطية الاميركية - ولكن المساواة في الحقوق، في نظر الديوقراطية الكندية - كا في نظر الديوقراطية الاميركية - لا تستازم الحق في الحدة الابقدر تأمين الفرد هذا الحق لنفسه بحكده الشخصى .

كانت المستعمرات الاوسترالية الاولى ثمرة نشا<mark>ط مربي ا</mark>لاغنام . وعلى غرار ولاية « وايـــان الجنوبية واوستراليا الغربية وكوينسلند ، مؤسسات تمثيلية عملت عملها لمصلحة اغنى المهاجرين المستعمرين. الا ان اكتشاف الذهب أثار بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٦٠ حركة اجتاعية كبرى؛ فقد تزعزت سيطرة المهاجرين المستعمرين ، وبرز الاقتراع العام الي الوجود ، واعتمدت بعض المستممرات نظام الوزارات المسؤولة . فقامت الى جانب اوستراليا الاولى ، اي اوستراليا قطمان المواشي الكبرى في المساحات الشاسمة ، اوستراليا اخرى انتظر فيها المأجورون القليلو المدد ؛ المتحالفون مع صفار المزارعين ؛ مساندة الدولة المطلقة ، لا سيا وان الحياة في اوستراليا اقل <mark>تعزيزاً م</mark>نها في اميركا الشمالية . ولم يستطم الحكام ولا المجالس العليا ا<mark>حتباس ا</mark>لتيــــــار: الديمو<mark>قرَ اطي الذ</mark>ي اتاح للمجالس المنتخبة بارادة الشعب تأليف و إقالة الوزار<mark>ات التي زا</mark>د مــــن ضعُّها عدم وجود الاحزاب التقليدية . يضاف الى ذلك ، من جهة ثانية ، ان المجالس العليا باتت تعين ، منذ السنة ١٨٩٠ ، لفترة محمدودة ، بواسطة هيئات انتخابية متزايدة العدد تدريجياً . وان مؤسسات اوستراليا المقتبسة عن <mark>مؤسسات الو</mark>طن الام قد تطورت بمزيسد من السرعة ، وجاء النشاط التشريعي القوي يستجيب لانتظار حركة عمالية تطالب بتشريع اجتماعي ولكن ذلك لم يبلغ حد التنارل عن الانانيات الاقليمية . لذلك فان الميثاق الاتحادي لن يبرم قبل السنة ١٩٠٠ ، كما ان ﴿ كُومُونُولُتُ ﴾ اوستراليا ، الذي تكون في هذا التاريخ ،قد تمتع بصلاحيات اقل اتساعاً منها في المتلكة الكندية . كانت زيلندا الجديدة قد رفضت عرضاً بالاتحاد مع اوستراليا خشية منها ان تكون ضعية هـنا الاتحاد. فاقتبست هي ايضاً مؤسساتها عن مؤسسات بريطانيا العظمى ، ولكنها كانت خلوا من الارستوقراطية ، وسوف تمين الوزارة مجلسها الاعلى لمدة سبع سنوات. وقد عقهـد الاحرار البورجوازيون تحالفاً مع العبال في السنة ١٨٩٠ ، فنحوا النساء حتى الاقتراع والماوري حتى الثمثيل والمأجورين حماية اجتاعية واسعة . وسترتقي زيلندا الجديدة في السنة ١٩٠٧ الى مصف « الممتلكة » فتصبح مساوية في الامبراطورية لكندا واوستراليا ، بيسنا تكون افريقيا الجنوبة في طريقها الى هذا النظام .

على نقيض الكنديين الفرنسيين ، رفض المهاجرون الهولنديو المنشأ ، هنا ، التعايش السلمي مع البريطانيين . وعبثاً اقترح السير و جورج غراي ، ، بعد رحيسل البوير على نطاق واسع ، اتفاق شراكة بين الجهوريتين البويريتين والناتال والراس لم تباركه لندن نفسها . ولكن المشروع سيبرز الى الوجود مرة أخرى : فسوف يتحقق الاتحاد الجنوبي الافريقي في اعقاب قتال دام ، وسوف تنظم الممتلكة الجديدة نهائياً في السنة ١٩١٠ .

حالت الاوهام العنصرية في كل مكان دون اتحاد الانكلوساكسون مع الاعراق الملونة ؟ ونادراً ما تغلبوا عليها باعتبار المنتمين الى هــذه

مصير الاعراق الملرنة

الاعراق مساوين لهم .

كان في اميركا الشهالية أناس تميزوا بقامة رفيعة وشعر اسود واملس وانف اقتسمى وجلد اصفر اخطأ المهاجرون بأن اطلقوا عليهم اسم الهنود الحمر . زاولوا صيد الحوت وقنص الرنة الكمدية ؛ في الشهال الغربي ، وقنص البقر الوحشي والزراعة في الوسط (وقد ظهرت حضارة الذرة الصفراء بين البحيرات الكبرى والجبال الصخرية الوسطى) ، وكانوا اهل حضر في الجنوب الغربي ؛ فتنوعت نظمهم السياسية تنوعاً عظيماً ، ابتداء من القبيلة المنعزلة وانتهاء بالاتحادات المسكرية الكبرى . وربما بلغ عددهم المليون « متوحش » عند وصول المهاجرين .

فلا مناص من ثم من احد امرين : نقلهم الى منطقة أخرى أو تقتيلهم . ولن يقر للهاجر المستعمر قرار حتى تحل مسألة الحدود هذه . ثم جاء قانون السنة ١٨٨٧ الذي استهدف التهدئة بهبة الاراضي وتحسين الحالة الصحية والتعليم : فحدثت الثورة الاخيرة في السنة ١٨٩٠ ؟ وزال د الاقليم الهندي ، الاخير من الوجود في السنة ١٩٠٥ . اما الباقون على قيد الحياة – أقل مسن نصف مليون – فقد خضعوا للقانون المام او انفردوا في « مناطق خاصة » .

وكذلك لم يخضع الماوري ، البولينيزي المنشأ ، المتوحش والفنان ، السلطة النيوزيلندية ، الا بعد معارك ضارية . فزرع الذرة الصفراء والبطاطا في اراض مشاعية وتزيا بطيبة خاطر . بالزي الاوروبي واعتنق المسيحية وتعلم الشكلم باللغة الانكليزية .

وأبعد البدائيون الاوستراليون؛ البائسون والودعاء بالسليقة ؛ عن المناطق الكثيرة الصيسد

الى الصحاري . ثم طاردهم البيض مطاردة فعلية بمساعدة شرطة من الزنوج . وهم لا يشكلون السوى اقلمة لا اهمة لها الا في نظر العلماء .

وصل الاوروبيون الى افريقيا الجنوبية اثناء هجرة قبائل الد وانتو ، من المنطقة الحارة الى الجبال والهضاب المرتفعة الخالية من الذبابة الناقسة مرض النوم والموافقة التربية المواشي والكثيرة الصيد . فقاوم زنوج افريقيا الجنوبية احتلال البيض لاراضيهم مقاومة طويلة وضارية. ولكن كلما خفت حد ق المقاومة المسلحة تكاثر عدد الزنوج الذين خضعوا الشروط المفروضة عليهم ، ورفع المنجم كذلك عدد الكادحين من الاعراق الملونة . ومن جهسة ثانية اجتذبت المهن الشاقة هنوداً وماليزيين عوملوا المعاملة نفسها ونظر تاليهم العناصر الأخرى كما الى دخلاء. وكان للخوض من الاعراق ، التي اعتبرها البوير والبريطانيون متدنية واستفلوها، قسطه الكبير في التقريب بين هؤلاء واولئك .

وظهر عند الاوستراليين والنيوزيلنديين قلق مماثل أثاره فيهم الآسيويون - وجلهم مين الصينين - الذين لم يكن عددهم مرتفعاً ولكنهم كانوا مهرة في التجارة والحرف الصغرى وحتى في الزراعة . فأدى ذلك منذ السنة ١٨٥٥ الى فرض القيود الاولى على دخول العفر ؟ وقد نعت احد رجال السياسة النيوزيلنديين منافستهم بد القدرة والمنافية للطبيعة والجائرة ».

ويشاهد القلق نفسه كذلك عند اميركيي الغرب امام تدفق سيل الصينيين . فقد ظهر مؤلاء إبان الاندفاع وراء الذهب : فقد جمعتهم بعض الوكالات من ماكاوو وهونغ - كونغ ، ثم اشتغلوا في اعمال بناء الخطوط الحديدية . ولكنهم اشتهروا كطهاة وخدام منزليين واتقنوا غسل الثياب وكانوا اهلا لتربية دودة القز وتجاراً اذكياء . فلم تترد كاليفورنيا في السنة ١٨٨٧ في منع الهجرة ناقضة بذلك الاتفاق المعقود مع الصين ، وقد صادق المجلس الاعلى على هذا المنع . وسوف يتموض التشريم لليابنيين في عهد لاحق .

اعتق الزنجي الاميركي منذ حرب الانفصال فاصبح من حيث المبدأ مواطني على غرار الآخرين . ولكن الرق والخلاف الدامي تركا آثاراً وذكريات دائمة . فخلال عهد و التجديد ، الناقم ، عاد رجال الانفصال الى صوابهم وملكوا انفسهم ، فقابلوا بالمنف والارهاب بمض اعمال المنف التي اتاها الارقاء السابقون (ويعرف هذا العهد بعهد وكوكلوكس كلان») وسيطروا مرة اخرى على الجالس التشريعية وحدوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا من الحقوق المنوحة للاعراق الماونة بالتمديلات المدخلة على الدستور . فتجانب من ثم عرقان ، احدهما متشبع ابدا من تفوقه ومعاد لكل امتزاج وفارض على الآخر تمييزاً عنصرياً مذلاً . وعلى الرغم مسن ان عدد الزنوج قد انخفض نسبياً بالقياس الى مجموع السكان العام (١٢ / في السنة ١٨٩٠ مقابل عدد الزنوج قد انخفض نسبياً بالقياس الى مجموع السكان العام (١٢ / في السنة ١٨٩٠ مقابل على الأحرب الاهلية ، الى ٢ ملايين ونصف المليون يضاف اليهم زهاء مليون من الخلاسين . وقسد

مالت هذه الاقلية طبعًا الى التجمع في الولايات القريبة من خليج المكسيك : فجاء تجمعها هذا تميزًا جغرافهًا اضفى على التمييز الآخر مزيدًا من الخطورة .

عاد معظم الزنوج الى العمل في مشاريع استثار الاراضي بصفة مكترين او مياومين . ولما كانوا يمياون طبعاً الى الانتقال من مشروع الى آخر ولا يعطون انتاجاً كافياً ، انتشرت شيئاً فشيئاً اشكال مزارعة شدتهم الى الارض . وقد فضل اصحاب الاملاك « العامل بالحاصة » الذي لا يتوجب عليه سوى تقديم سواعده ويتقاضى اجره عينا ، « والشريك » الذي يقدم الحيوانات والادوات ويحتفظ بثلاثة ارباع الحصيد ، على المكتري الذي غالباً ملاكان يعجز عن اله فاء .

الزنجي يزرع القطن والزنجي يزرع القطن والزنجي يجمعه والابيض يقبض المال والزنجي يستغني عنه والزنجي يستغني عنه والام الزنجية تقيم في الزريبة والسيدة تحافظ على بياهى ايديا والابيض يرتدي قيصه المنشاة ويجلس في مكان ظليل بارد الحال اشاقة الحسل أن السان خلقه الله أ

اجل لقد ارتسمت حركة تستهدف السياح للزنوج بالدفاع عن مصالحهم في المعركة الاجتاعية. فقد كان باستطاعة النخبة ، بفضل العلم ، مزاولة المهن الحرة . ولذلك فقسد قبل الزنجي في الهيئة الطبية في السنة ١٨٨٩ ، وفي المحاماة في السنة ١٨٨٩ . وقد نجح احيانا في الاعيال فاقتنى المساكن والمقارات التي اجرها بدوره . وبدأت رسالة المربين – واشهره « بوكر واشنطن » مؤسس جامعة « توسكجي » الزنجية – تعطي ثمارها حوالي السنة ١٩٠٠ . ولكن الكثيرين من الزنوج هجروا الارض بحثاً عن الثروة بينالبيض في المناطق الاخرى ، فلم تفقد الروح العنصرية شيئاً من حدتها ، بل انتشرت حيثًا حلوا . ومهما يكن من الامر فان العالم الاميركي كان متشبعاً بهذا الوجود غير المرغوب فيه والمحتوم معاً ، ولن يستطيع التالك عن اقتباس « الجاز » الافريقي وعرض ملاكمي المرق المستحقر .

استثار الاراضي الجديدة : من الاشكال البسيطة الى الاقتصاد التجاري الاكبر

في مجتمعات ارياف البلدان الانكلوساكسونية ، حل محل استثار الارض البدائي استثار واسع حقاً ولكنه مبني الآن على توزيم المعمل توزيماً مفرطاً. ولكن ما زالت هناك بعض النشاطات الابتدائية في اواخر القرن.

يجب هنا ان نضع جانباً مناطق الاقليم الحار حيث عرف المثال الاستعماري الديمومة وحيث

لم يستفن الأبيض بسهولة عن المساعدة التي وفرها له الملونون . وخير مثل هام على همذه المناطق هو جنوبي الولايات المتحدة . فالاقتصاد المنزلي يؤمن فيها الحاجات اليومية ، بينها يتيح محصولان او ثلاثة محاصيل اساسية – القطن والتبغ قبل كل شيء – المقايضات مع الحارج . ولن يحدث فيها التحويل الجزئي الى الصناعة اي تبديل ؟ فذلك لن يزيل فقر فلاحين – بيض وسود على السواء – غير متعلمين ، ومفتقرين الى رؤوس الاموال وواقعين ابداً تحت رحمة الحصائد السيئة وانخفاض الاسمار .

لم تمارس زراعة الاصناف الكثيرة ، الاوروبية المنشأ ، الا بين كندا وبنسلفانيا . يضاف الى ذلك ان تطوراً حدث قيها نحو اقتصاد الالبان والبقول والفاكهة . فظهرت هنسا القرية كما عرفها العالم القديم . ولم يلبث المهاجر المستعمر الاميركي ان استهوته مساحسات المروج الفسيحة حيث اصلاح الارض اقل صعوبة منه في المنطقة الحرجية ، وحيث تسهل تربية المواشي وزراعة الحبوب . ولكن ضرر الجفاف في ما وراء المسيسيي كان كبيراً جداً .

اما في نصف الكرة الارضية الآخر فان جبهة الاستمار ما لبثت ان بلغت حدود المساحات الجافة الكبرى . فبرز من ثم « المستممر » الاوسترالي الذي مسارس عمل العموف ، وهو العمل المثمر الوحيد ، آخذا بعين الاعتبار المناخ والحاجة الى اليد العاملة وطريقة و وايكفيلا، واحتل اعلى السلم الاجتماعي عدد محدود من كبار الملاكين : فقد امتلك اربعة منهم حوالي السنة ١٨٥٠ اقليا توازي مساحته مساحة بلجيسكا ، كا امتلك بمضهم بسين ٥٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ و المراشى .

قامت في « الراس » فئة من الاشراف الريفيين البريطانيي المنشأ ، نظراء « المستعمرين » الاوستراليين ، ولكن الـ « فلد » عاد المهاجرين المستعمرين الهولنديي الاصل الاوفياء للاعراف البطرير كية . فالعائلة البويرية لا تقرأ على العموم سوى التوراة ، وتسعى لان تكفي نفسها بنفسها ، وتضحي بكل شيء من اجل الماشية . أنه لشعب نعطي ، لا يخضع ولا يقهر ، ساذج و كشسير آراء سبق الوهم ، معاد للرأسمالي والزنجي اللذين ينازعانه مسالكه وطرقه .

منذ السنة ١٨٦٠ تماظمت مشاريع الاستثار الحيواني في الولايات المتحدة . فبرز آنداك وراعي البقر ، ورجل ومناطق الابقار ، اي المناطق الواسعة الواقعة وراء المسيسيي التي اقتاد مواشيه عبر مسالكها في اتجاه خطوط الطول جامعاً بين حرارة ورطوبة المد تكساس ، ومراعي و بلات ، الصيفية . وبعد ان يسلم حيواناته في احدى و مدن الابقار ، التي يلمع نجمها ويأفل بسرعة ، كان يقامر ويحتسي الخرة بما ادخره من اجروه ، ويعتمد على مسدسه الذي يحمله ابدا في جيبه لبلص المسافرين وتوقيف وسلب القطارات الحديدية ؛ اما مآتيه فقد دونها كتاب و مشهد الفرب المتوحش » ل و بوفالو بل ، ثم اضطر المشال الراعوي البحث الى ان يهاجر ابعد الى الغرب في الجبال الصخرية .

تقدمت الزراعة الكبرى على غيرها من الزراعات تقدماً خاسماً في منطقة المروج الاميركية وفي الدونتاريو ، فقد حدد قانون السنة ١٨٦٢ المساحة التي يتناولها عقد المزارعة به الى وفي الدونتاريو ، فقد حدد قانون السنة ١٨٦٢ المساحة التي يتناولها عقد المزارعة به المه و همكتاراً . الا ان الجزء الاكبر من الارض باعته اما شركات الخطوط الحديدية واما الولايات والحكومات الاتحادية انصبة اوسع مساحة الى حد بعيد . ولكن محاصيل الارض لم تكن جيدة في اي مكان ؛ فسمى المزارعون بالتفضيل وراء اختيار الاحسن من النباتات والحيدوانات ؛ واتسع نطاق الزراعة في المناطق الجافة بواسطة و الزراعة البعلية » ونشط انتاج الالبان في منطقة جديدة حول البحيرات الكبرى . اما الوادي الكاليفورنية ، التي كانت بورة في الأمس، فقد تحولت الى زراعة الحنطة قبل ان تكتشف انها مدعوة لأن تصبح حديقة غناء .

في اواخر القرن تناول التشريع الاوسترالي مناطق تربيسة الغنم الواسعة ولمسا تعاظمت حاجات السكان المتزايدين عدداً وهد و الى جانب المستعمر المستثمر و المستعمر و المنتقي و الذي تعاطى التجارة ببيع ومزرعته المقفلة و حيناً واستثمرها حيناً آخر و يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الدولة قد حاولت تشجيعه و سياسة مائية و انطوت على حفر الآبار الارتوازية وبناء السدود لاعمال الري و وفي و واياز الجديدة و اتاح المناخ المتميز بمزيد من الرطوبة تربية المواشي الكبرى التي بيعت لحومها في مراكز التبريد في الموانىء و وقيام صناعة ألبان تراقبها السلطات العامة . بيد ان زيلندا الجديدة هي البقعة التي شابهت خير مشابهة دولة اوروبية مثل الداغارك .

اجل لقد تمسّم صاحب المزرعة على العموم برفاهية هي اقرب ما يكون الى الرفاهيسة البورجوازية . ولكنه كان مضطراً لبيم كل شيء حتى يشتري كل ما يحتاج اليسه تقريباً ، فارتكزت موازنته في اعلب الاحيان الى الدين الذي جعله يرتبط ارتباطـــاً وثيقاً بالقطاع الرأسمالي . ولذلك فرضت المدينة شريعتها على هـذا المجتمع الريفي بتجبر لم يعرف العالم القديم نفسه .

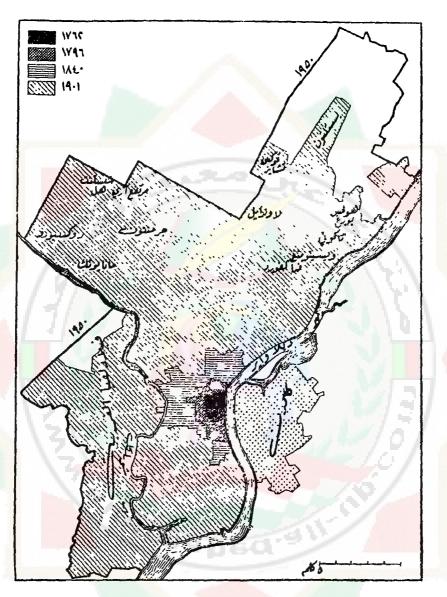
مدينة العالم الجديد القرن الناسع عشر . ففي السنة ١٨٥٠ ما زال ١٩ مليونا من السكان من اصل ٢٣) يعيشون في الارياف . وكانت كافة مدن المناطق الجنوبية متواضعة جداً . اما في السنة ١٩٠٠ فقد عاش في المدن ٣٠ مليونا أمير كيا من اصل ٧٥ وكان هناك اكثر من ثلاثين مدينة يزيد سكان كل منها على ١٠٠٠ نسمة ويبلغ مجموع السكان فيها كلها ١٧ مليون نسمة ومنذ السنة ١٨٧٠ قفزسكان شيكاغو من ١٠٠٠ الى ١٠٠٠ ١٠ وتجاوز سكان نيويورك الا ٣ ملايين وسكان فيلادلفيا المليون . وفي هذا الجمال كان النطور متواضعاً في افريقيا الجنوبية ، وناشطاً في كندا ، وسريعاً جداً في اوستراليا حيث جمت سيدني وملبورن وادلاييد ، في السنة وناشطاً في كندا ، وسريعاً جداً في اوستراليا حيث جمت سيدني وملبورن وادلاييد ، في السنة وناشطاً في كندا ، وسريعاً جداً في اوستراليا حيث جمت سيدني وملبورن وادلاييد ، في السنة

فنحن من ثم امام ظاهرة تكاثر المدن الجديدة السريعة النمو . وكانت المدينة ، على الجبهة الاستمارية ، مجموعة اولية تضم الحانات والكنائس والمدارس ودور البريد لكل تقسيم اداري . فكانت من ثم استجابة لوظيفة المقايضة التي لم تلبث ان فرضت نفسها على الهالي الارياف . ولكن أغالباً ما كان المنجم او المصنع سبباً لقيام المدينة ، وفي مثل هذه الحال نرى ان اعتاد الاسماء يعيد الفكر الخلاق بقوة الى الذاكرة : بسمر ، اتنا ، كرنجي ، مونسن (اسن ومونونفاهيلا) حول بتسبورغ ، وايرونتون ، وايرونمونتن ، وايرونوود في اماكن أخرى . وهنالسك كذلك عواصم تأسست لايواء المصالح الحكومية والادارية ، كواشنطن مثلاً .

لقد ولى الزمان الذي كان بمكناً فيه ابتياع وكل مستنقع شيكاغو اللعين » بزوج احسة يه عتيقة ، كا زعم بعضهم في عهد لاحق . وقد اعطى المثل و جون استور » تاجر الفراه بشرائمه بمض الاراضي في نيويورك ؛ فان احد ابنائه ، الذي توفي في السنة ١٨٧٥ ، قسد خلف وراءه ثروة تقدر به ١٨٧٥ مليون دولار تشمل من جملة ما تشمل ٢٠٠ عقار على ضفاف نهر هودسن ؛ وفي السنة ١٩١٢ ، اصبح رأسمال آل استور ٤٥٠ مليون دولار بفضل ابتياعات جديسدة وارتفاع الدخل العقاري. وفي شيكاغو ارتفع ثمن ال ١٠٠٠ متر مربع من ٢٠ دولاراً في السنة ١٨٣٠ الى ملون دولار في السنة ١٨٩٠ .

ان في انتساق تقسيم المساحات الواسعة ، المسوحة هندسياً ، ما يفسر التصميم الشبيه برقعة الشطرنج . فالى الشرق من الاطلسي يسير الشارع كا تسمع بذلك المنازل ، لأن تصميمه يغرضه رسم الاملاك غير المنتسق ؛ اما هنا فالمنزل يشيد على جانب الشارع . وينجم عن ذلك وحدة سياق مفرطة يسترعي الانتباء اليها ترقيم الشوارع . فان كثافة السكان في شيكاغو ، البالفسة مساحتها ، ، ،) هكتار ، هي ربعها في لندن للاولى وخسها للثانية .

كانت نتيجة هذا الاتساع المفرط تشتيت المساكن التي كانت على العموم قليلة الارتفاع ومبنية بالقرميد . ولم تظهر الابنية المرتفعة الا بعد السنة ١٨٨٠ في الاحياء التجارية حيث اكتسبت الاراضي قيمة كبيرة جداً : وهكذا انتصبت ، حوالي السنة ١٨٩٠ ، عند رأس مانهات في المدينة المنخفضة ، القريبة من المرفأ ، زهاء ثلاثين بناء يتراوح عدد طبقاتها بين ١٠ و٣ ؛ وقد شيدها بعض الافراد الاثرياء او شركات التأمين او المصارف . وعلى مسافة قريبة من هسذه الابنية الشاهقة التي اوت المخازن والمكاتب ، انبسطت منطقة من المساكن المدخنه والمهمة التي عنها تدريجياً للمساكين الفقراء ؛ فكان ان الكوخ الخشبي قسد جاور ناطحة السحاب في بعض الاحايين؛ ثم انبسطت بعد ذلك مدينة صناعية جديدة احاطت بها احياء سكنية فالقسم الشرقي من المدينة المنخفضة في نيويورك هو حي العمل الشاق ؛ وتكون مركز ثان للاعسال والسكن في وسط المدينة . فتجانبت مجموعات مختلفة قطعت مناظرها العامة الخطوط الحديدية



شکل رقم <mark>- ۲۲ ـ توسع فیلا</mark>دلفیا و . م ، وسط المدینة ؛ ح . ش ، الحریات الشمالیة ؛ س . و ، سوثودرك ؛ ك . ، كنسنتون ؛ ح . و، ، ،

حديقة الربيع؛ م . ، مويا منسنغ ؛ ب ،باسيونك . (نقلا عن اوبرهلتزر في « فيلادلفيا ، تاريخ المدينة وسكانها » ومعاومات المروفسور « لن م . كايز » مسـن جامعة بنسلفانيا).

والمؤسسات الصناعية . اما في ادلابيد فكانت مدينة العمل ومدينة السكن منفصلتين تحبيط بكل منهما الحداثق والرياض . وبدت المدن الاوسترالية من جهـــة ثانية احسن نظافة وافضل تنظيماً: فقد رصفت شوارعها بالاخشاب ، ولم تكن مساكنها المتشابهة لتظهر الفوارق الاجتماعية ؛ على نقيض مدن الولايات المتحدة حيث تميزت احياء الاغنياء عن احياء الفــــقراء تميزًا جافًا . وقــد وصف المسافرون باعجاب مساكن الاثرياء الجميلة في بوسطن وفيـــــلادللميا ونيويورك ؟ وهكذا فان البارون و دي هوبنر ، قد دهش حوالي السنة ١٨٧٥ في شيكاغو من « جادة ميشيغان الشهيرة ... ، حي كبار الاثرياء، ومساكنها البذخية الزاهية ، الخشبية كلها، والمسقوفة بالجص ، والمبنية وفاقا لشتى الانماط، الايطالي ، والكلاسيكي، والمستهجن، والقوطي والروماني ، والمحاطة كلها ، اقله من جمة المدخل ، مجدائق جملة صغرى ، . . ولكن غيسار الصيف واوحال الشتاء كانت آفات حقيقية . فقد لاحظ احدم أن الجادة الخامسة في نيويورك تكاد لا تفضل غيرها تعهداً وعناية ونظافة ؟ اقذار في كل مكان ؟ وحاجة ماسة في كافة الفصول الى انتمال احذية من المطاط. اما في كندا ؟ فق<mark>د ذكر احد</mark>هم ان الشوارع الوحيدة المرصوفة بالبلاط هي شوارع تورونتو و « وينيبغ » . ولكن الان<mark>ارة افضل</mark> منها في المدن الاوروبية ، على ان البوالسِع ما زالت في حالة سيئة والمياه تنقطع احيانًا . ومنذ السنة ١٨٧٨ ، دشنت ﴿ بوفالُو ﴾ تدفئة مركزية بخارية ما لبثت ديترويت ونيويورك ان اعتمدتاها بدورهما . وتعددت وسائل الانتقال ، وعلى نقيض المدن الاوسترالية ، الهادثة نسبياً بفضل مركباتها العامة التي فجرها الاحصنة ، اذهلت المدن الامبركية الاجانب بضجيج السير في شوارعها .

تميزت المدن الاميركية كذلك ببرقشة سكانها العنصرية . ففي نيويورك ، كان للايطاليين والايرلنديين واليهود والزنوج احياؤهم الخاصة . ولم تزل «البو<mark>تقة » قــط هذه الخصوصيات ؛</mark> ولكنها خلقت واضافت الى كل مثال خاص مثالًا اميركياً هو المثال المشترك .

> حضارة الآلة في الولايات المتحدة والاعمال الكبرى

احتلت الولايات المتحدة بين العوالم الانكلوساكسونية مركزاً خاصاً متفوقاً حقاً . ولم تكن مدينة به للامكانات الكبرى التي وفرتها البيئة الطبيعية فحسب ، بل لطبيعية

شعبها الخاصة ايضاً. وقد سبق له توكفيل ، ولاحظ ان و المصلحة هي الرابطة ، الجامعة بين المناصر و المختلفة جداً ، التي يتكون منها هذا الشعب . فان هذه الامة ، التي لا ماضي لها والتي لا 'وثق تشدها الى الارض ، تألفت من جماعة من البشر وضعوا نصب اعينهم الرفاهية المادية التي حققوها بخير الطرائق فعالمية . وقدتميزت بغلواء الشباب المقتحم مفامرة كبرى والعامل في كل ما هو جديد .

حضارة جماهيرية ، كما هو محتوم . فالجفرافية نفسها قسمت القارة مناطق واسعة متشابهة . فقابل تشابه الطبيعة تشابه العمل البشري. اضف إلى ذلك من جهة ثانية ان الخيار لم يكن جائزاً.

فاما يحكم هذا الجتمع على نفسه بالاملاق ، واما يقبل بالمنتجات « الموحدة » .

في كنف التعرفات الحامية ، وبفضل مجهود تقني كبير استهدف تخفيض النفقات العامسة وزيادة الانتاجية ، وبواسطة الاعلان الذي دعا الجاهير بالحاح الى زيادة استهلاكه ، اصبحت اميركا بالتالي بلاد الصناعة النسقية وانتاج القطع القابلة التبديسل . ثم اتضع مكن كل من النشاطات جغرافيا ، بعد ان سهل تعيينه بناء شبكة خطوط حديدية واسعة جداً . ورافق تجمع رؤوس الاموال انتاج الكميات الكبرى ، بينما تكاثرت الى جانب المشاريع الكسبرى وفي ظلها الحرف المنزلية الصغرى التي تجمعت في حي العمل الشاق .

'جرت اوروبا شيئا فشيئا الى الاستفادة من خدمات الآلة ؛ ولا غرو فان سكان العسالم الجديد مدينون لها بكل شيء . فهي التي تزرع الحنطة وتحلج القطن وتقتسل الحيوانات في المسلخ وتقطعها . فهم سوف يستلون منها بملء رضام المواد الفذائية والملابس والاحذية النسقية وسوف يأتمنونها على بناء منازلهم التي ستكون متشابهة بالضرورة . وهي توفر الكمية وتسهم في الوقت نفسه في تخفيض الاسمار . ان عملها لعمري لعمل استبدادي . ولكنه عمل مفيد في نظر الجاهير التي تطالب بحاجيات تكون في متناول ايديها .

لنتصور انطلاقة الصناعة . لقد ضمت ١٤٠٠ مؤسسة في السنة ١٨٦٠ ، و ٢٠٠٠ و ١٨٩٥ ، و السنة ١٨٩٥ ، و ١٨٩٠ الفا في السنة ١٩٠٠ و ربما بلغ رأسما لها ٤٧ ملياراً في السنة ١٨٩٥ ، مقابل ٢٦ في بريطانيا المظمى ، و ١٧ في المانيا ، و ١٤ في فرنسا . ومن المسلم به من جهة ثنية ، أن ثروة الولايات المتحدة قد تضاعفت اربع مرات بين السنة ١٨٦٠ والسنة ١٨٩٠ (في حال ان الدخل قد تضاعف مرتين فقط) . ولم تعرف اية دولة اوروبية مثل هذا التقدم في حقول التجهيز وصناعة مواد الاستهلاك . وان علم الاحصائيات الذي دون هذه النتائج المرضية قد أصبح هو نفسه موضوع عبادة : فقد اخذ الاميركي يقدم الارقام كخير البراهين الثابتة على تفوقه . ووطن نفسه على انه تقبل نصيب و الاعظم في العالم » ، وعلل نفسه منذ ذلك الحين بأمه سيتمكن قريباً من ان يكون مو"ان العالم كله .

الا ان هذه التقنية المتطورة تطوراً داغاً قابلتها منافسة حادة جداً اعتبرت ضرورة حتمية. اجل تقدمت الارستوقراطية بعض التقدم ، ولكن بورجوازية اعمال كبرى نمت في النصف الاول من القرن ، فألفت طبقة منفتحة لأعداد كبرى تتجدد وتزداد ثروة في كل جيل . وقد نال اعجاب الناس و الرجل المكون نفسه بنفسه » : يولد فقيراً ويتصرف ، حسين يصبح من اصحاب الملايين ، وسنتكم قريباً عن اصحاب المليارات - تصرف و النحلة العاملة التي تودع القفير الصناعي العسل الذي ان يتأخر سكان القفير ، والمجموع بصورة عامسة ، عن الاستفادة منه » . هكذا تكلم و كرنجي » .

كان اتساع الحقل المفتوح أمام النشاط ، واهمية المشاريع ، وحتى نزعة السكان المسرفين

الى استخدام المصنوعات الموضوعة تحت تصرفهم استخداماً سريماً ، عوامل ، واتية كلها لتقدم الاعمال . فأمير كا بلذ المضاركات العنيفة والارتفاع المدوخ في الاسعار ؛ فسلا عجب من ثم اذا ما تحركت المبادعات ، وتضغم حجم الوسائل النقدية تضغماً فجائياً ؛ وارتفعت الاسعار ، وارتفعت المكاسب بجزيد من إلسرعة ايضا : كل شيء مرجو وجائز كا يبدو . وطبيعسي ان مثل هذا الدوار لا يمكن ان يدوم طويلا : فكما في اوروبا ، لا بل اكثر من اوروبا ، حدثت انهيارات مفجعة ؛ وحدثت بالتالي عملية اختيار طبيعية ، سقط الضعفاء خلالها الى الحضيض ، وتلتها عملية تمكين كانت نقطة الانطلاق لمرحلة صعودية جديدة .

كانت النتيجة الطبيعية لمثل هذه الحركة السريعة (على الرغم من التبذير الصناعبي) تقوية سيطرة رؤوس الاموال الكبرى. فمن أصل ١٦٥ الفاً ، استخدمت ٤٥٤ الف مؤسسة مليون اجير ونصف المليون ؛ ولكن ١٢ الف مؤسسة اخرى ضمت مليونين ونصف المليون ؛ وربيا واقب ٢٥ الف شخص نصف الاعمال الصناعية .

لا ريب في أن الحدث الرئيس كان تقدم الصناعة الثقيلة الفروع الكبرى لعالم الاعمال الاميركي تقدماً عجبها نادراً . فمقابل ملوني طن حديداً و ٠٠٠ الف طن فولاذا في السنة ١٨٧٥ ، انتجت الولايات المتحدة اكثر من ١٠ ملايين طن حديدا وزهـاه ه ملايين طن فولاذا في السنة ١٨٩٠ ، حين انتزعت <mark>الاولوية</mark> من بريطانيا العظمي . وقد توفرت لصناع<mark>ة ا</mark>لمعادن هذه موارد نادرة من الوقود والمعا<mark>دن غير الخ</mark>الصة . فهناك من جهــة <mark>استخراج</mark> الفحم الحجري الذي ارتفع انتاجه من ٧ ملايين طن في السنة ١٨٥٠ الي ٢٥٠ ملمونا في السنـــة ١٩٠٠ ؛ ومن جهة اخرى مناجم المعادن غير الخالصة التي احتلت الولايات المتحدة، بالنسبة اليها ؛ المركز الاول ايضا . وقد تفاوت تجمم هذه الاعمال ؛ فكان في صناعـة الفحم الحجري دونه في صناعة النحاس مثلا التي اشرفت علمها خمس شركات خضمت هي نفسهــــا لسبطرة رأسماليي بوسطن ونيويورك ، او في صناعة القصدير التي اشرف عليها « مور » ، ملك التنك ، بالاشتراك مع وشركة التنك الاميركية ، .وهي ارادة روكفار ما ادارت حقل تجارة النفط ، اذ ان شركة و ستاندرد اويل تراست ، قد روجت زهاء . ٩ بالمائة من هذه المسادة في الاسوال . وقامت كذلك مشاريم كبرى في صناعة الفولاذ ؛ وكان كرنجي على رأساحداها في بتسبورغ، ودعا الى تأليف تجمع يكون أعظم مشروع عالمي في حقل الفولاذ . وبعد خصام طوبل وعسير خضم ثلثا الخطوط الحديدية لسمطرة بعض الفئات التي كان برعاها و فاندربلت، ، ووبيير بونت مورغان » ، و « هاريمان » ، و « غولد » ، بينا اخرج « بولمن » من مصانعه في شيكاءُو اكبر عدد ممكن من مقطورات السكة الحديدية . وترأس غولد كذلك شركة وتلفراف الاتحساد الغربي » التي كادت تحتكر صناعة الاسلاك احتكاراً فعليا . ووزعت شركة • بل الاميركية للهاتف، وخلال عشر سنوات، ملموني دولار تمثل ارباح رأسمال يبلغ ١٠ ملابين دولار، وقامت بعد انتشار الاضاءة الكهربائمة ثلاث قوى اخسرى : « ادسون جنرال البكاريسك ، ، و وطومسون - هوستون ، ، و و وستنكهوس ، وبدأ و دوبون دي نمور ، عملا واسعا في المواد الكيميائية .

اذا انتجت صناعات الحديد والفولاذ والآلات والادوات الاجهزة التي تحتاج اليها النشاطات الاخرى ، فهي التغذية والمنسوجات ما احتل الركز الاول بالنسبة لقيمة رؤوس الامسوال الموظفة . فان صناعة معلبات اللحوم مثلا قد عرفت شركتين او ثلاث شركات كبرى كشركة و ارمور وسويفت ، في شيكاغو التي توصلت بمفردها ، في مصانعها الواسعة (٢٥٠ هكتاراً) الى تقطيع وتوزيع بين ١٠ و ١٢ مليون حيوان ، وزادت أرباجها بصناعة المنتجات الثانوية: العظام والقرون للاسمدة ، الشحوم الصابون والكليسرين ، والدم للازرق البروسي ، وشعر المنزير الفراشي ، وشعر الثيران الفرش. وبلغ التجمع كذلك شاواً بعيداً في تكرير السكر المسلحة وشركة تكرير السكر برينها قام و ديوك ، بدعاوة ناشطة الفائف التبيغ وأسس وشركة التسنم الامركى ،

ما زال الشال الغربي منطقة صناعة النسيج الاولى ، وعلى الرغم من ان « شارع القطنيات » في كارولينا وجورجيا ، القريب من المادة الخام ، قد أخهد ينافس المناطق الاخرى منافسة جدية ، فان « ماساشوستس » و « رود - ايلند » و « كونكتكت » ما زالت متفرقة في هذا المضار . فان هذه الولايات قد تربعت مع بنسلفانيا على عرش المنسوجات الصوفية ، ولكن « باترسون » هي التي بلغت ، في سنوات قليلة ، مستوى « ليون » و «ميلانو » في صناعة الحرائر . وقد خرجت من مشاغل ليوبورك وفيلادلفيا العائلية الوفيرة العدد الالبسة الجاهزة التي تسلم وقد خرجت من مشاغل ليوبورك وفيلادلفيا العائلية الوفيرة العدد الالبسة الجاهزة التي تسلم الى تجار جملة يزودون بها المحازن الكبرى بدورهم ؛ وبرع المهاجر اليهودي في هذا العمل بفضل الى تجار جملة انتجها مصنع « اليزابيت » ، فكان يفصل ويشرح ويصنع العثرى ويكوي ، لحساب الخازن الكبرى .

وزادت في الوقت نفسه سرعة التجمع المصرفي . فليس هناك ، خارج الشهال الشرقي ، سوى الموسلة من اصل ٢٧٠٠ و كانت الحركة المصرفية تصدر عن « وول ستريت » الذي ارتفسم مجموع معاملاته المالية الى ٣٥ مليار دولار في السنة ١٨٩٠ . اضف الى ذلك ان معظم الشركات الصناعية رغبت في ان يكون مركزها في « مانهاين » حيث مخفق قلب « الاعمال الكبرى » .

ولم يعن كل ذلك أن أميركا أهتمت أهتاما كبيراً لأجراء مقايضاتها الخارجية في ظل علمها الخاص. وقد قال كرنجي: و فلتترك البحر الهائج للوطن الام القائم في وسط الامواج ولتكتف بالارض التي هي تراثها القومي ، إلذلك كان الاسطول متأخراً تأخراً بينا عن اسطول بريطانيا المعظمى : ففي السنة ١٩٠٠ لم يكن مجموله نصف ما كان عليه في السنة ١٨٦٠ . زد على ذلك من جمولة نانية أن التجارة مع الخارج قد تماظمت وأن الميزان كان دائناً مع أوروبا: فاحتمى الاتحاد بتمرقاته ووسع تجارته مع آسيا وأميركا اللاتينية ، فساعد ذلك على نمو كاليفورنيا وموفاً وسان

· فرنسيسكو » . ولن تلبث الولايات المتحدة ان تصاب بداء الاستعار الاقتصادي .

جاز لانغاز ان يكتب لاحد مراسليه في السنة ١٨٩٢: وقد قدم الامير كيون للمالم الاوروبي ، منذ زمن غير قريب ، الدليل على ان الجمهورية البورجوازية هي جمهورية رجال الاعسال ، حيث

سياسة المصالح الكبرى في الولايات المتحدة

السياسة عمل تجاري كغيره ...، ويكاد الاميركيون يمترفون بذلك في الواقع .

قدم كرنجي كتابه، « الديوقراطية الظافرة » ، للجمهورية العزيزة الق تتبح لاي شخص كان الارتقاء في السلم الاجتاعي بجده وكده ، وخلص الى القول: « لا تتم التسوية بانزال النساس من مرتبة الى مرتبة بل برفعهم كلهم الى كرامة (المواطنية ، التي هي ارفع كرامة يكن ان يتوق اليها الانسان ، . لقد ولى الزمان الذي جاز ل د توكفيل ، فيه القول بأن الناس كلهم يسهمون إسهاما تاشطافي الشؤونالمامة ؛ فقد ارتفعت نسبة الامتناع عن هذا الاسهام كلما ارتفعت نسبة المنتمين الى الطبقات الجديدة من المواطنين المفتقرين الى مزيد من الثقافة والى الخبرة في النظام التمثيلي. ولما كان كل شيء 'يرد ، من جهة ثانية ، الى الصراع بين فريقين يعرف اولهما بالفريستي الجمهوري والثاني بالفريق الديموقراطي ، كان من الاهمية بمكان ، قبل أي شيء آخر ، ان يشجع الفريق الحاكم دائرة المصالح التي يتحرك فيها . فنجم عن ذلك ان المصالح الكبرى هي ما قررت الاتجاه الحقيقي للتشريع والرئاسة . وصعب من ثم <mark>على اعظم</mark> الحكام نزاهة الوقوف في وجهها . تستلزم مجهوداً اعلانياً كبيراً جداً . وان مثل « تاماني هول » الزعيم الديموقراطي الايرلندي في نيويورك ، الذي عمل بنصيحة وتويد، ، تاجر الكراسي المفلس، واختلس قرابة ١٥ مليون دولار في اعقاب حرب الانفصال ، ليس مثلا نادراً . فان د غرانت ، ، الجندي الطاهر الذيل ، قد أغضى عن اختلاسات بطانة تتناول عمالاتها من المتارة ؛ كما أن كليفلند ، الرئيس الديوقراطي الذي اكسب مدينة (بوفالو ،) بوصفه محافظها ، دعوى على متمهد البواليم ، استياء حزبه الخاص بامتناعه عن تطبيق « مبدأ تقاسم مكاسب الانتصار » على نطاق واسم، واستياء التجمعات النقابية التي لم يكن موافقا على قيامها ؛ ودان خصم كلىفلند ؛ هارسون ؛ بنجاحه ٤ لانتقال الاصوات في ولاية نيويورك الهامة بواسطة حاكمها السريـم التأثر بالمروض.

بالاضافة الى الامتيازات وتازيات الاشغال الكثيرة التي تسند لاصحاب التعهدات الخاصة - وهي معارك يومية - ، عادت للاتحاد كذلك المسائل الكبرى الجركية والنقدية . فكيف تنظم العلائق التجارية بالخارج يا ترى ? فضل الديوقراطيون تخفيض التعرفة لأنهم لا يستطيعون الفوز الا بمساندة المزارعين والمستهلكين الذين اعتبروا ان السوق الاميركية المقفلة انها هي سوق تتسلط عليها الصناعة . اما المسألة النقدية ، وهي مسألة اكثر تعقيداً ، فقد فرقت بين رجسال الاعمال الذين طالبوا اما بنقد سلم واما بوفرة النقد التي تحرك الصفقات ، فقال الفريق الاول

باعتاد المعدن الواحد اساساً للنقد ، وقال الفريق الثاني طوعاً باعتاد المعدنين . وقد ضم هسندا الفريق الاخير منتجي الفضة في المناطق الفريية ، والمزارعين ، الدائنين منهم والمصدرين ، الذين كانوا يفضلون التضخم . ثم انضم رجال الاعمال الحكبرى الى الفريق القائل باعتاد المعدن الواحد (الذهب) خلال فترة تجدد الازدهار الممتدة من السنة ١٩٠٥ الى السنة ١٩٠٠ .

بقيت هنالك مسألة حرية العمل . فحين يتمرض التشريع التجمع النقابي ، انسبها يستهدف الدفاع عن الفرد . ولكن انصار التحالفات الصناعية ، بالاضافة الى انكارهم على السلطات العامة حق التدخل في هذا المجال ، تسدرعوا بمسلحة المجموع التي تخدم خدمة فضلى بتحسين تنظيم السوق . والحال اجساز العرف للولاية التعاقد مع المؤسسات التي تلعب دور الادارات العامة ؟ وفي سبيل اجتذاب رؤوس الأموال ، كان باستطاعة المجلس الاشتراعي الاجازة لاحدى الشركات بشراء اسهم اية شركة أخرى ، مشجعاً بذلك و الاحتكارات ، (وقد اعطت ولاية نيوجرسي المثل في السنة ١٨٨٨ لمسلحة شركة و ستاندرد اويل ، المهددة بخطر الافلاس) . وليس و قانون التجارة بين الولايات ، الذي استصدره كليفلند في السنة ١٨٨٧ سوى حسق المتحقيق في التصرفات السيئة المتناقضة وحرية التجارة . الا ان ولايات غربية عدة قسد استخدمته ضد شركات الخطوط الحديدية . ولكن و قانون شرمن لمقاومة التجمع النقابي ، اسند أمر التقرير القاضي . ولما كان روكفار هو المقصود آنذاك ، فقد توصل الى كسب الوقت ووجه في مهدأ و الاحتكار ، وسلة للدوران حول القانون .

معر سكان المروج منذ عهد مبكر جداً بارتباطهم بالمدينة ، فأثار هـذا معارضة المزارعين في الشعور منذ عهد جاكسون خصومة بين الشرق والغرب . وكان ممكناً الولايات المتعدة ال يفكر هذا الاخير بمد يده للجنوب الذي يرتكز الى افتصـاد

ريفي ايضاً: وهو تحالف استند اليه ديموقر اطبو الساعة الأولى ثم تجدّد عقده بين حين وآخسر. ولكن مجتمع والمنازل ، الملاكين المتوسطين ، كان مختلفا عن مجتمع المزارعسين المجنوبيين. وقد نفر كذلك من التحالف مع طبقة الكادحين في المدن.

وهكذا كلما انفجرت أزمة ، قام الفرب بحركة سريعة الزوال . فبمسد حرب الانفصال حدث اختلال بين اسعار المحاصيل الزراعية التي هبطت واسعار المنتجات الصناعية التي ارتفعت . فاعلن المسؤولون في احدى الجمعيات المعروفة باسم والنبر ، انهم اعتمدوا النظام التعاوني وحملوا احد عشر مجلساً اشتراعياً في الولايات على استصدار و قوانين نبرية » ضد التعرفات التفضيلية او التمييزية التي وضعتها شركات الخطوط الحديدية . ثم تعاظمت هده الحركة في فترة انخساص الاسعار الكبير الذي عقب ازمة السنة ١٨٧٧ واصاب القطاع الريفي بصورة خاصة . وقد بلغ عدد و النبريين » ٥٠٠ ٥٠٠ في السنة ١٨٧٥ ، لا بل انضم شطر منهم الى و الاتحاد القومي للعمل » بفية انجاح برنامج تضخمي ، وهو برنامج الاوراق النقدية . ثم رافق تجدد الازدهار في السنة ١٨٧٠ هدوء وقتي . وانها لوحظت منذ السنة ١٨٨٧ معاودة الهيجان بادارة و التحالف

القومي المزارعين ، فقد ارتسمت مرة أخرى حركة شعبية تقدمت بمرشح للانتخابات الرئاسية في السنة ١٨٩٦ ، أما في السنة ١٨٩٦ فقد أنضم المزارعون الى و براين ، المرشح الديوقراطي وخسروا معه معركة اعادت الى الحكم لمدة طويلة الجهوريين القائلين باعتاد المعدن الواحد ، المقربين لارباب الاعمال الكبرى . وسيستفيد الجهوريون هؤلاء من عودة السنوات الخيرة . وقد ارسى كتاب و هنري جورج ، و تقدم وإملاق ، الذي صدر في السنة ١٨٧٩ ، بالصراع ضد الدخل المقاري بوامطة الضرائب التصاعدية : فلم تحدث هذه الاشتراكية الزراعية سوى صدى ضعيف .

العامل الاميركي رلشأة النقابية في الولايات المتحدة

بات عمال الولايات المتحدة احدى اكبر الطبقات العماليسة عدداً في العالم . ولكن اميركا كانت قد عانت لمدة طويلسة من حاجة حقيقة الى العد العاملة بسبب ضخامة الاعمال

الواجبة التنفيذ : فتألفت من ثم طبقة اولى ؟ و يانكية ، جداً ؛ متمسحة بالحرية الفردية وغير قابلة الناثر بالمذاهب المتلفة ، ومتقاضية اجورا على بعض الارتفاع . وفي الواقع كان بلاذب هذا الارتفاع اثره الكبير في الهجرة الواسمة التي حدثت في منتصف القرن . ولكن طبقات جديدة برزت ؟ متميزة بالفقر والامية والب<mark>مد عسن</mark> كل رأى سياسي . وهي هسذه العناصر التي قامت بالاعمال الصعبة الماء اجور متدنية رغذّت ح<mark>ى و العمل</mark> الشاق » . وفي السنة ١٨٨٠بلغت<mark>.</mark> نسبة الي<mark>د ا</mark>لماملة النسائية ٢١٪ ٪ – وهي أعظم ارتفاعاً الى حد يعيد في صناعة المنسوجات – و ضمتال<mark>صن</mark>اعة • • • • • • ١٧ فق تتراوح اعبارهم بين العاشرة والخا<mark>مس</mark>ة عشرة (١٨٪) . وقدروت والأم » « جونز هـ) المناضلة الثقابية) أن « معدل ساعات العمل في مناجم الفحم الحجري في بنسلفانيا كان ١٢ و١٣ ساعة ، او ١٤ ساعة احداناً ، ؛ « وان لا قانون يحمى جسم عسسهال المناجم او حباتهم . وأن العائلات تعيش في مساكن الشركة الحقيرة التي قد لا تقبل بها الحتازير نفسها . وان مثات الاولاد يوتون بسبب جهل رفقر آباشم . . وقد بينت الاحصادات ان العال كانوا يعماون متين ساعة في الاسبرع في السنة ١٨٥٠ ، وستا رستين في السنة ١٨٦٠ ولسما وخسين فقط في السنة ١٨٩٠ (سنة ارغم المياومون الزراعيون على الممل بين سبمين والنشين وسيمين ساعة) , ولفت انظار كافة المراقمين ارتفاع عدد حوادث العمل . فقد ورد في و مذكرات ، وجول هوريه ، . وانها لمذابع دائمة . لا بتخذ أي احتماط للمعافظة على حماة المهال ؛ ولمسا كانت الشركات كلية الاقتدار ؛ والحاكم واقمة تحت سطرتها ؛ والقارن نفسه مسخراً لحدمتها حتى السنة ١٩٠٤ ؛ ١٦ ألف وماة و ٣٥٠ ألف اصابة محروح مختلفة. واذا ما مظرنا ال مجموع الفترة ١٨٥٠ - ١٩٠٠ التسبي لما أن معدل الاحور لم يرتقع بسنية أرثقاع الانتاج والارباح . فقد حدث ارتماع مثى ارن حرب الانمصال عقبه بعض التوقف ؛ لا بل تميز المقدان ١٨٧٠ -١٨٨٠ ر ١٨٩٠ - ١٩٠٠ بتدنى القيمة الاسمية ٤ أد أن العامل لم يشمر بالضبق تفسه خسسلال

العقد ١٨٨٠ – ١٩٠٠ بسبب هبوط الاسمار الزراعية . وكانت الاجور في الغرب ، المفتقر الى اليد العاملة ، اعلى منها في الجنوب بنسبة كبرى ؛ كما ان اجور عبال صناعة المعادن كانت اعلى من اجور عبال صناعة المنسوجات ؛ وربما بلغ الفرق بين اجور العبال الزراعيين واجور العبال الاختصاصيين نسبة ١ الى ١٠ .

يبدو ان اجر العامل الاختصاصي كان اعلى من اجر اي عامل ماهر في اوروبا (١٠) . ولما كان الماكل والملبس اقل ارهاقاً لموازنة العائلات العالية ، فقد خصص للمسكن مبلغ اكبر (ويقدر ان ١٢ / كان لهم بيوتهم الخاصة مقابل ١ / في اوروبا) . ولكن المسكن اختلف اختلافاً كبيراً بين مدينة واخرى : فقد اشتهرت بلتيمور وفيلادلفيا بسمة العيش فيها (ويقدر ان بين ٩ و١٧ / من البيوت العالية كانت مزودة بغرف للاستحام) ، على نقيض نيويورك السي كانت مساكنها متوسطة ، و « اورليان الجديدة » التي كانت تعتبر غير صحية اطلاقاً . وبصورة عامة لم يدخر العامل شيئاً من اجوره ، بل انفقها كلها يرمياً وربا لجا الى الاستدانة .

ان البيئة تعزز القناعة بان حظ كل انسان في متناول يده: وقد ابدى انغاز في رسالة يعود تاريخيها الى السنة ١٨٩٢ هذه الملاحظة: « يتصور العامل الامير كي ان الجمتمع البسورجوازي هو ، بطبيعته ، وفي كل زمان ، تقسدمي ومتفوق ولا يماو عليه مجتمع . لا يفكر بالدفاع عن وضعه الا في نطاق عمله ، ولا يهتم اهتاماً كبيراً بالنشاط السياسي . اضف الى ذلك من جهة ثانية ان السلطات العامة تقدم لارباب العمل مساعدة فمالة : فالشرطة الامير كية تتدخل بقوة، وحتى بوحشية احياناً ، والجيش يساندها اذا ما مست الحاجة الى ذلك . واذا ما تسربت الفوضوية الى داخل الحركة العمالة ، فان هذه الحركة لا تتأثر بالدعاوة الاشتراكية .

لقد قامت قبل السنة ١٨٤٨ حركة مطالبة بالحقوق ارتدت طابعاً نقابياً وتعاونياً. ثم ظهرت مرة اخرى و اتحادات عمال التجارة ، اثناء الحرب الاهلية وطالبت بان تحدد ساعات العمل في اليومبثان واربعين ساعة وتبنى والاتحاد القومي ، هذه المطالبة في برنامجه للسنة ١٨٦٦؟ ووقف كذلك موقفا ايجابياً من التعاون وموقفاً سلياً من التضخم ؟ ورغب في تحسين مصير الزنوج وتحرير المرأة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الهيجان طالما تجدد خيلال و العهد المذهب ، الذي عت فيه الرشوة وتكاثرت الفضائح المالية ؟ ولكنه استمر كذلك خلال فترة الهبوط التي عقبت ازمة السنة ١٨٧٧ بسبب توسع البطالة وقدني الاجور تدنياً نسبياً . وبينها لجات بعض الجميات السرية ، كجمعية و مولي ماغواير ، الى اعمال الارهاب في منطقة المناجم في بنسلفانيا ، انفجرت اضطرابات كثيرة كان اعظمها دويا اضراب عمال السكك الحديدية في بنسلفانيا ، انفجرت اضطرابات كثيرة كان اعظمها دويا اضراب عمال السكك الحديدية في بنسلفانيا ، انفجرت اضطرابات كثيرة كان اعظمها دويا اضراب عمال السكك الحديدية في بنسلورغ ، فأشعل فيها النسيران بعض العملاء المحرضين ودمروها تدميراً تاماً ؟ وعلى الرغم من بتسبورغ ، فأشعل فيها النسيران بعض العملاء المحرضين ودمروها تدميراً تاماً ؟ وعلى الرغم من بتسبورغ ، فأشعل فيها النسيران بعض العملاء المحرضين ودمروها تدميراً تاماً ؟ وعلى الرغم من بتسبورغ ، فأشعل فيها النسيران بعض العملاء المحرضين ودمروها تدميراً تاماً ؟ وعلى الرغم من

⁽١) راجع الرسم السياني في الصفحة ٢٠٠١.

اغضاء قوى الامن عن العال ، كانت الكلمة الاخيرة للشركة التي صرفت العديد من المستخدمين واستبدلتهم بمهاجرين من اوروبا الوسطى .

في اعقاب هذا الفشل ، ظهرت و جمعية فرسان العمل ، ، المنظمة التي كانت سرية من ذي قبل ، فأوصت بانهاض الطبقة العمالية عن طريق التربية والعمل على السواء . وبعد ان كان اعضاؤها متدينين ومسالمين جدا ، اصبحوا اشد ميلا الى الكفاح تحت تأثير الاحداث . وقد تماظم نفوذهم حين استحصلوا من و غولد وعلى اعادة استخدام عمال مصروفين بسبب انقطاعهم عن العمل . وفي السنة ١٨٨٦ كان عددهم قد بلغ اكثر من ٢٠٠ السف ، ويقال انمشايعيهم بلغوا الملايين . فأجاب ارباب العمل على الاضرابات التي تجددت وتكاثرت مرة اخرى بالصرف المؤقت . وحين حدثت بعض الاضطرابات في مؤسسة و ماك كورميك ، في شيكاغو بتأثسيد دعاوة الفوضودين، المهم عدة مسؤولين في الجمية باثارتها وادينوا .

برز حينذاك بدوره الاتحاد الاميركي للعمل الذي اقترح اقامة مظاهرة في اول ايار من السنة ١٨٨٦ للمطالبة بتحديد ساعات العمل بثماني ساعات . وقد رغبت هذه الجمية الجديدة ، التي امتدت فروعها الى كندا ، في تنمية نقابية على اساس المهنة ورفضت مجزم فكرة الصراع الطبقي ، كما رغبت في مفاوضة ارباب العمل في تحسين وضع العمال تحسينا تدريجيا . ففازت بالساعات الشها في للنجارين ، ولكن اضرابا اعلن في مصانع كرنجي للفولاذ في و هومستد ، وقع بالقوة : قصرف ، ١٥٥ عامل لانضهم الى الاتحاد المحلي ، فأتاح هذا النجاح لملك الفولاذ العظيم تطهير كافة المؤسسات التي كان يشرف عليها . وبعد مرور سنتين ، رفض الاتحاد مساندة اضراب اعلن في مؤسسة و بولن ، في شيكاغو ، فأعادت قوى الامن النظام الى نصابه . يضاف الى ذلك ان ردة فعل ارباب العمل ستشتد بعد تحسن الاحوال الذي ارتسمت دلائله منذ السنة ١٨٩٥ .

في بريطانيا خرج حزب العال من اتحاد عمال التجارة ؟ اما في الولايات المتحدة فليس بعد ما ينبىء بترعرع اشتراكية ، حتى « بدون عقيدة » . وقد لفت الانتباء في السنة ١٨٩٢ ان مرشح اوساط المزارعين قد جمع مليون صوت وان الاشتراكي « دبس » لم يجمع سوى ٢٠٠٠٠

ولدت في المجتمع الاوسترالي اشتراكية و بدور عقيدة ، بتأثير فاتعة الحركة العسمالية ظروف خاصة . فمنذ عهد مبكر ، رأى جزاز والصوف ، وعمال في ارستراليا الحواض السفن الذين يشحنون البالات ، وحمال البناء ، انفسهم في موقف ملائم المطالبة بحقوقهم بنجاح. ولما كانت الدولة متولية اعمال فتح الطرق وبناء الخطوط

الحديدية والمدارس والمستشفيات؛ فقد اصبحت احد ارباب العمل الرئيسيين . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان ديون الجاعة ارتفعت ارتفاعاً سيفضي بالضرورة الى فرض الرسوم على الثروة المجموعة والدخول : وقد عزز ذلك مركز اصحاب الاجور الذين يتعذر بدون مساندتهم تطبيق مثل هذه الرسوم .

'بعيد السنة ١٨٥٠ حددت ساعات العمل في اليهوم بثماني ساعات . ثم اعترف بالنقابية قانونيا . لا بل جعلت الحكومة النيوزيلندية من نفسها مؤسمة على الحياة وألزمت ارباب العمل بالاعتراف بمسؤولياتهم حين يتعاقدون مع النساء والفتيان .

الا ان الفشل الذي انتهى اليه اضراب كبير في السنة ١٨٩٠ ، بينا اعطت هـنه الطبقة المهالية مثل التضامن الفاعل بساندتها عمال احواض السفن اللندنيين، وتجهد اتحادات عمال التجارة شطر النشاط السياسي ، فتألفت احزاب عمالية تحالفت مع الجناح التقدمي في احزاب الاحرار . فكان ذلك نقطة انطلاق اشتراكية برلمانية شبيهة بالاشتراكية البريطانية ، وبعيدة مثلها عن كل برنامج ثوري . وكان همها الاكبر وقف هجرة الملونين بغية الدفاع عن الاجور المرتفعة .

الايان والثقافة عندد الشعوب الانكارساكسونية الجديدة

كانت اميركا الوطن المختار والمبارك الشيم الدينية. ويصح هذا القول كذلك في البلدان الانكلوساكسونية الاخرى في ما وراء البحار. فإن الكاثوليكية لم تتجانس مم اي

شعب ، وفي اي مكان ، تجانسها مع سكان كندا الناطقين باللغة الفرنسية ؟ وبلغ عدد اتباع الكنيسة الرومانية في الولايات المتحدة في السنة ١٨٩٠ عشرة ملايين مؤمن ساعدوها على تشييد اكثر من ١٨٠٠ بناء للعبادة . وهذبت البروتستانتنية المقول بقوة كذلك في كنائسها التي لا يحمى لها عد . وقال البناؤون الاحرار بوجود الله والدين الطبيعي وانكروا الوحي ، واحتلوا مراكز قوية . وكان لمذهبي التصوف والروحانية اتباع كثيرون . وتأثرت الطوائف اليهودية ، التي تعززت تعززاً كبيراً بهجرة اواخر القرن الواسعة النطاق ، بمذهب الاصلاح السياسي الذي قال به الحاخام و وايز ، وبالنداءات من اجل اصلاح صهيوني . ويلفت الانتباه كذلك نجاح منظمات من امثال منظمة و جيش الخلاص ، (وذلك بعد ان انتصرت الرغبة في الحال على الصوفية الرمزية الفامضة القدية) . وقد شاهد و بيير لروا - بوليو ، حوالي السنة ١٩٠٠ ، تطوافاتها التي كانت تنضم اليها جماهير غفيرة و في كافة مناطق البحث عن الذهب في المالم ، في تطوافاتها التي كانت تنضم اليها جماهير غفيرة و في كافة مناطق البحث عن الذهب في المالم ، في الترانسفال ، ويعتبر و اندريه سيففريد ، انها و اسهمت اسهاماً كبيراً في طبع مدن (زيلندا في الترانسفال ، ويعتبر و اندريه سيففريد ، انها و المهمت اسهاماً كبيراً في طبع مدن (زيلندا الجديد من المال في هذه الدنيا . وهو لم يدفع قط الى المجادلات اللاهوتية . ولم يفلح في معالجة التصميم على العمل في هذه الدنيا . وهو لم يدفع قط الى المجادلات اللاهوتية . ولم يفلح في معالجة عدم استقرار العائلة معالجة ناجمة ، وانما طلب منه توفسير الخير والاطار لنشاط يستهدف

مقاومة الرذيلة والبؤس. وقد تولىهذه المهمة بصورة خاصة ، بالاضافة الى و جيش الخلاص ، المعض الجماعات من الشبان : جمعية الشبان المسيحيين ، جمعية الشابات المسيحيات ، جمعيسة الشبان الكاثوليك .

تعهد هذه الطوائف مؤمنوها فلم تشمر مجاجة لطلب حماية الدولة . وعملت في منساخ حرية نادرة . واعتمدت الطرائق الاعلانية نفسها التي تعتمدها المؤسسات التجارية. واوصت.بخدماتها لأجل خلاص النفوس كما يوصى رجال القان<mark>ون بخدما</mark>تهم من أجل الطلاق . وقد أجريت تسويات مختلفة من اجل طبيع المدرسة بطابيع ديني: فرجعت في الولايات المتحدة كفة التعليم والعلماني، بينًا اسندت كل ولاية من ولايات كمدا امر تنظيم التعليم الى لجنتين مختلفتين ؛ لجنب بروتستانتية واخرى كاثوليكمة . ولم يكن باستطاعة المواطن الا أن يختار بين العبادات الماثلة أمامه . وقد حظر عدد من ولايات الاتحاد كل عمل في يوم السبث ، وكان هذا الحظر مشدداً في كافة انحــــاء ارستراليا وزيلندا الجديدة . واقرت بم<mark>ض الجالس</mark> الاشتراعية في الولايات المتحدة مبدأ تنافي شغل وظيفة عامة وعدم النقيد بالمبادىء الدينية . وحدث احياناً ان اعفيت املاك الكنائس غير المنقولة من الضرائب. أما رحال السياسة فغالباً ما التمسوا حماية الآله الكلي القيدرة ؟ وحدث في السنة ١٨٩٦ ان حكومة (واياز الجديدة) الراديكالية توسلت اليه بالحام وخضوع ان بين على البلاد بالمطر . وساند رجال المال والصناعة المؤسسات الدينية النقوية . وجاهروا بان الالحاد وحتى اللامبالاة منافيان للاخلاق. وهكذا فان و بيربونت مورغان، المساهم الرئيسي في او<mark>برا</mark>دمتروبوليتان ۽ في نيويورك، قد منم التمثيليا<mark>ت التي اعتب</mark>رها متنافية والاخلاق الحيدة. وفي السنة ١٨٧٩ حكمت محكمة الجنايات في الولايات المتحدة على الصحافي « بَنْت » بالاشفال الشاقة لمدة ١٣ شهراً يسبب مقالاته المناهضة للدن ، وقد رفض د هايس ، ، رئيس الحكمة ، تخفيض العقوبة. وفي ناقال التقد الاسقف الانفليكاني و كولنسو ، بعض فقر الكتب المقدسة ، وكان بذلك سبب زلة للمؤمنين ، فتحمست كنيسة جنوبي افريقيا اكثر من كنيسة انكلارا في المطالبة بمزله في السنة ١٨٦٣.

كان المدرس خاضماً لاشراف الهيئة الانتخابية المحلية، وكان يختار من المنطقة نفسها ويتلقى دروسه فيها، ولكنه غالباً ما شكا من مركب نقص ولفن المبادىء التي يقرها المجتمع . وحوالي السنة ١٨٥٠ بلغ عدد المعلمين الابتدائيين المتخرجين من دور المعلمين في بنسلفانيا ١٠٠٠ فقط من اصل ٢٠٠٠ . وفي السنة ١٨٧٠ - كا اقر بذلك و كرنجي » - كانت نسبة الاميين الم المواطنين الاميركيين، واذا تدنت هذه النسبة ، بعد مرور عشرين سنة ، الى ٧ / لمواليد اميركا، فانها ما زالت ١٣ / للمهاجرين و ٥ و بالمئة للزنوج . وبينا وفرت زيلندا الجديدة بفضل الدولة ، العلم لـ ١٣٠٠٠ ولد من ابناء السكان البالغ عددهم ٢٠٠٠٠ نسمة ، فان بغض الترانسفال لم توفره الالحرب الجامعية الاولى في الولايات المتحدة: هارفارد ويال . ثم اسست الولايات الشيع قد اسست الدور الجامعية الاولى في الولايات المتحدة: هارفارد ويال . ثم اسست الولايات

بعض الدور الاخرى . ولكن اصحاب الملايين هم الذين لعبوا دوراً هاماً في هـــــــــذا المجال : « بيبدي » في نيويورك ، و « هوبكنز » في بلتيمور ؛ وهنالك جامعة تعرف باسم « جامعــة فاندربلت » ، وقد انقذ روكفار جامعة شيكاغو بمنحها ١٢ مليون دولار ، بينها كر س كونجي مبلغاً مماثلاً لتأسيس معهد للابحاث العلمية .

لم تكن الاخلاق الديمرقراطية لتتنافى ورجود بعض الفئات المقفلة . فقد كان منها ست في بوسطن . وكان ظرفاء نيويورك يجتمعون في « سومرست » او في « نيكربوكر » . ولكسن الاميركي ، فقيراكان ام غنيا ، لم يقرأ كثيراً : فقد كانت تكفيه الصحيفة التي توفر له بانتظام الاخبار المؤثرة والاخبار المتفرقة وتحمل على التقيد بالمبادىء السليمة . وقد لوحظ اللطلاق كان اسهل منه في اي مكان آخر (طلاق من كل ١٥ زواجاً مقابل طلاق من كل ١٥٠ والكاترا) ، وبدت المفازلة وكانها نظام معمول به . يضاف الى ذلك ان كافة هذه المجتمعات المدنية قد شعرت بجاجة ملحه الى الألاهي : فشغفت اميركا بمبارزات الملاكمة ؛ واوستراليا وزيلندا الجديدة بلمية الكرة والصولجان ولعبة كرة القدم وسباق الجياد .

اذا افتقرت الحركة الادبية زمناً طويلاً الى صفات ذاتية نميزة في دول الامسهراطورية البريطانية ، حيث تمتع المؤلفون الانكليز بنفوذ فعلي (كان لكندا وحدها مدارسها التي عبرت بالمنتين عن فكر محلي خاص) ، فلا نزاع في ان الادب الاميركي قد لمع بنضارة الشعر ، ورقة التحليل السيكولوجي ، والحياة النابضة في وصف البيئة . فبرزت بين الادباء مواهب كبرى انتجت الكثير من المحاولات والقصص والروايات البالغة الأهمية .

ما كانت الولايات المتحدة من قبل لتجهل الرومنطيقية التي كان من شأن طبيعتها البكر ان تحرك اندفاقاتها . ثم جاءت الحرب الاهلية التي عظمها « وولت ويتمن » كامتحان مخصاب : وشاهدت البرق الحقيقي . شاهدت مدني الكهربائية . عشت لكي أرى ظهور الانسان ويقظة اميركا المحربة الجيل المعربة السياسية : وكان الفرب قاسيا ابداً حين شكا منها . وانما يجب انقطار السنة ١٨٩٠ حتى تميط الواقعية الستار حقا عن المفاسد ؛ وعلى الرغم من ذلك فان « كراين » قسد تمثر في فضيحة مع « ماغي » احدى « بنات الشوارع » ؛ ولكن « مارك قين » اكتسر من رغدوه بحادثة معاصريه بلغة ماجنة وبالاستهزاء بالتعابير الاوروبية القديمية المبتذلة . وسوف تبرز الطبيعة في عهد متأخر معنى القصة التشاؤمي في مؤلفات « درايزر » الذي سيشدد على التسلط الجنسي . فبقي ان فردية العالم الجديد النفعية قد ارتضت بنظريات سبنسر و « وليم جايس » . استقبل الاول بحياس في السنة ١٨٨٠ ، ووجد صدى عظيها لدى رأي عام متفائل حقا ؛ فدعا استقبل الرأي العام الى التسليم بأن الحرية ومذهب الارتقاء يتزاوجان ويولدان التقدم . اما الثاني فقد نادى بالحاجة الى بذل الجهود ، ومثل الحقيقة بالنجاح ، وأكد ان « الدين يتصل بالحياة ، وربط بين صحة الاخلاق وصحة الجسد ، واقترح مذهباً عملياً مطابقياً المقاصد شعب مولع وربط بين صحة الاخلاق وصحة الجسد ، واقترح مذهباً عملياً مطابقياً المقاصد شعب مولع

بألابتكارات المملَّة .

اما بصدد الحاجات الفنية ، فقد ارتأت هذه الشعوب الجديدة ، دونما خجل ، ارضاء ها المقتباس افكار اوروبا وحتى منجزاتها . فقبل السنة ١٨٦٠ شففت امريركا بالمبد اليوناني ، فشيدت الكثير من الدور الحكومية ذات الاعدة والمزارع ذات المثلثات في أعلى مقدمتها ؛ ثم اهتدت الى النمط القوطي وأضافت بمض التفاصل الاوسطية الى ابنية مربعة الشكل . وكل من توفر له المال اللازم اراد ، حوالي السنة ١٨٨٠ ، اقتناء مسكن على غط مسكن و هوسمن ، او قصر على غط الحراء ، او بيت خشي على غط البيوت السويسرية . ومع اعجابه بالرواثع الاوروبية فقد نصع و ويتمن ، بعدم تقليدها ، وفي نظر رجل الشارع ما كانت كنيسة القديس بطرس في دوما لتوازي الكابيتول في واشنطن . ولكن ذلك لم يمنع و هانت ، من اعدة بناء بيت و كورنيليوس فاندربلت ، على النمط الإيطالي مضيفاً اليه قفص سلم قد يتسع لحطية سكة وحديدية . وكان و فرانك لويد رايت ، احد الاوائل الذين ابتكروا اشكالا جديدة ، واضحة ومتناسقة ، لا سيا في بوفالى وشيكاغو .

وبنت اميركا هذه نفسها مسارح فسيحة ، ولكنها لم تتوفق الى اعطائها الزوح ، وحسين نزلت « راشيل » الى البر الاميركي في السنة ١٨٥٥ ، اهتزت نيويورك كلها حبوراً ، وعرضت حلويات و بحد مات وسجاير وقبعات ليلية حملتها اسم راشيل بحرفي اورليان الجديدة طلع ساحب احد المقاهي الحاملة اسم راشيل بشراب (« بوتش ») راشيل . وصفق رواد الحفلات الموسيقية لموسيقي الكلاسيكيين والرومنطيقيين بينا فضلت الجاهير المهزلة الموسيقية المليئة بالحسوادث المؤترة المفتدة .

لم تتمثل الفنون التصويرية بأسماء كثيرة : قد هويستلر ، هو الاسم اللامع الوحيد بين رسامين كثيرين لم تنقصهم الموهبة ؛ ولكن ليس مناك من مدرسة مجددة حقيقية .

وجملة القول أن هذه الشعوب الانكلوساكسونية الفتية قد تفرغت بحب تفضيلي النشاطات التي تتبح لها احكام السيطرة على الفضاء والمادة ؛ وقد مجمئت أول ما مجمئت عن البهجة في الحركة؛ وأناطت فخرها بفتح القارات وتحقيق الرفاهية المادية .

ولغصل ولشالت

الأسام الصعبة في أميركا اللاتينية منذحروب الاستقلاك

اختلفت اميركا ؛ المعروفة عموما باللاتينية ؛ اختلافا عميقا عن اميركا الانكلوساكسونية . فكانت لها حضارة خاصة اقدم عهدا . وكان سكانها يقدرون به ١٩ مليون نسمة في اوائل القرن الناسع عشر ؛ فكانت هي من ثم متقدمة من حيث الاعرا ؛ ولكن معظم سكانها كانوا منتسبين الى الاعراق الملونة ، وكان البيض منذئذ اكثر منهم عسددا في الولايات المتحدة . فلنقابل الآن احصاءات اواخر القرن : انها تشير الى اكثر من ٨٠ مليونا في القسم الشهالي من المالم الجديد ، وهو اصغر مساحة بصورة ظاهرة ، بينا لا تشير الا الى ٣٣ مليونا في القسمين الاوسط والجنوبي من هذه القارة . فالزيادة من ثم كانت اقل منها في امسيركا الشهالية . وعلى الرغم من أن الزيادة بلغت ٢٧ بالمائة بين السنة ١٨٠٠ والسنة ١٨٥٠ و ٢٦ بالمسائة بين السنة ١٨٥٠ والسنة به ١٨٠ و ٢٥ بالمسائة بين السنة بهد سوى نسبة عددية طفيفة من مجموع سكان العالم : ٤ بالمائة بدلا من ه٠٢ (١١) .

انطوى التوزيع من جهة ثانية على مضادات تلفت الانتباه. فقد احصي ١٥ مليونا في البرازيل التي لم تتجاوز كثافة سكانها العامة ١٠٧ ؛ ولكن اذا هبطت هذه الكثافة الى ٥٠٠٠ في و ماتو غروسو ، و ١٠٥٠ في و أمازونيا ، فانها ارتفعت الى ٣١٣ في منطقة وريو ، وقد يلفت ٥٣ في و سان سلفادور ، ، و ٤ فقط في نيكاراغوا الجماورة . وكانت نسبة السكان في الانتبل ، بصورة عامة ، ارفع منها الى حد بعيد في القارة القريبة .

⁽١) راجع البيان في الصفحة ه ١٠٠.

رباكان باستطاعتنا ان نعزو هذا التدني الى وضع البسلاد بالنسبة قط الاستواء . فنسبة الولادات مرتفعة (على ٥٠ المائة في البرازيل) ولكن نسبة الوفيات مرتفعة جداً ايضاً . ومرد ذلك الى ان المنطقة الواقعة بين خطي الجدي والسرطان هي حرم الهواء الاصفر (د الهواع الاسود ۽ الذي فتك به ٢٨ الف ضحية في البرازيل بسين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٥) . كا يرد كذلك الى ان الاجية والزحار تسلطا على الاراضي المنخفضة والحارة قرب الشواطىء ، وان الجدري والتيفوس قد عانا فساداً في المضاب المرتفعة . فالمناطق الجنوبية وحدها هي مسالستهوى الاوروبيين ؟ ولكن الهجرة لم تتجه الا في عهد متأخر شطر هسده المنطقة الجنوبية الله أله على المناشة .

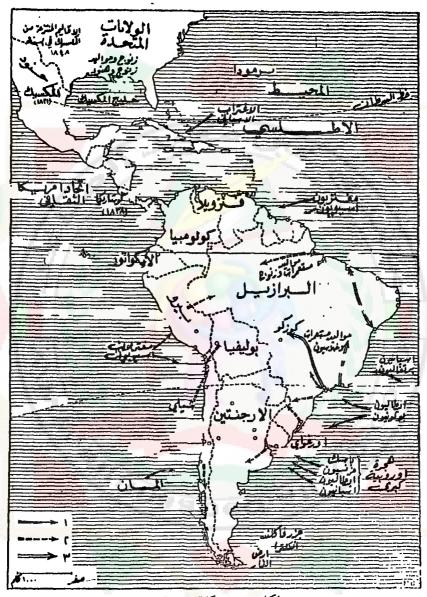
سيطرة <mark>مواليد ال</mark>ستعمرات والهجرة الاوروبية الجديدة

خلافاً لما حدث في اميركا الشالية ، لم يتغ<mark>لب المرق</mark> الابيض قط على المرق الاميركي مجصر المنى - وقد اقادح بمضهم تسميته بالمرق الاميركي الهندى او الهندى الاميركي -الذي

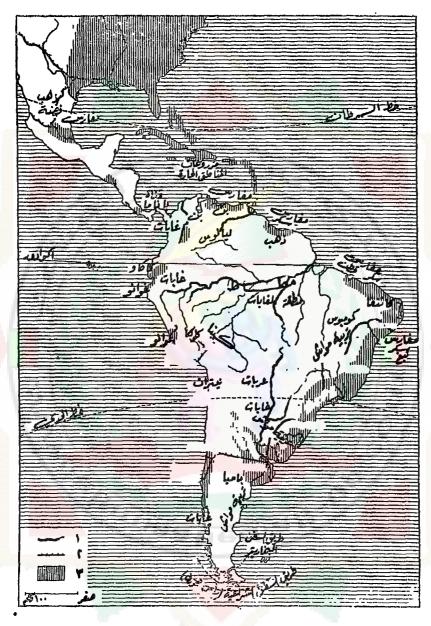
دافع عن نفسه بفضل المناخ والبيئة والعدد. وهكذا فقد ألف الهندي قوام سكان بوليفيا والبيرو لانه يتحمل اله و بنيا ۽ أو داء الجبال الاندية العالمية ، اكثر من البيض . ولكن الاوروبي توفق في كل مكان الى اخضاعه لسيطرته . وقد تحقق اخضاع اميركا الحراء هذا على مرحلتين : قوس و فاتحو ۽ القرن السادس عشر امبراطوريات الهضاب الاندية ؛ واضطر سكان المنطقة الممتدلة ، الا و شارواه في الاوروغزاي واله و آروكان ۽ في و شيلي ، الى الانحناء بدورهم خلال القرن التاسع عشر . وتأسست كذلك في هذه الاثناء ، واسطة النخاسة ، ولصلحة البيض، اميركا السوداء .

كان عدد مواليد المستمرات ٣ ملايين فقط حوالي السنة ١٨٠٠ . وكانوا مصمدين على الحلول على اسبانيا والبرتفال. وعلى غرار ما حدث في فرجينيا، لم تمن الحرية ، في رأيم، الفاء الاعمال الساقة والرق . ولكنهم خلصوا من قراءة الفلاسفة الى العزم على انتزاع املاك الاكليروس والحد من امتيازاته . والسبب في ذلك ان ممثلكات الكنيسة كانت على جانب كبير من الاهمية : فهي قد شملت ، في المكسيك مثلا ، نصف المساحات المستشرة . وقد فرضت صفة الاملاك الوقفية وجود الكنيسة في كل مكان .

وعرفت الديومة الاملاك العلمانية الكبرى كذلك خلال القرن التاسع عشر. فحوالي السنة ١٩٨٠ كان لا يزال في المكسيك بين ٩٠١ آلاف مشروع استناري ولكن مساحة بمض المزارع الكبرى قد بلفت ٢٠ وحتى ١٠٠ الف هكتار ، وقاربت نسبة الريفيين الحرومين من الاراضي ٥٠ بالمائة . ومن مواليد المستعمرات الد ٣٠ الف في الشيلي، امتلك ٣٠ الفا كافة الاراضي الزراعية تقريباً ، و ١٠٠ اكثر من نصف هذه الاراضي . وتقاسم السهل الفسيح في المنحدر الشرقي لجبال الاندس الجنوبية بعض كبار الملاكين الذين ادخلوا في خدمتهم خلاسيي المنطقسة ، وأجروا المهاجرين الفقراء ، لآجال قصيرة ، بعض القطع الصفرى . وفي الهضبة البرازيلية ، حدث ان



شكل ٢٣ ـ اميركا اللاتينية السياسية ١ ـ تيارات الهجرة ؛ ٢ ـ انتقال السكان ، الطرق التي سلكها العبيد



شكل ٤٢ ـ الهركا اللاتينية الاقتصادية ١ ـ طرق ماثية طبيعية مستمعلة ، ٢ ـ الخطوط الحديدية الاولى ، ٣ ـ مناطق تبدل فيه رجه الطبيعة تبدلا كاملا يفعل عمل الانسان ، عل حد قول جيجر .

بلغت الاملاك الكبرى مساحة ثقارب مساحة دولة اوروبية كايطاليا او انكلترا. وفي كل مكان ساد اقتصاد يستهدف تأمين الحاجات الاولية قبل اي شيء آخسس بسبب ضعف المقايضات وندرة النقد.

أتاح المنجم جمع ثروات طائلة وظفت جزئياً في العقارات . وانما لم يكن هناك رأسمالية صناعية جديرة بهذا الاسم ، لأن اميركا اللاتينية كانت تصدر خاماتها ومحاصيل زراعتها دون ان يدخل عليها اي تحويل .

اكتفى الملاك من مواليد المستعمرات بالتمتع بحاضره . ففي بلدان كثيرة كشيلي والبرازيل مثلا الحب الاقامة في المدينة حيث عاش عيشة بطالة . واذا ما حدث ان اقام في اراضيه وقانه غالباً ما يكل امر ادارتها الى رؤساه خدامه . واذا جمع فروة وفانه يفضل النفقات المفرطة وواذا حدثت أزمة فانه يقلل نفقاته او يستدين ويلاطف امرأته ويخضعها لوصاية غيورة بمد ان تعتنى بها المربية ولكنها امية وسريمة التصديق على كل حال .

كانت هذه الطبقة الريفية ، البطرير كية الطابع ، غيير المولمة بالاستحداثات ، الانيسة والبليدة ، تثقل وظأة الضرائب على يد عاملة بائسة يفسر انتاجها الضئيل الخود المسيطر على الحياة الاقتصادية كلها . مذا هو ثمن الفتح . والحال تجددت الهجرة الاسبانية والبرتفالية على نطاق واسع في اواخر القرن . ولكن الحدث الجديد هو وصول الالمان ولا سيما الايطساليين باعداد كبرى . فكانت النتيجة ان اميركا اللاتينية القديمة ، الهندية والخلاسية والزنجية عنصريا في الواقع ، انقسمت نهائيا الى منطقتين مختلفتين كل الاختلاف : فمن جهة ، المنطقة الواقمة بين غيل الجدي والسرطان حيث توطد تفوق الدماء المختلطة والهنود ؛ ومن جهة اخرى ، اميركا وزيلندا الجديد والسرطان حيث توطد تفوق الدماء المختلطة والهنود ؛ ومن جهة اخرى ، اميركا وزيلندا الجديدة . وقد تحقق هذا الفتح الاوروبي الجديد بين السنة ١٩٩٠ والسنة ١٩١٤ ، فأوجد تضاداً اقوى منه في الماضي بين الارجنتين والاوروغواي والشيليوحق شطر من البرازيل الجنوبي وبين باقي العالم اللاتيني — الاميركي .

حياة السكان المنود: بداءة وبؤس فكان الد غوياهي ، بين د بارانا ، وباراغواي ، يأكلون فكان الد غوياهي ، بين د بارانا ، وباراغواي ، يأكلون كل ما يختص بالمولد الحيواني ، با فيه من انواع الهوام كالزنابير والنحل الذي محموا عن عسله ايضاً . واشتهر الد بوتوكودي ، او د ايوري ، بأقراصهم الشفية . وتسكع في البوس نفسه الصيادون الد يورانا ، و الد كارايا ، في البرازيل ، و الد « شانفو ، في السواحل الشيلية ، والد اونا ، في جزر النار ، وقد افني مؤلاء الاخيرين شيئا فشيئاً رجال المزارع ومرض السل . اما الد اباش ، و الد الكومانش ، في المكسيك الشالي فكانوا بدواً يربون المواشي ، وقد انتشرت هذه الحياة البدوية في اقصى الجنوب، في منطقة د باتاغونيا ، و اما الد شاروا ، القساة ، الذي

واجه البيض والخلاسيون شتى الصعوبات في اخضاعهم ، فقد اعتمدوا الحصان في صيد الحيوانات على غرار اله « تهوالتش » ، وكانوا يكتفون بضرب خيام من الجلد يحتمون بها من الرياح . وفي الشيلي ، تعاطى الاروكان ، الذين الفوا اتحاداً حربياً شبيها باتحاد اله « ايروكوا » ، زراعة الذرة الصفراء وتربية المواشي في آن واحد .

بيد ان اهل الحضر كانوا اكثر عدداً الى حد بعيد. ويمكننا الكلام عن حضارة الذرة الصفراه التي سيطرت على المناطق الواقعة بين الجبال الصخرية وجبال الاندس الجنوبية . فهناك منطقة المنارة الصفراء الشمسية الممتدة حتى المكسيك الوسطى : حيث يسحق الحب بواشطة الحاون ويستهلك بشكل طلم . وافضت هذه الزراعة الى قيام قرى ثابتة ، ونشطت صناعة الخزفيات التي استجابت للحاجات المنزلية والتزيينية . وتبدأ في بسيلاد الا مايا ، منطقة الذرة الصفراء المروية التي عالما ما تزرع في الاراضي الحرقة : فأضيف الى الطلمة معجون الذرة الصفراء المتعمل الماء فقط . اما الحبوب فغالباً ما تزرع وفاقاً لطريقة بدائية جداً : ففي نيكاراغوا استعمل بعضهم اداة شبيهة بالسيف اكثر موافقة لحفر حفر البذار منها لحراثة الارض . وفي كل مكان استخرجت من الذرة الصفراء جعة (شيشا) مسكرة .

في أميركا الوسطى والانتيل وغويانا كان المنيهوت مفضلا في بعض الاماكن عــــلى الذرة الصفراء . ولكن الذرة الصفراء استعادت كافة حقوقها في جبال الاندس . ففي كولومبيا زرعت مع البطاطا والقلقاس الهندي . وفي شلى دخلت مدويها في اعداد كافة اصناف الاطعمة واستخدم لباس زهرها للف الدخان . وفي هضاب البيرو وبوليفيا المرتفعة ولدت قساوة المناخ والجفاف حضارة مشتركة تمكنت من مقاومة الجدب بواسطة زراعة المنحدرات والري. وقد استمر مثال الهندي القديم ، الذي خضع فيها مضى لتنظيم دولي صارم ، ثم التحق بالنظسام السيدي في عهد الفاتح الاسباني ، فشاهد تعاقب الحكام ، جامد القلب غالباً ، على مزيد من الفظاظة هنا ؛ ومزيد من الوداعة هناك؛ واحب الارض ؛ فت<mark>مسك بالاملاك ا</mark>لمشتركة التي كانت غير قابلة البيع مبدئياً . ولحنه كان يخاف من الكد او لا يستطيع العمل بنشاط . ويرد ذلك ألى سوء تغذيته . فاذا لم محصل على الذرة الصفراء اكتفى بالبطاطا والديباء ؟ وقيد أحب بالت<mark>فضيل البط</mark>اطا المجلدة المطحونة التي دعاها و شونو ». وأعد حساء بأوراق و ر<mark>جل الاوز</mark> » . وح<mark>صل على بعض</mark> الحليب من الجل الاميركى والالبكة اللذن كان يحدث ان تربيها ؛ ولذلك كان يفتقر الى الشعوم والمواد الآزوتية . واكار من احتساء الشيشا، وكان شغله الشاغل تحضير الـ « اكوليكو » وهي كتلة صغيرة من ا<mark>وراق الكوكة</mark> يصنع منها كرية يضعها في فيه : يمضغها أ اثناء سيره او مزاولة اعماله فيتولد فيه النشاط . وكان بيته مينياً بالصلصال الجفف محررارة الشمس ، ومؤلفاً من غرفة واحدة لا نوافذ ولا سقف ولا ارضية لهنسا ولا سرير فيها . وكان ينام على فراش مصنوع من جلود الحموانات . وقد رآه الرحالة ﴿ موسارز ٤ ، في السنة ١٨٣٦) يمد بواسطة الحبال المقدة . اجل لقب تكن المستممر من تقويض اميراطورية اله انكا ،

وتبشيرها بالالجيل ، ولكنه لم يتمكن من تغيير طبيعة هذا الكائن الذي بقي متعلقا بشياطينه الاليفة والارواح التوابع وآلهة الجبل والثلوج والبحيرات ، وعبد الشمس والقمر . واستفسله الزعم والكاهن والقاضي استغلالا داءًا فتلهى بالرقص والعزف على الشبابة والمزمار . واذا هو تعلم الاسبانية فلا ينسيه ذلك لفته ، ال « ايملوا » او الا كيشوا » او الا « تاهواتل » او الا « مايا » . وعلى الرغم من تمتعه بالحقوق المدنية ، لم تستهوه الوظائف العامية . ولم يكن من مشاركة حقيقة بينه وبين الابيض يضاف الى ذلك انه حيثًا كان فرضت عليه اعمال التسخير والاتاوات. وقد خضع لنظام نصف فدادي في المنجم . وكاد لا ينجو من هذا النظام الا بمرافقة قطيع جمال الميركية او بمواكبة القوافل او بصناعة القبعات ، كا في الاكوادور ، بموص خاص يحساك الميركية او بمواكبة القوافل او بصناعة القبعات ، كا في الاكوادور ، بموص خاص يحساك المعت الماء .

مسير الدماء المختلطة والزنوج البيض و كان معظمهم من الختلطة اكثر من عدد السكان مصير الدماء المختلطة والزنوج البيض و كان معظمهم من الخلاسيين المولودين من البيض و الزنوج و المنود المتزاوجين ، يضاف اليهم نسبة دنيا من الخلاسيات المولودين من البيض و الزنوج و المنود و الزنوج و قد تجح الخلاسيات المائي الارتقاء في السلم الاجتاعي و حدث أن جمع ثروة بتربية المواشي و ادارة الاملاك وحتى باقتنائها احيانا ، واستثمر بدوره حينذاك الملوثين الفقراء أو الارقاء . تماطى حراسة قطعان الماشية ، فأصبح في قاترة من الزمن ملك الارجنتين ، وانضم الى البولسيين فأسهم بنشاط في احياء الاراضي في المضبة البرازيلية التي يمر فيها خط الجدي . وفي سالفادور تملك معظم الخلاسين الاراضي فعرفوا به لادينوس ومن فرع الغوارني انحدر اله دملوك المولود من ام برتفالية ، و اله شولو ، في البيرو ، واله دروتو ، في شيلي ، و كلهم عناصر نشيطة . وانتسب سكان باراغواي المحرابون الى الفواراني وخلاسيهم . وقد سال الدم الهندي في عروق زعماء (كوديلو) كثيرين . ولكن عامة الدماء المختلطة لم ترتفع يوما الى طبقة الهل اليسار . ففي الشيلي مثلا خضع الخلاسيون لاعمال التسخير وارتبطوا بحبار الملاكين من مواليد المستعمرات بعقود الحقت بهم المزيد من الغبن .

أقام الزنوج وخلاسيوهم حيث أدخل البيض الافريقيين اي من جهة الاطلسي ؟ من الانتيل حتى الربو . وفي اوائل القرن جاءت كذلك موجة من الانتيل نحو كولومبيا ومناطق غويانا ، وموجة الخرى من غينيا نحو و بارا ، و و مارانهاوو ، وموجة ثالثة من الكونغو وبنغويسلا والموزامبيك نحو وباهيا ، واعتق ١٠٠ الف عبد في منطقة غويانا الانكليزية في السنة ١٨٣٨ ، ولكن الجماعات الكبرى عاشت في البرازيل . و ٢٠ الفا في المنطقة الهولندية في السنة ١٨٦٣ ، ولكن الجماعات الكبرى عاشت في البرازيل . ففي السنة ١٨٧٠ ، كان في البرازيل البالغ عدد سكانها ١٠ ملايين نفس ، ١٠٠٠ ، زنجسي بينهم ورابة ١٠٠٠ ، الف عبد ، بينهم ورابة ١٠٠٠ الف عبد ، ولم تطرأ على الخلاسيين والبيض زيادة ثذكر حتى السنة ١٩٠٠ .

كان الرق ، على ما يبدو ، اقل قساوة منه في الولايات المتحدة : فقد كانت البرازيل في نظر الامير كين الشهاليين بمثابة و فردوس الزنوج ، . ومهسها يكن من الامر فان الحصول على الجرية كان هنا اقرب منالاً . ولكن الفاء الرق سيتطلب وقتاً اطول . واما في المزرعة فكان العبد يشتغل من مشرق الشمس حتى مفربها ولا يتوقف عن العمل الا ساعة واحدة يتناول فيها طمامه ؟ وغالباً ما 'ضرب بالسوط على ظهره العاري ، و'طلب منه عمل اضافي في الليل . فلا عجب من ثم اذا كان انتاجه ضئيلاً . وقد شكا اصحاب مزارع البن من الاجور الباهظة الستى تدفع الميد العاملة المتوانية .

اضطر الزنجي والخلاسي الزنجي ، بعد تحررهما ، الى العمل كمزارعين او كمهال زراعين ، ما لم يفضلوا العمل في المنجم ، ولكن مستوى حياة هؤلاء المساكين ، المعجبين بانفسهم ، الارقاء الكلام ، السريعي النهيج ، ولكن مستوى حياة هؤلاء المساكين ، المعجبين بانفسهم ، الافريقية ، وقد استطاع بعضهم تبيان اوجه الشبه بين حضارة ال « ياروبا » وحضارة زنوج كوبا وباهيا ، وبين العادات في هايتي والعادات في مارانهاوو في داهومي ؛ وفي غويانا ، ربما اعتقد الانسان بأنه عند ال « فانتي » او ال « اشانتي » . ولم تخف المسيحية الطقوس الوثنية اخفاء ناما : فقد دخيل بعض الآلهة الافريقيين في عداد القديسين او بقوا موضوع تكريم وتعظيم ، وبقيبي للعبادات الافريقية تأثيرها الغامض .

ال<mark>تغلفل الاقتصادي وهزال</mark> وسائل النقل

كانت اشكال النشاطات متحركة لأنها كانت بدائية. واتصف عمل احياء الارض بطابع الوقتية لأن الاحراج لا تلبث ان تستعد الاراضى التي ينتزعها الانسان منها . ولكن الزراعة

نفسها مسرفة ؟ وقد قام الخلاف ابداً بينها وبين تربية المواشي والمنجم . قاذا تواحم الناس على العمل في المنجم هاجر السكان المفارس وتركوا القطعان . واذا استُخرج كل ما في المنجم عادوا الى الاعمال الزراعية والراعوية . وكانت هنالك في البدء برازيل السكر والمناجم حول محسور باهيا و د ميناس جيريه » ؟ ثم تدنت زراعة قصب السكر ، بينا حلت محلما زراعة القطن وشجرة السحاكاو والتبغ او اجتذبت الناس الى ابعد من مواطن هذه النبانات ؟ وبالقابلة عرفت وغوياز » وميناس الازمة : فان مصاهر تنقية المعادن المنشأة في جوار الاحراج حول د اوروب بريتو » قد اخمد نيرانها الخط الحديدي الذي نقل الحديد الاجنبي . فعاد رعاة البقر الى قطعانهم في الهضاب الداخلية ، وعاد من تبقى من عمال المناجم والمصاهر الى «ساو باولو » الستي كانت بحاجة ماسة الى اليد العاملة في مفارس شجر البن ؟ وبسين السنة ١٩٠٥ والسنة ١٩٠٠ عرفت المناطق الواقعة على خط الجدي بدورها ثروة مفاجئة . اما شيلي الراعوية فقد اكتشفت حوالي السنة ١٩٠٥ رسالتها الزراعية بامارتها الباحثين عن الذهب في كاليفورنيا بالحبوب . وأمسا السهل الارجنتيني فقد تغير وجهه تكرارا اذ تعاطى فيه السكان على التوالي تربيسة المواشي السهل الارجنتيني فقد تغير وجهه تكرارا اذ تعاطى فيه السكان على التوالي تربيسة المواشي السهل الارجنتيني فقد تغير وجهه تكرارا اذ تعاطى فيه السكان على التوالي تربيسة المواشي المناطق تميز كل منها بنشاط عميز .

يصح القول نفسه في سرعة التغيرات التي طرأت على الصناعة الاستخراجية . فعسلى الرغم من أن مناجم الفضة في و بوتوسي » و و سرو دي باسكو » ما زالت مثاراً الفتنة ، فان دلائل النقص في المعدن كانت سببا ، في منتصف القرن ، في انتقال الجماهير الى و الجبسال الملكية » و و اورورو ، من جهة ، والى جبال و كربايا » من جهة اخرى حيث اكتشف الذهب على ارتفاع هم كلاف متر واستأثر استخراج الفضة في البدء باهنام شيلي ثم ترجهت الاطهاع شطر النسترات والنعاس . اما في المكسيك فقد تعاقبت فترات ارتفاع حمى البحث عن المعادن وهبوطهسا تعاقباً مطرداً .

كانت مسألة النقل احدى المسائل العسيرة جداً. لقد جعلت الطبيعة من قطسع المسافات علية طويلة وشاقة ، فابرز ذلك اهمية الطريق المائيسة الطبيعية للجهاعات البشيرية والعكيانات السياسية . فبينها وقفت مناطق البرازيل الشرقية سداً في وجسه الساحل الاطلسي ، اتاحت الشبكة الامازونية بلوغ لحف جبال الاندس من الشرق وغوياز و و ماتو غروسو ، وحين اقفل و روزاس ، البارانا بين السنة ١٨٤١ والسنة ١٨٥١ ، تحولت حركة النقسل الى الاوروغواي ، فكان ذلك فاتحة ازدهار الجهورية الشرقية . ولم يكن الهسدف من حرب الباراغواي سوى امتلاك شكة الطرقات الطسعة المؤدية الى و لابلانا » .

فما العمل للانتقال من حوض الى آخر ? ما زال العائق الاكبر الجبل الذي يحاذي الحيد طاهادي . ولذلك استخدم النقل الكولومبي نهر و ماجدولينا ، ورجه الدولة الكولومبية شطر عجر الانتيل و كذلك وجهت الطريق التقليدية الى هضاب البير و شطر الاطلسي الجنوبي: على هذه الطريق الفضية تمكنت و توكومان ، من تنمية مفارس قصب السكر بتصريفها السكر في مناطق المناجم المرتفعة ، واستخدم الملح القريب من و بونيادي الاكاما ، لحاجات قطعان جبال الاندس قبل ان ينقل الى سكان ال و بامبا ، ويتضح من ثم ما كان للزوامل ، ولا سيا البغال ، من اهمية كبرى . فهي قوافل البغال ما كانت تؤمن النقل في جبال الاندس والهضبة البرازيلية . من اهمية كبرى . فهي قوافل البغال ما كانت تؤمن النقل في جبال الاندس والهضبة البرازيلية . اما في السهل فقد امكن استخدام العربات التي تجرها الحيول او الثيران: فالارجنتيني كان يتطي الحسان اذا كان مستعجلا او يستخدم العربة الثقيلة التي يجرها حتى سبعة حيوانات والتي التاحت عجلاتها الكبرى احتماز الخاضات .

جاذب الحياة في المدينة وبـــطه تطور الوظيفة المدنيـــة

ان الاسبانيين والبرتفاليين المتوسطيين نقلوا معهم الى مسلا وراء الاوقيانوس ميولهم المدنية . وعلى الرغم من نمسوها البطيء كلمبت المدن دوراً عظيماً جسداً في هذه الحضارة

الايميرو -- اميركمة .

ذكرت مدينة المهد الاستماري تذكيراً مدهشاً بمدينة شبه الجزيرة ، وذلك بكاتدرائيتها الفخمة ، وابنيتها العامة العظيمة ، وينابيعها الجميلة ، وعرضت ليا باعتزاز ، ساحة الاسلحة ،، و سانتياغو ، الشيلية شوارعها الاربعة التي تنتصب على جنباتها اشجار الحور الظليلة، والاقنية

التي تمر فيها وتسمح برش الشوارع ؟ وتباهت و ربو ، القديمة بمساكنها البرتفالية الانيقة ذات السرفات . الا ان الحجر نادر بصورة عامة: ولم يبنبالحجر الجيل الصلب سوى ربو وو كوزكو ، فواد البناء المستعملة عادة هي القرميد المشوي بجرارة الشمس الذي يجب طلبه لاعطائه بمض البهرج. ولم تسقف البيوت الصغرى في اغلب الاحيان الا بالتبن الطويل وقد حدث ان الامطار المتساقطة بغزارة في ليا قد تسببت في انهيار السقوف. يضاف الى ذلك ان الناس كانوا يخشون الزلازل : فزلزال السنة ١٨٢٨ قد دمر عاصمة البيرو ، وزلزال السنة ١٨٥٤ دمر سان سالفادور. وفي كافة المناطق الحارة جمعت الغرف حول فناء تشاهد فيه بمض الطيور والحيوانات المؤالفة كالبيغاء والقرد ؟ اما الاثاث فكان قليلا . وافتقرت المدن الى النظافة ، لا سيا وان شوارعها لم ترصف رصفا جيداً بالبلاط. وفي عهد مكسيميليان فتحت في مكسيكو جادة كبرى جديدة تؤدي ترصف رصفا جيداً بالبلاط. وفي عهد مكسيميليان فتحت في مكسيكو جادة كبرى جديدة تؤدي الى شابولتيبيك زرعت على جانبيها اشجار الكينا وانشئت فيها بين مسافة واخرى مستديرات الى النظائيل . واكن ما ان تهطل الامطار الاولى حتى يتعرقل السير بسبب الاوحدال الطبيعي ما اوجد الفتنة ، اذ ان النوامي قد حجبت الكثير من القباحات ، وقد اشتهر جون الطبيعي ما اوجد الفتنة ، اذ ان النوامي قد حجبت الكثير من القباحات ، وقد اشتهر جون رو منذ تلك الايام بجاله الفتان .

ان القرن التاسع عشر لم يجمل قط ، بل بنى بسرعة وبدون ظرافة . فالمدينة الجديدة في ربو عادية ومبتذلة على الرغم من اتساع شوارعها وظهرت بوينوس ايرس لمدة طويلة بظهر حقير . فالمدينة غت بسرعة فائقة وابنيتها شيدت في مساحات ضيقة . اجل لقد تم توسيعها وفاقاً لمخطط هندسي على طريقة المدن في اميركا الشهالية ، وانتقلت مساحة رقمتها من ٢٠٠٠ هكتار في السنة ١٨٨٠ لـ ٢٠٠٠ ولكن الاوبئة فتكت فيها بالسكان فتكا ذريماً (١٣٧٠٠ في السنة ١٨٥٠) ، ولم يتحسن تبليط الشوارع قط قبل السنة فيها بالسكان فتكا ذريماً (١٣٧٠٠ في السنة بيام الشفة ولتجهيزها بشبكة بوالمسم ؛ وبدأ استخدام المفاز والكهرباء .

كان المدينة وظيفتها الاقتصادية ، كما في اي بلد آخر . فقد استخدمت مستودعا (هذا هو دور و لاباز ، الكثير الاسواق دور و لاباز ، الكينا ، ودور ساوباولو البن)؛ ودانت توكومان و و سالتا ، بالكثير الاسواق تجارة البغال ؛ ولم تنم الموانىء الا بنسبة نمو التجارة البحرية . ولكن بصرف النظر عن جمودها وعن قصميم البيض لها بغية ايواء الادارات العامة وتأمين حاجات الحياة الاجتماعية ، فقد طبعت ابدا بطابع اداري وسكني بارز . وبين سكان المدن كثر هم الذين تفرغوا السياسة والمهن الحرة : فان نصف الذين تلقوا دروسا عالية قد فكروا بجزاولة المحاماة . ولكن الهجرة قدد ضخمت الطبقة الكادحة الامية بنوع خاص .

تخلفت العواصم الحجيرى تخلفا محسوساً عن العالم الانكالوساكسوني ، وهي ان تبرز حقاً الا في اواخر القرن ، دون ان يبلغ سكان اي منها المليون نسمة . ويجدر لفت النظر مرة اخرى هنا الى اننا نتكلم عن عالم يجاوز سكانه الـ ٦٠ مليون نسمة .

ان الطابع العقاري الصريح الذي طبع به الاقتصاد قد سيطر على كافة ارجاء امير كا اللاتينية . فكان هناك المناء اثرتهم الحنطة في شبلي، او اثرتهم الجلود واللحوم الملحة

ولادة وأسمالية اميركية جنوبية وتدخل الرأسمال الاوروبي

في مناطق و لابلاغ ، وبرز شيئاً فشيئاً في البرازيل بعض المستفيدين من زراعة البن : قان اول آل و برادو ، المشهورين قد زاول تجارة البغال ، وتوصل احد ابنائه الى تملك مقصبة فسيحة ؛ وبين اولاد هذا الاخير اكتشف احدم بدوره و ارضاً حمراء ، جيدة جـــداً واصبح في السنة ١٩٩٢ رب مزرعة تحتوي على ١٩٩٠ ١ شجرة . واشترك معه احد اخوته في تأسيس شركة الخطوط الحديدية البولسية لحدمة المنطقة ؛ وضعت هذه الشركة بين كبار مساهمها رب مزرعة كبرى اخرى هو البارون و ايتابورا ، وقد اصبح باروناً بانعام من الامبراطور و بدرو، الثاني وأسهم المنجم كذلك إسهاماً كبيرا في توسيع عدد الاغنياء . ففي البرازيل ليس و مانا ، وحده من برز وبرهن بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٦٠ عن انه صير في ورجل اعمال ماهر واسس العديد من شركات النقل والعمل في المناجم . ولكن التوفير ما زال ضئيلا لان المال ينفق على شـــراء المواد الباهظة الاكلاف او يبذر في اليسر والمراهنات . يضاف الى ذلك وجود الكثير الكثير من الوسطاء الاردياء : كالحسّار الذي يبيع بالتقسيط لقاء سندات توليه حق استيفاء ديونه بتملك من الواشي او البيوت ، و و الصرصور ، الذي يزيف صكوك التملك .

ما كانت اميركا اللاتينية ، والحالة هذه التستطيع التجهز بدون مساعدة الدول الرأسمالية. فهي المؤسسات الاوروبية ما انشأت معظم الخطوط الحديدية . ويجب الاعتراف هنا بأن خط ساو باولو رائمة من روائع التقنية البريطانية : اذ أن القنطئر تتسلق خسة منحدرات متعاقبة زود كل منها بجهاز خاص للجر . وهي و شركة البيرو التعاونية ، التي كان مركزها في لندن واستخدمت مهندسين اميركيين ، ما بنت خط و مولندو ، و و اريكونيا ، باتجاه كوزكو وتيتيكاكا . اما الخط الذي يمر عبر الاندس فقد بني قسم منه في البامبا في السنسة ١٨٨١ ثم اسند و بارنغ ، النزامه الى ال و كروزو ، بعد ان امن مبلغاً من المال ، ولكن الالتزام رساخيراً على و كوكريل ، .

في التجارة الخارجية احتلت بريطانيامركز الطليعة الاول بعد ان تراجعت الولايات المتحدة نهائيا حوالي السنوات ١٨٤٠ - ٥٠ . وباستطاعتنا ان نعتبر ان اميركا اللاتينية تعلقت اقتصاديا ببريطانيا العظمى .

لم يكن الوضع المالي في الدول الفتية وضماً سليماً : فالوظيفة العامـة باهظة الأكلاف ، على انها لم تكن في مأمن من الرشوة بسبب تدني الرواتب . زد على ذلك ان الحكام لم يحـافظوا على مراكزهم الا بتمهد انصار ينأكلهم الجشع . لا بل كان من شأن برنامج التعليم العام وحده،

بسبب ما انطوى عليه من طموح ، إلحاق العجز بميزانية تغذيها بكل صعوبة الجارك والضرائب المفروضة على مواد الاستهلاك . فتوجب من ثم اللجوء الى التضخم الذي خفض قيمة النقد والى القروض الباهظة . ولذلك فان تاريخ الجهوريات هو ، على وجه التقريب ، تاريخ التزاماتها نحو الادارات المالية الارروبية .

وافقت هذه الاخيرة على السلفات الاولى ابان الحروب الاستقلالية . ثم توجب عليها الاستمرار في مساندتها لتجنب الافلامات التي ستجعل مدينيها عاجزين عن الوفاء . وهكذا استدانت شيلي من لندن بفائدة ٦ بالمائة في السنة ١٨٢٧ ؟ وتوقفت عن الدفع بين السنة ١٨٢٦ وفي والسنة ١٨٤٠ ؟ وفي السنة ١٨٤٠ ؟ وفي السنة ١٨٤٠ ؟ وفي السنة ١٨٥٨ ؟ استحصلت من آل بارنغ على قرض ثالث ؟ وفي تاريخ لاحق ولت البلاد وجهها السنة مؤسسة و مورغان » . وفي البيرو ، رهنت الشيلي النترات الذي وضعت يدها عليه خلال الحرب الباسيفيكية عند مؤسسة و دريفوس اخوان » . ولم يندر ان حصلت الدولة الدائنة على الحرب الباسيفيكية عند مؤسسة و دريفوس اخوان » . ولم يندر ان حصلت الدولة الدائنة على وقابة الجارك او رقابة الخطوط الحديدية . ونذكر هنا قضية مشهورة جداً هسي قضية دين وجكر » على المكسيك الذي كان سبب التحالف بين انكلترا واسبانيا وفرنسا ، ثم تدخسل وباستطاعتنا ، من اوجه كثيرة ، ان ننظر الى الحرب الباسيفيكية وكأنها مبارزة بين المصالح البريطانية وراء البيلي ، والمصالح الفرنسية والاميركية وراء بيرو وبوليفيا ، كان النصر فيها البريطانية وراء الشيلي ، والمصالح الفرنسية والاميركية وراء بيرو وبوليفيا ، كان النصر فيها حلمف المصالح الولى. وتقم على رأس المال الاجنبي كذلك مسؤولية اختلافات مدنية كثيرة .

. وحدة الثقافة والتصادم بين التقليد وفكرة التقدم

ان من شأن الطابع الايبيري في حضارة اميركا الوسطى واميركا الجنوبية ان يخلق فينا وهما خادعاً. فلا ريب في انربع السكان يتكلمون الاسبانية أو البرتفالية، ولا يزال

هناك عدة آلاف من اللهجات البلدية . وعلى الرغم من ذلك فان هذا الجزء من العالم مدين المفة الفاتح بوحدة ثقافية معينة : لفة العلائق من اجل المقايضات الاقتصادية وتبادل الافكار في مناطق شاسعة . ويلفت الانتباء ان الاشكال القديمة قد استمرت في الارباف دون المدن التي خلقت اشكالا جديدة .

على الرغم من ان الانجيل نادراً ما نجح في الحلول نهائياً على المعتقدات القديمية ، فان الكنيسة قد لمبت دوراً كبيراً في نشر اللغات والعادات الاببيرية . والمقصود بالكنيسة هنسا كاثوليكية متسلطة ترغب في رقابة الحياة الخاصة والشؤون العامة على السواء . وحين استطاع الاكليروس الى ذلك سبيلا ، ابطلل حرية المعتقد واخضع الحقوق المدنية للمعتقد الكاثوليكي واحتفظ لنفسه مجتى التعلم . ولكن اعداء الاكليروس حملوا الكنيسة مسؤولية امية الجماهير ، ومكذا فان نسبة الذين عرفوا القراءة من الاحرار في البرازيل لم تتجاوز ٢٣ بالمسائة في السنة

١٨٨٠ ، ومن العبيد ١ بالمائة .

بيد ان التمتع بلغة رنانة جميلة والميل الى ملاذ الفكر قد اعطيا الشعوب اللاتينية الاميركية مدارس ادبية غنية بالانتاج . ففي البدء تقدّر كلاسيكيو شبه الجزيرة حتى قدرهم ، ثم جاءت الرومنطيقية ، ونظم الشعر ، واكتشفت الواقعية والطبيعية بدورهما حقسلا فسيحاً التوسع والانتشار . فصدرت مؤلفات شخصية مبتكرة كثيرة تعبر عن الاهواء وتنطوي على وصف رقيق جداً الطبيعة البديعة . وقد تجانب في هذه المؤلفات انسلال الوقائع و وصفها الدقيق ، كا ان الشاعرية لم تضر بالنشارة .

عصفت بالنخبة المثقفة مثالية متأججة . فبرزت بقوة مقاومـــة الوصاية الكنسية (ضد اليسوعين وعكمة التفنيش بصورة خاصة) ، وكان لفكرة التقدم في الحرية سحرها الاخاذ . وعمل بالقاؤن المدني الفرنسي في الجهوريات بعد ان ادخلت عليه تعديلات تجعله يتفق والعادات الاسبانية ؛ اما القاؤن الجزائي في البرازيل فقد اعده خبر اعداد حقوقي كبير اختصاصي في القضايا الاجرامية هو وبرناردو دي فاسكونسلوس» وبكل جديـة حرر الحقوقيون، من قراء وروسو » و و بنجامين كونستان » ، البنود الصريحة النصوص الدستورية ؛ لقد قابـــل عدم الاستقرار الفعلى توق الى تثببت القاؤن .

انتشرت الماسونية وانفم اليها الناس بأعداد كبرى . فان و سارمينتو ، حامل لواه التعليم العام في اميركا الجنوبية ، ومؤسس الدار الاولى لتخريج المعلمين - في شيلي ، في السنة ١٨٤٢ ومؤسس المدرسة النموذجية في بوينوس ايرس ، ورئيس حزب الاحرار في الارجنتين ، ورئيس هذه الجمهورية بين السنة ١٨٦٨ والسنة ١٨٧٤ ، قد برز بين كبار باعثي عفل والشرق الاكبر ، وعفل و الجلس الاعلى » . واشتهر الماسوني و غاريبلدي ، باشتراكه في القتال من اجل استقلال اوروغواي . وعن طريق الماسونية الانكلوسا كسونية تسربت الروح النفعية الى مذهب الاحرار . ولكن الفلسفة الوضعية هي التي احرزت اعظم النجاحات إثارة للدهشة في اوساط المثقفين الذين كانوا يبحثون عن قاعدة يسلكون بموجبها . لا بل ان تعاليم و كونت ، التي فسرت تفسيراً حرفياً ، قد دفعت الى تأسيس بعض الكنائس ، ككنيسة و معبد الانسانية » واحدثت بعض حرفياً ، قد دفعت الى تأسيس بعض الكنائس ، ككنيسة و معبد الانسانية » واحدثت بعض النهضة في العلام الاجتاعية . وسعى الشيلي و لاستاريا » الى التوفيق بين كونت و و جون ستوارت ميل » وتوكفيل . وفي البرازيل والمكسيك ادى الخوف من الفوضى والمذهب الوضعي مشتركين الى ولادة حزب و على ، ابتنى نوعاً من الاستبداد المستنير القادر على تحقيق امور عظيمة .

كان سبب الخلاف في النزاع بين الكنيسة وخصومها نفوذ الاكليروس على المجتمع والمدرسة والسلطات العامة ؟ ولكن و الكفاح الثقافي ، قد استهدف كذلك الممتلكات الكنسية السيق اتاحت الكنيسة ان تكون درلة داخل الدرلة ؟ والتي طمعت بها هذه الاخيرة لان كاهسل ميزانيتها كان مثقلاً بالديون . فقابلت اعمال العنف التي اتاها هذا الطرف اعمال عنف اخرى اتاها

الطرف الآخر . اما التسويات القليلة التي تحققت فلم تدم قط طويلا .

تعند الوحدة الاقليمية قد كرست تجزئة الممتلكات الاسبانية الواسعة الاطراف . وهي البرازيل وحدها التي استطاعت المحافظة على اراضيها : ولو ان الاوروغواي انفصلت عنها . ثم توفي بوليفار منهوكا في السنة ١٨٣٠ بعسد فشل مشروع كولومبيا – الكبرى . ولن تسفر المؤترات من اجل تحقيق الوحدة ، التي ستدعو اليها المكسيك ثم البيرو ، الى اية نتيجة ؛ فقد نشبت منذ ذاك التاريخ نزاعات دامية بين الجهوريات الجديدة . وهكذا فان ١٦ دولة قسد نقاسمت في النهاية اراضي البر الاميركي الجنوبي حتى رأس هورن ، قبالة الاتحاد الشهالي الاميركي .

نجد تفسير هذا التفتت في الجغرافية . فقيد كتب و هبولدت ، ان و الدول المتجاورة لا تتصل في معظم الاحيان الا بالمضائق الاستمارية ، ولما كان البحر جاذبه ، فار التجمعات الطبيعية قد جرت بدلالة اقرب ساحل اليها . وكان للاحراج الامازونية نصيبها الاكبر في قيام فنزويلا على بحر الانتيل وفي الحد من توسع المتملكات الفويانية الانكليزية والهولندية والفرنسية التي تمكنت من البقاء ، السبب نفسه ، على حسدود البرازيل ، وعلى هامشها اذا صع التمبير . وارقفت الصحراء زمنا طويلا التوسع الشيلي في الشال . وتكونت باراغوي وراء الخسطوط المائية والمستنقمات واشجار الغابات الشائكة في و شاكو ، فالحدود تعني من ثم منطقة لا خطاً واضحاً ، وقد تجددت المنازعات حولها تكراراً .

لم تقم سوى فوارق جزئية بين خريطة التقسيات الادارية الاسانية (نيابات ملكية وقبطانيات) وبين خريطة الجمهوريات . فان عواصم الامس قد احتفظت بوظيفتها الجاذبية ؟ ولكن المنافسات القاغة بينها ؟ على غرار الاثرة الاقليمية التي عانت منها اسبانيا في العهد نفسه قد زادت حدة التفازعات الاقليمية . فقد عجزت الوحدة الثقافية والتيارات التجارية التقليدية عن الحؤول ؟ في جو اقتصاد لا يزال بسدائيا ؟ دون تفرق السكان بفعل المسافات . لا بل اذا كانت الدولة واسعة نسبيا ؟ اصبحت وحدتها قصيمة جداً . فان المنازعات تنفجر حينذاك بين المواصم والولايات ، وبين المدن والارياف ، وبين الوحدويين والاتحاديين : ففي فنزويلا مشكل المهواص والولايات ، وبين المدن والارياف ، وبين الوحدويين والاتحاديين : ففي فنزويلا مشكل المهاما الارجنتينية عن بوينوس ايرس . وغالبا مسا رجحت كفة الحل الاتحادي في النهاية : الولايات المتحدة المحسيكية ، والولايات المتحدة المراديلية ، والولايات المتحدة المحسيكية ، والولايات المتحدة المراديات كذلك شكلا المحاديا .

كانت الحرب شبه دائمة بين هذه الدول الفتية التي تأكلها التحاسد وانجر حكامها الى خوض المفامرات الحارجية بداعي النفوذ وتنازعوا الطرق النهرية النادرة والهامــــة وثروات المناجم

الثمينة . وحدثته في النزاعات في كل مكان: بين كولومبيا والاكوادر ، وبين الاكوادور والبيرو ، وبين الجمهوريات الصغرى التي نشأت عن تفكك اتحاد اميركا الوسطى . وكان مسرح ثلاثة او اربعة منها نيابة لابلاتا الملكية القديمة التي كانت مناطقها النهرية الشهالية مطمع الطامعين وانتهى اهم هذه النزاعات هولا ، بين السنة ١٨٦٥ والسنة ١٨٧٠ ، الى افناء شعب باراغواي الصغير . وبعيد ذلك نشبت الحرب المعروفة بالحرب الباسيفيكية التي انتزعت الشيلي خسلالها من بوليفيا والبيرو المقاطعات الفنية بالنظرون وأقصت الاولى منها عن الشاطيء .

في اواخر القرن فقط الخذت هذه الدول تنصرف شيئًا فشيئًا عن طريق اللجوء الىالقوة الى الاجراءات المعمول بها بموجب الحق الدولي . واوحت الاضطرابات التي عانى منها هذا الجزء من العالم بتقارب الميركي شامل اعتبر ضرورياً .

مرض آخر واسم الانتشار: الاضطرابات الدائمة في قلب الامم الفتية . حكم الزعيم الفرد وصعوبة ولادة النظام الدستوري

دانت الجمهوريات مبدئيا بالحريات وحتى بالديموقراطية ، ولكنها في الواقع كانت فريسة احزاب تنازعت الحكم بعنف. فنادرا ما توفرت الشروط التي تسمح بقيام نظام دستوري. يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان حروب الاستقلال ابرزت دور الزعم ، فان بوليفار ووسان

مارتين ، اللذين سيخلد ذكرها ، قد تركا بعدها خلفاء ومقلدين . وقد تجلت رومنطيقية ادبية بجدت المزائم الفردية : فان و اندراد ، قد ذكر بمآتي نابوليون ، كا ان و مونتالفو ، في والماهدات السبع ، ، قد احل بوليفار فوق بطل العالم القديم . وليس هناك من حصومة تولت الحكم الا في اعقاب انقلاب او انتخاب افسدت فيه ارادة الناخبيين ، ثم كانت ضحية اللاشرعية والاضطرابات . ففي المكسيك تولى الرئاسة شخص كل سنة تقريباً خلال السنوات الست والثلاثين التي عقبت سقوط زعيمها الاول و ايتوربيد ، وفي فنزويلا نشبت ١٩ ثورة في اقل من ١٠٠٠ سينة . وكانت بوليفيا مسرح ستين عصيانا عسكريا ، وغيرت دستورها عشر مرات ، واماتت او سمحت باماتة ستة من رؤسائها . ولم تعرف باراغواي نظاماً غير الدكتاتورية .

ان حسم الخلافات على هذا النحو اتاح لبعض المسلونين ان يلعبوا دورا هاماً. فان الرشوة والنداءات المهيجة والحقد المزمن على مواليد المستعمرات الاغنياء قد دفعت العامة الامسية وراء المغامر الجسور. اضف الى ذلك ان الكودياو قد بدا و كأنه مواصل عمل الزعم الهندى. فسكم من وجه اثار الاعجاب ? والى جانب بعض مواليد المستعمرات المهذبين تهذيباً ارستوقراطياً ، من امثال « روزاس » الشبيه بأشارف الاسسبانيين « وبورتاليس » المحافظ على القيم التقليدية ، كم من ملون غريب الاخسلاق ؟ واننا نكتفي هنا بذكر راعي الخنازير الهندي ، « كاريوا » ، كاريوا » ، الذي حكم غواتيالا حكما استبداديا طوال خمس وعشرين سنة . واي انتقام كذلك حين يحكم الكسيك هندي من امثال « بنيتو جواريز » او خليفته الخلاسي « بورفيريو دياز » ، او حين

يحكم فنزويلا ﴿ بايز ﴾ الاثمى الطويل القامة الذي كان فارساً ماهرا نظير روزاس !

ورقة تولي الكوديلو السلطة وورقة اخرى تنتزعها منه . اليوم هو رسول العناية الالهية الواجب الوجود ؛ وغدا سوف تلحق به كل شنيمة ؛ واذا ما استلم دفسة الحكم مرة اخرى ، استماد شعبيته . ومن غريب التناقض انه الها ينتهك حرمة القانون بغية فرض احترامه احتراماً افضل . اما الكنيسة فترضى عمن ايدته او من هو بحاجة اليها ، وتعاني من النظام الذي تكون هي ضحيته .

ولكن مهما يكن من قسارته ، فان هذا المظام ، الذي كان وليد الفوض ، كان علاجها ايضاً . يثقل الضرائب لمصلحته ، ولكنه يثقلها لمصلحة الدولة ايضاً . وقد ظهر ممثله بمظهر الموحد حين دعراس في الارجنتين وبورةاليس في شيلي وجواريز في المكسيك . لقد تمثل بالاميين ولكنه اهتم اهتماماً كبيرا بالتعليم العام ؛ وتمثل بالمسكريين والحقوقيين ، ولكنه كان واسع الآفاق ، فوفر العمل متاسيس المشاغل والمصانع . وجلة القول انه اعاد وصان وأمن للمستقبل الوحدة الوطنية ، وان تخلى عن بعض حقوقه للرأسماليين وللدول الاجنبية .

م عوياما الى مشارف لابلاتا ومن جبال الاندس الى الاطلسي الاستمرار دانتنوع البراذيليان امتدت سيادة واحدة ؟ كا في عهد السيطرة البرتغالية ؟ عسلى اكثر من ٨ ملايين كيلومتر مربع . وعلى نقيض ما حدث في الاقاليم الاسبانية السابقة الستمرت هذه الوحدة في كنف السلالة الشرعية ، سلالة « براغانس » فكان للبرازيل من ثم وجسه مهز خاص .

لم يستازم ابقاؤها على سلالتها الاوروبية اي ارتباط بالوطن الام القديم . وقسد حافسظ و دون بدرو ، على كرسيه في ربو لانه برهن في برهة من الزمن انه برازيلي اكار منه برتفالي . وعرف كيف يقتنع بنظام دستوري ترك له ، من جهة ثانية ، سلطة حقيقية ، ولا سيا الإشراف على ادارة مركزية ؛ وتحلى بالفطنة ابداً فاستقال في الوقت المناسب ، تاركا ادارة شؤون البلاد لوصاية ، وفي الواقع الطبقات المسيطرة التي سرت بالحكم طيلة قصور ابن الامبراطور الشرعي وبالتمهيد لولاية مليك برازيلي حقا . فلمب بدرو الثاني دوراً شبيها بذاك الذي لعبه في الماضي ماركوس اوريلوس ، وذلك بقصله في الخلافات السياسية وباهتامه بالتحقيقات العملية قبسل اي شيء آخر .

كانت هناك في الواقع اربح دول برازيلية متجانبة اكثر منها متضامنة : برازيل الاحزاج الامازونية منتجة الاخشاب الثمينة ، برازيل الهضاب الواسعة حيث يستمر النشاط المنجسي ، برازيل مشاجر المناطق الحارة (هذه هي برازيل قصب السكر والقطن في باهيا وبرتمبوك وربو)، واخيراً البرازيل الجنوبية التي اخذت منذ عهد قريب تتعاطى تربية المواشي . واذا اخسنة المهاجرون الاوروبيون ، وجلهم من الالمان ، يستوطنون هذه المنطقة الاخيرة ، فان الهنود ما

زالوا يسيطرون على المنطقة الاولى ، بينها تميزت المنطقتان الاخريان بعمل الارقاء في خدمسة الارستوقراطيين من مواليد المستعمرات والحلاسين . وكانت النزعة الانفصالية خافية ابداً حين لا تظهر بمحاولات انفصالية معلنة : حينا في سيريا او برنمبوك ، وحيناً في بارا أو باهيا ، وآخر ، في ميناس ؛ وطوال عشر سنوات ، القت و ربو غرانده دو سول ، الاهابة والحوف في جيوش ربو . كلما ازمات اضرت بالنمو الاقتصادي واثقلت كاهل الحزينة ، واوجبت تعهد قوة عسكرية وبحرية هامة . وكانت الكلمة الفصل الاخيرة للاسطول الذي يحاصر الثائرين . وقد اعتمدت في الوقت نفسه - في سبيل النفوذ والسيطرة على مداخل حوض و بارانا - بلاتا » - السياسة في الوقت نفله المديمة باتجاه الفرب ، الى ما وراء خط و توردسيلاس ، فأقحمت البرازيل في نزاعات دائمة باهظة الاكلاف لم تؤد الى اشباع مطامعها اشباعاً تامياً . فان الفشل الذي انتهت اليه الياراغواي مثلا لم يكن تحويضاً كافياً عن فقدان الاوروغواي .

توطدت الدولة البرازيلية شيئاً فشيئاً باستعانتها برؤوس الاموال البريطانية ، وبيعها المواد الفذائية والخامات وتشغيلها العبيد ، وقويلها اصحاب المفارس والمناجم ، ومئذ السنة ١٨٥٠ ، وطيلة ١٥ سنة ، ارتسمت انطلاقتها بمزيد من الوضوح : فقد تضاعف دخل التجارة الخدارجية وتوسمت عمليات احياء الاراضي ، وظهر الخط الحديدي والتلفراف ، وكان ذلك العصر الذهبي المقطن والسكر . ولكن حرب الباراغواي الرهيبة كلفت اموالاً كثيرة بلغت المليار ، فعقبتها مرحلة هبوط : ازمة سكر وازمة مناجم زادت من شدتهما ازمة الرق . فبين قانون السنة ١٨٥٨ ، وقانون الإعتساق الشامل الذي صدر في السنة ١٨٨٨ ، تفاقم الهيجان والاضطرابات . فتخلى عن الامسبراطور الساد الارقاء ، كا تخلى عنه الاتحاديون والجيش نفسه الذي شكا من ضاكة الرواتب، فتخلى المام الساد الارقاء ، كا تخلى عنه الاتحاديون والجيش نفسه الذي شكا من ضاكة الرواتب، فتخاذل امام انقلاب السنة ١٨٨٩ .

كانت الخطى الاولى التي خطنها جمهورية الولايات المتحدة البرازيلية عسيرة جداً. وقد ترتب على كل ولاية ، منذ ذاك التاريخ ، ان تعيش لنفسها . فتجهزت و ساو باولو ، بالادوات ونجحت في بيع بنها وازدهرت ، بينا عاشت ماهيا وبرغبوك في ضيق ؛ واستفساد الجنوب من الهجرة الاوروبية الثانية وربتى المواشي وزرع الحبوب ؛ ولكن منطقة المضاب اعتمدت الاقتصاد الراعوي ببعض الصعوبة . وأثار زوال اليد العاملة العبدية مسائل خطيرة دارت كلها حبول اعتاد اقتصاد جديد مبني على نظام الاجور . الا ان تزايد الطلب الاوروبي والامير كي الشهالي قد ساعد البرازيل الحديثة على النهوض . وقد اجتاحت حمى المضاربة مجتمع اصحاب المزارع وتجار اللحوم والجاود ؛ ثم ما لبثت هذه الحمى ان امتدت الى مناطق احراج امازونيا الغنية بالمطاط فتحسن التجهيز واتسعت المدن ، ولكن تفخل الفئات المثرية قابله بؤس الجاهير التي كان الجوع رفيقها الدائم . وقابل نخبة من كبار الحقوقيين والكتاب المنتجين من جهة سيطرة امية واسعة من جهة اخرى . وقد طبعت التناقضات الاجتاعية والاقليمية الجهورية الكبرى الحاضمة لنظام من جهة اخرى . وقد طبعت التناقضات الاجتاعية والاقليمية الجهورية الكبرى الحاضمة لنظام

الانتخاب العام المباشر بطابع مميز لم تعرفه من قبل .

جمهوريتان راعويتان : الارجنتين والاوروغواي

كا في القارات الاخرى ، وفي الماطق المتقابلة بالنسبة لخسط الاستواء ، تمتد جنوبي خط الجدي مساحات واسعة جرداء ، وتصبح الارض جافة والمناخ منشطاً ومقوياً . تنعزل الجموعة

السكنية في البامبا ، شبيهة بالمزرعة البويرية أو الانكلوساكسونية ، ويتماطى اصحابها تربية المواشي . ويذكر نمو المدن الجديدة بالاراضي الجنوبية المقابلة ايضاً : فمنذ السنة ١٨٧٠ اقام في المدن زهاء ١٤٠٠ من سكان الارجنتين ؛ وفي السنة ١٨٩٥ ضمت « بوينوس ايرس » ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة من اصل ؛ ملايين ونصف المليون . وهنالك نسبة اعلى من هذه : فان الد ٢٠٠ مخص الذين عاشوا في « مونتفيديو » كانوا يمثلون اكثر من ربع سكان الاوروغواي . ويسذكرنا مرفأ تصدير الاصواف واللحوم والجلود هذان بمرفأي ملبورن وسيدني .

ويبرز التضاد خصوصاً مع البرازيل ، غير المتجانسة ، والمتشلتة بفعل النتوءات : فنحن نتصور دولة كبرى واحدة في اطار واسع جداً وخال من النتوءات هو اطار السهل الذي تتجه مياهه كلها الى لابلاتا . والحال لم يتجاوز سكان بوينوس ايرس اله ٢٥ الف نسمة حسين قررت الكلترا فيها إبطال الميثاق الاستماري الاسباني وأولتها كل الهميتها . وحتى في السنة ١٩١٦ اعلن سان مارتين في توكومان استقلال ولايات لابلاتا المتحدة قبل ان يذهب الى و له ، ليبحث فيها عن مفتيح مسكنه . وستبقى حدود الجهورية زمناً طويلا بدون تعيين . ففسي سبيل استالة اقليم اله و شاكو ، وأقاليم المفارس والملح في منطقة جبال الاندس ، كان يقتضي الانتصار على البامبا التي لم تكن حلفة اتصال بل عائقاً جدياً . وقد اصاب سارمينتو حين قال ، و ان المصيبة التي تعاني منها الجمهورية الفضية هي امتدادها ؛ الصحراء تحيط بها من كل جانب وتدخل الى قلب البلاد ؛ العزلة والمسافات الخالية من اي مسكن بشري تؤلفان الحدود المسلم بها بسين الولايات الختلفة » . وهكذا فان البورة التي يسيطر عليها الجفاف واسراب الجراد وتمر فيهسا مسالك نادرة للعربات ، قد تحكت بوسط البلاد وحتى بمشارف العاصمة وعزلت الولايات وخلقت الفوارق الاقليمية ، ولكن الحقيقة التي يجب قولها هي ان البلاد افتقرت الى السكان الذين لم يبلغوا المليونين في السنة ١٨٥٠٠.

تخطى المفكر و ريفا دافيا و اهل زمانه الى تجربة محاولة ديموقراطية تكون على رأسها نخبة سكان الماصمة . فحدثت ردة فعل انفصالية عنيفة كادت تؤدي الى قيام ثلاث او اربع دول مستقلة مكان الارجنتين المتفككة لولا شدة عزم دروزاس و سار روزاس على رأس عمال المزارع ورعاة المواشي وسحق الزعماء المحلين او فاوضهم واقترح على الارجنتينين احتلال المناطق النهرية. وتحدى اوروبا . اجل لقد انتهت فظاظته بقتله ، ولكن عمله بقي من بعده .

كانت ارجنتين السنة ١٨٥٠ من حتى مواليد المستعمرات والخلاسين الدين اسسوها . فكل

شيء فيها كان مرتبطاً بالراعي الذي يراقب ويطارد ويسلم القطعان التائهة: وقد عظمه سارمينتو في كتابه و فاكوندو ، ولكن بورجوازية اعسال نحت في بوينوس ايرس واتصلت بأوروبا ونازعت المزارعين المكاسب التي وفرتها لهم تربية المواشي . فان و اور كويزا، الذي دشن العهد الاتحادي ما زال أشبه بسيد عقاري كبير ؟ اما سارمينتو فقسد أنباً بتسلم البورجوازيين زمام السلطة .

وكا جرى في البرازبل ، حدثت ثورة بسين السنة ١٨٧٠ والسنة ١٨٩٠. فمن جهة رفعت الهجرة الاوروبية عدد السكان من مليونين الى اربعة ملايين : مما زاد نسبة البياض في لون الارجنتين . ومن جهة ثانية تعاظم شأن الاقتصاد الراعوي تعاظماً كبيراً : فنعت في الوقت نفسه القطعان المعدة لانتاج اللحوم ؟ وعقبت تسليات اللحوم المعدة تسليات اللحوم الملحة ، وبني البراد الاول في السنة ١٨٨٨ . ثم بوشر تنفيف بعض المشاريع بيناء الخطوط الحديدية ، فارتسمت الشبكة التي ستنشأ في المستقبل وتوثقت روابط الاتحاد . وزاد نفوذ بوينوس ايرس الفخورة بمجتمعها الانيق وبنشاطها : وبرهنت ارجنتين سارمينتو وألبردي عن حرصها على التعليم الالزامي والدروس العلميسة ؟ وفي السنة ١٨٩٥ ، عادلت التجارة الخارجية بأهميتها تجارة البرازيل التي كانت تفوقها سكانا .

بينها كانت الباراغواي عائشة في ضيق تحت سلطة دكتاتورييها الذين دافعوا بلا مراه دفاعاً حريصاً عن شخصيتها المنصرية ، ولكنهم جروها الى كارثة لن تنهض منها قبل القرن العشرين، استفادت الاوروغواي من حسن طالع الارجنتين . فالرعاة سنوا فيها الشرائع على غرار مساجرى في الجهة المقابلة وراء لابلاتا ، وتوصلوا في السنة ١٨٩٠ الى جمع ٢٣ مليون حيوان مقابل مهم ٢٠٠ الف نسمة . ولكن بورجوازية مونتفيديو ، المدينة الجميلة القائمة على رأس داخل في البحر نظير قرطاجة ، اتصفت بانفتاح فكري عظيم . اجل كان الصراع عنيفاً بين البيض ، الاسبانيي المشاول الكاثر ليك عوما، من جهة ، وبين الملونين ، الخلاسيين المستندين الى المحافل المساسونية عوما، من الجهة الثانية : ولكنه لم يمنع انفصال الكنيسة عن الدولة ، وإلغاء عقوبة الاعدام ، واقرار قادون العمل .

الشيلي: غرابة جنرانية رنجاح قومي البر عند المناطق المتوسطة البعد عن خط الاستواء . يضاف البير عند المناطق المتوسطة البعد عن خط الاستواء . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان قبطانية الشيلي العامة كانت تابعة لليها ؟ وعلى شواطى الباسيفيكي قام الجسم المسيخ الدي تحاذت ولاياته ، على طول ٢٠٠٠ كيلومتر و ٥٠ درجة من درجات العرض كا تتحاذى خرزات السبحة ، وتميز بمواصلات برية بعيدة التصديق وبسواحل تكثر فيها الرؤوس والخلجان . فكانت البلاد أشبه ما تكون يجزيرة تحيط بها المياه والقمم المرتفعة وأحراج المناطق الباردة في الجنوب حيث تقطع الاخشاب الضرورية لبناء السفن والصحراء

الحارة في الشمال ، ويمتد في وسطمًا وأد معتدل المناخ وخصب التربة ،

تسلم وادي سانتياغو هذا زمام السلطة مستفيداً من مرفأ كبير هو قالباريزو ومن مجاز الا وكومبره المؤدي الى البامبا الفنية بالخيول التي اولع بها أصحاب المزارع وأضافت بعض العائلات الفنية من مواليد المستعمرات مكاسب زراعة الحبوب الى تربية المواشي . وتحقق الاستقسلال بمساندة الانكليز . ومنذ ذاك الحين ، أمن الحزبان المتنافسان ، الحسافظون والاحرار – الملذان يعبران عن اتجاهين مختلفين في الرأي العام الارستوقراطي – تسبير عجلة الشؤون العامة دورن صعوبات هامة .

ولكن الشيلي ماكانت لتحتل مركزاً هاماً في هذه المنطقة الضيقة . ففي سبيل السيطرة على الاحراج الجنوبية توجب عليها اخضاع الاروكان ، فدخلت صراعاً لن ينتهي الافي السنة ١٨٨٣ ارغها على البقاء في حالة حرب دائمة . واستفلت كذلك صفاتها الحوبية بشنها على بوليفيا والبيرو، بفية الاستيلاء على الصحراء الشماليسة الفنية بالمعادن ، حرباً لم تكن دون صراعها مسمع الاروكان عنفاً .

على الرغم من ان عدد سكانها قد تضاعف ، افتقرت الشيلي الى اليد العاملة ، وكانت الاجور فيها اعلى منها نسبياً في البلدان المجاورة . ولسنا نعني بذلك زوال البؤس ؛ فاستثارات المناجم كانت أشبه بالجحيم . ولكن النترات والنحاس قد وفرا مداخيل إناحت تجهيز البلاد بالخطوط الحديدية والمرافىء . وتماظمت طبقة بورجوازية نازعت الاوليفارشية العقارية السلطة : فان ثورة السنة ١٨٩١ التي نهض بها الاسطول واستفاد منها رجال المال ، انتهت باستقالة و بالماسيدا عمر رئيس سلك سلوك الاشارف . واذا ما اخذنا بعسين الاعتبار النهضة الاقتصادية وحسن ادارة الاموال العامة وتقدم التعليم وتقسيم الاملاك الكبرى تقسيما تدريجيا ، بدا لنا ان مستوى الحاماة العام كان آخذاً في الارتفاع .

الجمهوريات الاربع في جبال اندس المرتفعة: نموها المسير

بعد تواري بوليفار وتبخر حلمه وحدة النيابتين الملكيتين القديمة ، غرناطة الجديدة وليا – اشرف خلماؤه على ولادة خس جمهوريات خصمة وفقرة . ولكن الطبيعة نفسها قد

ساعدت على التجزئسة : فان قيام النيابتين قبل مشروع التوحيد كان مطابقاً لتضاد كلي الوضوح بين المناخات الرطبة والمناخات الجافة في الجبال التي لم تتأثر بها تأثراً كبسيراً ؛ فلن يتمكن اي مركز من فرض نفسه بعد انهيار السيطرة الاسبانية .

جمع البيرو بين المناطق المنخفضة التي يتع<mark>ذر زرع</mark>ما الا بواسطة الري وبين وعورة الهضاب التي تعتبر بين اكثر هضاب الكرة الارضية ارتفاعاً واقفاراً . انها ارض الهندي والخسسروف والجل الاميركي والمعادن الثمينة .

اما الكناة الكنيفة ، التي ارتبطت بنيابة لابلانا الملكية بعلائق تجارية وانضمت اليها في

عهد متأخر ؟ فقد حملت اسم و ليبرنادور » الجميد . ولكن اسمها لم يجعل منها دولة قوية : اذ لم يتجاوز سكانها المليوني نسمة في اكثر من مليون كيلومتر مربع في السنة ١٩٠٠ . وقسد بلغ السيل الزبى عندما فقدت بوليفيا منفذها الضيق الى البحر وانتزعت البرازيل منها بعد ذلك اقليم و اكر » الفني بالمطاط . اضف الى ذلك أن سكانها الفقراء والمتخلفين لم يستفيدوا استفادة كبرى من ثروة الفضة التي ما لبثت أن انضمت اليها ثروة اعظم شأناً هي مناجم القصدير الوفرة .

لم تكن البيرو اوفر حظاً. فان ليها الماصمة القشتالية الساحرة ، كانت آخذة في التقهقر يسبب بعدها عن و الاراضي الباردة » أي عن المنطقة الهندية المرتفعة ، وقد مالت طبعاً الى اعتبارها كاحدى ملحقاتها . وقد اضرت بها و اريكوبها » بفضل حسن موقعها بالنسبة لمراكز الغوانو ، ومناجم النترات ، و و كوزكو » وحق منطقة مونتانا الامازونية الطابع التي اجتذب و مطاطها القشتالي » العديد من المهاجرين في اواخر القرن. اجل لقد اعتق الكودياو وكاستيلا » الزنرج والهنود ، ولكن مسألة اليد العاملة اصبحت مسألة عسيرة ، لا سيها وان اله الله صيني الذين نزلوا الى البر بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٥٠ لم يلبثوا ان اعتبروا غسير مرغوب فيهم ، ولكن الدولة يجب ان تعيش من الغوانو والمناجم ؛ أفلم يذهب و مانويل باردو » الى حد تقرير احتكار النازات في السنة ١٨٥٠ ؟ والحال فقد عجز الجيش الشفب والمتطلب ، الذي ترتبط به السلطة ، حتى عن الدفاع عن النترات ! وفقدان النترات يعني الافلاس ، لا سيما وقسد ثقلت وطأة ضربة الملح على كامل عامة الشعب. انه لتاريخ حكم معوز تخللته ثورات داغة شاهدها الشعب دوغا اكتراث .

عرفت الاكوادور ؛ الضيقة الرقمة ؛ مشاقات عائلة . فان و كيتو ، الماصمة الهندية القديمة ؛ القائمة على ارتفاع ٣ آلاف متر ؛ لم تتغلب على و غواياكيل ، وق تصريف محاصيل مفارس المناطق الحارة . وازداد هنا التضاد الذي شاهدناه في البيرو بسين و الاراضي الباردة ، و و الاراضي الحارة ، و ادت ازمة قصب السكر الذي كان يزرعه الزنوج الى افقار اصحاب المفارس ؛ وماكانت شجرة الكاكار بعد لتخلص البلاد من ورطتها ، ولدلك فان الجبل القاسي و المتخلف قد فرض و فلوريس ، وساند و غارسيا – مورينو ، والمحافظين ورجال الاكليروس، وقد دخلت الاكوادور في نزاع دائم مع جيرانها ؛ فانكمشت رقمتها شيئاً فشيئاً وفقد دن النهاية نصيبها من منطقة و مونتانا ، .

ابعد الى الشهال تزول الانجاد في جبال الاندس وتزداد الرطوبة ، فتتجزأ كولومبيا جبالا وعرة المنحدرات وودياناً داخلية سحيقة موازية لخط الطول، بينا تمزلها عن شاطىء وشوكو، الباسيفيكي احراج كثيفة الاشجار ، وذهب بعضهم الى حد القول انها اشبه بجزيرة جبلية تحيط بها الاحراج ، وقد نشطت فيها تربية المواشي في و المناطق الباردة ، الى جانب المفارس في و المناطق المتدلة ، ، ووجهت شبكتا و مجدلينا ، و و كوكا ، حركة النقل فيهسا شطر بحر

الانتيل لمصلحة قرطيجنة . واعطاها امتلاكها لمضيق باناما مركزاً دولياً قوياً لم يخـــل من الاخطار .

تسلطت ذكريات غرناطة الجديدة على رجال بوغونا الذين لم يرضوا بالتخلي عن فكرومبيا الكبرى على الرغم من ان حكم كولومبيا الحالية كان من الصعوبة بمكان بسبب انقسامها . فسكان المناطق المختلفة لا يرون مبرراً يوجب عليهم الانحناء أمام توجيهات سكان بوغوتا: فئات تجانبت وتألف كل منها من مواليد مستعمرات وخلاسين وزنوج ومن بمض الهنود الذين لا شأن لهم . اضف الى ذلك ان الاقتصاد كان في حالة ركود : فقرطجنة لم تكترث لانكباس القناة التي كانت تصلها بمجدلينا ، والاسهام الاوروبي كان طفيفا جداً . وكانت الاثرة الاقليمية والبؤس مصدر الاضطرابات التي ارتدت طابع الوحشية القصوى . وانتقل الحكم من المحافظة الاوليغارشية الى الراديكالية ، ومن مناهضة الاكليروس الى ردة فعيل اكليروسية ، ومن الغاء حكم الاعدام الى مذابع بين انصار الفرقاء ، ومن نالاتحادية بسين الولايات الى الدكتاتورية المخانقة . واتضح التدخل الاميركي في النهاية وأدى الى خسارة باناما ، بينها هيأ غير المتوقع .

فنز<mark>ريلا</mark> بين سكان السهول واصحاب المفارس

جاءت الثورة مبكرة في شطر غرناطة الجديدة المتجه نحو بحر الانتيل والمجاور لسباسب الاورينوك ايضاً: فقد استطاع موالمد المستعمرات الاتصال بكوراسا ووترينيداد من جهة ،

والحصول على المساعدة والحماية في السهول. وكانت هنالك حركة نقل هامة بين مناطق تربية المواشي الداخلية الواسعة وبين المرافىء ؛ وكانت الجزر قد ادخلت الى مرتفعات غرناطية المجديدة زراعة شجرتي البن والكاكاو واسترقاق الزنوج. فألف مربو المواشيي وأصحاب المفارس من ثم الفئتين الاجتاعيتين اللتين سيتيح اتفاقهما انماء فنزويلا ، وربما تفسر خلافاتها تاريخها المضطرب ايضاً.

هم سكان السهول ، وسوادهم من الخلاسيين ، القساة والاميين، الذين الفوا، بقيادة و بايز، و دعم السهول ، خير عناصر الجيش الذي جمه بوليفار . ولكن الدستور الاتحسادي والاوليفارشي الذي خلفه و الحرر ، ماكان ليحول دون الحروب الاهلية التي نمت ابانها الروح الانفصالية : فان انفصال و ماراكايبو ، منافسة كاراكاس ، استمجل التطور نحسو السيمة الاتحادية ، فقسم دستور السنة ١٨٦٤ البلاد الى ٢٤ ولاية . وفي فنرة من الزمن ادار الكوديلو و غوزمان بلانكو ، دفة الحكم بقوة : فنظم الجيش وناصر الادباء وسعى الى تنمية الاقتصاد وعادى الكليسة التي كانت ممتلكاتها مفرية ، ولكنه لم يرض مع كل ذلك بالخضوع لاوروبا الاستمارية . فقد نشب نزاع على الحدود بينه وبين انكلترا حول اراضي و يورواري ، الفنية

بالذهب عدام ١٣ سنة . ثم تجددت الاضطرابات عمصادفة في الزمان حدوث الازمة السق عانت منها تربية المواشي : فوجهت الاوبئة الحيوانية والحروب الاهلية ضربة خطيرة لسكان السهول الذين كانوا يرفضون الانحناء امام فنزويلا البن والكاكاو . وهناكا في غير مكان تم الانتقال بصعوبة من اليد العاملة العبدية الى نظام العمل المأجور : وعلى الرغم من ارتفاع عدد السكان ، فان الهجرة الاوروبية ما زالت غير كافية ، لا سيا وأن منافسة المزارعين البرازيلين كانت مثاراً الخوف . زد على ذلك اخيراً ان هوة سحيقة قد باعدت بين الاقلية المتعلمة والفنية وبين كبار الملاكين والسكان الآخرين ، في هذه الجمهورية المدعية بالديموقراطية .

يمكننا اجمال القول بأن النظام الاتحادي قد حد من تُجزئا الجمهوريات العفرى في اميركا الرسطى الكتلة الاميركية الجنوبية . أما في اميركا الوسطى الكتلة الاميركية الجنوبية . أما في اميركا الوسطى فقد اختى وعجز عن تحقيق اعادة التجمع . فقبطانية غواتيمالا العامة القديمة قد تجزأت بعسد رفضها سيطرة المكسيك التي كانت متحدة بها في نيابة اسبانيا الجديدة الملكية .

دفع المناخ الحار والرطب نفسه بالانسان في كل مكان تقريباً الى « المناطق المعتدلة » . ولكن كثافة السكان متباينة تبايناً بعيداً والتكوين المنصري مختلفاً جدداً . فبينا كانت غواتيالا ، ولا سيا سان سلفادور ، اكثر أهلا بالسكان من البلدان الجساورة ، تميزت كوستاريكا بنسبة كبرى نادرة من المنصر الابيض . ولكن هذه الآخيرة انفت من تحمسل شريعة دول الملونين ، كما ان غوائيالا افتقرت الى التفوق المعدى الذي كان من شأنه ان يعيد اليها اولويتها السياسية القديمة .

سيطرت من ثم على هذه الدول حروب دائمــــة كثيرة ، كما سيطر على كل جمهورية اضطراب داخلي مزمن . ولم يحقق الفاء الرق التهدئة الاجتماعية . وهو أحد كبار اصحاب مغارس شجرة البن من انشأ في غواتيالا الطريق الجيدة الوحيدة التي تستطيع اميركا الوسطى ان تفاخر بها .

لم تستهو اميركا الوسطى المهاجرين ، ولكنها اثارت اطباع الدول الاستعمارية والحلافات فيما بينها . وإذا كثر الكلام عن قناة تفتح عبر غواتيالا ، فإن الخطوط الحديدية الاولى قد انشئت في باناما وتهوانتيبيك ، بينا فتحت القناة في المهاية في البرزخ البانامي .

ارتداء المكسيك المتاخر امجاد الماضي المظيمة .

ولكن الواقع اراد ان تكون البـــلاد فقيرة . فأن سواد السكان -- 7 ملايين حوالي السنة ١٩٠٠ و ١٣ مليون ونصف المليون في السنة ١٩٠٠ - خضعوا لمستوى معيشي متدن جداً . إلا ان هنالك نسبة من الخلاسيين ربما ساوت نسبة الهنود في اواخر القرن . وهـــذا هو بالضبط سبب حدة التضاد بين الارستوقراطية البيضاء الاسبانية الاصل وبين الملوندين . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان شبه الجزيرة المرتفع هــذا عتد في جوار الولايات المتحددة والدول الاستعارية الموجودة في الانتيل . فقد سعى مواليد المستعمرات الى اطالة النظام الاسباني بشكسل ملكية محافظة تؤمن امتيازاتهم كا رغب الاجانب ، فيا يعنيهم ، في قيام سلطة تضمن استثار الثروات المنجمية استثاراً هادئاً : فكان هنالك ارتباط مزدوج . وسواه عمت الفوضى أو ساد النظام فان مصير المكسيك يخضعها لأحد هذين الارتباطين . ولم تحسل الحكومة المنيمة في مكسيكو الا بعموية كلية دون تجزئة نيابة اسبانيا الجديدة الملكية القدية : فمن جهة افلتت اميركا الوسطى من يدها ، ومن جهة ثانية ، اضطرت لأن تتخلى للولايات المتحدة عن مليون كيلومتر مربع ونصف المليون ؟ وبعد انفصال تكساس ، تغلبت بصعوبة على انفصال سونورا وشهواهوا في الشال الغربي الصحراوي ، ويوكانان وراء احراج تهوانتيبيك . ومها يكن من الأمر فقد تغلب النظام الاتحادي الذي كرس ضعف السلطة المركزية .

عبثًا حاول و ايتيوربيد ، ، باسم و اوغسطين الاول ، ، ان يقد الاباطرة بمساندة الجيش والاكليروس وكبار الملاكين في الهضبة الوسطى: فحين انقطع عن اغراء الجيش بالمال ، بدأ عهد الحركات الانقلابية والاضطرابات بالاستناد الى دستور جمهوري اتحادي . واشتهر و سانتا – آتا » بفرابة اطواره وتقلبه – فتارة اعتمد على الخلاسيين وأمر بأبمساد حتى ٢٠ الف من مواليد المستعمرات ، وأخرى استند الى الاوليفارشية والاكليروس – وعاش من القروض ولقط حيثًا المستعمرات ، في عهد بلبلة لا يمكن وصفها أدت الى كارثة السنة ١٨٤٨ . ثم عرفت البلاد فترة حكم مركزي لم يكن اوفر حظا . واخبراً استعمل الغاء الرق فقدان تكساس .

قام الراديكاليون - و الاطهسار » - و باصلاح » على حساب الكنيسة لم يوض الهنود والحلاسيين (فهم الرأسماليون من اشتروا الممتلكات المصادرة) ، بسل تحول الى حرب اهلية وجر الى التدخل الاجنبي . أجل لقد حقق و جواريز » ، بعد اخفاق امبراطورية مكسيميليان المحافظة ، حكما علمانيا افاد منه الخلاسيون والتعليم الشعبي . ولكن الأمية كانت عميقة الجذور، والفدادية المندية لم تلغ ، والحكومة لم تتوفق الى فرض هبتها نهائياً .

حين استلم نائب جواريز ، بورفيريو دباز ، زمام الحكم بدوره ، بدا الظرف مؤاتياً واللهاء ، الراغبين في تطوير المكسيك وجعلها دولة عصرية ، حق ولو انتهت السلطة الى دكتاتور .

ولكن الكوديار استخدم هذه الطبقة المثقفة المتأثرة بالفلسفة الوضعية وسحق كل مقاومة ولصوصية مما بواسطة قوى أمن حسنة التنظيم ، واشرك في مجهوده الاكليروس ، والملاكين ، والمضاربين الذين اثروا بفضل و الاصلاح ، ، وانصرف الى ايحاء الثقة للرأسماليين الاجانب . فانشئت شبكة الخطوط الحديدية ووصلت مخطوط الولايات المتحدة ، وفتحت بعض المصارف ابوابها ، وارتفعت التجارة الحارجية الى خمسة اضعافها خلال ٢٥ سنة ، وتجملت مدينسة مكسيكو واتخذت فيها التدابير الصحية الضرورية ، وجمعت بورجوازية من الحلاسين ثروات طائلة . ولكن هذه النجاحات كانت اعجز من ان تخفي المجز المالي، والبؤس والجهل الشاملين، واستثثار الاجانب بالاراضي والمناجم .

من غرائب الظواهر ، بعيد الاستقلل ، ان بعض الدول غويا والانتيل تحت السيطرة الاردوبية الشهالية قد حافظت على ممتلكاتها. وتشمل هذه الممتلكات ، بالاضافة الى هوندوراس البريطانية ، غويانا بكليتها ومعظم جزر الانتيل، لا بل حدث في السنة الماد ان اقصيت اسبانيا عن مستعمرتيها الاخيرتين ، كوبا وبورتوريكو .

ان جبال غويانا ، المرتفعة وراء ساحل منخفض كثيف الاشجار، والمغطاة باحراج وسباسب المناطق الحارة ، وغير المؤاتية للاستعبار الاوروبي ، قد مر"ت بأزمة حادة خطيرة . فقد افتقرت مغارس قصب السكر واشجار البن فيها الى اليد العاملة البديلة حين الغي الرق . بيد ان تحسنا نسبياً طرأ على الوضع حوالي السنة ، ١٨٩ بادخال الجاوانيين الى القطاع المولندي والهنود الآسيويين الى القطاع البريطاني . اما القطاع الفرنسي فما زال يعاني من الأزمة .

ومر<mark>ت جزر الهند الغربية كذلك بساعات عصيبة ايضاً .</mark>

خرجت بريطانيا المظمى بمكاسب كثيرة من التنازعات الدولية الطويلة . فعلى الرغم من ان الاسبانيين ما زالوا يملكون جزيرتين كبيرتين من جزر الانتيل ، وان الحولنديين احتفظوا بكوراساو ، والفرنسيين استمادوا المارتينيك و « غوادلوب » و « ماري – غالنت » فانها قد احتلت مركزاً بمتازاً في الوسط بفضل امتلاكها « جامايكا » وسلسلة شبه متصلة من الجزر ، من برمودا وباهاما الى مصاب الاورنيوك ، اي انها راقبت بالنتيجة المناطق المجاورة للمتوسط الامركي والبرازخ ،

ولكن الهزة الاجتاعية التي سببها الفاء الرق قد خلخل هيذا العالم الذي كونه الاستنهاري. فان الحرب العبدية التي اجتاحت جزيرة هايتي والتي لم تتعاف هيذه الأخيرة من بعدها عد انتقلت الى جامابكا حيث لم يضمد اعتاق الزنوج جروح الاقتصاد. واذا اتاحت ثورة السنة ١٨٤٨ في فرنسا تبني مرسوم و شولشر ، ، فان الامبراطورية الثانية حاولت العودة الى اشكال الأعمال الشاقة ، بينا سلمت هولندا بدورها بمبدأ الاعتاق. وبعد السنة ١٨٧٠ مثلث الجمهورية الثالثة مستعمراتها بالوطن الأم. اما اسبانيا فقد غضت الطرف بملء رضاها عن النخاسة التي وفرت لنخاسيها مكاسب كبرى إلا أن الثورة التي اندلمت في كوبا وبورتوريكو ارغتها على ان تحذو حذو الدول الآخرى . فلم 'يسلم من ثم نهائياً بالقضية إلا بعد قرن كامل من الماطلات والتأجيلات . ويرد ذلك الى تصادف بروز دول جديدة ومنتجة لقصب السكر والقطن والبن والابازير والاخشاب الغريبة ، ومنافسة الشمندر لقصب السكر والكيمياء للنيلج .

في جزر الانتيل الفرنسية ضحي بالمزروعات والشريفة ، ولكن الادوات اللازمة لانتاج المواد الاساسية كانت بدائية ، والعمل كاد لا يكفي لحاجات السكان الكثيرين المتزايدين تزايداً , سريماً . يضاف الى ذلك تزايد متطلبات صاحب الملك كاما هبط انتاج المفارس ، وحين استعاد

السكر هجومه ، استفادت منه الامسلاك الكبرى لان التكرير العصري يؤدي بالضرورة الى جمه في و المعمل المركزي » . ففي السنة ١٩٠٠ احتل قصب السكر نصف الاراضي المزروعة في المرتبنيك . وعلى الرغم من المؤسسات التمثيلية، فقد بقي الفارق كبيرا بين كبار الملاكين وجمهور الزنوج الذن يكتفون بالقليل .

في جامايكا استمرت الحرب العنصرية حتى السنة ١٨٩٥ . و كثيرون هم الزنوج الذين رجعوا الله قلع الاعشاب واحراقها وذر رمادها على الارض الزراعية والى تربية المواشي البسدائية . واستمان البيض بالمهال الشرقيين المستأجرين الذين اثارت منافستهم اشتباكات مسلحة جديدة ؟ وقد اعتمدوا على الاجور المندنية للمضاربة في اسواق السكر والبن ؟ ولكن الجود كان كبيرا منذ السنة ١٨٨٠. وتأثرت كذلك تأثراً كبيرا بأزمة السكر جزر ترينيداد والدومينيك وبارباد ؟ فاتجهت الاولى نحو زراعة شجرة الليمون والثالثة نحو زراعة الومارنتا » .

كانت كثافة السكان مرتفعة في بورتوريكو ، صغرى الجزيرتين الاسسبانيتين. ولكن الجزيرتين الملتا بأكثرية من البيض الذين تعودوا ظروف الحياة المحلية . وبغضل الهجرة الاسبانية كانت نسبة الملونين آخذة بالتدني. وفي كوبا، توسعت زراعة قصب السكر توسعاً كبيراً في اراضي الغرب الجيدة ، بينا توزعت زراعة شجر البن والتبغ على مناطق مختلفة ، وحوس الرعاة الفرسان قطعان المواشي في وكاماغواي ، الرملية. وهكذا ارتفع انتاج السكر من ١٢٠٠٠ طن في السنة ١٢٧٠ الى اكثر من ٢٠٠٠ الف في السنة ١٢٧٠ . وقسد جمعت الاروات الكبرى بفضل المغارس والنخاسة ؟ ولكن فقراء البيض لم يكونوا اوفر حظاً من الزنوج وخلاسيي الزنوج والهنود .

عشية الحرب الانفصالية الاميركية ، بدأت الازمة الكوبية الكبرى . فبينا برز جاذب الولايات المتحدة ، نرى الوطن الاسباني الام ، الذي اهمل تجهيز الجزيرة بالادوات اللازمسة ، يتجاهل الامية والحال الصحية السيئة في المستعمرة ، وبفرض على معاملاتها التجارية رسوما مرتفعة ، ويضع العراقيل في سبيلها . ولا يخلو من المفزى ان زعم الثورة و دون كارلوس مانويل سسبيدس ، كان احد كبار اصحاب المفارس الاغنياء ؛ وحين طلب الى الزنوج امتشاق السلاح ، اسرعت مدريد الى الذه الرق .

اتاحت قضية كوبا للولايات المتحدة التدخل مباشرة في الانتيل وتحويل ميزان القوى فيها لمصلحتها .

مهما قبل في ما عانته الجزر الخاضمة للسيطرة الاوروبية ، فان البلايا التي جمهورينا هايتي المتحنت بها هايتي تفوق بلاياها طرا .

ان تاريخ الارض الهايتية انما هو تاريخ فوضى مستمرة واقتصاد متهور .

منذ زوال السيطرة الفرنسية ، لم يترك الجزء الغربي من و سان دومنغ ، القديمة ، الذي

استماد اسم هايتي الاسبق ، سوى اثنين من رؤسائه ينهيان مدة ولايتها . ولم يتردد احدهما ، و فوستين - نابوليون - روبسبير سولوك ، الطاغية المعجب بنفسه ، في الادعاء بالكرامة الامبراطورية . وقسد احرقت و بور - او - برنس » في السنة ١٨٧٩ والسنة ١٨٨٣ ولكن الجيش ضم ١٠٠٠ بضابط مقابل ٢٥٠٠ جندي . ولم يكن هناك من طريق جيدة ومعدل الرسائل التي ينقلها البريد هو رسالة واحدة للشخص الواحد كل ثلاث سنوات . ولكن هل يعرف احد بالضبط عدد مواطني الجهورية ؟ فقد قدره بعضهم بمليون نسمة في السنة ١٨٠٠ ، بينا لم يقدره سواهم الا به ١٥٠٠ الف الذي هو عددهم في السنة ١٨٠٠ . كل شيء كان متأخرا ولا سيا زراعة قصب السكر والقطن . الزنوج وخلاسيو الهنود والزنوج كانوا يتنازعون الاراضي ولا يتفقون قصب السكر والقطن . الزنوج وخلاسيو الهنود والزنوج كانوا يتنازعون الاراضي ولا يتفقون بالسحرة والكهان الراقيين ، وعارسون تضحية الديكة والكباش البيضاء وحتى الاطفال ، ويجهون القراءة والكتابة . وقد يحدث احياناً أن يدفعهم طبعهم الحربي الى مهاجمة الجهورية الجوارة .

في أواخر القرن الثامن عشر كان الجزء الفرنسي من الجزيرة متفوقاً تفوقاً بينا من حيث عدد السكان والثروة . ولكن نسبة الخلاسيين المرتفعة في القسم الاسباني قسد خففت من وطاة الاختلافات العنصرية . اما الجمورية الدومينيكية التي لم تخل من الاضطرابات ، فقسد تميزت بزيد من الحلم وتوفقت الى رفع عسد سكانها الى اربعة اضعافه ، والى تحسين تربية المواشي ونوعية التبغ . وقد كان من بعض مواليد المستعمرات وبعض خلاسيي الزنوج والهنود ، بقيادة احد مربي المواشي الحازمين ، وسانتان ، ، ان فكروا بالتخلص من الاضطرابات بالرجوع الى السلطة الاسبانية ؛ ولكن الاتفاق الذي عقد في السنة ١٨٦٦ لم يسدم طويد . وخلاصة القول ان التأخر في الاستثار بقي كمراً جدا ، ومستوى الحياة متدنياً جدا .

امذهب مونور وبزوغ فجر سیاسة امیرکیة شاملة

اذا ظهر منذ زوال الامبراطورية الاسبانية والبرتفالية ، الشعور الذي ايدته رسالة مونرو بشراكة المصالح بسين الجمورية الاميركة الشالية الكبرى واميركا اللاتشنة ، فقد

قابل براهين التضامن التي قدمتها الاولى موقف حذر غير خفي وقفته الثانية . ومرد ذلك الى ان سكان واشنطن ونيويورك احتقروا كل ما هو د داغو ، اي من اصل ايبيري ، بينا سخر د داغو ، ب د غرنفو ، اليانكي الوقح . يضاف الى هذا ان اعمال المنف التي كانت المكسيك ضحيتها في السنة ١٨٤٨ من قبل الولايات المتحدة ، والقحة التي سوت بها هذه الاخيرة مسائل البرازخ تسوية مباشرة مع لندن ، كانت كافية لجعلها مريبة في نظر اولئك الذين كانت تتظاهر بحايتهم . وما كان امير كيو الوسط والجنوب ليجهلوا انهم وثرواتهم هدف التنازع على النفوذ بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة . فهم لم يشعروا بالميل الى سياسة امير كية شاملة كتلك التي يقول بها مونوو الا اذا بدا لهم الدفاع المشترك ضروريا ضد استعار ما زالت اخطاره محدقة يم .

الا ان الشمور بتضامن ضروري بين الدول الامير كية قد نما عند رجال القانون وعلماء الاجتاع في الجهوريات التي انهكتها حروب متكررة اعتبرت حروباً بين الاشقاء . وهكيف فقد نشر اندريس بلتو الشاعر الكبير وجامع القانون الشيلي ، و مبادىء الحق الدولي ، المشهورة التي استوحت مؤلفات القرن الثامين عشر الكبرى وبشرت ببيانات القرن العشرين . وفي الاجتاعات التي عقدت في ليا اقترحت صيغ جميلة من اجل التماون بين الامم التي يجمع بينها دم واحد وثقافة واحدة . ومع ذلك لم يبد غريبا ان تستهوي بعضهم رؤيا التقارب على قدم المساواة من الوطن الام القديم : فان كولومبيا وفنزويلا قد توجهتا الى اسبانيا لتسوية خلاف على الحدود . وكان غيرهم اكثر واقعية ، ورجما ارتضوا بالوصاية المقنعة التي عرضتها بريطانيا المظمى الموجودة في كل مكان .

في السنة ١٨٨٩ ، بدأ عهد المؤتمرات الداعية لسياسة اميركية شاملة ، اي عهد « مونروية » تستجيب لحاجات دولة استمارية . فهل كان على امسيركا اللاتينية المنقسمة على نفسها والمتأخرة اقتصادياً ، حيث السف المندي والزنجي والمهاجر الابيض الكادح المناصر الرئيسية السكان البائسين ، ان تنهرب من عروض الولايات المنحدة يا ترى ؟ ولكن هل هي ستتمتم طويسلا بحرية الاختيار ؟

ومنصل ودروبس

العالم الاسلامي من آسيا الوسطى الروسية حق المغرب

نطاق <mark>الاسلام :</mark> وحدة واستموار واشسماع

لم تفقد الحضارة الاسلامية شيئًا من شخصيتها في وسط القارة القديمة . اجل لقسم الخضمها الاوروبيون سياسيًا شيئًا فشيئًا . ولكن العقيدة التي ارتكزت اليها قد حافظت على

حيوبتها ٬ ولم تنخل عن شرائعها المعيشية واسنالت المزيد من المؤمنين .

يوافق الاسلام من جهة ، وبصورة خاصة ، المساحة الشاسعة النادرة الميساء ، او حق الصحراوية ، التي تمند من موريتانيا الى الهندوس السفلي وبورات تركستان : وهي تمشل ، على وجه التقريب ، فتوحات المرب الذين وجدرا فيها ظروفاً سكنية شبيهة بظروف بلادهم . ومن جهة ثانية ، تخطى دين الني في عهد لاحق ، يدخل فيه القرن التاسم عشر ، حدود هذه المناطق المجاه الجنوب والجنوب الشرقي وانتشر في مناطق المناخ الحار الرطب وحتى الاستوائي، مواه في افريقيا وراء الصحراء ، اه في الصين الجنوبية ، حول المحيط الهنسسدي ، وحتى في المراوك ، ١١١.

ما هو عدد هؤلاء المسلمين الذين يؤدون واجب الصلاة يومياً ؛ جائين ارضا ؛ ومتجهن نمو القبلة ، اي نفو مكة ؟ ان رقم اله ١٧٥ مليوماً الذي اعطىساء ؛ بلونت ، في سكتابه ، مستقبل الاسلام ، ١ ١٨٨٠ ، هر دون الواقع في الارجع ١ لم يقدر المؤلف الانكليزي حتى قدرها اهمية عدد المسلمين في الهند والاراضي الروسة ، ومها يكن في الامر فاننا تعتبر هسفا المدد قليلا

و ١ و راحم حريطة الصفحة ٩ ٤ ه. من الجلد الرابع (الطبعة العربية)، وحريطة الصفحة ٤ و ٢٠٠٥ و ومن هذا الجلد .

بالنسبة لمساحات على مثل هذا الاتساع . ويلفت الانتباه من جهة ثانية ان سواد المؤمنين يقطنون اشباه الجزر والجزر الآسيوية . ولكن الطقس القرآني يفرض في كلكوتا وباتافيا والقاهرة وفاس وتومبوكتو على السواء اللغة المقدسة نفسها ، والشريعة نفسها ، والاخلاق نفسها ، والمؤسسات نفسها . فان ما امر به الكتاب المنزل من الله يصلح لكل الازمنة التي ستسبق بجيء و المهدي ، (المسيح المنتظر) . والوحدة قائمة في الاستمرار نفسه ، والتقيد المشترك بالوصايا ، والانتظار المشترك لليوم الذي سيظهر فيه رسول الرب . ولذلك فان الاسلام خليق ابدأ باسمه المشتق من من فعل و اسلم ، ، اي سلم امره الهالله . يعامل الانسان بمزيد من القوة تبررها مراعاته لحاجات من فعل و اسلم ، ، اي سلم امره الهالله . يعامل الانسان بمزيد من القوة تبررها مراعاته لحاجات الحياة وحتى لبعض مخالفاتها ، وتساهله بالتمتم ان لم يكن بالتجاوز ، باعتبار ان الحرمان ينطوي على مساوى عيمتبرها خطيرة . فهو مثلا ينظم تعدد الزوجات دون تحريه ، ويبقي على الرق ويحاول في الوقت نفسه التخفيف من وطأته ، ويحرم المراباة ولكنه لا ينع التجارة ؛ يحل المرأة في مرتبة دنيا ولكنه يصرفها في إدارة ثروتها الشخصية ويحيطها بشتى مظاهر الاكرام ؛ يوسي بالحج الى مكة دون ان يجمل منه امرأ الزاميا ؛ يحسر اللجوء الى الجهساد ، او الحرب المقدسة ، في الدفاع عن الدين الحقيقي وهدي الاوثان . يخلق بين المؤمنين اخسوة ومساواة تتنافان ووجود طائفة مختصة بالكهنة او الاشراف .

الايمان يدفع بألوف المؤمنين كل سنة الى الاماكن القدسة . وقد قدر بعضهم ان زهساء • ه الف هندي و • 7 الف ماليزي وعدداً كبيراً من المفاربة والمصريين والاتراك والايرانيين يذهبون الى مكة يؤدون طقوس العمرة حول الكعبة ؟ وقد يأتون القيام بهذا الواجب حتى من افريقيا السوداء والصين . ينزل معظمهم الى البر في جدة التي تنقلهم اليها سفن بريطانية . أما طريق البر التي تبتدىء في دمشق ، فطويلة وشاقة ؟ لذلك سوف يعلق السلطان عبد الحميد الهمية حجرى على بناء خط حديدي ينتهي الى ضريح محمد ، الى المدينة التي تفصلها عن مكة مسيرة احسد عشر يوماً . وسوف يوفع الخط الحديدي الى اكثر من • • 7 الف عدد الحجاج السنويين الذين لن يستخدم الطريد قي البحرية منهم بعد ذلك سرى اقل من نصفهم . واجتذبت الجساهير كذلك المدن المقدسة في بلاد فارس الشمعة ، ولكن على طرق اقل طولا ومشقة .

ساعدت هذه الروحات والغدوات على سريان الافكار والاشعرة . ولكنها في الوقت الذي احبت فيه بعض التيارات التجارية ، أسهمت في انتشار الاوبئة ايضاً . ففي السنة ١٨٥٨ والسنة ١٨٦٨ ، ظهر الهواء الاصفر في مكة ، ثم انتقل الى شواطىء افريقيا الشرقية والحبشة ووادي النيل: فأدت معاودة الوباء واشتداده الى الفتك بزهاء ٣٠ الف شخص في زنجيبار في السنة ١٨٧٠. وانتقل الطاعون كذلك من الهند والخليج الفارسي ، فانتشر في السنة ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠ من جهة نحو مصر ، ومن جهة اخرى نحو افريقيا الشرقية وسنغافورة ، وحتى ابعد من ذلك في الباسيفيكي .

ما زال المؤذن في المغرب والسودان وتركستان والانسولند وفي كل مكان يوجه الدعسوة ألى الصلاة (الآذان) من اعلى المئذنة . وفي كل مكان ايضاً وعلى الرغم مما ادخلته الفنون الاقليمية من اشكال متنوعة على تصميم الجامع وتزبينه ، آثر الاسلام تجديد القديم على الابتكار . فان بيت العبادة الذي شيده محمد على في القاهرة لا ينم عن اي فن عصري ، شأنه شأن جامسم الحميدية على كل حال ، مها كان من رشاقة هذا الاخير . ولكن القصور الكثيرة التيخلفها بعض الامراء المتفخلين – قصر شيراغان ، لعبد العزيز (١٨٦٦ – ٢٧) ، وقصر يلدز الذي احتفظ به عبد الحميد بدوره لنفسه بعد زمن قصير في اسطنبول ، وقصرا القباري والمكس اللذات شيدها سعيد في الاسكندرية (وقد تهدم ثانيها بفعل ضرب القنابل في السنة ١٨٨٦) ، او قصر حبيبة ، في المغرب الذي شيد بين السنة ١٩٩٤ والسنة ١٩٠٠ الوصي على العرش احمد بن موسى – استجابت لمستلزمات المناخ وسمحت في الوقت نفسه للابتكارات التزيينية بأن تطلق لنفسها المنان ؟ وانما لوحظ تأخر في الذوق منه انتشار الفن الغربي المبتذل في اواخر القرن

يبدو شكل المدينة الاسلامية وكأنه ثابت لا يدخل عليه اي تغيير: تحاط بأسوار تفته فيها ابواب فخيمة ، وتعنى ، بالاضافة الى قصورها أو سراياتها ، بميونها الممومية ، ومدارسها ، وزواياها التي تكرس لخدمتها دخول الاوقاف ، وحماماتها التي يتوجب على كل مسلم صالح ان يختلف اليها ؛ وتوزع هذا وهذاك اسواقها المسقوفة التي تقوم على جوانبها الحوانيت ، وخاناتها التي تستخدم كمستودعات للبضائع او فنادق ، وتجمع فوضى بيوتها بين الاكواخ الحقيرة ومساكن الاثرياء التي يفرق فيها بين السلملك (أو بيرون في ايران) الممد للاستقبال ، والحرم (أو اندرون في ايران) المحفوظ للحياة الخاصة . ولكنها ، وان احاطت نفسها بتيقظ بالاسوار ، تحسرص ابداً على الفصل بين المسلم واليهودي والمسيحي ؛ فكأنها تعزل مجتمعاً يرى الخير في احترام الوضع الراهن ، من اجل حمايته وتثبيته على حاله .

كانت ردة الفعل لمخالطة المسلمين لغير المؤمنين اتجاها نحسو مزيد من التشدد او نحو موافقة بمكنة .

التيارات الدينية في الاسلام وسلوك المسلم <mark>حيال العبادا</mark>ت الاخرى

المصرية عن طريق التساهل . واننا نذكر منها البابية . التي انبثقت من المدرسة الفارسية اليي المصرية عن طريق التساهل . واننا نذكر منها البابية . التي انبثقت من المدرسة الفارسية اليي كانت تكتفي بتفسير الامور المجيبة المتعلقة بحياة النبي تفسيراً رمزياً . فان دميرزا علي محمده الذي اختار لنفسه اسم و الباب في السنة ١٨٤٢ و بدا من ثم وكانه و المهدي» قد طلع بتعليم يقتبس عناصر كثيرة من المزدية وفلسفة انسانية ماسونية الطابع ؟ أوصى بحياة مطابقة المطبعة وبزيد من الحرية الفردية وبساواة المرأة للرجل وأحرز نجاحاً شعبياً جمل السلطة تعتبره خطراً عليها مم أميت بأمر الشاه في الارجح . ولكن احد تلامذته ، بهاء الشاسم على نشر دين جديد يقرب بين البشر و يخدم قضية السلام ، فالتف حوله في اوروبا واميركا اتباع اكثر عدداً من اتباعه بين البشر و يخدم قضية السلام ، فالتف حوله في اوروبا واميركا اتباع اكثر عدداً من اتباعه بين البشر و يخدم قضية السلام ، فالتف حوله في اوروبا واميركا اتباع اكثر عدداً من اتباعه بين



افريقيا الغربية الى ديونان ، انطلاقا من مركزهم الرئيسي في بغداد . ولا عجب من ثم اذا مسا قدمت الطوائف الدينية للاسلام قادة وجيوشا مختارة للحرب المقدسة . فان الدور الذي لعبسه السنوسيون بات من الشهرة بمكان. كان سيدي محمد بن علي بن سنوسي وهراني الاصل ومنتسبا لاقدريين ، فلفت اليه الانظار في مصة بصلابة عقيدته ، ثم اعتزل في السنة ١٨٥٥ في احدى واحات ليبيا وأسس فيها زاوية ما لبثت ان اشعت في كافة ارجاء افريقيا الشمالية الشرقيسة . فشكا تباعد عدم الهلية سلطان الاستانة ورفضوا مدعياته بالخلافة وبشروا بمجيء مهدي في رأس السنة الهجرية ١٢٠٠، اي في ١٢ كانون الاول من السنة ١٨٨٢ . فسمع النداء ، ورفسح حينذاك محمد احمد ، النجار النوبي ، لواء الحرب المقدسة . وكان مقدراً لثورة الدراويش ان تستكد الدولة البريطانية طبلة سنوات عديدة .

وفاقا المتقليد نعم المسيحيون واليهود الذين عاشوا في البلدان الخاضعة للشريعة الاسلامية ، بمجرد تساهل ديني. ولكن هؤلاء غير المؤمنين قد تركوا وشأنهم في ممارسة عبادتهم ونوع معيشتهم شريطة دفع ضريبتي الخراج والجزية ؛ ولما كانوا ذميين اي رعايا محميين ، حظر عليهم حمل الاسلحة . وبحسب الظروف المحلية ، اختلفت العلائق بين التعاون المعترف به (وهدف حال اروام الفنار) وعداء شبه معلن . وقد مارس شيعيو قارس سياسة هدي الى الدين الاسلامي نجم عنها قيام فئات جديدة سرية من اليهود . وفي السنة ١٨٦٧ دعمت بريطانيا العظمى مسمى قام به آل روتشياد لدى سلطان المغرب ، ولحن المرسوم الذي حظر كل مناكدة ما لبث ان ابطل . واثارت اسطورة الاغتيالات الطقسية في سوريا التي تحتلها جيوش محمد علي موجة تعصيبة صاخبة في السنة ١٨٤٠ ؛ وبفضل تدخل دكريميو ، و «مونتفيوري» ، نجما اليهود المتهمون قبل ان يعلن فرمان بطلان الاتهام .

ارتضت الكمائس المسيحية بنوع من التسوية ضمنت بموجبه طاعة مؤمنيها ؟ ولكنها بحثت في الوقت نفسه عن الايد في الخارج . وبجحة حماية هذه الطائفة او تلك ، تعودت بعض الدول الاوروبية التدخل في شؤون الامبراطورية التركية . وأخفت هذه التظاهدرات الدينية بعض الحركات القومية : فساندت القيصرية بعناد مستمر الاكليروس والمؤمنين والحجاج الارثوذكسيين ؟ واعتبرت الحكومات الفرنسية المتعاقبة نفسها ملزمة بدورها بالدفاع عن حقوقها التقليدية في حاية الطوائف الكاثوليكية الشرقية التي انعم بها السلاطين على والفرنجة » . وغالباً مدا عاد سبب المنازعات لادارة بيوت العبادة في الارض المقدسة .

كان اهم نزاع ذاك الذي نشب في السنة ١٨٥٣ بين روسيا من جهة وفرنسا وبريطانيا العظمى منجهة أخرى ونجمت عنه حرب القرم . وفي اعقاب ذلك ، طالبت اوروبا في باريس ، في السنة ١٨٥٦ ، بالحصول على ضمانة جماعية للسكان المسيحيين في الامبراطورية التركية : مساواة امام القانون وإلغاء ضريبة الخراج . ويرتدي هذا التاريخ اهمية خاصة لأنه يوافق اول مسمى جماعي بغيسة فرض الاعتراف بمبادىء تتنافى والشرائع الاسلامية على دولة اسلامية مستقلة . وانساق الاوروبيون

بعد ذلك في كافة مستعمراتهم او محياتهم الى اجراء اصلاحات مماثلة . ولكن المسألة ما زالت معرفة ما اذا كان المسلون يستطيعون القبول بمثل هذا التغيير دون التنكر لا يمانهم . ويجدد الاعتراف هنا بان الاسلام ، حيثها اختلط بجاهير تحركها العصبية الطائفية ، قابل هذه العصبية بمصبية مماثلة . فقد استمرت طويلا في الهند والصين نزاعات مسلحة في اغلب الاحيان بين المسلمين وغير المسلمين وما زالت الحال في افريقيا في مرحلة الحرب المقدسة ، والحوادث الوحشية ترافق ابدا الدخول الى المناطق الرثنية .

بميزات الدولة الاسلامية واوهانها

لا يتصور الاسلام السلطة المامة الا بدلالة الدين. فليس للدولة مرتكز اقليمي ؛ وهمي لا تعترف الا بجماعات طائفية ؛

ولا وجود لها على كل حال الا بفضل الفتح الذي أدى الى سيطرة المؤمنين. ليس المشرف على ادارتها سوى خليفة رسول الله أو نائبه ؟ إنه أمير المؤمنين وأمام ، ولكنه ليس له من منصبه حتى الحق في تفسير الشريعة لانها تأمر باسمه . ولما كانت الخلافة ، منجهة ثانية ، نشيجة اختيار لا نتيجة حق ، فقد تعذر الاتفاق على النسب الشرعي ابتداء من محمد . وهسذا يفسر التجزؤ السياسي العضال في العالم الاسلامي .

وانها يجب الا ننسى كذلك ، اذا كانت وثبة الفتح فعل شعب من الرعاة ، ان القريشي المكي ينتسب الى اوستوقراطية من التجار تحتقر الزراعة . ان عمل الارض جدير بالرعبة التي عليها قبل سواها ان تدفع الضراقب . ولكن نصيباً كبيراً من الارض يجمعه بسبب المتلكات الموقوفة من اجل تعهد دور ايواء الغراء والمدارس ؛ ويحدث ان القاضي ، ابن المدينة ، الذي يفصل في العقود ، يسهل مصالح إبناء المدينة ، بحيث يصبح الحقل ملكا للمرابين . ويحدث اما ان تعود اراضي الارياف للمشاع ، او القبيلة ، واما ان تعود لملاك كبير من اعيان المدينة ، هو الآغا الذي يخشاه الفلاح بوصفه مزارعا ومازماً بتقديم اتاوات عينية كثيرة. اما القبيلة فتحتفظ بقائدها وشيخها بسبب اختلاط الحق الخاص بالحق العام . وما الدولة في الغالب سوى هدف بقائدها وشيخها بسبب اختلاط الحق الخاص القربي والعداوات الشخصية . وحتى حين قضم في القبيلة التي لا حساب في داخلها الا لأواصر القربي والعداوات الشخصية . وحتى حين قضم في صفرونها البدو الرحل والتجار ، لا تنجح الا بصعوبة في معالجة تقلقل بكاد يكون طبيعا ؟ وتأرجح بين الاستبداد والتراخي ، وكلاها تحكيمان . وجملة القول ان الاسلام الذي فتسح مناطق السباسب ومناطق الزراعات الحارة الرطبة ، لم يظهر الا على مجتمعات كانت مؤسساتها الاجتاعية اكثر بداءة من مؤسساته .

لا ربب في إن ديانة محمد تستجيب له بحرة شاله : فإن دار الاسلام تتسع للعالم برمته . وهكذا تتحد فيها شعوب مختلفة جداً . ولكن الغيرة المذهبية ليست هي القومية . فحتى القومية العربية ، التي هي اللغة القرآنية والاسلام شيئان مختلفان . كما أن اللغة العربية ، التي هي اللغة القرآنية والكلاسيكية ، لا تحل محل اللهجات الاقليمية . وكثيراً ما يجد الناس اختلافاً بين الفقه والعرف

العالمي . ونادراً ما لا تضم الدولة الاسلامية ، بالاضافة الى عناصر مسيحية ويهودية قسد يكون عددها كبيراً ، فئات اخرى مختلفة عنصرياً . وهذا ايضاً من مظاهر الضمف .

امام الاستمار الاوروبي ، كان الاسلام ، المتخلف تقنياً واقتصادياً ، في وضع سيء اذ ان التضامن الديني لا يوفر وحده فعالية كافية . اجل ، حسين شنت انكلسترا الحرب على فارس في السنة ١٨٥٦ ، في اعقاب مساندتها لتركيا ، انتشر الاضطراب بين مسلمي الهند واسهم في اثارة الجنود الهنود في الحاميات البريطانية ؛ ولكن ذلك يشكل واقعة استثنائية . فالشاه قد فاوض القيصر بينا كان الروس في نزاع مسلح ضد الاتراك في السنة ١٨٢٨ – ٢٩ ؛ واستفادت لندن وبطرسبورغ من سوء العلائق بين الفرس والافغان ، كما ان مخاصمات السلطان لحمد علي سهات تدخل الدول .

وب<mark>انتظار بروز قوميات خاصة في الاسلام ؛ دقت ساعة اذلاله واستمباده .</mark>

سارت الامبراطورية التركية: تنوع الشعرب القرن السابع عشر ، ولكنها ما زالت في القرن التاسع عشر الامبراطورية التركية في طريق التأخر منسذ اواخر الامبراطورية التركية التون التاسع عشر الكبر الدول الاسلامية مساحة واقواها نفوذاً . وإذا ما ضمنا الى ممتلكات سلطات الاستانة الفملية الاقاليم التابعة لسلطته ، فإن نطاق أدارته ، البالغ ٢ ملايين كيلومتر مربع ، يشمل ، بين شبه جزيرة البلقان والمحيط الهندي ، وبين القفقاس وطرابلس الغرب ، بالاضافة الى شطر مسن أوروبا الجنوبية الشرقية وكافة انحاء آسيا الامامية المعروفة بالسرق الادنى . وعلى الرغم من أن سكان هذه الامبراطورية لم يجاوزوا ، عمليون نسمة في السنة ١٨٩٠ الدولية ، لانها كانت تحتل مواقع هامة من الدرجة الاولى في قلب القارة القديمة ولا سيا الطرقات المؤدية من المراطورية من المراطورية من المراطورية المدلولية من المراطورية من المراطورية المدلولية المدلولية المدلولية المدلولية المدلولية من المراطورية المدلولية من المدلولية من المدلولية المدلولية المدلولية من المدلولية الم

لم يكن الاتراك في عقر دارم حقا الا في بلاد الاناضول التي لم يقطنوا سوى بورة هضبتها . اما في المناطق الاخرى فقد عسكروا بين الرعايا من اهل الذمة او بين شعوب اسلامية اخرى . وقد وافقت الهضبة الاماضولية المرتفعة الكبرى ، الفاسية المناخ والمفتقرة الى المياه والاشجار ، هؤلاء الرعاة الذين اعتمدوا في معيشتهم التقتيرية على اللهبين (يوغورت) والقشدة (قيمتى) والاجبان والجربش والبرغل وشواء لحوم الاغنام . وكانوا ينتقلون من مراعي الشتاء الى مراعي المجل ويسكنون في اكواخ حقيرة او تحت الخيام المصنوعة من المرعز ويصطلون بنار الزبيل ويمارسون عبادة ساذجة ولا يعترفون الا بسلطة الآعا . وانحصرت الزراعة في بعض الاحواض او في السهول الدائرية الوبيلة جلها ؛ زد على ذلك ان لصوصية اكراد الجبال والشراكسة او بحرد عبث القطعان بالمزروعات كانا يخمدان نشاط الفلاحين . وكانت الاراضي من جهسة ثانية من حق كبار الملاكين الذين يؤجرونها للمزارعين او يستنمرونها بواسطة الحدام ، حين لا تكون من حق كبار الملاكين الذين يؤجرونها للمزارعين او يستنمرونها بواسطة الحدام ، حين لا تكون



مسيحيي مفدونيا ، تعدوا تكرارا على الارمن الذين ثميزوا هم ايضاً بالسجس والتقلب . وكان مقدراً للمنطقة الوعرة التي تشرف على حوض الفلسرات ان تعرف في المستقبل مذابح بشرية رهسة :

الى الجنوب من طوروس وكردستان يبدأ العالم العربي الذي يضم طوائف مسيحية ويهودية كثيرة. في هذا الهلال الخصيب الذي يحيط بالصحراء العربية السورية تسيطر الاثرة الاقليمية. فسوريا هي مقدونيا ثانية تضاف فيها الشيع الاسلامية المختلفة الى الطوائف المسيحية المختلفة . في كل مكان ترى البدوي والحضري وسكان الجبال والسهول او الواحسات يتعايشون ويتجابهون ، كا نرى عاوبي جبل النصيرية ودروز جبل الدروز يعيشون في عزلة ، بينا يتعلق الموارنة يجبل لبنان الوسطي وتظهر دمشق وحلب عظهر العواصم العربية احداهما مثال المدينة الواحة والثانية سوق مرتبطة بالجبال الشهالية ، وكلناهما محطتان عند حدود الصحراء . فقد تكلم و لورتيه » في كتابه وجولة حول العالم » (١٨٨٢) عن و دمشق البهية المبنية مساكنها بالقراميد المجففة تحت اشعة الشمس والمطلية بطلاء اصفر ذهبي . . . والمروية بساتينها باقنية واما في المرتفعات المسقية بعض الشيء كجبل الدروز . ولكن فقدان الامن والجفاف يتحالفان في ظل هذا الاهمال الذي يلحق الضرر بأحسن المرافي هم المدرية والقضاء التركيان فيكتفيان في ظل هذا الاهمال الذي يلحق الضرر بأحسن المرافي هم المدورية .

كان من المدكن الاستفادة من الجزيرة فيا بين النهرين ومن دلتا منطقة بابل القديمة ؟ ولكن ضفاف الفرات لم تستهو سوى جماعات حضرية قليلة تسكن اكواخاً قصبية حقيرة. فالمسلاحة شبه مفقودة بفعل الارياح العاصفة في الخليج الفارسي والاوحال التي تملاً مقره ؟ والحر شديد في بغداد ، التي لا يتماطى سكانها تجارة الحبوب والتمور والاصواف فعسب ، بل النخاسة لحساب احرام العالم الاسلامي كله ايضا ، ويلجأون صيفا الى السراديب المزودة بمنافذ الهواء ؟ ويدخل في عداد مؤلاء السكان ٥٠ الف يهودي من بقايا السبي برعوا في التجارة ووفرت لهم ويدخل في عداد مؤلاء السكان ٥٠ الف يهودي من بقايا السبي برعوا في التجارة ووفرت لهم المدارس بعد السنة ١٨٦٥ جمية الاتحاد الاسرائيلي . اما البدوي فحاضر في كل مكان او على مسافة قريبة ، يضرب خيمته على ضفة الفرات ويجوب بورات الهسلال الخصيب و كأنه السيد المطاع ؟ وهكذا فان قبيلة عنيزه ، التي تضم ٣٠ الف فارس ، تقطع طريق الحج بين بلاد مساله النهرين ونجد .

في اليهودية كما في سوريا ، ما تزال المدن والاديرة محصنة . الغور لا ينتج شيئاً بسبب افتقاره الى الري . ابن الصحراء يتوجه حيث يطيب له وينهمك في السلب والنهب ؛ ويفرض شيخه او الميره الخوة على الفلاحين او اهل المدن لمصلحة القبائــل القوية . ويخضع لهــذه الضريبة كثير من الحجاج ايضاً . وقــد وصف لامارتين يهوديه خربة ، ولم ير في اربحا سوى اكواخ من الطين

المجفف ونساء لسن سوى و انائى ، وفي السنة ١٨٧٥ ، اعتسبر و فوغويه ، و انه يجب الكتابة بدموع الانبياء لوصف مثل هذا الجمال في مثل هذا الخراب ، وتأثر و غابريال شادم ، في اورشليم بمظمة الاماكن وقذارة الشوارع وفقدان الامن فيها وتشابك الحقوق حول تملسك اقل حجر والاستغلال الذي استهدف الحجاج الروس المستاكين من قبسل الاكليروس اليوناني ووفاء الطائفة اليهودية لذكرياتها الخاصة .

لم تكن الجزيرة العربية تركية الا بالاسم فقط . واذا اعترفت الحجاز بسلطة السلطان ، فمرد ذلك الى ان هذا الاخير قد توصل بعض الشيء الى فرض احترام سلامة طريتى الحج . والى الجنوب من مكة خضمت عسير ، المهتدية الى الاسلام منذ عهد قريب ، للنفوذ الوهابي . وفي داخل الجنوب من مكة خضمت عسير ، المهتدية الى الاسلام منذ عهد قريب ، للنفوذ الوهابي . وفي داخل الجنوبة العربية الواسع الاطراف، قامت في المؤدية من كربلاء الى حائل ، العسيرة والمهددة ابدا بهجهات رجال قبيلة عنزه ، كما قامت في الجنوب صحراء اخرى تعرف بالربع الحالي ؛ وارتفمت بين هذه وتلك جبال فجد ، معقل الوهابيين : ففي الرياض ، المدينة الحريصة على نقاوة العقيدة ، شيد الامير قصراً شبهه الرحالة و بالفرايف ، بالسجن الانكليزي في دنيوغايت، وتدرّت لندن البحرين في الخليج الفارسي ، والمنزوي عن المنزوية الجنوبي اكثر من خضوعه للاستانة . واختارت الحكومة البريطانية عدن المرفأ الوحيد الصالح للرسو في حضرموت وقربت اليها سلطان مسقط الذي تعاطى حتى السنة ، ١٩٠١ نخاسة رائحة . ولم تكن عدن مستردعا هاما جداً فحسب ، بل كان من شأنها مراقبة اليمن التي كان ميناؤها ، الحديدة ، وخيماً . واشتهرت اليمن الشبيهة بلبنات أو مناطق الجزائر الجبلية بزراعة البن (مخا) ؛ وسحرت عاصمها صنعاء ، القائمة على ارتفاع من شأنها مراقبة المين الفناء وجوامعها الثانية والاربعين . وقد واجهت هذه المنطقة كلها بلاد الحبشة واشتركت في حياة المحيط الهندى الاقتصادية .

« الرجل المريض » : افتقرت حكومة الاستانة الى الوسائل اللازمة لحكم سكان فضل التنظيمات والتغلغل الاوروبي على مثل هذا الاختلاف في رقمة واسعة الارجاء . ويكفي في تركيا في تركيا هذا التذكير بسير البريد الذي اسند الى قبد التقرية تقتنى

الجياد الاصيلة واقتضى له خمسة وثلاثون يوما لنقل رسالة من العاصمة الى بغداد . ولمساكانت السلطة الدينية التي يهارسها الباديشاه محدودة جداً ، فقد عولت الامبراطورية على اقطاعية عسكرية : السلطان هو القائد العام ؛ والتقسيات الادارية تطابق الاقطاعات ، والستجق في الاصل راية يحملها البيك . وتسلم الفرائب الى الاقطاعيين انفسهم الذين اقطعوا الاراضي ، الجفتلك ، بعد انتزاعها من المفلوبين على امرهم . فكانت نتيجة هذا الاختلاط بسين السلطة والملك فساداً وابتزازاً . تثقل وطأة الضرائب بتعهد الجيش ، والجيش قد فقد الكثير مسن صفاته العسكرية بسبب عدم انضباطه وافتقاره الى العتاد العصري . فهنالك اقاليم واسعة قد شقت عصا الطاعة : الجبال التي يحتمي بها العصاة ، ومواطن البدو الرحل . يضاف الى ذلك

ان باشاوات كثيرين قد تصرفوا كما يطيب لهم التصرف . واخيراً ليس اقل التناقضات لفت المانتياه المركز الممتاز الذي اقادت منه بعض الجماعات : الفناريون واثرياء الطائفتين الارمنية واليهودية في الماصمة ؟ والاجانب الذين اتاحت لهم « الامتيازات » مزاولة الاعمال التجارية بشروط مناسبة جداً . اما الحكومة التركية الماجزة فقد لجأت الى الحيل الآنية التي تراوحت بين التسوية الخيجلة (ويكفي آنذاك ان تسلم الظواهر) واستخدام القوة . انها « الرجل المريض » في نظر اوروبا التي تراقب احتضاره بكل انتباه .

ان ما عرف آنذاك بالمسألة الشرقية هو من ثم المسألة التي طرحها انحطاط الامبراطورية العبانية . وإذا حسب بعضهم في الخارج حساب فواقد التجزئة بينها آثر البعض الآخر الابقاء على الحوزة (التي من شأنها تجنيب مضاعفات شتى وتأمين مراقبة الموارد مراقبة شامسة توفر نتائج فضلى) ، فإن الاوساط الاسلامية نفسها كانت مقتنمة بأن نقاهة المريض منوطة بتعالجه . ولما كان النظر مصروفاً عن العودة إلى الشريعة القرآنية المشددة التي تستتبع رفض كل تدخسل اجنبي ، فبقي أن يعرف ما إذا كان القيام باصلاح على غرار الاصلاح في الغرب لن يستعجل الحركات القومية ، وبالتالي المصير المرهوب. والحقيقة هي أن تركيا بدت عاجزة عن المحافظة على انظمتها القديمة وعن التطور تطوراً حقيقياً . إلا أن الدول ، رغبة منها في أرجاء موعسد التصفية النهائية ، قد تجر إلى إطالة حياة علية .

ع<mark>اص</mark>ر سليم الثالث الثورة الفرنسية ونابوليون وحكم حكما استبداديا عسلى غر<mark>ار بطرس</mark> الاكبر فحاول قبل سواه اعادة تنظيم الجيش ٬ ولكن الانتحشارية الذين حالفهم الحظ اكثر من الاهسترابية الذين حالفهم الحظ اكثر من الدونانيون منسسه لاعلان الثورة بينا اصبح باشا مصر عمد نملي مستقلا حمليا .

واذا أفلح محمود الثاني ؛ الذي عله الاختبار ؛ في التخلص من الانكشارية ؛ السجسين ؛ فقد وجد نفسه في القضية اليونانية امام تحالف اوروبي وأمام مدعيات الباشا . وحين اضطر الى التخلي عن سوربا لصاحب الاقطاعة الخاضع له مبدئيا واللجوء مؤقتاً الى الحماية الروسية ؛ اخذ على نفسه التغلب على هذين الخطرين : اثار حفيظة المتسكين بأهداب الدين بارتداء الزي الاوروبي وشرب المسكر والساح بدخول البضائع الانكليزية معفاة من الرسوم وبيع عدن من بريطانيا العظمى واسناد امر تنظيم جيش جديد الى ضابطين بروسيين ، ثم أدركته المنية بينها الامبراطورية وكأنها تحت رحمة الباشا بعد انهزام جيوشه مرة اخرى .

في عهد عبد الجيد الشاب ، ورغبة منه في كسب الوقت وعطف اوروبا ، لخص رشيد باشا ، المستدعى من سفارة لندن ، في خطي شريف (١٨٣٩) او دستور غولخانه ، برنامج اصلاحات جريئة انطوى على بعض الضانات القضائية وقمع التجاوزات الجبائية وتأسيس جمعية تمثيلية . ولكن ما ان ضمن له ميثاق المضائق حماية الدول الجماعية حتى آلت و التنظيات ، الى لا شيء تقريباً .

نشأت بعد قليل في المؤسسات المدرسية الاوروبية (فتحت كلية غالاطا العلمانية الفرنسية الوابها في السنة ١٨٦٨) طبقة مثقفة اسست بعض الصحف وتمنت قيام اصلاحات جدية وطالبت براكز عمل بصورة خاصة . وعلى الرغم من استحداث بعض الوظائف العامة لأجل ارضائها ، فانها قد اشتكت من تبذيرات السلطان الطائشة وحملتها مسؤولية افلاس يدد ، كا حدث في تونس ومصر ، بجر البلاد الى حباية مالية غربية . وأمام الفوضى المنتشرة في الولايات البلقائية تسبب طلاب الحقوق والفقه في اندلاع ثورة في الاستانة واستقالة عبد العزيز . فاضطر خليفته عبد المي منح الدستور او القانون الاساسي في السنة ١٨٧٦ الذي تأسس بموجبه نظام بهد ان ضمن برلماني . ولكن نفوذ منظمة و تركيا الفتاة ، انهار حين خلع السلطان الجديد قناعه بعد ان ضمن برلماني . ولكن نفوذ منظمة و تركيا الفتاة ، انهار حين خلع السلطان الجديد قناعه بعد ان ضمن اللجان بعد اعال استغرقت ١٧ سنة .

ابتداء من السنة ١٨٨٠ ، بدا الرجل المريض وكأنه يستفيد من هدنة . ولكن ادارة الدين المثاني الباهظ عادت لمجلس دولي ؛ واسترهنت دخول الجارك والفرائب وادارة حصر التبغ في سبيل عقد قروض جديدة . ومنحت في الوقت نفسه امتيازات كثيرة لاستسثار الحركة الخطوط الحديدية والمرافىء . والحال كان في نية الحركة الاسلامية الشاملة على غرار الحركة الروسية الماثلة ، ارضاء قومية كان من شأر غزو رأس المال الاجنبي ان يكدرها . ولكن الامبراطورية المجوز لن تنجو من مصير محتوم : فليس استطاعتها الاستمانة بأوروبا والتخلص منها في آن واحد .

ان الغرابة هذا ، كما في الجزيرة العربية ، هي ان الصحراء تتوسط البلاد وان الحياة تتدفق في الاقسام الدائرية . فحول حوض وسطي يكاد يكون مقفراً ، كان على فارس ان تصون مناطق حدود وعرة الملحدرات يستموي الانسان ثلاث منها بسبب غزارة الامطار فيها وتستمويه الرابعة بسبب موقعها الساحلي. ولكنها على الرغم من ذلك لا تسيطر سيطرة تامة على كتلة الجبال الشرقية الضخمة .

اهل الحضر اكثر سكانها عدداً ، ولكنهم مجمعوا في مساحات ضيقة : المناطق القزوينية الشبيهة بالمناطق الحارة التي يزرع فيها الارز وقصب السكر وشجرة التوت والتبغ ، وواحات الاقسام الدائرية التي تمر فيها الطرق الداخلية . فلاحين او مدنيين ، كان اهل الحضر هـــولاء فرساً واتراكاً وعرباً ويهوداً وأرمناً وزنوجاً ايضاً . فأين يجب من ثم تعيين مركز حقيقي ? لقد تبدلت الطوالع تبدلا سريماً ، فكانت الاولوية تارة لاصفهان ، المواجهة لبغداد وشيراز ، الستي

بلغت العظمة في عهد الصفويين ، واخرى لتبريز الواقعة على طريق البحر الاسود، وثالثة لمشد، المدينة المقدسة التي جعل منها ناضرشاه عاصمته على مقربة من البورات الطورانية ، ورابعـــة لطهران .

يجب في كل مكان ان يحسب حساب للبدو وانصاف البدد الذي يسرحون ويمرحون في تسمة اعشار المساحة العامة متأثرين المناخ الذي يدفع بهم من المنطقة الحارة الى المنطقة الباردة: اكراد ، وبلوش ، ولور ، وبختيار ، وتركان ، بحسب المناطق . المدن والقرى محصنة بسبب فقدان الامن الشامل .

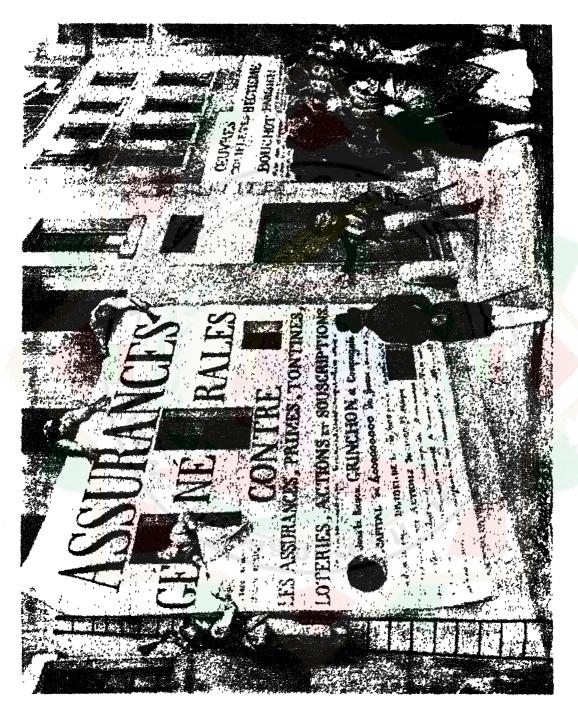
كان من ثم لطرق الاتصال الحجرى اهمية قصوى: الطريق الطورسية المؤدية من طرابيزون الى مشد مروراً بتبريز ؟ والطريق الشهالية الجنوبية المؤدية من رشت على بحر قزوين الى شيراز وبوشير على الخليج الفارسي مروراً بطهران وكوم واصفهان ؟ والطريق المكلدانيسة المؤدية من بغداد الى همذان ؟ وطريق كتا المؤدية من الهند الى مشد في الجهة المقابلة . وتتضح بالتالي صعوبة مسألة السيطرة على هذه الطرق المختلفة الاتجاهات وهذه المنافذ المديدة ، لا سيا وان المركسز لا وجود له في اي مكان من حيث هو بالفرورة في احدى نقاط الاقسام الدائرية . ولذلك اقسدم كل قسم بدوره على اعمال حربية تستهدف الفتح والتوسع . ففي اوائل القرن التاسع عشر نرى المجمر التركان ، الآتين من حوض « اترك » يتركزون في طهران ويميرون اهتامهم فارس الشهالية الميالة طبعاً الى الوقوف في وجه الروس القادمين عبر القفقاس وبحر قزوين ، فارس المسهمة في الدفاع عن الجبهة الاسلامية الشهالية .

عبثاً شن المؤسس « الآغا عمد » وخليفته « فتح علي » حرباً لا هوادة فيها على القيصرية : فقد تكرست الهزيمة في السنة ١٨٢٨ بماهدة « تركانشاي » » تم تعرضت فارس لهجوم الافغان ففكرت بحياية انكلترا التي كانت تتطلع منذ ذاك التاريخ الى مرافىء الخليج الفارسي . ولكن الشاه اراد الاعاضة من خسائره الاقليمية في خراسان والقنقاس بفتوحات محققها في الشيرق ؛ فتوفق الى جعل خراسان في مأمن من غارات تركان طوران وصد خان « خيوا » ولكنه أخفق في افغانستان .

أدرك نصر الدين ، الذي سيموت قتلا في السنة ١٨٩٦ ، ضرورة العسدول عن المغامرات، يضاف الى ذلك ان التقدم الروسي في تركستان ازال الخطر التركاني ، وان انكلسترا من جهتها سوت الخلافات حول الحدود الفارسية الجنوبية الشرقية تسوية استماد الشاه بموجبهسا سواحل الخليج الشهالية ، وبقي مبعداً عن الطرق المؤدية الى الهند . وأظهسر نصر الدين شغفا كبيراً بأحوال الغرب . فقصد العواصم الاوروبية حيث اثرت شخصيته الفاتنة في النساس . ولكنه كان مضطراً لأن يحسب للتقاليد والآراء السائدة حسابها .

على من يجب الاعتاد لايجاد سلطة قادرة على تخليص فارس من وضعها المستردي يا ترى؟

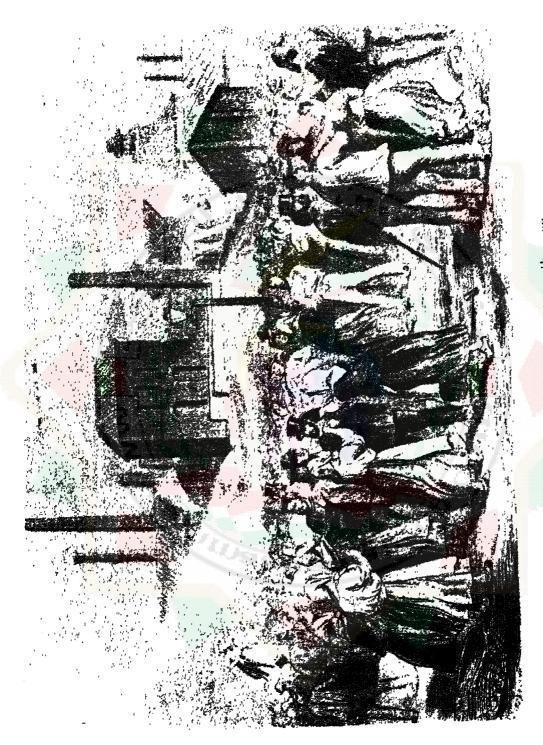




١٩٠ - صف المنتظرون أهام مسرم (المعتمى - الحزل) .



٢٧ - اجتماع انتخابي في مشغل باريسي ، قبل الانتخابات البلدية .





٢٣ - الملكة فكتوريا تزور الاسطول الفرنسي ' في ١٣ تشرين الاول ١٨٤٤ .





٢٥ – الزحمة في احد شوارع لندن .



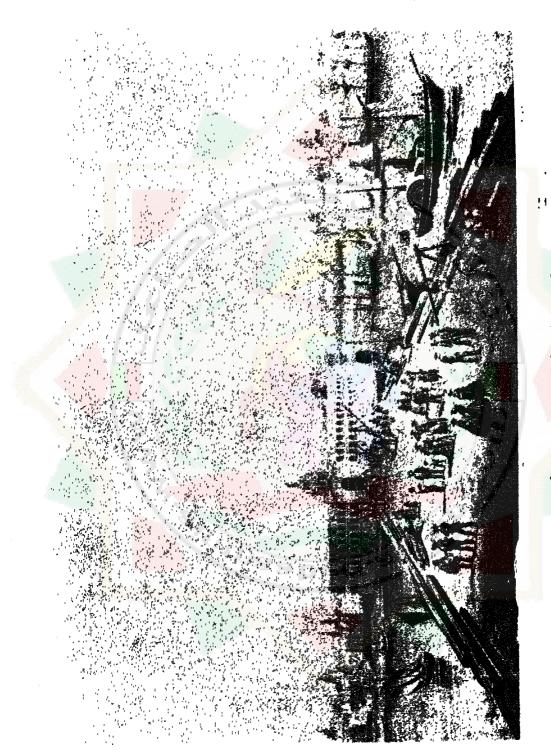












ً ٣٣ - مدينة بوينوس أيرس في السنة ١٨٨١ : منظر مأخوذ من ساحة الجرك .

يتمتع الاسلام الشيمي بقوة عظيمة ؟ وينجم نفوذه عن موقعه الفريب في قلب الاكثرية السنية : فانه يرتدي طابعاً شبه قومي على الرغم من أن رقعته تشمل القسم الاكبر من بلاد ما بين النهرين الخاضمة للآستانة . ولكنه أمعد ما يكون عن الوحدة . واذا هو انطوى على نزعة صوفية مميئة ، فانه لم يتوصل قط الى ملاشاة الشيم التي تجد في ايران حقلا مؤاتياً . زد على ذلك ان الكتان حالة نفسية تسهل قيام الجميات السرية . فهكذا انتشرت الصوفية التي تدفسع الى الاختطاف في العزلة وتشيع اكرام الاولياء في اوساط الشمب . وتأيدت في الوقت نفسه تأيداً دائماً النزعة الزردشلية الى رفض كل سلطة غير القبول الاجماعي . وسبق لنادر شاه ان واجمه تبني دين من شأنه التوفيق بين كافة الاديان التوحيدية . ثم جاء الباب بدوره كنقذ ، ووجسد نصر الدين نفسه ، عند توليه العرش ، امام حرب دينية واجتاعية حقيقية . وما البابية السي غلبت على أمرها في فارس بعد معارك دامية واضطهادات عنيفة سوى حركة اصلاحية انتهت غلم الفشل .

لقد صمد زعماء الجميم الذين وقفوا في وجه كل تغيير : المستفيدون من الاملاك الموقوفسة الواسعة ، والاعيان المنتسبون الى كل الفئات الذين يديرون الحكم في خدمة الشاء ويعيشون في البلاد ، ولا سيا الحكام ، خلفاء المزاربة الحقيقيون . وقد عاد ثلثا الموارد للجيش والقصر .

تصرف الجمش ، الذي لم تدفع له الجوره بانتظام ، وكأنه في بلاد محتلة . وفي بلاط القصر ، اثار الشاه ؛ خليفة ملك الملوك ؛ أعجاب الجماهير بع<mark>ظمته وكرم</mark>ه الفائق ؛ ولكنه كان اسسير الدسائ<mark>س التي حيكت من حوله ؛ وقامت مهارة الحكم في نظره</mark> في التفاوض مع الحكام<mark>وزعماء</mark> القيائل. ونادراً ما أدرك الأمر هدفه اما لانه لا ينفتُذ واما لانه لا ينطوي على مزيد من القساوة . الموسيقي والمسرح ومهارتهم في الصناعة البدوية ٤ كان مندنياً جداً . فهي الحرف الصفيدة الكثيرة التي حافظت على شهرة الفروش والطنافس والمنسوجات الحريرية والخملية ودباغـــة الجلود وصناعة تحويلها ، ولكن طبقة التجار جممت الثروات بالمراباة، والدلالين اشرفوا على كافة الصفقات وجماهير الشعب شكت من الاملاك الكبرى والاوقاف.وعادت القرية للملك اولاحدى المائلات الكبري او لاحدى المؤسسات التقوية ؛ فكان هناك ملاكون سيطروا بهذه الطريقة على ألوف الفلاحين. وقد نام هؤلاء تحت وطأة الاتاوات فلم ينتجوا الاالقليل واستخدموا السياد البشري ورووا الارض بواسطة النواعير وحتى بواسطة القرب المملوءة ماء.وما كان ملايين السكمان الخسة او الستة ليؤمنوا قط حاجتهم من المأكل ، وقد فتكت بعض الجاعات بألوف الضحايا (ويروى ان احداها قضت على نصف مشد) . وقد امنت الجمال والخيول نقل كل شيء . وجاء في كلام مأثور : و لو كان لدى الاوروبيين جياد شبيهة بجيادنا لما احتاجوا الى الطرقات ، . وفي السنــة ١٨٦٤ مد بين بغداد وبوصير السلك التلغرافي الذي وصله الاخوة سيمينس في عهد لاحــق بخط لندن عن طريق تبريز ،ثم منح الشاءرأ سمالياً بريطانياً كبيرا هو البارون وجوليوس روياته (الذي

اشترى حاشية الامبراطور بالمال بهذه المناسبة) امتياز بناء خط حديدي بين بحر قزوين والمناجم ، مقابل ١٠ الف جنيه استرليني ؛ ولكنه ما لنبث أن ابطل المقد بعد حين . وحين افتقر الى المال بمد رحلاته الى اوروبا ، سلم غلة التبيغ والاتجار به الى شركة والتمـــاونية الامبراطورية الفارسية للتبغ، مقابل ١٥ الف جنيه استرليني وربع الدخل السنوي ؛ ولكسن أحد الجمهدين النافذين دعا المستهلكين الى الاقلاع عن التدخين ، فاستعاد الشاه الامتياز مقابل دفع نصف مليون جنيه استرليني . ومنذ السنة ١٨٨٩ خضعت مالية البلاد في الواقع لدمصرف فارس الامبراطوري ، الذي حصل على امتياز اصدار الاوراق النقدية . فوقمت فارس بدورها تحت سطرة الرأسمالية الاوروبية .

الدرلة الاففائية بن

على نقيض فارس ، تتكون افغانستان من مجموعة جبال وسطية تحيط البريطانيين والردس بها البورات . ومنطقة كابول فيها تثير الاعجاب بحدائقها الفناء وخمورها التي يذكر مذاقها مخمور جزيرة ماديرا ؛ اما خزن الستي

حملت اسمها سلالة الخزنوبين في القرن الحادي عشر فندين بالشهرة لاقنمة الري . ولكن طبيعة الارض وزعت السكان هنا وهناك وهنالك . وقد خضعت افغانستان زمناً طويسلا للسيطرة المغولية في الشال والشرق ، وللسلطة الفارسية في الغرب. وحتى في القرن التاسم عشر حاول الشاه السيطرة على هيرات ٬ وأمير بخاري السيطرة <mark>على بوكشا</mark>ن ومنطقة بلغ(بختيار القديمة)<mark>٬</mark> بينها شعرت قبائل المنحدر الشرقي بمل الى الدولة الانكليزية التي كانت مسلطرة على منافسة الوديان المنحدرة نحو الهندوس.

الأففان سكان ارياف معظمهم رعاة او شبه بدو رحل يؤلفون خمسة اتحادات قبلية مؤلفة بدورها من قبائل صفرى (يبلغ عددها ٥٥٠) يدير شؤونها خانات منتخبون وجمعيات تضم زعماء المائلات . ويقدم هؤلاء الحماربون الأشداء، القانعون المتحذرون ، الشرف الافنساني (نانجي بوختانا) على كل شيء ويطبقون فيها بينهم سنة والبدل ، او الثأر . وتقوم في الشهال والشيال الشرقي منطقة بإغستان المستقلة التي تقدم محاربهما البواسل لامير كابول ولاعدائه دونما تمييز . وقد عجز الافغان السنيون أبداً عن ان يطردوا من جبالهم الـ ٦٠٠ الف شيميي المغوليي الاصل الذين يهاجرون راضين الى المدن حيث يقومون بأشفال شاقة . وهناك مليون و تاجيك، من أهل الحضر في هذه المناطق الشهالية وفي جوار هيرات : ولكن هــــؤلاء الذين تعاطوا الصناعة اليدوية والتجارة ما كانوا ليرضوا بالسبطرة القبلمة .

ما هو في هذه الظروف شأن الامير المتربع على عرش كابول بقوة السلاح ؟ امه في حرب دائمة مع القبائل التي لا تمترف بسلطته ولا يستطيع هو اخضاعها .

بيد أن وجود بلاد افغانية متمتعة بالسيادة نظرياكان نتيجة المخاصمة الانكليزية الروسية

في آسيا الوسطى . واذا منيت انكاترا في السنة ١٨٤٢ بفشل ذريع في ثغرة وكردكابول ، الرهيبة ، واذا لم ينقذ و روبرتس » حامية كندهار في السنة ١٨٨٠ الا بمسيرة غاية في الجرأة ، فان الدبلوماسية والرشوة قد نجحتا بالنتيجة في اسناد الحكم في كابول الى الامسير عبد الرحمن الذي ترك فيه التفوق البريطاني أثراً كبيراً . ولم تدفع بريطانيا العظمى بين مليونين وثلاثة ملايين المحميها فحسب، بل ربطت بين البلاد ووادي الهندوس بطرق جيدة وبخطين حديديين يتجهان نحو ممري خيبر وخوجا . وأسهمت كذلك في صد الفرس ووضعت بلوتشستان تحت حمايتها فعرزت بذلك هذه المواقع الامامية الهند .

إلا أنه استحال على امير كابول ان يستسلم كلياً للانكليز . فمها كان من نفعية مساعسدة بطرسبورغ فانها انطوت مع ذلك على فائدة كبيرة للأفغاني هي ضمان تحالف بديل عند الحاجة ولا سيا وان الضغط الروسي البعيد لم يبرز الا في عهد متأخر . ولكن الاستيسلام على مرو في السنة ١٨٨٤ قد فتح طريق هيرات أمام القائد كوماروف وكان مقدمة لاحتلال و بنجه ، . ثم ما الما الروس ان بلغوا بامير .

وكان لأففانستان فائدتها احياناً : ففي السنة ١٨٩٥ حافظت على منطقة فاخان الضيقة الــقي تفصل بين الامىراطوريتين الاوروبيتين على ارتفاع اكثر من ٣ آلاف متر . ولكنها في الحقيقة دارت في فلك الهند .

القيصرية زهاء عشرة ملايين مسلم .

اقامت طلائع العالم الاسلامي هذه بين روسيا الوسطى والسهل السيبري . فقد ألفت منذ ذاك الوقت على جانبي الفولغا مجوعة هامة تقدر بمليوني نسعة تنتسب الى الفرع السادكي المفولي ولا يدخل في عدادها تتر القرم . فنمت و نجني ب توففورود ، عند حدود السلافيين الارثوذكس ، ولكن خازان ، عاصمة خانية الفرقة الذهبية بالامس ، قد شيدت المآذن منذئذ بين الكنائس . وبينها اعتنق ال و شوفاش ، المنحدرون من اصل فنلندي ، الدين المسيحي ، فقد مثل الاسلام ، ابعد الى الشرق في جبال الاورال ، ال و بشكير ، الذين اقلقوا القياصرة زمنسا طويلا سجسهم ومساندتهم ل و بوغاتشيف ، : أخذت البلاد ترتدي طابعاً روسياً في أواخسر القرن ، ولكن البدو الرحل الذين استخدمت جماهم في الحلات على فارس وتركيا قسد بقوا اوفياء للخيمة ولحليب الفرس المختمر .

وراء هذه المواقع الامامية ، انبسطت بورات صحراوية تحيط ببعدري قسنزوين وارال وتكاد تكون خالية من السكان. ولكن حيثًا كانت الحياةالبدوية بمكنة عاش بعض الرعاة من المثال الـ « كلموك ، البوذيين عند الفولفا الاسفل ، ولا سيها القازاق الكرغيز ابعد الى الشرق ،

وكان هؤلاء اتراكاً مغولي الطابع متمسكين ابداً باعتقاداتهم الشامانية وبعبادة الامدوات ، فارسوا اسلاماً سنياً متساهلا . وقد شيد الروس في بينهم خطاً من المراكز المحصنة وضعوا فيها حاميات من قوزاق اورنبورغ والدون ، رغبة منهم في ضمان مؤازرتهم . أما القبائسل الثلاث التي امتلكت ملايين الجياد والاغنام والابقار فقد تألفت من قبائل صغرى ، او «الول»، تضم كل منها بين ٣٠ و ٢٠٠٠ خيمة . وكان قوام غدائها اله عيرن ، او الحليب الحسائر ، واللحوم .

في القفقاس تغلب الروس بصعوبة على مقاومة اللسفيين والشراكسة الذين هاجر قسم كبير منهم الى تركيا . وقد 'خططت الطريق المسكرية الى منطقة مسا وراء القفقاس عبر بمر و داريال عبسين الدو اوسيت علايرانيي الاصل المتميزين بمزيد من الاستمداد للخضوع . اما شيعيو افربيجان الذين يجوبون بورات و شروان ع ويتطلعون الى ابناء بجدتهم في تبريز ' فلم يعف الفاتحون السلافيون عن استخدامهم في سياستهم الفارسية . ولكن الفاتحين هؤلاء الذين نشروا الامن والسلام في الفسيفساء القفقاسية ، وباشروا استثار ثرواتها ، قد اضطروا الى الاكتفاء بترويس المسؤولين الاداريين .

الى الشرق من بحر قزوين ، سيطرت على الوديان المنحدرة من القمم المرتفعة رطوبة كافية لان تجعل من كل منها مصراً اخرى . وغذت مجاري المياه واحات واسعة الاطراف . وكانت مواطن الحرير والقطن هذه ، حيث ازدهرت في العصور القديمة سوغديانا وبكتريانا ومرجيانا ، مهيأة ابداً لقيام الامبراطوريات . فان سعرقند تعتز بضريح تيمورلنك ؛ كما ان باير ، فاتسح الهند ، هو ابن فرغانا ، وقد تعززت حيوية الاسلام السني في بقاع عرفت بالامس حضارة يونانية ـ بوذية تتصف بالرقة . واذا استطاع الروس الاستقرار في و سميرتشه ، او بلاد الانهار السبعة ، عند مدخل و زونفاريا » ، فانهم قد اصطدموا من جهة نانية بدول اسلامية حسنة التنظم في احواض و سيرداريا » و و اموداريا » و و مورغب » .

ان الاستيلاء على تركستان ، المدينة المقدسة ، وعلى طشقند ، قـــد قاد جيوش القيصر الى ابواب فرغانا . وقد خضمت هذه الاخيرة للصين حتى السنة ١٨٣٥ ، ثم اسست خانية كوكند التي ضمت اهل حضر واهل وبر ؛ فأقام فيها التاجيك والسارت علاقات طيبة بسمرقند وقشفر على الطريق التي تصل بين تركستان الشرقية وتركستان الطورانية . وبعد أن حارب الروس اصبح خان الاوزبك التركي المغولي حليفهم رغبة منه في التفرغ لصد اعتداءات مجارى ، ولكن فرغانا قد ضمت الى روسيا في السنة ١٨٧٦ .

اما بخارى ، اكبر الدول الاسلامية ، فارتضت قبل ذلك بالخضوع للسيادة الروسية . ولكن خانها نصرالله سار قدماً في تحقيق برنامج ينطوي على الكثير من الطموح . فقد جهز هذا الزعيم الاوزبكي الاخر جيوشاً دائمة وهاجم جاره زعيم خيوا ؛ ثم استولى على سمرقند وخوجند ، وطرد امير كوكند من فرغانا لفترة قصيرة ؛ لا بل انه فكتر يوماً بفزو افغانستان ، ولكن

دون اتفاق على ذلك مع الانكليز ؟ وقد اشتهر بالاضافة الى ذلك باضطهاده المسيحيين ووحشيته في قمع الحركات الثورية . ولكن ابنه لم يستطع الصمود في وجه الهجوم الروسي ، وبعد سقوط سمرقند ، مدينة الجوامع الد ١٦٥ والمدارس الذائمة الشهرة ، ارتضى بأن يكون محمي القيصر ، وبأن يلغي الرق ويستقبل في جيشه مدر بين روسيين . فقابل ذلك ، ومقابل التخلي عن منطقة ظرفشان الفنية تمكنت بخارى ، الواحة المشهورة بجوامعها الد ٣٥٠ وفنادقها الد ٣٨ ، واسواقها الد ٢٠٠ والمتعزة بأكثرية من التاجيك ، من الابقاء على مؤسساتها الاقطاعية .

هوجمت خيوا من الوراء فسقطت بدورها . وقد تنازع الاوزبك والتركمان هذه الواحة وهذه السوق النخاسية الكبرى ؛ وهم السارت والتاجيك ، هنا ايضا ، من الفوا الاكثرية ودفعوا الجزية الملك الذي ابقاه الروس كذلك في مركزه بالشروط نفسها .

وكانت مرو مركز خانية تركانية ضمت ٢٤ قبيلة صغرى ، وانشئت فيها ٢٤ قناة الدي . وقد صمدت فيها ١٤ قناة تركانية بعناد ولم تنهر الا في السنة ١٨٨٤ . قبات بمحنا حينذاك أن يحور الخط الحديدي المؤدي من وكراسنوفودسك ، على شاطىء مجر قزوين الى فرغانا النائيسة دون أن يمر بصحراء تركستان الوسطى . ولن ينشأ خط حديدي مباشر بين موسكو وطشقند الا في السنة ١٩٠٥ .

نشر السلم الروسي الذي لم يتمرض تمرضاً يذكر للمادات المحلية ، مقتصراً على مراقبة الفاء الرق ومنع بعض تجاوزات القانون الجزائي وتوطيد حرية الاديان والتجارة ، وتاركا للسدب الاسلامية طابعها وشوارعها الضيقة القذرة وحمياتها . وقد آثر الفاتح ان يشيد لموظفيه وحامياته ومهاجريه المستعمرين ابنية خاصة به ، فأسس طشقند جديدة توازي باريس مساحة وجهزها بدار كتب ومرصد ، ومرو جديدة ، وحيا اوروبيا جديداً في سمرقند . واشترى الحسوير ، وأخط نوعا اميركيا من القطن ، وانشأ مصانع للحلج وباع مصنوعاته في بلاده . ولكنه لم يدخل اي تحسين على الري وتربية المواشي . وبعد أن تغلب على زعماء الاوزبك والتركان ، لم يكترث قط لمكافحة الرياح البوارح والجراد والملاريا .

ان توكستان ٬ الغنية بذكرياتها وامكاناتها ٬ مدينة لجيء الروس بأمنها ووحدتها الجزئية . ولكن مستوى الحياة فيها لم يرتفع ارتفاعاً يذكر .

في القرن التاسع عشر) لفتت مصر انتباه اوروبا بعد حملة نابوليون . مصر : ارض خصبة فتبارى رجال السياسة وعلماء الاقتصاد واهل القلم في تبيان مسوقع وفلاح بائس البلاد الهام وغنى كنوزها الاثرية التي نبشتها اعمال التنقيب ، وثروة

تربتها الذائمة الصيت .

اذا استثنينا الطوائف المسيحية – الاقباط وسواهم – واليهودية ، رأينا ان الشعب المصري يتألف ، بنسبة تسمة اعشار ، من الفلاحين المسلمين الذين تتوقف معيشتهم على فيضان النيسل .

وهناك اقل من ٢٠ الف كياومتر مربع من الاراضي الزراعية (اي اقل من مساحة بلجيكا) من اصل ٢٠٠ الف ويكن تقدير عدد السكان بمليوني نسمة في اوائل القرن التساسع عشر: فتكون الكثافة ٢٠ فيكل كياومتر مربع من المساحة الضيقة الصالحة للحراثة المتكونة من الدلتا والوادي والفيوم. وليست مصر من ثم سوى اكبر واحة في العالم. فالعهود تتوالى وتستفيد من عمل المصري الشاق: والمصري يتحملها ولا يحب سوى ارضه. ولكن الارض ليست لمن يزرعها. فالاملاك الموقوفة تمثل احكثر من ربع المساحة المستثمرة ولا تنتج كثيراً. يضاف الى ذلك ان الملك ، بوصفه صاحب الارض ، يوزع الانصبة الاخرى لقاء جزية معينة ؛ وفي قطسم الارض هذه المروفة بالحراج يكون الفلاحون مسؤولين بالتكافل عن تأمين الاتاوات المفروضة وماذمين بدفع رسوم اضافية للري.

بعد مصادرة املاك الماليك أمر محمد علي بحسح الاراضي مسحاً جديداً. فسجل كل قطعة المدى الحياة ، باسم زعم العائلة ، ولكنه احتفظ لنفسه بأملاك خاصة واسعة ووزع الامسلاك السجيرى على ملتزمي جباية الضرائب و « شيوخ البلد » . وقد استهدف من وراء ذلك ان يضمن بعض المؤازرين بفية توسيع زراعة النباتات الصناعية الوفيرة الارباح . فأدى ذلك الى رأسمالية رسية مارسها اقطاعي كبير .

الفلاح هو بالتحديد من يشقى . يعد الارض بواسطة مسحاة بسيطة أو محراث بدون عجلاً مقلب، وعهدها بمارضة خشبية بسيطة أيضاً هي و الزحافة ع. أما معاونوه فهم الجاموس أو

الحار . ولكن العمل الاكبر هو عمل الماء ؟ أذ لا غلة بدون ماء . فيتوجب على الفلاح أن يستُعد لوقت حدوث الفيضان . اجل لقد تولى محمد على امر استبدال طريقة احواض الاغتار القديمة بأقنية الري الحديثة . ولكن الفلاح مازم ، حق في هذه الحالة ، بعمل جماعه عن الله لا يعرف الكلل . فعليه أن براقب الاحواض والاقنية ويصلحها أحيانًا ، ويتعهد السدود ، ونزيل كل ما يمتى جريان الماه ، وبرفع الماه حين يكون منخفضاً ، أما بواسطة زنبيل واما بواسطة الشادوف البدائي ، وكلمــا اعمال منهكة . فيجمع من ثم بين هؤلاء المساكين تضامن وثيق لا سيا وان أعمال التسخير من أجل المصلحة العامة ضرو<mark>رة حيوية بالن</mark>سبة لهم . يزرع القمح والفول بعيب الفيضيان والذرة الصفيراء والخضار والنياتات الصناعية والارز في الخريف. ولا يغادر الفلاح أرضه . فهنالك بيته المصنوع من مور مجبول بالثبن ؛ ويستخدم في صنعه زبل البقر مكان الملاط. لا كوة فيه سوى الباب ، وهو لا يضاء ولا يدفأ بسبب الحاجة الى المحروقات. ولكن السقف الم<mark>فطى بالتين غالباً ما تلتهمه النيران . ار</mark>ضه الترابية مفطأة بالحصر ولس عليها <mark>بالاضافة</mark> الى ذلك سوى صندوق للملابس . المناه الصالحة للشرب نادرة ؛ والدين والفاقة مجرمان الخرة . قواموجية الطمام،صلولفت وخيار وفول وعدس وأ<mark>رز و</mark>لا سيا خبز الذرة الصفراء الذي ينقذ مصر من الجاعة . وجلى انه نظام غذائي نباتي قليل الفيتامينات ، لا يدخل فيه حتى حليب الجاموس . ويرتدى الفلاح قيصاً قطنية طويلة بسيطة ، ويكسى رأسب بكمة تعرف باللندة ، فمدعى بسميها بأبي لندة . ويسبر حافي القدمين او يحتذي البابوج احماناً . اما امرأته المحمة فلا ترتدى سوى ثوب واحد ، ولكنها تكثر من الحلى اللامعة . رمد العبون والبلهرسية وضعف الدم الناجم عن الديدان الطفيلية امراض منتشرة تسبب اضراراً كبرى . المسلاريا والكولرا ينتشران بين حين وآخر ؛ وهناك بعض الاماكن الموبوءة بالطاعون . وينضم السفلس الوراثي الى الضمف العضوى للقضاء على نصف الاولاد الصفار . وعلى الرغم من كل ذلك يتزايد عهدد السكان ويتزايد معه النؤس.

الفلاح مسلم بعيد عن التعصب ولا يفهم لغة القرآن . يزور ضريح الولي اكثر من الجامع البعيد . يحترم الدراويش ويتصف بروح التعاون . زد على ذلك ان شظف العيش لا يجعله شكسا: فانه يهوى الفناء ويستخدم الشبتابة والمزمار ويضرب الطبل . انه سهل الانقياد وراض بتدبير الله عموماً .

شبه عمرو بن العاص الشعب المصري بالنحلة السق محكم عليهسا الانسان بجني العسل من اجله. وسوف يتكلم الانكليز عن الضحية الدائمة لمنطق العصل . وفي اوائل القرن التاسع عشر جساء محمد

مطامع محمد علي وخلفائه السيطرة البريطانية

على الذي أراد بدوره استخدام البلاد لبلوغ اهداف كبرى .

اثرى في تجارة التبيغ ، وكان امياً وفطناً وعادم الضمير . ثم اعترف السلطان بباشويته عسلى

مصر فقتل الماليك على ايدي البانييه، وما لبث ان أيمد الالبانيين السجسين بدوره . وجنسه بعد ذلك جيشاً من بين الفلاحين واسند امر تدريبهم الى بعض المدريين الفرنسيين وابتفيى السيطرة على الشرق . وكان بصيراً وقاسياً فاقتبس عن اوروا تقنياتها ودغدغ شففها المتاريخ المصري والآثار المصرية ، وسخر لمرض تعاظم لا حسدود له ارادة استبدادية على غرار بطرس الاكبر .

ما كان احد في الحقيقة لينكر ان العجز التركي أوقع البلاد في حالة يرثى لها. فالاسكندرية ليست آنذاك سوى ميناء صغير لا يتجاوز سكانه و آلاف نسمة . ولما كان الباب قسد احتفظ لنفسه بالمرقأ القديم القادر وحده على ايواء السفن ، فقد بقيت السفن الاوروبية خارجه معرضة للرياح العاصفة . وتعرض تجار الغرب ، المجموعون في مكان واحد ، لألف ظلم وظلم ؛ ولكن الفرنسيين تقتعوا مع ذلك ببعسض الامتيازات . اجسل كان من شأن عظمة الابنية الفساطمية والايوبية والمعلوكية أن تترك الراعظيما في الناظر اليها : ١٠٠ جامع بمضها اجلما في الاسلام ، جامعة الازهر الدينية الذائمة الشهرة ، المكتبة الغنية الضامة مخطوطات قديمة القرآن ، كلية قصر العين الطبية . ويضاف الى هذه الابنية شوارع مليئة بالنضارة ، وتجار وصناعيون يدويون كثيرون؛ على أن اشكال النشاط قديمة العهد .

ان ما حلم به بونابرت ، وما نوى السانسيمونيون تحقيقه ، قد رسمه محمد علي رسماً ايجازياً: برنامج اعمال كبرى خليق بالفراعنة . لم يبال بحياة الرعايا بل طلب منهم الاسهام في عمسله وأراد ان يجعل من مصر ارضا توفر لصندوق ماله الدخول الوفيرة . عالج مسألة الري الرئيسية التي وجب برأيه ان تكون منظمة لا متروكة لأهواء الطبيعة . فنفذ جيش الفلاحين الزهيسة النفقات تصاميم المهندسين الفرنسيين من امثال و لينان » و و موجيل » ، ونقل ١٠٤ ملايين متر مكمب من الحجارة المبنية . وعلى الرغسم من التخلي عن مشروع سد عند الدلتا بعد جهود عشر سنوات ، اتسمت مساحات زراعة الحنطة والارز ، وأخذت البلاد ، بصورة خاصة ، تجني القطن المعروف بقطن و جومسل » ، وقصب السكر ، والنبيج والزيوت ، المعدة كلها المتصدير . ولكن شيخ البلد والمدير الاقليمي والكتبة الاقباط في الوزارات صرفوا الذهن والفطنة في تحصيل كل ما يكن بيعه في الخارج من الفسلاح .

أنفق قسم من الموارد على تجميل القاهرة وتنظيم الاسكندرية وبناء قناة تصل هـــذا المرفأ بشعبة النيل اليمنى . وكان الجيش والاسطول موضوع عناية واهتام خاصين . ولكن أحـــلام التوسع العظمى لم تتحقق . وقد توفي الباشا شبه ممتوه بعد أن سير مصر على طريـــق نهضة لم يستفد منها الشعب الذي عومل معاملة قاسية لم يعرفها من قبل > ولن تستم الا في عهـد الوصاية الاوروبية .

اذا صرف سعيد واسماعيل النظر عن مطامعها في سوريا والجزيرة العربية وقبرص (لأن مدعياتها استهدفت السودان وافريقيا الشرقية) ، فان احلام العظمة ما زالت تراودها . ولكن السلالة غرقت في الديون أثناء فتح قناة السويس التي أضفت على مصر اهمية جديدة . وقد برهن سعيد عن بعض التساهل الديني ، ومنع الرق – اقله مبدئياً – وحظر العقوبات الجسدية وحد من تجاوزات شيوخ القرى ، ولكن التقدم الاقتصادي لم يفد الفلاح كالم يبرر النفقات المفرطة : وقد اطردت هذه الاخيرة في عهد اسماعيل الذي حصل من السلطان على لقب الخديوي واعتقد ان ذلك يسهل له الاستدانة من اوروبا . اجل لقد اقرت بعض المشاريع الجدية (كبناء الخيط الحديدي بين الاسكندرية والقاهرة مثلا) . ولكن كم من انفاق مفرط غسالف للصواب الى جانب ذلك ! أفلم يفكر هذا الامير بأن تدرب جيوشه امام قصوه في الاسكندرية على ارضية حديدية حتى لا يزعجه الفبار المتطاير ؟ فمن جهة خرجت بور سعيد من الرمال ، وظهر الفاز في المدن ، وتأسست صناعة سكرية ، ونمت زراعة القطن ، ومن جهة اخسري ابتز الموال المندنية اجورهم اموال الفلاحين ابتزازا لم يسبق له مثيل في الماضي ، وبات افسلاس الاموال المامة أهراً عتوماً .

بقيت مصر توفيق وعباس حلمي مرتبطة بالباب بروابط التبعية الاقطاعية ، ولكنها اصبحت في الواقع تحت رقابة البريطانيين الذين أقاموا ، بأمر و بارنغ ، (اللورد كسرومر) ، حسامية عسكرية دائمة ، وأداروا الشؤون المالية ، واستولوا على الجارك والشرطة والخدمات الصحية ، وأعادوا تنظيم الجيش لمصلحتهم ، فأرسخ الفاتح من ثم سلطته في السويس واستطاع تمنى ساسة القاهرة لحسابه الخاص في وادى النيل الاعلى .

أما الفلاح ، فالمسألة التي عنته هي معرفة ما اذا كانت احواله ستتحسن بفعل استثار يتحقق بهمة ونشاط لم تعرفهما مصر من قبل .

الوصايات الثلاث في الجزائر وتونس

وطرابلس

حين يتجه المرم المفسادر مصر من واحة سيوا نحو الغرب · يدخل في بلاد البربر الممتدة حتى الاطلسي .

نشأت عن الفتح التركي وصايات الجزائر وتونس طرابلس

بينا توققت سلطنة مستقلة في مراكش الى تثبيت اقدامها تثبيتاً متفاوت القوة . ولكن هسده البلدان الاربع خضمت خلال القرن التاسع عشر ؟ الواحدة تساو الاخرى ، لسيطرة الدول الاوروبية .

ومن غرائب المناقضات ان وصاية طرابلس هي آخر ما خضع لها من بين الوصايات الثلاث، فبين دلتما النيل والمفرب تنصل الصحراء الكبرى بالمتوسط ، بما اسهم في نمو طرابلس المعسدة في معيشتها على القرصنة وعلائقها بالسودان التي اتاها منها الجمالة ناقلو الذهب والعاج ومواكبو قوافل المبيد . وطرابلس المتميزة باسواقها الناشطة ، قامت في مكان د اوبيا ، القديمة وضمت حيساً يهوديا هاماً وقسدراً ، وعدداً كبيراً من المالطيين والطوارق والزنوج ، وفي السنة ١٨٣٥ ، آثر

الطرابلسيون ، امام خطر قبيلة اولاد سليهان المحرابة ، التي بسطت نفوذها بين الساحل والدقائم ، التشادي ، استدعاء الاتراك ثانية ، لا سيها وان سلطتهم كانت سلطة اسمية فحسب . فبذل هؤلاء وسعهم في السيطرة على المناطق الداخلية ، واستولوا على واحتي غاداميس وفزان ، ثم انشأوا ولاية بني غازي . وكان مقدراً لهذه الوصاية ، ربما بفضل فقرها بالذات ، ان تبقى عسمانية حتى السنة ١٩٩١ ، تاريخ التدخل الايطالي المتأخر فيها .

بيد ان المغرب (جزيرة الغرب) الذي يضم الجبال القائمة بين المتوسط والاطلسي والصحراء لم يصلح يوماً لان يكون اطاراً لدولة واحدة . فكل ما في طبيعة ارضه ومناخه وطرائق الميشة فيه قد اعده للتقسيم والتجزئة . وسوف يتوجب ان تفرض دولة اوروبية وجودها حتى تعرف افريقيا الصغرى هذه بعض الوحدة السياسية والادارية : فجاءت السيطرة من الخارج كا حدث في الماضى .

ما زالت الجزائر وتونس تعترفان بالخضوع للباب العالي و لكن الموارد التي توفرها القرصنة الاكانت سائرة في طريق الزوال . فلم يكن و داي ، الجزائر من ثم خاضماً لتعاونية القراصنة او و طائفة الرؤساء ، خضوعه لفرقة الانكشارية او و الاوجاق ، كا ان باي تونس قسد استند الى البورجوازية التجارية ، اكثر البورجوازيات طابعاً عربياً في المغرب ، التي كان يهمها الاحتاء من غزوات البدو . فقد بدا الحفصيون ثم الحسينيون في افريقيا امراء سلالات على بعض القوة ، اما الداي ، الذي قال عنه مؤرخ اسباني انه و ملك عبيد وعبد رعاياه ، ، فكان اداة في يسد الما الداي ، الذي قال عنه مؤرخ اسباني انه و ملك عبيد وعبد رعاياه ، ، فكان اداة في يسد الجيش . فبالنظر الى توليه السلطة اما عن طريق الدسيسة واما عن طريق القوة ، ولما كان الإضافة الى ذلك جاءاً وتابعا هواه ومقلفاً لجيرانه (ولذلك لن يمد له يد المساعدة لا باي تونس ولا الشريف المغربي في السنة ١٨٥٠) ، فسلم يتمتع بسلطة كافية لنشر الامن والنظام في الجزائر .

تنميز الجزائر بالتنوع بسبب اتساع رقعتها . فن الطبقة المسكرية التركية والنساء البلايات انحدر الرو كولوغلي ، الذين يؤمنون الحراسة في حصون المدن ويمتلكون بعض البساتين ؟ يحتقرون البورجوازيين والصناعيين اليدويين ويثيرون خوف وحفيظة سوام . ويتعاطى المغربي او الاندلسي على العموم حرفاً تتعلل بعض الذوق ، بينا يتعاطى الزنوج ، المعتقون غالباً ، اعمال البناء المختلقة . ويزاول المزابيون ، المعتبرون كخوارج ، تجارة الاقمشة والمواد الفذائية ، ولكنهم نادراً ما يستقرون في مكان معين ، بل يعودون الى مزاب بعد جمع الثروة . اما الاسر اليليون سكان المدن فيؤلفون جماعات مستقرة ، ويبلغ عددهم زهاء عشرين الف نسمة منهم ، مدينة الجزائر نفسها و ، ، ٣٠ في قسنطينة ، وينحدر جلهم من اصل بربري ؟ ولكن عدداً كبيراً منهم ينحدر كذلك اما من اصل عبراني آزامي واما من اصل اسباني . وبتوجب عليهم ارتداء زي خماص والاقامة ، على العموم ، في احياء منفصة . ويعانون من

المظالم وحتى من اعمال العنف . وهم فقراء الحال بصورة عامــة ، ولكن بعضهم يتماظون تجارة رابحة ويلمبون دور الوسطاء المفوضين مع الاجانب .

اما سواد السكان فيتألف من خليط من العرب والسبربر الموزعين على فير تساو بين المدينة والريف . اجل ان المدينة ، التي تحيط بها الاسسوار بصورة عامة وتشرف عليها القصبة وبعض المآذن ، تبدو وكانها مركز ثقافة عربية ؛ ولكن العنصر البربري متفوق في الاسواق . زد على ذلك ان المدن الممتبرة « حضرية » لا تتجاوز العشر عداً .

لا يزال التضاد قائماً بين البدوي الذي ترقبط حياته بانتقال القطعان من منطقة الى منطقة وبين الحضري او شبه الحضري . الجفاف عدد الجميع في كل مكان . والانسان يسيء مقاومته لانه نمطي وقدري ولا يستخدم سوى محراث مزود بباسنة صغيرة بدون سكين ومقلب ، وكانه مجرد كلاب مجره الحمار او الحسان او الثور ؟ محصد بواسطة المنجل ، وينظف الحبوب من التبن بواسطة المذراة ، ومجمع الحبوب في المطامير . اجل انسه يعتني مجدائقه وبساتينه . ولكنسه لا يتقن تربية المواشي ومجهل امر سكناها في الزريبة ويقدم لها الاعشاب التي تنبت بفضله تعالى . وغالباً ما يحدث ان تموت الابقيار والاغنام جوعاً باعداد كبرى . وتتسبب الحروب الاهلية والغارات مجسائر توازي تلك التي تسببها الكوارث الطبيعية . وباستطاعتنا كذلك ان نرد الى الفوضى والاهمال سوء الحالة الصحية في السهول الساحلية .

الف الناطة ون باللغة المبربرية مجمدوعات متراصة في جبال قابيلية واوريس وبين سنوسيي منطقة تلمسن ، ولكن تعلمهم اللغة العربية وارتدادهم الى الاسلام لم يقضيا على عاداتهم القديمة . فقد قابل الشرع الاسدلامي العادة المحلية : وهكذا فان قبائل قابيلية لا تخضع الالقوانينها ؟ وحتى اذا تجمعت العائلات المتصاهرة لتؤلف والدوار ، عند الرعاة و والقصار ، في القرية ، فان هذن التجمعين لا يرتديان قط طابع الديومة .

عجزت حكومة الوصاية عن تنشيط اقتصاد البلاد ، فلم تهتم الا لجمع الدخول ، وقد تامنت له الواردات بفضل الجارك والمقايضات مع الخارج ، وقت باع الداي الاصواف بواسطة عود ليفورنو محققاً كسبا يوازي ٣٠٪ ويرتفع حتى ٥٠٪ حين يضاف اليه كسب التجار ؛ وقسد اشتري هكتولتر الحنطة من المنتج بسعر يتراوح بين ٣ و ٨ فرنكات وبيع بسعر يتراوح بين الامرية تفرض على القبيلة والرعية ، بالتخسيل المحكومة عن بعض الحصاد والماشية ؛ وتجمع هذه الضريبة على يعد قبائل تعرف بالخزن وتقوم بعملها مقابل تخفيض الرسوم المفروضة عليها وحتى اعفاعها منها، وبساعدة الحاميات العسكرية ، واذا احتفظ الداي لنفسه بادارة منطقة مدينة الجزائر (ملكه الخاص) ، فقعد فوض بسلطاته وله بعض البايات في مناطق وهران وقسنطينة وميسديا ، وبديهي ان الامور لم تجر بدون صعوبات ، فان باى قسنطنية ، الكولوغلى الحاج احمد ، قد القي الاهابة والخوف في كبار

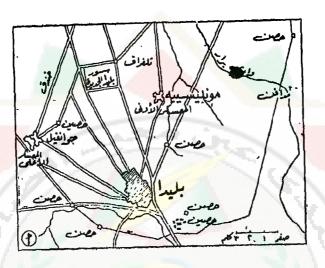
الاقطاعيين المدعين الانحدار من الفاتحين العرب (ارستوقراطية السدم الازرق)، ولكن الداي عدد بن عمان لم يستطع اخضاع قابيلية (وستدوم الاسطورة القابيلية طويسلا). اما في منطقي وهران وتتري، فقد ساندت فاس بعض الجمعيات التي تنازعت النفوذ فيها: فبينها نادت بعض الجمعيات الدينية المتميزة بروح ديوقراطية ، كجمعية الدركاوة ، بالثورة على السيطرة التركية ؟ برز في الارستوقراطية المتصوفة زعاء تاقوا الى تخطي النظام القبلي وسسموا وراء السلطنة ، ومن اشهر هؤلاء الزعاء عبد القادر الذي سار على خطى الامراء العرب . وقد استفلت القوى الروحية الاستياء العام الناجم عن البؤس ، قبل ان يستطيع الفرنسيون الاستفادة من الخلافات. وان عبد القادر لمدين بقسط كبير من شعبيته الى الفاء الضريبة العينية التي سبق ووعدت بهسا ثورة دركاوية . وجملة القول ان القبائل الرعايا كانت ترتقب اول فرصة للتحرر من نظام جاثر .

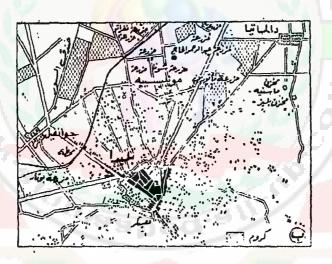
بسبب جهل الاماكن واللهجات ، خضمت الحسلات الاولى على الجزائر على الجزائر لمامل الارتجال ، وساد الاعتقاد بأن الاتفاقات

مع الزعماء الحليين – احد في منطقة قسنطينة وعبد القادر في منطقة وهران – ستكون كافية لضمان احتلال جزئي ؛ يضاف الى ذلك ان الرأي العام لم يكن معداً للتسليم بتضحيات كبرى ، ولكن الحاجة مست بعد قليل الى حماية المهاجرين المستعمرين في منطقة التل ، كا مست ، احمام عبد القادر الاربب والخطر ، الى الاستيلاء على كل شيء خوفا من فقدان كل شيء فكانت الحرب الكبرى مع ما تخللها من غزوات واعمال عنف وقد تولى حملياتها ضباط تعودو! ظروف القتال في افريقيا . وسهل عمل الفرنسيين فقدان الروح القومية وفشل التعبئة الدينية ، اي الاختلافات بين المسلمين . واذا لم تتحقق التهدئة النهائية الا بعد مرور زمن طويل ، فيان اضطراب السنة بين المسلمين ، واذا لم تتحقق التهدئة المهائية الا بعد مرور زمن طويل ، فيان اضطراب السنة عقدر والاحتلال بعد ذلك التوسع تدريجياً في كافة المناطق الداخلية والسير على طرق القوافسل عبر الصعراء .

اقتنع الجيش شيئاً فشيئاً بان الجزائر انها هي عمله وتحقيقه ، ومن جهية ثانية بان السلطة المسكرية وحدها قادرة على ابقاء فرنسا فيها . ولم يسلم « بوجو » يوماً بان راي المدنيين يجب ان يتقدم رأي المسكرين، وعارض استثار البلاد على يد مهاجرين احرار في التصرف كا يطيب لهم التصرف ، او على يد رأسماليين يقتطعون منها او من دخول سكانها ما يطيب لهم اقتطاعه . وبالمقابلة درج الفاتحون شيئاً فشيئاً على تميين او تثبيت الزعماء البسلديين في مراكز المسؤولية مفوضين الى تسدييرهم امر جباية الضرائب ، فسهلوا بذلك استمرار نظام اقطاعي تناوله بالنقد المطالبون بنظام مدنى . . .

لما كان الاستمار الاسكاني قد بدا مكناً منذ البدء ، فقد تقابل منذ البدء عالمان مختلفان .





الشعكل و ٢ - مثال عن الاستعمار الاوروبي . بليدا ومنطقتها

أ ــ بليدا في السنة ؟ ١٨٤ ، حين وضع الجيش يده هليها ، مب سد بليدا في ارائل القرن العشرين بعد استثبار المزارعين والكوامين لاراضيها . (نقلا عن دج. فرانك » في كتابه « استعمار الميتيجه » ص ٢٤٩ و ٢٥٠) .

ولكن استيطان الفرنسيين لا يمكن ان يتحقق الاعلى حساب البلديين . والحال لم يفكر أحـــد بمنعه ، حتى ولا « بوجو ، الذي كان يحلم بجنود فلاحين على غرار الرومان . فسارت الامور على غير هدى ، وفاقاً لحاجات الساعة او لاتفاق الآراء السائدة . وقد هاجر ، اثناء الاعمال الحربية، بعض المساكين الذين أقاموا على مقربة من مدينة الجزائر ، وبعض المضاربــــين الذين اشتروا بفية تحقيق الارباح عند البيع ، وبعض هواة الاختبارات الزراعية الكبرى . ثم تسببت ازمة لسنة ١٨٤٨ في مجرة عدد كبير من العال ، وتبنى الجلس التشريعي مبدء انزال الجنود في المنازل والاحياء الآملة الذي يتبح اغتصا<mark>ب اموال الب</mark>لايين بموجب القانون واذا أعرب نابوليون الثالث عن رغبته في حماية القبائل ، فإن ذلك لم يمنع الامبراطورية الثانية من اطلاق حرية العمل للرأسماليين الذين حصاوا على امتيازات واسعة : هذه هي سانسيمونية الاشغال العامة الكبرى، التي توفرت لها وسائل مالية عظيمة ؛ ولكن سد د هبرا ، قد انهار ، والشركة الجزائرية العامة أعطيت ١٠٠ ٥٠٠ هكتار دون اي تعهد من قبلها، ففترت همة صفار المهاجرين المستعمرين فترة من الزمن ؛ ولكنهم استمادوا التفوق ابتداء من السنة ١٨٧١ : فتوزع خلال عشر سنوات اكثر من ٤٠٠ الف هكتار . ثم بطؤ الاستمار الرسمي . أضف الى ذلك من جهة ثانية ان الاتجاه نحو توسيع الانصبة التي بلغ معدل مساحتها الى ٢٥ - ٤٠ هكتـاراً ثم ٢٠ - ٧٠ هكتاراً ، ثم ٢٠٠ مكتار . فماد الى الاملاك اعتبارها بعد أن تأمنت لها رؤوس امـــوال وفيرة وتقنية متكاملة : وبعد عهد الاستمار الديموقراطي في اوائل عهد الجمهورية الثالثة دخلت البلاد مرحلة رأسمالية زراعية صادفت في الزمن توسيع الاسواق للمحساصيل الكبرى كالخور مثلا.

لم تتحقق لممري تقديرات و بربفو -- بارادول » بأن افريقيا الشمالية قادرة على استيماب الى ٢٠ مليون فرنسي حوالي السنة ١٩٣٠ . ويرد ذلك الى ان الجزائر لم توفر للاستمار الاوروبي الظروف المؤاتية نفسها التي وفرتها له كندا او اوستراليا . وحتى السنة ١٨٥٦ ، كان من ارتفاع نسبة الوفيات بسبب الحميات وسوء الحالة الصحية ان عدد الموتى بين المهاجرين كاد يوازي عدد الداخلين الجدد منهم ، ففي السنة ١٨٥٩ فتك وباء الكولير ا بالسكان فتكا ذريما . واننا نذكر منا على سبيل المثل ان سكان و يوفريق » قد تجددوا ثلاث مرات . غير ان بمض التحسن طرأ بعد السنة ١٨٦٠ ، فتضاعف عدد الاوروبين بين السنة ١٨٥٦ والسنة ١٨٧٦ . وكانت نتيجة مرسوم و كريميو ، لمصلحة اليهود وقوانين تجنس الاجانب تكوين قومية جزائرية حقيقية ، شبيمة بالقومية الفرنسية ، ولكنها تعي مصالحها الخاصة . يضاف الى ذلك من جهة خلية ان الاوروبية قد اقاموا في المدن اكثر من الارياف ، فشيدت احياء جديدة في مسدينة الجزائر ووهران والمدن الرئيسية الاخرى . وأنجب الاسرائيليون اولاداً كثيرين ، وحرصوا على تعليمهم واعتمدوا الزي والعادات الاروربية ؛ وتعاطوا تجارة المقارات ، ولكنهم احرزوا النجاح في الصناعة اليدوية واتجهوا طوعا نحو المهن الحرة .

الا ان عدد المسلمين ارتفع ارتفاعاً سريعاً جداً فبلدغ ٥٠٠ ٥٠٠ ٢ حوالي السنة ١٨٥٠ ؟ وحين تدنى حتى ٢١٠٠ ٢ في السنة ١٨٥٧ ؟ اعلن البعض ان الشعوب المتخلفة تنقرض امام الشعوب المتفوقة ؟ اما الحقيقة فان مرد هذا النقص هو انتشار المجاعة والتيفوس في السنة ١٨٦٧ والدلاع ثورة السنة ١٨٧١ والى ٨٠٠ ٠٠٠ واندلاع ثورة السنة ١٨٨١ والى ١٨٠٠ ٠٠٠ من أصل ٥٠٠ ٠٠٠ ه في السنة ١٩١١ .

لم يتطور جمهور المسلمين تطوراً يستحق الذكر . ولم يستفد استفادة كبرى من مؤسسات الحماية والتربية ؛ زد على ذلك أن أول مستشفى بلدي لم يفتح أبوابه ألا في السنة ١٨٩٤ . وقد فتكت الامراض بأعداد كمرة منهم كل سنة ، لا سم التذرن الرئوى والسفلس الذان يمدو في الحقيقة انهما زادا انتشاراً منذ مجيء الفرنسيين. ولا شك في أن التعليم في المساجد والمدارس والزواما كان دينيا فحسب ، ولكنه كان يتسع للأولاد تعلم القراءة؛ فجاء الاسياد الجدد واستولوا على الاوقاف وقضوا على هذه المؤسسات . ولم تعط تجارب المدارس العربية الفرنسية نتائج مشجمة . وبسبب عدم توفر الموارد والمدرسين لم تؤمن قوانين « فري » للمدارس المامة البلدية سوى بضعة آلاف من التلامذة ؟ اضف الى ذلك أن التعليم المقترح لهم يوافق دائها الاوسساط للمواضيع الادبية ، فإن الفن الاسلامي ، بالمقابسة ، مسا زال يتقهقر تقهقراً مطرداً : ارتسم اســـلوب هــــدســـي فرنســي جزائـري للابنية العامة و<mark>مقاصف الم</mark>هاجرين المستعمرين ، ولكن قصر احمد ، باي قسنطينة ، كان خاتمة الابنية البلدية بحسب النمط التركي الجزائري . اما الفنون الصفرى ؛ المزدهرة جداً من ذي قبل ؛ فقد تأثرت بزوال القرصنة ؛ ثم عرفت ازمة خانقـــة لا علاج لها بسبب المنافسة الاوروبية وارتداد البداوة الى الوراء. فالنجاحات التقنية تقضي على النشاطات القديمة قبل تحسين وضع المتخلفين . وهكذا فأن المجنميع الاسلامي قسيد قابض الطنفسة بالسرير الزهيد القيمة ؟ وحلت الشمعة محل السراج الحزفي ؟ وفـــقدت علب البارود المنقوشة مبرر وجودها حين اصبح من السهل شراء الفشك ؟ وهبط عدد الزوجات يفعل تبسيط **اعمال المنزل** ؛ فندرت في الوقت نفسه اليد الماملة اللازمة للحرف العائلية .

في المدينة عاش الكولوغلي والمغربي في ضبق ولم يتكيفا . اما البربر والعرب الذين اعتمدوا في معيشتهم على التيارات التجارية القديمة فقد خسروا الكثير بفعل الفتح الفرنسي الذي اوجد تيارات جديدة واسواقاً جديدة . فالتداول النقدي الوفير قيد حل على المقايضة واحدث انقلاباً في اسعار الحبوب والاصواف . وكيلت ضربة شديدة جيداً لارستوقراطية الاشراف والزعماء والقادة الذين ثبتتهم فرنسا في البدء في سلطتهم ، والذين بلغوا ذروة نفوذم في ظلل والمعاكمة العربية ، في عهد الامبراطورية الثانية ؟ فلم يفقد الزعم القديم نفوذه فحسب ، بل فقد ثروته ايضاً بفعل الاقتصاد الجديد . وكان فقدان الاراضي بفعل ترايد عدد السكان اشد خطراً من كل شيء آخر. فقد خضع مليونا هكتار على الاقل لنظام القانون المدني. ولا عجب

من ثم اذا ما هاجر المديد من الرعاة خيامهم بسبب عجزهم عن تحسين تربية مواشيهم ؟ ولا عجب كذاك اذا ما هاجر القابيليون بعيب هزيمتهم في السنة ١٨٧١ وتعاطوا الاعمال المأجورة او المشاركات الزراعية . وغني عن البيان ان هيذه المهاجرات قد فككت بيئة مقفلة كل الاقفال واسهمت في استرخاء الروابط العائلية . ولكن شطرا من السكان المسلمين تعود الاساليب الجديدة ، فأحسن العناية بالاشتجار والمواشي ، وزرع البطاطا ، واستفاد من زراعة التبسغ وبيع الاثار . اما سوادهم الاعظم فها زال يعيش عيشة زرية .

يجب الاعتراف ، على الرغم من كل ذلك ، بأن الوجود الفرنسي قد اوجد بلاداً جزائرية جديدة . اجل ، ما زالت الاحوال سيئة في اوائل عهد الامبراطورية الثانية ؛ فالمهاجر المستعمر ، الحلقتر الى الموارد ، يميش في ضيق ويماني من نظام حاية لا يسلم باعتبار المحاصيل الجزائرية محاصيل فرنسية ؛ وانتاح الحبوب في تقهقر مطرد ؛ ولم يزل خطر وهم مزروعات المناطق الحارة ، ولا سبا القطن ، الا في السنة ١٨٥٠ . ولكن القانون الجمري الذي صدر في السنة ١٨٥١ مثل المستعمرة بالوطن الام . فتأسست شبكة مصرفية . وفي السنة ١٨٦٠ دشن اول سد لتخزين المياه . ويجدر القول هنا ان سدود التخزين ، التي فضلت بعناد على سدود الاسالة حتى السنة ١٨٨٨ ، قد خيبت الآمال . الا ان الانطلاقة باتت حقيقة واقمة عشية ازمة السنة ١٨٦٨ الرهيبة : فقد قابل تدفق المهاجرين الجديد تقدم سريع في توسيع المساحات المكرسة لزراعة الحنطة والبواكير وشجر الزبتون ؛ ودبت الحياة في التجارة بفضل الخطوط الحديدية والطرقات .

في هذه الاثناء أصبح اتفاق الظروف غير موافق لزراعة القمح التي مر"ت في فترة توقف . زد على ذلك ان الجزائر اكتشفت مستقبلها في زراعة الكرمة . وقسد برز الشغف بالزراعة لحديدة في اعقاب ازمسة بيم اولى حصلت في السنة ١٨٩٣ ؟ فاحتلت الكرمة و ١٥٠٠٠٠ هكتار في السنة ١٨٩٩ . وهكذا فعلى الرغم من عدم اهتام المجتمع الاسلامي بالكرمة الا من أجل العنب فقط > ضحت البلاد بتربية المواشي واهملت الحبوب > مسع ان هاذين القطاعين صيويان جداً من وجهة النظر البلدية .

وفي عهد مبحر استرعت ثروات باطن الارض انظار الوطن الام والرأسماليين ؟ فدفسم معدن الحديد الى تأسيس شركسة و مقتى الحديد ، ؛ ثم بوشر في الجوار استار الفوسفات . فاسهمت هذه الصناعة الاستخراجية في موازنة المقايضات في منطقة تفتقر الى التجهيز وتستورد كافة الادوات المصنوعة تقريبا .

ولكن السؤال الذي بقي بدون جواب هو معرفة ما اذا كانت فرنسا ستعتبر الجزائر كمجرد امتداد لاراضيها الخاصة. فان الجزائريين الفرنسي الأصل والجزائريين المتجنسين ، وهم فرنسيون حقاً ، قد تمتعوا مجقوق المواطنية الفرنسية . ولكن ما هي حقوق المسلمين با ترى ، ثم هل يقبل

الجزائريون بأن تدار شؤونهم في باريس ؟ لذلك فان تاريخ نظام الجزائر السياسي والاداري بفسر الصراع ، الدامي أحيانا ، بين النزعات المختلفة ، دون ان تتغلب احداها ، في يوم من الايام ، تغلباً لا مراء فيه . اجل ان المسافة بعيدة بين والمملكة العربية ، والنظام المعروف بنظام الارتباطات ، وبين نوع من الاستقلال الذاتي والتمثيل ؛ ولكن الاستقلال الذاتي لم يكن يوما حكماً ذاتيا ، كا ان التمثيل لم يستهدف البتة الجاهير الاسلامية . وبعد ثورة السنة ١٨٩٨ الفاشلة ، المعادية لليمود والمطالبة بالاستقلال الذاتي ، ساد شيئاً فشيئاً نظام التفويضات الذي منح المهاجرين المستعمرين مزيداً من الحقوق والحريات وابقى البلدبين في وضع اجتاعي متدن . اما هذه الحالة التي ارادها الجزائريون الفرنسيون ، وهم اقلية ناشطة وهيئة انتخابية كبرى ، فقد وافقت مصالح الحكام في الوطن الام .

الحاية الفرنسية على تونس المستفيد فرنسا من اختبارها في الجزائر حين تسمح لها الخلاق الفرنسية على تونس الطروف باخضاع وصاية تونس بدورها لسيطرتها ايضاً ?

ان البايات الحسينيين الذين قامت بينهم وبين الفرنسيين ، جيرانهم منذ سقوط الجزائــــر ، علائق صداقة وحسن جوار ، كانوا مصممين في الوقت نفسه على مواصلة العمل الاصلاحي الذي بدأه الحفصيون . فبعد ان ألغوا الرق وحرروا اليهود ؛ حاولوا ترسيع منطقة الاحتلال او بلاد الترك ، واخضاع منطقة الانشقاق او « بلاد المرب، ووضعوا يدهم على مناطق طرق المواصلات <mark>وا</mark>قطعو<mark>ا من</mark>اصريهم بعض الاراضى ٬ واقاموا علائق طيبة اكثر استمراراً بينهم وبسين <mark>البـــلدان</mark> المتوسطية الاخرى وشرعوا في تجهيز مرفياً تونس ، ومارسوا على العموم سياسة عطف على بورجوازية المدن ، ولكنهم سلكوا كذلك طريق الانفاق المفرط والاستقراض .اضف الى ذلك ان بعض الاجانب الاوروبيين والمسلمين ؛ كالحزندار اليوناني مصطفى والشركسي خير الدين ؛ قد حرَّضُوم على الاصلاحات والاشغال الباهظة الاكلاف . ولكن ميثاق السنة ١٨٥٧ الاساسي الذي استوحى اعلان حقوق الانسان وقضى باحداث مجلس استشارى يضم بعض الاعيان ٤ لم يمنع زيادة الضرائب والجاعة؛ بالاضافة الى وباء الكوليرا ، من تمهيد السبيل لازمة خطيرة وفان ممد الصدوق ، الذي لم يبق امامه سوى عقد القروض الجديدة والافلاس ، قد خضم السيطرة بعض الدول التي حركها الدائنون الجازءون ورجال الاعمال الطباع . فاختار فـــر"ي صيغة • السيد -الحمى ، المؤازر في ممارسة وظائفه . أي ان الادارة البلدية بقيت ، ولكن المقيم العام ، الذي تعينه فرنسا ، كان المشرف على كل شيء ، ووزارة الخارجية الفرنسية ، تمثل الوصاية القديمة في النطاق الدولي. وغنى عن البيان أن الشراكة لم توجد المساواة بين الشريكين ؟ فقدد أمنت مصلحة الدولة الحامية التي لم يخضع مواطنوها لقوانين البلاد.. أما ليوتي فسيفاخر بنظام دلا يلغي مناصب الحكام القدامى » بل يتيح « استخدامهم » . وفي المؤتمر الاستشاري الذي تأسس في السنة ١٨٩٦ أمَّن الفرنسيون لأنفسهم رجعان السلطة والنفوذ .

اكد كليمنصو أن الهدف الاول هو و فتح الوصاية اقتصاديا ، ، وسلم فري بأن تونس يجب

وأن تعتبر ، حتى اشمار آخر ، مستعمرة لرؤوس الاموال » . والواقع هو أن الحياية قسد استهدفت تنمية البلاد بدلالة المصالح الفرنسية . فشقت بعض الطرقات وربطت شبكة الخطوط الحديدية بالشبكة الجزائرية . ولكن فوسفات الساحل لم يسترع الانتباه الا في السنة ١٨٩٥ ، وخصصت قاعدة بنزرت المسكرية بالاعتادات نفسها التي خصصت بها المرافىء الاخرى: فخلال السنوات الخسة عشر الاولى لم يقدر أحد سوى الاهمية الستراتيجية والامسكانات الزراعية في الولاية الافريقية القديمة . ولم يحل تسجيل الاراضي في سجلات الحكومة واصلاح الممتلكات الوقفية دون قيام املاك كبرى على غرار الاواني في سجلات الحكومة واصلاح الممتلكات الوقفية دون قيام املاك كبرى على غرار الاواني الخيابة ، ان الفرنسيين كانوا يمتلكون وقد لوحظ ، بعد مرور عشر سنوات على توقيع ميثاق الحياية ، ان الفرنسيين كانوا يمتلكون لم تستهوهم الاملاك الواسمة ، والبلديين خشوا عملية التسجيل . لا بل اصبحت الارض الزراعية الم تستهوم الاملاك الواسمة ، والبلديين خشوا عملية التسجيل . لا بل اصبحت الارض الزراعية شجر الزيتون . وكاحدث في الجزائر تقدمت زراعة الاشجار المثمرة على زراعية الحبوب ، سرعة . ولكن البعض اقض مضجعهم عدد الفرنسيين الزهيد (٢٤ الف مهاجر مستعمر او موظف يقابلهم ٢١ الف ايطالي ، على زهاء مليوني نسمة) ؛ وقد استحصلت روما في السنة ١٨٩٠ على بعض الامتبازات لرعاياها .

اذا عرفت تونس الهدوء ، فانها لم تتطور قط . فالبلدي فيها لا يزال يعيش حياه فقر وساجة ، بسبب تعرضه للمحول وتأثره بتقهقر الحرف الصغرى . ولكن نخبة بلدية محسدودة تهذبت في المدارس الاسلامية وفي المهد الصادقي الذي فتح ابوابه في السنة ١٨٧٥ . ودرست اللفة الفرنسية كلفة اجنبية في المدارس الفرنسية العربية ، ولكن هناك عدداً من المؤسسات الكاثوليكية والكليات العلمانية . اما الخدمات الصحية فغير مرضية :

يبرز التناقض في الماصمة بين الشوارع الجميلة في المدينة الجديدة وتيه الشوارع الضيقة القذرة التي تحيط بالقصبة وتصل بين المدينة المربية والاسواق وحارة اليهود. أمسا في الارياف حيث يميش المهاجر المستعمر الفني حياة ترفه ، فلم يطرأ على المسكن اي تبدل : البدوي يعيش تحت خيمته ، والبيوت اكواخ مسقوفة بالتبن الطويل والاعشاب ومؤلفة من غرفة واحدة يسودها الدخان ويفزوها القمل والبراغيث والبق .

الامبراطورية الشريفية قبل التدخل الاوروبي

ان مراكش اكثر أجزاء المغرب عزلة وأقلها تأثراً بالاسلام . استخدمها الفزو العربي ممسراً للانقضاض منها على اسبانيا ، ولكنها التفتت ابداً الى روابطها الشهالية بشبه الجزيرة الايمرية

من جهة وروابطها الجنوبية بالصحراء الفربية من جهة اخرى . ومن تخـــوم الصحراء جاءت السلالات التي قاومت ، في منطقة فاس ومكناس ، حرب الاسترداد التي شنهـــا الاسبانيون ،

اساد حصون الحدود ، في سيرهم علي تطوان .

هناك مغرب (مراكش) خارجية على حدود الصحراء ، منشأ القبائل العربية او المستعربة التي تسيطر على الواحات وغالباً ما تشن الغارات على السهول الاطلسية. فقد اقامت السلطنة رجالها الاوفياء في هذه الاراضي الجيدة وعودتهم الحياة البدوية. وأقامت هي نفسها بين الاطلس والريف حيث المدن الحضرية . الا ان الجبال المرتفعة تنتصب فوق السهول ، وتؤلف منطقة الانفصال التي تضم عظاء الدو المتحالفين رحضربي قراها المحصنة وقصورها المليئة بالمواد الغذائية . ويغلب فيها المنصر البربري لان الناطق باللغة العربية ، اذا ما استثنينا بدو الجنوب ، ليس سوى مدني او مزارع من مراكش الاطلسية . والحال يكاد ينحصر افقهم في الجماعة الصغرى التي تنضم ، كيفها تيسر ذلك ، الى القربة او القبيلة : وفي سبيل استمالتهم ، يجب اغراؤهم بجاذب البارود (المركة) او الغزو . وقد يمكن من ثم تحديد الدولة المغربية بما يلي : حسابة عربية الطابع ، ذات حضارة مدنية مغربية اندلسية ، على بلاد بربية لم تخضع اخضاعاً تاماً . ولعل المستترة ، والحكم الى مسايرة صوفية زهدية توافق نزعة ديموقراطية خاصة ، كا حسدث في المستترة ، والحكم الى مسايرة صوفية زهدية توافق نزعة ديموقراطية خاصة ، كا حسدث في المداللاد .

السلطان مطلق السلطة نظرياً ويسند قوله الى اصله الشريفي اي الى كونه منحدراً من النبي . أما في الواقع ، فجيس القبائل الثاني المرتبط مصيرها بحصير السلالة العاوية ، والموزعة على النقاط الهامة (قاس الجديد مثلا ، على مقربة من قاس البالي ، المدينة الدينية والصناعية القديمة) ، هو ما يشكل قوة الحكم الفعلية الوحيدة . فكل سنة تدير السلطة و الحركة ، ، وهسي حمسة عسكرية لا تستهدف القضاء على المنفصلين المصاة استهدافها المجاد تسوية معهم بالتوقف فيها بينهم ، تسند اعمال الادارة والجباية الى القائد بتولية من السلطان ؛ وإذا كان القاضي ، الذي يعينه العلماء ، مرتبطاً بالشريف ، فإن القاضي ، الذي يعينه العلماء ، مرتبطاً بالشريف ، فإن القاضي ، الذي يختار من بين شيوخ القبائل بيقسى مستقلا ، وتقوم سياسة السلطة بارضاء القبائل الوفية ، ومعاملة القادة بالحسنى بغية شستى المنفصلين واضعافهم ، ومراعاة جانب الجعيات الدينية . اجل لم يعد هناك من ازمات سلالية . ولكن الماويين لا يقوون الا على المحافظة على التقاليد بالحافظة على الظواهر والعمل ليومهم .

ولا نمني بذلك ان هؤلاء الشرفاء كانوا خاواً من الصفات والقيم . فان مولاي حسن ، الذي عاصر الثورة ونابوليون قد آثر انكاش البلاد على نفسها . واعتمد مولاي عبد الرحمن على البريطانيين منذ ان واجه خطر الفرنسيين بعد غزوهم المجزائر ، ولكن السلطة اضمفتها الثورات . وحين عجز محمد عبد الرحمن عن صد الفارات الاسبانية الا باللجوء الى خدمات لندن ، اضطر الى المتخلى عن الكثير من حقوقه لاستالة القادة ومقاومة هجوم جديد شنه الانفصاليون .

عندما اصبح مولاي حسن شريفاً في السنة ١٨٧٣ ، بدت المفرب التقليدية وكأن نهايتهسا قريبة جداً . وكيف يمكن ان يستمر استقلال بلاد عاجزة عن التخلص من أنظمتهما البالية ؟ فان مؤتمر مدريد قد فرض عليها ، على الصعيد التجاري ، نظاماً دولياً يرغمها على معامسلة كافة الدول معاملة الدولة المفضلة : فكان ذلك حرماناً لفرنسا وانكلترا من مركزها المتاز ، والحال ولكنه كان في الوقت نفسه مثاراً للاطهاع العديدة والمنازعات من اجل النفوذ فيها . والحال اصيبت السلطة بالنهكة في اكثارها من و الحركات » أو الحملات العسكرية دون ان تفلح في اعادة تنظيم جيشها وتحسين ماليتها. وجل ما توصلت اليه ، بقدر امكاناتها ، شل نفوذ الاجانب التجاري بغية المحافظة على روح قومية متحذرة .

عندما تولى السلطة مولاي عبد العزيز في السنة ١٨٩٤ كانت الزراعة آخذة في التقهقر بفعل غزوات البدو وثقل الضرائب ؟ وكانت الصناعة اليدوية محافظة بصعوبة على تقاليدها الفنية الماضية ، كا أن التجارة ، التي أعاقها النقص في وسائل النقل ، وحالة المرافي، المتأخرة ، والاختكارات ، واقفال الحدود ، والحاجة الى النقد ، كانت في حالة ركود . وكانت كل منطقة تعتمد في معيشتها على نفسها ، وكل حي وكل قرية يجزعان لسلامتها . ففي فاس ، التي شاهدها و ادمون دي اميسيس ، نصف خربة ، لاحظ و شارل دي فوكو ، ان واليهودي ... يتنقل في والملاح ، بين الاقذار ويتعثر بالبقول النتنة ... » ولكنه اضاف الى ذلك : والاشياء الجميلة هي والمدينة العربية » . ولكن ما هي هذه الاشياء الجميلة ؟ جوامع وقصور وحدائت غناء تعبد في المدينة العربية » . ولكن ما هي هذه الاشياء الجميلة ؟ جوامع وقصور وحدائت غناء تعبد الى الذاكرة عظمة دخلت في التاريخ ، بين اكواخ غير صحية وجداول تملاً مياهها جراثيم الحمى التيفية . فان طنجة ، المغربية واليهودية ، تعاني من تراكم الرمول في مينائها ، وليست كازبلانكا سوى مرفأ طبيعي خطر ، وموغادور بنزح عنها سكانها . وما هو عدد سكان المغرب يا ترى ؟ لقد تراوحت التقديرات بين خسة ملايين واثني عشر مليونا .

اصبح الاستقلال رهنا بزوال المنازعات بين الدول ، يقضى عليه بتخلي لندن عن معارضة احتلال المغرب .

يتضع من ثم أن أوروبا أخضمت الاسلام في أفريقيا الشالية والشرق الادنى والشرق الاوسط على السواء . ولكن الاسلام لم يكن أوفر حظاً في مواقعه الامامية سواء في الهند أم في المسين أم في أفريقيا السوداء .

ولغصى ولخابس

سين خطي السرطان والجدي: حضارات افريقية واوقيانية

تأخر تطور الميئة ما بين خطي السرطان والجدي

على الرغم من امتداد شكل الحياة البدوية الراعوية بعيداً الى الجنوب من خط السرطان (اذ نشاهده في هضاب الشرق المرتفعة وفي نصف الكرة الجنوبي) ، فان السكان ، ابتداء

من السباسب والاحراج الملتفة الاشجار ، يعولون في معيشتهم على جني السجار وصيد الاسماك والزراعة المتنقلة . وتساعد البيئة الطبيعية على غو عوامل مرضية رهيبة : عوامل البلهرسيسا وداء الحيطيات ومرض النوم . وهناك نطاق آخر لاشكال حياة بدائية ، اعني به اوقيانيا التي تتاز من جهة ثانية بمناخ اكثر موافقة للصحة . وباستطاعتنا ان ندخل في ارخبيلات المحيط الكبير شطراً من الانسولند ، ولحكن هذه الاخيرة عرفت في العصور القديمة اشكال حضارة الكبير شطراً من الانسولند و لحكن هذه الاخيرة وشوهدت حتى في مدغشقر . وبينا تدخيل الاستعار الاوروبي منذ القرن السادس عشر في الغرب اي في اميركا الحارة ، قفي الشرق ، اي في الارخبيل الآسيوي الكبير وفي المحيط الهندي ، لم يستول على الاراضي الاوقيانية ومناطق ما بين خطي السرطان والجدي في افريقيا الا في القرن التاسع عشر .

تقدم الاسلام والنخاسة في افريفيا

ان افريقيا ، المتراصة الرقعة والمتميزة بشواطئء تندر فيها المرافئ الطبيعية وانهار كبرى تعترضها الشلالات ، تفرض العزلة على الإنسان بين الصحراء والغابة البكر . الا انهسا تتسع في نصف الكرة الشمالي

حيث انبسطت منطقة بورية موازية لتلك التي تجاور المتوسط: هذه هي منطقة والساحـــل » الجافة التي تمتد عنه الساحـــل » الجافة التي تمتد من مصاب نهر السنقال حتى البحر الاحمر وتغلب فيها تربية المواشي . ويتواجه فيها او بالاحرى يتداخل فيها عالمان : العالم الابيض والعالم الاسود ؛ من جهـــة البربر والعرب

والحاميون - سواء تأثر هؤلاء بالحضارة السامية أم لم يتأثروا س ، ومن جهسة ثانية الزنوج السودانيون ، و فبلاد السودان ، هي بلاد السود في نظر العرب وتقابلها و بسلاد البيضان ، و عالباً ما تنازع الساحل هذا الشهاليون المقيمون وراء الصحراء والجنوبيون سكان السباسب . و تؤدي طوق القوافل التي تصل بين او اسط افريقيا والشاطىء المتوسطي الى تومبوكتو وكانو و كوكا حيث تنتهي كذلك المسالك المؤدية اليها من خليج غينيا. ولا وجود خارج هذه الطرق، عوازاة خط الطول ، وابعد الى الشرق ، سوى الطريق المؤدية من البحيرات الكبرى باتجساء النمل والبحر الاحر .

يبدو الاسلام في هذه المنطقة وكأنه واسطة نقل الافكار والتجسارة والانظمة السياسية . فقد اجتاز الصحراء مع القوافل ولم يتوقف الاعند تخوم السباسب والغابات ؟ وتسلق كذلك الهضاب الشرقية انطلاقاً من البحر الاحمر والمحيط الهندي . انه موجود حيث يسيطر النظام الراعوي؟لانه لم يتعرض للايمان بالارواح الذي دان به الحضريون المنعزلون في السباسب والغابات . يستخدم الجلل ؟ ولكن ما يكتشفه او يجده ثانية في السنفال وعند منعطف النيجر وفي تشاد هو الحصان، خير مساعد في اعمال الفتح . يهدي ويكيد ويكتسح وينظم الامارات والسلطنات السريعة الزوال . وينظم عن قلب القارة السوداء العبيد الذين يتجر بهم .

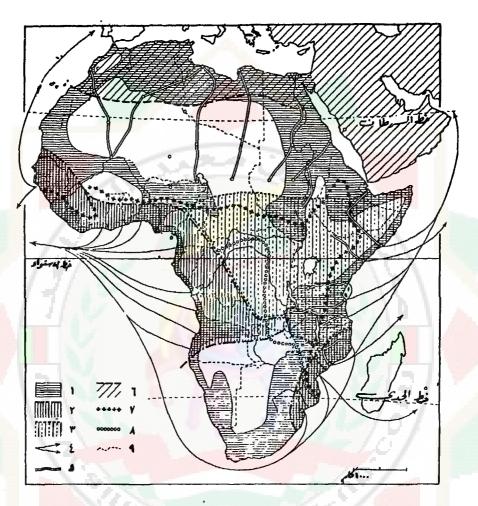
بينا كانت تجارة اللحم البشري توفر للمسيحيين وسيلة لاستثار العالم الجديد ، كانت تفذي اسواق المغرب والشرق الادنى الكبرى ؛ وكانت من جهة ثانية بمثابة حافز للتوسع الاسلامي وانتشار روح الحرب المقدسة معا بين السنفال وزنجيبار ، كا كانت توفر للاسلام موردا ثمينا لسيطرته السياسية انها لامبراطوريات اسلامية قوتها في عصبيتها الدينية، ولكنها امبراطوريات استرقاقية ، وحين وافقت اوروبا الرأسمالية والانسانية على إلفاء الرق ، الذي لم تطو صفحته المخزية الا لتفتح صفحة الحسابات الاستمارية من جهة ثانية ، قوضت الدول الاسلامية وألفت الرق معاً . ولكن الرقعة الواسعة التي انتزعت من القرآن بقت في الحقيقة تحت سطرته .

المحراء الكبرى الاسلامية والنفوذ الفرنسي

ان الصحراء الكبرى التي تقارب مساحتها ٨ ملايسين كياومةر مربع لم تخل يوماً من السكان . فالبعض يجتازونها من طرف الى اخر والبعض الآخر يستقرون فيها . وهي شعوب افريقيسا

الشالية الاسلامية التي كانت لها الغلبة فيها في النهابة بفضل تفوقها العسكري وعصبيتها الدينيسة وتنظيمها الذي اعدها القيادة .

ان الصحراء الغربية التي تأثرت اكثر من سواها بالاسلام كانت نطاقاً مغربياً ، عربياً ، بربريا، سيطر فيه سكان الواحات المغربية الجنوبية من الناطقين باللفسة العربية ، اي برابرة 'توات وتافيلالة ، الرعاة المتنقلون الذين كانوا ينقلون ملح « تاوديني » الى تومبوكتو ويفذون احسرام الامبراطورية الشعريفية ؛ وإن الشيخ « ماه العينيين »؛ النخاس المنتسب لزاوية «شنفتي »، سوف



شكل رقم"٢ ٢ ـ افريقيا في القرن التاسع عشر

١ ــ المناطق المعروفة حوالي السنة ١ ١٨٧٠ ع. حدود مناطق النخاسة القديمة (بانجاه اميركا رآسيا ع. حدود منطقة النخاسة في النصف الثاني من القرن ع ع. الطرق البحرية النخاسة القديمة ع. ح. طرق القوافل ع. ٣ ــ مناطق بيح الارقاء المنساقين برا ع ٧ ــ حدود الاسلام ع. ٨ ــ حدود توسع المسلمين التجاري ع ٩ ــ الحدود الاستعمارية .

يقف بقوة في وجه الفرنسيين ؟ اسياد السنفال منذ « فيدَرب » ؟ الذين سيستولون على توات في السنة ١٩٠٠ . اما في الشرق فقد اقام برابرة يتميزون ببشرة داكنة هم اله « تيبو » او اله « توبو » الذين تكلموا لغة سودانية وراقبوا طرقات طرابلس الغرب وفزان الى تشاد ونازعوا جيرانهم الطوارق « كل وى » منطقة العير وواحة بلما المشهورين بملاحاتها .

اما في وسط الصحراء فالسيد هو الطارقي ، الملثم الوجه، الناطق باللغة البربرية المتفطرس، الوحيد الزوجة ؟ تنعم زوجته بحرية كبرى ؟ ويعرف هو القراءة ويعزف على الربابة . يؤلف اتحادات حربية تشرف عليها طبقة من النبلاء ويدفع لها الجزية اصحاب الاخاذات والفداديون وتستخدم الارقاء العبيد في اعمالها . ولكل اتحاد مرشده المتصوف . ولكن الاسلام ينحني المام وثنية لا تقبل التنازل عن عقيدتها ولا تعارض قيام علائق دائمة مع غير المؤمن . تسيطر جماعة الطوارق هذه على المسالك التي تؤدي من جنوبي منطقة وهران الى منعطف النبجر وتنازع شانبا المنطقة الرملية في جنوبي الجزائر – اعني بهم اعداءها الناطقين باللغة العربية – سلاسل الواحات التي تنتثر بين مجازات الاطلس الصحراوي وتبديكلت ، وقد تقدمت جنوبا حتى ادرار وضفاف النبجر حيث قوضت تومبوكنو وغاوو . ومارس هؤلاء البدو كلهم الغزو وتقاضوا « الغفازة » او الفدية . فلا عجب والحالة هذه ان يخيم الانحطاط على الواحسة : تسلم تورها وجوبها وبقولها ودخنها (بشنة)؛ وغالباً ما لا يبقى لها شيء يذكر لاستهلاكها الخاص.

حاول الفرنسيون اخماد الفتن بالقضاء على اللصوصية ، ويجدر بأهل الحضر ان يشكروا لهم علمه هذا . ولكن تحويل التجارة الى طرق اخزى وإلفاء النخاسة ألحق الضرر بالجميع . فان بعثة و فلاترز ، التي هلكت كلها ، كانت ضحية الدسائس التي حاكها لها النخاسون . وقسد اخفق و فورو ، بادىء ذي بدء ولكنه توفق الى احداث ثغرة في جبهة الطوارق واللحاق بد وجولان – مينييه ، و و لامي ، في و تشاد ، ، بينا اعترفت اتفاقية عقدت مع انكلترا بسيطرة فرنسا على كافة ارجاء الصحراء الكبرى . ومنذ ذاك الحين نادى بعضهم ببناء خط حديدي يصل بين افريقيا الشهالية وافريقيا الغربية . وفي سبيل استتباب الأمن في الصحراء انشأ و لابرين ، وحدات هجانة من الشانيا ، وفي السنة ، ١٩٤ ، كان الاتفاق مع مرشد هوجر ، الممارض لجيء الاتراك الى فزان ، فاتحة خير التهدئة في الصحراء .

الشعرب الاسلامية في السنفال والسودان القرون الوسطى استثار الصحراء الكبرى . وكان مقدراً له القيم نتيجة مماثلة في الساحل السوداني والسنفالي وفي السودان نفسه . ولكن القسم الاكبر من القرن انصرم قبل عهد الاستعمار . وإذا كان الفرنسيون في قلب السنغال منذ الامبراطورية الثانية ؟ فانهم لم يدخلوا تومبوكتو الا في السنة ١٨٩٥ ، ولم يوقع على الاتفاقات الدولية التي حددت ممتلكات الدول الا في السنة ١٨٩٠ والسنة ١٨٩٠ .

في المنطقة التي لا تعرف سوى فصلين متباينين – لا يجاوز فصل الامطار ستة اشهر والامطار المتساقطة مترا – نرى النباتات تستبدل سياءها الصحراوية بسياء السباسب العشبة والفابات القليلة الاشجار . هنا تسود تربية المواشي المتنقلة . و يستخدم الحيوان النقل لا الزراعة التي تستازم عملا مرهقا في تربة صحراء متحجرة . ويبدو الحضري مفتقراً الى التغذية بالنسبة الراعي الذي يعتمد في غذائه على الالبان . وعلى جوانب النيجر وفي تشاد يميش بعض السكان مسن صيد الاساك . ولا يزرع الارز الاحيث تتيج زرعه المياه . ويعير السوداني الراعي الملح اهمية كبرى . وتنتقل السلع من يد الى اخرى بشكل مقايضة أو بواسطة اله وكوري، وهي محارة وحيدة المصراع تقوم مقام النقد . وتعطي البلاد ذهبها المسحوق الحصول على بارود الاسلحة النارية والاسلحة النارية ونفسها . وتقايض الجاود والاصواف بنسائج قطنية . أضف الى ذلك ان عدد السكان ، حوالي ١٩٠٠ ، لا يجاوز المديون في السنقال والا ملايين في كافة الحاء السودان . ولا تجاوز الكثافة من ثم ٢ و ٣ في الكيلومةر المربع : ولا عجب في ذلك بعد عهد توحيش طويل الامد مرده الفوضي المزمنة .

في هذه المساحات الشاسعة المفتوحة تتجانب افريقيا البيضاء وافريقيا السوداء ؟ ولكسن التخليط بين اللونين مذهل جداً. فإن الدو هنوسا » الذين تشب لفتهم اللهجسات البربرية ربحا ينحدرون من أصل سوداني أو من أصل حامي طرأ عليه بعض التحويل بعاشرة السودانين. أما أصل الدو قولبا » (أو و قولا ») فأكثر غوضاً أيضاً : فهم ساميون في نظر بعضهم ، أو حاميون في الارجح ، ولكنهم سود البشرة ويتكلمون لغة سودانية ؟ عاشوا حيساة راعوية واعتنقوا الاسلام وتنقلوا ابدا من مكان الى آخر وتسللوا الى مواطسن سواهم من سينفمبيا حتى تشاد و و ادائموا » ولعبوا دوراً كبيراً في السباق الى السيطرة .

أسهمت النخاسة في صهر الشعوب وادت في الوقت نفسه الى نهكة البلاد . فقد دانت لها الجموعات السكنية الكبرى بأهميتها . وفي كوكا ، من إعمال بورنو ، حيث شاهيد و بارث ، حرما يضم ٧٣ غلاما و ٥٠ فتاة ، ابدى احد المراقبين في عهد لاحيق أن الفتيان الذين الذين اتراوح سنهم بين ١٠ سنوات و ١٥ سنة مرغوب فيهم جداً وإن الفتيات البالفات ببعن بـ ٢٥٠ و ٥٠٥ فرنكا . ويروي وحالة آخر أن النخاسين في قرى و فوتاجالون » يتصرفون مع الاسرى تصرف سائقي الثيران مع القطمان . ويعادل ثمن الحصان ثمن ١٥ الى ٢٠ شخصا . وهناك ما محملنا على الاعتقاد بأن النخاسة تفاقم خطرها في هذا الجزء من افريقيا بعد التدابير التي اتخذها الاوروبيون لمنعها في جهات المحيط الاطلسي ، وعها يكن من الامر فانها دعت قوة الزعماء المطلقي السلطة من أمثال و ساموري » في منطقة النيجر و « و رباح » في « أوأداي » . فان ساموري قد جند جيشاً من بين أبناء الاسرى ، اله و سوفا » ، أو الانكشارية الجدد .

حبجب الاسلام المعتقدات القديمة دون أن يحل محلماً . فهنا لا يكاد رجل الدين يتميز عن ساحر القرية ، وقد أضطر في غير مكان أن يتخلى عن سلطته للشاعر الموسيقي المتنقل . ولمسا

كان الطقس الدينيهم ما يؤمن التلاحم في المجتمع الاسود ، اصبح للجمعية الدينية شأنها الكبير. ولكن بنها حال كهان عبادة الارواح في اغلب الاحبان دون ارتقاء الزعماء المحلمين (اثنان في فوتا يختاران عن قصد من بين الماثلات المتنافسة) ، كان بقدور الجمية الدينية ان تثير حركات كبرى بين المؤمنين الذين يستجببون لنداء الملهمين ، فسهبون للحرب المقدسة وللسلب والنهب أيضاً . فبات كاهن عبادة الارواح حينذاك امير المؤمنين . واستمال بسهولة قيائل البدو الخيمة ّ على جوانب الطرق التي تسلكها القوافل والحجاج والنخاسون . فحدثت من ثم تجمعات ضمت بعض الشعوب ، وليس لمعظم محاولات تأسي<mark>س الامبرا</mark>طوريات ، بـــين الصحراء والسياسب ، مصدر آخر وتفسير آخر . فين السنفال الاعلى وغامبيا حاول الزعم الديني محمدو الامين قيادة الـ • ساراكولي ، ومثل الحاج عمر السنفالي جمعية التنجانية الديموقراطية النزعة ؛ وإذا هو بسط سيطرته على فوتاجالون على حساب القدرية ، فان شبعة الموريين المتفرعة عن هذة الجمعة الاخبرة قد ثنت اقدامها في «كايور » بقيادة « احمدو باميا » رنسيبه « لات ديور » . فقاتل الفرنسيون هذا الاخير وردوا الحاج عمر نحو النيجر . ولكن هذا الفاتح ترك خليفة واصل سماسته وعمله هو ابنه احمدو الذي قاوم الفرنسيين حتى السنة ١٨٩٣. وفي غضون ثلاثين سنة تقريبًا اسس الساراكولي و ساموري تورى ، ثلاث أو اربع اميراطوريات : انطلق من اواسولو فعاول السيطرة على ضفتي النيجر فوق تومبوكتو وهدد كذلك البلاد الموسية الباقية على وثنيتها ولم يمن بالهزيمة الا في السنة ١٨٩٨ . والى الشرق من النهر <mark>الكبير ؛</mark> انهارت الدول الهاوسية ؛ ال<mark>ق</mark> <mark>عر</mark>فت <mark>من قبل بمض الازدهار ٬ امام هجهات الفولبا بقيادة اح</mark>د حلفاء الحاج عمر ٬ وعثمان دا<mark>ن</mark> <mark>فو</mark>ديو ، ٤ الذي اصبح شيخًا في كانو وامتدت سلطته حتى الكامرون الحالمة . ونعمت سلطتنا سوكوتو وكانو ببعض الاستقرار ، ويبدوا انها خضمتا لحكم عسكري إستمر حتى الفته الاوروبي : وفي مستهل القرن العشرين كانت هذه المنطقة السودانية اكثر سكانًا وأقل بؤسًا .

كان حوض النشاد ، على نقيض ذلك مسرح قتال وحشي : نزاعات من اجل النفوذ بين البورنو والكانم والباغيرمي الذين يتقاسمون الحوض ؛ ونزاعات من اجل طرقات القواقل والملح والاسرى ، ولا سيا الطريق التي تؤدي الى كوفرا ومصر وشرقي ليبيا، عبر اواداي. وفي اللوحة التي رسمها و ناشتيفال ، لاواداي ، يتكلم عن ازدهارها النسبي في كنف بعض الامراء العرب المطلقي السلطة الذين يهتمون بالمدارس والتجارة ، والنخاسة طبعاً . والحال كلما اقفلت طرقات الصحراء الذربية ، انتقل النشاط الى الطرقات المؤدية الى البحر الاحمر . فعين اضطرت القاهرة الى الكف عن تجارة العبيد ، تحولت هذه الاخيرة نحو الطريق الرئيسية المؤدية من اواداي الى الخرطوم على النيل الاوسط عبر كوردوفان . وكانت ثورة الدراويش بمثابة جهد اخسير بذله منظمو القواقل بفية الاحتفاظ بخط المواصلات الاخير بالشرق الادنى . وكذلك ، فهو احد النخاسين ، رباح ، الذي جمل من اواداي حينذاك مركزاً لهسند، التجارة وتوفق مؤقتاً الى السيطرة على مناطق التشاد . ولن تخضع اواداي اخضاعاً نائياً الا في السنة ١٩٩١.

ما ان تظهر الساسب وتتكاثف الفابات ، حتى يصبح القطيع ، شوب النساطق النينية الذي يهزله المناخ ويتمرض للنباب الناقل مرض النوم ، غير كاف لتأمين مميشة الانسان . وعلى هذا الاخير ، بالاضافة الى ذلك ، مقاومة الملاريا والزحار ومرض النوم نفسه . ولما كان يفتذي بالاطعمة النباتية ، فانه يستهلك طحين السندرة الصفراء وطحين المنيهوت وزيت النخيل ، ويجد في جوزة شجرة الكولا مادة منبهة .

لم يرتفع كل هؤلاء السكان فوق مفهوم المقاطمة الصفرى. ولكنهم تكلموا لهجات سودانية، وقد اسس الغزاة الشاليون عدة ممالك دون أن يؤدي ذلك الى انتشار الاسلام .

وتقاسم الـ « موسي » والـ « اكانتي » حوض نهري الفولتا ، وقسد حكم الاولين ملك ذو سلطة دينية ، هو الـ « موغوسنا » » « سيد العالم » » « ملك بلاد المختونين » » الذي كان بمثابة مولى اخاذة الـ « ناكومسي » النبلاء الذين يقلدهم وظائف وزارية وادارية . اما ملك الاكانتي فيرأس بجلس الزعماء ولا يطاع حقا الا في مقاطمته الخاصة كوماسي :قاتل اتحاد المقاطمات الصغرى الحرابة خذا الى جانب الـ « فانتي » سكان السواحل » الذين ساندهم البريطانيون ، وفي داهومي تعين السلطة الملكية زعماء القرى وتتصرف في جمعة « دوكبوي » التي تضم الفتيان والشبان المدعوين لدور قيادي ، و يجمع الارقاء من بين اسرى الحروب التي كانت مورداً كبيراً لشعب مناهب ابداً المقتال ، فعلى كل عارب ان يأتي باسير أو برأس جندي عدو مقتول . وتؤلف زوجات الملك والفتيات المكرسات لآلحة الحرب فرقة عسكرية من النساء .

اقام الاوروبيون ، منذ زمن بعيد ، العلائق مع زعاء هذه المناطق وملوكها . فكان هناك و شاطىء العبيد » و و شاطىء الذهب » و و شاطىء العاج » بالاضافة الى و بنين »التي اشتهرت بمنتجانها الغنية و اضاحيها البشرية الشنيمة . فالنوق الجالي هنا كان متقدماً عليه في السودان ، وقد نمت المصنوعات البرونزية و الخزفية و الاقنعة الخشبية والعاجية و المقاعد المسقوشة عن تقاليد قديمة في مهارة الصناعة اليدوية .

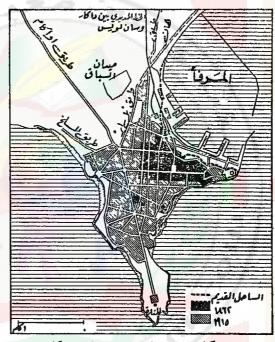
الاست<mark>مبار الاوروبي في افريقيا</mark> الغربية وتشاد

ان فتح المنطقة الشاسمة المندة بين الصحراء الكبرى وخليج غينيا - وهو عمل تطلب اجراء طويلا - لم يكتمل الا حوالي السنة ١٩٠٠ . ولم تسؤ الخلافات على الحسدود

بين الدول الابين السنة ١٨٩٠ والسنة ١٩٠٠ . فسارت كل دولة قدماً لمنع سواها من تخطيها ، حتى ان الحدود الاقليمية تمكس تقلبا<mark>ت الاستيلاء .</mark> وقد ارتكبت اخطاء كثيرة .

رأى « فيدرب » على الرغم من واقميته المأثورة المنتقبل في السنفال هي القطن قبل فستق العبيد ، كما غرر نفسه بذهب بامبوك . وحاول تأمين الاتصال بالنيجر عن طريق الرمول الداخلية ، ولم يو الاهمية التي تنطوي عليها اسواق غينيا والشاطىء العاجي كقواعد انطلاق لمباوغ النهر .

في كافة انحاء الساحل وفي السودان الاوسط ، كما شرح ذلك ﴿ غَالِيانِي ﴾ و ﴿ ارشينار ﴾ ، كان من مصلحة المستعمر الاعتاد على الفلاحين وحمايتهم واختيار الكفلاء من بينهم . وكان فمدرب اول من سار على هذه السياسة التي تضحى بالبدوي كما في الجزائر . يضاف الى ذلك رسوخ الارتباب بالرعاة المسلمين الذي يرد جزئيا الى القتال المرير الذي دار بين المستعمرين وبينهم . ومع المستعمرين جـــاءت الارساليات ؛ الكاثوليكية والبروتستانتية ؛ فنازع الصليب الهلال السكان المغضمين . و انها لحرب صليبية حقيقية ، ، كما يلاحظ الملازم و مانجين ، . واشــــار « بنجر » مدير الشؤون الافريقية ، الى «خطر الاسلام».ولكن فيدرب كان قد قدر الحندمات التي يكن ان تؤديها الخواص الاسلامة .



الشكل رقم ٧٧ ـ غو مدينة استعمارية : دكار يوافق ت<mark>صميم السنة</mark> ١٨٦٢ مشروع الحاكم « بينيه ــ لابراد » . تجدر الاشارة الى المكان الملحوظ للمدافن (م) وامتداد المدينة نحو رأس مانويل ؛ وفي الجنوب يشمير الحرف ح الى الحاكمية العامة) . (نقلا عن تصاميم أطلعنا عليها « ر. باسكييه » الاستاذ في

معهد الدروس العليا في دكار)

قو"ض الاوروبي الدول ، فاضطر بالضرورة الى الاستعانة بالزعامات الحلمة التقلمدية . ولا يعنى ذلك ان التجزئة الاجتاعية بحسب القرى قد سهلت تعيين سلطات مسؤولة . ولهذا السبب آثر البريطانيون ﴿ الحِكمَ غُــــير الماشر ۽ واحترموا الزعاما<mark>ت</mark> القائمة جهد الامكان، حتى ولو تطلب منهم ذلك تبرير تجاوزاتها ، عـــلى ان يحـدد بالنتيجــة عــــد الموظفين . وفكروا بحسكم نيجيريا كما حكموا هند الامراء . امسا الفرنسيون فآثرو<mark>ا تمثيل</mark> زعماء المقاطمات الصغرى بالموظفين ؟ ولكن السلدبين كانوا ورعايا فرنسيين ﴾ ٤ واذا تمتعوا بحرية المعتقد وكان لهم محاكمهم الحاصة

احيانًا ، فقد فرضت عليهم واجبات ثقيلة : حرمان من مغادرة المستعمرة وتأسيس الجمعيات والاجتماع ؛ ضرائب عسنية يرغرامات ؛ تسخير من اجل العناية بالطرقات ؛ دفسع الضرائب ؛ والخدمة العسكرية وفاقاً لمقتضبات الحاجة . عاد للدولة المستعبرة امر رفع مسنوى المعيشة بتوفير الامن والنظام وتوزيع المهام على اساس سلم . ولكن الجهود استهدفت المزروعات والمناجم التي يمكن ان تفسدي التجارة مع الوطن الام . وعلى هدا الصعيد كان النجاح في الشاطىء الذهبي ونيجيريا البريطانيتين اسرع منه في المستعمرات الفرنسية المفتقرة الى التجهيز : فاحتلت الاولى مركز الصدارة في انتساج الكاكاو واستثمر ت احراجها ومنفنيزها وماسها ؟ وسسلمت الثانية كمية كبرى من الاخشاب وزيت النخيل . وعلى نقيض ذلك آلت سيراليون الى الهبوط منذ الفاء النخاسة وعاشت جمهورية ليميريا السوداء في ضيق على الرغم من جهود الكنيسة الميتودية . وكذلك عانت اقاليم غينيا والشاطىء الماجي وداهومي الفرنسية من نقص وسائل النقل ومن الافتقار الى الموانىء الحسنة المتجهز ومن تبدد اليد الماملة التي كانت تأنف من العمل المراقب .

واذا استفادت السنه ل من فستق العبيد ومن التجارة مع السودان ، واذا حسنت دكار شوارعها الواسعة المحفوفة بالاشجار واعدت ميناءها للسلاحة الاطلسية الكبرى ، فإن الداخل النيجيري ما زال متأثراً بويلات الحرب والجفاف ؛ وقد عقدت عليه آمال كبرى مجهولة . اما اقاليم تشاد فليست آنذاك سوى منطقة حدود عسكرية لن تعرف التهدئة الا في غد قريب .

وقد لوحظ ايضا ان ارتبابات الوطن الام قد ظهرت على الصعيد الاداري . فلم تكن السودان و و الانهار الجنوبية » في البدء سوى اقداليم ملحقة بالسنغال . كما ان افريقيا الفربية الفرنسية ، التي تكونت في السنة ١٨٩٥ ، ستعرف تغييرات كثيرة . اما و المناطق المنخفضة التشادية » فستلحق بافريقيا الاستوائية الفرنسية : وهكذا سوف تفك حلقات التاسك بين ختلف اجزاء المنطقة الساحلية لان وجود انكاسترا والمانيا حتى مشارف البحيرة الافريقية الكبرى سيقوض وحدة الممتلكات الفرئسية .

في السودان النيلي: الاطهاع <mark>الصوية</mark> وامير اطسورية الدراويش

تتجه طرق دارفور واوغنسدا واثيوبيا كلها نحو مصر. ولكن من يسيطر على مصر لا يسيطر على النيل ، ومند القدم كان الحوض الأعلى محط انظار اسياد الدلتا وغبسة

منهم في خمان سلامة البلاد ومراقبة فيضان النهر.

في القرن التاسع عشر ، نشاهد اثناء ولابة محمد على وخلفائه توسعاً مصرياً جديداً في وادي النيل الاعلى . ولم يصطدم الباشا الا بمقاومة ضميفة ترد الى انحطاط المالك المربية - الشيخيات وسنمار - في منطقة الشلالات الساحلية . ولكن الابتزازات الجبائية واحتكار التجسارة وغزوات عملاء الباشا ما كانت لتسهل الاحتلال المصري ؛ فالنخاسون وحدهم هم من استفادوا من هذه التصرفات لان مجد على شجع النخاسة واسس مدينة الخرطوم لهذه الغاية .

وطمع اسماعيل بدوره ببسط السلطة الخديوية على كافة انحاء افريقيا الشمالية الشرقية . وقد آزره في تحقيق مطاعه بعض الاوروبيين من امثال الرحالة « صموثيل باكر » ، والجنسدي المبشر وغوردون والذي انعم عليه بلقب باشا ورحالة آخر هو وشنيتزر والسني اعتنق الاسلام وحمل اسم امين باشا ولكنهم بذلوا في سبيل ذلك جهوداً كبرى لم تكلل بالنجاح و فعين شعرت حكومة القاهرة بخطر الافلاس يحدق بها واضطرت الى التخلي عن الاستفادة من النخاسة والى عزل حاكم بحر الغزال الذي كان هو نفسه نخاساً. واصبح السودان النيلي من ثم مسرحاً لثورة مهدية هائلة كان سببها العصبية الاسلامية والفاء تجارة رامجة معاً فصمد امين باشا عند النيل الابيض الاعلى ولاية اكواتوريا التي ارغمه ستانلي بعد ذلك على الجلاء عنها المصلحة بريطانيا العظمى على كل حال ولكن سيطرة الخديوي انهارت وتعذر على الانكليز انقاذ غوردون في الخرطوم .

على غرار المبراطوريات السودان الغربي ، رأت المبراطورية الدراويش ، وليدة البورات والقبائل البدوية المتعصبة والنخاسين ، النور وماتت في فترة زمنية قصيرة جداً . فقد عجزت عن استالة السنوسيين والتغلب على مصر ، ولم تعرف بعض الراحة إلا بفضل انتصار احرزته على نجاشي الحبشة ، والخلاف الذي نشب بين هذا الأخير والإيطاليين . وقسد عانت البلدان التي الخضمتها من الاوبئة والمجاعة واصابة كل تجارة بالشلل. أجل لقد بلغت الحركة اواداي. ولكن الانكليز ، الموجودين في مصر ، توفقوا اخيراً في السنة ١٨٩٨ الى تنظيم حملة كتشنئر التي هؤمت الجيش المهدي وقضت على المطامع الفرنسية في طريق الكونفو البحر الاحمر. فاصبح السودان الديليزي المصري ، والصبح السودان الديليزي المصري .

في وسط المنطقة الجافة التي تتصل بالبحر في افريقيا الشرقية ؟ اليوبياء تيودروس ومنليك تنتصب الجبال الاثيوبية وكأنها خزان مياه وملجاً جبلي . وقد جاءت الموجة الاسلامية تضرب شواطىء هذه الجزيرة المسمحية فمجزت عن غمرها .

انها لبلاد غريبة التقسيم الطبيعي ، كل واد فيها يعيش في عزلة بقيادة زعيم . لا تسلتم بالتضامن إلا امسام خطر كبير مشترك . الارض ملك طبقة سيدية من الرؤوس سوداوية اللون و مختلطة الدم . يبرز بين حين وآخر رأس الرؤوس ، النجاشي ، الذي يتمتسع بسلطة اسمية لا تجملها فعلية إلا الحرب وحدها . ليس من فارق كبير بين خرافات هؤلاء المسيحيين القائليين بوجود طبيعة واحدة في المسيح وبين وثنية الدغالا ، جيرانهم . تعدد الزوجات منتشر وشبه شامل ، وكل حبشي ميسور يتصرف في عدد كبير من الحدام المنزليين .

البلاد تعتمد في معيشتها على مواردها القليلة ؟ ولكنها تجني الأرباح من مرور البضائد عالتي تنقلها القوافل بين افريقيا الوسطى والمرافى، . وكان لنشاط الطرقات التجارية من ثم أثره في التاريخ السياسي . فبينا تقوم في مملكة امهرا مدينة غوندار ؟ ملتقى القوافل الهامة ؟ تلتهي الى تيغره المنتجات المنزلة الى البر في ماسوا ؟ والى شوا تؤدي طريق هرار . ولذلك تنافست هذه الرئاسات الثلاث تنافسا دامًا .

في اواخر القرن الثامن عشر ، اضعفت المنازعات بين الرؤوس طاقسة الحبشي الهجومية فتراجع في كل مكان . ولكن نهضة تحققت في امهرا بفضل الرأس «كاسا» الذي نجح في إعادة جمع شتات الاراضي الاثيوبية وأعلن نفسه نجاشياً باسم تيودوروس ووضع سلسلة نسبه التي جملت منه خليفة داوود ، ووجه رسائل الى القيصر يقترح عليه فيها ميثاقساً ضد الاسلام . وعندما استعان أحد منافسيه بالفرنسيين معترفاً لهم مجتى الاقامة في اوبوك على شاطىء البحر الاحمر ، اعتمد تيودوروس على الانكليز . فكان ذلك منطلق التدخل الأرروبي .

عندما قاطع الانكليز على غير ترو ، عجز تيودوروس عن صد جيش بقيادة السير نابير وآثر الانتحار . فعقب ذلك عهد جديد من الاضطرابات استفاد منه الخديوي ، ثم الدول الاستمارية ، للاستيلاء على الساحل الاريتري والصومالي . وحدث ان النجاشي الجديد ، و يوهانس » النفري الاصل ، قد لاقى حتفه في معركة ضد المهدين ، فوقسع رأس شوا ، منليك ، بغية فرض نفسه ، معاهدة مع الايطاليين اعتبرتها روما بمثابة اعتراف بالحساية . ولكن هزية و عدوه » في السنة معاهدة مع مطامع و كريسي » .

بعد الاعتراف بالاستقلال الاثيوبي توصل النجاشي منليك بسرعة الى بسط نفوذ جبليه على سكان المناطق المتاخمة. الا أن اثيوبيا الكبرى التي حققها ما زالت محاطة بمتلكات الاوروبيين، ولذلك نراها تفاوض فرنسا في أمر ربط عاصمتها ، اديس ـ ابابا ، بالشاطىء بواسطة خــط حديدي ينطلق من جيبوتي ويمر بهرار . والواقع هو أن الجبــال الاثيوبية لم تجتذب التيارات العصرية بل رفضتها .

الى الجنوب من خط وهمي يصل بين كامرون وزنجبار الله البانتوية التي تختلف نماذجها البشرية ولهجاتها (١٨٢ على الأقل) اختلافاً بيناً عن نماذج ولهجات السودان وغينيا . ولكننا نرى هنسا ايضاً ازدواجية المناظر الطبيعية وافراع المعيشة ؟ فن جهسة الحوض الكونغولي ؟ نطاق الاحراج والسباسب الكثيفة ؟ ومن جهة اخرى اطار من الهضاب الممتدة من افريقيا الشرقية حتى الدفلا ، الجنوبي والصالحة لتربية المواشى .

ان الدائر الذين يقطنون منطقة الامطار الغزيرة ببن خليج غينيا والبحيرات الكبرى لم يخالطوا قط سوى الزنوج البلديين المرتبعين الذين ربما دانوا لهمم بالقوام الوسيط والوبر الكثير واللون الداكن . ولكن بانتو الغمابات ، على نقيض هؤلاء الزنوج الذين كادوا لا يعيشون الا من القنص وجني الثار ، ولا يستقرون في مكان وينامون حتى في الاشجار ، قسمد اقاموا في قرى مؤلفة من اكواخ مستطيلة قنصوا في جوارها الحيوانات وتعاطوا زراعة متنقلة ، واستخدموا أداة بدائية شبيمة بالعصا تتبح لهم طمر البذار واستخراج البطاطا في الارض المحرقة الضيقة . وجنل منهم الجوع اكلة تراب احيانا ، كما ان الأمراض – الزحار ومرض النوم مفتكت بهم

فتكا ذريعاً . وعلى مثال هذا الاقتصاد ، كان نظام المجتمع بدائياً . فلا حساب الا التجمسع , المائلي وما يتبعه من زبن وارقاء . أما المسألة الكبرى فليست مسألة الارض بل مسألة اليسد العاملة . ولم تضم الرئاسة الاقليمية سوى عدد بحسدود من القرى ؛ وهي تؤسس وتحل وفاقاً للحاجات الآنية ، كملكية الدماكوكو ، عند الدباتيكي ، مثلا . وما كانت نشاطات بعض القبائل الخاصة ، كالنقل المائي ونقل المعادن ومعالجتها ، حتى ولا الاعتقاد بالارواح ، لتقوى على ايجاد سلطات سياسية اوسع امتداداً .

يسود الاعتقاد ان بانتو الفابات وليد التكيف. أما بانتو البورات فيجاور في الشال الحاميين والمرب والاسلام ، وفي الجنوب البرتغاليين والبوير والبريطانيين الاوروبيين ولمل نزوجه نحو نصف الكرة الجنوبي نتيجة تقدم الحاميين المسلمين ، الماساي والواهوما (هؤلاء هم و الآتون من الشال ») ، الذين اقاموا بين البحيرات الكبرى والحيسط الهندي مصطحبين الثور ذا الحدبة والجمل ذا السنام وبينما زالت من الوجود ممالك ولوانغو » و ولوائدا » و ولوبا » في الحوض الكونفولي ، ولم تخلف مونوموتابا سوى ذكريات عظيمة ، ما زالت اوغاندا تؤلف اطار دولة اقطاعة الطابع .

جاء الدكافر ، والدمانابيلي ، والدبازوتو ، والدبتشوانا ، يربوت ثيرانهم واغتسامهم وماعزم وحميرهم في مناطق خط الجدي بعد أن ردوا الدهوتنتو ، والدبوشيان ، الى الوراء . وكاحدث في السودان ، تعاطوا زراعة الذرة البيضاء الى جانب تربية المواشي . وتنازعوا الطرق البينة والماثية فيا بينهم . وفي اعالي الزمبيز استقبل ليفنغستون استقبالاً حسناً في المسارة تنظم غارات متكررة على جيرانها . وكان الدوولو ، مهرة في استعمال الرمح والقوس والنبال محتمين بترس كبير من جلد البقر ، ولم يلبثوا أن قدروا فوائد الاسلحة النارية حق قدرها . وعند حدود وناتال ، و دفاد ، اصطدموا بالبوير والانكليز الذين لم ينتصروا عليهم بسهولة .

كان الحدث الحبير ، من جهة المحيط الهندي ، التراجع البرتغالي المام هجوم عربي جديد صادف في الزمان تقيدم الاسلام في داخل القارة الافريقية وانتقال النخاسة شطر الشرق . وقد برزت آنذاك قوة زنجبار التي نقل اليها امام مسقط عاصمته في السنة ١٨٤٠ . فظهرت مسرة أخرى بميزات هذه الجزيرة الصغيرة الساحلية النادرة كموقع تجاري : وكان مقدراً لها ان تلعب، لحساب سلطنة اسلامية ، دوراً بماثلا لدور عدن وسنغافورة . فأدخل سكانها والسواحليون ، المختلطو الدم (عرب وفرس وهنود وماليزيون) زراعة القرنفل . واهتمت كذلسك بمحاصيل المداخل ومستجاته ولا سيا النحاس والعاج . ولكن اعمال الارض ونقل المحاصيل تتطلب يسداً عاملة وفيرة : وسوف تستحق زنجبار اسمها (زنج - برأي بلاد العبيد) . اضف الى ذلك من جهة ثانية ان النخاسة قد انسمت هنا اتساعاً بعيداً بغضل بيع الاسرى في اسواق المحيط الهندي الأخرى . وتجمع الشهادات كلها على الخراب الذي خلفته في المنطقة الممتدة بين و اوبنغي ، وقد اشار ليفنفستون الى القرى الكثيرة التى احرقها النخاسون والى النساه

المشنوقات بسبب عجزهن عن اللحاق بالمراكب . والتقى ستانلي في طريقه الوف الخلائدة المتساوقة والمقطورة برقابها ؟ ووصف الزعيم البلدي باحثاً عنها في مخابئها وجامعاً اياها لحساب التاجر العربي ؟ على مثال الشريف الانكليزي الذي يدعو ذويه لقنص ديك الخلنج او لاصطياد المغزال بواسطة كلاب المطاردة » ؟ واشار الى عملية سلب استهدفت ١٩٨٨ قرية لم تسفر الاعن المغزال بواسطة كلاب المنطقة على جانبي الطرق المؤدية من الساحك الى البحيرات الكبرى والحوض الكونفولي . وكانت النتيجة إبادة الفيلة وإفناء معظم السكان لسنوات طوبلة .

بلغت زنجبار ذروة بجدها بين السنة ١٨٦٠و ١٨٨٠ تقريباً . وقد بسط السلاطين حمايتهم على داخل البلاد حتى الكونفو والساحل البرتفالي ، وأقدم بعض الدول على عقد الاتفاقات معهم ، وبعض المؤسسات التجارية على تأسيس فروع لها في الجزيرة . الا ان إلغاء النخاسة ما لبث ان اصبح فعلياً وقرع ناقوس نهاية زنجبار المتجرة بالزنوج .

منذ السنة ١٨٨٠ عمدت الدول الاستعارية الى تقاسم افريقيا الاستثمار الاستعماري لافريقيا البالتوية الوسطى وافريقها الشرقية وافريقها الجنوبية . فارتسمت نطاقات ثلاثة: نطاق فرنسي بلجيكي يضم مناطق الكونفو باتجاه الاطلسي، ونطاق انكليزي المانى بمحافاة المحيط الهندى، ونطاق ثالث ابعد إلى الجنوب يسمطر علمه الالمان ولا سما البريطانيون. لم يكن الاوروبي ليستطيع التفكير الا باست<mark>خدام عمل ا</mark>لبلديين من اجل تحقيق مقاصده . وقد ر<mark>غب</mark> في تبشير الزنجي بالانجيل وإنقاذه من الرق و إف<mark>ب</mark>امه حسنات استثار أرض<mark>ه ا</mark>ستثا<mark>راً</mark> مبنياً <mark>على</mark> العقل . ولكن ما هو السمل الى إرغامه على <mark>مقايضة</mark> محاصل بخسة الاسمار – المطاط مثلاً – بالملخ والنسائج المرتفعة الاسمار ؛ والعمل في المفارس وبناء الخطوط الحديدية ؛ ونقسل الاثقال ? فهو اما يردد بدون انقطاع و مبيامي » (بلغ مني الجهد) و و كوكولو » (الرحمة)، وأما يقر من العمل . وقد اعتزمت جريدة التايس في السنة ١٨٧٧ بأن ﴿ هَذِهُ الشَّمُوبِ عَنْصُرُ تصمب سياسته ... فهي تجهل الرغمات والحاجات المركمة الق تكوّن مما يدعي بالحضارة ، وان في ازعاجهم بدون داع في الحياة البربرية التي يعشونها راضين وسعداء لمسؤولة كبرى . . اما ﴿ بِرَازًا ﴾ الذي حاول نهج سياسة تعاونية على غرار فيدرب ؛ فقيد افتدى الارقاء وعقد الاتفاقات مع الزعماء ، وطالب بالحاح بان و تتحاشى الادارة العلما والتجارة العليسا استفلال المستعمرة استغلالًا سريعًا ، ولمنا يعلم البلديون ما ريده منهم ، . الا أنه لم يلق آذاناً صاغبة ، كما لم تلق اذاناً صاغية نداءات ليفنفستون ايضاً . فقد تمنز البلجيكيون والالمان بوحشيتهم. وندرج على سبيل المثل هنا ما أعلنه الدكتور بيترز: « يخضم الزنوج لدواف م أو لبواعث تختلف كل الاختلاف عما نخضم له نحن . اذا اما أعطيت الزعيم الزنجي ثوراً، فلن يلبث ان محاول سرقة كل قطيمي . وأذا ضرنته بالسوط ؛ فأنه يسرع الى أعطائي بمض الماشية ، . فاستخلص من ذلـك النتيجة الطبيعية التالية : و إذا إحسنت معاملة الزنجي ؛ اعتقد بأنيك تخشاه . وإذا اسأت معاملته ، اعتقد بانك متفوق علمه » . ولذلك فان الحجة الأخيرة غالبًا مـــا كانت السوط

المصنوع من جملد فرس المـــاء الذي درج البرتغاليون على استعماله . وحين لا يكفي الضرب والغرامات والسجن ، تؤخذ الرهائن وتعتقل النساء والاولاد في المعسكرات . لقد سيطر على افريقيا الوسطى نظام استثاري لا يعرف للرحمة معنى .

استمرت مستمرة انفولا وموزامبيك البرتفاليتان في فقرهمها وضيق عيشها وبقيت النتائج غير مرضية في الممتلكات الفرنسية ولكن الكونفو البلجيكي والممتلكات الانكليزية الالمانية في افريقيا الشرقية عرفت نمواً اسرع حدوثاً. فقد انصر قت الدولة الحرة الى قنص الفيل اولا وانما توجب ايقاف التقتيل وحماية الجنس. ثم استثمرت الاخشاب الثمينة استثاراً وحشياً. وفي السنة ١٨٩٥ اندفع الناس وراء استخراج المطاط اندفاعاً جنونياً لم يدم سوى عشر سنوات تقريباً. ولكن عصر المناجم ارتسم في أفق كاتانفا و « اواليه » . اجل كانت الشبكة النهرية دات منفعة كبرى المستمرة ؟ ولكن ذلك لم ينسع ستانلي من القول : « بدور خطوط حديدية لا تساوي الكونفو فلساً واحداً » ؟ فدشن في السنة ١٨٩٨ خصط « ماتادي » الى حديدية لا تساوي الكونفو فلساً واحداً » ؟ فدشن في السنة ١٨٩٨ خصط « ماتادي » الى

بنى الانكليز والالمان كذلك خطوطاً حديدية تنطلق من الساحل وتسير في طرق القوافل: والمجهت افكارهم الى شجرة البن والمطاط ، فأهملوا تربية المواشي ، ولم يهملوا المساج الذي كان يوفر لهم ارباحاً هامة . وتصرفت و الشركة ذات الامتياز ، تصرفاً بماثلا في كلا جانبي الزمبيز : فبنت الخطوط الحديدية وعمدت الى قطع الاخشاب الثمينة واقتربت من كاتانفا وشرعت على حسابها في انهاض و اساكل ، الموزامبيك .

مدغثة في عهد الهوفائم الفرنسين الله معية المحيط الهادي منها الى افريقيا التي تؤلف هي المحيط المنها وكان و وليم اليس عامين سر جمعية لندن التبشيرية ، وأحسد الاختصاصين في شؤون اوقيانيا ، بين الأولين الذين اشاروا في السنة ١٨٣٨ الى اوجه التقارب بين اللغة المالغاشية واللهجات البولينيزية (اسم النارجيل واحد) . أما وغرانديدييه ، الذي اتاح لنا بؤلفاته معرفة البلاد معرفة جيدة ، فقد شدد في اواخر القرن على بعض اوجه التقارب بين سكانها وشعوب الهند الحنوبية . ولكن الواقع الذي سلم به الجيم هو ان معظم المفردات المستعملة عادة مالميزية المنشأ . وباستطاعتنا التأكيد من ثم ان الاحريناه ماليزيون يتميزون وتوصر القامة والجسم النحيل والبشرة الزبتوبية اللون ، أتوا بعد كل من سواهم وحققوا التفوق .

تعرف المطقة الغربية باسم « تحت الريح » وتتميز بالجفاف والنربة المتحجرة أو الكلسية واساليب الزراعة المهملة (تافي) وقلة الاشجار وتكاد لا تصاح الا التربية المواشي وتشبه الفلد الجنوبية : وهذا يفسر فقر الوسا كالاف ، والقبائي البدوية أو شبه البدوية الآخرى التي تربي الثيران المحدبة . أما المنطقة الشرقية الممروفة باسم « في الريح » والمتميزة بالرطوبة ، فقيد حافظت على زراعات المنساطق الحارة . وقد خلف العرب آثاراً في « سمبيرانو » ، الى الشهال الفربي ، وفي المناطق الجنوبية الشرقية الآهيلة بال « تيمورو » (« الساحليون ») ؛ وكانت « دياغو – سواريز » ملجاً للقراصنة ، وأسس الفرنسيون « فور – دوفين » في القرن السابسم عشر . وتشتت ال « بتسيميساراكا » الخلاسيون في الفابات الساحلية وتصاطوا الصيد والزراعة عشر . وتشتت ال « بتسيميساراكا » الخلاسيون في الفابات الساحلية وتصاطوا الصيد والزراعة وتربية المواشي واقتاتوا بالارز والاثمار والاسماك وسكنوا المحواخا من الخيزران ولم يلمبوا اي دور هام ، اما ال « تسيميهي » الذين اتفنوا الزراعة في جبال « تساراتامانا» فكانوا سائرين في معارج التقدم .

اشتهر بين السكان الدبتسيليو والمرينا سكان المرتفعات والاحواض حول وتانارريف و و فيانارانتسوا و الحسن البتسيليو الزراعة وبرعوا في الصناعة اليدوية وضموا أربع طبقات الاقطاعين والاشراف والاحرار والفداديين و وحين أخضعهم جيرانهم اصبحوا اشبه يفداديي (دمنتي و) المرينا . أدا عند المرينا فقد اختلفت النهاذج باختسلاف الطبقة الاجستاعية : فالد اندريانا و الاشراف زيتونيو اللون على غرار الهوفا أو الاحرار وعلى نقيض الدمنتي و العبيد أو د انديغو و . الارز قوام التفذية و وليس الثور الاهمية السبتي له في الغرب . البيت مصنوع من الخشب وحده في مدينة تاناناريف الملكية . وخلفت عبادات الارواح الكثيرة التي تتناول كافة اعمال الانسان آثاراً تذكر بآسيا . وقام رب العائلة بوظيفة كهنوتية وأدار مجلس القدماء (فوكون اولونا) شؤون القرية .

عدد حكان الجزيرة غير مرتفع ، وهو لم يتجاوز المليونين في الارجح (وان قدره بمضهم خطأ بثانية ملايين). ومرد ذلك الى انهم عانوا من سوء التغذية وامتحنوا بالملاريا في الشواطى، وبالبرص والطاعون وتمرضوا للزحار وذات الرئة ؛ ويبدو ان السفلس كان واسم ع الانتشار ، وسيتسم كذلك فتك داء الغول بفعل التجارة الاوروبية .

الا ان دولة هوفية تأسست مستهدفة السيطرة على انحاء الجزيرة. فقد توفق و اندريانامبوا نيميرينا ، في اواخر القرن الثامن عشر الى جمع المرينا واخضاع البنسيليو وتشكيل جيش وجباية جزية منتظمة بواسطة بجالس القرى . وكانت الارض ملكا له يوزعها اقطاعات (مناكلي)على الاشراف الذين يشركهم بالحكم ، فبنى سدوداً وطرقات . ووفرت له الفدادية والرق اليسد المعاملة الضرورية . وقد صرح بما يلي : «بيجب ان يكون البحر الحد الاخير لم ير آنيه ؛ وأرسل الحاميات العسكرية الى المناطق التي أخضعها .

برهنت ملكية تاناماريف عن بصيرة ثاقبة حقيقية فعرفت زمناً طويلاً كيف تستفل التنافس الانكليزي الفرنسي وتستفيد من خدمات الاوروبيين دون التسليم بشروطهم . واذا تفوقت

ماكانت الحكومة الهوفية في الحقيقة لتحرز الغلبة لو نشب نزاع مسلح بينها وبين دولة اوروبية اخرى، اذا لم يتدخل الانكليز لمساعدتها . والحسال نشب هذا النزاع حين ارادت فرنسا وضع الدساكالاف ، تحت حمايتها . ففي السنة ١٨٨٥ ، وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس ، اضطرت تاناناريف الى استقبال مقيم فرنسي . ولكن نظام الحماية اصطدم ببعض المقبات ، فتمت عملية دوضع البد ، بعد ذلك بعشر سنوات .

أزالت فرنسا نفوذ المرينا وواصلت في الوقت نفسه عمل الملوك الهوفيين وانتدبت غالياني الذي اعتمد سياسة أشبه بالاستبداد المستنير . فبعد ان استخدم القوة بغية اخضاع البلاد نهائيا عمد الى استخدام النخبة البلدية باخضاعها لسلطة موظفي الوطن الأم ؟ وألغى الرق ، ولكنه فرض خدمة خمسين يوماً في السنة للاشفال العامة (وهو فرض سيحتول الى ضريبة) ؟ وراقب تعليم رجال الدين ، ولكنه قنع بأن تعد المدارس موظفين للدوائر ؟ والني امتيازات الطبقات، ولكنه لم يقو على عزلة الفرنسي وحواجز المجتمع . وليس من شك في انه رغب في معالجة نقص وسائل النقل وحاية الجزيرة من الاستثار العقاري على ايدي الشركات الرأسمالية الكبرى ؟ واغا نظراً لندرة رؤوس الاموال، لم يعد له استخدامها في قطع الاشجار والبحث عن الذهب وانتاج نظراً لندرة رؤوس الاموال، لم يعد له استخدامها في قطع الاشجار والبحث عن الذهب وانتاج البن بالتفضيل على تحسين الماشية وتوسيع زراعة الارز . فاضطرت مدغشقر من ثم الى استيراد الارز والعدول في الوقت نفسه عن ابتياع سكر جزيرة «ريونيون » القريبة ونسائجها المفضلة على نسائج الرافيا. وانشئت مدينة على النمط الاوروبي تحت العاصمة القديمية ، ولكن العمران في نسائج الرافيا. وانشأ بنصيبه .

جزیرتات تنتجان السکر : موریس وریونیون

كانت « بوربون » و « جزيرة فرنسا » الجوهرتين الفرنسيتين في بحر الهند خلال القرن الثامن عشر في عهد « مــــاهيه دي لا بوردونيه » . وهما تشابهان جزر الانليل الصفرى بطبيمة

ارضهما البركانية ، ومناخهما الحر والرطب – في كل منهما منحدر في الربح وآخر تحت الربح - ، وارتفاع كثافة سكانها .

في السنة ١٨١٥ احتفظت بريطانيكا العظمى بالجزيرة الاولى واعادت فحسا الامم الذي اطلقه عليها الهولنديون اكراما له موريس دورانج ، الا انها بقيت فرنسية اللفة والروح ، ودانت بنجاح مفارسها للادارة البريطانية ولضان تصريف سكرها في أسواق الوطين الام ولوفرة اليد العاملة الهندية ، الا ان فتح ترعة السويس قد ألحق الفرر بتجارة «بور لويس» .

أما مصير جزيرة ربونيون فكان أكثر تقلباً. فبعد الازدهار الذي عرفته بفضل بن و برربون ، وقرنفلها نزلت بها كارثنان : اعصار السنة ١٨٠٦ والحروب الفرنسية الانكليزية . الا ان ادخال قصب السكر اثناء الاحتلال البريطاني أتاح تجدد الازدهار فيها . فبينا تأخرت زراعة شجرة البن وانحصرت اخيراً في المهابط القائمة تحت الريح ، ازدهرت زراعة قصب السكر والونيلية في د مساكن ، المنحدر المروي ، اعني بها تلك الاستثارات الكبرى إلي أدارها و القادة ، وقد انتج السكر بكميات كبرى على حساب المزروعات الفذائية والفسابات . فتضاعف عدد السكان بين السنة ١٨٣٠ والسنة ١٨٧٠ . وانشئت طريق دائرية جديدة ، كا شرع في بناء خط حديدي دائري ايضا ؟ وبنيت بعد حين خطوط خاصة صغرى تؤمن الوصول الى الاملاك المدر جة . ثم عانى قصب السكر من الحشرات الطفيلية ومنافسة السكر ، فبدأ عهد الحطاط هذه الزراعة . وفشلت محاولة استحضار المهال الهنود الصينيين . فتضاءل حجم التجارة الي تماطاها هنود من بونديشيري وعرب وصينيون ومؤسسات ايداع اقتصرت على بسم السكر من التجار في الخارج . فعم التشرد ، وعرفت بعض المناطق داء التهاب الاوعية اللفاوية وزاد انتشار الملار الم فتدنى عدد السكان .

عهد المرسلين والتجار وصيادي الحيتان في الباسيفيكي

خلال القرن التاسع عشر ما زالت الجزر المتناوة في الحسط الكبير ممتبرة في نظر الاوروبين وكأنها تؤلف عالما خاصاً منميزاً بمزلته وغرابة نماذجه العنصرية: وقسد تضاربت

الآراء في اصول وتشابه و الزنوج الشرقيين - الميلانيزيين والمكرونيزيين - ووالبرابرة البيض» اي البولينيزيين ، على السواء . فقد تكلم كوك من قبل عن و فينيقيي المسالم الشرقي ، ؟ وتتبع بمضهم النزوحات البولينيزية انطلاقاً من مصر ، فطلمت احدى النظريات بأن هذه الشعوب انها . هي بمض و اسباط اسرائيل التائهة ، . ومها يكن من الامر فان هذه الحضارات ، على الرغم

من انسجامها الكلى مع البيئة ، لم تكن لتتجاوز مرحلة الحجر المصقول (١) .

وصف الرواد المستكشفون جنة عدن حقيقية ، فقصد هذه المناطق بعدهم، وفي وقت واحد، رجال مقتنعون بأن هناك بشرية مستعدة لتقبل كلام المسيح واشخاص آخرون علنوا النفس باستثار موارد الارض استثاراً سهلاً . اما الحكومات فوقفت موقفاً متحفظاً متحذراً ؛ فقد انتهى «غيزو » الى العدول عن سياسة الحمايات التي انتهجها امير البحر « دوبتي توار » : ولسم يحتفظ الفرنسيون الا بـ « تاهيتي » . أضف الى ذلك من جهة ثانية ان المرسلين البروتستانت كانوا تواقين الى ادارة شؤون البلديين بأنفسهم .

بدأ التوسع المسيحي في تاهيتي في السنة ١٧٩٧ بوصول الد و دوف ، الذي ارسلته الجمعية التبشيرية في لندن . ثم اسرع المبشرون ، في كل مكان تقريباً ، الى محاولة استالة الزعماء والتأثير بواسطتهم على السكان . فاوصوا بتحطيم الاصنام والاقلاع عن الاعتقاد بقدسية الاشياء واكل لحم الآدميين والحروب ، ودعوا كذلك الى الاقلاع عن العري والوشم والرقصات الطقسية ، ونادوا بوحدة الزواج وعظموا فضول العائلة وفتحوا المدارس ؛ وهاجموا احيانا ، في بولينيزيا ، امتيازات النبلاء . وفي جزر كوك ، انشأت جمية الارساليات رقابة تيوقراطية حقيقية ، جاعلة من والمساكنة خارج وثق الزواج ، جرما ، ومحظرة الخروج من الاكواخ اثناء الليل . وفي وغامييه ، اشهرت السلطة العسكرية الفرنسية الاب و لافال ، كمستبد و ضحكة » . فاهتدى بعض الزعاء خوفا ، وارتد غيرهم احتياطاً . وفي اغلب الاحيان عمل البلاي بطقوس في فاهتدى بعض الزعاء خوفا ، وارتد غيرهم احتياطاً . وفي اغلب الاحيان عمل البلاي بطقوس في يدر كها جيداً . أضف الى ذلك ان قدسية الاشياء قد استهدفت حجم غرائز شريرة تحروت الم يدر كها جيداً . أضف الى ذلك ان قدسية الاشياء قد استهدفت حبح غرائز شريرة تحروت في تأمين حاجاتها الحاصة ؛ فتماطت التجارة وجنت الارباح من بيسم الالبسة والادوات المدة في تأمين حاجاتها الحاصة ؛ فتماطت التجارة وجنت الارباح من بيسم الالبسة والادوات المدة في الاصل لموعوظها ، ولم تنوان عن جم الثروات الطائلة عن طريق تجارة اللآليء .

تدفق على الجزر مفامرون مختلفون كثيرون. فقد خطر لاحد التجار الاميركيين من مقايضي الفراء بالحرير في الصين ان ينقل خشب الصندل ويمرضه على زبنه الآسيويين. واهتم تاجر آخر بد وخيار البحر ، الذي رغب فيه مترفو كانتون لمذاقه وخواصه الناعوظية . ثم لفت الانتباه عرق اللؤلؤ وعرضت النسائج القطنية والسكاكين والبنادق وعرق السكر ؟ وبلغ من بعضهم ان احتجزوا الرهائن الى ان تسلم الكميات المطلوبة. وعانت كافة الجزر التي تكثر صخور شواطئها تحت وجه البحر معاناة متفاوتة من الاصداف اللؤلؤية . ولم يندر ان استيق البلديون عنوة الى السفن لملء الفراغ الدي يتسبب فيه داء آلحفر في صفوف البحارة . وقد استفاد مساوك بلديون كثيرون من جشع البيض : كملك هاواي الدي ارغم رعاياه على اهمال المزروعات الغذائيسة وقطع خشب الصندل ؛ فأحدث مجاعة في البلاد .

⁽١) « تاريخ الحضارات العام » ، المجلد الحامس ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٨ (الطبعة المرسة) .

لم تكن زيارات سفن صيد الحوت للشواطىء أقل تسبباً في المصائب. فقد عمد بحارتها الى المقايضة للحصول على المواد الغذائية الطازجة ، ولكنهم لم يمتنعوا عن اساءة معاملة السكات باغتصابهم النساء واختطافهم الرجال أو قتلهم اياهم. وهذ لك بعض المناطق، كمجزر «سوسييتيه» وفيدجي و « مارشال » و « كارولين » ، التي لم تنهض قط بعد الويلات التي حلت بها .

بعد المنارس والناجم في اوقيانيا و وريس السنة و ١٨٥ غادت اعمال السلب والنهب. فكان مضيق عهد المنارس والناجم في اوقيانيا و توريس الدوره مسرح اندفاع وراء الاصداف المؤلؤية المأطلق عليه اسم مشؤوم هو و بالوعة الهادي الكان اشكالاً استثارية جديدة رأت النسور و نمت نمواً عظيماً فاستتبعت اللجوء الشامل الى العمل الالزامي .

منذ السنة ١٨٣٥ ، لفتت جزر هاراي الانتباه بسبب السهولة التي توفرها لزراعية قصب السكر . فاشترت بعض الشركات الاميركية الاراضي واستحضرت عمالاً صينيين ويابانيسين وفيلبينين ، وبرتفاليين بعد حين وولت جزر فيدجي كذلك وجهها شطر انتاج السكر بعد فشل زراعة القطن التي بنيت عليها الآمال اثناء الحرب الانفصالية .

ولكن اوقيانيا اعتبرت في الدرجة الاولى قادرة على انتاج جوز النارجيل ، وقد تكليم بمضهم عن حضارة النارجيل ، اذ ان هذه الشجرة نؤمن معيشة سكان الجزر ليس بتوفيرها غذاء وشراباً كحولياً فحسب ، بل مواد بناء البيوت والمادة الخام التي يستخدمونها في صناعة شتى الادوات ايضاً . وفي العديد من الجزر اعتاش البلديون من تقديم الجوز الى زعهام المتعاملين مع التجار . وبسبب نقص اليد العاملة في « ساموا » لجأت مؤسسة غودفروا الهامبورغية ، الى العهال الميلانيزيين والصينيين ، دون ان تحقق نجاحاً كبيراً على كل حال ؛ ولجأت جزر فيدجي الى جزر « سلمان » للحصول على اليد العاملة .

كانت الحاجة اشد إلحاجاً الى اليد العاملة لاستثار باطن الارض . فبعد ان اكتشف صيادو الحيتان الفوانو في ألوف الجزر الصخرية ، العارية والمقفرة احياناً ، عصدت بعض الشركات الامير كية الى استخراج هذا السياد الثمين : وتوجب لذلك الاقتراب من الشاطىء عبر الصخور النائثة فوق سطح البحر ، وتأمين العيش بمواد غذائية تستحضر مرة كل ثلاثة أو أربعة أشهر من هونولولو أو من و ابيا ، و ونقل اكياس السياد الى مكان رسو السفن؛ فوقعت ضحايا كثيرة جداً بين البولينيزيين لا سيا في جزر و فنيكس ، وحوالى السنة ١٩٠٠ كثر الكلام عن الفوسفات في و نورو ، و و اوقيان ، حيث استحضر عمال بابنيون لاستخراجه . وبوشر في كاليدونيا الجديدة استخراج النيكل والكروم والكوبلت ، وقد اعاقه عداء الدو كاناك ، الذين لم يسلفوا كذلك باستملاكات الاراضي للمهاجرين الفرنسيين من أجل زراعة شجرة البن وتربية المواشي ؛ وفي اعقاب ثورة خطيرة نشبت في السنة ١٨٧٨ ، طنكب العال الصينيون بواسطة بيوت القسار وعاشش الافيون في هونغ — كونغ وكانتون .

نفريص الجشمعات القديمة واقفار اوقيانيا حتى التقسيم الاستعماري

لا يرد تأخر تقسيم الجزر الى انتظار تقدم وسائل المواصلات واقامة خطوط تجارية منظمة واكتشاف بعض الثروات ردّه الى ركسود الاحوال التجارية الذي حرك المنافسة والمطامع بين السنة ١٨٨٠ ووين وحدها خاضعة لحماية، وحين

قررت باربس ضم كاليدوديا الجديدة اليها وقفت اوستراليا موقفاً معارضاً. ولم يقدم البريطانيون محاس على ضم جزر فيدجي . ورفض بسارك مساندة مؤسسة و هانسمن ، التي اقترحت عليه تأسس مستعمرة في غينيا الجديدة . الا أن دخول المانيا الحلبة ، عشية افلاس مؤسسة غودفروا في جزر ساموا ، هو الذي استعجل عملية التقسيم بين بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة . وكانت الدبلوماسية كافية لتنفيذ هذا العمل .

على غرار افريقيا ما بين خطي السرطان والجدي ، عانت اوقيانيا الكثير من الويلات التي حلت وفتكت بسكانها . اجل ان في تقديرات الرواد الاولين ما يثير الربية ؛ افلم يقدر كوك سكان تاهيتي بـ ٢٠٠ ، ٢٠٠٠ نسمة وسكان هاواي بـ ٣٠٠٠٠ – ٢٠٠٠ نسمة ؟ ففي السنة مان تاهيتي بـ ٢٠٠٠ لم يجاوز سكان هذا الارخبيل الاخير الـ ١٢٥٠٠ نسمة ، وما كان هـذا العدد ليضم الا ٢٠٠٠٠ بلدي فقط . وليس من شك في ان اراضي كثيرة قد فقدت ثلاثة ارباع السكان ، ان لم تفقدهم عن بكرة ابيهم . وحين تنقلب النسبة فمعني ذلك ان الهجرة قلاً الفراغ . فكها استان الوسترالاسيا (اوستراليا وزيلندا الجديدة) قد اصبحت الكلوسا كسونية بعد انقراض التاسمانيين والاوسترالين والماري ، أو سيرهم في طريق الانقراض ، كذلك جاء الخلاسيون والآسيويون يعيدون إعمار معظم الفراديس الصغيرة المدنفة على الاقفار .

أجل لم يكن تدني نسبة الولادات حدثاً جديداً بسبب تضافر الحروب واكل لحوم البشر والامراض على ايقاف انطلاقة ارتفاع عدد السكان . ولكن المهاجرين المستعمرين قد زادوا في الطين بدلة . فقد قتلوا الاهلين أو انهكوهم بالاشغال الالزامية الشاقة او ابعدوهم بأعسداد كبرى (من اجل استخراج الفوافو ، اختطف البيرويون والشيليون نصف اهسالي جزيرة والنصح ، وثلاثة أرباع اهالي جزيرة و نوكوليلي ، في أرخبيل اله واليس ، وكادت مسلانيزيا تقفر كذلك بسبب حاجة اوستراليا الى اليد العاملة). وباعوا اسلحة قتالة ومشروبات روحية ، واذا هم لم ينقلوا امراض السفلس والسل والتدرن الرئوي التي يرجع انها قديمة العهد في الجزر ، فقد نقلوا الجدري والحصبة بكل ناكيد . وقد أورد ولوتي ، انطباع بشرية في حسالة الاحتضار بسبب ما كان لمجرد مخالطة البيض ، وما جاؤوا به من مصطلحات واعراف ورذائل ، الاحتضار بسبب ما كان لمجرد مخالطة البيض ، وما جاؤوا به من مصطلحات واعراف ورذائل ، من الرائحطاف والهدوء والفن » ، غوغين » والبدائي » ، الذي جاء الى تاهيستي يتوسل قيها و الانخطاف والهدوء والفن » ، غوغين » والبدائي ومن الصفائر الادارية . يتوسل قيها و الانجطاف والهدوء والفن » ، غوغين » والبدائي ومن الصفائر الادارية .

د لم تلبث حياتي في د بابيت ، ان اصبحت وقرأ يضايقني . كنت مرة اخرى في أوروبا – اوروبا التي اعتقدت بأنني حصلت على حريتي بمفادرتها – وقد زادت على بشاعتها الاثرة الاستمسارية والتقليد المضحك السخري الآخلاقنا وطرائقنا ورذائلنــا وألاعيبنا الحضارية الــــي تثير الاستهزاء ... ، . فأين نحن من الاسطورة التاهيتية التي رواها بوغنفيل لا بل هل كان حريا بنا الاكتفاء بتوصية ديدرو : د تاجروا معهم ، واشتروا منتجاتهم ، واحملوا لهـــم منتجاتكم ، ولا تقيدوه ، ؟



وونعصل ووشاوس

الهند وآسيا الشرقية أمام النوسع الغيري

« كنت اعتقد آ نذاك بأن السيطرة الانكليزية مفيدة بالنتيجة لأولئك الذين تبسط عليهم » . (غاندى ، « اختيارات الحقيقة ») .

توزع نصف البشر على السهول – الكبرى والصغرى – من مناطق الهند والشرق الاقصى في آسيا . لذلك كانت نسبة كثافة السكان مرتفعة في بعض هذه المناطق المروفة بمناطق الرياح الموسمية . فنحن

« املاق حضارة النبات » في آسيا

نعرف ، بفضل كتاب و احصاءات هندية ، ان الكثافة قدرت في السنة ١٨٩١ بـ ١٥٣ نسمة في كل كيلومتر مربع من الاقاليم الخاضعة للادارة البريطالية و ٢٠٠٠ وحتى ٣٣٠ احيانا في الكيلومتر المربع حيث يتجمع ٢٧٪ من السكان في ٣١٪ من مجموع مساحة البلاد . ويمكن اعتاد الارقام والنسب نفسها في اليابان وجاوا وصين الولايات الـ ١٨ والمناطق الدلتاوية في شبه الجزيرة الهندية الصينية . ويلاحظ من جهة ثانية ان ٢٢٢ مليوناً هندياً من اصل ٢٨٢ اقاموا في قرى لا يتجاوز سكانها الـ ٢٠٠٠ نسمة . وهذا يعني ان سواد الآسيويين من اهل الارياف .

تتألف طبقة الفلاحين هذه في الدرجة الاولى من اهل قرار يتعاطون الزراعة ولكنهم يحقرون الا في اليابان - زراعة الفابات (لان الغابة نطاق بري) ويرفضون كل ما يذكر بالحياة الراعوية الخليقة بالبدو أو أشباه البدو في المناطق الجافة ، الذين تبعدهم عنهم تقاليد معيشية راسخة . ويلاحظ ان سكان اشباه الجزر يقرنون الجاموس والبقر الهندي في اعمال الحرائدة ويستهلكون زبدة منقاة ، ولكن سكان الهند لا يأكلون اللحوم . أما سكان آسيا الشرقية ، الذين يربون الطيور الداجنة والختزير - الذي يجرمه الاسلام - فلا يعرفون كيف تحلب البقرة

ويفضاؤن الاسماك . فنحن من ثم امام وحضارة نبات ، قوامنها غذاء من الحبوب والبقولُ وأدوات يكاد المعدن لا يدخل فيها : حضارة الارز الذي ينتج في كل مكان تقريباً ، وحضارة الحبوب الاخرى بعد ذلك ، وحضارة الخيزران الذي يستخدم استخدامات شتى . وبالاضافة الى ذلك ، اذا لم تجد تربية المواشي مكانا لها في هذا الاقتصاد ، فلأن هذا المكان ربها بهذا كمدرا جداً .

يرتكن كل شيء الى العمل البشري المضني . فزراعة الارز ، الشاقة بحد ذاتها ، تشطلب عناية فائقة . ولما كانت الارض نادرة وعزيزة وموضوع نزاع غنيف ومثقلة بالضرائب والمراباة ومجزأة الى مــــا لا نهاية له (على العائلة ان تكتفي بـ ١٥٠ آرًا في الهند ؛ ﴿ •﴿ فِي النِّابَانُ ثُم و ٢٥ في كوريا ، وتبدأ الاملاك الكبرى اعتباراً من ٣ مكتارات في دلتا ترنكين) ، فأن هذه الزراعة تصبح اشبه بعمل الحدا<mark>ئق الدقيق جداً الذي يتوخىالفلاح منه اكبر انتاج ممكن.</mark> ومهما بكن من مهارة الفلاحين ، فإن مثل هذا الصراع اليومي يخبىء المفاجآت ويحر خبية الامل احمانا . وهناك الحاجة الى الاسمدة التي تجعل من العمال البشري مادة ثمينة في العمين . وهناك كذلك الصراع ضد المياه التي تأتي بالغرين الخصاب ، ولكنها تغمر الاراضي المزروعة (وفي اماكن كثيرة زاد قطع الغابات من خطر الفيضانات الخربة) : وقد حدثت ادهى كارثة في السنوات ۱۸۵۰ – ۱۸۵۳ حين انتقل نهر د هوانغ <mark>– هو ، م</mark>ن مجراه الي مجرٰي د بي – تشي – لي » م<mark>بت</mark>لماً الوف الضحابا ومخفياً مناطق كاملة تحت طبقة كثيفة من الرمول. وتسببت الاعاص<mark>ير</mark> اللولس<mark>ية الهاب</mark>ة على السواحل والامواج المرتفعة المتلا<mark>طمة ٬ والزلاز</mark>ل في البــــابان باضر<mark>ار كبيرة</mark> أخرى دورية . ولكن مناطق الجدب القريبة في آسيا تترك أفرهــــا الرهيب ايضاً . فسنوات<mark>.</mark> الجفاف سنوات مجاعة في الصين والهند . وربما بلغ عدد ضحايا الاولى ١٤ مليوناني السنة ١٨٤٩، وبین ۹ و ۱۳ ملیوناً فی السنوات ۱۸۷۷ – ۱۸۷۹ بینا أتی الجراد بعد ذلك على مزروعات ۱۳ ولاية من اصل ١٨ . أما في الثانية فقد نزلت البلية في مواعيد متقاربة : فقيد اماتت أكثر من مليون نسمة في منطقة ﴿ أوريسا ﴾ في السنة ١٨٦٦ و ٤ ملايين في هند الأمراء في السنة ١٨٦٨ ٠ وفتكت بر ٢٠٠ الف رأس ماشية في و رادجبوتانا ، وحدهــــا ؛ وحلت بـ ١١ مليونا هندياً في السنة ١٨٧٧ وأودت بحياة زهاء ٤ ملايين منهم ايضا ؛ ولكن الفاقة شملت ٧٧٤ الف كيلومتر مربع و ٧٠ مليون نسمة في السنة ١٨٩٥ ؛ وفي السنوات ١٨٩١ – ١٩٠١ هلـك نصف الاولاد الذين لم تجاوز اعمارهمه سنوات في « بيرار » (وان بروكوفياف – وكان في سنه السادسة – ، الذي كان وقع ما حدث كبيراً عليه ، قد ألف حينذاك (القماص الهندي ،) ، وفقدت المقاطعات المتحدة ٨٪ وولاية بومباي ٥٪ من سكانها . فلا عجب من ثم اذا ما توفق الفرنسيون ٠ في السنة ١٨٥٩ ، الى تجويع هو يه باحتلالهم دلتا ميكونغ حيث تتزود عاصمة « انسّام ، بالارز ، واذا ما أمل كوريه باستسلام حكومة بكين اثناء حملة السنة ١٨٨١ – ١٨٨٥ باعتراض طريق القوافل الآتية من كانتون . كانت التفذية نباتية وبالتالي سيئة جداً . وإن الفسكاح في الصين

الجنوبية لم يستهلك الحنطة استهلاكه لا وكاو – ليانغ » (نوع من الذرة البيضاء) ، كما ان فلاح الهند لم يستهلك الارز استهلاكه للجاورس أو لاصناف أخرى من الذرة البيضاء . واستهلكت كذلك البقول الجففة التي تحمشو الممدة وتجنب اوجاعها . واعتبر الشاي ، على غرار الارز ، مادة بنخية احياناً . وقد استازم هذا الغذاء المجائل ابدا ، العسير الهضم اجمالاً ، بعض التوابل وحساء البسلى الصينية وحصيلة هضم الاسماك الذاتي المعروفة عنسد الفيتناميين باسم نووك – نام . وكان من الجماملات الصينية الدارجة طرح هذا السؤال : و هل تناولت الطعام ؟ » وقد وفر احتساء المشروبات الروحية وتدخين التبغ مزيداً من المنشراح ؛ كما وقر مضغ الفوفل والتنبل اهتياجاً مستحباً . وقامت بين الهند والصين تجارة افيون رابحة .

بالاضافة الى سوء تفذيته ، لم يتوفر للآسيوي مسكن مربح. وقد يحدث احيانًا في الصين ان تذيب امطار الصيف الفزيرة جدران مسكنه المبشة بالطين الجفف. وغالباً ما التهمت النبران في اليابان المساكن الحشبية الجميلة . أما الملبس ، وهو عادي اجمالاً ، فقيد صنع في المنزل على العموم . وعاش شطر هام من السكان ، في المناطق الحارة ، مرتدين ثياباً رثة أو شبه عراة. وفي كل مكان شوهدت اعداد كبيرة من الزهاد والنساك والمتسولين . واذا كان البؤس من اسباب ارتفاع نسبة الولادات ، فانه يفسر في الوقت نفسه نسبة الوفيات المرتفمة ايضاً بين الاطفسال وقصر الحياة . اضف إلى ذلك ان الأمراض التي يسهل انتشارهــــا سوء التغذية وسوء التدابير الصحية تضم نتائجها الى نتائج المجاعة. فالكوليرا من<mark>تشرة ابداً</mark> هنا أو هنــاك في الهند: ويقد<mark>ر</mark> بمضهم أنها فتكت كل سنة به ٢٪ من السكان بين السنة ١٨٨٠ والسنة ١٨٩٠ ؟ ولكنها غالبًا ما انتشرت في الشرق الاقصى ٬ وحق في اليابان ٬ ايضاً . ولم يكن الطاعون أقل فتكا ٬ يشكليه الدبيلي والرتوي : فقد هلك زهاء ١٠٠ الف شخص سنوياً في الهنسمد بين السنة ١٨٧٨ والسنة ١٨٨٧ ، و ٨٠١ الف في السنة ١٨٩١ و ٧٣١ الفاً في السنة ١٨٩٢ . وهو قــــــد ظهر في الصين احيانًا . وقد التشر فيها انتشاراً واسماً بعد الحرب الروسية اليابانية . وغالباً مــــا انتشرت كذلك اوبئة التيفوس والحي التيفية والزحار والجدري . وسيطر الد بربري ، (أو دكاكيه،) على المناطق المنخفضة بين ماليزيا واليابان . وحوالي السنة ١٩٠٠ اصيب ١٣ الف شخص بالجذام في ويعتقد بعضهم أن الملاريا تسببت في البنغال بوفيات تفوق كل مسا تسببت به كافة الأمراض السارية الأخرى؛ يضاف الى ذلك انها كانت تعرَّض الاجسام للنزلة الوافدة . وهناك الى جانب هذه الأمراض كلما ، حمات فتاكة كثيرة .

رغب كل الناس في البيع بسبب نقص الوسائل النقدية . فقد امتلات الطرقسات بالفلاحين المترددين على الناس في البيع بسبب نقص الواد التي لا تبساع باسمار مرتفعة ، كان الفقير يعرضها بفية الحصول على بعض المال . وقد صرف ذهنه وفطنته في انتاج مصنوعات مختلفة لا تخلو من الذوق السلم . فانصرف بعض القرى ، كما في الكونغو ، الى انتاج المصنوعات الجلدية ، بينا انصرف

غيرها الى صناعة المذاري والسلال والخزفيات والحدادة والحياكة . وكادت كل الأشياء تصنع الميد دونما حساب للوقت الذي تستفرقه صناعتها . ومهما كان من ضآلة المكسب ، فانه كان يوفر دخلا لا يستهان به . فهكذا أعد الشاي والتبغ وصنع الحرير في الصين واليابان ؛ وهكذا ، رأت النور المصنوعات التزيينية الكثيرة التي تتم عن ذوق فني رفيه جداً . أما في المدن فقه تكدس المديد من الريفيين ، وتعرضوا الفاقة والامراض ، ولكنهم توفقوا الى الارتقاء احيانا بمزاولة الأعمال التجارية . ويجب اخيراً ان يحصى بالملايين اولئك الذين استخدموا ، كالحيوانات ، لنقل البضائع أو المسافرين بواسطة المركبات الحقيقة ذات المجلتين ، والنقالات الشراعية في الصين الشالمة ، والزوارق ذات المجاذيف .

استمر<mark>ار حالةالفق</mark>ر والنزوحات الآسيوية: حاجات الاستمار الاوروبي وجاذب العالم الجديد

كانت آسيا منذ القدم مستودعي بشريا كبيراً ، ومن ثم منطلقاً لنزوحات كثيرة : نزوحات النواقل باتجاه اوروبا والمتوسط ، ونزوحات سكان اشباه الجسزر والارخبيسلات باتجاه جزر المحيط الكبير ، ونزوحات الصينيين الى الفيلمين

والجزر الماليزية. وخلال القرن التاسع عشر انقلبت الحركة في الجهة البرية ، ولكنها اتسعت على الطرقات البحرية ، في الوقت نفسه الذي تعاظمت فيه حركة انتشار الاوروبينوفتحت ابواب اميركا على مصراعها امام الهجرة . اجل لقد واصل الغرب السيطرة على الجساهير الآسوية ؟ <mark>ول</mark>كنه <mark>٬ في الوقت نفسه ٬ اجتذب هذه الجماهير خارج مناطقه</mark>ا رغبة منه في معالجة حا<mark>لة الفقر</mark> معالجة <mark>جزئية ٬ وجني مكاسب مهمة أيضاً . واذا لم يكن مرغوبــاً فيهم دائمــاً ولم يستقبلوا</mark> استقبالاً جيداً ، فقد توزع المهاجرون الآسيويون ، من عمال مقترين أو تجار مهرة ، اما على ممتلكات الدول الاستعمارية ، واما على مختلف مناطق الامريكتين . وهما إلغاء الرق ونقص البد الماملة المحلمة ما اتاحا لهم العمل بصورة عامة . ولما كان الهندي احد رعايا الامبراطوريــة البريطانية ٤ فقد محث عن الاقامة في مستعمرات هذه الامبراطورية ما بين خطى الجدي والسرطان : في جزيرة موريس ، أو افريقيا الجنوبية ، أو في الساحــل الغربي من افريقـــا ، أو في غ<mark>ويانا او في جزر المحيط الهادي . ولما كان الماليزي خاضمًا من جهته لهولنـــدا فقد</mark> طلب<mark>ته</mark> للعمل في مفارس سورينام ، كما 'طلب الفيتنامي ، الخاضع لفرنسا ، للعمل في حقول ومناجم كالمدونيا الجديدة . وهي اوروباالتي فتحت باب الهجرة الصينية الكبرى بفتحهـــا المرافيء الخسة في السنة ١٨٤٢ بموجب معاهدة نانكين؟ وصادفت هذه الهجرة في الزمن عهد اضطرابات خطيرة في الامبراطورية السماوي<mark>ة . فمنذ السنة ١٨٤٦ ظهر العمال الاسبريون في كوبا والبيرو.</mark> ثم تضخم السمل وصب في أشباه الجزر والارخبيلات القريبة في الجنوب الشرقي الآسيوي ٬ وفي جزر الباسنفيكي وشواطئه النائية . وما لبِث أنَّ اتجه شطر منشوريا بعد أن اعترض سبيله . هنا وهناك. وظهر اليابانيون بدورهم في هاواي وكاليفورنيا واوستراليا ؛ على الرغم من نفورهم من مفادرة بلادهم

ولكن هجرة البؤس هذه لا تمثل سوى نسبة ضئيلة جداً من الجاهير الآسيوية . يضافالى ذلك ان اكثرية المهاجرين قد سافروا على امل المودة وحافظوا على غريزة التضامن القومى .

ان جود التقنيات ونقص الموارد يستنبعان ديومة المؤسسات الاجتاعية التي قرة التعليد تكرس بدورها التعلق بالماضي . فيصبح الرضى بتدبير الله الفضيلة السامية الاولى . وقد قال و لاوتسو ، و ان من يكون قنوعاً يكون سميداً ابداً » .

وتسهم حياة الجماعات ؛ الكلية القدرة ؛ في تغذية هذه الذهنية . فالفرد الخاضع لطبيعة لا يقوى عليها بسهولة ؛ يشعر بأنه ضعيف ومتروك لقواه وحدها . وهو لا يعيش الا بدلالة العائلة ومجماية العفاريت المنزليين ؛ ولا يقدم شيئاً على الاحترام البنوي وواجباته نحو اقربائه . ففي اليابان يكون الشخص دهي – نين ، ؛ اي غير انساني ؛ اذا لم يلق بالقرية التي ولد فيها . والمسكن الجماعي هو الطراز المألوف لأنه يستجيب لرغبات التعاون على العناصر والاعداء . ونجد روح التعاون هذه في المعمل الذي يفار على امتيازاته في المدينة والارياف على السواء . لا بل ان معظم الطبقات الهندية المقلة ترتدي طابعاً مهنياً .

ولسلطة الدين تأثير بماثل . أجل ان الديانة الهندية قر في أزمة . فالبراهما المثقفون ليسوا على اتصال بالجاهير التي يحتقرونها ، وتتساهل الطبقات الدنيا مسع وثنية غليظة جداً حين لا تشجعها تشجيعاً . ويتميز سواد الملايين الخسة من النساك والكهان الذين ضمتهم الهند حوالي ١٩٠٠ ، واعني بهم الد ويوجي » ، بمخرقتهم وكسلهم . اما المعابد فتزدان بمشاهد معرية ؟ والمؤمنون يسحون اجسامهم بزبل الابقار أو يشربون بول الحيوانات ، والحجاج يعبرن مياه المنانج الملوثة التي تطفو عليها جثث الموتى ، ثم ينشرون الاوبئة حيث يمرون . لقد عززت الديانة الهندية الطبقات المقفلة وشجعت الزواج في إطار الطبقة الواحدة وجعلت من المرأة شخصاً منخلفاً وأقصتها الله و زانانا » . ولكنها حالت دون التبدل .

لا تدفع البوذية قط كذلك الى العمل لانها تمتبر الوجود شراً وتوصي بالحسرم في الكفر المسرات الحادعة . تحمل على حياة التأمل والحبة . أضف الى ذلك ان الشعب يكرم ارواح الطبيعة حتى في بورما وحصبوديا وسيام حيث تفوق الفرع المعروف بـ و هينايانا به (المرحب الصغير) ، وهو اقرب الفروع فلسفة الى فلسفة و غوتاما » غير الشخصية . وفي الصين تتفق بوذية الـ و ماهايانا » (المركب الكبير) - و فوكيو » في الصينيسة - مسم سحر الـ و ين بوذية الـ و ماهايانا » (المركب الكبير) - و فوكيو » في الصينيسة - مسم سحر الـ و ين وبينا تساعد الطاوية الانسان على تحمل المهانات ، تمين الكونفوشيوسية مبادى و الحكم البصير والضروري الذي تزيده الساء ويوافق التقليد . فلا حدود من ثم للسلطة الملكية لا في سيام ولا في كمبوديا . اما في اليابان فقد طابقت البوذية الخلق القومي : فان الـ و زن » الذي يرتسدي طابعاً صوفياً ومشدداً ، يتصل بالشنتوية القديمة الشبيمة بخدهب الوهية الطبيعة والمنطوية على طابعاً صوفياً ومشدداً ، يتصل بالشنتوية القديمة الشبيمة بخدهب الوهية الطبيعة والمنطوية على

عبادة الجدود والآلهة الحمالة الكثيرين ، بينا تنادي الكونفوشيوسية ، خدمة للارستوقراطية ، بالتفاني في سبيل الميكادو ابن الاله وموزع الاعمال .

لم تنجع أية ديانة من الديانات الآتيه من الغرب في تحقيق السيطرة والنصر. ففي الهند اصطدمت المسيحية بالطبقة المقفلة وبعقيدة الرهية الكون الهندية وبالمواقع التي استولى عليها الاسلام ؟ ولم يجاوز تبّاعها المليونين في اواخر القرن التاسع عشر . وفي الشرق الاقصى اعتبرتها السلطات خطراً ، ولم تتأثر بها الجماهير تأثراً يذكر . أما الاسلام فقد استمر في تقدمه في السهول حيث بلغ مشايعوه ١٠٠ مليونا حوالى السنة ١٩٠٥. ولكنه لم يتألق لا بعلم فقهائه ولا بنقارة بمارسته. ومع تجنبه عبادة الاوثان ، تأثر بالديانة الهندية وسلتم بأمور كثيرة المادات والاعراف المحلية . واذا هو احتل المركز الاول في ماليزيا ، فإنه لم يفلح هنا أيضاً في از الة الطقوس الهندية وعبادات الارواح والحق الاندونيسي القديم .

ان آسيا هذه تنكمش على نفسها متريبة وكارهة الاجانب . ولا يعني موقفها هذا انها تريد حجب صورة عتيقة قد تخجل منها ، ولكنها تحتقر والبربري ، في سمو حكمتها . فالأجنبي في نظرها كائن ادنى ، ونجس بصورة خاصة . والآسيوي يجيب الاوروبي والاميركي الذين يدعوانه الى السير قدماً برفض تغيير حاله بالتطور .

الانحطاط الفني : اثر الغرب

اكد اللورد (كورزون) في السنة ١٩٠٤ (ان السيطرة البريطانية في الهند اعظم ما حقفه الشعب الانكليزي ... سيطرة المدالة التي وفرت الامن والنظام والحكم السلع لقرابة خمس الجنس البشري كله ... على

ايدي حسكام لا يمثلون سوى عدد فشيل بين المحكومين أو بقعة زبد بيضاء صغيرة جداً في خضم محيط قاتم وصاخب ... » .

ولكن الشؤون الهندية ما زالت في السنة ١٨١٥ بادارة التاج وشركة من التجار مما يرتبط الحاكم العام بكليها ؟ وما زال كذلك وم الامبراطورية المغولية قائماً . وسيدوم مثل هسفا الوضع الغامض حتى ثورة المجندين البلديين في الجيش البريطاني ، على الرغسم من النفوذ الذي ستتمتع به حكومة جلالته تدريجياً . انه لعهد امتد فيه الفتح البريطاني، بحسب اتفاق الحاجات الآنية ، وبدون تصميم ولا خطة ، الى كافة ارجاء شبه الجزيرة من جهة والى الاقاليم الشهاليسة الغربية من جهة أخرى . وقد تحقق بفضل حروب دائمة ضد شموب عرابة اسلامية بأكاريتها ، كالمهرات والنوركا والسيخ . فأثارت الفوضى والجماعات والابتزازات على انواعها في انكلسترا ردود فعل قوية في الأوساط الاصلاحية والمنشسترية التي نسبت كل ذلك الى الشركة . أجل ان مشروع د ماكولاي ، التعليمي لتثقيف البلديين المعدين لتسلم الوظائف الهامة يمود لزمان فتسح خطوط الملاحة المنتظمة . ولكن نظام الهند لن يتبدل تبدلاً جذرياً الا في اعقاب ازمة خطيرة .

كان الحدث الحاسم من ثم الثورة التي اندلعت في اعقاب تمرد المجندين البلديــــين في الجيش

البريطاني في السنة ١٨٥٧ ، وكشفت القناع عن قلق حميق الجذور . قان إلفاء الرق نظريا في الارياف بفية اخضاع الفلاح لضريبة تابتة ، وغزو قطنيات لانكشاير الذي وجه ضربة قوية المسناعة اليدوية ، وزوال يد امراء كثيرين عاشت بقربهم البلاطات والميارة ، وإلفاء الاضاحي البشرية والانتحارات الدينية _ نظريا ايضاء الذي صادف في الزمن اعتاد اختراعات وشيطانية ، كالتلفراف مثلا ، كل ذلك خلخل مجتمعاً عافظاً على التقاليد تناولته الدعاوة المسيحية من جهة والدعاة الوهابية المضادة والمقارمة المندية من جهة الحرى . ثم جاء الاحجام عن تعيين خليفة للامبراطور المنولي الاخير ، والحوف من ارسال الفرق العسكرية الى القرم وخسائر الجيس البريطاني في هذه الحرب ، زيادة بالطين بلة . فثار بعض الجنود البلديين حدين تسلموا البندقية الجديدة و انفيلد » التي كان فشكلها مدهونا بشحم الحنزيركا يقول بعضهم او بشحم البقر كا يقول غيره . وقد أقض الامتحان مضاجع المستعمر الذي استخلص منه درساً مفيداً .

بعد إلفاءالشركة بموجبوثية السنة ١٨٥٨ والسنة ١٨٦١ الم يعد الحاكم العام الذي اصبح نائب الملك البرتبط الا بأمين سر دولة لشؤون الهند أطلق برلمان لندن يسده فعين حاكي مدراس وبومباي تعييناً مباشراً . وقد صدر التوجيه العام بعد ذلك عن الوطن الام ولكن مثلي السلطة تتموا بحرية كبرى في اتخاذ القرارات اللازمة محلياً . فاحتفظ الانكليز لأنفسهم بكافة المراكز العالية وتخلوا المهنود عن الوظائف الثانوية في الادارة الاقليمية وفروع الادارة المركزية . وكان باستطاعة الهنود العمل في الادارة المدنية التي تتولى أعسال القيادة المرس النجاح في امتحانات تجري في بريطانيا العظمى . واذا كان على الموظفين الاوروبيين معرفة لغات البلاد ، فقد كان من جهة ثانية على البلديين الموظفين في الادارة ان يدخلوا مدارس ثانية توزع التعليم باللغة الانكليزية . ويتضح من برنامج ماكولاي ان الدارس الابتدائية لم تضم ، حوالي السنة ، ١٩٠ ، سوى ٤ ملايين تلميذ (نسبة الاميين بين الذكور ، ٩ بالمائة وبين الاناث ٩٩ بالمائة) ، بينها ضمت المدارس التكميلية والثانوية نصف الذكور ، ٩ بالمائة وبين الاناث ٩٩ بالمائة) ، بينها ضمت المدارس التكميلية والثانوية نصف مليون والجامعات اكثر من ١٠٠ الفلاح هو من يوفر المال لتعلم المثقفين الذين يتعاونون مع الدولة المستعمرة .

كادت الضرائب كلها توزع على الجماهير الريفية. وكان على هذه الاخيرة كذلك تأدية الرسوم غير المباشرة المفروضة على المشروبات الروحية والملح وتحمل ارتفاع الاسعار بصورة خاصة الناتج عن الرسوم الجمركية التي ألغيت لمدة وجيزة ثم ما لبثت ان فرضت مرة اخرى . ولكن تعهد الادارات العامة والجيش كان يستهلك اكثر من نصف الواردات .

ما زالت القوى المسكرية مؤلفة من عناصر بلدية يتولى قيادتها ضباط بريطانيون وتساندها فرق بريطانية . ولكن ثورة الجندين البلديين أظهرت عاذير فقدان النسبة المددية بين البلديين والبريطانيين (كانت النسبة نسبة ١٠ الى ١) فخفض عدد البلديين . وانها صرفت المناية بالمقابلة الى اختيار الجندين بالتفضيل من بين السيخ والفوركا والبلوتش وحتى من بين افغانيي الحسسدود الشمالية • ووضع الامراء البلديون تحت تصرف نائب الملك بين ٣٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ رجــل يترلى قيادتهم ضباط بريطانيون ويشتركون في المحافظة على الأمن ، ان لم يشتركوا في العمليات المسكرية الخارجية .

اذا نجم من ثم عدة آلاف من البريطانيين في ادارة امبراطورية واسعة ، فيجب الا ننسى ان الأجناس الشرية الكثيرة والمعتقدات الدينية المختلفة والطبقات الاجتاعية المقفلة واللغات المتعددة قد سهلت عمل المستعمر الذي عرف خير معرفة كيف يستفيد من هذا التنوع. فإن الولايات التي اديرت مباشرة بمؤازرة موظفين بلديين كانت تحيط بالاقاليم التي استنسب الابقاء على ادارتها التقليدية . وشدت اسياد هند الامراء هذه مواثيق شخصية الى سيدهم الاكبر ، خليفة المفولي العظيم . فقد فازت فيكتوريا بلقب قيصرة الهند ويمين اخلاص اصحاب الاخاذات .

ناهز عدد هذه الولايات الد ٧٠٠ وبلفت مساحتها ١٥٠٠٠٠ كياومتر مربع (مقابل مليونين للولايات البريطانية) وسكانها بين ٢٠ و ٧٠ مليون نسمة فقط مقابل ٢٨٠ (في السنة مليونين للولايات البريطانية) وسكانها بين ٢٠ و ٧٠ مليون نسمة فقط مقابل ٢٨٠ (في السنة المشال العامة وجمع الضرائب وحرية التجارة . واحتفظت لندن لنفسها بحق التدخل في حال العصيان . وقد اصاب اللورد د مايو ، حين قال : د إن الابقاء على الامراء البلديين في مراكزهم لا ينتقص من سلامة الامبراطورية بل يزيدها قوة ، ولذلك لم ير الوطن الام ضيراً في امتداح اخلاص اولئك الراجاوات الذين لم يجهل تمسكهم الكلي بصيانة امتيازاتهم .. ولكن تبايناً مدهشاً يلاحظ بين هؤلاء الامراء: فالىجانب قوة وثروة ترافنكوروكوشين اللتين تقدر من الضعف والفقر . وقد راعت انكلترا بصورة خاصة شهامة سكان الجبال الشهالية المتريبسين من النصف والفقر . وقد راعت انكلترا بصورة خاصة شهامة سكان الجبال الشهالية المتريبسين من النيبال فرقاً مشهورة بقيادة مهراجا من الفوركا واكتفت بإقامة مركز حراسة على مقربة من بوتان التي يتولى الحكم فيها احد عظهاء اللاما . وجملة القول انها دخلت تقليد الحياقالبطريركية من بوتان التي يتولى الحكم فيها احد عظهاء اللاما . وجملة القول انها دخلت تقليد الحياقالبطريركية من بوتان التي يتولى الحكم فيها احد عظهاء اللاما . وجملة القول انها دخلت تقليد الحياقالبطريركية من بوتان التي يتولى الحكم فيها احد عظهاء اللاما . واحدة القول انها دخلت تقليد الخياقالبطريركية والسلطة المطلقة المطلقة المللقة الذي تتميز به كل سلطة قائمة . فاحتفظت من الماضي بما امكنها الاحتفاظ به .

كاد المسكون بزمام السلطة لا يختلطون بالسكان. وقد اقام استثمار الهند على ايدي البريطانيين الانكليزي في مدينته الخاصة التي وفرت له ظروف حياة شبيهة

بها في الوطن الام. ففي كلكوتا برز الفرق الكبير بين د مدينة الطين ، التي تكدس البلديون في أكواخها وبين د مدينة القصور ، - ذات الطراز اليوناني الجديد - بحدائقها العامـة الجميلة وشبكة اقنيتها ، وبرز الفرق كذلك بين د المدينة السوداء ، الغير المرتبة في بومباي ، وبـين مالابار هل، د موطن السلطة والاناقة والثروة ، التي أقصي عنها أثرياء التجار الفارسيين أنفسهم . وقامت كذلك دلهي الجديدة قبالة عاصمة الاباطرة المغوليين القديمة . وجهزت مساكن صيفية

في الجبال .

إلا ان هذا البعد بين الحكام والمحكومين لم يمنع الاول من إثبات وجودهم بايجاد اقتصاد جديد يحترم أشكال النشاط القديمة ويوفر لها في الوقت نفسه فوائد هامة . فقد استوردت الهند من قبل شطراً هاماً من محزون الفضة العالمي لانها كانت تبيع أكثر بما تشتري إلى حد بعيد ولكن السيطرة الاجنبية قلبت هذا الانجساه رأساً على عقب : فالامراء أدوا ضرائب كبرى ؟ ووكلاء الشركة ، والموظفون من بعده ، قبضوا رواقب مرتفعة ، وجاءت البضائع و المعلوعة في انكلترا ، تنافس المصنوعات الهندية بنجاح . فباتت الهند من ثم مدينة ؟ وتوجب عليها عقد ألقروض لتسدد نفقات الوجود البريطاني ؟ واستثمر الوطن الام أمواله استثاراً رايحاً في أسواق حصل منها على منتجات متنوعة . اجل ان انخفاض سعر الفضة قد زاد من حجم الصادرات ، ولكنه زاد من ثقل الدين ايضاً . وهي الشركة البريطانية التي رفعت طيالة القرن مستوى معيشتها على حساب ملايين الآسيوبين .

اعتبر اللورد لورنس بأنه اتى عملا بطولياً بانتقاله من كلكوتا إلى دلمي في مسدة اسبوعين فقط . ولا عجب في ذلك اذ ان أحد أعضاء مجلس العموم قسد أكد في حينه و ان حكونتية انكليزية واحسدة بجهزة بطرقات مطروقة لا تتوفر للهند كلها ، ولكن شبكة صغرى وأت النور في عهد دالوزي ، فسهل وجود و طريق الخرطوم الكبير ، بين البنغال وبلجاب قسم الثورة الكبرى . فالخط الحديدى كان لعمري غير أداة للدولة المستعمرة : اذ ان الراحسة والسرعة والاسعار المعدلة قد جعلت من الخطوط ، التي بلغ طولها ، ، ، ؛ كيلومتر في السنة والمربع خطوط حديدية في آميا . وزودت المرافىء الكبرى بتجهيزات جيدة: فقد بني سد مثلا بين اليابسة والجزيرة القائمة عليها بومباي .

كان هنالك شغل شاغل آخر هو مقاومة المساه والجفاف معا ، اذ ان السدود والخزافات والاقنية القديمة كانت غير كافية وفي حالة سيئة. فست الحاجة إلى قناة توزيع في السهول الجافة. فانشىء بين السنة ١٨٤٨ والسنة ١٨٥٥ ، على طول الف كياومتر تقريباً ، الفرع الاول لقنساة المانج المعد لري ٢٠٠ و٢٧٠ هكتار . وأنشئت في عهد لاحتى أقنية في البنجاب والسند املا من المسؤولين بأن تصبحا بوما امصاراً جديدة . ولكن اقامة السدود في وجه المياه في دلتا انهار شبه الجزيرة وسع كذلك المساحات الصالحة للزراعة . وقسد اكتسبت الهند بفضل ذلك مليونين ونصف المليون من الهكتارات . اما في البنغال الكثيرة الامطار فقد توجب احتباس المياه . وفي دكان احتبست المياه وانشئت الخزانات . ودرست من جهة ثانية امكانية استخدام الانهار الملاحة . وليست المقاصد المدروسة وحدها ما املي هذه الاعال بل الحاجة الماسة الى محساربة المحات في الدرجة الاولى .

لا شك في أن المستممر رأى فائدته في التخفيف من بؤس الفلاحين ؟ ولحكن ما هدف اليه

في المدرجة الاولى هو تكثير ربع الربيع ، الذي يمكن اضافته الى ربيع الحريف ، لان الربيع الاول يعطي الحنطة في الشال الفربي وانتاج ارز ثانياً في المناطق الكثيرة الإمطار : الا ان المواد الغذائية التي تستوقف الانتباه لا تغري السكان اغراء يذكر . فان المنتج الذي قد يصبح احد كبار ميارة القمح لا يحتاج الى مثل هذه الكمية لاستهلاكه . لقمد مست الحاجة في المستعمرة الى السكر المتدني الاسمار ، ولكن رؤوس الاموال وظفت في مقاصب جزيرة موريس . ولذلك اعتبر الافيون اوفر نفعاً لان احتكاره يوفر للخزينة دخلا كبيراً . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان المضاربة التجارية قد تحولت الى الشاي والبن في الدرجة الاولى : اجل ان الحندي لايوى قط هذه الاشربة ، ولكن بعض الشركات القوية استثمرتها في املاك واسعة واستخدمت لذلك يداً عاملة وفيرة المدد وصدرتها الى اوروبا : واذا ما تأخرت زراعة شجر البن بعد السنة ١٨٨٥ ، فان زراعة شجر الشاي قد تقدمت تقدماً حثيثاً .

ليس ادعى إلى الاسف من تأخر الصناعة البلاية امام مزاحة المصنوعات الاوروبية . فبين السنة ١٨١٤ والسنة ١٨٤٥ مبط عدد النسائج المبيعة من ١٠٠٠ مكان داكا ، مدينة النسائج بريطانيسا ١٥ مليون يارد بدلا من ٥٠٠٠ . وهبط عدد سكان داكا ، مدينة النسائج الناحة ، من ١٠٠٠ ١٥ الى ١٠٠٠ ٣٠ . وكان هناك مادتان هامتان النسيج : القنب المنسدي والقطن . فأفاد الاول ، الذي صنعت منه أكياس الارز ، ليس من الحبوب المصدرة من بورما وجاوا فحسب ، بل من محول المواسم في الهند نفسها . اما الثاني فقد ارسخ ، منذ زمن بعيد، شهرة البلاد ، وقد حققت الشركة ارباحاً طائلة ببيع النسائج القطنية العادية والنسائج الموصلية . ولكن انقلابا حدث منذ ان انتشرت الحياكة الآلية في لنكشاير . فأضطرت المستعمرة منذئذ الى بيع القطن الخام وابتياع الملابس . وعلى الرغم من قصر الالياف ودونية نوعها غزت شجرة الله بيع القطن الاراضي السوداء حول بومباي بعد حرب الانفصال ، فاستهوت الفسلاح الساعي وراء المستوردة من انكلترا على الرغم من مقاومة منشستر الشديدة : وكانت هذه الصناعة ملك تجار المستوردة من انكلترا على الرغم من مقاومة منشستر الشديدة : وكانت هذه الصناعة ملك تجار المعدني الذي استورد بحراً من ذي قبل ، في المبيا اختصاصيون انكليز ايضاً . اما الفعم المعدني الذي استورد بحراً من ذي قبل ، في المبيات ان استخرج من جوار بومباي و كلكوتا ، المعدني الذي استورد بحراً من ذي قبل ، في لبث ان استخرج من جوار بومباي و كلكوتا ، وقد وفر الوقود القاطرات الحديدية .

اذا لم نأخذ بعين الاعتبار سوى ارقام التجارة الخارجية ، بدت النهضة امراً لا جدال فيه : فالمقايضات ارتفعت الى ٥٠٠ مليون في السنة ١٩٠٠ ، مقابل ٢٠٠ عند الغاء الشركة . ولكن الوصاية الاقتصادية تبرز في بيم حبوب باكثر من ٢٦٠ مليونا ، بينا كانت البلاد جائمة ، وقطن خام ومنسوجات قطنية به ٣٠٠ مليون ، بينا هي اشترت نسائج بقيمة ٥٠٠ مليون .

تطور الهند الاجتاعي ويقطة م يلبث سكان الهند ، الذين كانوا ١٠٠ مليون من قبل ، أن اصبحوا الرعي القومي الهندي محمليون يؤمنون حاجاتهم الضرورية بصعوبة . انه لنمو مخيف الرعي القومي الهندي بلغت نسبته ١٠٪ بين السنة ١٨٨١ والسنة ١٨٩١ مثلا ، وستبلسغ

١٩٠١ بين السنة ١٩٠١ والسنة ١٩٠١ وان تدنيت الى ١٪ بين السنة ١٩٠١ والسنة ١٩٠١ والى ١٩٠١ بين السنة ١٩٩١ والسنة ١٩٠١ بسبب المجاعات الكبرى والاوبئة الفتاكة . ولم تقو لا مقاومة البلايا ولا التقدم التقني بصورة عامة على تدارك ارتفياع عدد السكان المتزايد . أضف الى ذلك ان حال الفلاح لم تقبدل . فطرائق الاستثار وأدوات العميل بقيت بدائية ؟ وانواع الحيوانات لم تحسن (وقد اوصي الاوروبيون بألا يشربوا حليب الأبقار التي غالباً ما كانت مصابة بالسل) . ناهيسك عن أن ثمن المساحة المزروعة فقط أعطى ريعين في السنة وعن ان ربسع الاراضي الزراعية الجيدة والمهملة فقط قد أعيد استثاره . ولم تفقد البسلاد ؟ بفعل الهجرة والصناعة ، سوى نسبة ضئيلة من اليد العاملة ؟ وإذا تقاضى عمال المشاغل والمعامل الجوراً متدنية (و ؟ و و نسبة ضئيلة من اليد العاملة ؟ وإذا تقاضى عمال المشاغل والمعامل الجوراً متدنية اعارم بين ه سنوات و ١٢ سنة) ، فان العامل الزراعي المياوم كان اسوأ حالاً . وقد اعترف اللورد كورزون في السنة ١٩٠١ بأن معدل الدخل السنوي لا يتجاوز ٣٠ روبية أي ما يعادل وه ونكاً .

على الرغم من أن الارض كانت ملك الدولة وأن المزارع يستثمرها لقاء دفع اتاوة معينة ، فقد تكونت املاك كبرى منذ ان اسندت الادارة المغولية الى بعض الفلاحيين (زمندار و تالكدار) أمر جباية الرسوم وجعلت منهم كفلاء مسؤولين . وبعد ثورة الجندين البلديين صدرت سلسلة نصوص استهدفت تخفيف ادعاءات محتكري الاراضي . ولكن المستثمر الصغير (رايات واري) بات فريسة المرابي (مارواري) بعد تقدم الاقتصاد النقدي . فصدرت نصوص أخرى تحدد حقوق الدائن وتعفي من مصادرة المعدات الزراعية . إلا ان الزمندار والتالكدار الاقطاعيين ، والمرابين على انواعهم ، قد سيطروا في الواقع على الفلاحين الذين كانوا ابداً تحت رحمة حصاد ميه .

سبق للورد بنتنك ان ثار على تضحية النساء المترملات وقتل الاطفال . ولكن د قانون الموافقة » الذي صدر في السنة ١٨٩٠ وحر"م الزواج قبل سن الثانية عشرة لم يعمل به قط ، واحجمت السلطات من جهة ثانية عن مساندة المصلح د مالاهاري ، حين باشر حملته في هذا السبيل . وبغية تحسين حال الحجاج الذين كانوا يرتاحون من عناء السفر في الطرقات والساحات العامة ، فريسة التعب والجوع والمرض ، انشئت بعض المستشفيات ومحلات بيم المأكولات ؛ وتحقق تقدم آخر بفضل السكة الحديدية . ونزولا عند طلب نقابات العمال وشطر من الرأي العام الانكليزي ، تقررت بعض التدابير لحماية العمال في السنتين ١٨٨١ و ١٨٩١ ، ولكن ارباب العمل لم يتقيدوا بها .

ان ما تفاخر به بريطانيا العظمى هو تحديدها قوانين الاحوال المدنية واصدارها قانونسا جزائياً اوروبي الطابع وإقرارها لجنة المحلفين في الدعاوى الجنائية وسماحها للهنود بالمظالبسة بلجنة مختلطة من المحلفين في الدعاوى التي يكون الاوروبيون اطرافاً فيها . لا بل رغب اللورد ريبون في ايلاء القضاة الهنود حتى بحاكمة الاوروبيين ، ولكن هؤلاء عارضوا ذلك .

لا مراء في أن هذا العالم المبرقش قد احرز بعض التقدم في طريق الوحدة . فقد حدث بعض الانصهار بفضل اتساع وسائل المواصلات الجديدة والنشاطات العصرية . وظهر بعض التجانس بفعل اعتاد المنتجات الاورويية . ولم تفرض اللغة الانكليزية نفسها في الادارة وعالم الأعمال فعصب ، بل ان لهجات أخرى قد أخذت في الانتشار ايضا كال وغوجاراتي ، في الفرب بفضل الفرس ، والهندوستاني (وكتابتها سريعة معتادة) في كل مكان تقريبا ، وال و اوردو ، التي تقابيل الهندوستاني عند المسلمين . وأخرجت الصناعة من الذل بعض العناصر المتحدرة من الطبقات الدنيا ، فانفتحت الطبقة المقفلة بتلطف طابعها الديني ، وارتفعت أو انخفضت بدلالة دورها المهني . وبفضل المدرسة توصل العديد من الهدود الى تولي الوظائف العامة التي تستهويهم أو الى مزاولة الاعمال التجارية التي توفر لهم الثروات ، وألفت طبقة المثقفين الجسدد (بايو) ، المنحدرة من اصل وضيع على العموم ، الافكار الاوروبية وابتغت المساواة في داخل الادارة المدنية . وكان المرسلون قد اسسوا الصحيفة الاولى باللغة الوطنية : فباتت الصحف تعد بالمثات المهدية الرئيسية .

تفيدنا الاحصاءات وجداول ضريبة الدخــل - التي أقرت في اواخرالفرن - بأن حجبار الملاكين المقاربين هم المعابد والاديرة والزمندار . فاذا مثلت الأجور نسبة ٣٠٪ من محصول الجباية ، فأن الدائنين والصيارفة وكبار التجار يؤمنون ثلث هذا المحصول، ويحدد دخل ١٣٤٠ شركة مساهمة به ٥٧٥ مليونا . وهكذا نحت الى جانب الراجا والنباب اللذين اضربها الفتـــــ الانكليزي والتطور الاقتصادي نسبيا، رأسمالية بلدية، عقارية وتجارية وصناعية مما ، اخذت تعي مصالحها .

ولا عجب من ثم إذا مسا استهدفت اعتراض المستعمرة سياسة انكلترا الجركية وانتقد والحصرية به الجديدة ونظام الحاية المعكوس. فمنذ السنة ١٨٧٠ ، ارتسمت في الأفقى حركة وسوادسشي ، التي هاجمت المصنوعات الانكليزية وعظمت الانتساج البلدي ، ولكن الاحرار المنشستريين ارادوا اطلاق حرية دخول المصنوعات الانكليزية الى الهنسد ومنحوا بالتفضيل امتيازات سياسية : فأقرت قوانين الحكم الذاتي الحلي التي بجرجبها منحت المدن والنواحي ثم الولايات مجالس تنتخبها الادارة والاعيان ؛ ثم انشأت لندن في السنة ١٨٩٢ ، الى جانب نائب الملك ، مجلساً تشريعياً يعين اعضاؤه بناء على اقتراح الهيئات الكبرى كفرف التجارة والبلايات ويتمتعون بصلاحية درس الموازنة وطرح الاسئلة. أضف الى ذلك أن الحاجة قد مست الى مخاتلة جمية ، معروفة باسم المؤتمر ، اجتمعت المرة الأولى في بومباي في السنة ١٨٨٥ وطالبات بتولي

الهنود مراكز القيادة وبالمساواة القضائية وحرية الصحافة الكاملة ورقابة الموازنة الفعلية .

اعتقد البريطانبون زمنا طويلا بأن الاختلافات الدينية وتعلق الجسساهير بالماضي وانضام المثقفين الى سياسة التمساون الخلص ستشل انطلاقة حركة قومية بلدية . وقد هوي عدد من المثقفين الهنود الأدب الانكليزي: فنظم ومدهو سودان داتا ، الاشعار على طريقة بايرون ؛ . وحمل « داتا » آخر اسم « دات » واصبح استاذ اللغات الهندية في جامعة لندن ونشر باللغة الانكليزية دراسات هامة حول حضارة بلاده . واشتهرت المدرسة الانكليزية الاسلامية التي اسسها السر سند احمد خان في السنة ١٨٧٥ بانها تضاهي د اربعة جيوش ، . وبذلت المحاولات كذلك في سبيل استفلال الاختلافات في داخل الديانة البراهمانية . فقد قوبل المتكلمون عن طرد الاجني ولأنه يدنس مياه الغانج وعنع تضحية المترملات والمصلحين الذين استهوتهم الافكار الغربية . فلماذا التخوف من و براهما - سماج » ، شيعة و رام موهام راي » ودبندرانات طاغور اللذن تأثرا برسالة يسوع فناديا بمذهب الفيداء الشامل الذي من شأنه التقريب بين المستحسين والسامين والبراهانيين وبتحسين مصير المرأة والغاء الطبقات المقفلة ؟ وكيف يجوز التشكي من شيمة « اريا – سماج » التي عين لها البانديت سارا سفاتي كذلك رسالة نبيلة هي تعليم الأخوة الشهرية ؛ كائنًا ما كان تعلقها بعادات الجدود ? ومن جهة ثانية لم تبد صوفية راماكرشنا وتلميذه « فيفا كانندا » ، اللذين لم يتمسكا بحرف العقيدة تمسكهما مجرارتها ، اشد خطراً من وضعية « غوز » الذي رغب كذلك في « وحدة الشرق والغرب » ، أو من تصوف « اني بزنت » . واذا كانرف<mark>ض</mark> الثعلقبالحياة أو اقله الزهد فيه قد تراجعا شيثًا فشيئًا إمام المحبة الفاعلة؛في<mark>جب</mark> التهليل لمثل هذا النطور الذي حصل على مهل وعن غير قصد في الفكر الهندي .

بانتظار ذلك اصبحت المطالبات الهندية اعظم الحاحاً. ولا يعني ذلك ان المؤتمر الهندي قد حاد عن موقفه المتساهل: فالمجاعات والاوبئة اقضت مضجع الفئات النافذة التي تسبطر عليه والتي لا تطالب قط الا مجقها في ان يقال: وانا مواطن بريطاني، ولكن حركة اشد عنفاً تعاظمت منسف السنة ١٨٩٤: فإن د تيلاك، المنتسب الى طبقة براههانية مقفلة، والصحفي والخطيب اللاذع، قد اسس جمعيات رياضية على غرار الدوسوكول، وطالبه جهاراً بالاستقلال ودفع مناصريه إلى الدوسودسي، وحتى إلى الاغتيال. وقد اعتقد نائب الملك كورزون في السنة ١٩٠٤ ان باستطاعته التأكيد مجيلاء: وإن مهمتنا عادلة وسوف تستمر، ولكن ذلك لم يحل دون صعوبات الغد التي ستواجهها السيطرة البريطانية.

بورما وماليزيا البريطانيتان جزر اندمان مع مينام الطبيعي الكبيرة بورت ببلير ، واصلاحيتها جزر اندمان مع مينام الطبيعي الكبيرة بورت بلير ، واصلاحيتها الكبرى للهنود والمسلمين والبوذيين ؛ وجزر نيكوبار الغير الصحية ؛ وارخبيل مرغي الذي يتحكم ببرزخ ، كرا ، وساحل تناسريم ؛ وشبه جزيرة مالاكا وموقعها الهام سنفافورة ؛

واخيراً ساراواك الممتدة في طرف بحر الصين الجنوبي التي تراقبها انكلترا منذ استيلائها على جزيرة لابوان: واضيفت الى ساراواك و بورنيو الشالية الانكليزية التي وليت عليها شركة ذات امتياز وراقبت ، بفضل سندكان ، المر الكائن بين الفيلبين الاسبانية والانسولند النرلندية .

اذا ما نظرنا الى بورما من البحر لرأينا انها تضم دلت الايراوادي الكبرى المشهورة بزراعة الارز وساحلا غنيا بشق انواع الاسماك. وجاورت البنغال من قبل مملكة بوذية اسسهادالومبرا، في القرن الثامن عشر ، فقرضت سيادتها على و اراكان ، و و بيغو ، و و تناسر ، وهسددت و اسام ، وبعد حملة عسيرة ثبتت شركة الهند اقدامها في اسام ومانيبور واستولت على اراكان و تناسر م . ثم احتلت، دون ان تصادف مقاومة، بيغو المشهورة بالكاد الهندي الذي يستخرج منه صباغ قاتم تصبغ به الاقمشة القطنية ، فنأسست من ثم بورما البريطانية . فانكفأت مملكة بورما منذئذ الى الداخل ولم تتمتم بعد ذلك الا بكيان مؤقت ، اذ ان الاستكشافات أثبتت اهمية المسالك المؤدية الى الميكونغ الاعلى والصين الجنوبية، وغنى البلاد بالحجارة الكريمة وخشب المنك المؤدية الى الميكونغ الاعلى والصين الجنوبية، وغنى البلاد بالحجارة الكريمة وخشب المنك المؤدية الى الميكونغ الاعلى والصين الجنوبية، وغنى البلاد بالحجارة الكريمة وخشب المنك المؤدية الى الميكونغ الاعلى والصين الجنوبية، وغنى البلاد بالحجارة الكريمة وخشب المنك المؤدية الى الميكونغ الاعلى والصين الجنوبية، وغنى البلاد بالحجارة الكريمة وخشب المنك المؤدية الى الميكونغ المهورة بالمة ، عاومة باسلة ،

تضم بورما الجبلية ، بالاضافة الى الدسان ، والدكاني ، والبيغوبين ، عسدداً من القبائل الوثنية . وقد استطاع البريطانيون الاعتاد على البيغوبين والدكارين ، للوقوف في وجه الكاني عند الحدود الصينية والدكاين ، الحرابين ؛ ولكنهم لم يحققوا التهدئة قبل توقيع اتفاقيات الحدود في السنة ١٨٩٣ . فوضموا نصب اعينهم جعل الدلتا قادرة على تصدير الارز ؛ فست الحاجة الى طلب يد عاملة اضافية انوا بها من البنغال ؛ فاصبحت رانفون من ثم احدى الم اسواق الحبوب في آسيا الجنوبية . ونقل خشب التك الى د مولين ، بواسطة الانهر التي نقل من قبل الى ضفافها على ظهور الفيلة . وفي جوار د ماندلاي ، استخرجت الحجارة الكريمة وحفرت آبار البترول ، وقد ابدى ليوتي هذه الملاحظة : د ما ان تحقق الفتح حتى بوشر العمل الجدي ؛ فبنيت ، انطلاقاً من المرافىء ، مئات الكيومترات من الخطوط الحديدة التي حادث الايراواوي الى ابعد مسن ماندلاي وما لبثت ان اتصلت بكلكونا . لم تضع دقيقة واحدة ، وقد طبقت الطريقة الادارية السليمة المتحنة على ايدي موظفين يعرفونها تمام المعرفة ولا يتلسون طريقهم ؛ فباستطاعة المهاجر المستعمر ان يأتى بعد ان أعد له سربره » .

ان شبه الجزيرة الماليزية القليلة السكان ، لم تلفت الانتباه عرزاتها بقدر ما لفتته عفارسها . فان استثار النارجيل والتوابل قيد تحقق منذ اوائل القرن بواسطة عبيد يباعون في جزيرة د بنانغ » ؟ ثم اتسعت زراعة قصب السحكر وشجرة الشاي وشجرة البن ، فلجأ المسؤولون الى عمال هنود وسيلانيين . ثم تعرضت الاحراج لعملية نهب حقيقية . ولحكن الم حدث كان ظهور مناجم القصدير التي أمنت الشهرة لـ د مالاكا » . فتدخل البربطانيون حين حدثت الاضطرابات بين عمال المناجم الصينيين في د بيراك » ؛ وقضوا في الوقت نفسه على اعمال القرصنة الماليزيسة

في تلك الجهات .

وكانت جزيرة وبنانغه، التي احتلت في السنة ١٧٨٦ ، قد أثارت اهتام ولسلي الذي سيعرف باسم ولنغتون ، فجددت و شركة الصهر المحدودة ، تنقية القصدير في الممل الذي كانالصينيون قد أسبوه فيها . ولكن سنفافورة فاقتها اهمية الى حد بعيد . فمنذ ان ابتاعها و رافساز ، ، مثل شركة الهند ، من سلطان جوهور ، أصبحت قرية الصيادين هذه ، المحاطسة بالمستنقمات والمياه ، سوقا تجارية خارجية عظيمة تدفق عليها كل من تستهويهم النجارة ، والعمل في الزراعة والمناجم بموجب عقد اجار لمدة ثلاثاثة يوم . وفي السنة ١٨٦٩ احصى و لودوفيك دي بوفوار ، في برجابلهذا ، ١ اللف سيني و ١٦ الف هندي و ٧ آلاف جاواني و ٢ آلاف عربي وارمنا وفرسا ويهودا ، وبضع مثات من الاوروبيين فقط . وقد بلغ عدد سكانها ١٦٠ الف نسمة في السنة ١٨٥٠ . وكان النساس يتجولون فيها بواسطة الحافلة الكهربائيسة أو جنريكيشا ، اليابنية _ كرسي ذو عجلتين يجره العامل الآسيوي الذي يضنيه هذا العمل . ومنذ السنة ، ١٩٠ اكتشف مصدر جديد للثروة هو مفارس اشجار المطاط التي اجتذبت رؤوس اموال كبرى ويداً عاملة وفيرة . وبفضل هذه القاعدة البحرية ، رافبت بريطانيا العظمى مستممرات المضائق القريبة من اليابسة وحلف الدول الماليزية الإسلامية المحافظة على سلاطينها وراجاواتها . فوطدت تفوقها ونفوذها بين الحيط الهندي وبحار الشرق الاقصى عند مداخسل الارخبيل الاندونيسي الواسع الاطراف .

ان الارخبيل الذي اعدادته بريطانيا العظمى لهولندا في السنة ١٨١٥ شعرب الانسولند يجمع بين العالم الاوقيانوسي وآسيا معاً. وهو يقوم بين خطي السرطان والجدي ويؤلف الى الفرب جزءاً من منطقة الارياح الموسمية ويضم الى الشرق جزراً عديدة اكدثر جفافاً. وتتجاور فيه مناطق مكتظة بالسكان ومناطق شبه مقفرة وتجانب حضارات زراعة الارز المتقدمة التي يتعاطاها اهل القرار حضارات الشعوب البدائية المتأخرة. وقد جاءه الأسلام من آسيا واقتطع فيه مناطق واسمعة كثيرة السكان ، ولكن التأثيرات البراهانية والبوذية القديمة قد طبعت روح البلدان الانسولندية ولفتها وفنها وتنظيمها بطابسم لايطمس ولا ينطمس.

هنا كما في كافة المحاء آسيا القريبة ، تماطى السكان البدائيون قطف الثهار والقنص والصيد. الا انهم تطوروا احياناً: ونورد هنا مثل الدو كو به في سومطرا الذين تحولوا الى زراعية الارز. ولم يختلف نوع معيشة بعض الشعوب الاندونيسية اختلافياً كبيراً: كالدباساب ، في بورنيو مثلاً. ولكن معظم هذه الشعوب زاول اقله زراعة الدولادانغ ، في الاراضني الحرجية الحرقة: هذا ما فعله الدوليك ، في بورنيو الذين لم يؤمنوا معيشتهم من زوارقهم او من جهم عاصيل الغابات او من طحين نخل الهند ؛ وهكذا فعل كذايك الدوباتك الدوباتك ي في سومطرا الذين عاصيل الغابات او من طحين نخل الهند ؛ وهكذا فعل كذايك الدوباتك ، وانتشرت في معظم المناطق

الجبلية زراعة اله و ساوا ، المعول فيها على المياه الخزنة ؟ وقسد نهضت بها الجواميس في الغرب والثيران في الشرق ؟ ولكنها استازمت نقل الغراس ونزع الاعشاب المضرة ؟ وثبتت الفلاح في ارضه : فغالباً ما بني المسكن على الاوتاد وتحصنت الغرية . وانتشرت كذلك في كل مكان تقنيات صناعة الخشب اليدوية وصناعة الخزف وصناعة المذاري والسلال ؟ واشتهرت شفار المناجر المعروفة بالخناجر الماليزية ومجوهرات سلطنة « برونيي » في شمالي بورنيو .

الماليزيون هم الاندونيسيون المستوطنون الشواطىء الذين اختلطوا بالشعوب الاخرى وتطوروا بتأثير الحضارات الهندية والعربية والصينية والاوروبية اخيراً. اجل قد يحدث لهم ان يحبوا الارهن ويعتنوا بزراعتها ؛ ولكنهم يؤثرون البحر والتجارة والصيد وحتى القرصنة ؛ وينهمكون بشغف في المقامرة واللعب والمنبهات، ويافت الانتباه انك تجد في جاوا وحدها الامثلة الثلاثة ، سوداني الفرب الذي يناقض بطبعه الخشن جاواني الوسط الهادىء الكسول ، بينا يبذل المادورى الشرق ، اليابس الطينة ، مزيداً من الجهد في العمل.

ان الحضارة الهندية الفنية بذكرياتها قد عرفت الديومة في وسط جاوا بابنيتها وشفل المعادن الثمينة والرقصات والمسرح و واجانغ ، وخلفت كذلك الطبقة المقفلة وروح الطاعة للراجا. وفي بالي حافظت الديانة البراهانية على حرارتها التي جعلها الايان المناصل بالارواح اشد تحميسا وتهييجاً . وقد تمتع العرب ، على قلة عدده ، بنفوذ اكتسبوه من دين اصبح مسيطراً ومن مواهبهم التجارية . وقد وجدوا حتى في و المولوك ، التي تصدر القرنفل والقرفة وجوز الطيب الى اوروبا . وهو اسلام غوجرات الذي انتشر في الجزر الكبرى . وكان له اشياعه المتعصبون في اتجه من أعمال سومطرا وفي و بالمجارسن » من اعمال جنوب بورنيو وفي لومبوك . وقد واصل بنجاح نسبي هدي الوثنيين . وأرسل الى مكة عدداً كبيراً من الحجاج وضم اليه المهاجرين الى الهند الاسلامية . وأقام سلطنات قاومت الاوروبين مقاومة غير متعسادلة . ولم

ارتفع عدد الصينيين من ١٠٠ الف في السنة ١٨٠٠ الى ٥٠٠ الف في السنة ١٩٠٠ وقسمه خشيهم الماليزيون ، وغالباً ما زاحموا العرب في التجارة، وكانوا وسطاء نافعين في اعين الهولنديين لاقامة العلائق بالامبراطورية السهاوية ، فوقتنوا املاكاً واسعة وباشروا استمار باطن الارض باللجوء الى العمل الالزامي .

ترك الهولنديون على وضائم شركة الهند الشرقية و تحرث البحار». واتما استثمار الهند النيرلندية اكرهوا شيئاً فشيئاً على احتلال الجزر الكبرى والصغرى احتلالا فعلياً. وعلى الرغم من ذلك فقد حصروا مجهودهم العسكري فاترة طويلة ؛ الا انهم اضطروا بعد السنة ١٨٧٠ الى استباق دول .. ألمانيا وبريطانيا العظمى في الدرجة الاولى .. قد تنازعهم امتلاك الاقالم التي لما يرفر ف فوقها العلم الهولندي واضف الى ذلك انهم أرغموا منجهة ثانية على جمع قواهم في سومطرا حيث

صادفوا خصوماً أقوياء . قان سلاطين اتجه ، في طسرف الجزيرة الشسمالي الشرق ، قد دافعوا بعناد عن استقسلال شجعه البريطانيون في البلاد . أما في جاوا فقسد انتهى عهد الحروب منذ السنة ١٨٢٩ بخضوع سلطان د جوجـــا كارنا ، . وفي بورنيو ، حيث سقت انكاترا هولندا من الجية الشالمة ، ثبتت هولندا اقدامها في شاطسيء « بانجر ماسن » المشهور بفلفله وماسه ؛ ثم اخضعت بصعوبة المناطق الغنية بالذهب المعروفة بـ ﴿ الصَّمْنَةُ ﴾: سامنا ولنداك ؛ وان ما استهواها في بانجر ما<mark>سن هو الماس</mark> قبل الفلفل ؛ ولكن المناطق الداخلسة في هذه الارض الكبرى بقيت باثرة ومقفرة . وكذلك لم يخضم اله طوراجا ، في «السيليب ، للادارة المقامة في « ما كاسار » الى الجنوب وفي ميناهاسا الى الشال . وعلى الرهم من قرب بالى ولومبوك من جاوا ؟ فانها لم تخضعا نهائيا الا في السنة ١٨٩٤ والسنة ١٩٠٨ . ولم تسيطر هولندا الا سيطرة اسمية على جزر السوند الشرقية حتى اليوم الذي جرت فيه القسمة بينها وبين البرتغال التي احتفظت بشرقي تبمور . وما عاد<mark>ت هولندا</mark> لتهتم به و فاوريس » وسومبا وممتلكاتها في ا غينيا الجديدة . فان عالم البابو قد أخمد همة تجار امستردام الذين اكتفوا بالمكاسب التي ما زالت الولوك توفرها لهم ؛ وقد اقتصر الاحتلال عملياً على الجزر الصفرى الفنية بالتوابل: ترنات، باندا ، ولا سيا امبوان ، وتستثنى منها سيرام وهالما _ هيرا الجبليتان والمفطاتان بالغابات . وفي الحقيقة انتقل مركز الثقل الاقتصادي نهائيا من المولوك هذه اللق فقدت منزلته_ ا ، الى الجزء الغربي من الانسولند ولا سما جاوا .

اثناء الاحتلال البريطاني، قاوم « رافلان ، الحاكم بالوكالة ، الميثاق الاستمهاري الاحتكاري وشجع التجارة الحرة واستبدل الضرائب بضريبة عقارية تحدد وفاقساً لمسح الاراضي .

بعد السنة ١٨١٥ توجب على الهولنديين بذل مجهود عسكري ومجهود مالي كبيرين . فعادوا من ثم الى الروح التجارية والاحتكار . ولم يكن المطاع ب ان لا تكلف المستمسرات الوطن الام شيئاً فحسب بل ان توفي قسطها في اثرائه ايضاً اضف الى ذلك ان وفان دن بوشه الذي كان على اتفاق مع الملك غليوم الارل ، لم يأت بجديد : فجدد هذا الاخير امتياز شركه الهنسد الشرقية وأعطاه شركا نيرلندية ذات امتياز ؟ وعم نظام المزروعات الالزامية الذي لم يلف الاركليز . فكان على الفلاح ان يعمل في الاراضي الخصصة لهذه المزروعات على ان يعفسى من الاستبداد المستنير وذهب بعضهم الى حد الضريبة المقارية . فبدا هذا البرنامج و كأنه مستوحى من الاستبداد المستنير وذهب بعضهم الى حد اعتباره برنامجاً يستهدف خير البش .

لعل زراعة المناطق الحارة التي أدارها الاوروبيون وأعدوا منتجاتها للتصدير ، لم تعرف في أي مكان آخر مثل النجاح الذي عرفته . ولما كانت سياسة حكومة لاهاي لم تهدف الى تشجيع استعمار التوطين ، فهو الموظف من كان وراء نمو الاقتصاد الذي خضع لنشاط منتظم ومنطقي . فمن التطبيقات الموفقة للعلوم الطبيعية تحسين انواع البن وانتقاء اصناف القصب بغية

حمايتها من طفيلي خفي اللواقح ، وتبليد الكينا البوليفية بانتظار تبليد شجرة المطاطالبرازيلية . وقد وفر البن والشاي والتبغ والنيلج والسكر والفلفل والقرفة ارباحاً طائلة (فائض بلغ ١٨٣٧ مليول فنورين بين السنة ١٨٣٠ والسنة ١٨٧٧) . فكان للاختبار اثره حتى بعد ان استهدف النقد : فان كتاب الانكليزي و موني » ، وجاوا ، او كيف يجب ان تدار المستعمرة» الذي صدر في السنة ١٨٦١ ، قد أثار حركة في الرأي المام اللندني من اجل ادخال النظام الى جزيرة جامايكا السائرة في طريق الهبوط والى الهندالتي طولب بزراعة النيلج فيها .

ولكن التجاوزات اصبحت فاحشة . فان الرواية التي نشرها و ادوارد دويس ــ دكسر » ، اسم و مولتاتولي ، المستمار ، وتحت عنوان و ماكس هافلار » ، قد وفر لها بجرد علنية واسعة في السنة ١٨٦٠ ، حين كانت المبادى المعادية للرق آخذة في الانتشار . فمنـــ السنة ١٨٤٣ و ١٨٥٠ و منتين مرعبت ن . ولم الهند النير لندية تعاني من الجدب ، لا بل كانت السنتان ١٨٤٩ و ١٨٥٠ سنتين مرعبت ن . ولم يعد محنا اخفاء ابتزازات زعاء القرى الذين اعتبروا وكلاء مسؤولين والذين حصاوا على اراض وراثية مكافأة لهم على خدماتهم ، اقطمهم اياها الموظفون المولنديون مقابـــل انتقاضات ، ومتمهدو المغارس ــ الذين قد يكونون صينيين احيانا: فقد فرض مئتان وحتى ثلاثائة يوم عملا، وصودر الاشخاص لاجل تجهيز الطرقات والمرافىء ، واستمر في المطالبة بدفع الضريبة المقارية ، وما زال الوكلاء البديون ، المختارون من بين الاقطاعين ، يلجأون الى الاقتسارات ويجبون بقايا فم اثب السابقة .

في هذه الاثناء حدثت الازمة الاقتصادية في اوروبا بين السنة ١٨٤٥ والسنة ١٨٤٥ و
وجوجب ملحق لدستور هولندا الجديد انتزعت من التاج ادارة الشؤون الاستعارية . فكان
ذلك بمثابة انكار لنظام و فان دن بوش ، . وقضت قوانين زراعية بالفاء الاعمال الزراعيسة
الالزامية ، كا زالت الحقوق التفضيلية بفضل النظام الجمركي الحر . ولكن الدولةوالشركة ذات
الامتياز تواريتا بجرد توار أمام بعض الشركات الرأسماليسة التي لم تتخل ، من حيث المبدأ ،
عسن العمل الالزامي ، ولم تسلم به بادى وذي بدء الا في زراعة الشاي والنيلسج والتبغ
والتوابل ، اعتباراً منها أن عدداً من هذه المنتجات اقل دخلا ؛ وعلى الرغم من ذلك فقسد
خصصت مساحات اضافية لزراعة شجرة البن وقصب السكر وشجرة الكينا ، كا اتسمت
زراعة التبغ اتساعاً عظيماً في سومطرا ؛ ثم انخفض انتاج السكر والبن بدورها بسبب انخفاض
اسعارها . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان رؤوس الاموال اخذت توظف في حفر آبار البترول
وفي مناجم القصدير ومفارس اشجار المطاط . وتحول الانتباه ، دون ان يتحول عن جاوا ،
الى الاراضي الواسعة الاخرى التي اخذت المكاناتها الكبرى تبرز شيئاً فشيئاً .

ولكن الواقع الهام ما زال الاولوية الجاوانية . ففي الجزيرة البالغة مساحتها ١٣٠ الف كياومتر مربع ، كان عدد السكان زهاء ٢٨ مليون نسمة مقابل ه ملايين في أوائسل القرن : ومما يجمل هذه الكثافة جديرة بالاعتبار ان جزر الارخبيل الآجرى كانت شه مقفرة . وقسد

ثباهى الهولنديون بالنتيجة التي عزوها الى ظروف صحية وغذائية دونها الظروف المتوفسرة للهند . اما الحقيقة فهي ان جاوا ، المتوسطة المساحة ، كانت أفضل إعداداً لادارة حازمة ولتجهيز أوفر دخلا . أضف الى ذلك ان خبرة دائرة الشؤون المائية في هولندا قد ساعدت كثيراً على تجنب تجدد الجاعات الكبرى بفضل تحقيق مشروع ري عظيم . اجل لم يدخسل المدرسة سوى أقلية ضئيلة ، ولكن التلقيع ضد الجدري قد اعتمد بنجاح والكوليوا والطاعون قد كوفحا ببعض الجدوى ايضاً . ولا مراء كذلك في نفعية المستعمر ، ولكنه احترم النظام الاجتاعي جهد الامكان مكتفياً بالتوفيق بينه وبين حاجاته الخاصة . وعلى غرار البربطانيين في الهند ، احسن معاملة السلاطين الذين قبلوا بخدمته : ٤ فقط في جاوا ، ولا اقل من ١٤٣ في سومطرا . وقد ذكر « بوفوار » ان سلاطين جاوا انما م « رهائن عاجزة رفعها المستعمروت على قواعد مرتفعة بفية تمويه الميثاق العظيم الذي يربط ، بالقوة والحبة مما ، بين العرق المسود وأسياده الاوروبيين » . واحيط الوكلاء بالاحترام وأغدق عليهم المال ، ولكنهم كانوا عرضة المعزل ، وقد اختيروا من بين العائلات الكبرى بغية نقل رغبات البيض الى زعماء القرى الذين مارسوا السلطة الفعلية الوحيدة برقابة الموظفين النير لنديين .

ادار هذا الاستمار عدد محدود جداً من الهولنديين لم يجاوز ٢٠ الفاً مقابل ٣٠٠ السف صيني وزهاء ٣٠ مليون بلدي ، وقد بقيت الدوائر والمخازن في بانافيا قريبة من المدينة القديمة والمرفأ . ولكن المدن المرتفعة ، كرو ولتردن ، المشهورة بجساكنها المحفوفسة بالحدائق ، و د بويتنزورغ » حيث يقيم الحاكم العام ، قد وفرت لمواليد الوطن الام الرفاهية والصحمة في منطقة استوائمة المناخ .

على نقيض الهولنديين ، حاول الاسبانيون ، في ممتلكاتهم الهيلسينية القديمة ، تمثيل السكان البلديين . فقد بجح الكيروس غيور وقوي في تبشير ال « تاغال » اللطفاء . ولكنه تمثيل على بعض السطحية في الواقع : اذ أن عدم أكثرات الشعب النسبي قد سهل عمل « الاب » الذي حاول من جهة ثانية حاية رعيته من الزعم البلدي . وتميزت الادارة بالخمول والبلادة . فلم تقرر مدريد الاستيلاء على « مندناوو » و « جولو » حيث سيطر الاسلام في أوساط اله « موروس » (الذين يقابلهم الهنود) الا رداً على احتلال بورنيو وسيليب احتلالا فعليا . وبقي داخل « لوسون » موطن الهوغاوو » « المتوحشين » الذن برعوا في زراعة الارز في السطوح الترابية المتعاقبة .

تبدو الحياة في مانيلا مرحة وميسورة . ولكن التجارة ليست في ايدي الاسبانيين ؛ فمنذ السنة ١٨١١ لا تتجه أية سفينة كبيرة نحسو اسبانيا الجديدة ، بيسنا تنقل السفن الانكليزية والاميركية الدو اباكا ، (او قنب مانيلا) والسكر ، وتأتي بالارز والنسائج . وبالنظر الى . تزيد عدد السكان تزايداً سريماً (بلغوا ه ملايين في السنة ١٨٩٠) ، يتفاقم الشقاء والضيقة

وفي السنة ١٨٧٢ تستلزم خطورة الاضطرابات إرسال قوى مسلحة اضافية . وفي عهد لاحـــق تتسبب ثلاثة حصائد ماحلة متوالية في جدوبة وعوز خطيرين .

نشأت طبقة خلاسية انبقة تلم" بالاسبانية الم تخف استبادها من تهامل الوطن الام وامتيازات الاكليروس. والحال نفت مدريد بسدون ترو" الى لوسون بعض المنادين بالحرية والاباحيسين والماسونيين الذين اسهموا في نشر فكرة محاربة الاكليروس. وفي السنة ١٨٩٦ اعلنت بعض الجمعيات السرية (« كاتيبونام ») ثورة شاملة لم تقمع بسهولة ؛ لا بل ان الثوار ؛ بقيادة اغيذالدو ، لم يلقوا السلاح الا بعد الحصول على وعد ببعض الاصلاحات. وحين لم يتحقق الوعد المقطوع لم ، تحولوا الى الامير كيين الذين ساعدوهم على ظرد الاسبانيين. فخاب املهم مرة أخرى اذ من الامير كيين رفضوا التخلي عن الارخبيل. فنشب آنذاك صراع جديسيد ضار ؛ ولكن الفيلينيين هزموا في السنة ١٩٠٢ فاستبدلوا نيراً بآخر.

كان احد الشعوب الدولي على على المنطقة الدول السيامية الاستعمارية وهو مدين بهذه النعمة لموقعه الجفراني في وسط شبسه الجزيرة الهندية الصينية بين بورما الخاضعة السيطرة البريطانية والجزء الشرقي من شبه الجزيرة هذه الذي احتلته فرنسا .

تنطبق سيام جغرافيا على حوض « مينام » الذي استوطنه الد « تاي » واسسوا فيه عداً من المالك حدول « كسينفهاي » في الشيال و « افسو – تيا » في الجنوب . ثم حدث ان هزم البورمانيون السياميين واخضعوه » فأسس هؤلاء إمارة جديدة مركزه ما بانكوك » وباشرت سلالتهم الجديدة (سلالة شاكري) حركة توسعية باتجاه نهر ميكونغ وشبه الجزيرة الماليزية مخضعين في الوقت نفسه المنطقتين الجنوبيتين الجبليتين : مينام العليا وميبنغ . وفي عهد مونفكوت اقفلوا حدودهم في وجه الارساليات التبشيرية المسيحية ، ولكنهم وقعوا مماهدات تجارية مع الدول الاوروبية وحاربوا فيتنام التي تقدمت بدووها نحو الغرب انطلاقا من الجبال الأنامية من الجل السيطرة على كمبوديا. وتوصلوا في فترة من الزمن الى السيطرة على دول من الجبال الأنامية من الجل السيطرة على كمبوديا. وتوصلوا في فترة من الزمن الى السيطرة على دول دشو نلالونفكورن » ، الذي ربته امرأة انكليزية وعلم اولاده في انكلارا » الاعتاد نهائياً على لندن : فجهز بعض السفن الصفيرة بالمدافع وزود جيوشه ببنادق « موزر » . وحين اصر على الاحتفاظ بولايق « باتبانغ » و « سيمرياب » الكمبوديتين سعت ملكية « بنوم – بنه » وراء الاعتاد على فرنسا . فاضطر الى التراجع في السنة ١٨٩٣ » ولكنه احتفظ بنف ذ عريض الى المحودة على طردن عبر حوض « سيمون » .

لم يكن عدد سكان سيام مرتفعاً – ستة ملايين نسمة (اي بمعدل ١٠ في الكيلومتر المربسع) ــ وقد شمل ثلثاً من التابي الودعاء والصبراء والمجاملين والراغبين في الاحتفالات والدائنين ببوذية تتفق وسلطة الرهبان ، وثلثاً آخر من الصينيين ارباب الاعمال في بانكوك ، وثلثاً اخيراً مــن الاقليات البورمانية والماليزية واللاوسية المقيمة عند حدود البلاد . وكانت الدولة السياميــة

ملكية بطريركية : فان الملك ، وسيد الاشخاص والممتلكات » ، يتولى الحكم مع طبقة من النبلاء ، بينا تفرض على جمامير الفلاحين اعمال التسخير الملكية التي توازي شهرين أو ثلاثمة اشهر عملاً . وقد صدّرت البسلاد الارز وخشب التك . وافتقرت زمناً طويلاً الى الطرقسات والخطوط الحديدية ، ولكن مؤسسة المانية جهزتها بشبكة تلفرافية . وقسد تأمنت علائقها الاقتصادية بالخارج بواسطة سنغافوره .

فيتنام ولاوس وكمبوديا قبل التدخل الفرنسي

في الشرق ، كما في الغرب والوسط ، تبرز المضادة القوية بين الاراضي المنخفضة والجبال في شبه جزيرة الهند الصينية هذه التي تنازعها - كما يدل على ذلك اسمها - النفوذان الهندي

والصيني . وإذا كان النفوذ الاول قد اتسع في حوضي مينام وميكونغ في عهد الامبراطورية الخيرية ، فأن ردة الفعل التي حدثت لمصلحة النفوذ الثاني توافق تقدم الفيتناميين على طول الساحل الشرقي وفي دلتا الانهر ، اما التاي - سواء اعتنقوا البراهمانية ام لا - والبدائيين فقد احتموا بالجبال .

ان التجمعات البشرية الكثيفة في دلنا الانهر قد أعطت الشعب الفيتنامي ، المزدحم فيها ، تفوقاً لا جدال فيه . فحوالي السنة ١٨٩٠ قدرت كثافية السكان في تونكين بـ ٥٠ نسمة في الكياومة المربع ، وفي كوشنشين بـ ٣٠ ، وفي النام بين ٢٠ و ٣٠ ، وجلهم في البلدان الثلاث من الفيتناميين ، مقابل ١٠ فقط في كمبوديا و ٣ في لاوس ؛ وبلفت الكثافة بين ١٥٠ و ٢٠٠٠ في دلتا النهر الاحمر ، اما في كمبوديا فقد ضم سهل « بنوم – بنه ، ثلاثة ارباع سكان الملكة.

خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وبينا كانت الدولة السيامية آخذة في التجدد في حوض مينام ، توطعت شيئاً فشيئاً اركان امبراطورية فيتنامية مرتكزة الى امتلاك تونكين في الشمال وانتام في الوسط و كوشنشين في الجنوب ، وقد نهض بهذا العمل و نغوين — انه ، الذي حمل بعد ذلك اسم و جيا – لونع ، و وكان اشهر بمثل لسلالة نغوين التي تولت الحكم في هويه ، فطلب اسلحة من الفرنسيين من لمجل تحقيق الوحدة ؟ ثم ولى وجهسه شطر الصين ليلتمس منها التنصيب التقليدي وقبل منها باسم فيتنام (ومعناها بلاد الجنوب) واقتبس عنها ليلتمس منها التنصيب التقليدي وقبل منها باسم فيتنام (ومعناها بلاد الجنوب) واقتبس عنها مجموعة قوانينها وتنظيمها السياسي — الاداري وسخو النظام لاعادة بناء السدود في تونكين وانشاء الطرق وتجزين الارز ، فتجبر ورفض هدايا لويس الثامن عشر ولكنه عرف الجيسل فأكرم الفرنسيين الباقين في خدمته .

تربيع من ثم على عرش فيتنام ملك مارس ، على غرار امبراطور الصين ، سلطة مستمدة من السياء ، وكان عليه ميارستها من اجل خير كافة رعاياه . ولكنه استند عمليا الى المثقفيين المختارين عن طريق المباراة بين اولئك الذين حصلوا العلم في مدرسة تلقن الواحبات نحو العائلة والمعولة . وأسهمت روح القانون ، الذي نشر في السنة ١٨١٢ ، في تحويل نشاط هذا الحسيم

شطر التقليد الفلسفي والاخلاقي بالتفضيل على التجديدات التقنية . فاصبح واجـــب الملكية المطلقة ، والحالة هذه ، ضمان حياة الجماعة المرتكزة الى زراعة الارز وعبادة الجدود .

استلزمت زراعة الارز المنتجة طاقة بشرية عظيمة ، اذ ان الصيد والصناعة اليدوية ما كانا الموفرا سوى دخول محدودة وان كانت جلية الفائدة . وقامت في كوشنشين ، المحتلة حديثا ، الملك كبرى كان مزارعوها (تاديان) المدينون تحت رحمة المرابين. وقد شد التضامن الضروري من أجل تنظيم العمل روابط الجاعة ، واتاحت التماونيات (هوي) مواجهة الحاجات الملحة . وألف الد هو ، او الد توو ، الحلية المائلية التي تكتنف حياة الفرد في جميع مظاهرها ؛ وما زالت السلطة الأبوية اقوى سلطة حتى بعد ان حد منها قانون جيا – لونغ ؛ وقد جياء في احد الامثال السائرة ان سلطة الملك تنحني امام العرف الحلى .

تحذر خلفاء جيا – لونغ من مخسالطة الاوروبيين ، بدافع من حرصهم على صيانة مؤسسات المبراطوريتهم ، فانتهجوا سياسة اضطهاد المرسلين وحظروا المسيحية . وقسد جاء في مرسوم السنة ١٨٣٣ ان و هذه الديانسة مجموعة من الأكاذيب ، وجزم و تو – دوك ، بدوره في السنة ١٨٥٠ بانها و ديانة فاسدة لانها لا تنطوي على واجب عبادة الانسباء المتوفين » . لذلك ارتدت حملة السنة ١٨٥٨ ، التي استهلت التدخل الفرنسي في شؤون بلاد يطلق عليها الفرب اسم انام ، طابع الحرب الصليبة .

لم يبقى من الامبراطورية الخيرية القديمة سوى مملكة على بعض الصغر مقتصرة على منطقية الميكونغ بين كوشنشين وشلالات وخون ، وبعد ان فقدت كوشنشين اي منفذها الى البحر ، تعرضت هذه المملكة لغزو السياميين المتقدمين حتى وترنيلي - ساب ، ثم خضمت لسيطرة سيامية فيتنامية مشتركة عقبتها حماية سيامية حقيقية . ولم يتمكن الملكك و نورودوم ، من التخلص من وصاية بانكوك الا بطلب حماية فرنسا .

بموجب حماية السنة ١٨٦٣ حق لفرنسا ان تتمثل بمقيم عام في بنوم - بنه كاحصات على حرية التجارة والتملك لمواطنيها وحرية العبادة والتمليم للكنيسة الكاثوليكية . ولم يطرأ في الظاهر اي تبديل على التنظيم التسلسلي الذي يضمن تلاحم الدولة . ولكن هذه الاخيرة فت في عضدها بفمل خلافات المائلة الملكية ودسائس الزبانية التي توجب على السلالة مراعاة حانها ولم تتصف الحياة المائلية بصفتها الالزامية في فيتنام وقد حمل الفرد اسما شخصيا . فتوزع السكان ولم تتعرف زراعة الارز نشاطها في دلتا الانهر آثر الكبودي تربية الثيران والابقار الهندية ، والسيد في البحيرة الكبرى الفنية بالاسماك والقبض على الفيلة وترويضها . وتميزت البلاد في الدرجة الاولى بروح بوذية تأملية هي روح والمركب الصفير » . وقد وفر مثل هذه المبادة تعزية كبرى للمؤمنين . وقاد مقاومة عنيدة المام الاحتلال الاوروبي .

اختلط الـ « مان » والـ « ميو » بالشعبين الذين اتبا من الصين وعاشا حياة بدوية زراعية تعرف

يد راي ، وواصلوا اغاراتهم عبر الجبال المرتفعة خلال النصف الاول من القرن . وتجمعوا ، شان التاي والد موونغ ، في الوديان اللاوسية حيث يزرع الارز بجزيد من السهولة. وقد توفرت لهؤلاء الأخيرين تقنيات اكثر تطوراً من تقنيات الجبليين الذين لحقوا بهم ، او من تقنيات البدائيين (هؤلاء الدخا » هم انفسهم الدموي » الذين يتكلم عنهم الفيتناميون ، والد بنونسغ » الذين يتكلم عنهم الكبوديون ، وقد انتشر واحتى في انام الجنوبية بين مجازد آي للو » والد دوناي ») . وان ما ميز التاي والمورنغ اجتاعياً هو التنظيم الاقطاعي الذي بموجه ورع الاسياد ارزم بتسخير الفلاحين وأخضعوا الخالنظام الفدادية . اما التاي الذين تأثر وا تأثراً عيقاً بالروح البوذية وعاشوا في سهول الاحواض فميشتهم شبيهة بميشة الكبوديين . واما المرأة فمغناجة وتحب التزين وتتمتع مجرية كبرى ، وتسكن مع زوجها في بيت الها.

ان تقسيم البلاد الطبيعي ليفسر تجزئتها الى امارات عجزت ابداً عن الانحاد في دولة واحدة. وعلى غرار كبوديا، تعرضت اللاوس لفزوات السياميين والفيتناميين معا بسبب رغبة هؤلاء واولئك في الوصول الى الميكون على الاوسط . ولكن نائب القنصل الفرنسي ، و اوغست بافي ، توفق الى وصل تونكين ولاوس وادخال الميو والتاي الجبليين في منطقة النفوذ الفرنسي . فوضعت لاوس تحت الحماية الفرنسي . فوضعت الحماية الفرنسية في السنة ١٨٩٣ .

في الوقت الذي تحررت فيه الضفة الشرقية لميكونسغ الاوسط من السيطرة السيامية ؟ المجزت فرنسا تأسيس اتحاد هندو – صيني ضم تحت اسم الهند الصينية بلدانا وشعوبا غير متلاحمة .

ارائل عهد الهند الصينية الفرنسية

توفق امير الات الامبراطورية الثانية ، بوسائل محدودة جداً ، وبمناسبة حرب ضد الصين ، الى احتلال نصف كوشنشين ؛ وبعد ذلك بفترة قصيرة سقط النصف الثاني بدون قتال ، ولم تستلزم الحماية على كبوديا عملية عسكرية ، ولكن الاستيلاء على انام وتونكين كان من الصعوبة بكان : اذلم يعتمد الامبراطور و تو حورك ، على مساندة الصينيين فحسب ، بل توجب على الجيش الفرنسي اجتياز مناطق جبلية وعرة والمحاربة في مناطق نائية قاسية المناخ مجهولة الموارد . فحتى بعد المحناء الصين ، وبعد اقامة الحاية في تونكين وانام ، استمر القتال حتى السنة ١٨٩٦ عنيا ومضنيا ، في الجبال القريبة من الحدود الصينية ، ولم تتوقف المقاومة الا بعد ان طبق و غالياني ، ورئيس اركان حربه و ليوتي ، خطة وبقعة الزيت ، وافتضى من جهة ثانية قمع ثورة نشبت في شمالي انام ، وحاولت كبوديا نفسها القيام بثورة للتخلص من معاهدة حماية جديدة قاسية الشروط ، وهكذا توصلت فرنسا ، بعد صراع ودباوماسية استفرقا اربعين سنة ، الى السيطرة على امبراطورية اوسع مساحة من اراضيها ، يتراوح سكانها بين ١٢ و ١٤ مليونسا موزعين توزعاً غير متساو على الماء الهند الصينية المختلفة .

وكبوديا بوزارة الحربية والمستعمرات ، وانام وتونكين بوزارة الخارجية . ولما كانت سياسة الحاية بواسطة الزعاء البلديين سياسة ذات حظوة حين تم الاستيلاء على كوشلشين ، عصب الاميرال و بونار ، ، على نقيض سلفه الاميرال و شارنر ، ، الى اعادة الادارة الحلية الى زعاء القرى . ولكن اندلاع الثورة اوقف الاختبار . فاتجه الاميرال و دي لا غارديير ، حينذاك الى اعتاد طريقة الايقاء على السلطات البلدية وربطها بادارات فرنسية يشرف عليها حاكم يعاونه عبلس استشاري خاص . ولما كان القانون الفرنسي لا يطبق الا على الفرنسيين ، ابقي على القانون المحلي بعد ان خففت المقوبات التي يفرضها . واتاحت اعمال المساحة توزيع الضريبة توزيعا عادلا ، وتألفت بعض فرق الجيش الانامية . وفي السنة ١٨٩٩ ، بعد ان آلت الادارة الى المدنيين ، احتفظ الموظفون الفرنسيون بادارة الشؤون العامة يعماونهم الاعيان الاناميون . والغيت اعال التسخير في الطرق ، واغا مست الحاجة الى تغذية الموازنة الاستمارية باحتكار ادارة الافيون والمواد الكحولة وبواسطة الرسوم على تصدير الارز ؛ فعدثت بعض التحاوزات .

اصبحت الحماية اكثر تضييقاً في كمبوديا في السنة ١٨٨٤ . وحين فقد الملك حقه المانع في تملك الارض ، لم يلبث ان اصبح في وضع مالي على بعض الصعوبة .

بوشر في الوقت نفسه تطبيق نظام الحماية على امبراطورية انام . فترأس المقيم المام في وهوبه ، مجلس الوزراء واشرف على ادارة دوائر الجرك والاشفال العامة . ونعمت تونكين باستقلال اداري ، كا أقرت لها موازنة خاصة . وقد حاول و بول برت ، الفيزيولوجي النابغة والكريم الاخلاق ، استمالة عواطف السكان ، فأقام علائق ودية بالامبراطور الجديد و دونغ خانه ، المتحلي بالظرافة واللطف ، الذي قربه اليه ؛ ولكنه لم يتمكن من التغلب على عداء المجلس . وخفف من وطأة اعهال التسخير ، ووزع المساعدات المالمة على الولايات التي خربتها الحرب ، واعفى من الضرائب المتأخرة ، واعاد بناء السدود . وكان علمانيا ، فاحترم العبادة المبدية وأوجب احترام الحربة الدينية . ورغب في التغلب على تقليدية المثقفين ، فأسس الكدية وأوجب احترام الحربة الدينية . ورغب في التغلب على تقليدية المثقفين ، فأسس اكاديمية تونكينية لتنشئة معاوني الادارة الفرنسية وفتح مدارس فرنسية انتامية على غرار المدارس المفتوحة في كوشنشين . وبعد محاولته تحقيق التهدئة في مناطق انتام الشالية والجنوبية ، توفي بسبب اصابته بمرض الزحار . وقد قاومه بعض المهاجرين المستعمرين والزعماء الحلين معا .

في السنة ١٨٨٧ ، ورغبة في تخفيض النفقات وتنسيق نشاط الاقاليم غير المسترابطة ترابطة وربطاً وثيقاً ، وجه و أتيان ، ووزارة المستعمرات اللسوم القاسي إلى الرو كي دورساي ، ، فأنشأ البرلمان الفرنسي الاتحاد الهندي الصيني وأسند ادارته إلى حاكم عام. ثم ما لبثت الدولة المستعمرة ان ضمت إلى هذا الاتحساد مدن توران وهانوي وهايفونغ المحصنة الهامة . ولكن الافتقار إلى موازنة عامة شل عمل الحكام العامين الاولين الذين تعاقبوا تعاقباً سريعاً . الا ان و لانسان ،

الذي آثر « على الحماية الماضية اللامبالية والجائرة » « حماية امينة على احترام القوانين والاعراف والمعقيدة والتنظيم الاجتماعي والسياسي والاداري في المبراطورية آنام » ، التمس محبة رعاياه او اقله ثقتهم : فأعفي من منصبه . وكان روسو اول من استحصل على قرض استعماري فسار بالهند الصنعة على طريقة « دومر » الحازمة .

بوشر بادى، ذي بد، استثار مناجم الفحم في دهونغاي ، ثم اكتشفت معادن مختلفة في تونكين لم تتوفر رؤوس الاموال لاستخراجها . ونقلت شحنة الشاي الاولى إلى فرنسا في السنة بدكين لم تتوفر رؤوس الاموال لاستخراجها . ونقلت شحنة الشاي الاولى إلى فرنسا في السنة غوا المروبيا ، واذا كان صحيحاً من جهة ثانية أن الشبكة التلف رافية قد انشئت وان سايفون نمت غوا اوروبيا ، وان هايفونغ جهز ميناؤها ، فان هانوي ليست بعد سوى مجموعة من القرى المتجاورة التي تحتاج الى مجهود تجهيزي كبير . واذا فاقت صادرات كوشنشين وارداتها ، فان كفة الواردات في الميزان التجارى في انتام وتونكين ما زالت راجحة .

ويجب الاعتراف بانالبؤس قد تعاظم بتزايدالكثافة وان الاعيان لم يلقوا سلاحهم الاظاهرياً.

ينا انتهت المبراطورية الصينية القسمية التاسع عشر اعادت السلالة المنسورية بناء الامبراطورية الصينية القسمية التاسع عشر اعادت السلالة المنسورية بناء الامبراطورية الصينية اوسع الدول الآسيوية اطلاقا الى حسد بعيد وقد 'ضمت اليها ممتلكات خارجية واسعة - منشوريا ، منفوليا سن - كيانغ ، تببت - امنت حسايتها من جهة بدو البورات ، فناءت بثقلها على مصائر الهنسد الصينية ، وتدخلت في النيبال، وعقدت مع روسيا اتفاقات تعترف لها مجسدود الارتمور ، وخط وساينسك ، والالتاي ، فكانت في الحفيقة وارض الوسط ، (تشونغ كوو) ، او والامسبراطورية الكبيرة الخالصة » والالتاي كالسياء . ومع ان شخصاً مساحتها ١١ مليون كيلوم تد مربع ونصف المليون ، والمحمية من السياء . ومع ان شخصاً واحداً لا يستطيع تقدير عدد سكانها ، فبمقدورنا ان نحلها في المرتبة المعدية الاولى (بين ٢٠٠٠ و و ١٠٠ مليون نسمة) .

وألفت كذلك أكبر مجتمع قروي في العالم ، منكب خير انكباب على العمل من أجل تأمين الغذاء اليومي في إطاري العائلة والقرية وفي كنف الجد دود ، وناظر الى السلطة الامبر اطورية الحامية كا الى شر لا بد منه . واذا لم يكن هناك من شمور قومي ، فان هذه الجاعات المقارية الكثيرة قد أحست ، بثقة وزهو ، بشعور انتسابها الى حضارة محسارمة يكمن سر تفوقها في انها تعرف وتحفظ سر كل حكمة . يضاف الى ذلك إنها استمدت قوتها من ضخامة عدد السكان نفسها . وأساغت الفاتح بالسهولة نفسها التي ازدرت بها بالاجنبي . وقد عرفت البقاء بالرغم من الكوارث الطبيعية والثورات السياسية ، حتى ولو اوجبت عليها دفسع اثقل ضريبة ممكنة للبؤس والمرض والمجاعة .

على غرار معظم السلالات التي اختارتها الصين الو بالاحرى قبلت بها السسمرت السلالة

المنشورية ببعدها عن الشعب وارتباطها به في آنواحد بميثاق محبة متبادلة. وقد عاش الامبراطور في بكين في المدينة المحرمة ، اسير عادات بروتوكولية مهيبة تحميه وتراقبه معا والبيارق ، التي تسيطر حامياتها العسكرية على الولايات . ولكنه و هوانغ – تي ، اي انه يعرف الخسير ويستطيع توفيره . ويكفيه النقيد بالاوامر المدونة في الكتب الكونفوشيوسية السيق تقوم مقام الدستور ، شأن الاوامر القرآنية . ومن حيث لم تكن هناك طبقة اشراف وراثية ، عول على الاستئهال في تعيين من يطلب منه خدمة السلطة اي تحديد الكلمة الواجب قولها والحركة الواجب القيام بها والعادة الواجب اتباعها : ابواب الامتحان مفتوحة للجعيم وبمكنة افقر الناس ان يصبح نائب الملك . ولكن كبار الموظفين ، بالاضافة الى اختيارهم بنتيجة السلطات ، ملزمة بالشكليات الضيقة ، متمدودة نقل الاوامر ، ومسؤولة تجاه الرؤساء لا المرؤوسين . وعلى الرغم من واجب التجمل بالفضية ، لم يكن بالامكان تلافي الفساد . فكيف المرؤوسين . وعلى الرغم من واجب التجمل بالفضية ، لم يكن بالامكان تلافي الفساد . فكيف وابتز اموال المكلفين . أضف إلى ذلك ان السلطة اعترفت ببيع الوظائف ، لا بل حددت وابتز اموال المكلفين . أضف إلى ذلك ان السلطة اعترفت ببيع الوظائف ، لا بل حددت اسمارها بمرسوم صدر في السنة ١٨٣٨ .

بيد ان آفة الدولة وآفة الموظفين الكبرى كانت الفقر والافلاس. فلل عجب من ثم إذا سادت الفوضى سيادة مزمنة. واذا صح انها كانت دواء لتطلبات السلطات ، فانها لم محم الفلاح من الاختلاسات ، بل تخلت عنه للاقتسارات. فيكفي ان يكون الامبراطور ضعيفا او محاطا بماونين فاسدين حتى تتسع وتنمو. ويبدو ان الاباطرة المنشوريين كانوا بدوره، منذ اواخر القرن الثامن عشر ، ضحايا حياة البلاط الملاى بالدسائس الوحشية في معظم الاحيان، ولما كان الامبراطور يختلر خليفته على هواه ، فقد اطلق العنان للمزاحمات وهو بعد في قيد الحياة ؛ وفي حال القصور الشرعي تنتهي السلطة إلى من يعرف كيف يضع يده عليها ، رجلاكان ام امرأة . حال القصور الشرعي تنتهي السلطة إلى من يعرف كيف يضع مده عليها ، رجلاكان ام امرأة . لذلك ما زالت الاحبولة الحريرية هي طريقة الحكم . فيستنتج من كل ذلك ان ظاهر النظيام ليس الا وها خادعاً ؛ ولا تستطيع شتى اشكال التهذيب المدروسة اخفياء التشويش الذي سلل الجهاز الحاكم .

وهنالك واقع خطير آخر: اعني به تدني عدد صفار الفلاحين الملاكين وانتقال الارض تدريجياً إلى ايدي ممسلي الادارة الذين يتعاطون المراباة اثناء جمعهم الضريبة واحقاقهم الحق وكان من هزال الامن ان الكوارث الطبيعية والاضطرابات تعرض اراضي الجماعات الجمعالطامعين باحتكار الارض . اجل لقد حارب و كيان – يونغ ، كبار الملاكين ؛ ولكن هؤلاء عادوا من بعده الى الهجوم يحالفهم تزايد عدد السكان الذي حد من مساحة الاملاك الصغرى ومن موارد كل عائلة . وزاد في الطين بلة ان نمو التجارة مع الخارج ادى الى انخفاض قيمة الاراضي : فاستفاد اثرياء التجار من ذلك وضاربوا على قيمة الا و تايل ، الفضي التي تختلف بين سنة واخرى وبين

منطقة واخرى ، وربحوا كذلك من بيم السلم التي يبيعها الفسلاح – وهو غالباً ما يكون صناعياً يدوياً – في المدينة مقابل بعض النقود النحاسية (سابيك) ، دون ان يفضي ذلك إلى تقلص النشاط الصناعي من قيود تنظيمه الخانسة. وقد نجم عن ارتقاء هؤلاء الاعيان والزعاء الريفيين تقوية الاثرة الاقليمة التي قاومت ابدا قيام سلطة مركزية على بعض القوة ، بسبب اتساع مساحة الامبراطورية .

لا تقوى وحدة الحضارة لعمري على إلغاء التنوع. وفي صين الولايات النائية عشر ، مختلف الصين الشالية عن الصين الجنوبية . فان تربة الاولى الصفراء والخصابة لم تكفها مؤونة الجاعات بسبب جفافها وافتقارها الى الاسمدة وفيضانات الانهر الكبرى المخربة احيانيا. وان هذه الصين التي لا تنتج حريراً جيداً والتي لا تنعشها الحياة البعرية قط ، عمدت ابداً الى مهاجمة المرتقعات الفربية ، وتطلعت الى وشيان – سي ، الفنية بالمناجم ، والمنحدرات التي يستطيع الاستمار الريفي استثبارها ؛ صين معرضة لهجات البدو ، اختارت السلالة المنشورية الاقامة فيها ، قريبا من منشوريا التي توفر لها جنود الحاميات العسكرية . ويقابلها صين حارة ورطبة وكثيرة النواتيء . وقد توفرت الشيال طرقات ومسالك تسير عليها العربة الثقيلة ذات المجلتين والنقالة الشراعية ؛ اما هنا فتوجب اللجوء الى الحل المضني او الى الزورق الشراعي الذي امن والحركة ، الميشة عن طربق الصيد والمساحلة لعدد كبير عام من السكان . وعاشت و هو — نان ، في عزلة كارهة الاجانب ؛ وتوفرت لو تشي – كيانغ ، مرافىء كشيرة السكان والحركة ، ومنحدرات تغطيها اشجار الشاي ؛ وهناك و نفان – هوي ، و و كيانغ – سو ، و وفو – ومنحدرات تغطيها اسم و الازهار العجبة الشلاث ، – التي تتعاطى كلها زراعة الارز والقطن وتربية دودة القز ؛ والى اقصى الجنوب قامت و كوانغ – تونغ ، التي استفادت من والقطن وتربية دودة القز ؛ والى اقصى الجنوب قامت و كوانغ – تونغ ، التي استفادت من الاحتكار الذي استحصل عليه تجارها وتعاملت مع الاوروبيين عن طريق و ماكاوو ، .

الى الغرب من المناطق الكثيفة السكان ؛ انتصبت مناطق الحدود الجلية القليلة الكثافة . فقد ثبت الصينيون اقدامهم في حوض « سي – تشوان » الاحر الاعلى الذي يشاع الكثير عن موارده المختلفة ؛ وامتدت حول هذا الحوض مناطق واسعة ما كانالصينيون ليشعروا فيها بأنهم في بلادهم حقاً : ففي قلب « كوي – تشيو » و « يونان » اللتين يجب اجتيازهما مروراً به وطريق العشرة آلاف سلم » لبلوغ تونكين ، يختلط ال « لولو » والا « مياو – تسو » والا « تاي » بأبناء الامبراطورية السياوية الذين يكثر بينهم الخيلاسيون ؛ وابعد الى الشال تمتد « كان – سو » و « شن – سي » اللتان تؤلفان حدود امكانات الزراعة الصينية وتصلحان لتربية المواشي كما في البورات ، على الرغم من تربتها الرسوبية . اضف الى ذلك ان الاسلام استقر من جهة في في البورات ، على الرغم من تربتها الرسوبية . اضف الى ذلك ان الاسلام استقر من جهة في وكونفوشيوسية الشرق الاقصى ، بينا وصل « الشياطين البيض » الى مداخل الصين عن طريق وكونفوشيوسية الشرق الاقصى ، بينا وصل « الشياطين البيض » الى مداخل الصين عن طريق البيحر وطريق سبيريا في آن واحد .

دفاع الامبراطورية الصينية عن ممتلكاتها الخارجية

بين خملايا وسيبيريا خضع جزء كبير من آسيا الوسطى الصين منذ توسع السلالة المنشورية الجديد في القرن الثامن عشر . ولكن ما حدث هو ان بستاني السهل الاصفر اهمل

هذه المساحات او تعرض لغزوات البدو الفجائية . اضف الى ذلك ان هذه الاراضي كانت منطقة استمارية في نظر اهل القرار الصينيين المولين في معيشتهم على الحبوب والاسهاك ، دونما اكتراث لتربية المواشي التي توفر الحليب فسيطرت هنا حضارة الالبان والخيام التي استخدمت الحصان والجمل والقطاس لاعهال النقل ؟ ولو فرضنا ان الصيني عرف ساكن هذه الخلوات بالحنطة والذرة البيضاء ، لاعدها لطعامه يزبدة نامسة .

وكانت الصين موجودة في هضبة التيبت الشديدة البرد والمقفرة في ثلاثة أرباع مساحتها . فأرسلت اليها المقيمين او « امبوان » ؛ ونصبت ال و دالاي – لاما » ؛ زعيم أعظم طائفة بوذية تصلباً وتسلطاً ؛ الذي يمتلك الارض ويجبي العشر ويشرف على التجسارة ويبيع المعجزات والصاوات . وصدرت اليها الشاي والتبغ . وأدركت اشعاع اللاما الروحي على العالم البوذي : فضمنت راحة الحجاج الذين يسلكون طريقاً مخيفة تؤدي الى التيبت من « سي – تشوان » او من « كان – سو » ؛ وراقبت علائق التيبت بالهند بواسطة بجازات لاداك ونيبال وبوتان . الا ان الاتفاق بين الانكليز ودول مناطق حملايا قد أثار حفيظتها . وحين اضطر نائب الملك في الهند ، بعد زيارة موفد اللاما لبطرسبرغ ، رداً لزيارة بعض البوذيين اله بوريات » والوكلموك » الى التيبت ، الى الاستيلاء على سيكيم والقيام بمناورة عسكرية في لاسا في السنة ، ١٩٠٩ ، قبلت الى التيبت ، الى الاستيلاء على سيكيم والقيام بمناورة عسكرية في لاسا في السنة ، ١٩٠٩ ، قبلت بكين ظاهريا باتفاق ينطوي على اقصاء كل دولة اخرى ، ولحكنها عادت فاحتلت لاسا عسكريا منذ السنة ، ١٩٠١ . فكانت لها الكلمة الفصل مرة أخرى .

تناول الضغط الروسي مناطق الحدود الطويلة الممتدة بين بامسير والآمور حيث كانت الامبراطوريتان متقابلتين وجها لوجه . ولكنه تقابل بعيد اتضحت معالمه بتوطد سلطة القيصر على سيبريا وتركستان الغربية . فقد وصلت الاورال ببايكال ، بين البورات والد و تايفا ، وعبر الانهار الكبرى ، طريق الدوراكت ، السيبيرية البالغة ١٦٠٠ كيلومتر طولا . وأسهم سجن الحكوم عليهم بالاشغال الشاقة في نرتشنسك ، وممتقل و تشيتا ، الذي جهزه رجال ثورة كانون الاول ، والاندفاع الجماعي وراء البحث عن الذهب في الالتاي باتجاه الدولين ، والدفيقيم ، والدفيقين الاولين بين الدونين إلى الدونيات والدونيات المسلمرار نفي المجرمين السياسيين ، في توطين السلافيين الاولين بين الدون في الوقت نفسه الرعاة المتشتتين بين منفوليا والدائرة القطبية الشيالية . وأسس القوزاق في الوقت نفسه الدونوسكوس ، في نقاط عدة من الحدود وتعاطوا الزراعة وتربية المواشي والقنص والصيد . وفي مؤخرتهم وسع ألوف الفلاحين الغرثي ، باتجاه الشرق ، اراضي زراعة الحبوب التي تكمل وفي مؤخرتهم وسع ألوف الفلاحين الغرثى ، باتجاه الشرق ، اراضي زراعة الحبوب التي تكمل الاراضي الاوروبية السوداء ، بينا انشئت المدن الكبرى المتعيزة بساكنها الخشبية وشوارعها الضيقة ، داومسك ، و دو تومسك » و دو كراسنويارسك » و داركوتسك » ، الدق ألفت

سلسلة من المحطات نحو الشرق الاقصى . وبعد ذلك امتدت اراضي شرقي بايكال الغنية بالمناجم والمواشي ، التي تتصل بالمناطق البحرية وأماكن صيد الاساك فيها ، وحتى بالاسكا نفسها . ومنذ السنة ١٨٩١ انشىء اطول خط حديدي في العالم بغية تأمين المواصلات في كندا الثانية هذه على غرار « الخط الكندي الباسيفيكي » ، فجاء يعبر عن تصميم روسيا القيصرية على التوسع قرب الممتلكات الصيلية الخارجية ، اعنى بها سن – كيانغ ومنغوليا ومنشوريا .

حرصت بكين على مراقبة طرق القوافل وطرق الغزو هذه . وان سي _ كيانغ التي عرفت قديماً باسم « سرند » هي تركستان الشرقية التي اقام فيها الروس والتي تصلها بالغرب مجازات سهلة . فمن جهة تؤدي طريق الشال (بي _ لو) عبر زنغاريا وكولجا واورومتشي ، الى « لان _ تشيو » ؛ ومن جهة ثانية تمر طريق الجنوب (نان _ لو) ، عبر « ترك _ دافان » (مرفأ الحور) ، في قشغر وتسير بموازاة التاريم الى ان تؤدي كذلك الى كان _ سو وشن _ سي . وان هذه الطرق التي اقام على جوانبها الرعاة وأهل القرار تمر كذلك في عدد من الواحات .

في نان - لو تولى زراعة السهول الرسوبية الضيقة اكلة خبين الحنطة او الذرة الصفراء الغارسيو المنشأ والمولمون بال و بيلاف » - الارز المتبل بالفلفل الاحمر به : جماعات سارتية شرقية ، وجماعات سوغديانية اعتمدت لهجة تركية قريبة من لهجة الاوزبك السارتيه . وكان رعاة والتنطاغ » اتراكا ايضاً . فتطلع هؤلاء واؤلئك نحو الغرب الذي ابتاعوا منه الحبوب والاسلحة والادوات وباعوا منه الاصواف والجاود والطنافس واللبود . وقد سيطر على هذه المناطق اسلام غير متطلب ، اذ ان المرأة حرة ولا تتستر بالحجاب قط . وتجانبت المدينة الاسلامية والمدينة الصينية على غير تعامل . واحدق بهذه المناطق خطر خانات فرغانا . لذلك فرض اباطرة القرن الثامن عشر الجزية على زعماء القبائل هؤلاء . ولكن امتداد النفوذ الصيني كان سريم الزوال .

على غرار قشفاريا ؟ عانت زونفارياريا الامرين من نتائج حروب الصينيين ضد المغول الغربيين ، المعروفين باسم و الوثنيين ، ايضاً ؟ الذين ردوا في النهاية الى ما وراء الالتاي . فأقيمت حاميات عسكرية صينية في كولجا وبي _ لو ؟ ووطن كبار المسؤولين الصينيين في الجهة الشهالية من تبان _ شان مفولا من التوغورت الآتين من الفولفا ولا سيا من الد دونفان ؟ الفلاحين والصناغيين اليدويين الجمتهدين ؟ ولكن المرتفعات بقيت مأهولة يالرعاة القازاق المسلمين والكلوك البوذيين . وما لبثت العلائق ان اقيمت بينهم وبين المراكز الروسية المبنية على طول نهر و ايلي » ، وان فتحت معاهدة كولجا ؛ التي ابرمتها بكين في السنة ١٨٦٠ ، ابواب الد و بي ـ لو ، امام التجارة الاجنبية .

كانت آسيا العليا الاسلامية في حالة هيجان شديد حين اقاربت جيوش القيصر منها . ففسي السنة ١٨٦٢ ، اندلعت ثورة في قشفاريا لم يلبث أن تولى قيادتها زعيم دونغاني اسمه يعقوب الذي يبدو انه سعى وراء اطباع سياسية كبرى : اعتمد على خسان كوكند الذي زوده بالاسلحسسة

والاعتدة ويراسل سلطان الاستانة وحتى حكومة الهند، وابتغى تأسيس امبراطورية «الوثية» جديدة تعترض الطريقين المؤديتين الى سن - كيانغ. فاحتل زونفاريا ثم سار قدما نحو «امير». فاعترف الروس به واستفادوا من الفرصة السائحة للاستيلاء على كولجا . ولكن الرد الصيني جاء عنيفاً منذ السنة ١٨٧٧ . فهزم يعقوب وقتل ، وتخلت روسيا عن كولجا بعد ان استحصلت على حق تعيين قناصل يمثلونها في بي - لو ونان - لو . فعمدت بكين ببراعة الى توطين جساعات منشورية وفلاحين آتين من كان _ سو وتركت القضاة المسلمين حق منشورية وفلاحين آتين من وادي التاريم وتجاراً آتين من كان _ سو وتركت القضاة المسلمين حق الفصل في الدعاوى ، ولكنها احتفظت لنفسها على كافة مراكز القيادة .

اذا احدث في جامعة كاران منبر لتعلم الصينية ؛ فانها قد علمت اللغة المغولية أيضاً. لقد ولى الز<mark>مان الذي</mark> كان فيه الفارس المغولي يمتطي حصانه الضليع ويتسلح بالقوس والرمح ويؤسس الامبراطوريات . فان القبائل (خوشوم)، المتضامنة او المتحالفة بقيادة المرائمـــــا الوراثدين ، تعيش حياة خشنة حول الاخبية (يورت <mark>) اللبدية</mark> المرتبة بشكل « آوول » متجرعـــة حليب الفرس المحمض أو حليب النعجة الخاثر وبائمة الاصواف من الصينيين . وقسد شجمت بكــــين البوذية التي اضعفت الروح الحربية مجملها عدداً كمبراً من هؤلاء المتشردين على التبتل. فسيات اللاماء في وجه المحاربين، خير اعوان الامبراطور الذي نصتب الخانات وأمدهم بيعض المساعدات المالية . وتمتعت ادبرة « اورغا » بشهرة عظيمة ، وقد اقام الـ « جيتو – توميا » ، الذي كان تجسيداً لبوذا ، على غرار الدالاي - لاما ، في دير « كورك » . وقد مرت طريق الحجاج من التببت الى منغوليا في وكوم - بوم » على مقربة من سن - ننغ حيث عاش رسول الجمعية 'اللاماوية . وكان لهؤلاء الرهبان فداديوهم الذين ي<mark>منون ب</mark>قطعا<mark>ن الم</mark>اشية ؟ وقد بلغوا ٢٠٠٠٠ في اورغا. وقد ارتدت طابع الاهمية نفسه طريق الشاي الكبرى التي تؤدي من بكين الى مقلفان، والى اورغا ايضًا ، ثم تنقسم الى فرعين احدهما باتجاه بايكال والآخر باتجاه كوبـــــدو وحوض الاوبى . وقد ذهب المستعمرون الصينيون في تقدمهم حتى مشارف (غوبي) الجنوبية حول الاوردوس . ولكن روسيا لم تبق عادمة النشاط والحركة . فقد استخدمت البوريات المغوليين وادخلتهم في فرق القوزاق وساندت و خاميا – لاما ، «كياختا ، النابعة لاورغــا وانشأت مصلحة بريدية بين هذه المدينة و « تيان – تسن » ؟ وحاولت استالة امراء منغولياً الخارجية الخاضعين لنفوذ الاورغا ، ولن يقر لها قرار حتى يعلنسوا استقلالهم عن بكين بعسه سقوط المنشوريين في السنة ١٩١١ .

الا ان المجاز المنشوري الواسع قد استهواها اكثر من كل هذه المناطق . اجل لقد اعترفت به للصين في السنة ١٨٥٨ . ولكن هذا السهل الخصب لا يمكن ان يترك الى ما لا نهاية له لرعاة وقناصة مصر بن على موقفهم المدائي لا يستثمرون المناجم والفابات ويحيطون انفسهم بمناطق حدود مقفرة تجنباً لوقوع مراعيهم في ايدي الفلاحين الصينيين الطامعين في زراعة الدكاو ليانغ والذرة البيضاء والبسلتى وحتى الحنطة . فشجع رفع القيود المفروضة على الهجسسرة

أدفق المستعمرين الآتين من دبي – تشي – لي » ومن دشان – تونغ » . وسهلت الخطوط الحديدية التي بناها الروس هذا الغزو السلمي ايضاً . وفي السنة ١٨٩٥ اصبحت منشوريا لعمري موضوع تزاحم دولي منذ ان اخذت اليابان وروسيا تتنازعانها .

وفي بجار الباسيفيكي الساحلية اعتبرت الصين كذلك جزيرة فورموزا وشبه جزيرة كوريا منطقتين تابعتين لها . ففي فورموزا _ تاي _ وان _ قام صينيو فو _ كيان شيئاً فشيئاً باستعار الاراضي ، فدفعوا امامهما (اينوروت ، والره هاكا ، البرابرة الذين لجــــأوا الى المرتفعات . وكانت و تشوسيان ، ؛ و بلاد الهدوء الصباحي ، ؛ مملكة خاضعة لسلطة بكين ، منعزلة جهد المستطاع ، تخشى المطامع اليابانية ، وتتصبر على السيادة الصينية النائية : وقد بلغ سكانها بين ٩ و ١٢ مليون فلاح متكاسلين يكادون لا يحصلون على قوتهم الضروري ولا يعنون العنايسة الكافية بطرقهم وجسوره ، ويبيعون من الصين الدجن ـ سانغ ، المقوي المشهور ، والورق الذي يستخدمونه لفايات كثيرة ، ويرغبون في الملابس الزاهية . وقد كتب « دوكروك ، : « ان سيول لممل كبير لتبييض النسج لا تتوقف فيه تكتكة المحاضيج قط » . واشتهرت البلاد بنسائها الانتقات الحريصات على المناية بشعرهن ؛ ورجالها الغيد اللحيانيين . وكانت ملكية مطلقة خفف من وطأتها كدار المسؤولين المثقفين ثقافة صينية . وقاومت كوريا التبشير بالديانة المسمعة ؛ لا بل عمدت الى اضطهاد اوجب على الغربيين القيام بمناورات بحرية في مياهها الاقليمية . ولكن الخطر احدق بها ، بعد السنة ١٨٧٠ ، من جهة اليابان التي ارغمتها على الساح لها باست<mark>خد</mark>ام ثلاثة مرافىء ؛ على الرغم من اعتراضا<mark>ت الصين .</mark> وان موقع كوريا و<mark>ضعفها قد</mark> إجعلاها ؟ كا حدث من ذي قبل ؟ فريسة اليابان ؟ او أية تسلطية أخرى ؟ كلما عجزت الصين عن حمايتها .

> تباشير التدخل الاوروبي في ال<mark>صين</mark> واولى أزمات الامبراطورية الصيني<mark>ة</mark> ثور<mark>ات الرد ايبنغ» والمسلمين</mark>

اتضع انحطاط السلطة الامبراطورية في الصين في اوائسل الفرن التاسع عشر . ولعل ابتزازات كبسار الموظفين وتجاوزاتهم والنفلة والشنشنة العامة تفسر سوء حالة الطرق وخراب تحصينات المدن وفقدان الأمسن ونقص الحبوب

المتكر<mark>ر في الشهال</mark> الذي جعل الحاجة اشد الحاحاً آلى أرز المناطق الجنوبية . وكان كذلك لجشع كبار الملاكين العقاريين والتجار نصيبه في تفاقم سوء حالة الجماهير .

برزت منذ ذاك الحين مظاهر العداء لسلالة الدنسن ، ولا سيا في الصين الجنوبية حيث كان نفوذ الاباطرة المنشوريين ضميفاً وحيث تأسست جمعيات سرية كثيرة (الثالوث ، النياوفر الابيض ، السراط المستقم) اتخذت شماراً لها : د لنقلبن التسنغ ونعيدن المنغ » ولكنها لم تخف قط كراهيتها للاجنبي . الا ان تدخل الاجانب بالذات هو ما اثار الازمة ، والعون الذي تلقته بكين من هؤلاء الأجانب أنفسهم هو ما ضمن لها الخلاص .

بعد التنازلات التي سلم بها لكراهية الأجانب ، ساءت العلائق بهؤلاء بسبب تحريم الدهاؤة المسيحية (١٨١٤) ورفض التفاوض مع الدول الاوروبية على قسدم المساواة . وقسد شكى الأجانب من تزايد متطلبات جمعية اله و كوهونغ ، الحاصلة على احتكار التجارة في كانتون . وفي سبيل زيادة حجم مكاسبها ، حاولت شركة الهند الانكليزية ، التي كانت تشتري الشاي والحزف الصيني والحرائر والقطنيات الصفراء والصموغ ، تصريف الافيون في الصين على الرغم من المنع الذي استهدف هذا العقار . فاعترضت بكين، واورد الامبزاطور في احدى مذكراته في السنة ١٨٣٨ : وان هذا الشعب (الانكليزي ، الذي ليس لديه ما يؤمن به معيشته يسمى وراء استعباد البلدان الأخرى باضعاف سكانها اولاً ...) ، ولكن ما أقلق الحكام الصينيين العنان الذي انصرف اليه الانكليز تحطيم صناديق الأفيون . فأفضى ذلك الى توجيه حسلة المنان الذي انصرت كانتون ثم ضربت نانكين بالقنابل امام تصلب بكين، فوقيّمت في نانكين في السنة ١٨٤٢ اولى و المعاهدات غير المتساوية ، التي فتحت خسة مرافىء وألفت احتسكار الكوهونغ واكرهت الصين ، بالاضافة الى ذلك ، الى التخلي عن جزيرة هونغ — كونغ ودفسع تحريف حربى .

ألحقت و حرب الافيون ، الضرر بالصين ، ووجهت في الوقت نفسه ضربة قاسية لنفدو السلالة المنشورية التي أعطت الدول الأخرى حق حرية التجارة في المرافى، المفتوحة . ولكن غليان الشعب تزايد باطراد . فشكى المحافظون ، الذين قألوا في كبريائهم من الذل الذي لحسق بالامبراطورية السياوية ، اتفاق السلطات المبيعة مع والبرابرة ، بجار الأفيدون والكتب المقدسة والبنادق ، وشاري العال لمستعمراتهم . وبينا اخد استيراد المصنوعات الاوروبية والامير كيد يلحق أذى كبيرا بالصناعي اليدوي ، زاد خروج الفضة من البلاد في سوء حالة المزارعين والمكلفين الذين اضطروا الى إيفاء ما عليهم نقداً معدنياً اكثر ندرة . أجل لقد جمع المرافىء الثروات ، ولكن واردات الحكومة هبطت حين توجب عليها دفع قيمة التعويض الحربي .

كانت حركة التايبنغ من ثم ثورة بؤساء وفلاحين فقراء انضم اليهم معوزو المدن والملاحون والحالون وعمال المناجم وحتى الافاقون والقراصنة والفارون من الجندية . ولكنها جرت وراءها ، في كل مكان تقريبا ، المثقفين والملاكين العقاريين والتجار المعادين لبكين ، وشاعت بعض التنبؤات حول عودة المنغ وقص ثوار كثيرون ضفيرة الشعر التي فرضها التسنغ عربونا للخضوع . وقد عرف الثوار باسم رجال دينغ تيان ـ كوو ، أي رجال والمملكة السياوية للسلم الاكبر ، ، وهي جمية تأسست في كوانغ _ سي بين الفلاحين ال وها كا ، ، الآتين من المسين الوسطى ، الواقفين في وجه الفلاحين الحليين الذين تسانسدهم بكين . فساروا وراء وهونغ هيو _ شوان ، الذي قرأ الكتاب المقدس وحفظ منه التوحيد وشمول مملكة الله .

وائتقدوا كونفوشيوسية كبار الموظفين الأنانية ، فحرروا المرأة وحرموا الأفيرون والمسر واعتمدوا روزنامة مستوحاة من الروزنامسة الغربية ووضعوا نصب أعينهم تنمية التجرارة والصناعة ، ولكنهم نادوا كذلك بشيوعية زراعية بدائية واقتبسوا عن الصين القديمة الاولى بعض المؤسسات السياسية والعسكرية . ولن يلبث مثل هذا البرنامج ان يبعد عنهرم العناصر المتسكة التقليد .

الا انهم احرزوا في البدء نجاحاً صاعقاً. فغي أقل من سنتين ، انطلقوا من كوانغ – سي وهزموا اعداءهم في كافة انحاء حوض يانغ – تسي ، واستولوا على هان – كيو ثم على نانكين ونظموا حكومة قولت إعادة قوزيع الاراضي لمصلحة جماعات الفلاحين وانشأت صناعة دول تنتج للمستودعات العامة المعدة لتعوين جيش مبني على الخدمة المسكرية الالزامية. ولكن التايينغ اخطأوا هدفهم بتفويتهم فرصة قلب الامبراطور الضعيف هيان – فونغ ، ولعدل جنودهم انفوا من الخاطرة بنفوسهم في السهل الحجبير. ولكن مها يكن من الأمر فان سيره على بكين قد انتهى الى الفشل بسبب تأخره وسوء تنظيمه. ولم تحرز الثورة بعد ذلك تقدماً يذكر لانها ضعفت بفعل الاثرة الاقليمية التي اضاعت عليها الاهداف الواجب بلوغها وامتعاض يذكر لانها ضعفت بفعل الاثرة الاقليمية التي اضاعت عليها الاهداف الواجب بلوغها وامتعاض بدورها الى فرض ضرائب ثقيلة عليهم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية انها اعيقت في مؤخرتها وابتداء من السنة ١٨٥٦ ، بثورة أخرى هي ثورة المسلمين في يونان التي اندلعت بين عمال مناجم كبريت الرصاص الممزوج بالفضة . وما لبث الاسلام الصيني بأجمعه ، في كان – سو وسن كبريت الرصاص الممزوج بالفضة . وما لبث الاسلام الصيني بأجمعه ، في كان – سو وسن كبانغ ان انضم اليها .

ولكن بكين سوف تتمكن من الصمود . فقد ناصرها بادى ، ذي بدء إقطاعيو هـو ـ نان الذين جندوا الجيوش ووقفوا في وجه التايينغ ، ثم الثف حولها كافـة كبار الموظفين الذين توحدوا امام الخطر ورفعوا علم الكونفوشيوسية . الا ان الوضع سيبقى متأزماً طالما هي لا تستطيع الاستعانة بالاجنبي . والحال استفاد هذا الاخير من الازمة ليفرض رقابة جركية حقيقة ، ثم تعلل بخرق المعاهدات ليقوم بمناورة جديدة تثبت قوته . فاستولى الفرنسيون والانكليز على تبان – تسن ثم تقدموا حق بكين حيث اجتاحوا والقصر الصيفي » . وقد ارغمت الامبراطورية على فتح مرافىء جديدة ودفع تعويض حربي جديد والتسليم بوجود على الرغمت الامبراطورية على فتح مرافىء جديدة ودفع تعويض حربي المديدة والسوا فيها فلاديفوستوك على شاطىء بحر اليابان . فكان ان اللورد و إلجن » ، الذي سبق لوالده ان نهب الاكروبول في اثبنا ، شاطىء بحر اليابان . فكان ان اللورد و إلجن » ، الذي سبق لوالده ان المنجارة و تمارس في ظروف فاحشة بالنسبة للصينيين ومفسدة للاخلاق بالنسبة لمواطنيه » . وعلى الرغم من ذلك ، فان السيد الحقيقي لعلائق الصين بالعالم اصبح منذ ذاك التاريخ المدير و روبرت هارت » ، مفتش الحيارك البحرية العام . وجلي في مثل هذه الظروف ان والبرابرة » ما كانوا ليقفوا الى جانب الجارك البحرية العام . وجلي في مثل هذه الظروف ان والبرابرة » ما كانوا ليقفوا الى جانب

الثابينغ. يضاف الى ذلك ان تحولاً قد طرأ على موقفهم حين آثر المرساون والرأسماليون استتباب النظام في ظل سلطة تخضع لرقابة شديدة. ثم ان تجاحات الثورة الاسلامية قد اخذت تقض مضاجعهم ، فتكون بينهم وبين بكين تضامن لم يكن الصلحة نانكين. فتدفقت الاسلحة والمتطوعون على المسكر الامبراطوري ، واشرف الاميركي و وورد ، والماجور البريطاني غوردون – الذي سيشتهر باسم غوردون باشا ـ على العمليات العسكرية التي انتهت بسحق العصان.

الا ان قمع الثورة الاسلامية سيتطلب سنوات طويلة . اجل لقد عقد من قبل اتفاق في يونان مع السلطات الامبراطورية ، الا ان القتال تجدد باشراف زعماء جدد حمل احدم لقب السلطان ، وفي سن _ كيانغ مضى يعقوب في المقارمة حتى السنة ١٨٧٧ . فاجتبحت ولايات كاملة ودمرت بعض المدن كد سو _ تشيو ، ونانكين ويونانغو . وكانت آثار الخراب لا تزال ظاهرة في يونان حوالى السنة ١٩٠٠ . وقد عقبت هذه الحروب مجاعة السنة ١٨٧٧ — ٧٨ الرهيبة التي جماءت ضغثا على إبالة .

فخرجت الصين من المحنة منهوكة القوى وخاضعة لوصاية تكاد لا تكون مقنسَّمة ، اعني بها وصاية الغرب .

> نجا<mark>حات</mark> النفوذ الاجنبي الجديدة والأزمة <mark>الثانية في الامبر ا</mark>طورية الصينية

منذ السنة ١٨٧٠ حتى السنة ١٨٩٥ ، عرفت الصين هدوماً نسبياً أتاح بروز رأسمالية بسلدية وانتشار آراء الاعسسلاح والتجديد في الاوساط التي تعاملت مع « البرابرة » ورافقت

بانتياه التطورات المدهشة التي كانت اليابان مسرحاً لها .

استمر التماون بين الغرب وبكين في الحقل العسكري . وقد أقلق تقوق البيض المفوض ولن تساو - سن » واستصدر منذ السنة ١٨٤٤ ، ١٢ جلااً من وحوليات الامم البحرية المصورة » . كا ان المدفعية العصرية احدثت انطباعاً عظيماً. فتجند بعض الشبان في الوحدات البحرية البريطانية او تلفوا دروسهم في سان - شامون والا وكروزو » ، بينا اسند نائب الملك في فو - تشيو في فو - تشيو سوف يضربها و كوربيه » بالقنابل في السنة ١٨٨٤ . ونقلت مؤلفات علمية عديدة بعناية معهد أسسه القس الاميركي و و السنة المنات الاصول الدبلوماسية ، ولقمن اللغات الاوروبية بعض موظفي وزارة الشؤون الخارجية - و تسونغ - لي - يامن » - التي انشأتها الامبراطورية بعد المهاهدة . ثم اخذ يسود الاعتقاد بأنه يكفي الحصول على سر التقنيات الغربية للعودة بالبلاد الى الاستقلال .

ولكن علاقة وثيقة جداً لوحظت بين اوساط الاعمال الاجنبية وبعض كبحار الموظفين .

فغي السنة ١٨٦٢ ، عين تسنغ - كوو - فان، الذي لعب دوراً هاماً في الحرب ضد التايبنغ، عدداً من المهندسين البريطانيين ، واسس اول دار سناعة مجرية على النهر الأزرق في نانكين. وبعد مرور ثلاث سنوات بدأت « شركة « كيانغان » لاعمال الاحواض والهندسة » عملها في شنفاي . وفتح « تشانغ - تسي - تونغ » ، حاكم هونان ، مصنعاً للغزل ومصنع حياكة آلية في « او - تشانغ » ، ثم دار الصناعة البحرية في « هان - يانغ » . وكان « لي - هونغ - تشانغ » مثال الموظف الفطن ، فأقام ، بوصفه ناظر التجارة ، علائق ودية بينه وبين رقابسة الجارك ، ولم يهتم بتأسيس دور الصناعة البحرية ومصانع الغزل فعسب ، بل بتشجيع شركة « الملاحة البحرية لتجار الصين » وانشاء خط بين تيان - تسن وشنفاي بالاتفاق مع « شركة التلغراف الشهالية الكبرى» , قادت مكاسب القايضة الداخلية من ثم الى قيام مشاريع عصرية استالت الرأسمالين الاوروبيين والامير كبين استالة شديدة .

خضع هذا النشاط السيطرة الانكليزية . ففي هذا العهد استطاعت منشستر الادعاء بالباس والسياويين ، واحتلت لندن المرتبة الاولى تحستودع الشاي الصيني واحتلت مركز الصدارة في تجارة الحرائر التي اهتم بها وارتشيبالد لتل ، ، ممهد الطريق لللاحة البخارية في ويانغ - تسي الأعلى . وانطاقت هونغ - كونغ انطلاقة قوية وسريعة عانت منها كانتون وما كاو . فأصبحت أكبر مستودع البضائع ومركزاً مصرفياً اشع في كافة انحاء الشرق الاقصى . وقد تولى مصرف والشرق ، ، البت بكافة المعاملات . وبفضل حسن ادارة حاكها و هنري بوتنفر ، ، مثلث والشرق ، ، البت بكافة المعاملات . وبفضل حسن ادارة حاكها و هنري بوتنفر و ابنيتها الكبرى، الجزيرة ، التي لا تتجاوز مساحتها ه كيلومتراً مربعاً ، بأحواضها وأرصفتها وابنيتها الكبرى، انتصاراً على الصخر الفرانيي والحيات والقراصنة . ثم انطلقت شانفاي بدورها . فانتشر على طول رصيف جيل - بوند - قامت أمامه احواض السفن والمعامل . أما المدينة الصينية على طول رصيف جيل - بوند - قامت أمامه احواض السفن والمعامل . أما المدينة الصينية المحاذية فقد حافظت على قذارتها وروائحها المنتنة . وبفضل نشاط الملاحة دبت الحياة في مياه عودية ، كا حافظت على قذارتها وروائحها النتنة . وبفضل نشاط الملاحة دبت الحياة في مياه النهر الإزرق الوحلة بين شنفاي وهان - كيو ، المركز الصناعي الآخر الآخذ في النمو . واما النبر الإزرق الوحلة بين شنفاي وهان - كيو ، المركز الصناعي الآخر الآخذ في النمو . واما

 ان الهجرة الى الصين ، المحدودة جداً بالنسبة لسكان هذه الاخيرة ، قد اصطدمت بعقبت بن هما الفقر وكراهية الاجنبي . فان انشاء الخطوط الحديدية قد اعتبره المديد من صينيين خرقاً القدسيات : اذ ان التنين الصيني لن يعتقر لاولئك الذين يغرزون المسامير اللولبية والمسامير المثناة في ظهره . وقد انتزع خط تبرعت به مؤسسة انكليزية في شنفاي لايصال هذا المرفساً بد اوسونغ ، وتعرض أحد بائمي الاراضي الضرب بالخيزران حتى الموت ولم يباشر بناء خط بكين سدتيان سدتن الا في السنة ١٩٨٧ ، وكين سدتيان سدتن الا في السنة ١٩٨٧ ،

نشبت نزاعات سنوية بين الحكومة الامبراطورية وبين هذه او تلك من الدول . وغالباً ما الحنت بكين أمام نفوذ التقليديين الذين ما كانوا ليرضوا بالتسليم بتدخل الدول الاجنبية في شؤون البلاد . ولم يكن بالامكان تجنب الحرب مع فرنسا بصدد الهند الصينية . ولكن نتيجتها المؤسفة لم تهدى الافكار . وان في الصور الدعائية الجدرانية التي تمثل الخنزير بي _ سو مصاوبا ، وتعديات الجاهير على الحطوط المديدية والخطوط التلغرافية ، والمظاهرات العدائية عناسبة تدشين الملاحة البخارية على اليانغ تسي ، لدليلا على المشاعر السامة التي لم يحاول البلاط مقاومتها كا يتضح من تقاوير السفارات .

حدثت الازمة الكبرى الثانية حين هزمت الصين في حربها الكورية ضد المسابان في السنة ١٨٩٤ ــ ٩٥ ، فأنقذها الاوروبيون مرة أخرى منتهزين الفرصة للاستفادة اكثر فأكسبار على حسابها . وترد الازمة الى ان معاهدة الصلح ؛ حتى بعد اعادة النظر فها ، قد قضت بالتخمل عن فورموزا ؛ واعطاء اليابان مركزاً ممنازاً في الحقل النجاري ؛ ودفع تعويض حربي كبير جداً . ولما كانت بكين عاجزة عن تسديد المبلغ المطلوب منها ^{، لم} تستطع حرمان مقرضيها من الفوائد التي سلمت بها للمنتصر علمها. فأسرعت الدول الى اقتسام المفائم: هذا ما يعرف بتجزئة الصين . وعلى الرغم من اعتراضات اليابان ومن مناداة الولايات المتحدة بسياسة البساب المفتوح ؛ تخلت الصين عن بعض الاقالم لقاء عقود تأجرية لمدة ٩٩ سنة كفأقامت روسيا والمانيا ويريطانيا العظمي في رأسي لباو ـ تونغ وشان ـ تونغ ، الأولى في بورت ـ ارثور والثانية في كياو ـ تشيو والث<mark>الثة في اواى ـ هاى ـ اواى [،] بينها أقامت فرنسا في حكوانغ ـ تشيو قبالة جزيرة <mark>هاي</mark> ـ</mark> نان . ورافق هذا الاقتسام نفوذ اقتصادي سريع الخطى : فتح مناطق واسعة الت<mark>جارة ^بوانش</mark>اء مؤسسات صناعية كثيرة (بعد أن حصلت اليابان على هذا الحق) ، وبناء خطوط حديديت جديدة › واستثار المناجم . وبرز توسع الرأسمال الغربي عمليا بتأسيس ثمانيــة مصارف هامــــة يدخل في عدادها المصرف الروسي الصين<mark>ي الذي اسهم ا</mark>لفرنسيو<mark>ن في</mark> تمويله والذي اهتم بصورة خاصة بالمواصلات بين سيبيريا وبورت _ ارثور عبر منشوريا ، فتميزت المعاملات التجاريـــة وانتاج المصانع بالنشاط . ولكن الصناعة اليدوية انتهت الى الاضمحلال وميزان المقايضات بقي في عجز .

سلمت اوساط الاعمال وبعض المتقفين باضطرار الصين الى الاتفاق مع الاجانب ، فانتشرت

مؤلفات كانغ _ يوو _ أواي التي أوصت باصلاح التعليم ، وطالبت باقتفاء أثر المستبدين المستنيرين ولا سيا بطرس الاكبر، واستهدفت مداراة كبرياء الصينيين بارشادهم الى الدور الذي باستطاعتهم ان يلعبوه في المستقبل على مسرح العالم . وندد تشانغ _ تشي _ لانغ بالتمسك المفرط بالشكليات وادى بدراسة التقليات .

وهكذا حدثت في السنة ١٨٩٨ المحاولة المعروفة بمحاولة المائة يوم ، اي فسترة الاسابيسع المعدودة التي فرض خلالها كانغ ـ يوو ـ اواي المتمتع بثقة الامبراطور الفتي كوانغ ـ سيو ، اصلاح الامتحانات ، وتبسيط الانظمة القضائية ، واحداث دوائر اقتصادية ، وتجديد الجيش ، ونشر الاخبار المتعلقة بالدول الاجنبية . ولكن الامبراطورة الام ، تسو ـ هسي ، قاومت الحاولة بمساعدة التقليديين والعسكريين المنشوريين : فأرغمت الامبراطور على الاستقالة . أما الجاهير فلم تحرك ساكنا .

ما زالت هذه الجماهير متأثرة بالدعاوة لكراهية الاجانب. فقد حققت شيمة و قبضة اليد » للسلام والمدالة » التي اعلنت عداءها لغزو البرابرة البيض » نفوذاً متزايداً في كافـة الولايات الشهالية . وقد شجعها الانقلاب الذي قامت به تسو _ هي » فأتت أعمال عنف كثيرة » خربة الخطوط الحديدية ، وعرقة الابنية ، ومتمرضة للمشرين والصينيين الممتنقين الدين المسيحسي ، وثارت بكين تلبية لندائها وحاصرت السفارات . فوجهت الدول ضد و الملاكين » جيشاً دوليا دخل العاصمة . ولم يتخلص البلاط من هذه الورطة الا بتسليمه ، بوساطة لي _ هونغ _ تشانغ، عمل الجميات المادية للاجانب ، ومنع استيراد الاسلحة والاعتدة ، ودفع تعويض حربي ثالث قيمته ١٣٧٥ مليونا .

وجملة القول إن ازمة السنوات ١٨٩٤ – ١٩٠١ انتهت كا ابتدأت بمذلة ومهانة . فن اجل عاربة الثايبنغ لجأت السلالة الى اوروبا واستسلمت لمشيئتها . اما الآن فعبثا اعلنت عداءها للأجانب . وقد فقدت نهائيها كل امل حين سلكت الصين القديمة طريق الاصلاحات السياسية ٤ تحت ضغط القدوى الاقتصادية والاجتاعية العصرية .

وجه اليابان القديمة الحبوب وازمتها على غرار الصين ، خرجت اليابان نهائيا م<mark>ن عزلتها. وهو اليابان القديمة الحبوب وازمتها الاجنبي كذلك من أرغمها على فتح بابها . وانما توفرت هذا الشروط اللازمة لنهضة حقيقية .</mark>

تطيب الحياة فيها على ما يظهر . فإن الارخبيل الذي ترتفع فيه الجبال ينقشه البحر بازميل المواجه . ويبسط عليه تآلف النور والرطوبة ونتوءات الارض زينة نباتات تلفت الانتباء باختلاف انواعها واريجها . ففي الجنوب يجعل الصيف منه احدى ولايات آسيا الحسارة ؛ وفي الشهال ينزل الشتاء عليه ثلوج آسيا الباردة ؛ ولكن الربيع والخريف يستمران استمراراً كافياً لان يبقى المرج مزهراً ، واا « هارا » ، التي يرتفع فوقها الا « فوجي » ساطمسا ، مثاراً لشحر

العيون السامي . كما أن جواً بخارياً في اغلب الاحيان يقرب الآهاق ويحيط بسر غامض ووهم تخيلي المساكن الحشبية الصغيرة الواهية والانيقة والنظيفة ، والمعابد والاديرة والقصور المحفوفة بالاشجار ، وأعمال السكان . ويطيب لهؤلاء ، الذين لا يتصنعون قط ، البحث في كل شيء عن الناحية المضحكة وحتى الماجنة ؛ ويجدون لذتهم في النكات الغليظة ، ويولمون بالصور الهزلية الناحية المضحكة وتعبر فن الدنسوكي ه ، واعني به تلك النقوش الهزلية الصغيرة التي يزينون بها الازرار ، عن الذوق اللطيف الذي يتحلى به شعب مرح ومرهف الحس ، كما تعبر عنه الصور المطبوعة على الخشب .

أجل ان الارض تتزلزل (تهدم ١٠٠ الف بيت وفني ٣٠ الف شخص فيها يبدو في السنة ١٨٥٥) ، وتجتاح اله و تسونامي ، السواحل (تسبب احد هذه التيارات البحرية المتلاطمة الامواج في مقتل ٣٠ الف نسمة في السنة ١٨٨٥) ، ويقابل بركان فوجي الهسادى، بركات وأساما ، الفضوب، وتتلف الحرائق الاكواخ الحشبية (أحرق ٥٠ الف كوخ في شتاء السنة يسمده الفضوب، وتتلف الحرائق الاكواخ الحشبية (أحرق ٥٠ الف كوخ في شتاء السنة يسمده السكنى في ارض و الشمس الشارقة ، المباركة من الآله أنه ، حيث يوجد كل شخص يسمده السكنى في ارض و الشمس الشارقة ، و الآله الحي بين البشر ، وحتى اوضع الفلاحين الذين في مكانه ، ابتداء من اله و ارشيتو تنو ، و الآله الحي بين البشر ، وحتى اوضع الفلاحين الذين الذين ينتجون الارز ، مروراً بالم و ساي – اي – تاي شوغون ، القائد المنتصر على البرابرة ، وساحب الفضل الاول في استقلال البلاد ، المصون بمساعدة اله ودايموس، المظام والوساموراي، البواسل ، وقد تعلقت اليابان بعاداتها ومؤسساتها التي اقتبست بعضها عن الصين من ذي قبل البواسل ، وقد تعلقت اليابان بعاداتها ومؤسساتها التي اقتبست بعضها عن الصين من ذي قبل ورنما اقصتهم حين خيل لها ان موجبات وجودها التقليدية مهددة بالخطر .

ان هذه العزلة المتوحشة حصرت و نيبون ، في حضارة مرعليها الزمان لا يحجب عيوبها ما تنطوي عليه من جمال . ففي الارخبيل الصغير الذي تحتل الغابات والصخور ثلاثة ارباعه ، خاص ٣٠ مليون نسمة معركة قاسية لتأمين قوتهم اليومي . اضف الى ذلك ان الاجهساض وقتل الاطفال كانا علاجين مشينين حرمتها الانظمة واستخدما استخداما سهلا : وقد اشير الى هذه المالتوسية التي افضى اليها تزايد عدد السكان باسم و مابيكي ، الذي يعنسي فن تخفف الخضار .

ارتكزكل شيء الى زراعة غاية في التدقيق وغير كافية معاً . ووفر البحر الاسماك والاصداف والملح وحتى الاشنة التي استخرج منها نوع من الساد . ولكن الارزكان موضوع اعتبار تفضيلي . ولم تشكل الصناعة سوى تكلة لعمل الحقول ؟ وليس هنالك بالاضافة الى ذلك سوى مشاغل نادرة تصنع فيها الاسلحة والنقود . وقضى التنظيم الاحتاعي الشديد بأن تتوفر لكل شخص كمية المواد الاستهلاكية اللازمة له ، ولكنه شـل كل نشاط ابتكاري

وعاد السلطة الشرغونية (باكونو) امر توزيع الارز . وكان الفلاح موضوع تكريم ، ولكفه خضع لرقابة مزعجة . وبالاضافة إلى ان الاراضي كلها كانت ملك الاسياد ، وان طبقة الدايميوس النبلاء استوفت اتاوات عينية ، وان طبقة من الملاكين غير المستثمرين قسد تألفت واحتفظت بجزء من الحصيد فان هدذا الحصيد دخل الانابر العامة ، بعد احتفاظ المنتج بالكمية الضرورية لتأمين معيشته . وقد حظر ترك الاراضي الصالحة للزراعة مواتا ، واستبدال الارز بزراعة اخرى ، ومفادرة ارض المزارعة دون اذن صريح بذلك . ولكن على الرغم من سهر ييدو على الاحتفاظ بالطابع الدائم لارض المزارعة هذه ، فقد رهن الدايميوس اراضيهم المذخرة ، وزاد وضع المستثمر سوءاً .

سعت السلطة الشوغونية منذ زمن بعيد وراء ارغام الدايميوس على الطاعة : وقسيد كوفى، الامناء منهم بدو كوكو ، الارز ، وحافظت طبقة المحاربين على امتياز حمل السيفين المعقوفين ، ولكنها الزمت بالحدمة وارغم اعضاؤها على الاقامة في يبدو سنة بعدد اخرى ، وترك الرهائن فيها اثناء غيابهم . وبسبب بطالتها اصبحت فاسدة الاخسلاق وسريعة الغضب . واذا توفق الدوكوغاوا ، إلى اخضاع ارباب القصور في كوانتو - و بلاد الشرق ، بالنسبة لم و فوجي، السلطة السيدية قد حافظت على كل امتيازاتها تقريباً إلى الغرب من هوندو وفي و كيو -

تفسر ندرة النقد ورقابة سوق الارز القوة المتزايدة التي غتم بها التجار اصحاب الامتيازات والصيارفة او «شونين» (اشتقاقاً : رجال المدن) . وكان من جملة اسباب اقفال البلد استدراك خروج النقد . ولم يكن مركز النشاط التجاري ناغازاكي ، حيث عقدت بعض السفقات مع الخارج ، وبيدو نفسها على الرغم من قوة جمسمية تجار الارز بالجمل فيها ، الدو فودازاشي ، بل اوساكا التي لقبت به وخزانة مؤونة الامبراطورية ، بالنظر إلى الجمسية انابرها المامسة . وكان اعظم الشونين نفوذا الا وتوايا ، او وكلاء النقل البحري ، لان الارباح سلكت طريق البحر بسبب نقص حيوانات النقل وكسائرة ضرائب المرور السيدية . وتعاطى سلكت طريق البحر بسبب نقص حيوانات النقل وكسائرة ضرائب المرور السيدية . وتعاطى الاراضي وابتزاز اموال المزارعين. وقد ورد في نص يرتقي إلى السنة ١٨١٦ ذكر «البور جوازيين الادنياء النسب » و « انسباء المرابين » بين مشتري الالقاب الشرقية . فاثار فرار سكان الارياف الادنياء النسب » و « انسباء المرابين » بين مشتري الالقاب الشرقية . فاثار فرار سكان الارياف

روج ارتقاء اثرياء العاميين وضائفة النبلاء الفقراء الروايات والقصص والرسدوم الشعبية الطابع ، البذيئة حيناً ، والهجائية حيناً آخر ، وبينها استمرت الدنو ، او المأساة المقدسة في طريق الانحدار ، انقطع الادب والفن الى وصف الاخدلاق بعرض الرذائل او بالاستهزاء بالانحرافات ، فأبدع د ايكو ، في وصف حياة الجماهير . واذا ما نظر التقليديون الى هموكوزاي ، الحازم نظرهم الى لمصور القذر ، فلانه ينتمي الى مدرسة د اوكيو - يي ، المبتذلة ويرسم كل ما

ىرى ، حتى اكثر الحرف ضعة .

الا ان ردة فعل استهدفت الكونفوشيوسية التي اعتبرها موتووريمصدراً للاخلاق المتراخية. وعلى نقيض مدرسية الدكتار كنفاكوسا ، التي ما زالت تطري تقشف الفلسفة الصينية ، رجعت مدرسة الدد فاغاكوسا، إلى الاصول القومية واعادت الاعتبار لتعالم الدوشتو، وان موتووري، الذي اسهم اكثر من اي شخص آخر في تكوين الدد فابون ، اي اللغة اليابانية المكتوبة ، قي الله الماربة وق كتابه و كوجيكي ، الى حقوق السلالة المنزوية في كيوتو والمعتصمة بالصمت . اشار بقوة ، في كتابه و كوجيكي ، الى حقوق السلالة المنزوية في كيوتو والمعتصمة بالصمت . مم جاء و هيراتا ، بعده يشيد بدوره بالعبادة الامبراطورية . وضمت المدرسة الجديدة عدداً من مؤرخي الموروبا الرومنطيقية وعلمائها الواسمي الاطلاع ، الذين حارلوا ايقاظ الماضي الجميد . وبينا نادى حزب الدميتو ، الذي كان يمت بصلة الى حارلوا ايقاظ الماضي الجميد . وبينا نادى حزب الدميتو ، الذي كان يمت بصلة الى مكنت شنتوية مدرسة و كاغوشيا ، عند كبار الداييوس في المناطق الجنوبية الغربية ، ولا سيا و ساتسونا ، و وشيوشيو ، الحاقدين على يبدو ، الذين اقاموا علائق وثيقة بأوساط الاحمال في ناغازاكي . فنمت من ثم حركة عاطفة على بيدو ، الذين اقاموا علائق وثيقة بأوساط الاحمال في ناغازاكي . فنمت من ثم حركة عاطفة على إحياء الامبراطورية ، صادقة كانت ام غير صادقة في نافاذ القم الاساسة الحضارة القومية .

الا ان الظروف عاكست السلطة الشوغونية اثناء عهد و تمبو » الذي يرافق النصف الاول من القرن التاسع عشر . ومن حيث ان كلفة المعيشة ارتفعت ارتفاعاً حثيثاً مطرداً ، فقيد قوبل تفخل البعض ، اكثر فاكثر ، ببؤس البعض الآخر . فبين السنة ١٨٣٠ والسنة ١٨٤٠ ، تجددت الجاعات الكبرى التي حدثت في اواخر القرن السابق وتخللتها اضطرابات على جانب من الاهمية . فهاجم اله و ساموراي » والشعب جماعة اله وشونين » . وفي اوزاكا ، صب الثوار جام غضبهم على صيرفي موسر يدعى و ميتسوي » . فأصدرت بيدو اوامرها الى الفلاحين بالمودة الى اراضيهم ، ولكنها عبثاً حاولت قضاء وطرها من الاغنياء بواسطة نصوص تحسد من النفقات المفرطة ، وفرض ضريبة استثنائية ، والفاء ديونها الخاصة إلفاء جزئياً ؛ وعبثاً ألفت امتيازات جمسميات وفرض ضريبة استثنائية ، والفاء ديونها الخاصة إلفاء جزئياً ؛ وعبثاً ألفت امتيازات جمسميات التجار والتجارة الكبرى بغية تخفيض الاسعار عن طريق المنافسة : فقد ابطلت كافحة التدابير حوالي السنة ، ۱۸۵ امام مقاومة يبدو انها ضمت اوزاكا والداييوس في المناطق الجنوبية الغربية .

وجملة القول ان السلطة الشوغونية قد فقدت المزيد من اعتبارها حين جاء التدخل الاجنبي يعقد مهمتها ويخدم مصلحة خصومها .

فتح اليابان للاجانب وانهيار السلطة الشوغونية

كانت المقايضات العادية بين اليابان والعالم الخارجي عادمة الاهمية . فقد خشيت يبدو خروج النقد وفرضت رسوما جمر كية مرتفعة . ولكن اعال المهربين كانت آخذة في التوسع.

الا ان نفوذ البيض قد افاد من الفضول الذي اثاره دخول ادواتهم العسامية وكنبهم . ففي

السنة ١٨١٠ اجازت الحكومة فتح مكتب ترجمة خراج التراجمة وقراء المؤلفات الاجنبية . ومن هولندا أي بالاحصنة والبطاطا وبالتلقيح ايضاً . وان اوغاتا الذي مارس هذا الاخير ، قسد اسس مدرسة للطب في اوزاكا وصنع ملقط جنين بالاستناد الى رسم . وفي ناغازاكي ، فتحت مدرسة عنيت بتعليم اللغة الهولندية التجارية بصورة خاصة ، وفي ييدو فتحت مدرسة اخرى عنيت بالتفضيل بالدروس العلمية . وفي السنة ١٨٤٧ احملت الروزنامة القمرية الشبيمة بالروزنامة الصينية . وفي السنتين ١٨٤٧ ظهر التصوير وفاقاً لطريقة « داغير » وصناعة الثقاب المفوسفوري والزجاج . والى العهد نفسه يعود اول مصنع للبنادق والمدافسم جهزه « ايغاوا » الني انزل الى البحر سفينة بخارية مزودة بآلة ابتاعها من الهولنديين ، واكب على تحصين جون ييدو . واعرب بمضهم عن اعجابهم بما اتاه الغرب . فتذوق الرسام « شيبا — كوكان » رسوم ييدو . واعرب بمضهم عن اعجابهم بما اتاه الغرب . فتذوق الرسام « شيبا — كوكان » رسوم الدول الاوروبية . وصودر كتاب « يازوو — دوكوغو » (مناجاة ريفي عجوز لنفسه) لمؤلفه الدول الاوروبية . وصودر كتاب « يازوو — دوكوغو » (مناجاة ريفي عجوز لنفسه) لمؤلفه وسوغينا سرغاباكو » الذي يروى انه مات مسمماً لانه اسس جمعية غايتها نشر الافكار والحنية ، واحرقت الخطوطة الاصلية للصحيفة التي نشر فيها آراء معادية للنظام القسام ، والكن مل باستطاعة اليابان ان تقوم بما عجزت عنه الصين وتقاوم مناورة عسكرية بحرية ؟

منذ زمن بعيد اخد الروس يقتربون شيئاً فشيئاً ؟ مترددين الى شواطىء سيبيريا الفربية ومقيمين في الكوريل ؟ ثم في ساكالين ؟ في المياه الغنية بالاسماك . وجاءت سفن بريطانية تطلب تمكينها من التمون . ولكن المرافىء اليابانية كانت توفر التسهيلات المغربة للاميركيين بصورة خاصة عطيطريق الشاي البحرية . وبعيد حرب الافيون اضطر الشوغون الى التخليء فكرة منع الدوريو - كيو » . فسبقت واشنطن انكلترا وروسيا وارسلت الكومودور و بري » يتظاهر في خليج بيدر وارغمت الباكوفو المنعور على فتح وهاكودات » ووشيمودا » في السنة ١٨٥٤. وعلى الرغم من وجود هذين المينامين في اطراف البلاد ؛ فان الخطوة الاولى قد خطيت ؟ ووقعت اتفاقات مماثلة وتكميلية اتاحت للدول ؟ بعد فترة قصيرة ؟ الوصول الى ناغازاكي ويوكوهاما ونييغانا ؟ وتعهد مقيمين في البيدو واوزاكا ؟ وتعاطي التجارة مباشرة شريطة تسديد الرسوم المتوجبة . فاضطرت امبراطورية الشمس المشرقة بدورها الى توقيع معاهدات غير متساوية .

ادت هذه التنازلات الى تزايد كراهية الاجانب وثقلت وطأة الازمة الاقتصادية وعجلت ردة الفعل ضد السلطة الشوغونية التي دفعها دايي تاوسوكي، الحاذق الى مصافحة يد الفربيين دونسا وجل ، فاستقبل نبأ المعاهدات بصورة عامة كاهانة تلحق بالبلاد . وخاف العديد من الصناعيين اليدويين والتجار من المنافسة وخافوا على امتيازاتهم . فلم يُعتد على الاجانب فحسب ، بل اقنع الدايميوس الامبراطور بالامتناع عن ابرام الاتفاقات ؛ ومن جهة ثانيه أخذ دايميوس المناطسة

الجنوبية الغربية على انفسهم إقفال مضيق و سيمونوساكي ، . فكان الجواب قيام بعض السفن الحربية بقصف تحصينات المضيق بالقنابل ومراقبة الملاحة في مياه اوزاكا ، فأبرمت الاتفاقات وخفضت الرسوم الجركية . فبدا عجز اليابان وكأنه غير قابل للمعالجة .

ولكن اليابان تعرضت لهزة اقتصادية ايضاً. فمن جهة تسببت الواردات في خروج النقد وألحقت ضرراً كبيراً بالصناعة البلدية ؟ ومن جهة ثانية ادت الصادرات الى ارتفاع سعر الحرير والقطن والحنطة . واذا علمت ان النسبة بين الذهب والفضة كانت نسبة ٨ الى ١ لا ١٥ الى ١ كتين لك ان المقايضة وفرت ارباحاً طائلة للأجانب الذين عدوا الى اخراج الذهب . فحدث اندفاع حقيقي وراء ذهب اليابان ٤ تأثرت به كافة طبقات المجتمع تأثراً متفاوتاً . واختل الامن وسادت الفوضى ؟ فتمددت الافلاسات ، وجابت زمر الساموراي البلاد معتدية على الاشخاص والممتلكات . وتوفرت عناصر الحرب الاهلية بفعل استطاعة انصار الشوغون وخصومه الحصول على الاسلحة والاعتدة بواسطة الرأسماليين ٤ من أمثال ميتسوي ٤ الذين لم ينتصروا لا لهذه الفئة ولا لاسلحة والاعتدة بواسطة الرأسماليين ٤ من أمثال ميتسوي ٤ الذين لم ينتصروا لا لهذه الفئة ولا سبيل تحقيق غايتهم ٤ الى سلوك السبيل الذي اخذوا على الدتورة السنة ١٨٦٨ التي خرج الامبراطور ان كل شيء آل الى احداث تبديل عميق . وهكذا اندلمت ثورة السنة ١٨٦٨ التي خرج الامبراطور الشاب موتسو هيتو في اعقابها ٤ بعد زوال السلطة الشوغونية ٤ من مقره في كيوتو وجاء يتولى الملكم في يبدو التي اطلق عليها اسم طوكيو (عاصمة الشرق) .

استلم النظام الجديد السلطة في جو البلبلة هسندا ، ولم تتوفر له لا القوة اله «مسبد» المسكرية ولا الموارد المالية الكفيلة بمقاومة تدخل مسلح بمكن ، فلم يكن باستطاعته قطع علائقه بالدول . ومنذ السنة ١٨٦٨ ، حرص الميكادو على تسكين روعها حيال لواياه : الميجي يعني عهد الانوار ، وبالتالي عهد التعاون مع الدول المتطورة .

من هو بالضبط ذاك الذي سار باليابان في طريق التجدد ياترى ؟ لقد تكلم بعضهم عن استبداد مستنير كان من شأنه ، باسم أجل تقليد وطني ، المحافظة على استقلال الامة بواسطة التفييرات الضرورية ، وضمان مقام سام لامبراطورية الشمس المسرقة بين الامم. ولا يجوز الانخداع بأهمية وميثاق البنود الحنسة » الذي وافق عليه موتسو هيتو بفية اتاحة والتعاون بسين الحكام والمحكومين » . فالواقع هو ان بعض الاحزاب حلت محل غيرها رغبة منها في السيطرة بمساعدة بمض الرأسهاليين الحذاق وفي كنف الاسم الامبراطوري الساحر . وقد استخدمت في الحقيقة ثلاث قوى : زعماء الحركة المنتسبين الى النبلاء والراغبين في اقامة النظام الجديد ، ورجال المال الحريصين على تطوير الاقتصاد ، وروح التضعية عند الجماهير .

يبدو ان حزبي ساتسوما وشيوشيو قد تقامها السلطة . فقد وجهت الامبراطور فئة محدودة

من المستشارين الاقوياء : وقد ألفت ما يعرف بال دجنرو، أو قيادة المشرفين على انتقاء الموظفين (وسوف يتكلم الاميركيون عن : « امتحان الدماغ ») . وكانت هذه الفتَّة توقسد البعثات الى اوروبا للاطلاع على كل شيء ، فتعود وفي جميتها مخططات جريئة لاعــــادة التنظم _ وكلنت بدورها تفصل في كافه الامور ، لأنها لا تضم اي حد لامتمازات الميكادو الذي لا تثميز بمضالح الدولة عن مصالحه . وقد برز من بين كبار هؤلاء الوظفين اوكوبو توشيميشي ، و ﴿ ايتاغاكمي، و « ايتو هيروبومي » . وعلى الرغم من أن الجنرو انبثق من الاقطاعيين ، فانه النسى اقطاعية اعتبرها بالية ووضعها في خدمة الامبراطور . ولن يكون هناك بعد اليوم سوى طبقــة نبلاء الحدمة المدنية ، الشبيهة باأ « تشين » ، التي ستمنح في المستقبل القاباً شرفية بحتة وفاقاً الطريقة الأوروبية . وأذا أصبح المزارعون اصحاب الأراضي التي يزرعونها ٬ فان مجموع اعمائهم الاميرية Tل الى خزانة الدولة التي وضعت يدها بالاضافة الى ذلك على ممتلكات الجمعات البوذية . فأتاح هذا الاصلاح الاجتاعي الواسع رفع الادارات العامة الى مصاف الادارات العصرية: تبديــل الاقطاعات بالولايات ، تجنيد جيش عن طريق التقييد السنوى للشيان البالغين سن ابتداء الخدمة العسكرية ؛ احداث تعليم قادر على تخريج مسؤولين اكفاء .وقد اقتبُس ذلك عن فرنسا والمانيا بسبب شهرة الاولى بمركزيتها والثانية بصفات موظفيها ، كا أتى من انكلارا أو امركا بمعظم الفنيين والقسم الاكبر من الادوات والتجهيزات . ولكن هذا الهمكل المتين كان تحت رحمـــة وضع مالي واقتصادي سيء .

ما كان المشرفون على الميجي ليجهلوا أهمية المسألة الزراعية ، ولم يفتهم ان قمع ثورة الفلاحين ليس حلا لها، فان الحرب الاهلية قد أضرت باعمال الزراعية ، والثورة خيبت آمال سكات الارياف الذين باتوا احراراً في ان يزرعوا كا يطيب لهم الززع ، ويشتروا ويبيموا ، ويمتلكوا الاراضي التي كانوا يتصرفون فيها تصرف المستثمرين فقط ودون انقطاع ، والزموا بالحدمة المسكرية وبدفع ضريبة نقدية دونها الاتاوات القديمة أحياناً ، بصرف النظر عن الاتاوات التي ما زال يحق الملاكين غير المستثمرين فرضها على مزارعيهم ، وفقدوا كذلك حقوق الانتفاع من الغابات التي ضمها الميكادو الى املاكه ، فكان هو وهؤلاء الملاكين غير المستثمرين اول المستفيدين من الاصلاح . أضف الى ذلك ان مجاعة السنة ١٨٧٠ — ٧١ الكبرى كانت اكبر دليل على سوء حال الزراعة . فان زارع الارز في قطعة الارض الصغرى التي يملكها ما كان ليستطيع على سوء حال الزراعة . فان زارع الارز في قطعة الارض الصغرى التي يملكها ما كان ليستطيع حرية بيع المقارات .

كان عهد الانوار كذلك عهد امثال ميتسوي وميتسوبيشي والمؤسسات الخس أو الست الكبرى ، التي ساندت الاصلاح الامبراطوري . فقد كانت طوكيو بحاجة اليها لاصلاح سوق النقد وقويل المؤسسات الصناعية والتجارية الجديدة . وفي الوقت الذي عقدت فيه قرضا مسن لندن ضمنته بمحصول الجمارك ، لجأت الى القروض الداخليسة وسمحت لبعض المصارف بإصدار

اوراق نقدية . فأتاح لها التضخم النقدي وفاء ديونها ، ولكن المصارف الوطنية المسترحاة مسن المثال الاميركي ، ما لبثتان ضاقت مقاليدها ، بينا ازدهرت المصارف الحساصة ، كمصرف ميتسوي مثلا ، ووظفت ارباحها في المناجم وشركات الملاحة والمعامل. وكانت النتيجة انخفاض قيمة النقد الفضى الجديد ، الدين ، ، واستمرار خروج الذهب .

والحال انفت الروح السامورائية من التخلي عن الاقتصاد للرأسماليين. فبذلت من ثم في البدء عاولة تستهدف تنمية رأسمالية رسمية حقيقية . فأخضع النشاط لرقابة شديدة تمارسها الادارة التي سمت جهدها لتأسيس شركات بمساعدة صغار النبلاء الذين كان بهمها ان تنتزعهم من الفقر : وقد يؤلفون طبقة تجارية جديدة ، هي طبقة العشيزوب المتشبعة بالتماليم الكونفوشيوسية . فظهرت المبادهة الرسمية في كافة الاتجاهات : استثار مناجم الفحم الحجري ، وانتاج المعادن والمنسوجات (انشىء اول معمل لحياكة القطن الآلية على يد أحد الاسياد وبادوات انكليزية في السنة ١٨٦٧ ، ولكن الحكومة اسست في السنة ١٨٧٧ معملا نموذجياً لفزل الحيسوط الحريرية تحت اشراف احد الفرنسيين) ، والزجاجيات ، والورق ، وصناعة الاسمنت ، ومد الخطوط الحديدية والخطوط التلفرافية الاولى . واتجه الانتباه بصورة خاصة شطرالتسلح البري والبحري . ولكن ما لبثت الحكومة ان عدلت عن هذه السياسة التي اثقلت كاهل الموازنة وأثارت استياء وساط الاعمال . وهكذا فقد عجزت شركة وطنية للنقل البحري عن منافسة شركة آل ميتسوبيشي ، كا ان آل ميتسوي استردوا اكبر مصنع لانتاج الورق واداروه لحسابهم .

والحقيقة هي ان الميجي قد تعرض بين السنة ١٨٧٧ والسنة ١٨٧٧ لامتحان عسير. فعسلى الرغم من الاضطرابات الريفية ، وبلبة النقد المستمرة ، وعجز الميزان التجاري ، عرف الاقتصاد الياباني توسماً بينا سها التضخم وشجعته السلطة ولكنه توسع عرقته للغطر أزمة السنة ١٨٧٣ العالمية . فان انخفاض حجم الصادرات والتباطؤ في بناء الخطوط الحديدية اثارا بعض القلسق وتعرضت حينذاك عدة مؤسسات حكومية للخطر . فحرض سايغو ، وزير الحرب المنتسب الى حزب ساتسوما ، والمولع بضرب السيف على الطريقة القديمة ، على القيام بعمل حربي إلهائي في الخارج ، ولكن الغلبة كانت لانصار السلام : فعدلت اليابان عن خوض غمار الحرب في كوريا . فانسحب سايغو من الوزارة مستاء واصبح زعيم معارضة قوامها الاشراف وضعت هذه الاخيرة جهوراً كبيراً من الساموراي الذين اغضبهم الاصلاح المسكري واضر يهم تحويل جمالاتهم الى صكوك دخل متدنية القيمة تدفعها الدولة . وفي سبيل تهدئة هذا الهيجان ، تأسس مجلس شيوخ وغزيت كوريا لفترة قصيرة . ولكن الذاع الحاسم انفجر في السنة ١١٨٧ ، حين حرض سايغو ساتسوما على العصيان بعد اعتراضه على علهة السياسة الخارجية وإلفاء السيفين واعتاد الاوساط السياسية اللازة الاوروبية . فكان ذلك آخر ثورة اقطاعية اقليمية الطابع . وقد اغتيل اوكوبو على أيدي رجال حزبه بالذات ، ولكن الميجي خرج منتصراً ، وانتصر معه الاستبداد البيروقراطي . وارجأ الميكادو الى السنة ١٨٩٠ إعلان النظم المستورية .

خرجت السلطة الامبراطورية راسية القواعد من هذه الازمة . الا انها اضطرت لأن تحسب حساباً متزايداً لاوساط الاعمال . فتخلت المشاريع الخاصة عن عدد من المؤسسات التي كانت قد انشأتها . وسارت في تصميمها على تعديل موازنتها ، بينا لم تزل قيمسة ال و ين » في انخفاض مستمر ، فاكتفت بتقديم المساعدات المالية لانشاء خطوط مواصلات جديدة وتشجيع تأسيس المصارف المطلوب منها مساندة الصناعة والتجارة . فاستمر التحسن الاقتصادي على الرغم من الصعوبات المالية . وبين السنة ١٨٨٠ والسنة ١٨٩٠ اتضح وجه اليابان الجديد اتضاحاً بيناً .

مظاهر اليابان المتناقضة قبيل توسعها

في السنة ١٨٩٤ وبفعل نزاعها مع الصين، دخلت اليابان المسرح العالمي دخولاً يلفت الانظار والانتباء . فقد دقت ساعة توسعها الاستعماري. وتميزت اذ ذاك بخليط غريب من الحضارة التقليدية

والطرائ<mark>ق المقتبس</mark>ة عن الغرب.

واذا ظهر فيها حزبان ممارضان منذ السنة مهمه ؛ فان احدهها ، حزب الاحرار (جيوتو) قد استند الى آل ميتسوي ، والثاني ، الحزب التقدمي (كيشنتو) كانمر قبطاً بآل ميتسوييشي . اما دستور السنة ١٨٨٩ ، وهو بمثابة تنازل للبورجوازية الكبرى الآخذة في التكو"ن ، لم يول حق الاقتراع سوى نصف مليون منتخب ، مختارين من بين المكلفين البارزين ، ولم يتمتم الامبر اطور ، الذي يكون الوزراء مسؤولين امامه ، مجتى تعيين اعضاء الجلس الاعلى فحسب ، بل مجتى دعوة مجلس المثلين ، المنتخبين عن طريق التصويت العام ، وحله ايضاً ؛ لا بل تمتم مجتى تجاهل هدا الجلس بتوقيمه مراسم لها قوة القانون وبحتى الامتناع عن توقيم القوانين المقررة بالتصويت . وبالاضافة الى إشرافه الكلي على الجيش والاسطول والعلائق الخارجية ، حتى له ، بعد الاستناس برأى الجنرو ، اتخاذ مقررات هامة جداً .

انه كا في السابق فوق الخصومات وفوق البشر ؛ إذا جاز التعبير . والدستور ينص صراحة على انه و نازل من السناء ، مكرم ومصون ، ويضيف الى ذلك انه و لن يكون موضوع اي تأويل او نقاش ، كان في البدء يظهر علانية مرتديا الثرب الصيني ؛ ولكنه حين اعتمد الزي الاوروبي لم يعترض عليه احد وبات السير على خطاه مظهراً من مظاهر الادب . وقضى العرف بالسجود في حضرته (والزم الاجانب أنفسهم بالركوع في الشارع عند مروره) ، ولكنه قد يسمح لاحد المستشارين أو احد الوزراء بالظهور المامه باله و كيمونو ، والسيجار في الفم وحتى يسمح لاحد المستشارين أو احد الوزراء بالظهور المامه باله و كيمونو ، والسيجار في الفم وحتى القبمة فوق الرأس . وتفقد عبة الوطن كل معانيها اذا لم تقترن بعبادة الاقنوم المقدس . وفرض الحفط الشريف الصادر في السنة ، ١٨٩ (شوكونغو) ، الذي يحدد القواعد الاخلاقية للتمليم الابتدائي ، ان يكتسب الوله و الاعتزاز القومي والاخلاص السلالة والتضحية للوطن» . ويحدر الانتباه هنا الى ترابط هذه الصفات . واشتهر الياباني ، الذي أنف من التجريد ، بشغفه بالصورة أ كا ان الجاهير التي يسرها وجود الكائن المبارك من الله فيا بينها تشعر بقشمريرة صرعية . الا

ان الدولة توقفت في عهد الميجي عن رعاية الشنتوية ، والبوذية من قبله ... ، وتساهلت تساهلا فعليا حيال المسيحية . ويرد ذلك الى الرغبة في الحسول من الاجانب على ابطال و الماهدات غير المتساوية ، : وبما ان الشمب ، ولا سيا الحكام ، لم يقفوا سوى موقف اللامبالاة من رسالة المبشرين (لم يكن هناك سوى ١٠٠٠٠٠ مسيحي في السنة ١٨٩٠)، لم يكن للبادرة الانتهازية ، أية أهمية جدية من الناحية الاجتماعية .

ان استبداد الدوائر والعسكريين لم يتداول لعمري في موازنة الواردات والنفقات العامة الا مع المصالح الكبرى . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الاحزاب تنازعت المراكز وغالباً ما ذكرت اعمال المنف الحكام بأن الشرف النيبوني لا يسلم ببعض التفاوضات المذلة مع الاجنبي . وقد حدث احياناً ان تعرض بعض كبار الزائرين للاغتيال . وفي ذلك الدليل على ان ذهنيسة الساموراي الفظة ما زالت تختيء وراء ظواهر المؤسسات العصرية .

شكلت الكتابة المقبة الكاداء في سبيل نشر التعليم نشراً واسماً بين الجماهير . فكل ما المكن تحقيقه في المدرسة الابتدائية هو معرفة واستنساخ وووق حرف ضروري . ولذاك وجب صرف وقت طويل ومال وفير للارتقاء حتى مستوى المدارس التقنية والعليا التي تخرج كمار الموظفين وقادة للفكر .

ولذلك فان اقلية ضيّلة عرفت ما تدين به اليابان الغربيين . فكانت براعــة التقليد اكثر موافقة في هذه الحالة ، لا سيا وان مخالطة الانكاوساكسون اسفرت عن نمو الجدارة العملية . فاليهم طلبت طوكيو الفنيين والاطباء والاساتذة ، واليهم فوضت امر تثقيف طلابها ؛ فانتشرت قوانينهم التي استطاعت الامرأة اليابانية بفضلها ، على غرار الرجل ، التقدم بدعوى الطلاق . واعترف بالحريات الفردية ، ونشأت صحافة انطلقت انطلاقة سريمة . لا بــل تناول البحث موضوع جمل اللغة الانكليزية لغة رسمية . وعلى اي حال ، فقد ترجمت مؤلفات كبار الفلاسفة والاقتصاديين والعلماء البريطانيين ترجمة زادت في صعوبتها لغة ظريفة تفتقر الى الوضوح . وقد سبق لـ و هيراتا ، تلميذ موتووري ، ان اشاد بالاصلاح الامبراطوري في مؤلفاته التاريخيــة ؛ وحاء بعده و فو كوزاوا » ، الذي درس الفلسفة في انكلترا ونشر و شؤون غربية » ، فعــلم وجاء بعده و فو كوزاوا » ، الذي درس الفلسفة في انكلترا ونشر و شؤون غربية » ، فعــلم النفعية في جامعة و كيو » وفي الصحيفة و جيجي » . وتبارى مع ناكامورا في ترجمة مؤلفات كثيرة . والى هذا التاريخ يعود استثنار و بنتهام » و و جون ستيـوارت مــل » و و هربرت سبنسر » باستحسان المثقفين اليابانيين التفضيلي ، واقدام و تسويوشي شويو » على ترجمــة شكستر .

وفتنت فرنسا اليابانيين بفكرها وقوانينها. فاستهوت مادية فلاسفة دائرة ممارفها و ناكايه» الذي احب كذلك و روسو » و وكونت » . وسوف تعرف تمثيلياته نجاحاً عظيماً دائمــــاً . ولكن الالمان احرزوا تقدماً متزايداً بعد السنة ١٨٨٠ . فقد كان لانتصاراتهم العسكريــــة

وانضباطهم المدني وتحقيقاتهم التقنية اثر كبير في النفوس. فأرسلوا الى اليابان بدورهم الحقوقيين والاطباء والجراحين. ووفرت مؤلفات و ليست ، التي ترجمت في السنة ١٨٨٥ – حين عدد وايتوى من رحلة الى برلين وفيينا بمشروع دستور مقتبس عن الدستور الروسي – الحجج والادلة لانصار اقتصاد قومي خاضع لنظام الحاية . واعجب وكاتو هيرويوكي ، بـ وهيفل ، ومدرسته ولن يلبث و نيتشه ، ان يستهوى اليابانيين .

الا ان هذا الاقتباس قد اضر في نواح عديدة بأصلية عبقرية الشعب . فغي القصة برزت النزعات نفسها التي برزت في اوروبا برافقها استعداد طبيعي للرومنطيقية في مؤلفات و كودا روهان، ثم للواقعية في مؤلفات و شيازاكي توسون ، و و ناهاما كاناي ، بينها انساق دموري اوغاي ، مترجم و إبسن ، و و سترندبرغ ، وراء التقليد التصوفي . وبحث الشعر عسن اشكال جديدة (شنتاي س شي) في مؤلفات و يامادا ، وشيازاكي ، بينها صمم و اوشياي ، وو شيكي مازواكا ، على بمث الدو تانكا ، والدوهاي ، التقليديين . اما المسرح الذي حاول و شويو تسوبوشي ، اصلاحه ، فقد عرض بعض مشاهد الامانة الزوجية والبسالة الابينة وعرف المسدهدين الاجانب برقصات الدوغيشا ، ولكن ما انطوى عليه من عقم سوف محمل المبكادو في السنة ١٩٠٧ على ايفاد مؤلفين مشهورين لدراسة الفن المسرحي في باريس .

درس الرسامون قواعد رسم الاشياء كا تراها العين ، وسعوا وراء تمثيل نواتج الظل والنور، واستوحوا الطبيعة وحدها لان تمثيل العري كان محرماً : ولكن لم يحظ منهم بالاعجاب والرض في المعارض الدولية لا مصورو المناظر الطبيعية المشهورون من امثال و هير وشيجي » و وهودا و كاواكوبو » ، ولا مصور الصور الهزلية و كيوزاي » من مدرسة و هوكوزاي » . واذا مسازل هناك بعض منتجي المصنوعات التزيينية المهرة وبعض المصورين المائيين الموهوبيين ، على طريقة و كاوانابي » و و شيبا يوما » ، وبعض النقاشين الاقوياء - يامادي كيزاي بصورة خاصة حان صناعة الاسلحة قد فقدت علة وجودها ، وصناعة الخزفيات قد عانت من سعاجة ذوق الشارين الاجانب ، والبناء لم يعد يجد في الدين مصدر وحي ، فقلد الانباط الغربية المألوفة تقليداً على في الحقل المدني . اما الدو سامي - سن » (اعواد ذات ثلاثة اوتار) التي تصطحب الاغاني والرقصات ، فقد وجد المجتمع الرفيم ان عهدها قد ولى .

اقض مضجع البعض فساد الاخلاق في اوساط الطبقات الحاكمة نفسها ، ولكن احسنها فضائل الجدود في الارباف ومحافظة هذه الارباف على سعرها لم يحملا الميجي على تحسين مصير سكان الارباف تحسيناً ملموساً . فالملاك الصغير ، المرغم على دفع ضريبة عقارية ثقيلة والمحروم حتى الانتماع من الاملاك المشاعية ، عاش حياة صعبة . وسواء كان جني الارز سيئاً أو انخفض سعر الحبوب ، اضطر الى رهن ارضه او الى بيمها . ولكن ٧٤ / من املاك الفلاحين و٧٧ / من الملاك الفلاحين و٧٧ / من الاراضي المستثمرة لم تتجاوز الهكتار مساحة . فاشترى الافسراد الاثرياء بأسعار بخسة . وبسبب ازدياد عدد السكان ، ارتفعت قيمة استئجار الاراضى الى ٥٠ وحتى ٣٠ / من قيمة

المحاصيل ، فازدادت حالة المزارعين سوءاً على سوء . وتقاضت اليد العاملة المياومسة ، الني استخدمها الملاك غير المستثمر اجوراً ضئيلة جداً (،٠٠٥ ين - ،١٠٥ فرنك - حوالي السنة المرد ١٩٠٠) . ثم تحولت الزراعة نحو النباتات الصناعية التي تفضل الارز ريماً ، لا سيا وان الارز نادراً ما يسد حاجة الاستهلاك . يضاف الى ذلك ان الفلاحين غالباً ما باعوه واكتفوا بالخضار والاساك . ولكن مهاكان من نشاطهم ومهارتهم في العمل ، فانهم ماكانوا ليعرفوا البحبوحة واليسار باستثمارهم اراضي تقدر بـ ١٢ آراً لكل عائسة تقريباً ، بعد ان حرموا دخمل نول الحياكة الصغير ، حتى ولو أخذنا بعين الاعتبار الدخل الذي وفرته لهم تربية دود القز . فلا عجب والحالة هذه إذا ما هاجروا الارياف نحو المدن مهاجرة مطردة السرعة .

كانت اليابان من ثم مسرح ثورة في توزيع السكان. فلم تضم المدن سوى ٢٥ ٪ من السكان في السنة ١٨٩٠: ولكا كان مجموع هؤلاء في السنة ١٨٩٠: ولكا كان مجموع هؤلاء السكان قد ارتفع من ٣٠ الى قرابة ٥٤ مليونا ٤ فان اكتظاظ الارياف بالسكان لم يتاثر تأثراً ملموساً بنمو المدن. وقد نجحت الحكومة في توطين ٢٠٠٠ من من فقراء الساموراي والجنود الفلاحين - في جزيرة هو كايدو الباردة المناخ التي تصلح لتربية المواشي اكثر من زراعة الارز. وشجمت السفر الى كوريا وهاواي وكاليفورنيا. ولكن اليابانيين انفوا من الهجرة ٢٠ وآثروا تماطى نشاطات المدن.

على الرغم من ان مقر الميكادو القديم ، كيونو ، قد بدا له ، بوسكيه ، وكأنه • فر<mark>ساي</mark> خشى ، متناسق ، كثب ، محتضر ، خال من الحياة ... ، فإنه قد نما ، ونمت بجانبه ضاحية « افأتا » التي قامت فيها مصانم حياكة ومعامل خزف وميناولك . وعلى المتوسط النيبوني · سارت اوزاكا قدماً في تقدمها التجاري وألفت مع ﴿ كُوبِيه ﴾ مركزاً كبيراً للنشاطـات النسجية والبحرية : فقبالة ابراج القلمة الشوغونية التي تشرف على شوارعها المرصوفة بالقراميد واقنيتها التي بنيت فوقها آلاف الجسور الصغيرة المحدّبة ، قامت الابنية العامة التي اعتمد فيهسا المحي الطراز الاوروبي . وكانت يوكوهاما بالامس مجرد قرية لصادي الاسماك ، فاصبحت مرفأ للماصمة بفضل مياهما العميقة ، وجهزت بمصنم بحري ، وأناحت لها تجهيزاتهــــا البحرية الأخرى استقبال اكبر السفن محمولاً . اما طوكيو التي تأسست في احسب المستنقعات في القرن الثامن عشر فقد تقاربت احياؤها القديمة كما في المدن الصينية :الـ «سيرو» أو القصر الامبراطوري المحاط بالاسوار والخنادق ، واله « سوتو – سيرو » مع اله « يشكى » أو قصور اهل المقامات وكمار الموظفين ، والـ «مدزى » الذي كان - كا شاهد « هوبنر » في السنة ١٨٧٧ - «اختلاطاً من الشوراع المطروقة والمقفرة ؛ والحدائق ؛ والبساتين ؛ والمرزّات والرياض والمعابسيد » ؛ الاحياء المساكن القرميدية والحشبية والمشاغيل والمصانع . وقيد عاش مليون نسمة في مساحة شاسعة (بين ٨ و ١٠ كماومترات من الشيال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب) . وطافت

المدينة ابداً الزوارق الشراعية في البحر والد جنريكيشا ، ذات العجلتين في الشوارع ، ولكن خطوط الحافلة الكهربائية انشئت واستخدم الهاتف وانتشرت الاضاءة الكهربائية . واختلطت الازياء النيبونية والاوروبية . وما زال افراد المجتمع الرفيع يرتدون في منازلهم الدجوبان ، أي القميص القومية ، والد كيمونر ، اي الثوب الضافي الاهداب ، وفي الاحتفالات الوكاوري، أي اللباس المنشى الذي لم يخل من النصنع ، واذا ما ظهروا بالمروحة والمظلة ، والدجيسا ، والمناقيب خشبية) في أرجلهم ، فانهم قد ارتدوا كذلك السترة القصيرة والساترة الطويسة المشقوقة الذيل المقتبستين عن البورجوازية الغربية . وما زالوا مولمين بالدسونتو ، والاجودو » ولكنهم اخذوا عتمون بالدكربكت ، وكرة السلة ايضاً .

الى هذه المدن وضواحيها جاء سكان الارياف المعوزون يبحثون عن عمل يؤمنون بسه معيشتهم . فنشأت من ثم طبقة عاملة اضطرت الى الاكتفاء بأجور كادت لا تتجاوز أجور العمال الزراعيين المياومين . ففي طوكيو تكدست في غرفلا تزيد مساحتها عن مترين مربعين عاقلات مؤلفة من أربعة أو خمة اشخاص تتغذى مجساء وخضار مطهية تفيض عن حاجسة الثكنات والمستشفيات لا تدفع ثمنا لها اكثر من فرنك واحد في اليوم . وقد رافق ارتفاع الاجور حركة الاسمار حتى السنة ١٩٨٧ ، ثم توقف بعد هذا التاريخ ، فاضطرت النساء والاولاد الى العمسل ايضاً . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان صناعيين كثيرين آثروا تفذية واسكان فلاحات شابات يضعونهن لاقامة منفردة حقيقية . ولكن القاعدة التي اعتمدت هي عقد العمل لمدة ثلاث سنوات الذي لم يترك للعامل اية امكانية للاعتراض على شروط المعيشة المفروضة عليه . وصدرت في الذي لم يترك للعامل اية امكانية للاعتراض على شروط المعيشة المفروضة عليه . وصدرت في الدي لم يترك السنة ١٩٨٥ والدنة ١٩٠٠ والنين تمنع منما باتاكل محاولة و تحالف و وتعاقبها عقاباً صارما .

في هذه الاثناء كانت بورجوازية الاهمال آخذة بالنمو . فبعد ان ورثت عن الدولة مشاريع عديدة ، حصلت على حق تأسيس شركات مساهمة . وهكذا توطدت سيطرة بعض المؤسسات الكبرى ، ال وريباتسو ، التي استفادت من انخفاض الدين ، لتحقيق احتكار واسع في نطاق العناعة والتجارة بفضل وسائلها المصرفية . فكانت اليابان أسرع من روسيا نفسها في قطع أنواط التقدم ، وهي سوف تعرف رأسمالية الاحتكار في الرقت نفسه الذي سيعرفها الغرب . وسوف توطد اوليفارشية الاثرياء هذه مراكزها بفضل الانطلاقة الشاملة التي ستعرفها اليابان بين السنة ١٩٩٥ والسنة ١٩٩٤ .

ولكن الواقع الذي لا مفر منه هو ان الارخبيل الياباني ، شأن الارخبيل البريطاني ، كان مضطراً الى النصدير لتأمين حاجاته . وقد عاني من تقيده بماهدات لا تتبع له مقاومة المنافسة الاجنبية مقاومة فمالة . يضاف الى ذلك ان صناعته الحديثة العهد جداً كانت مفتقرة الى الفنيين وبعض الخامات الهامة وحتى رؤوس الاموال . فحدث احياناً ان بيع الارز للتمكن من شراء القطن والحديد والآلات. وقد زاد من ضرورة معادلة الميزان التجاري ان البلاد مدينة للخارج. فهو مستوى الحياة المتدني وكد الفقراء ما أتاحا تحقيق النهضة .

أظهرت الموازنة العبء الثقيل الذي تمثله الضريبة العقارية في الواردات ، ودفع المناشرات وتعهد القوى المسلحة في النفقات . ولكن التوسع بدا العديد من اليابانيين وكأنه حاجمة ملحة واذا لم تستهو المفامرة الرأسماليين ، فربما استهوت العسكريين الفئير على امتيازاتهم . فتقرر في السنة ١٨٩٤ اختيار وزيري الحربية والبحرية بعد ذاك التاريخ من بين القادة وامراء البحر . وقد نشبت الحرب في السنة نفسها مع الصين . فهل يجب اعتبار هذه الحرب بمثابمة عملية إلهاء؟ فمنذ انتخابات السنة ١٨٩٠ العامة تكون وحزب الشعب » المناوى، لرجال الجنو ، الذي انتقد الادارة الحكومية ، ثم توسع نفوذه مرة أخرى في شهر آذار من السنسة ١٨٩٤ : حسين اتضحت معارضة البورجوازيين لحزبي ساتسوما و شيوشيو ، وسوف يحتى الحساس الوطنسي مرة اخرى الوحدة حول العرش الامبراطوري ، وهي الحرب الظافرة التي ستدفع الثمن .

منذ السنة ١٨٨٩ اصدر كبلنغ حكمه الصائب في اليابانيين : « انهم رجال خيشاء قصار القامة يعرفون اكثر ما نتصور » .

احرزت اليابان انتصاراتها الاولى في شهر حزبران من السنة ١٨٩٤ . وفي شهر تموز وقعت مع انكلترا اتفاقية تجارية أبطلت احدى المعاهدات غير المتساوية ، ثم وشعت لات تحتل مركزها بين الدول العصرية المظمى بفضل نظامها العسكري ونزعتها التوسعية .





قبل أن يخيم الظل على ملامح القرن التاسع عشر لاحت في الافق ملامح عصر جديد خسلال السنوات التي سيقت الحرب العالمية الاولى .

الا أن ذلك لا يجيز الاعتقاد بأن كل شيء قد نيط بالكارثة التي أحس بها وخشيها وأعدها رجال مذا الجيل .

ما زال الاقتصاد الرأسالي ممتلك قوة حقيقية ، ولكن نزعته الاحتكارية تعاظمت بعد أن باتت المنافسة أشد عنفا يرما بعد يرم ، فكانت تلك الايام أيام الدول الاستعسارية الكبرى . وأذا ما وطدت البورجوازية مراكزها ، فإن الطبقات الكادحة قد أحرزت بعض التقدم ورشتحت الاشتراكية لخلافة فرضة بمكنة .

أشارت بعض الدلائل منذئذ الى ان اوروبا خلفت وراءها ساعات اولوية لا جدال فيها . اجل لقد جاء الاسهام السامي في الفتوحات التقنية والعلمية المستمرة والتجدد المدهش في الخلق الفكري والفني برهانا على ديمومة حيوية فكر قوي وحازم ؟ ولكن الارتيابات السيق حامت حول قيمة النجاحات المحققة عبرت عن قلق يمت بصلة الى تأزم الخلافات الاجتاعية والدولية . وكي لا يحدث ما لا يرتق فتقه ، كان من الواجب ان يدوم السلم - مها بلغ من وقتيته ، من حيث هو سلم مسلح .

ولنصل لالأول

وتبة جديدة الحالأمام

تكاو البنر مطرد السرعة . فارتفعت نسبة الزيادة السنوية بسين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٠١ ارتفاعاً اسرع منة بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٩٠٠ . الا أن هذه الزيادة ابطأت في اميركا الشهالية واوقيانيا ، بينا هي اتصفت بمزيد من الزفوف في آسيا واميركا اللاتينية واوروبا ، وانسها يلفت الانتباء من جهة أن كندا كانت اكثر استفادة ، من حيث أن تقدم الولايات المتحدة كان عدوداً ، ومن جهة ثانية أن نسبة النمو الاوروبي ، أذا ما استثنينا روسيا الاوروبية ، وبمساكانت اقل حجما كذلك (أذ أن نصيب روسيا وحدها كان ٣٤ مليونا مقابل ٨٧) .

اعار الماصرون انخفاض نسبة الولادات اهمية كبرى . وقد برز هذا الانخفاض في كافة البلدان الاوروبية (باستثناء البلدان البلقانية) بما فيها روسيا ؛ وكان ملموساً جداً في البلدان الانكاوساكسونية في ما وراء البحار ، ولكنه لم يتر اهتام مناطق الرياح الموسمية في آسيا ، ولا الهنود الاميركين ، ولا الافريقيين في الارجح . واشار المديد من المراقبيين بقلق — قرنا بعد مالتوس — الى المحطاط العرق الابيض ، وتخوفوا من والغزو الاصفر، وتكلم و لرواسبوليو، عن و مسألة شيخوخة الامم الرهبية ، وندد و بالوثنية الجديدة ، اي و الابتعاد عن المعتدات والتقاليد القديمة ، فيتضح من ثم كيف ان لهجة الاقتصاديين الاحرار تبدلت تبدلا بينيا : اخذوا يقيمون صلة بين نقصان المواليد وارتفاع مستوى المديشة ، مستندين الى ان سوم التفذية و فقدان التدابير الصحية ربما يفسران قوة الوثبة الحيوية في الصين والهند مثلا .

وعلى أي حال فان زيادةالولادات على الوفيات ربما كانت اقل حجماً لو لم ترتفع نسبةالوفيات ايضاً : وهي ظاهرة تثبت توفر ظروف صحية وغذائية فضلى تجلت بصورة خاصة في اكثر

المناطق الاوروبية تطوراً وفي بلدان ما وراء البحار حيث حالت بعض الشيء دون خطر تزايد عدد السكان .

تبرز خريطة تصنيف الامراض في الكرة الارضية ، بوضوح مؤثر ، التضاد بين الرقعة الاطلسية الشالية التي تكثر فيها الامراض الاجتاعية ، وبين الاقسام المتبقية من العالم التي ما زالت تعنيها إما الامراض الموضعية وامراض المناطق الحارة وإما الاوبئة الآسيوية الكبرى كالطاعون والكوليرا والجذام .

بدت من ثم معرفة حياة الافراد الطبيعية والعقلية وكان من شأنها تعزيز الآمال التفاؤلية المعلقة على الثقة العمياء بامكانات العلم . والكل يعلم ان اواخر القرن سجلت عدداً من اعظم الاكتشافات اهمية في حقلي الطب والجراحة . فقد شرع « لويس لابيك » آنذاك ابحاثه حول الفيزيولوجية المامة البجهاز العصبي واجلى مدلول ال chronaxie أو الوقت الفيزيولوجي الخاص الفيزيولوجي الخاص بقابلية تحرك الاعصاب ، واتسع حقل السيكولوجية الاختبارية بفضل ابحاث « ريبو » بقابلية تحرك الاعصاب ، واتسع حقل السيكولوجية الاختبارية بفضل ابحاث الماطن ، ووندت » و « بافاوف » و « ماخ » ، وبدأ « سغموند فرويد » يستكشف المقل الباطن ، ويحشف الاثر الجنسي في الامراض المصبية ، ويقترح الاستقصاء السيكولوجيي كأسلوب للمالجة . وتنظمت في الوقت نفسه دراسة اضطرابات النشاط التصوري الخاص (التأثر المفرط ، المساحة ، وتنظمت في الوقت نفسه دراسة اضطرابات النشاط التصوري الخاص (التأثر المفرط ، وبينا عالم التي تؤثر على الحركة (aphasie) والحواس والكلام (aphasie) . وبينا علم الوراثة انطلاقاً من عناصر النواة الملونة في الخلية ، واكتشف « فونك » الفيتامينات و « لند علم الوراثة انطلاقاً من عناصر النواة الملونة في الخلية ، واكتشف « فونك » الفيتامينات و « لند بدون استمال مواد مضادة وذلك بالموةة الى تعالى « باستور » . ومن الصين جاءت طريقه المعالجة بوخز الابر .

نزر<mark>حات الس</mark>كان الكبرى وتوسع المدينة

يلفت الانتباء ان الامم البيضاء في القارات الجديدة خشيت منذ ذاك التاريخ هجرة الملونين اليها ولا سيسما الآسيويين منهم . وبالقابلة لم يحدث ما يحد من الخلسل المتسبب عن المهاجرين السا

من اوروبا . واذا استطاعت المانيا الحؤول دون نزوح مواطنيها ، فان بريطانيا المطملى وايرلندا ما زالتا ترسلان الى البلدان الانكلوساكسونية في ما وراء البحار اعداداً كبرى من المهاجرين الذين استوعبت كندا نصفهم .

الا ان اعظم موجة نزوحية سجلها التاربخ قد خففت في الحقيقة عبء اوروبا المتميزة بنسبة عالمية حداً من الولادات في الارياف . فقد توجه فقراء شبه الجزيرة الايبيرية وشبه الجزيرة الايطالية باعداد وفيرة الى البرازيل والارجنتين اللتين استقبلتا منهم اكثر من ٣ ملايين بــــين

السنة ١٩٠١ والسنة ١٩١٣ (وقد نزل نصف مهاجري السنة ١٩١٠ الى البرقي وريو دي لابلانا») وبلغ مجموع الايطاليين والسلافيين واليهود الذين نزحوا الى الولايات المتحسدة ٢٠٠٠ ١٤ من اصل ٢٠٠٠ ٢٠٠ مهاجر ؟ واستقر بين ٢ و ٧ ملايين روسي في قنقاسيا وسيبيريا .

اما تيارات الهجرة من بلدان تتوفر فيها اليد الماملة الى بلدان مجاررة تفتقر اليها فكانت اقل الساعاً واكثر ارتباطاً بفصول الممل . وهكذا فان فرنسا بانت بلاد اغتراب لكافسة شعوب البلدان المحيطة بها ، وقد تجاوز عدد الاجانب فيها المليون نسمة ؛ ولكن المانيا نفسها استقبلت عدداً من البولونيين ، كما قصد بعض المكسيكيين الولايات المتحدة .

أعيق الصنفر في توسعهم في المناطق المعندلة المناخ التي يسيطر عليها البيض فتدفقوا على جزر وشواطىء الشرق الاقصى : استعمر الصينيون بأعداد كبرى منشوريا حيث نزح كذلك كشير من اليابانيين الذين لم يجدوا لهم مكانا في هوكايدو او هاواي ؛ وتقاطروا دون انقطاع الى الهند الصينية والانسولند . أما الهند فقد هاجر عدد ضنيل من سكانها الى المستعمرات الاوروبية في ما بين خطى الجدى والسرطان .

ان الذين لم تؤمن الاراضي الزراعية القديمة معيشتهم ثابروا على إحياء الاراضي الجديدة واستثار المنجم ولكنهم خضموا بالتفضيل لجاذب المهنة المدنية . فنمت المدن نمواً مطرد السرعة في كافة المدان ؟ وقد شمل هذا النمو كافة المناطق . فين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٩١٠ ، قفز عدد المدن التي تجاوز سكانها الـ١٠٠ الف نسمة من ١١٨ الى ١٨٣ في أوروبا (كان ٤٢ في السنة ١٨٥٠) ومن ٢٢ الى ٤٨ في الولايات المتحدة . و دخلت في عداد المدن الهامة التي قاربت المليون نسمة ، اذا لم تبلغ هذا العدد بمد ، ريو دي جانيرو و بوينوس أيرس ، كلكونا وبومباي، طوكيو و اوزاك و شنفاي وهان - كيو في الارجح . وان انقلاب ميزان القوى على حساب سسكان الارياف ، الذي حصل في بريطانيا العظمى ، قد حدث آنذاك في المانيا والولايات المتحدة ، ولن يلبث أن يحدث في فرنسا والدابان .

فتوطد من ثم ، في اواخر القرن ، نفوذ القطاع المدني بقوة لم يعرفها في اي يوم مضى ، وكان تمسراً عن نداء النشاطات الصناعية والتجارية الذي لا يقاوم .

ابتداء من السنة ١٨٩٥ لاحظ المعاصرون انقلابا في حركة الاسعار تجدد النهضة الاقتصادية العالمية ؟ التي اخذت في الانخفاض منذ السنة ١٨٧٣ ثم اخذت في الانخفاض منذ السنة ١٨٧٣ ثم اخذت في الارتفاع المرة الارتفاع الارتفاع ويبدر ان ظاهرة الارتفاع لم تكن قصيرة الاجل ، اذ

ان حركة تجدد النهضة قد استمرت استمراراً متواصلاً فاذا حددت نسبة الاسمار المامة ب ١٠٠٠ في المعقد الاول من القرن العشرين ، لتبين انها كانت ٩٠ في السنة ١٨٨٧ ، و ٨٣ في السنة ١٨٩٥ ادنى نقاط الحط البياني – ثم ارتفعت الى ٩٥ في السنة ١٩٠٠ ، وبلغت ١١٢ في السنة ١٩١٤ . اجل لسنا نلاحظ النسبتين ١٤٠ (١٨٧٠) و ١٨٧٠) حتى ولا النسبة ١٢٠ (١٨٨٠)،

ولكن هذه العودة الى الارتفاع تبدو من الاهمية بمكان اذا ما أخذنا بعين الاعتبار التزايد العظم في حجم السلم المعروضة . وتتعلق هذه العودة بأجور النقل البحري (أصبح نقل ١٠٠ كياو من نبويورك الى ليفربول يكلف ١٠٠٠ فرنكا في السنة ١٩١٣ بسدلا من ١٤٠٦ في السنة ١٨٩٢) وببضائم استهلاكية كثيرة . وهكذا اذا ما حددت نسبة اسعار ٢٠ مادة غسذائية ضرورية في فرنسا و ١٠٠ في العقد الاول من القرن العشرين لتبين انها كانت هه في السنة ١٨٩٢ وناهزت ١١٠ في الريس . وناهزت ١١٠ في السنة ١٩١٤ . فقد ارتفع إنفاق العائلة العالية بنسبة ١٠٪ تقريباً في باريس . وهي كلفة الكراء التي ارتفعت اكثر من كلفة الخبز أو اللحم ، على كل حال ؛ ويلفت الانتبساه بصورة خاصة ارتفاع كلفة المديشة في الفنادق العائلية .

والحال تثبت الاحصاءات توسع النشاط. فقد قدر مجموع اصدارات الاوراق المالية المنقولة بعدم ١٩٧١ مليون في السنة ١٩٠١ والسنة ١٩١٠ مقابل ١٠٠٠٠ بين السنة ١٩٠١ والسنة ١٩٠٠ وارتفسيع حجم رؤوس الاموالالتي وظفها ١٨٩٠ و ١٨٩٠ وارتفسيع حجم رؤوس الاموالالتي وظفها البريطانيون من ٢٠ والفرنسيون من ٢٠ البريطانيون من ٢٠ والفرنسيون من ٢٠ والالمان من ٧ الى ٤٤. وتضاعف تقريباً مجموع النقد الاجنبي الموجود في فرنسا بين السنة ١٨٩٠ والسنة ١٩٩٢ والمان من ١٩١٠ والمناعية والتجارية ١٩١٤ (٤٠ ملياراً بدلا من ٢٠). واستخدمت مؤسسات الولايات المتحسدة الصناعية والتجارية ١١٩٤ ملياراً في السنة ١٩٩١ بدلا من ٨٤ في السنة ١٨٩٥ . وعلى الرغم من الاحتكار وجمع المؤسسات ارتفع عدد الشركات المساهمة في معظم البلدان الرأسمالية الكبرى : الاحتكار وجمع المؤسسات ارتفع عدد الشركات المساهمة في معظم البلدان الرأسمالية الكبرى : فقفز بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩١٤ من ٢٣٣٦ الى ١٩٤٣ في فرنسا ، ومن ٢٩٧٣٠ الى ١٩٥٤ في بربطانيا العظمى .

ارتفعت النسبة العامة للانتاج الصناحي من ١٠٠ في السنة ١٨٩٩ الى ١٧٥٧ في السنة ١٩١٤ . و استُخرج ١٢٥ مليون طن فحما حجرياً في السنة ١٨٩٠ و ١٣٤٠ في السنة ١٩١٣ كما استخرج ١٨٩ مليون طن حديداً في السنة ١٨٩٠ و ١٤٥ في السنة ١٩١٣ . ولم تبلغ نسبة انتساج الوشائج النسجية ، في العقد التاسع من القرن التاسع عشر سوى ١٤٥ للقطن و ٢١ للصوف و ١٦للكتان و ٥٩ للقنب و ٢٦ للقنب الهندى مقابل ١٠٠ قبيل الحرب العالمية .

وارتفع الانتاج الزراعي ارتفاعاً حثيثاً ايضاً . فالنسبة ١٠٠ في السنة ١٩١٣ قابلتها النسبة ٣٦ في الولايات المتحدة والنسبة ٢٧ في روسيا في السنة ١٩١٥ . وازداد استهلاك الفرد للعنطة ازدياداً ملوساً: فبينا بلغ عدد سكان المانيا في السنة ٣٠١٩١٤ ، بالمائة اكثر منه في السنة ١٨٩٠ ، بالمائة اكثر منه في السنة ١٨٩٠ ، بلغت نسبة ارتفاع انتاج الحبوب ٨٠ بالمائة ؟ وقد بلغت هاتان النسبتان بالمقابلة ٢٥ و ٥٠ بالمائة في بلجيكا . واستهلك الاوروبيون مليون طن ونصف المليون من السكر في السنوات ١٨٩٨ . في بلجيكا . واستهلك الاسماك بسرعة . اضف الى دلك ان ألمانيا استخدمت أربعة أضعاف الاسمدة الكيميائية التي كانت تستخدمها كي تتمكن من مواجهة حاجاتها الجديدة .

وتضاعفت قيمة التجارة الدولية خلال ١٣ سنة بعد ان تضاعفت خلال ٣٠ سنة (٥٦ مليارًا ٥١٤ في السنة ١٨٧٠ ، و ١٠٤ في السنة ١٩١٠ ، و ٢٠٣ في السنسة ١٩١٣) . وارتفسيع تصدير المسنوعات بالنسبة للشخص الواحد من ٥٢ فرنكا الى ١٠٥ فرنكات في فرنسا ومن ٥٣ الى ١٢٥ فى المانيا بين السنة ١٨٩٠ والسنة ١٩١٣ . وارتفع صبح تجارة الخيوط القطنية من ١٣٣١ طنا الى ١١٩٨٦ بين هذين التاريخين نفسيها .

فكانت النتيجة اثراء لا منازع فيه قد يعطينا الدليل عليه تقدير الدخل القومسي : ٣٦ ملياراً في فرنسا في السنة ١٩٩٠ مقابل معدل ٢٧ ملياراً بين السنة ١٨٩٠ والسنسة ١٨٩٩ ، و ١٨٩٠ في الولايات المتحدة مقابل ٢٠٠ و ٥٠٠ في المانيا مقابل ٢٠٠ و ٥٠٠ في المانيا مقابل ١٠٠ و وقد ارتفع معدل الدخل الفردي في اميركا من ٣٥٧ دولاراً الى ٢٠٠ بين السنة ١٨٨٩ والسنة ١٩١٣ .

واذا تحقق احراز النجاحات في الولايات المتحدة وفي معظم الدول الاوروبية نفسها (ومنها ايطاليا والنمسا وروسيا) ، قان الانطلاقة ارتسمت بصورة مفاجئة في العالم الجديد (كندا والمكسيك والبرازيل والارجنتين) وفي افريقيا (الجزائر ومصر) وفي آسيا (الهنسد والصين والبابان) . اجل لقد كانت السرعة متفاوتة ، ولكنها كانت شاملة .

ومما يلفت الانتباه ان النشاطات الزراعية ليست وحدها ما هبطت هبوطاً نسبياً في اكثر البلدان تطوراً ؟ فان القطاع الصناعي قد بات اقل تقدماً وبعد اليوم ، من القطاع المروف بالقطاع الثالثي ايذاك الذي يختص بتوزيم الممتلكات وبالخدمات العامة . وقد لوحظت الظاهرة بوضوح منذالسنة ١٩٠٠ في الولايات المتحدة ؛ ولكنها ما لبثت ان اصبحت محسوسة في شرقي الاطلسي ايضاً . وان في ذلك لدليلا على التبدل القريب ، العميق جداً ، الذي سيطراً على توزيع المهام الشرية في الغرب .

اجل لقد جاءت ثلاث ازمات - في ١٩٠٠ و ١٩٠١ ، و ١٩٠٧ ، و ١٩١٠ - تذكر دونما رحة بأن الاقتصاد العالمي ليس بأمن من الهزات ، حق في مراحل تقدمه . الا انها لم توقف الوثبة العامةالية . ولم يتردد بعضهم ، ك و ملين ، في فرنسا، في تشهير والافراط في الانتاج ، و الجنون الذي يدفع كافة البشر الى الانتاج اكثر فأكثر يوماً بعد يوم ، وقسد فكر رئيس الولايات المتحدة ، و تافت ، بالدعوة الى مؤتمر تكون مهمته ايجاد الوسائل الكفيلة بمقاومة ارتفاع كلفة المميشة . ولاحظ آخرون بفرح شديد ازدياد الاستهلاك ، فكان موقفهم شبيها بموقف و جول سيمون ، الذي قارن في السنة ١٩٩١ بين العصر الذي كان فيه والعصر الذي عرفه في شبابه ، فقال : و نحن اليوم قد ألفنا ملاذ و كابوا ، .

أما أسباب تجدد النهضة المظيمة هذا فتفتح باب مجادلات كثيرة. فقد طاب للاقتصاديين الاحرار التشديد على دور المطابقة الجدير بالاعتبار بين تزايد عدد السكان من جهة ، وتزايد الطلب ومن ثم تزايد الانتاج والتبادلات من جهة ثانية ؛ وكان من شأن ذلك تخطئة مالتوس

مرة اخرى . وربما توجب حالك أن تكون قدرة الجاهير على الشراء قد نمت نموا كافياً لان يحدث انقلاب الاتجاه هذا ؛ ولكن ارتفاع الاجور الحقيقية ؛ خلال فترة الانحطاط السابقة ، بينا كانت الارباح الرأسالية تتدنى تدنيا مستمراً ؛ قد تفسر ذلك . اضف الى ذلسك من جهة ثانية ان مكافحة الافراط في المنافسة بفضل اعادة تنظيم المؤسسات كان من شأنه كذلك ايقاف انخفاض الاسمار ، علة خود المهمة ، واصلاح السوق ؛ وعندما تصبح قسمة الارباح اكثر مطابقة المقل ، يتزايد توظيف الاموال .

ولكن مصادفة تجدد النشاط وتدفق الممدن الشمين معاً لم تفت انصار نظرية النقد الكمية. ففي السنة ١٨٩٥ ادرك و دالواس » ان اثر ذهب النرانسفال في الاقتصاد المنحط سيكون اشبه باثر منشط قوي . وفي الواقع ألقت اوستراليا الغربية وكولومبيا البريطانية و الاسكا وافريقيا الجنوبية و الواحدة تلو الاخرى ، في التداول ، كميات ضخمة من المعدن الاصفر . فبلفت النكمات المتداولة في السنة ١٩٠٤ اربعة اضعافها في السنة ١٨٨٥ . وقد انضمت الولايات المتحدة والنمسا وروسيا والهند واليابان الى ممسكر المعدن الواحد ؟ ففرضت قاعدة الذهب نفسها . وكان من شأن ذلك اتساع التعامل بالدين ، وارتفاع اسعار الاوراق النقدية بسبب تجمع اموال الادخار في حيوب الافراد .

واستند بعضهم الى نظام الحماية . واعتبر سوام ان حروب افريقيا الاستعسارية و منازعات الشرق الاقصى و نشاطات التسلح قد كان لها دورها الفعلي في ايقاف الخفاض الاسعار و الارباح ، كا حدث بين السنة ١٨٥٠ والسنة ١٨٧١ ، لانها احدثت بنزلا في مسواد الاستهلاك وقوضت السياروات : واذا كان للذعر الذي سببته هذه الاحداث تأسيره السيء على المصفق ، فان سد حاجات القوى المسلحة قد ثبت اسعار المواد الحام وسير الاعال في المؤسسات الهامة. اما الماركسيون فقد انتقدوا الاقتطاع الرأسمالي الذي شجعه التدني النسبي في الاسعار واعتبروا مطور النظام تطوراً عضواً في اتجاه الاحتكارات دليلا على المحطاط عضال . واعتبروا كذلك الطرد مؤاتياً لنشاط المأجورين .

تظهر ارقام الانتاج انطلاقة استخراج الفحم الحجيدي المستقر المجرية والمستقر المجري في السنة المجرية والمستقرة الفحم الحجري في السنة المجرية والمستقرة الفحم الحجري في السنة المجرية والمستقرة الفحم الحجري في السنة والمستقرة والمستقرية والمستقرة والم

بتُسبورغ ، كُلها بلدان سوداء غوذجية تتميز بها الحضارة الصناعية في القرن الناسع عشر المشرف على الانصرام اعني بهاحضارة الفحم الحجري والحديد والفولاذ التي شوهت الطبيعة واذلت الانسان.

والحال ولدت الكهرباء لتفتح آفاقا اكثر بشاشة . اجل سوف تطلب مساهمة المنجم حتى بعد اكتشافها ، ولكن المهندس التفت الهالماء الذي ينحدر شلالات من الجبال ، فولدت الطاقة المائية هذا الفحم الآخر الذي اطلق عليه اسم لا يخلو من الظرافة هو الفحم الابيض . فمنذ السنة هذا الفحم الآخر الذي اطلق عليه اسم لا يخلو من الظرافة هو الفحم الابيض . فمنذ السنة و برجيس ، لمصنع الورق في و لانسى ، شلالا يبلغ ٢٠٠ متر ارتفاعا ، ومنذ ان شجح و مارسيل دبريه » في نقل الطاقة للرة الأول الى معرض مونيخ و وقد اجري هذا الاختبار ، بعد مرور فترة قصيرة ، بين فيزيل وغرينوبل ما اتاحت العنفة والدينم ، اللذان أحكها تدريجها ، تحويل الطاقة المائية الآلية الى طاقة كهربائية . وقسد لعبت العنفة المائية في مصنع انتاج الكهرباء بواسطة الماء الدور الذي لعبته العنفة البخارية في مصنع انتاج الطاقة الحرادية . وبيسنها صهم ولورنيرون ، منذ السنة ١٨٨٤ العنفة الثانية التي بلغ انتاجها ٧٠ بالمائة لم تتحقق العنفة الأولى الا بعد السنة ١٨٨٤ بفضل السويدي ودي لافال، والانكليزي و بارسونز ، اشتى تمودج لافال من عجلة برانكا التجارية الدافمة (١٦٢٩) وعرف بالعنفة الحركة او المتساوية الضفط ، بينا عرف غوذج و بارسونز ، بالعنفة غير المتساوية الضفط ؛ وكانت هذه سريعة جداً وتلك اقوى منها الى حد بعيد ؛ ولكنها اعطيا كلاها انتاجاً مرتقعاً جداً (٩٠ بالمائة) . فاتيح من ثم انتساح الكماواتات انطلاقاً من الاحصنة الدخارية .

بدأ بالتالي عصر الكهرباء مع عهد هذا الحمرك الجديد الذي كان بالنسبة للآلة البخارية التناويية ذات المكبس ما كانته هذه الآلة بالنسبة لآلة و نيوكومن ، الهوائية .

اما نقل الطاقة الكهربائية فقد استازم تحويلا في التيار حققه دغولار » . فاذا زيسد فرق الطاقة بين طرفي خط كهربائي عشرةأضعاف ازدادت الطاقة المنقولة ما يضعف ولكن خطر التوتر العالي والصعوبات التي انطوي عليها عزل الخطوط الناقلة حالت زمناً طويلا دون النقل الى مسافات بعيدة . وفي السنة ١٨٩١ ، عجب الناس من ان دفرانكفورت ، قمكن ، بواسسطة مولد التيار الحكهربائي التناوبي (المعروف باسم مبتكره د تسلا ») ، من استخدام ال ١٥٠٠٠ فولت المنتجة على الدونكار ، على مسافة ١٤٠ كيلومتراً . ولذلك اقيمت مصانع الطاقة الحرارية من جهة على الدونكار ، على مسافة ١٤٠ كيلومتراً . ولذلك اقيمت مصانع الطاقة الحرارية من جهة على مقربة من المبال والشلالات ومن جهة تانية فكو الناس باقامة التجهيزات التي يمكن عزلها بسهولة على مقربة من الجبال والشلالات . وفكروا بادىء في بده باستخدام اما مياه المنحدرات القوية واما الشلالات الطبيعية (كشلال نياغارا مثلا)؟ ولكنهم لم يلبثوا ان أنشأوا الشلالات بواسطة المدود الاصطناعة .

الا أن المصانع الحرارية ، التي كان تجهيزها سهلا ، قد انتجت تياراً مرتفع الكلفة ، في حال أن الفحم الابيض الذي يستازم تجهيزات باهظة الاكلاف قسد وفر النيار بكلفة دنيا . ولكن

الكهرباء ، على نقيض المنجم ، قد وزعت النشاطات ؛ وخلقت كذلك منظراً صناعياً جديداً لا يشوبه الدخان والغبار ، كان اكثر توافقاً والاطار الطبيعي ، ولم يخل من بعض العظمة حين تنتج الكهرباء من الماء . وقد حيا الامير كروبوتكين ، العالم والفوضوي ، مجيء هسذه القوة الحررة .

استطاعت الساحرة ان تغمر بمطاياها بالدانا افقدها الفحم الحجري الحظوة: كاتالونيا ، سويسرا ، ايطاليا الشالية ، سكندينافيا ، كندا ، وحتى اليابان. وقد اعتمدت اماكن عدة هذا المنبع الضوئي دون ان تعرف غاز الاضاءة من قبل ، كا بنت اماكن اخرى الخطوط الحديدية قبل ان تنشىء طرقات جيدة . ولكن ذلك استازم الكثير من رؤوس الاموال والعديد من الفنيين. فعوالي السنة ١٩٠٠ دفعت اعمال الانارة الكهربائية الى تأسيس شركات مساهمة قوية تشرف اما على انتاج التيار واما على تقديم المواد . ولكن الاهتام بزيادة الدخل دفع الى تجهيز اوفر المساكن ثروة او ارفعها مستوى معيشياً بامكانات خلاقة مستمجلة . ويلفت الانتباه ان اميركا الشالية احتلت مركز الصدارة في انتاج الفحم الابيض ، اذكان لديها في السنة ١٩١٠ سبسعة الشالية احتلت مركز الصدارة في انتاج الفحم الابيض ، اذكان لديها في السنة وراءها فرنسا والمانيا وايطاليا (مليون واحد في كل منها) والسويسد ونروج وسويسرا (بها) . كا يلفت الانتباء كذلك ان بريطانيا المظمى ، التي نامت على غار اولويتها الفحمية ، لم تحمل آنذاك سوى مرتبة وضيعة ، لا سيا وانها افتقرت الى الشلالات السهلة التجهيز . ولكن الترتيب يتبدل اذا ما اخذت المصانم الحرارية بعين الاعتبار .

في الحقيقة لم يتوفر النور الكهرباني بعد الالمدد ضئيل من البشر . اجل اح مصباح اديسون ؟ الذي استهلك سوى نصف وات اديسون ؟ الذي استهلك سوى نصف وات بفضل استخدام التونفستين ابتداء من السنة ١٩١٣ ؟ ولكنه لم يتقدم بعد على مصباح و اوير » الغازي . وعلى الرغم من ذلككان للارياف حتى الغيرة من المدن .

احتل الحرك الكهربائي مكانا ضيقا ، ولم يستازم عناية حكبرى ، وادير بسهولة ، واعطى انتاجاً بلغ وتجاوز ، ٨٠ بالمائة ، ولكنه اذا لم يستمد الطاقة من مراكم غير ثقيلة معبأة بشحنة تكفي لمدة طويلة ، فقد وجب ان يستمدها من التيار بواسطة خطوط ناقلة بمسدودة فوق الارض او تحتها اذا استخدم للجر . ولذلك لم يستعمل بسهولة للجر الا على مسافات قصيرة : فسيرت بالكهرباء الحافلة البخارية او الحافلة التي تجرها الاحصنة منذ السنة ١٨٩٧ في لندن وفي معظم المدن الهامة من بعدها ؛ ثم استهوت وسيلة النقل هذه مدنا اخرى ؛ وقد فكرت بها العواصم الكبرى حين ارادت القيام ببناء الخطوط فوق الارض او تحتها ، كخط الا مقرو ، في باريس مثلا . اما كهربة الخطوط الحديدية فسوف تنتظر تحسينات تقنية جديدة قبل ان يواجه استخدامها على نطاق واسم : ولكن لن يطلب منها سوى تسهيل تسلق المنحدرات القوية واجتياز الانفاق الطويلة .

على نقيض ذلك تكشف توزيع القوة الحركة عن مزيد من الافراء كلما اعتمدت هسنده القوة في عمل ينجز في مكانه . فان استخدام الهواء والماء المضغوطين او الاسلاك الناقلة القوة الى مسافة بعيدة كان يستازم تركيبات محدودة الانتاج بسبب الاحتكاكات المختلفة . وحلت كذلك محل التحويلات الآلية تحويلات كهربائية تحققت باستخدام الدينم في تسيير الآلة البخارية او المنفة المائية ، ما لم يكن التيار ناجماً عن التوزيع . وحدث ما هو اهم من ذلك ، أذ امكن تجهيز المثاقب والمقصات والفرانق والجسور الدائرة ، التي لا تستطيع السيور تحريكها بسبب انتقالها من مكان الى آخر ، بحركات كهربائية . فيدا بمكنا بعد ذلك تسيير كل اداة صغرى ، وحتى كل آلة كبرى في الممل وفي البست، دون ان تنبعث منها الحرارة والرائحة وحتى الضجة .

وانما اذا لم يستطع السلك بعد من نقل القوة الحركة الى مسافات طويلة ، فهو قد اجتازها لحل رسائل الانسان واساع صوته . فاتقن النلغ اف و الهاتف يوماً بعد يوم وانسعت شبكتاها . وحين اخترع كازلتي ال و بان تلفراف » (التلفراف الشامل) ، اعتقد الناس بامكانية نقل الصور كهربائياً . اما « كورن» الذي استخدم خاصياد السينيوم ، فقد حسن الطريقة في السنة ١٩٠٣ ، فحصلت ال « الوستراسيون » على احتكار براءة المختراع في فرنسا . وفي تاريخ لاحق وضسم جهاز بلين لنقل الرسوم الجسادية ، تحت تصر الصحف والشرطة ، وسيلة إعلامية حساسة وامنسة .

وانما كان مقدراً لاختراع التلفراف اللاسلكي ان يثير الاعجاب اكثر من أي اختراع آخر ، لأنه جعل الحكهرباء تبث عبر الفضاء اصواتاً واضحة سهلة الادراك يدون خطوط خاقلة . وقسد جاء هذا الاختراع نتيجة لابحاث طويلة . فقسد سبق له و ماكسول ، ان لفت الانتيساه الى موجات توصل و هرتز ، في السنة ١٨٨٦ الى كشفها بواسطة و عازل ، والتقاطها في و رنائة ، لا تتصل بأي سلك . وكان مقدراً لهذه الموجات الهرتزية ان يروضها وادوار برائلي ، وواوليفر لودج ، اللذان ابتكرا في آن واحد تقريباً من السنة ، ١٨٩٩ كاشفاً افضل هو و الملحم ، البرادي، و و بورف الذي اخترع الهوائي اللاقط ، و و ماركوني ، الذي عاد اليه فضل إرسال البرقيسة الاولى من انكلترا الى فرنسا في السنة ، ١٨٩٩ . وقد توفق لودج منذ السنة ، ١٨٩٤ الى تحقيق نقل حتى مسافة ، م متراً وفكر عطابقة طول موجة المحطة اللاقطة على طول موجة المحطة البائة . وسوف يكتشف بعد ذلك المصباح الالكتروني – مصباح علاء الدين الجديد – : مصباح فلمنغ ذو القطبين الكهربائيين ، ومصباح و لي دي فورست ، ذو الاقطاب الثلاثة ؛ وهما سوف يتيحان فورسات نقل الرسائل حتى اقاصي الارض .

بيد ان الساحرة التي نقلت فكر الانسان اما بواسطة السلك واما بدونه ، وساعدت الانسان منذ ذاك التاريخ على تسيير ادوات عمله وحتى على الانتقال ، قد أخذت تفعل في المادة نفسها وتحدث حركة ناشطة في تقنيات الكيمياء .

ان النطاق الشاسع الاطراف الذي وضمت الكيمياء يدها عليه انطلاقة الكسياء الستمرة واسعاً منذ السنوات ١٨٨٠ – ١٩٠٠ . لقد اهتم الرأسماليون والتقنيون في الدرجة الاولىبالمواد المضوية ، الكربون والهدروجين والاوكسجين والازوت . فحققوا منذئذ غاز الاضاءة والفحم الممدني المقطر ؟ ثم انشئت تجهيزات ضخمة اعطت كل يوم مزيداً من المنتجات الثانوية ، كالقار الصناعات الجديدة ، الوفيرة الارباح ، في الوقت نفسه الذي انتج فيه التيار الكهربائي . فقسد التجت المانيا ـ بفضل منطقة الـ درور، بصورة خاصة في السنة ١٩١٠ ثلاثهاية مليون كيلوغرام من سلفات النشادر مقابـــل ٢٥ مليونا في السنة ١٨٩٠ (وقد حقق ﴿ فريتز هابر ﴾ آنذاك النشادر التركيبي) ؛ واعطت مصانع استخراج المعادن فيها ١٨٠٠ مليون كيلوغرام من خبث الحدي<mark>د مقابل ١٠ ملايين . ومن القار استخر</mark>جت بعض الزيوت الصالحة للتدفئ<mark>ـــة او</mark> للمحركات (زبوت ثقيلة وبنزول) وانواع حمض الفينول المستعملة في اعداد حمض البكريك وشتى انسواع البكرات . وكان التحليل بالمجرى الكهربائي قد سهل الى حد بعيد انتساج ملح القلى والكاور والكلورات والكلورور والمنتجات الازوتية . فانتج بعد ذلك المواد الكلورية المزيـــلة الالوان (ماء جافيل) ومحلولات استخدمت لتبييض الاقمشة وممجون الورق وتطهير مياه البواليسع . واختصر دباغة الجلود . ووفر وسيلة لسقاية الاد<mark>رات الفولا</mark>ذية . واتاح كذلك طلبًا بالنيكل بالطريقة نفسها استخراج المنفنيز والقصدير والفضة والنيكل نفسه بفمل قدرته على التحليسل ولمل اهم تحقيقاته ممدن الالومينيوم , فقد كان هذا الممدن الجديد بالامس مجرد غرابة مختبرية ، ولكنه دخل نطاق التحقيقات المملية بفمل قابليته للتصفيح وخفته ومتانته : فقيد هبط سعر كلفة الكماوغرام من ١٠٠ فرنك في السنة ١٨٧٠ الى فرنك واحد في السنة ١٩١٠ ؟ وقفســز الانتاج العالمي من ١٧٥ طناً في السنة ١٨٩٠ الى اكسيار من ١٠٠٠٠ في السنة ١٩١٣ ، اذ ان إنتاج البوكسيت – وهو اهم المعادن غير الخالصة المستعملة في صناعته – قسد تجاوز ٥٠٠٠٠٠ طن في هذا التاريخ الاخير .

وعلى نقيض ذلك نرى أن الكيمياء الصناعية وصناعة تنقية ألمعادن بجتمعتين استخدمتا الفرن الكهربائي، وتوفقتا بوجود التونفستين والنيكل والكروم الى ايجاد معادن مركبة جديدة اعني تها أذواعا خاصة من الفولاذ ضرورية لصناعة السيارات بصورة خاصة . واحدث و ألفرد ويلم ، ثورة حقيقية في السقاية التي حققها في السنة ١٩٠٩ في و دورن ، بواسطة الدورالوميين المركب من الومينيوم ونحاس وكميات صغرى من المفنيزيوم والمنفنيز والسيليسيوم . ثم وضيع و هغري له شاتليه ، في السنة ١٩١٣ سنة السقاية المردوجة المتعلقة بتغيير تركيب المعدن بمزجه بمادة أخرى تحت تأثير الحرارة . وسيعرف الانتشار كذلك لحام المعادن باذابتها ، وهو لحسام

كهربائي بات مَكَنَابًا بواسطة الأسيتيلين المستخرج من كربورالكلسيوم الذي ينتجه الفرن الكهربائي ايضاً.

وعادت الكيمياء العضرية في الفترة نفسها ابوة بعض النسائج الجديدة. وكان ريومور قد عبر عن يقينه بان الحرير الاصطناعي سيبصر النور قريباً . فعرض و شاردونيسه » في السنة ١٨٨٩ اول طريقة صناعية ، انطلاقاً من ساولوز القطن ؛ وقد توجب ازالة الازوت من النسائج لجعلها غير قابلة الاحتراق . واستخدم و كروس » و و بيفان » و و بيدل » لب الاخشاب . وفكر و تريمري » وو اوربان » بتحليل الساولوز في ماء غالي يحتوي بعض الامونيساك والنحاس ، واسسوا في السنة ١٨٩٩ مصانع و غلانزستوف» . وفكر غيرهم كذلك و كسانتات الساولوز ولكن هذه الخيوط الحريرية الصناعية لم تقو على مقاومة الرطوبة مقاومة طويلة الامد . وقسد انتج منها منه المناعة ، لأن الانتاج الفرنسي لم يتضاعف . ولاحت دلائل عصسر المواد المعينية مع ظهور ال و غالاليت » ، و ال و باكيليت » التي امكن احلالها محل صنغ اللتك .

واذا لم يفكر احد بمد بصناعة المطاط التركيبي ، فان « ساباتييه » و « سندري » قد اثبتا ان مزج الاستبلين بالهدروجين بوجود النيكل من شأنه ان يعطى سائلا شبها بخلاصة الدرول المكرر. والحال كانت تقنية المطاط والمترول تتقدمان تقدماً حشيثاً بدلالة الحاجات الجديدة. وعلى نقيض الصمغ الهندي العجيني والعازل ؛ امكن استخدام المطاط ؛ الرخص والمسرن <mark>؛ في</mark> صناعة الانابيب والسيور والاحذية . الا انه توجب اخضاعه لعمليات مختلفة نخص بالذكر منها الكبرتة التي أشار بها « غودبير ، لتغيير طبيعته : فان احماءه في البخار بزيــــل عنه كل قابلي<mark>ة</mark> التصاق ويصلمه دون أن نزيل عنه صفاته المميزة . وكان اختراع المطاط لمجلات الدراجة قــد ابرز دوره المحتمل في الآلات المنتقلة من مكان الى آخر ، وأثبت ميشلين ذلك في السنة ١٨٩١ عناسة السباق بين باريس وبرست : وكان ميشلين حفيداً ا<mark>صانع كرات واختام وسيور من</mark> المطاط مقيم في و كارمون _ فران ، ؛ وكان نسيبه بالمصاهرة ، و ماك انتوش ، ، قـــ د اكتشف قابلية ذربان المطاط في البنزول . ولن يلبث دور طوق المطاط أن يصبح دوراً أولياً : ففــــى السنة ١٨٩٥ ظهرت السيارة الاولى ، « البرق » ، التي صنعها « بوجو » مزو<mark>دة بمحرك «</mark> دايملر » ومركمة على أطواق من المطاط الحالص بعناية مسئلين؟ ثم عمت هذه الطريقة بعد السنة ١٩٠٥ . فارتبط مصير المطاط منذئذ عصير المجلة والسيارة ولم تمد شجرة المطاط السبرية كافية لتموين المصانع التي تُكبرت المطاط: فزرعت بعض الحبوب التي كان ويكهام قد جمها في أمازونيا الاشجار الى سيلان . ولن تلبث مشاجر آسيا الجنوبية أن تتسع بسرعة : فمن أصـل ١٣٤ الف طن انتجت في السنة ١٩١٤ لم يهط المطاط البرازيلي سوى ٩٤ الفاءوقد عاد ثلاثة أرباع لاستهلاك الصناعي للولايات المتحدة .

وهي الولايات المتحدة كذلك ما سارت في الطليعة لجهة انتاج البترول . وأن هذا السائل ٢ الذي اعتبر نهائياً كمصدر للطاقة ، قد عرف قي روسيا باسم النفط وفي آسيــــا باسم الزفت وفي الغرب باسم المبترول او و الزبت ، ولكن تكربره بعث الآمال في استخدامه كوقود للدفسم الى الامام . وقد ابتكرت بالفعل مساخن قادرة على الحلول يجدوى محل الفحم الحجري في السفن . فزودت بها سفنتان في الولايات المتحدة في السنة ١٨٦٧ كما زُود بها يخت نابوليون الثالث . واخذ الروس يسيرون سفنهم في مجر قزوين وقاطرات خـــط د باكو – تفليس ، بدردي التكرير او « مازود » ، الذي كانت طاقته الحرارية ضعف طاقة الفحم الحجسري . ثم أتاح اتقان الحرك المسير بالفاز الاستفادة من غاز البترول . الا أن التقدم بقي بطيئاً حتى السنة ١٨٩٥ تقريبًا . فقد كشف التكرير المنقن والحرك المدير بانفجار الفاز آنذاك عن كل ما يمكن ان ينتظره الانسان من الوقود السائل. وارتفعت كمية البترول المستخرج من ٨ ملاسين طسس في السنة ١٨٩٠ الى ٥٦ ملموناً في السنة ١٩١٤ ، استخرج منها ٣٤ في المسيركا الانكاوساكسونية وحدما . الا أن كميات البترول المكرر التي استهلكتها محركات السيارات والطائرات والغواصات لم تتجاوز ٦ ملايين طن ؟ فهي السفن التجارية والسفن الحربية مسا اقتطمت حصة الاسد حتى قبل أن يثبت عرك و دول ، افضلته على موقد بسبط للاحباراق الخارجي . ولكن التكور ؛ بصرف النظر عما تستازمه صناعة استخراج البترول ونقسله من ممدات واجهزة ضخمة ، استوجب علمات تسخين وتصفية معقدة (طريقة الحض الكبريق ، ثم طريقة الانمدريد الكبريق السائل منذ السنة ١٩١٠ ، وطريقة الـ « الكراكنغ » أو التكرير بالحرارة المرقفمة تحت الضغط العالي ، في السنة ١٩١٧) . فهنا ايضاً ، تخطت الكيمياء الى حد بعيد مرحلة الانسق لبترول الاضاءة (١).

وما كانت السيغ لتبصر النور كذلك بدونها اخيراً . فلا ريب في أن التصوير الشمسي كان نقطة انطلاق هذا الفن الجديد (في السنة ١٨٧١ بدأ مادوكس يستعمل و جيلاتينو – برومور» الفضة) ؟ ولكن السلولوبيد الذي اخترعه الاخوان وهيات» وهو جسم صلب وشفاف وقابل الاحتراق وقادر على مقاومة الموامل الطبيعية ، قد اثبت أهليته لصناعة ورق التصوير السلبي (الذي اطلق عليه و ايسنان » اسم و ستربينغ فيلم »). ولم يبق بعد ذلك سوى اكتشاف جهاز يتبح بواسطة النصوير تحقيق تركيب مراحل الحركة وبالتالي ايهام الناظر برؤية الصورة المتحركة . وقد اسهم في ذلك و رينو » في الدرجة الاولى ، و و ماراي » و و دميني » و و ادبسون » من بعده . فاستفاد الاخوان و اوغست » و و لويس لوميير » من تجاربهم الطويلة وتوفقا في السنة بعده . فاستفاد الاخوان و اوغست » و و لويس لوميير » من تجاربهم الطويلة وتوفقا في السنة بعده . فاستفاد الاخوان و اوغست » و « لويس لوميير » من تجاربهم الطويلة وتوفقا في السنة

 ⁽١) فهي قد لعبت دررها كذلك في صناعة الاسمنت المستعمل في البناء الـ « باطون» الدي احدث ثورة في مستهل القرن العشرين .

اول « ستودير » (مكان خاص للتصوير وتسجيل الصوت) وتجح في تحقيق تواقت الحساكي والسيغا واهتدى الى بعض الاكتشافات ، كازدواجية الاشخاص . فولدت من ثم صناعة جديدة قامت على تعاون الكيمياء والآلية و شمت، في الولايات المتحدة مثلا ، شركات التصوير الهامة كرد اديسون » و « ايستان كوداك » .

من الآلة البخارية الى محركات الانفجار والاحتراق الداخلي : ظهور السيارة والطائرة

لم يتوقف القرن التاسع عشر يوماً عن مواصلة تحسين الآلة البخارية. ولحكن النتيجة لم تتحسن قط: فقاطرة القطار الحديدي مثلا لم تحقق سوى تقدم بطيء . اجل لقد بدا أن الملاحسة تدخر مستقبلا على بعض المعان للعنفة البخارية . واغا بقيت الحاجسة

ماسة الى اختراع محرك يمكن تسييره اما بواسطة وقود سائل ، واما بخلط من الهواء والغاز ، ما دامت الكهرباء لم تحل محل الفحم الحجري للنقسل البعيد . فأعطت الصيغة الاولى محرك الاحتراق الداخلي : يدخل السائل مباشرة الى الاسطوانة حيث يولئد الضغط القوي الاشتمال الذاتي . أجل لقد كان مفروضا ان يتبح هذا المحرك الوفير الانتاج استخدام الزبوت الثقيسة ، المدنية ، واللزجة ، كالمازوت و « زيت الغاز ، . وعلى الرغم من ذلك فقد وجب انتظار السنة المومد من هذا النوع - نمورج ديزل - يمكن استخدامه في الغواصة والسفينة والجرارة . وفي السنة ١٩١٢ امتحن في تسيير احدى القاطرات . الا ان استخدامه لن يعم الا بعد الحرب المالمة الاولى .

لمل وهويفنس ، كان أول من فكر بمحرك الانفجار ، عندما اكتشف ان امتداد الفازات المسبب عن احتراق البارود في اسطوانة ينتج طاقة آلية . وفي السنة ١٨٦٠ وهسمي سنة ابتكار الطريقة ، المركبة ، وفق و جان – اتيان لنوار ، الى تحريك مكبس باحداث انفجار خلط من الهواء وغاز الانارة بواسطة شرر كهربائي : ولكنه لم يبتمد بمسد عن مفهوم الآلة البخارية ، ولم يحقق سوى طاقة ضعيفة ، اذ أن آلته التي قطعت مسافة ١٨ كياومتراً في شهدت ساعات استهلكت مترين مكمبين في الساعة للحصان الواحد . واذا فكر د بو دي روشا ، بعيد شاعات استهلكت مترين مكمبين في الساعة الحصان الواحد . واذا فكر د بو دي روشا ، بعيد ذلك بالضغط ودور الاوقات المتساوية الاربعة ، فان « سيغفريد ماركوس ، لم يعتمد البخرول المكرر ولم يفكر بالآلة المفنطيسية الكهربائية للحصول على الشرر الا في السنة ١٨٧٥ .

سار الكونت « دي ديون » والميكانيكي « بوتون » على خطى « كونيو » وصنعا سيسارة بخارية تسير على الطرقات في السنة ١٨٨٣ . وبعد مرور سنتين سارت السيارات بالبنزين المكرر دون أن تتجاوز سرعة ٢٠ كياومترا في الساعة . فظهر بعد ذلك عدد كبير من النهاذج السيق اقتبست اشكال معظمها عن العربات التي تجرها الجماد .

ثم تحقق تقدمان حاسمان ابتداء من السنة ١٨٩١ : ابتكر « فرنان فورست » الهـــرك الرباعي الاسطوانات واخترع قبس الاشعال (بوجي) وزود جهاز اشباع الهواء بأبخرة البترول

المكرر بجهاز صغير ينظم مخول هذا البترول ؛ ولحق ارمان بوجو بسباق الدراجات بين باريس ورست وعاد الى فالنتينيلاق انطلق منها . ثم ظهرت الدراجة البخارية بفضل دايملر الذي سير الدراجة العادية بمعرك غازي . وعلى طربق باريس - بوردو تفسوق و لفشور ، وشريكه و بانهارد » على البخار ، وحسن ميشلين طوق المطاط الذي صممه و دناوب، واستخدمه «يوجو». واخترع دربنو ، طريقة الجم المباشر ، وجهز اول معرض للسيارات في ساحة ألا د انفاليد ، . وفي السنة ١٩٠٠ ، ابان السباق بين باريس وتولوز ، د اقشعرت فرنسا جماء تأثراً ديوقراطياً ورياضاً ۽ ٢٠ كا يروي « يول موران » . ف<mark>ترك الحصان ا</mark>لقومسين وروث الحصان والبثلالثوريين. وكان عدد السائقين في الطرقات العامة اقل من ان يسمح بنمتهم بالداهسين . وهم الشيوخ وحدهم من اعترضوا وطالبوا وزير الداخلية دون جدوى بمنع هذه الألعاب البهلوانية، وقالوا بوجوب اعداد مقابر خاصة لسائقي السيارات على جوانب الطرق . وبعد السنة ١٩٠٠ تحسن همكل السيارة وتوازنها المعطط وبحركها واجهزة نقل الحركة فيها ؛ واقضح شكلها الخارجي المسيز. وفي السنة ١٩١٤ سارت السيارة يسهولة بسرعة ٧٠ كياومترا في الساعة . وبلغ عدد السيارات مليونين استخدم قرابة نصفها في الولايات المتحدة التي اضطرت الى انشاء شبكة طرقات بسرعة. اجل لقد تناول التجديد طرقات اوروبا ايضاً ؟ ولكن طرقات المشاة القديمة لم تكن ممدة لسير العربات المزودة بالحركات ، فاضطرت السلطات العامة الى تنطيم السرعة في المدن . ثم 'غطيت الطريق بأحد مشتقات البترول المكرر وهو القار ، فمنع الغبار .

في أواخر القرن الثامن عشر توصل الانسان الى الارتفاع في الهواء بواسطة كرى ملأى بالغاز: المنطاد المماوء بالهواء الساخن ، والمنطاد المماوء بغاز الاضاءة . فقد كتب ميشليه : د انهسا لساعة نادرة ! لانهاية الفضاء تتسع شيئًا فشيئًا ... ، ثم تميزت عمليات الصعود الى الجو ، بغية استكشاف الطبقات الجوية العليا ، بمزيد من المفاهرة والجرأة ، ففي السنة ١٨٧٤ ارتفع احد المناطيد الى علو ٥٠٠٨ متر ، فغاب اثنان من ملاحيه عن رشدهما ولم يستيقظا قط . وفي السنة ١٩٠١ ارتفعت المناطيد الى اكثر من ١٠ آلاف متر .

تحقق منذئذ المنطاد المسير : وقد فكر «ديبوي دي لوم» و «جيفار ببالدفع الآلي الى الامام بواسطة المروحة والبخار . واحم « رينار » و « كربس » جهازاً يسير بالكهرباء ، فكانذلك حدثا هاما كرس له « فكتور هوغو » بعضاً شماره قبل ان تدركه المنية ، فهل بالاستطاعية تزويد سفن جوية حقيقية بمحركات انفجار يا ترى ؟ لقد آمن الناس في المانيا بمستقبل ما هرو أخف من الهواء ، وأسس الكونت « زبلين » في السنة ١٨٩٦ معامل انتجت سفنا جوية ضخمة : فان ال « ساخسن » الذي سيبنى في السنة ١٩٩٣ سيبلغ ١٤٠ متراً طرولاً و ١٥ متراً قطراً ، وسيزود بثلاثة بحركات قوة كل منها ١٧٠ حصانا وسيتسم ل ٢٠ راكيا .

ولكن أليست اسطورة « ايكار » سوى خيال يا ترى ؟ فمنذ مشروع الطائرة الطوافة الذي

عرض على أكاديمية العاوم في السنة ١٧٨٤ حتى طائرة فورلانية المسيرة بالبخار الـ في اقلعت في السنة ١٨٧٨ ، قد انقضى قرن كامل تقريباً . وكم هم الذين تذكروا في هـنه الاثناء رسوم و فنشي ، او لم يتذكروها وحاولوا عبثا الطيران على طريقة الطيور معرضين حياتهم للاشطار في اغلب الاحيان ؟ الا ان انصار ما هو اثقل من الهواء قد تعززت آمالهم بعد السنة ١٨٨٠ . وقد عبر وجول فيرن ، عن هذه الثقة على لسان و روبور الفاتح ، الذي تفوقت طائرته عـل النطاد المسير . وللمرة الاولى توفق و كليان ادر ، الى الارتفاع عن الارض بوسائله الخاصة على الوكم ، بواسطة محرك بخاري . وفي السنة ١٨٩٧ ، في و صالون ، طائرته و افيون ، مسافة ، من من واصلة تحقق مشروعه . فتوجب اكتشاف محرك آخر .

اهتدى اليه ميكانيكيا دراجات ها الاخوان و رايت » : في السنة ١٩٠٣ ، وبنساء على تعلياتها ، قذف بها في الهواه بواسطة منجنيتي في احدى ساحات اميركا أمام خسة مشاهدين وارتفعت الطائرة الى علو ثلاثة امتار وقطعت مسافة ٢٦٠ متراً بفضل محرك انفجار خفيف الوزن جداً . وبعد مرور ثلاث سنوات قطع البرازيلي و سانتوس - ديون » ماحب احدى المزارع المحبرى ، الذي استهواه المنطاد من قبل ، مسافة ٢٢٠ متراً على ارتفاع ٢ امتار فوق الارض . فكانت نتيجة هذه المافر الحقيقية التي أثارت الحاسة ، استحثاث الابحاث . وتعاقبت الاحداث بعد ذلك بسرعة مطردة : في السنة ١٩٠٨ قطسم و فارمان » الكيلومتر الاول في مدار مقفل ، وفاز و ولبور رايت » بكأس ميشلين الاولى بتحليقه في الجو طياة ساعتين ونصف الساعة وقطمه مسافة ١٢٤ كيلومتراً ؛ وفي السنة ١٩٠٨ اجتاز و لويس بليريو » بحر المانش عند كليه ؛ وفي السنة ١٩١٩ اجتاز و غاروس » كليه ، وفي السنة ١٩١٩ اجتاز و غاروس » المتوسط . وفي السنة ١٩١٩ اجتاز و شافيز » جبال الألب ؛ وفي السنة ١٩١٠ اجتاز و غاروس » المتوسط . وفي السنة ١٩١٤ اجتاز و شافيز » جبال الألب ؛ وفي السنة و١٩١ اجتاز و غاروس » المتوسط . وفي السنة ١٩١٤ المنابقة الا ان تندلع و ٢ الاف متر ارتفاعا ، ومئتي كيلومتر في الساعة سرعة . فها على الحرب العالمة الا ان تندلع لان الشم سوف بعرفون كمف يقاتلون في الساء سرعة . فها على الحرب العالمة الا ان تندلع لان الشم سوف بعرفون كمف يقاتلون في الساء .

ان تطبيقات الملوم الطبيعية والكيميائية التي هلل <mark>لها بعض</mark>هم اقد نص<mark>يب التفنيات</mark> الحربية الكبير الثارت المزيسيد من التحفظات لدى اولئ<mark>ك الذين اس</mark>توقفهم بالتفضيل خضوع الانسان لعلم الآليات ووسائل التدمير الجديدة .

ولقد زعم بعضهم ان الفضل الاكبر في الانتاج بالجلة يعود الى الحرب الآلية ، وان الجراحة مدينة بنجاحاتها لساحات الممركة في الدرجة الاولى .

في اواخر القرن التاسع عشر بدأ ع<mark>صر الفولاذ.فلا ا</mark>رتياب بعد اليوم-ول الدور الاولي الذي يلمبه القطار الحديدي وخطوطه الفولاذية في نقل القوى المحاربة والاعتدة . وهـــي اصناف الفولاذ المختلفة ـ ولا سيا الاصناف الحاصة – التي زادت من قوة الاسلحة وقوة الدرع : وقـــــ

استفادت المدفعية والد ، المدرعة من طرائق و بسمر » و و مارتين سيعنس » . فسيطوت مصانع الاسلحة الكبلى على صناعة استخراج وتنقية المادن بعد أن يسرت اهما لحسا الحروب التي نشبت بين السنة مهما والسنة ١٨٧١ . فقام بعد ذلك ارتباط وثيق بينها وبين الحكومات وبين القيادات المسكرية العامة . واشتد هذا الارتباط كلما تطورت تقنيات الصناعة فالبندقية ما زالت الوسع الاسلحة انتشاراً » وقد تحسنت تحسنا مستمراً . فحلت محل البندقية وشاسبو » المزودة بابرة لاطلاق النار » التي كانت ملكة العمليات الحربية البرية في السنة ١٨٦٦ و ممارز « لبل » و و موزر » .

ولكن المهندسين الاميركيين ، وحيرام مكسيم ، و و ب. رهوتشكيس ، قسد احكما السلاح الذاتي الذي اطلق و ريفاي ، عليه اسم مدفع الرصاص والذي حال تركيبه الدقيق دون استخدامه استخداما فعالاً خلال الحرب الفرنسية الالمانية . وبعد ذلك بزمن قصير ظهر المدفع الذاتي الحركة السريع الاطلاق الذي لم يلبث ان عرف باسم المدفع الرشاش . وبالمقابلة وزاد المدفع المفرض من داخله والمطوق من خارجه صلابة وبعد مرمى وقابلية حركة . وقد زوده الكولونيل و دي بانج ، بصهام جمل حشوه من مؤخره اكثر فعالية . وزود كذلك بجهاز يمنع مفعول اندفاعه الى الوراء وبأجهزة تسديد تتبح الاطلاق غير المباش . فبلغت سرعة القذائف المطلقة ، بعد اطلاقها مباشرة ، وه متر في الثانية . كما ان القذائف التي استطاعت المدفعية اطلاقها قد بلغت الطن وزنا .

لقد حدثت ثورة حقيقية في فن اطلاق النار . ففي السنة ١٨٧٠ ، نادراً ما استعمل غسير البارود الاسود الذي يرتفي استخدامه الى اواخر القرون الوسطى : ففكر « برتلو » باستبدال مزيج الفحم والكبريت وماح البارود هذا بأول او كسيد الازوت السائل . ولكن الاميركيين كاوا قد استخدموا خلال الحرب الانفصالية بعض المواد المتفجرة المعول في تركيبها على بعض الفازات السريعة الانفجار . وبينها ولى دتوربين » وجهه شطر البيكرات وحصل على الدملينيت ، آسر « فياي » النيتروساولوز المعروف باسم قطن البارود او القطن المنفجر » و « نوبسل » النيتروغليسرين الذي يعطي الديناميت . وقد اثبت هذا الاخير فاعليته بتدمير صخر تحت سطح البحر في مرفأ نيويورك وبالمساعدة على فتح نفق « غوتار » . و جأ الارهابيون الايرلنديون اليه لنشر الذعر في اذكاترا . ثم توفق « فياي » الى تسهيل استمال هذه المواد في الاطلاق بازالة خاصياتها التحطيمية . فجاء من ثم البارود الذي لا ينبعث منه الدخان يضاعف قوة النار بحشوة عده دة منه .

استفيد من كافة الاستحداثات. فقد سهلت ساعة قياس الوقت الدقيقة تقدير المدفعيين لسرعة القذائف عند اطلاقها . و ان التلفراف قد بدل ظروف الحرب تبديلا كلياً با تاحته تولى القيادة من مسافات بعيدة » .

الا ان واحداً لا يعلم ما اذا كان الهجوم سيفضل الدفاع . وقد مال معظم الاختصاصيسين الى العمليات الطويلة ، وعمليات و الخنادق ، و « الحصار » ؛ ويبدو ان اختبسار الحرب في منشوريا كان حجة قاطمة من هذا القبيل . وفي السنة ١٩١٢ ، بينها اصر القائد ودي برناردي » وفاقاً لنظريات قيادة الجيش الالماني التي اوصت بزيادة قوة النار والهجوم حتى الموت ، على ان يكتب : « يجب استفراغ الجهود بفية احراز النصر بالسرعة القصوى » ، اجاب الكولونيسل و مونتانيه » : « النهكة هي ما سوف يقرر مصير الممارك » . ولكن القائلين بهسدا الراي او ذلك قد حسبوا حساب النتائج المرعبة التي سيسفر عنها الاصطدام الاول . فتصرفوا من ثم بحيث يكور هذا الاصطدام قادراً على تأمين النصر الكامل .

أعير تالاهتام كذلك الاختراعات الجديدة في الحرب البحرية . فان اعتاد البخار كقوة محركة لم يبدل ظروف الممركة كا بدل المهور التدريم والمتفجرات الازوتية في آن واحد تقريباً . وقد بدأ السباق بين هذه وذاك . فبنيت السفينة المدرعة ذات الابراج التي بلفت سماكة فولاذ هيكلها حتى ، ه سنتمترا وعرفت قياسات لم تعرفها السفن من قبسل : فحوالي السنة ١٨٩٠ تجاوز طولها ١٠٠ متر واتسمت لمحمول ١٠ أو ١٥ الف برميل ولد ١٠٠ أو ١٠٠ مون وقودا ، وسارت بسرعة تتراوح بين ١٥ و ١٧ عقدة . فكانت شبيهة مجسن مجسري حقيقي وقادرة على الشروع في الفتال من مسافة بعيدة تساندها الطرادات المدرعية والطرادات المحمية التي كانت السرع سيراً وأقل قوة . ولم يكن اعداؤها نيران العدو فحسب ، بل الالفام وقيدائف نسف السفن ايضاً . وقد اوحت قذيفة و وايتهد ، الذاتية الحركة ، بفكرة السفينة النسافة السريمة التي زودت بأنابيب لرمي القذائف ، والتي اثبتت الحرب الروسية اليابانية مرونتها . ثم جاءت الكهرباء تتولى ادارة اجهزة الحركة والعلائم وتطلق الالغام .

ثم تعاظم شأن الغواصة التي استازمت مجموع اجهزة محكة ارتبطت كذلك بأجهزة الحركة الكهربائية . فقد واصل القرن المجاثة منذ ان توفق و فولتون على تغويص ال و نوتياوس ع في السنة ١٨٥٠ . فسعى و برون ع و و نور دنفلت على تحقيق جهاز يكون فيه الهواء مضغوط السنة ١٨٩٩ علمة الداخلية محكة لا ينفذ اليها المساء . وفي السنة ١٨٩٩ عابتكر و لوبوف على الدونال عن و صممت هذه الغواصة بهيكلين رتبت بينها الاثقال بفية اتاحة التغويص والمودة الى سطح الماء وسارت بواسطة آلة بخارية ع وادارت اثناء الغوص محركا كهربائيا واستخدمت المشفاق والبركار الجيروسكوبي . ثم لم تلبث ان اعتمدت محرك ديزل . وكانت قادرة على القيام بعمليات الاستكشاف وزرع الالفام ورمي القذائف فبدلت بدورها معطيات الستراتيجيسة البحرية .

كانت هذه الاخيرة موضوع دراسات كثيرة . ألا أن كتاب الاميرال و ماهمان ، ، و أثر القوة البحرية في التاريخ ، ، قد هيج الافكار ، والمنافسة الانكليزية الالمانية اسهمت اسهامها

قرباً في تقدم التقنيات .

في السنة ١٩٠٥ ، وتحت تأثير الاميرال « فيشر » ، انزلت بريطانيا العظمى الى البحسسر الا « دردنوت » ، المثال الجديد للسفينة المدرعة الكبرى ، الذي جاوز محموله ١٨٠٠٠ برميل : كان مزوداً بعنفات بخارية ومسلحاً بد ١٠ مدافع من عيار ٣٠٥ ميلةرات و ٢٤ مدفعاً من عيار ٧٠ وقد استفني فيه عن المدفعية الثانوية . فكانت اسلحته من ثم خير اسلحة لمعركة يشترك فيها من مسافة بعيدة .

ثم اخذ الاميرال فيشر نفسه بعين الاعتبار فوائد البترول الفضلى ، فأمر باستبدال الفحم بالمازوت . فضوعفت دائرة العمل بوزن وقود متساو ، وزال الدخان . ولكن هذا التغيير كان في اولى مراحله فقط حين نشب نزاع السنة ١٩١٤ .

وكان مقدراً للحرب العالمية ان توسع بسرعة استعمال الوقيدود الجديد والآلات المسيرة . يعمركات انفجار او احتراق داخلي .

> تباشير ثورة علمية جديدة : الاشماع الذاتي والنسبية

في الوقت الذي تكاثرت فيه النتائج العملية ، والرهيبة في اغلب الاحيان ، للاختراعات التي بدا القرن وكأنه يعلق عليها سمعته، كانت تعد ثورة حقيقة في حقل علم الرياضيات وعلم الطبيعة .

بينها كان الفائلون بامكانات العلم الكلية بعتبرون العلم والي السنوات ١٨٩٠-١٨٩٠ ، مقعداً على مبادىء متينة ، انهار بناء الحتمية ، الذي اعتبر كلاسيكيا ، في سنوات قليلة المهام سلسلة من الاكتشافات غير المرتقبة . فبعد الاشعة المهبطية التي سلم بالعديد مسن النظريات حول طبيعتها ، اكتشفت في آن واحد تقريباً – اواخر السنة ١٨٩٥ واوائل السنة ١٨٩٦ – الاشعة التي دل و رونتجن ، عليها بالحرف X ، والاشعة التي عزاها وهنري بكريل ، للاورانيوم والتي لن يلبث و بير وماري كوري ، ان يهتديا اليها (١٨٩٨) منبثقة بمزيد من القوة عن جسمين آخرين هما البولونيوم ولا سها الراديوم . وهكذا ظهر الاشعاع الذاتي أو النشاط الاشعاعي .

اجل لقد وجد في الشماع الذاتي كا في الاشمة المهبطية الكهيرب المعروف – دل عليه لورنز في السنة ١٨٩٥ كعنصر تركيب – والموجات الهرتزية واشعبة X والنور نفسه والها اكتشف فيه كذلك إشماع اطلق عليه اسم اشماع دغاما وكا في اشمة X و اخيراً حقى و روذر فورده شخصية الاشمة والفا وكنويات دون كهيربات المدات الهيليوم . وهنا كان مثار الدهشة .

فها هي سنن الاشعاع يا ترى ؟ لقد لاحظ و لنار » إن اشعة ماوراء البنفسجي تنازع بعض الكهيربات من المسادة بينها لا تستطيع اشعة ما دون الاحر ذلك . فكل جسم يبث من ثم اشعاعاته الخاصة بذبذباته الخاصة .

ثم جاء « ماكس بلانك » في السنة ١٩٠٠ يدلي بداره ايضا، فأنكر صدور الطاقة صدوراً مستمراً وصاغ مبدأ جديداً مفاده ان الطاقة تبدو كذلك بشكل جزئيات تنبعث عن المسادة

انبعاثًا غير مستمر ؟ أما قيمة هذه الجزئيات فنسبية للتواتر .

وبعد انقضاء خمس سنوات اثبت و البير انشتاين ، صحة هذه الثابتة بتطبيقها على مفعول الضوء والكهرباء الذي اوضحه هرتز في السنة ١٨٨٧ والذي يلخص بأن النور بنستزع بعض الكهربات من المادة ؛ وهكذا يظهر ان و لنار ، قد تثبت الشيء دون ان يستطيع تفسيره .

وهكذا نشأت في وقت واحد النظرية الذرية ونظرية النسبية ، وقد اتصل بالاولى عسلم الذرات والكهيربات الذي تختلف سننه اختلافاً كلياً عن سنن علم الطبيعة الكلاسيكي . فحدد ورفر فورد ، الذرة في السنة ١٩٩١ بأنها متكونة من كهيربات تدور حول نواة ؛ وابان ان تصنيف الاجسام وفاقاً لمدد الكهيربات يتبح استثبات جدول اقترحه و مندليف ، منذ السنة ١٨٦٩ . اما و بوهر ، فقد شدد الكلام في السنة ١٩٩٣ على الطاقة المنبعثة عن الكهيرب، بحسب نظرية الجزئيات ، شريطة ان يقفز من ذرة الى اخرى. فتكون هذه الطاقة من ثم غير مستمرة ، خلافاً لقواعد علم خاصيات التيارات الكهربائية ، وتتكون اما من جزئيات طاقمة الضوء او اشعة ما دون الاحر أو اشعة به ايضاً. ومنذ السنة ١٩٠٠ اي منذ وروذر فورد ، ووسودي ، عكف عدد كبير من العلماء – وموريس دي بروي ، وميليكان ، وحدر فورد ، ووسودي ، ولسون ، ، واستون ، وسواهم – على قياس عناصر هذا الكون الجديد ، وحققوا تشاب الخواص ، بينها حدد و لنجفين ، بدقة نظرية المغناطيسية .

وجاء علم الرياضيات ينصف ويدعم علم الطبيعة الجديد . فتخطى و فيتو فولتيوا » مرحلة الممادلات التفاضلية التي سبق ل و هنري بوانكاريه » ان وجد لها اسلوباً عامسا ووصل الى المعادلات التكاملية ؛ ونقل التحليل الى الدالات التي كشف القرن التاسع عشر القناع عنها والتي تعمق في درسها هنري بوانكاربه نفسه و و وايرستراس » و و اميل بيكار » ، وكانت جورج كانتور من جهته قد توسع في مفهوم اللانهاية انطلاقا من مجموع الاعداد العادمة القياس » ما قلقل مفهوم الاستمرار . وسيطبق و بير » بدوره فظرية الجماميع والدالات هذه » كا أن و اميسل بوريل » و و لوبسغ ، سيحددان بعد ذلك خاصيات الدالات لعدة متحولات . امسا نظريات الفئات التي طلع بها و غالوا » وتبناها و كوشي » و و كميل جوردان » من بعده » فقد كملها الهيار و « كارتان » ايضا . والحال كانت فئة و لورنز » مدخلا النسبية المحصورة .

في هذه الاثناء كانت هذه النظرية آخذة في شي طريقها . فقد اثبت ميكلسون في السنة ١٨٨١ ان سرعة النور واحدة في كافة الانجامات . فكان اثباته هذا ملاحظة مدهشة اذ ان حركة المصدر الضوئي او حركة المراقب لا تغيران في الامر شيئاً . ثم انطلق انشتاين من هذا المبدأ ليثبت أن الزمان والفضاء ليسا مطلقين وان حجم جسم ما يتبدل بتبدل سرعته وان المادة نفسها ليست سوى شكل من اشكال الطاقة : فأدى ذلك الى انهيار الآلية الكلاسيكية كلياً بدورها والى استثبات نظرية الجزئيات في نطاق الاجسام المتناهية الصغر . وسوف يجمع

لويس دي بروي في عهد لاحق بين الكهيرب والموجسة ويؤسس الآلية التموجية : ولكن ولان عكان قد أثبت في السنة ١٩١٢ طبيعة لا التموجية . وسينتقل انشتين من جهته من نسبية و محصورة ع الى نسبية و شاملة ع. انها لآفاق جديدة كل الجدة في طبيعة الكون بالذات خلقت بعيداً وراءها نظريات كوبرنيك وغاليليو ونيوتون ولابلاس .

قليلون جداً هم الذين رافقوا تقدم العلم وقدروا اهميته . فسلم غر الثقافة النمبية والرياضة التول عن الجماهير التي سُد" بابه سداً محكماً بالنسبة اليها .

في نظر د دورخام عنوان الانسان الذي يجب ان تحققه التربية فينا ليس الانسان كا صنعته الطبيعة بل كا اراد المجتمع ان يكون على الدلك فقد فرض المجتمع ابداً مدرسة على مثاله . وقسد عرف ذلك المحافظون والمجدون والثورويون على السواء . ولكن المسألة ازدادت خطورة يوما بعد يوم لان الذين يطالبون بأن يكون لهم مكانهم في وليمة المرفة قسد تزايد عددهم تزايداً مطرداً .

اتاحت مطامع و هو ، و و مارينوني ، ومرصفة و مرغنتالر ، ثم سابكة و لانستون، تخفيض . ثمن الكتاب الذي بات اكثر استهواء وأوفر حياة بفضل التصاوير والرسوم الزهيدة الكلفة . وصدر الكتاب المدرسي والقصة الشعبية بأعداد كبرى ، ولكن الصحيفة ايضاً استفادت من النجاحات التقنية نفسها : فقد بيمت به ١٠٠٠ فرنسك في فرنسا قبيل حرب السنة ١٩١٤ . وأصبحت من ثم في متناول لجميع . وكانت أداة اعلام عظيمة ، فوفرت المعلومات والألاهي ؟ وتملقت الرأي العام ووجهت ؟ فراعت جانبها واستخدمتها السلطات العامة والمصالح الخاصة : وقد امست لعمري احدى اعظم القوى الاجتاعية . وطبعت الشباب المجلة الدررية المسليسة : فأصدرت جمية و اوفنستات ، الباريسية بجلة و المدهش ، التي خلقت مثال و الاقسدام المطلية فأصدرت جمية و والفتاة ، و و الشجاع ، و و الجدجد، وقامت الاكشاك في الشوارع والساحات بالنيكل ، و و الفتاة ، و و الشجاع ، و و الجدجد، وقامت الاكشاك في الشوارع والساحات بالآهلة جداً حيث بيمت كميات كبرى من المطبوعات الزهيدة الثمن (روايات عاطفية وبوليسية وروايات مفامرات) .

استمرت الامية في التقهقهر ولكن احداً لا يستطيع تحديد اهمية هذا التراجع بدقة . فان نسبة الاميين في الحدمة العسكرية التي هبطت في فرنسا من ١١ الى ١٪ بسين السنة ١٨٨٠ والسنة ١٩٠٠ ولكن بجندين كثيرين لم يحسنوا القراءة والسنة ١٩٠٠ ولكن بجندين كثيرين لم يحسنوا القراءة والمكتابة . وبينها تزايد عدد الطلاب تزايداً مستمراً في الجامعات والقديمة والجديدة منها والكتابة . وبينها الابتدائي والتعليم الثانوي بسرعة . فني انكلترا مثلا كلف و قانون التربية وقد الصادر في السنة ١٩٠٢ الجعيات التمثيلية تأمين نفقات التعليم دون إلغاء المعاهد الحاصة و وقد أملته رغبة في تسهيل انتقال التلامذة من المدارس الابتدائية الى المدارس الثانوية . اما في فرنسا وبلجيكا حيث ما زال الصراع على أشده بين العلمانيين والجميات الدينية وفقد اعترف بوجوب

البقاء في المدرسة حتى سن الثانية عشرة او الرابعة عشرة ؛ وتواصل الدروس بعد ذلك اما في المدارس الابتدائية العليا واما في المدارس التقنية .

ارتسمت حركة جديدة استهدفت تجديد الاساليب التربوية ، بعد أن أظهرت سيكولوجية الطفل فوائد التمليم المتفق وافواق كل عمر وامكاناته . فنادى و جون ديواي ، وكرشنستاينر و و ألفرد بينه ، بالاساليب الممروفة بالاساليب الفعالة التي استنتجتها و ماريا مونتسوري ، و د يكرولي ، من ملاحظات اجرياها على المتخلفين وغير الطبيعيين .

وكانت الشاغلة نفسها سبباً لقيام الكشفية : فقد رغب مؤسس هذه الحركة ، احمد ضباط الجيش البريطاني ، د بادن ما باول ، ، في انهاء بداهسة النشاط المفيد والميل اليه عند الولد ، عن طريق اللعب والانضباط الختار بحرية . وطمعت الكشفية بأن تكون مجتمع اولاد يخضم لقانون ادبي . وربطت بين سلامة الجمم وسلامة المقل . ويرد نجاحها الى حد بعيد بعمد السنة الم حاجة الفرار نحو الطبعة التي يشعر بها سكان المدن .

والسبب عينه نرى أن الرياضة التي توفر قوائد الراحة والصحة معا _المهال اليدويين ورجال الفكر على السواء _ احتلت المرتبة الاولى في النشاطات الاجتاعية .اجل غالبا ما تفرض مباريات وحشية وتتطلب جهوداً ترهتى الجسم . ولكنها تستهوي وتذهب بالعقل . فالملاكمة حدث هام في الولايات المتحدة . وأسماء مشاهير المسارعين اخذت تثير اهتام الرأي العسام في العالم القديم ؟ وياتت شعبية سائقي الدراجات المشتركين في سباق الدوران حول فرنسا تقوق شعبية معظم البرلمانيين في قصر بورون وفي مجلس الشيوخ . فانتقلت مفردات انكليزية كثيرة وانتشرت الجميات الرياضة في العالم الجمع وعقدت فيا بينها علائق زادت وثوقا يوما بعد يوم . وفي فرنسا كرس و بيير دى كوبرتين ، نشاطه ولبت التارين الرياضية في الغربية ، وأطلق فكرة اعادة الالعاب الاولمبية التي بعثت في السنة ٦٨٥٦ في اثينا واشتركت فيها ١٣ دولة . فدخلت الماراة العصرية في التاريخ حين بعثت في السنة ٦٨٥٦ في اثينا واشتركت فيها ١٣ دولة . فدخلت الماراة العصرية في التاريخ حين بعثت الولمبيا على نطاق عالمي .

واذا رسم « فرنيه » و « جريكو » فرسان السباق والجياد الاصيلة » فان رياضة ركوب الحتيل قد الهمت كذلك مانيه » و « ديفا » ، بينها عالج « مونيه » و « سورا » المشاهد المائية بلذة ، وسيطرت المدرسة التكميلية بدورها على المواضيم الرياضية .

فها القول عن الآداب الجيلة والفنون الجيلة التي انسها تخاطب المقول الجملة بحسب التقليد ؟

الانتاج الادبي الرفير والنهضة المسرحية

افضت و الحركة العرقوبية ، التي ظهرت بسين السنة ١٨٨٠ و السنة ١٨٨٠ ــ و دهي أغرب حركات القرن ، كما يقول بارتيس ــ الى انحطاط الواقعيسة والطبيعية في فرنسا انحطاطا نهائياً . وإذا كان مقدراً لهذه النزعات ان تتفتح بعسد ذلك في اوروبا واميركا ، ولا سيا في القصة ، فقد سيطرت العاطفة والفريزة في الشعر بفضل الرمزية .

وتعددت المدارس في كل مكان تقريباً وتنوعت أساليب التعبير الذي يفسرهـــا ليس فورة الافكار فعسب ، بل تزايد عدد الكتاب المائشين من قلمهم وتزايد عدد القراء ايضاً . وقـــد انصرف اصحاب الاذواق الرقيقة و «منحطو اواخر القرن» الى الاكثار من المعابد الصغرى بلذة خاصة ؛ فآثروا التمييز ، وحتى العزلة ، على التجمع .

أما الجيل الطالع والباحث عن نفسه فقيد عبد الصدق والاعتراف الشخصي واستطاب التفكير بمسائل المصير البشري الكبرى . وقد شجع الازدراء بالمذهب العقلي الخداع انتقال الماطفة الدينية الى الهجوم ، ودفع الى التحليل الباطني والبحث في الوعي الغامض والمسائسل الجنسية المنف الى هذا ان وصف البؤس الاجتماعي وصفاً عنيفاً وشجياً كان على الدوام موضوعاً جذاباً او مفيداً .

بعد السنة ١٩٠٠ استمرت افنان الشجرة الرمزية في الامتداد فوق اوروبا الشرقية في الأمتداد في روسيا ازهاراً جيلا . ولكنها اخذت تذبيل من جهة الغرب . فنظم بمض الشعراء المبتدءين شعراً طليقاً جدا او مدروساً جداً ، نذكر منهم « ابولينير » ، « ييتس » ، الشعراء المبتدءين شعراً طليقاً جدا او مدروساً جداً ، نذكر منهم « ابولينير » ، « ييتس » ، وجامس » « هولز » » « دهمل » و « جورج » » « فرودنغ » . وطلع الابطالي « مارينستي » بمدرسة و المستقبل » في السنة ١٩٠٩ ، واسس مواطنه « اونغارتي » مدرسة و الحطامية » وقد تأو كلاهما ب « كروشي » المؤرخ والفيلسوف المنادي . ولاحت كذلك دلائل مدرسة استقبالية في روسيا . ولوحظت في اسبانيا حركة عرفت « بحركة السنة ١٨٩٨ » طالبت بعد الهزيمة في روسيا . ولوحظت في اسبانيا حركة عرفت « بحركة السنة ١٨٩٨ » طالبت بعد الربو » على أراس « مدرسة عصرية » غنائية لم تلبث ان استهوت معظم بلدان اميركا اللاتينية . وبعد ارب ومنطيقين المنائيا طبيعية « هوبتمن » و « سودرمن » التي وقفت في وجهها مدرسة الرومنطيقين الجدد » « باهر » » و « هوفمستاهل » و شنيتزل في النمسا » تذوقت « الانطباعية » الذائية ثم بعد السنة ١٩٩١ – « التعبيية » التي انفت من الرصف ولم تهتم الا بجوهر الاشياء . وسيطر المنائيون والفرديون من بين « رجال السنة ١٨٨٠ » مدة طويلة في هولندا . واعتنق الفنائية كذلك مشاهير الشعر السكندينافي . اما النهضة الادبية التي حدثت من قبل بسين البلطيق والادرياتيك والمحد » فها زالت تثبت اقدامها » ولا سيها عند البولونيين والتشيكيين والهنفاريين والرومانيين .

كان (ابسن) قد نقل الرمزية الى المسرح ؛ وقد عرفت مسرحيته (مترلنك) نجاحاً عظيماً جداً. ثم ظهر التطور نحو الصوفية في مؤلفات (كاوديل) و « هوبتمن » ، بينا أنتجت ، ارضاء للمشاهدين المتزايدين عدداً يوماً بمسد يوم ، مسرحيات النظريات والماسي الاجتاعية او السيكولوجية ، والمؤلفات المرتكزة الى التحليل الماطفي دون غيره ، وحاولت المهزلة التملص من الدسيسة المبتذلة بالفكاهة والتهكم : وقد اشتهر في هذا الحقل (كورتلين) « وتريستان برنار

و « اوسكار وايله » وبرنارد شو. اما « بيرندلو » الذي انتقل من القصة الى المسرح وذهب في التأمل الباطني حتى النهاية ، فقد ابتنى اثبات صفة الرجود المفلقة .

توفر المسرح من الوسائل الجديدة ويلغ من تنوع الالوان ما حسال دون سيطرة اية نزعة او المجاه . فن جهة جملت تغنيات الاضاءة التمثيل الذي سمى وراء المشلين بالاستغناء عن التزيين حاول الاداء ، بردة فعل طبيعية ، اعادة الانتباء الى تمثيل الممثلين بالاستغناء عن التزيين المسرحي جهد المستطاع . فبعد و أدولف ابيا » ، حرص و لونييه - بو » في مسرح و العمل » ، و و كوبو » في مسرح و العمل » ، و و انطوان » في و المسرح الحر » ، على التجديد الذي رأوا فيه رأي و ماكس رينهارت » مؤسس و المسرح الصغير » ، ورأي و ستانسلافسكي، مؤسس والمسرح الفني، وتلميذه و ما يرهولد » . وان مسرح و الطليعة » هذا قد الأر الاهمام مؤسس والمسرح الفني، وتلميذه و ما يرهولد » . وان مسرح و الطليعة » هذا قد الأر الاهمام الكلاسيكية والرومنطيقية مزبداً من النجاح بفضل ممثلين مشهورين بسحر فعنهم من أمشال الكلاسيكية والرومنطيقية مزبداً من النجاح بفضل ممثلين مشهورين بسحر فعنهم من أمشال و مونيه - سولي » و و ساره برنار » . زد على ذلك أن هوى الماساة القديمة قد ظهر في اطار الابنية التي لم تقو الايام على تدميرها نهائياً وبينا امسى الرقص الكلاسيكي ايقاعياً او حراً بتأثير من و ايزادورا دونكان » وصلت مدرسة الرقص الرمزي الروسي ومدرسة و دياغيليف ، الى خلق مشاهد تأخذ بمجامع القلوب ، مهيدتين الاعتمار في الوقت نفسه الى رقص الذكور ايضاً الما اظاهرة جديدة للاعداء الشرقي الذي تمناه و مهد له الطريق من قبل و مالارميه » و و ديغا ، وكيفته عبقرية و سترافنسكي » وسامت به عبقرية و رافيل » .

ادائيل ثورة موسيقية على الرغم من وضوحها ومن خدمة هوى الرمزية والنفود الالماني الرائيل ثورة موسيقية على الرغم من وضوحها ومن خدمة هوى الرمزية والنفود الالماني لها . فان ايطاليا كانت تفاخر به « فردي » وقيد اسست المدرسة الواقعية الإيطالية للادب والموسيقى ؟ وفي فرنسا عرف النغم كذلك ، على طريقة « غوفر » ، نجاحاً ثابتاً راهناً . اضف الى ذلك ان الموسيقى الفنائية ما زالت اختيارية : ففي فيينا مثلاً نرى في عسداد التمثيليات الفنائية المقررة « لوهنفرين » و « المشهرون » و « عايدا » و « مينيون » وحتى ال « هوغنو » . الفنائية المقررة « بوريس غودونوف » له « موسورغسكي » فريدة من نوعها بفعسل اختصار الملحن الالقائي المؤثر في النفس و اهمية اللهجات الشعبية . و طبق « براهمز » ، عسبر الضوضاء الرومنطيقية ، بالاشكال البيتوفنية . وبشر فرانسك به « عودة الى باخ » . نعم الشعور بأن كلاسمكمة حديدة ستظهر في الافق : ولكن ظهورها قد تأخر .

فقد جرى حينذاك الحادث العرضي الذي اطلق عليه اسم الثورة الديبوسية . فاهتم «غبرييل فوريه » منذئذ بالمارض الزائل والافراط التواققي الذي جعل موسيقاه تمت بصلة الى الاسلوب الانطباعي واشركه في الوقت نفسه بجال الرمزية . وعلى غراره ، استوحى «كلود ديبوسي »

و فراين » واحب و بودلير » وتردد الى مجلس المالارميين : فوضع في السنة ١٨٩٢ و مدخل الى ظهيرة احد آلهة الحقول» . واذا لم ينج فيه من السحر الفاغنري افانه قد قاوم قول استاذ بايروت بالسلم الملون اواذا لم يستوح و بوريس غودونوف » فقد ارثق الربط على طريقة وموسورغسكي » بين الفناء والكلام وفصل بين انواع الآلات الموسيقية المختلفة . وبموجب والمدخل » احتجب الخط وراء اللون ، وضحى اللحن بنفسه على مذبح توافق الاصوات ، وملكت العاطفة نفسها خجلا . وتآمن بعض الشهرة في السنة ١٩٠٢ ، بفضل و بلياس وميليزاند » ، لهذه التقنية الجديدة ، المقدة والرقعة والحالمة .

وفي لفة اكثر شهوانية وأشد قساوة اطال « رافيل » و « روسيل » و « فساوران شميت » عمر الديبوسية في فرنسا على الرغم من انهم تخطوها ، ففي عهد « البنيز » و « غرانادوس » و مانويل دي فالا » ، اراد « موريس رافيل » ان تكون اسبانيا – بالاضافة الى الرقص والمشهد الفان — احد مواضيعه المفضلة : فال « لاهابانيرا » ، ورقصة ال « بافان» ، و « القصيدة . الاسبانية » هي من أشهر ما انتجه صاحب الذوق الرقيق هذا .

اما الحقيقة فهي ان الانطباعية المتميزة بتوافقاتها الخالصة لم تلبث ان استنفدت مرادها وتأثيرها . فبالاضافة الى ان ديبوسي نفسه قد أسهم في تحوير المدلول التقليدي لخاصة اللحن بحرى البحث بالقابلة ، في قلب و مدرسة المفنين » ، عن لون جديد عند و فنسان دندي ، و دسكريابين ، و و بيلا برتوك ، و و ريشار شتراوس » (و الموسيقي الالماني المبقري الوحيد في اليمنا » كا قال عنه و رومان رولان » في السنة ١٩٠٥) . وسلك و اريك ساتي ، طريد في المتحر و التحير اللحني ، وابتكر و ارنولد شونبرغ ، سلما موسيقياً حقيقاً لا لحن فيه اقصي عنه كل ايقاع بارز ، وبدت انكلترا ،حيث تأسس في السنة ١٩٠٩ و تحالف موسيقي » و كانها اهتدت الى سر الخلق المدفون في ارضها منذ وفاة و بورسيل » . وفي هذه الاثناء برزت مواهب و ايفور سترافنسكي » ؛ فتعاقبت مؤلفاته ، و الطهر الناري » و و بتروشكا » و و مسح الربيع ، سترافنسكي » ؛ فتعاقبت مؤلفاته ، و الطهر الناري » و و بتروشكا » و و مسح الربيع ، رومه غاية في الجرأة والتنوع ، وجاء بروكوفييف في السنة ١٩١٤ يدعم هجوم و البرابرة ، هذا رسم غاية في الجرأة والتنوع ، وجاء بروكوفييف في السنة ١٩١٤ يدعم هجوم و البرابرة ، هذا رسم غاية في الجرأة والتنوع ، وجاء بروكوفييف في السنة ١٩١٤ يدعم هجوم و البرابرة ، هذا الملحق الغنزي »

سيقول سترافنسكي عن موسيقى الجاز انها و تقليد الفولكاور » . ولكن الفن الجديد ، الذي كان جامحاً حيناً وشهوانياً حيناً آخر ، لم يستطع التملص من واقعه :تحالف بين «البربي» والبدائي ، فعوسيقى الجاز هي إلى حد ما ، انتقام الزنوج ، في المديركا اولا ، بالحانها الروحية الدينية والحنينية وانغامها الصارخة المسرحية او المضحكة . ولكنها كذلك تكيف الموسيقى تكيفاً مدهشاً وفاقاً للاساوب الضاج الذي تميزت به الحضارة الآلية .

وهي في كلا الحالين بعض الهزيمة لاوروبا القديمة .

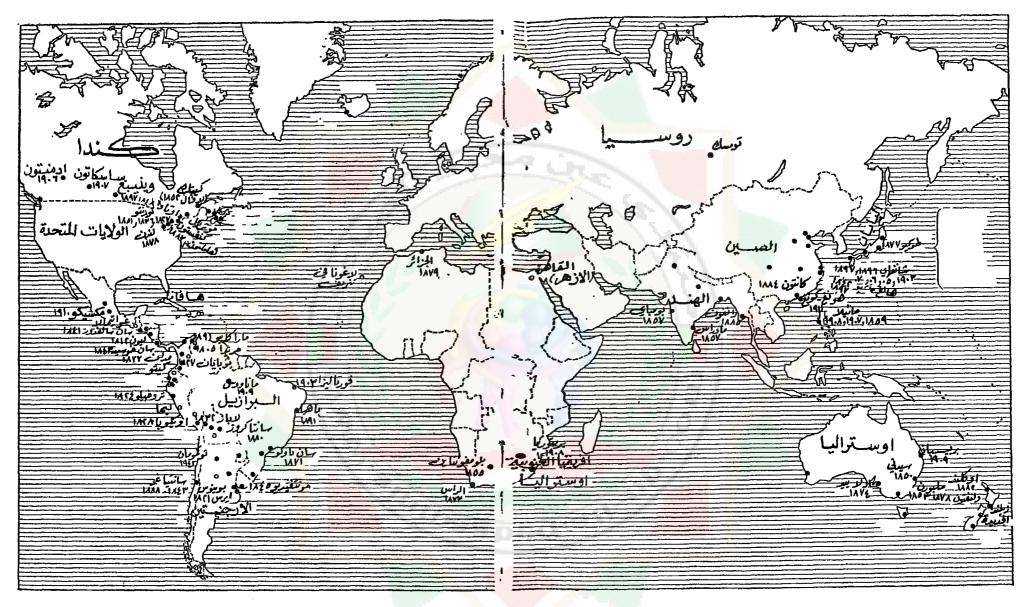
تعددت الصالونات والمعارض. وتكاثر السهاسرة والهـواة. ودخلت اميركا المسرح بقابلية الجبابرة: فقـد جمع وجون بيربونت مورغان ، العاديات البيزنطية المنقشة بالميفا واواني الحزف الصيني ولوحات ورافائيـــل ، و و رمبرانت ،

و « فراغونار » و « غاينسبورو » و دفع ، ، ، ، ، ، دولار ثمناً لاحدى لوحات « فرمير » ؟ ولكن مورغان وامثاله اشتروا ما عرفوا بوجوده عن طريق الاعلان . وانها حدث احياناً ان الولع كان نتيجة خداع . وربها صح ذلك في « مثل » لوحة « الجركي » لا « روسو » التي روجها « ابولينير » و « سالمون » ، بحسب « فرنسيس كارلو » » واستحسنها « غوغان » و « جارتي » و « ربي دي غورمون » . وعلى الرغم من ذلك فان « فان غوع » لم يعرف لا النجاح التجاري و لا اهتام الهواة الصامت ؛ ونقل « مانيس » لوحاته إلى الصالون على عربات جرها بيده ؛ وتخلى « اوترياو » عن لوحاته لبائمي الخور في موغارتر مقابل قطعة نقدية او قنينة نبيذ .

وفرض رودان و الصاخب ، نفسه بغضل الطابع النجع في النفس الذي طبع به القلت البشري . فهو قد ضحى بكل شيء على مذبح التعبير والرمز . وجمسة القول انه بقي منعزلا بعض الانعزال . واما بورديل و الخلاق ، فقد تفيد اكثر منه بمستازمات الخط الهندسي ورجع الى الفن القديم الذي اوحى به علم الآثار . وهوي و مايول ، الخطوط القليلة الانحناء التي سعى وراءها الاساوب المصري . وقد برزت مواهب قوية في كل مكارت تقريباً ، وقولب » في المانيا ، و و استورسا ، في بو هيميا ؛ ولكن النقاشة حانت من تعذر اشتراكها مع التصوير الذي ابتعد راضياً عن الفنون الاغرى وعن الجاهير ، ومع هندسة المهارة التي لم تسلك طريقها بعد ؛ وعانت كذلك من استعبادها لطلبات زبائنها .

دان الرسم بتجاحه للاعلان والبطاقة البريدية المصورة والجريدة. وقد تفوق الرسامون النكاتون في الرسم الاعدادي المباشر . واشتهر في التصوير الهزلي «كين » و «هاين » والامسيركي «جبسون » والتشيكي «موشا » و «كاران داش » و «فورين » و «ويليت » و «ستنلن » الذي امتدح اناتول فرانس « فنه المباشر والرصين » المتصف احياتاً «بعظمة ورقة » . وتابع التصوير كذلك سيره مجزم في الطريق الاستقلالية التي بدت له وكأنها طريستى الخلاص . وهذا ما عناه «ريمي دي غورمون» في الدرجة الاولى حين كتب في السنة ١٨٩٩ : «ان الخن مدفا خاصا انانيا كله ... لا يتكلف برضاه اية رسالة » لا دينية » ولا اجتاعيسة » ولا اخلاقية ... يريد ان يكون حراً ونكداً ، وغير معقول » . فهل يعني ذلك انتصار ما هو خالف الطواب ما ترى ؟

كان نفوذ الانطباعية كبيراً جداً ، وقد واصلت جولتها في اوروبا ، فكانت مصدر وحي في المانيا له فون اوهد ، و د كورنت ، و في النمسا له د كلمت ، ، و في السويد له زورن ، و دخلت هنغاريا وروسيا بفضل ه باستيان – له باج ، . وانها حــــدث ما ازال بعض العطف



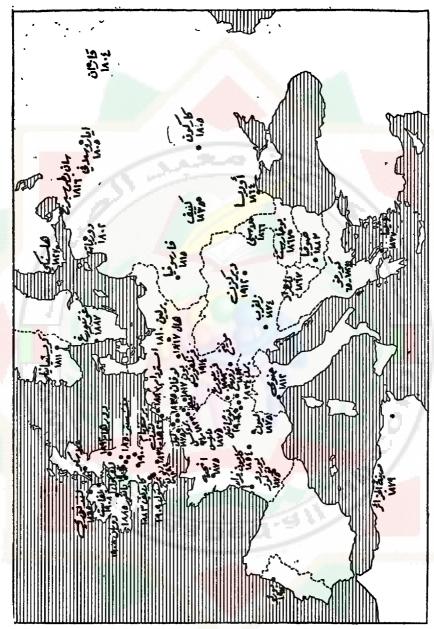
شكل رقم ٢ ٧ - الجارخِهات، في العالم في القون العشوين تشير الدوائر الى بعض الجامعات المؤسسة في القون الدوائر الى بعض الجامعات المؤسسة في القون التاسع عشر . ولم يذكر في كندا سوى مؤسسات ، التعليم العالي الهامة. وحين تضم احدى المدن عدة جامعات ، يشار الى هذه الاخيرة بتواريخ تأسيسها . (تقلا عن يقد شامير » ، « جامعات العالم »)

عليها . ويرد ذلك الى ان طريقة و مونيه » قد حيرت في النهاية اولئك الذين لم يرضُوا ، على الرغم من كل شيء ، بالتضحية بالتأليف ورغبوا في تأثر اعظم قوة . « هي العين مساقان » الرأس » كا سيقول « موريس دني » عن التصوير الانطباعي . واراد « بوفي دي شسافان » المزين الجدراني ، لصورة الرمزية ، رصانة يستوجبها التصوير على الجدران ؛ وتشاهد رمزيته اكثر شهوانية عند و ألبير بسنار » واكثر غوضاً وتخيلا عند و غوستاف مورو » . وانها أطلق اسم و الالف » على فنانين من أمثال و فانتين لاتور » كلفوا بالموسيقي الفاغنرية ، وأمثال و كاريبر » اقصى اتجاههم المتافيزيقي النشوة التصويرية ، واخضموا جميمهم كل شيء المعيساة الممينة ، وقد انحدروا بسهولة الى التجريد والفموض .

كانت طريقة و تجديد البنيان على ثلاث شخصيات قوية في الدرجة الاولى: وسيزان و عوزان و عوزان و و عان غوغ و . استطاع الاول في البدء الاختلاط بالفئة الانطباعية : عجز عن القبض على الحركة و على ما هو سريع الزوال و فنادى بها هو دائم ومتين. فأعاد التصميم شأنه و و الحمل ما لا يهمه حتى ولو لم ينه موضوعه و وكان كاثوليكيا غير صوفي و وعقب ذكياً شففا بالعظمة البسيطة و فحن إلى ما هو بدائي وتسلطت عليه فكرة الشمول . اما غوغان فقريب الشبه اليه من اوجه كثيرة : اطلق عليه الرمزيون اسم و التأليفي و لانه لم يحفظ من الحواس الا اهمها تأثيراً و ولكنه لم يتوصل الى اشباع هواه البدائي الا بالعيش بين البدائيين الاصليين . واما فان غوغ و الذي ادمن على السكر ومات معتوها و بعد ان انج معظم انتاجه بين السنة ١٨٨٧ والسنة ١٨٨٠ و باذلا في عمله جهداً عنيداً متواصلا و فقد اعتمد اصباغاً لاممة واعاد الى اللون كافة امكانائه .

ثم جاءت و الانطباعية الجديدة » التي افرغت مجهودها في التعبير عن الضوء والنور بلجوئها إلى طريقة و التجزئة » المزعومة علمية ، التي اعتمدها و سورا » و « كوس » و «سينياك » وجاء و الشقر » بدورهم حوالي السنة ١٩٠٥ : « ديرين » ماتيس » « روو » و وسينياك سيا و فلامنك » الذي اعلن و ان التصوير انها هو الحبة » . وقد انتسب بعضهم الى غوستاف مورو والبعض الآخر الى غوغان وفان غوغ . اما في الحقيقة فلا يجمع بينهم سوى عداء معلن للانطباعية والمجاهاة بمناهضة الثقافة . فهم انصار اللون الساخط في وجه اللون الساطع . ولكن ماتيس سعى وراء تحقيق نوع من و التوازن » وماركيه وراء الاتصاف برقسة خفية وعظمة ساذجة ومنطقية معا . وفي ايطاليا نبضت مدرسة و المستقبل » بالثورة حين ارادت التعبير عن ارتعاش السرعة العصرية . وعلى نقيض الانطباعية ايضا » اعتمدت التمبيرية التبسيط الذي بلغ حد التصوير الهزلي احيانا : وقد ظهرت في المدرسة الالمانية » المعروفة به و الجسر » التي دانت بالكثير له وسيزان » والذروجي « مونخ » المؤثر في النفس الذي احيا « الفن الفتي » .

يجدر لفت الانتباء هنا الى ان سيزان وسورا وغوغان ، وبصورة عامة كل معتمدي الرسم الايجازي ، قد الجهوا بالرسم نحو التكميبية . فقد اعلن ابولينير : دان الهندسة بالنسبة.



شكل ٢٩ ـــ الجامعات المؤسسة في اروم! في القرن النتاسع عشر ان التواريخ المدرنة بين هلالين هي قزاريخ تأسيس الجامعات الكائوليكية في بلجيكا وفونسا وسويسوا

للفنون التصويرية هي بمثابة الاجرومية للكتاب ، ؛ واهلن كذلك : وسيغدو التصوير العصري فنا جديداً كل الجدة وسيكون التصوير ، كا نظر اليه حتى اليوم ، ما هي الموسيقى للادب » . فالتكعيبية مطلقة ، اصلية ، قاطعة ، واكثر اقفالا من اي وقت مضى ، وتحدد بما يلي : وهندسة غنائية ، . وقد جانبها كثيرون : فكانت اشبه به «ماتيس» تبسيطات الالوان ؛ وانتقلت من الحياة عند ديرين الى الاشكال الجردة حقا ، التي يجب ان توافق و الحقيقة بحسب الروح ، ، عند «براك » ثم عندبيكاسو . فبموجبها تشابكت المسطحات والمكمبات والزوايا الناتئة ؛ وتذكر الصور المفصلة كا يفصل المساس برسوم النقاشة الزنجية او البولينيزية . فان الاندلسي بيكاسو ، الذي اطلق عليه ابولينير اسم و عصفور بنين » قد جاء الى باريس في السنة ١٩٠٠ وخلسق لنفسه عالما اصبحت صوره هندسية بالتجريد . فكان ان بعضهم اكدوا مع الشاعر : « ليس لنفسه عالما اسبحت صوره هندسية بالتجريد . فكان ان بعضهم اكدوا مع الشاعر : « ليس لفشابهة ابة اهمية ، لان كل شيء بضحى في سبيل حقائق وحاجات طبيعية سامية يفترضها دون ان يكتشفها . فتغلب عدم الاستمرار في هذا الفن كا تغلب في موسيقى و سترافنسكى » .

وانها اذا كانت غاية التكميبية اكتشاف جوهر الاشياء ، فانها قد مثلت من بعض الاوجه ، شاءت ام ابت ، مجهر و تصوير نقشي بغية الاتفاق وجسارات الخطوط الهندسية التي ظهرت تباشيرها .

من ال<mark>اسل</mark>وب العصري الى هندســـة العيارة الاسمنتية

منذ اوائل القرن فرضت المدينة نموها المسيخ والفوضوي . ورجب انتظار السنة ١٨٨٠ حتى يبرز ويعم الاهستام بالتجهيزات التجميلية في المدن : فبعد نابوليورن الثالث

وهوسمن ، اوصى البرليني وستوين ، باحترام الماضي والارض ، وشدد الفينيي وسيت ، الكلام على التوافق الواجب بين الساحات والابنية ، وآثر الانكليزي و هارفارد ، المدينة - الحديقة - التي حققها و اونوين ، في و لشوورث ، في السنة ١٩٠٧ ، وفكر السكتلندي و جدس ، بتنظيم المناطق التي تضم عدة مدن . وبينا كانت المانيا البلاد الاولى التي نظمت توسيع المدن ، اعطت البلدان الانكلوسا كسونية الجديدة مثل و نظام الساحة » . وطلع و غارنييه » بفكرة الطرق المرتفعة وترتيب الابنية وفاقاً لزوايا معينة . واتاحت المؤتمرات والمعارض مقابلة هذه النظريات وتمنت المؤلمة العظيمة .

كانت بعض التحقيقات صدمة (المتمدنين القدماء » : فقيد طاب ل «بار"يس » في كتابه (كوليت بودوش) اظهار النضاد بين « متز » القديمة » و مدينة الروح » الروح الفرنسية القديمة » المسكرية » الريفية » و بين الابنية الالمانية : « محطة القطار الحديدي الجديدة (التي) يبدو كأنها تتباهى بعزتها الثابتة على خلق اساوب المبراطوري عظيم » » و « التي ليست سوى قطيفة او فطيرة عظيمة محشوة باللحم » ؛ والحي الجديد المعبر عن جنون العظمة (الذي) يضم الخانات الكبرى والمقاصف الورجوازية المثقلة بالنقوش الاقتصادية الصاخبة » و «يتطلم الى العظمة

والثروة ۽ ، و و ليس سوى كذب وفوضي وافلاس عبقرية ۽ .

ولم يتح الحديد كذلك نهضة هندسة العيارة: فالهياكل المعدنية الحبية قد 'طلبت حتى لا تتأكسد. اجل لقد عرف برج ايفل البقساء بفضل الرسوم المفروضة على الصعود اليه ؟ ولكن كثيرين لم يكفوا عن الانتقاد امام و الظل البقيض المعامود البغيض المصنوع من صفائح حديدية مثبتة بمسامير ضخمة » .

ولم يتوصل الاساوب العصري ايضاً الى حجب فقر الابنية الرسمية او الابنية التي تعطي دخلا للاكيها . فهو في تصميمه على تزيدين وجده البناء بتقميره او تحديبه ، كأنها يطيب له التهرب من الخطوط البسيطة التي بدا وكأنمواد البناء الجديدة تفرضها . الا انه جدد التزيين والورق الماون والفراش ؛ وكان مصدر وحي لصنوعات الحديد المطرق الجميلة ؛ واعتمدت زخارفه الزهرية في الاعلان نفسه ؛ ولجأ اليه الزي النسائي باحكام الاكام و والتنانير » في اعلاها وتوسيمها في اسفلها بشكل نورات الزهر : فنعته الساخرون و بالاسلوب الخامل » و والمتموج » و واسلوب الحرية » ايضاً الذي زعم في انكلترا انه مدين بالكثير الى ازياء ما قبل رافائيل .

هي الفنون التزيينية التي استفادت اعظم استفادة من « اساوب السنة ١٩٠٠ ». وقد نظم اتحادها المركزي مظاهرة في مكان العرض . وفي معرض خريف السنة ١٩٠٣ ، خصها مهندس العمارة « فرانتز جوردين » بمكان فسيح . فأعطى تعليم « وليم موريس » و « وولة كراين » ، عددي الفنون التطبيقية ، غاره آنذاك ؛ فتلفت اليها « فان دى فلد » الذي أسس مدرسة في « نيار » واستعاض عن الرسم المزهري بالخطوط المعوجة .

عبثا اصدر و فيوليه له دوك ، حكمه على التزيين النافل باسم المقل . وقد وجب أن يظهر الاسمنت المسلح مزاياه في الولايات المتحدة حتى ينطلق فن يتصف به والمقلية ، فقه ألبس الاسمنت الممير كيون الهياكل الحديدية بمزيد من الاسمنت والماء والرمل . ولم يقاوم بناؤهم النار فحسب ، بل كان انجازه سريعاً واقتصادياً ايضاً . وهو و وليم له بارون جني ، من حقسق البناء الاول في شيكاغو في السنة ١٨٨٩ ؛ ثم جاء دور نيويورك في السنة ١٨٨٩ . والغرابة التي تلفت الانتباه هي أن معهد الفنون الجيلة في باريس هو ما خرج معظم مهندسي العيارة الذين حددوا بدقة ، شيئاً فشيئاً ، تقنيات ناطحات السحاب وسننها الجالية . وهو و لويس سوليفان ، خريسج هذا المهد ، من اقترح لمبنى الووريوم ، في شيكاغو اثبات الحجم العمودي ، ومن فرض نفسه في السنة ١٨٩٩ بمخازن كارسون الكبرى .

في السنة ١٨٩٤ استخدم « اناتول دي بودو » ، احد تلامذة « فيوليه له دوك » مادة البناء الجديدة في كنيسة موغار تر للقديس يوحنا الانجيلي . فانتصب في العاصمة الفرنسية ، بعد مرور خس سنوات ، شدف بناء من الاسمنت المسلح . ومنذ ذاك التاريخ كان الـ « وركبوند » ، الذي رغب في توحيد الفن والصناعة وتكلم عن « اسلوب موضوعي » ، قد بدأ دعاوته . فوجهها

و له كور ، في النمسا ، و و موزر ، في سويسرا ، و و سانتيليا ، في ايطاليا ، والاخوان وبريه ، و و له كور ، في فرنسا . وقدم لها و فان دي فله ، مساعدة كبرى . فأصدروا حكماعلى التقليد سواء كان كلاسيكيا مستعارا او نهضة مستعارة او فنا قوطيا مستعارا او اساوب فرنسوا جوزف . ففرض الخط المستقيم نفسه ، لا سيها وقد املاه القالب الخشبي . والى ماكس كلنجر عاد الفضل في صرامة العري . وانتقلت البساطة الى لندن في و كوداك بيلدني ، و و ادلاييد هاوس ، و و بوش هاوس) . وتركت مزيدا من التأثير مخازن ورتهايم الكبرى في برلين التي بناها و الفرد مسل ، وقاز الفنائون و المونيخيون ، بأغلبية الاصوات في معرض الخريف في باريس في السنة ، ١٩١١ . أفلم تؤالف التكعيبية العين يا ترى ؟ وتوجب من جهسة ثانية التسليم بالواقع الواضع : لما كانت الجدران لا تحمل ثقل البناء ، اذ أن الهيكل الاسمنتي يقوم بذلك ، اتسم الجال في التركيب الهندسي بحديد حقا يجمع بين المتانة وجسارة الخطوط وصرامتها .

وهضلالمشياني

تجدد الحياة النصوفية والروحية في أوروب

(« بول كلوديل » ، ١٩٨٦) « فأفضى بي الامر الى انني ازدريت في ذاتي بذاك العلم الذي كان مبعثا لفخاري » . (« اندريه جيد » ، « الماجن » ، ١٩٠٧)

عند الانتقال من قرن الى قرن كا بدت انطلاقة التقنيات العلمية المنازعة حول قيمة العلم وكأنها قادرة على تبرير الآمال السبق وضعها الانسان الغربي في

تحقيقات العبقرية البروميتية . لا بل ان مكاسب الثقافة توسعت توسعاً سريعاً ؟ واستفادت الآداب والفنون من مناخ مؤات . لذلك فقد عزم رينان ، قبل وفاته ، على نشر كتاب ومستقبل العلم » الذي اوحى و برتلو » اليه به في السنة ١٨٤٨ والذي يمكن اعتباره بمثابة وصية وضعية . واكثر برتلو نقسه من المجاهرة بإيمانه العميق بامكانات العلم ؟ وقد صدرت خطبه ومقالات المحموعة في كتابين : والعلم والاخلاق » (١٨٩٧) و والعلم والفكر الحر » (١٩٠٣) . وصدر في الفي تقد اعلن برتلو ان والعلم هو ولي نعمة الانسانية » . وهو يطالب اليوم بادارة المجتمعات الفكرية والاخلاقية على السواء . ويفضله تخطو الحضارة العصرية خطوات مطردة السرعة . ومهما يكن من مزاعم محتقريه ، فهو سائر في سبيله ، مخففاً سنة العمل القاسية وخالقاً انسانية الحوية . و فمن معرفة الكورن وتركيب الانسان الطبيعي والاخلاقي معرفة ابعد عمقاً ، ينجم مفهوم جديد لمصير الانسان

توجهه المداليل الاساسية للتضامن الشامل بين كافة الطبقات وكافة الامم ، .

بقواه الفتية ، ووعد متكبراً بأن يعطى الكلمة الشاملة عاجلا ام آجلا ، : هذا هو الكلام الذي « زلزلة السنوات ١٩٠٠ وثورانات الفكر التي قوضت واحرقت روح القرن (العشرين) الطالع». فعقبت المفاجآت المدهشة مفاجآت اخرى أعظم اذهالا . بالامس استازم كل مصباح يستخدم للاضاءة اشتعالا اجاجاً ؟ أما اليوم فمصباح اديسون لم يمد يشتمل لأنه يرتكز الى مبدأ ينم جذب و د وايسمن ، و د دي فرير ، الي فكرة التحولات الفجائمة واعلنوا: د ليس من استمرار بين الانواع ، . وفي الحقيقة لم يعد التفسير الآلي للكون ليقنم ويشب م الرغبات. ومنذ السنة ١٨٧٦٠ ابدى كيرشهوف بعض الارتبابات حيال قيمة النظام النيوتوني ، وجاء ماك يخطىء تعابير « الاتساع المطلق » و « الزمان المطلق » لانها لا تطابق شيئًا في النطاق الكمي : واقترح عـلم طبيعة يرتكز الى الظواهر دون غيرها ؛ وقادت نظرية و الجزئيات ، اميل بوريل الى التساؤل عما اذا لم يكن تفسير الظواهر تفسيراً احصائياً اكثر النظريات اقناعاً واشباعاً للرغبات ، اميل بوريل نفسه الذي تعمق ، مع « تشيبيشيف » و « هنري بوانكاريه » و « باشليه » ، في درس حساب الاتفاق . وسوف يكون من ردة الفعل في أوساط علماء الطبيعة ان « لنسين » سيتهمهم والوقوع « في المثالية ، عن طريق مذهب النسبية ، بسبب جهلهم الجدل » . وعلى أي حال فقد شدد الرياضيون على حاجتهم الى المباديء الاساسية المسلم بها بدون برهان والى الحقائق المديهمة السير في نظرياتهم . فقد قال أميل بوريل : و أن موضوعية العلم الكاملة ليست سوى أضفاث احلام ؟ فعلمنا يقاس بمقياسنا ، . ومع العلم ان بوانكاريه لم يترك اي مكان للاتفاق ، فانه قد اعتبر انه لا يمكن وضع اي شيء واضح مدقق وراء كلمق ق<mark>وة او مادة ، وبا</mark>لتالي وان الاختمار يترك لنا حرية الاختيار ... بمساعدته ايانا على تمييز اسهل طريق يمكن سلوكها ، . وطاب له التذكير بأن و العلم لن يكون الا ناقصاً ، ؛ ووان من يقول علماً يقول ثنوية بين العقل العارف والشيء المعروف ، . وبعد أن يطرح هذا السؤال : « ما هو العلم ؟ ، يجيب : « أنه تبويب قبل اي شيء آخر، اي نوع من التقريب بين الاحداث التي تفرق بينها الظواهر ... ، يجب الا نرى فيه سوى و نظام علائق ، . وبالتالي أذا ما عين العلم حدوده ، وخطأ الاوهام الخادعة، وطلب الينا التوقف عن اصدار احكامنا ، فان الكثيرين يمتقدون بأنه برتاب بنفسه . فيحدث انتقال من اليقين الى الاحتمال البسيط في نظر « بوترو » الذي شدد على كثرة العلوم وكثرة طرائقهـــا . وقرت عين مذهب العملية بناكيده ان العلم مجموع مصطلحات سهلة الاستعمال ، او بالتفصيل أن السنن ليست كلها سوى سنن تقريبية . وسوف يتمكن برغسون من التأكيد ان الاستمرار الحقيقي لا وجود له الا في الوعي فقط لأن استمرار المادة ليس سوى استمرار متحرك .

لقد لوحظ مراراً كثيرة ان السنة ١٨٨٩ ، سنة احد المعارض العامة ، قد شاهدت صدور كتابين مما هما دمحاولة في معطيات الوعي المباشرة، ورواية «التلميذ» التي اظهر فيها دبورجيه ، كيف أن د المنكر الكبير ، ذاك المحلل الواعي ، الذي كاد يكون عادم الانسانية بسبب قوة منطقه ، يتضع وينحني وينهار امام سر المصير المغلق ، و وارتد في النهاية إلى الله . وقد نشبت معركة حقيقية في فرنسا بمناسبة مقال « برونتسير » • وبعد زيارة للفاتسكان » ، وكتاب رينان ، «مستقبل العلم». فان برونتبير ، رفيق بورجيه ، فد وجد امامه برتاد الذي كانمن قبل مصدر وحي لرينان . واعلن برونتيير : افلاس العلم ؛ فهو احسد اولئك الذين انتقلوا بالاستنتاج من قول « نحن لا نعلم » إلى قول « نحن لن نعلم البتة » . فأجاب برتلو عن ذلك بمجاهراته بعقائـــد العقلية . بيد أن و زولا ، اعترف بأن العلم ولم يعد بالسمادة ، بل بالحقيقة ، ، وأضاف : و وللاكتفاء به يوما ، يقتضى الكثير من التضحيات ونكر إن الذات نكر إنا مطلقاً وطمأنينة فكر قانع يبدو وكأنها لا تصادف الا عند نخية معينة . ولكن بانتظــــار ذلك ، ا<mark>ية صرخة</mark> يائسة تصدر عن الانسانية المتألمة! » لذلك حاول بوانكاريه التوفيق بين وجهات النظر المختلفة بتأكيده ان و الانسان لا يكن ان يكون سعيداً بالعلم ، ولكنه ... بدونه سكون اقل سمادة ايضًا ، . وفي الرسالة الحبرية التي وجهها لاون الثالث عشر في السنة ١٩٠٢ ، خلص على الرغم من ذلك إلى عجز العلم و عن ارواء التعطش إلى الحقيقة ؛ والإلهبات ؛ واللانهاية التي نتطلم المها برغبة شديدة ... » .

اكد المؤمن بامكانات العلم انه يمثلك مفتاح اليقين ؛ وان النتائح المحققة تتصف بركانة تحاد تكون جلية . وعلى عتبة عهد النسبية ؛ بدت اعتقاديته وكأنها تشجع ردة الفعل اللاحتمية التي عقدت مع المذهب القائل بتفوق الايمان على العقل تحالفاً غريزياً .

سلمت التطورية اللاماركية بان التبدلات الناجمة عن البيئة تنتقل الى الذراري: وهكذا اعتقدت فئة من رجال الفكر ، ضمت وكونت ، وسبنسر ، بتكامل الانسانية الفيزيولوجي والفكري معا . اما التحولية فقد وجهت ضربة هائلة ، بقولها بامتناع هذا الانتقال ، لتفاؤل قرن تأمل الكثير من غو افضل الميول . وانها ظهر ان النوع ، اذا تم الانتقاء الطبيعي بأقسل فظاظة ، لا يتمذر عليه الترقي فحسب ، بل قد يتأخر في الواقع عضويا ايضا . فافضى ذلك الى حل المالقوسية الجديدة الذي اقترحه علم تحسين النسل والذي يقضي بانتقاء طوعي ؛ وفي السنة ١٩٠٧ الجازت عدة تشريعات في الولايات المتحدة تمقيم بعض الافراد من ذوي العاهات. ثم الم يقترح و فاشيه دي لابوج، منذ السنة ١٨٨٨ الاستماضة عن التواليد الحيواني والاختياري بالتوالد الحيواني واللختياري

الارتياب في تقدم النوع رفض الحضارة العصوية ودعوة الثوتى الى اللاعنف

حام الشك في الوقت نفسه حول تفوق المبادىء التي طالب الغرب بالسيطرة باسمها . فهل يقتضي الاعتقاد ، بموجبها ، بالسلم الاجتاعي والسلم بين الشعوب ؟ لاشك في ان برتلو قد قام بوعد : « سيكتسب الانسان مزيسداً من اللطف

والاخلاق لانه سيكف عن اعتاد التقتيل وافناء الخلائق الحية سبيلا للمعيشة » . ولكن الجنرال دي برناردي » ، حين اوضح مميزات د الحرب العصرية » ، لم يتردد كذلك في السنة ١٩١٢ في الجزم بما يلي : د المستقبل لر د بروميتيه » وليس لد د ابيميتيه » » .

بانتظار ذلك تمنع الشرق عن الانحناء امام نظام لم يمثل في نظره سوى ظواهر قوة مادية . فقد سبق الصوفية الروسية ان رفضت القيم المرتكزة إلى تقدم التقنيات . وقد أسهب تولستوي في تفسير العظة على الجبل ، واصدر حكمه على بابل العصرية ، فأعلن هو ايضاً افلاس العلم وخص بلاده برسالة توفير النصر لثورة اخلاقية . فكتب في السنة ١٨٨٤ – ٨٥ : « ما هو المطلوب منا ياترى ؟ ، مقاومة تقسيم العمل المشؤوم ؛ ورفض الوضعية ، والفن الفن ؛ « والتندم على النفوب ، واقتلاع الكبرياء الذي تأصل فينا بالعلم ... ، ، والاقلاع من ثم عن استفلال امثالنا في سبيل الاثراء ؛ والربط بين النشاط الفكري والعمل المادي . « انه لتعليم ساذج ، يعبر ، في نظر لينين ، « عن عدم ادراك فلاح بطرير كي بسيط، ويذكر « بصوفيات العالم الآسيوي » .

قال بعضهم ان التولستوية قد استقت علمها الاخلاقي من الانجيل واستوحت البوذية على الصعيد الفلسفي . اجل لقد سحرت الهند بحكتها . ولكنها حين قصدت هي نفسها اكتشاف الغرب ، لم تخف نفورها الشديد فقد اغتم « فيفا كانندا » اغتاماً مؤلماً ثم جاء ابن «دبندرانات» و رابندرانات طاغور » الشاعر والفيلسوف والمؤلف المسرحي والموسيقي ، فوقف موقف مناهضاً لمذهب التزهد، ولكنه اصدر حكمه في الوقت نفسه على حضارة اقترفت ذباً بايثارها النهضة المادية على التكامل الروحي والاخلاقي . واستسلم غاندي لافكاره في افريقيا الجنوبية حيث ذهب يدافع عن مواطنيه ضد الاوروبي : فقراً روسكين ؛ وعرف تولستوي الذي اوحي بتشاؤم الروائي الياباني « هاسيفاوا فوتاباتاي » ؛ وجاهر بان الجمال يكمن في العمل اليدوي ورفض الاستسلام للغرائز العنيفة . وفي السنة ١٩٠٩ ناشد الهند « ان تنسى كل ما تعلمته منذ خسين سقة » ، وذهب حتى النهاية في رفض التقدم كا يفهمه الفرب » فأعلن: « يجب ان يتوارى عنا القطار الحديدي والتلغلراف والمستشفيات والمحامون والاطباء ، الغرب » .

كان اللاعنف من ثم جواباً على المنف، موليد المجتمعات الجديدة - الذي اعتبره بعض علماء الاجتاع ، من أمثال دله دانتيك ، و دله بون ، و دستينمتز ، ملازماً للجنس البشري ، على نقيض ددورخايم ، الذي كان مقتنماً بان تقسيم العمل يكبح الغرائز الأحشية . وكان على

اللاعنف هذا ٬ في نظر اناتول فرانس٬الابيقوري الذي اقلقه ثوران الاهواء القومية ٬ و «رومان رولان ، المرهف الحس في تذوق الجال ٬ ان جب! الى مساعدة العقل المستقل والكلف بالجال .

التعليد الروحاني والتصرفي عبول أحيانا ، ما دامت المعرفة على دور حيادي ، أو التعليد الروحاني والتصرفي عبول أحيانا ، ما دامت المعرفة تتناول الملائق بين الاشياء فوق تناولها طبيعتها . فقد كان هناك علماء مؤمنون بامكانات العلم ، من امثال د تين ، ، مثلوا العلوم الاخلاقية بالعلوم الطبيعية ؛ ولكن عقولا لاادرية كثيرة ، منذ كونت حتى بوانكاريه، قد سلمت بأن بعض المسائل ما زالت بعيدة المنال . والحال ، اذا كان صحيحاً أن العلم ، لم يعد بالسعادة بل بالحقيقة ، وان نسيان و هاجس اللانهاية ، يقتضي كفراً بالذات لا يقوى عليه كثير ون ، لأدركنا حينذاك عجز المؤمنين بامكانات العلم عن اشباع رغبة اولئك الذين اعتبروا مسألة الاسباب الاولى والاسباب الغائبة مسألة رئيسية ، حتى خارج الاعتقاد التقليدي . فباذا يجب ربط مفهوم الواجب يا ترى ؟ هل يكفي القول ، كا فعل برتلو ، ان الاخسلاق ليست منوطة و لا بالانانية ، ولا بالعصبية ؟ ، فعلى افتراض ان العقل يفسر كل شيء ، يبقى عليه ان يفسر نفسه ، ونعود حينذاك الى درس المرفة .

الا أن المصلحين لم يكونوا قلة في يوم من الايام . وسوف يقول بيغي : «روحانية « كوزين » الصبيانية والحكومية على الاقل، . وبعد مرور نصف قرن سعى « بول جانيه» جهده ليثبت ان المقل يسمع بالفصل بين نطاقين ، نطاق الحتمية ونطاق حرية الارادة : با عائنا بالحرية ، نجعل من أنفسنا أحرارا ونخلق الله بتصرفنا كما لو كان موجوداً . اضف الى ذلك من جهة ثانية الرينوفييه انطلق من نسبية تصوفية تجمل الفرد يستعذب المبادعة ، ولم يحد قط عنها حسين سلم بالله مبدأ كل شيء .

وفي المانيا شوهدت كذلك عودة الى دكانت ، : طالما ان الايمان يوفر و مزيداً من اليقين ، اصبحت التمييزات الكانتية امراً واجباً . ثم برز تأثير شوبنهور قوياً ، وان متأخراً ، حسين يقول : و لا يكون لدي ما يقلقني ، فان هذا بالذات ما يقلقني ؛ وقد اقام هذا الكانتي البرهان على تصمع على الحياة مخالف للصواب، وعلى وجود نزعة غامضة وعمياء ومحدودة وثابتة ،

حوالي ١٨٨٠ – ٩٠ ، تفتحت لعمري الروحانية التي تمثلت ، منذ باسكال ومالسبرانش ، يد مان دي بيران ، في السنوات ١٨٠٠ – ١٨٢٠ . واعاد درافيسون ، الاولوية لعلم ما وراء الطبيعة ومهسد الطريق امام البرغسونية . وفي نظر دلاشليه ، ان الحقيقة الوحيدة هسي الضمير ، من حيث ان الاشياء تعبر عن نشاط الفكر فقط . ويدخل دبوترو ، في هسذه الفئة بنظرية دعدم لزوم سنن الطبيعة ، : في نظره ان دقابلية التحول هي القاعدة ، . ولم يسبق ان وجه احد مثل الاتهام الشديد الذي وجهه الى مبادىء العلم الوضعي . وكان تأثيره عظيا على الفكر العلمي في اواخر القرن .

بالمقابلة انتصبت التصوفية الهيفلية في وجه الاختبارية والاعتقادية ، وغيزت البلدان الانكلوساكسونية . قلم يجد و هل غربن » ، في او كسفورد ، فرقاً بين روح كل شخص والروح التي تبعث ، من الداخل ، التطور الكوني . وشدد تلميذه برادلي والامير كي ورويس ، بدورها ، الكلام على ان وساطة هذه الروح الكونية وحدها تتبح التماطف بين شتى الضائر المتناهية . المكلام على ان وساطة هذه الروح الكونية وحدها تتبح التماطف بين شتى الضائر المتناهية . اما نظرية الطواهر التي طلع بها الالماني و هوسرل » ، والتي لم تكتف عبداً ديكارت و افكر اذن انا موجود » ، بل ارادت بلوغ الذات اللانهائي الشامل ، فقد كانت و علم الضمير » وقادت الى علم المحقولات السامي عن طريق اخرى .

وعلى الرغم من ان « ليون برونشفيغ » قد قال بأولوية العلم ، فقد انتهى هو ايضاً الى تصوفية لانهائية تعاكس الواقعية الاختبارية. وذهبت فلسفة هاملين من المجرد الى المحسوس ، بينها سترتكز فلسفة برغسون الى الاختبار المباشر المستعجل ، ومن حيث هي فلسفة عقلية ، فقد ابرزت ، قبل اي شيء آخر ، وحدة الفكر وعينت بواعثها المنطقية ، واليها توجهت تأثيرات « هيفل » و « دينوفييه » و « لاشليه » .

و ليس الشك بل اليقين ما يحملنا مجانين، مكذا تكلم نيتشه قب_ل ان يصبح معتوها . وأن هذا لشكل آخر من أشكال الاعتراض على القبول السهل بمبدأ الايمان بامكانات العلم . انطلق من شوبنه<mark>ور، فحاول ابداً الانتصار على دعناء الحماة».</mark> وعند<mark>ما خ</mark>يبه « فاغنر » اتجه نحو زردشت الذي تعلم رسالته الانسان٬القادر علىمواج<mark>هةالخاطر٬</mark> كيف يصل الى القوة ، اي كيف يرتفع فوق مفاهيم المحبة والمساواة غير المصيبة ، اذ ان المسيحية والديموقراطية مسؤولتان على حد سواء عن هذا والمناء ، المتنط . وطالما الا حي ، اريد ن تكون الحياة في نفسي وفي كل ما هو سواي ، فائضة ووافرة وحارة حيد المستطاع.. وقد قدمت الرومنطيقية الجديدة والوثنية الجديدة الارستوقراطية والديونيسية لتفسير المواضيم الكبرى : موت الله ؟ خرافة العودة الازلية ؟ خلق انسانية متفوقة . « احدى الحركتين غير شرطية ، تسوية الانسانية ، المنامل البشرية الكبرى . اما الحركة الثانية ، حركتي ، فهي على فكان صدى الرسالة عظيماً جداً في اوروبا وحتى في يابان الساموراي . اما « كبركمارد » · المسيحي القلق، فقد اقترح قاعدة سلوك تتبح للكائن ان يتحقق بكليته اذ ان الحقيقة ذاتيـــة وخاصة وجزئية (وهذا الشعور المسرحي بالوجود قد كدر «اونامونو» و «ماشادو دي آسي »). وجاء نيتشه بدوره - وقد جعله بعضهم احد مصادر الفلسفة الوجودية - يعظم الـ (انا) ويعين للانسان مهمة التفوق ابداً على اعماله السابقة .

 ايضا . وبالحرص على القيم الموجودة في هذا القمر المكر الذي استكشفه فرويد استكشاف العالم ، متت و الجونية ، بصلة الى النبتشية : وقد املت على اندريه جيد تحليلا صادقا كل الصدق لنفسه وللآخرين . واقترح الكالفيني السيفيني فلسفة للعمل المجاني في حاضر يجب التمتع به ، واوصى باعتباد الاقتسار ضد الاقتسارات : و يجب ان يكون الانسان طليقا من كل ناموس للاصفاء للناموس الجديد ، وقد قال بهذه الفلسفة « سوينبورن » و « مردث » و « وايلد » و « باتلر » و « ماردي » الذين طاب لهم تمثير المعجبين بالمصر الفكتوري المشرف على نهايت و واهتدوا الى لهجات كبار الروائيين الروس العنيفة . وفي جوار همده الفئة النشيطة قام « ودكند » و « مشو » و « بنفانت » الذين رفعوا القناع ايضا وانتقدوا المراءاة على اشكالها المختلفة انتقاداً مرا . وبدا شو بصورة خاصة اشبه عوليير جديد نافر من البشر قد لا يتأخر عن اطراء « الشتراكية غير اجتماعية » . اما ريشار ستراوس ، الذي تردد بين التشاؤم واكثر التصوفيات غطرسة ، فقد استوحى زردست ولئن مؤلف اوسكار وايلد ؛ « سالومه » .

الما الذين كان كافيا في نظرهم تحديد الافكار بوجه استخدامها و لجعلها الموقف العملي واضحة ، فقد ركنوا الى ما في المعرفة من فائدة ملموسة جداً . وكان

هذا الموقف شبيها بالاختبارية من اوجه كثيرة . وبردة فعل كذلك ضد التطورية السبنسرية المجه الفكر الانكلوساكسوني اتجاها شبه طبيعي نحو علية الامير كيين وليم جايس وديواي القادرة بموجب تحديدها نفسه على الدفع الى العمل : وقد اعتقد بعضهم باكتشافها في تعاليم ماركس نفسه الذي لم يفرض على نفسه مهمة تفسير العالم بل تحويله واستعمل الانكليزي شيلر كلة و الانسانية ، التعبير عن موقف يقوم بتوجيه البحث قبل اي شيء آخر نحو اهداف تتفق ومكانة الانسان ، وقد مثل جميعهم ما هو حقيقي بما هو مفيد ، وسلموا واوصوا بكافة الاختبارات الانسانية ، بما فيها و الاختبار الديني ، ، بنسبة قدرتها على تعيين الاعمال . وهي ظروف الحياة ما يفرض فيها و الكيان ، وليس الكيان ما يفرض ظروف الحياة ؛ ولكن العمل يسمو على الفكر ، بينما يرى اللاركسي الذي بقي امينا لمذهب العقلية ، ان الفكر ، الملازم للعمل ، يسمو عليه بالمسلم . فللايمان بالله ما يبرره في احدى الحالتين ، وليس له ما يبرره في الحالة الثانية . فاقترح العمليون من ثم تعليما تفاؤليا للتقدم في احترام القيم العريقة في القدم ، ويكن ان يفسر ذلك تفسيرا مختلفا : فالعملية تساعد على اعادة الحياة العاطفية وعاربة الحتمية العلمية ، كما تساعد على المحدية على حقيقية والساوك بسهولة بموجب الضمير .

بينها ارتأى العمليون ؟ سأن بوترو وكثيرين سواه ؟ عسدم لزوم السنن الثورة البرغسونية الطبيعية ، متمسكين بمفهوم الفاعلية ؟ قامت هناك فلسفة استوحت العاطفة وهدفت الى تخطي موقفهم بالسمو على الاختبارية والعقلية على السواء . فكأنما حدثت ، بحسب و له روا ، ، منذ صدور كتاب و محاولة في معطيات الضمير المباشرة ، (١٨٨٩) ، ثورة حقيقية

شبيهة به د الثورة الكانتية نم او حتى به د الثورة السقراطية ، ؟ فكانت د ثورة على ظريقسة كوبرئيك ، في نظر د وليم جايس ، الذي اعلن في السنة ١٩٠٧ : د لقد مات مسخ المذهب المعلي . فقد قتله برغسون بضربة قاضية ، . وهلل بيغي بقوله : د لقد حطم قيودنا ، .

انها لعملية حدسية نرعا ما : فالمقصود هو معرفة الدانا ، لا بتحليل قد يشوهه بتفكيكه اياه ، بل بواسطة داستاع ، الى الضمير نفسه ؛ لان الدانا ، لايقم تحت قياس يعطي الزمان دون الديومة . وهكذا فان باستطاعة الحدس وحده التمكين من اكتشاف الدانا الغامض ، .

والحال لا تتميز ظواهر الضمير في تعاقبها عبل هي تتعاقب دون ان تتميز: هنالك جريان لا آخر له في هذه الديمومة ؟ هذا هو مد الحياة بالذات عندا هو والاندفاع الحيوي . وفي كتاب والتطور الخلاق الذي صدر في السنة ١٩٠٧ رفض برغسون الوجوب الآلي نهائياً ولقد انقضى قرن كامل منذ اختراع الآلة البخارية ، ونحن بدأنا اليوم فقط نشمر بالهزة العميقة التي احدثتها فينا . . . » . فو و الانسان العامل » . واذا الغريزة حددت الصعود نحو الانسان العامل » . واذا الغريزة حددت الصعود نحو الاشكال العليا ، فالمقل يدفع اليها ؛ ولكن المستقبل يبقى غير ممين ، وحرية الفكر كلية ؟ واذا ما بدت الحرية غير قابلة التوفيق مع سنن العلم ، فرد ذلك الى ان هذا الاخير لا يعبر الا تعبيراً ناقصاً عن الواقع ، الواقع غير المستمر ، اذ ان الاستمرار لا وجود له الا فينا ، في جريان الضمير الذي هو نوعية وديومة .

كانت نظرية المعرفة ونظربة الحياة من ثم متلازمتين في مذهب يحل الانسان في اعلى سلم الكائنات ، لانه يمثلك الضمير الذي يتيح له الوصول إلى المطلق ، إلى الله نفسه . وفي السنة ه ، اظهر برغسون و الحاجة الى فلسفة اقرب الى المعطيات المباشرة من الفلسفة التقليدية » . ولما كانت هذه الفلسفة معاصرة لنظرية الجزئيات ، فقد اعتقدت ان بمقدورها استخلاص حرية ارادة على مسلوى بشري من لا حتمية الجزئيات . ورجعت البرغسونية عن الحكم الذي اصدره كانت و كونت على علم المعقولات ، فجددت السيكولوجية واسهمت اسهاما رئيسيا في نقد الايان الملم .

النهضة الدينية بضخامة عدد الاهتداءات المدوية؛ التي كانت الكاثوليكية المستفيد الأكبر منها ، كا في السنوات ١٨٠٠ - ١٨٠٠ . ففي غضون القرن ؛ وجهت الكاثوليكية المستفيد الاكبر منها ، كا في السنوات ١٨٠٠ - ١٨٠٠ . ففي غضون القرن ؛ وجهت الكاثوليكية كلامها الى الجداهير بصورة خاصة ؛ امدا اليوم فهي اكثر استالة لاولئك الذين لم تشبع الوضعية رغباتهم ، وتقززت نفوسهم من الواقعية والطبيعية الادبيتين . ويرد ذلك الى اثر الرواية الروسية (روايات دوستويفسكي بصورة خاصة) التي روجها كتاب و فوغويه ، في السنة ١٨٨٦ ، فوغويه الذي عرف الكثيرين كذلك بفاغنر والثالوث الشهالي العظيم : دابسن ، و بجرنسون ، ، و سترندبرغ ، والكن تولستوينفسه ابتغى الرؤية بناظري الفلاح الروسي ؛ همر بالحاجة الى التألم بكل تواضم

انجيلي مع البؤساء . ومن جهة ثانية انتقل سترندبرغ من الالحساد والوقاحة الى الدين بفراءته مؤلفات سفندنبورغ : فنشر في السنة ١٨٩٧ كتاب ﴿ جَهُمْ ﴾ ﴾ الذي وصف فيه ٦لامه النفسية . المبرحة ، واكتشف وطريقه الى دمشق ، واهتدى كذلك و فوغازارو ، الذي قزت نفسه من المدرسة الواقعية الايطالية ، و «هويسمنس ، الذي تخلص بذلك من تسلط فكرة المرض على عقله، والشاعر كوبيه ، والاشتراكي هوبتمن ، وجورجنسن الذي كان ﴿ فَرَلَيْنَ ﴾ مصدر وحي له في كتاب (اهتداه) ، والناقد الادبي «برونتير ، الذي استهواه القرن السابع عشر الكلاسكي والمسيحي في نظره ، وكاوديل ، وغ<mark>وسانر وآدي</mark> المتصاون بالرمزية . فقد كتب هويسمنس في ا السنة ١٨٩٥ : « بعد أن عرضت أمراضي النفسية على كافة مستشفيات الافكار ، ذهبت في النهاية ؛ بنعمة الله ؛ الى المستشفى الوحيد الذي يضجمونك فيه ويمتنون بك ؛ الى الكنيسة ، . ونذكر ايضاً اهتداء كان له صداه العظيم ، اعنى به اهتداء بيغى ، عند الانتهام من قضية « دريفوس » . فان بنمي هذا قد اعلن في السنة ١٩٠٠ : « سوف نقصي بحسرم هؤلاء الملافئة المائدين من روما الذين يوصوننا بانكار العلم والعقل ٬ والانقياد الدائـــــــــــم ٬ والصمت ُ المتحذر والتوقيري . . وهو الذي كان اشتراكيا بالامس فنابذ الاشتراكية ، وجوريس وما اعتبر معدام للاكليروس وحبا للسلم بالدين ، بل مشؤومين ، لان مسائل الخطيئة والنعمة تسلطت على عقله . لذلك كان ﴿ مُستقبل العلم ، في نظره كتابًا غاية في المراوغة ، وتنكيبًا دامًا عن الحية ، وسوء ائتهان . فأصبح ، كما يؤكد « لويس جيليه»، « ذاك الذي يوحى لي صورة القديس بولس الحية».

التحق هؤلاء المهتدون اذن بجهاعة المؤمنين . فهذا هو الراعي فرنسن الروائي الرقيق الذي السف و جورن اوهل ، و و هيلينجلاي ، و هسندا هو الصوفي و فرنسيس طومسون ، الذي يضاهيه رقة ؛ وهذا هو هيلير بلوك ، واضع المحاولات الحماسية ؛ وهذا هو و ليون بلوا ، الذي اطلق على نفسه اسم و أفاق الرب ، وكان جرينًا في ادعاء الرؤيا ، قادراً على كل بغض عنيف ، معذباً بالبؤس والالم . اضف الى ذلك من جهة ثانية ان المفكرين الكاثوليك اختلفوا على طريقة اقعاد الايمان اقعاداً افضل ، فشدد و اوليه للبرون ، على دور الارادة ، بينها لجاً موريس بلونديل الى سمو الله لسد الفجوة بين الارادة وقدرة الضمير .

وبالمقابلة برز تجدد في الفن الديني . فان تاريخ القديسة جنفييف الذي رسمه و بوفي دي شافان ، على جدران البانتيون ليس قط عمل فن مقدس ، ولا لوحسة و المسيح والملائكة ، لا حمانيه ، ولا لوحة و الصلب ، لا و سيزان ، وباستطاعتنا تعيين السنة ١٨٩٠ تاريخاً لنهضة هذا الفن الجلية بفضل لوحة موريس دونيس ، و السر الكاثوليكي ، ، ثم سار ديفاليير عسلى خطاه ، واشار ليون بلوا منذئذ الى بلاغة ورووو ، وقبيل الحرب العالمية انتصبت ابنية العبادة الاولى المتميزة باسلوب جديد حقا ، وبدأ باريليه يجدد فن صناعة زجاج الكنائس .

وكانت نهضة الموسيقى الدينية افضل ظهوراً ايضاً . ركان اصلاح الترتيل الطقسي نتيجة لنشر الانفام الغريفورية الذي اعاد للترتيل الكنسي معناه الصحيح . وجعل الوحي الصوفي من

تلامذة مدرسة و نيدر ماير ، ، و و ويدور ، و وفييرن ، و وفرانك، مجددي الارغن : فعبروا ، بحكل بساطة عن اندفاعات تقوى مثينة لا مواربة فيها . وفي و مدرسة المرتلين ، عند وفنسان دندي، تسببت مأساة الحياة الداخلية في وضع مؤلفات اشد اغماما .

سار موريس باونديل في الخط الاوغسطيني ، في حال ان النزعة الحافظة ضد النزعة المصرية الكنيسة التي انشغلت في عهد لاون الثالث عشر بخطر الايمان المطلق بامكانات العلم ، ساندت الحركة التومية الجديدة السني ابتغت الاستعاضة عن تأحكيدات المشائين المقوضة بتحقيقات العلوم العصرية ، ورغبت في تحليل نشاطسات المسيحسي الاجتاعية .

ولكن ما هو السبيل التوفيق بين التقليد والمصر? لقد اعرب بمضهم مرة أخرى عن املهم، في عهد « الانضام » إلى الثورة الغرنسية وبراءة « الاشياء الجديدة » › وفي الوقت الذي اقصر فيه « اوغست ساباتييه » اللاهوتي الكالفيني القدير ، المسحية على حالة نفسية داخلية ورفض كل ما لا يمكن فرضه الا باسم سلطة خارجية وانتهى الى مسيحية بدون عقائد وطقوس ورؤساء. وعلى نقبض ذلك ، وفي مناخ عملي ، اخذت و النزعة الامير كبة ، التي نادي بها الاب و كلان ، ، بمجامع القلب ، لا بل ووجهت امكانية عقد مؤتمر للتقريب بين الاديان . ولكن لاون الثالث عشر استقبح في السنة ١٨٩٩ موقف الاحبار في ما <mark>وراء الاطلسي آخذاً عليهم تضحية الفضائل</mark> السلبية على مذبح الفضائل الفاعلة . ولكن النزعة المصرية تسلطت بالرغم من ذلك على المقول في المماهد والمؤتمرات الكاثوليكية التي حاولت النهوض بعلم عقلي للدفاع عن العقائسد المسيحية ٢ يمكن من محاربة المقلمين في عقر دارهم . فكانت مؤلفات هولو ولويس دوشين وألفرد لوازي المادفة الى تفسير الكتاب المقدس نتبجة التأويلات التي ما كان رينان نفسه ليتبرأ منها في الارجح . وارتأت لاون الثالث عشر وضع حد لذلك برقيمه ﴿ الله الحكم العناية ﴾ الذي انكر كل خلاف بين اللاهوت والعلم . ولكن الفلاسفة « له روا ، وبلونديل والاب لابرتونيير قسد اعتقدوا مم أيضاً بالاهتداء إلى الله باندفاع الكائن وحده : فالنومية لم تشبع رغباتهم. وانتشرت في ألمانيا كانتية كاثوليكية جديدة ؟ هي شقيقة العملية على الرغم من أن لاون الثالث عشر قد اصدر حكمه على هذه و النفسانية الجذرية » . وعم الاب السوعي ثيرل النزعية المصرية في انكلترا حيث احرزت و الكنيسة المتساهلة ، نجاحات جديدة ؛ وقد انضم اليها مشايعون مجدون في ايطاليا : وقد فسر فوغازارو هذه الرمزية ببراعة في رواياته . وحين اقصى لوازي عن المهد الكاثوليكي في باريس ، اصدر السنة ١٩٠٢ كتاب و الانجيل والكنيسة ، : فاتهم هذه الاخيرة بمناقضة روح الانجيل واعتبر رينان « المعلم الاول للمصريين الفرنسيين » . وبسنا ذكر ليون الثالث عشر قبل موته و بأن العلم البشري لم يجب على المسائل الكبرى السن تتعلق بمصالحنا السامية ، ٤ استصدر الديوان البابوي مرسوماً بعدد ١٥ ، خطأ وخم الماقية عــــل الملوم المقدسة وتفسير الكتاب المقدس واسرار الايمان الرئيسية ، في عهد بيوس العاشر وطدت النزعة المحافظة مواقعها. فان براءة السنة ١٩٠٧ نسبت الى النزعة العصرية انها و تجمع كافة الهرطقات ». وقد على عليها اناتول فرانس ساخراً بما يلي : « يتعذر على الانسان ان يقدر حتى قدرها حكمة البابا بيوس العاشر الذي اصدر حكمه على دروس تفسير الكتاب المقدس لأنها منافية للحقيقة المنزلة ووخيمة العاقبة على العقيدة اللاهوتية القديمة وممينة للايان » . ثم تناولت ردة الفعل كافة اشكال الكاثوليكية الحرة ، ولا سميها في فرنسا حيث بدا و الانضها » قضية خاصرة منذ انفصال الكنائس عن الدولة . فهكذا صدر الحمل على مطبوعة «الاخدود» ؛ وهكذا حذرت براءة السنة ١٩١٢ الكاثوليك من اخطار العمل المشترك مين الطوائف الدينية على الصعيد الاجتاعي .

الا ان النزعة العصرية لم تفض إلى حركة هرطقية واسعة . فأمام انشقاق قليل الشأن عدديا، حافظت السلطة الروحية على مواقعها التقليدية التي بقيت جماهيرالمؤمنين متمسكة بها . وفي عهد بيوس العاشر ، الكاهن القديس الذي كرس نفسه للدفاع عن العقيدة بدون تساهـــل ، نرى الكنيسة الكاثوليكية، التي كانت اقل حرصاً ظاهراً على تجديد الروح المسيحية منها في الماضي، تهدف في الدرجة الاولى الى ان تبقى خير معتصم في خضم الارتيابات والاضطرابات .

النفسانية والمادية امام التطور البشري

اذا سلمنا ، كا يعمل ماركس ، و بأن الآراء السائدة في زمن من الازمنة لم تكن يومسياً سوى آراء الطبقة المسيطرة » ، فقد يجدر بنا معرفة مسما اذا كانت ردة الفعل التصوفية

والروحانية لا تبرز بالدرجة الاولى في الاوساط التي تقلقها و الاشتراكية الماسية ، استفادت البووجوازية من العلم ، فلم تأنف من الايان بامكانات العلم المطلقة ؟ ولكن اليست الحشية من مادية معينة ، قد يحسن او يساء فهمها ، و تمثل مجتمية تحصى بموجبها ايام النظام الاجتاعي القائم ، دافعاً لها لأن تمتصم بارجحية وعرضية قادرتين على انقاذ حرية الفكر وبالتالي علم التعالم المستقبل ? هذا ما ارتآه و رومان رولان » : و منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وبعد ايام حزيران ١٨٤٨ التي سالت فيها الدماء غزيرة ، اخذت البورجوازية تفقد محبة ذاك التقدم الذي لم يتوقف قط من اجلها ، وذاك العقل ، الممتنع التبدل ، الذي بذلت جهدها بدون ترو في سبيل إرساخ سلطته . وهي الطبقات الصاعدة ، اي انبياء البروليتاريا ومدارسها الاشتراكية ، من وضعت يدها عليها لحسابها » . وفي و اوهام التقسدم » سوف يتولى جورج سوريل ، فيا يعنيه ، تقديم البرهان على ان التفاؤل القائل بامكانات العملم المطلقة انها هو انتاج بورجوازي ، وتحذير و الطبقة الصاعدة » من نظرية مجففة ، وفي الوقت نفسه ، وبصورة خاصة ، بورجوازي ، وتحذير و المعلية ، وهي و التمبير الاخير الذي قوصل اليه الفكر البورجوازي » . و ان هسذه انتقاد العملية ، وهي و التمبير الاخير الذي قوصل اليه الفكر البورجوازي » . و ان هسذه دماثته ، وثرثرته وقحة نجاحه » . وقال و جوريس » على طريقته الخاصة : و ليس بعد اليوم سوى طبقة واحدة تستطيم اعطاء الفكر شكلا اجتاعياً : هي البروليتاريا » . و لذلك حرص سوى طبقة واحدة تستطيم اعطاء الفكر شكلا اجتاعياً : هي البروليتاريا » . و لذلك حرص

لينين على ابراز الاهتام الذي يتوجب على هذه الاخيرة ابداؤه نحو تحقيقات العلم. وقد سخر من والعاصفة » التي اثارها كتاب هكل و في البدان المتعدنة » وهلل وللاهمية الاجهاعية الحقيقية » التي ينطوي عليها هذا المؤلف ابان و صراع المادية ضد التصوفية واللاادرية » . واثبت اسباب انزواء الفلسفة في الفكر و الخالص » وحصر مهمتها في التبصر في ذاتها بدلاً من التبصر في الواقع » خوفا من ان يخطئها الواقع الاجتاعي . وفي رأيه ان الهرب امسام نظرية المعرفة المادية قد ارتدى اشكالا غتلفة جداً » لا سيا وانه يسهل جمع حلقات السلسلة التي تؤدي من النسبية العلمية الى العملية » الى التصوفيات الكثيرة والروحانية القائلة بتفوق الايهان على المقل ، فالتصوفية ليست سوى شكل محص من اشكال مذهب تفوق الايهان على المقل ، المعلية ، الذي يعتمد على منظهات كبرى ولا يزال يؤثر على الجماهير تأثيراً مستمراً » مستفيداً من أقل غوايات الفكر الفلسفي .

ولكن ما لا يمكن انكاره ، على كل حال ، ان المفهوم النفساني ، الذي احتفظ من جهة النية بانصار اقوياء ، قدد الب في النطاق التاريخي عدداً كبيراً من خصوم الماركسية . اجل لقد اممن و ماكس و بر » النظر في الملائق بين و علم الاخلاق البروتستانتي وروح الرأسمالية » وامسك عن واحلال تفسير مادي من طرف واحد على تفسير روحاني . . . من طرف واحد ايضاً » ؛ ولكن و درويسن » يجزم بأن و تأمل ومعرفة الاشياء الماضية لا وجود ولا ديومة المن الفي الفكر المتناهي » ، و و روه » يضم في الحاضر و مركز رسم المنظور » ، و و تويني » البرغسوني المقتنع » سينتهى الى نوع من التاريخ اللاهوتي . اما و بندتو ـ كروتشي » فيعتبر ان التاريخ و يدخل في مفهوم الفن العام » ، وانه و روحاني » ، وان عليه اكتشاف الاندفاع الخلاق مرة ثانية » كها اراده و فيكو » (الفن جدس خلاق » وليس ، كما حدده و فرنسسكو دي سانكنس » تلميذ هيفل ، و نتاجاً لاشعورباً من نتاجات روح العالم في فترة ممينة من فترات وجوده) . وليس من تاريخ ، في نظره ايضا ، سوى التاريخ الماصر : ولأن موضوعه ، مها بلغ من قدمه » يعيش في فكر المؤرخ بهوى الحاضر نفسه » . فنحن من ثم امام تاريخ مها بلغ من قدمه » يعيش في فكر المؤرخ بهوى الحاضر نفسه » . فنحن من ثم امام تاريخ فلسفي ونسبي كان ردة فعل التاريخ الوضمي الاساوب والماركسي المفهوم .

رأى كروتشي في الواقع الاقتصادي نفسه عملا من اعمال الارادة . ولكن الاقتصاد السياسي ، فيا يعنيه ، يميد التفكير في مسائله نفسها . فلما لم يعسد الايمان بالتوافق بمكنا ، محسب حلم المدرسة الحرة ، فقد أفرق بين الاقتصاد الخالص ، الجرد ، المنظور اليه نظرة توازنية خلوا من المغزى العملي، وبين الاقتصاد النشيط الذي يستلزم الاختلالات ويخضع لحاجات الانسان اكتر من الاقتصاد الاول . وعاد العلماء الى كورنو ، فاسندوا برهانهم الى قوة آخر رغبة اشبعت : فأراد و القرد مارشال ، و الاهتام بعواقب الانسان . . . الانسان المركب من لحم ودم ، . هذه فراد و القيمة – الفائدة التي جعلها الهامشيون مقابلة لنظرية القيمة – العمل الماركسية : وقد استنتجوها من المبدأ النفساني ، باعتبار ان والانسان الاقتصادي، يعمل في اتجاء مصلحته المدركة

خير ادراك . وهناك المدرسة الرياضية ، او مدرسة لوزان ، مع « جيفون » و «والرأس » و «باريتو » ، التي يؤول كل شيء فيها الى مسائل توازن تطرحها آلية المقايضة دون غيرها ؟ ومدرسة فيينا أو « منجر » السيكولوجية التي واصل تعليمها « بوهم _ باورك » و « فون وايزر » اللذان يعتبران الجهد المبلول والتضخية المقبولة امرين جوهريين. فاعتقد شارل جيد في السنة ١٩١٣ ان بامكانه كتابة ما يلي : « لم يعد قط من اقتصادي يؤمن بأن القيمة ثمرة العمل . . . فالرغبة هي سبب القيمة الاوحد . . . » .

لقد خضمت بميزات الآليات الاقتصادية من ثم لجدل حام ، وساد الارتياب حول الاقتصاد المعروف بالاقتصاد الكلاسيكي . فلم يبق قط هنا سوى ارجحية بسيطة تخفف من تفاؤل الامعى الذي وجه اليه ماركس والوقائع ضربات خطيرة .

وهضل وهشايي

الدول الاستعمارية والحمالقومية اعراض النفهقرالاورو بي

في الوقت الذي كانت فيه عوامل الحياة تتجدد باطراد ، أخذت اخطار محيفة تتهدده باستمرار . فالاقتصاد الرأسمالي الذي ركبته حمى التوسع والانبساط يخضع لسنة الحشد والتجمع ويسمى دونما انقطاع الى توحيد السوق العالمية مع اثارته الروح الامبريالية التي اخذت تقيم الدول الاستميارية الكبرى بعضها على بعض . وفي الوقت ذاتة ، نشهدا حتداماً كبيرا في المشاعر القومية التي أخذت تجيش وتضطرم في نفوس هذه القوميات او الاقليات المستضعفة . وهكذا أطل على العالم احتمال قيام حرب عامة واستبدت الفكرة الى حد بعيد بأذهان البشر وسيطرت على تفكيرهم اليومي .

الاقلية الرأسمالية تزداد بأسا وحولا وتوسما

ساعدت الازمة المالية التي عانى منها العالم طويلا بين ١٨٧٣ – ١٨٩٥ في تكوين تكتلات صناعية ومالية . وبالرغم من رجوع العافية الى الناس واستثناف النشاط ، فلا يزال مسيطراً على النفوس

الخوف من وقوع ارتكاسات تجر وراءها ركوداً جديداً في الاعمال وهبوطاً اكبر في نسبة الأرباح ومعدل المكاسب ، فالازمات التي كان يتجدد وقوعها بصورة دورية كانت تأتي فعلها في مثل هذا المصير الذي لم يكن من السهل تفاديه ، فالآزمة المالية التي وقعت عام ١٩٠٠ / ١٩٠٠ تسببت بتكوين ٧٩ اتحاداً احتكاريا في الولايات المتحدة الاميركية . ففي سنة ١٩٠٩ ان ١/ من المشاريع الانشائية كانت تستخدم ٣٠ بالمائة من مجموع اليد العاملة كاكانت تستعمل ٣٨ بالمائة عام ١٩٠٤ ، وفي تلك الفضون ، وقعت أزمة ١٩٠٧ التي سجلت ارتفاعاً في التكتلات التجارية

ارتفع عددها بين ١٩٩٦ -- ١٩٩٠ في المانيا وحدها من ٢٥٠ الى حوالي ٤٠٠ وفي سنة ١٩٠٨ كان واحد في المائة من المسروعات الانشائية يستخدم ٣٩ بالمائة من اصحاب الاجور ويسيطر على ٧٧ بالمائة من القوى المحركة. وهذا التطور يبدو على شكل اوقع وصورة أقمل في النفس في بعض البلدان الاخرى كروسيا واليابان اللذين حاولا قطع المراحل بسرعة . وبالرغم بما بلغ من اتساع ورحب حركة المنافسة ، فقد بقيت مع ذلك ، مرتبطة ، على اقدار مختلفة بأقلية من المحتكرين . ان نصف فروة الولايات المتحدة الاميركية القومية هي في يسسد ٢٥ الف فرد من افراد الشعب الاميركي .

فسيولة الرأسمالية النقدية هي التي استطاعت أن تؤمن لحسابها مثل هذا الحشد . هناليك بعض المصارف الحكبري ، لا مزيد عددها خسة او ستة على الاجمال ، هي التي تسلم بأهم الدول الكبرى في اوروباكا أن للولايات المتحدة الاميركية الخسة الكبار The Bib Fives من هذه المسارف. فالبنك الأهلى الالماني يشرف على ٨٧ مصرفاً ثانويا في البلاد كا كان يسهم في ادارة ٣٠٠ مصرفاً آخر ؟ ءام ١٩١٠ . هنالك عدد لا محصى من الاتفاقات والمشروعات ربطت ؟ بشكل Tخر / الاستثارات الصناعية بهذه المصارف التي فتحت لها باب الاعتادات المالية . فالبعض منها اتسم الحشد الافقى (امثال : دورمان ، لونغ وبلدوين في الميتالورجما او الصناعات الحديدية ، وبرادفورد دابرز في صناعة الاصباغ والالوان ، وشيركة Cable Makers لدى البريطانسين ، كما ان البعض الآخر آثر الحشد الشاقولي او العمودي <mark>٬ فانطلقت</mark> كروب من صناعة الحدي<u>ــد</u> لشر<mark>اء</mark> مناجم <mark>الف</mark>حم وتجارة الفحم والفاز ومشتقاته ٬ بينا ين<mark>صرف ثي</mark>زين وستبنز للتخصص ب<mark>تجــــارة</mark> الفحم من استخراج وتسويق وتنفيق٬ وينشىء في <mark>هذا السبيل ش</mark>بكة من الخطوط الحديدية .و<mark>لم</mark> يقنم ولم هسكنت لفر، مؤسس شركة sunlight و Port Sunlight ان ينشيء امبراطورية له من فروع هذه الشركات في كل من اوروبا والولايات المتحدة الاميركية . بل ابتــاع له مزدرعات واسعة في افريقيا والفيليين وانشأ فيها مصافي لتكرير البترول عم العتم بإنشاء مراكز لصيب السمك ٧ وانشأ صناعة المرجرين او السمن النباتي بحيث اصبح يتصرف بأكثر من مليون أيرة انكليزية عام ١٨٩٠ ، وبعشرين مليون عام ١٩١٣ .

و نشاهد منذ الآن التفوق الساحق الذي حققته في اليابان شركتان بابانيتان هما: المتسويي والمتسوييسي . وجبابرة المال على شاكلة مورغان وفندربلت وروكفار ؛ سيطروا ايضما على مرافق صناعة الميتالورجيا وعلى الطاقة الكهربائية وعلى صناعة البترول في اميركا . لا يمكن ان نففل عن فكر هذه الشركات العقارية الضخمة وشركات الخازن الكبرى وشركات التآمين على الحياة وشركات صنع الاسلحة . فقد وحد باسيل زهاروف الذي رفعه ملك انكلترا الى رتبسة النبلاء بين شركة نوردنفلت وشركة مكسم ، كاضم ، فيما بعد ، مكسم الى فيكرز ؛ ورئس البرت فيكرز اتحاداً دوليا من كبار رجال الاعمال من بعض الشركاء فيه بتلهم وترني ، كا أن شنيدر وكروب يشرقان على اعمال شركات Poutilov و Skoda . والكرتل الدولي لصناعة

البارود وقع تحت اشراف اتحاد نوبل ودوبون دي نمور .

اما الارباح التي لا يزال بحثها العلمي في مرحلته لاولى ، فععدلها يختلف نسبة بين سنسة واخسرى ، ومن قطاع الى آخر . فشركة دوبون مثلاحقت رمجاً صافيا بلغ ، ه مليون دولار بين ١٩٠٢ – ١٩١٢ . وبفضل الطريقة المعروفة بارساء رأس المال نوى شركسة صنع الفولاذ الاميركية ترقع رأسمالها من ٢١٧ مليون دولار وتصدر اسهما به ١٤٤ مليون دولار بعد ان امتصت شركة مناجم مجيرة سوييريور البالغ رأسمالها ٩٢ مليون دولار وتطورت الى شركة جديدة رأسمالها ١٤٨ مليون دولار . ويعترف كروب بأن ارباحه بلفت ٢٠ مليونا صافيا عام ١٩٠٣ و ٣٤ مليونا عام ١٩١٣ .

وراح فرقاء من أصحاب المصارف يخططون لهجوم نموذجي بعد ان اخذوا يتقاسمون في بينهم أو يتنازعون في كل مكان ، المشروعات الاستظارية ذات الاهمية . غن نجهل الكثير من حوادث هذه المعركة ودقائقها وهي معركة خاضوها السيطرة على القصدير ، وأخرى رمت السيطرة على المائية . هنالك حرب صامتة كان من اهدافها السيطرة على القصدير ، وأخرى رمت السيطرة على المائية . واحدى على الكبريت واخرى المتحكم بالتبغ دارت رحاها بين الشركات الاميركية والانكليزية . واحدى هذه المارك الاكثر معرفة لدينا في دقائقها وتفاصيلها هي معركة النفط او البسةول ، نشبت اول ما نشبت ، بين شركة ستندارد اويل ورويال دتش شل من جهة ، وبدين شركات نوبل وروتشاد . فوقائمها البارزة تدور حول نفط القفقاز وبين المناطق البترولية الجديدة السيل حراع حروتشاد . فوقائمها البارزة تدور حول نفط القفقاز وبين المناطق البترولية الجديدة السيل عليها الولايات المتحدة في المكسيك والعراق وايران . واتخذت هذه الحربشكل صراع بين الانكليز والاميركين . وقد شعر الرأي العام عمثل هذا الصراع الواسع المدى بين الدول دون أن يتبين غاماً مداه ، وهو صراع ان لم يهسدد السلام مباشرة في العالم فقد زرع مسم ذلك الاضطرابات في كثير من الدول .

اخذت المنافسة الاقتصادية بين الدول الاوروبية الكسبرى ضعف ادروبا في الاسواق العالمية تشتد وتحتدم وهو وضع يمكن رده الى الصعوبات والعراقيل التي اعترضت سياستها التوسعية الامبريالية .

ويبدر أن أوروبا أخذت تتلس يمض مواطن التأخر والضعف النسي في مركزها ونشاطها. ففي عام ١٩١٣ كانت أوروبا تسيطر على ٨٠ بالمائة من مجموع النقل البحري وهي نسبة لا تعادل سوى ٤٢ بالمائة من مجموع حركة النقل في العالم، وهو معدل محترم الا أنه آخذ بالتقهقر والهبوط قدريجيا، وهو أدنى من حصة أميركا الشالية (٣٦ بالمائة) بالنسبة لفارق السكان بين القارتين. لا تزال بريطانيا العظمى تحتفظ بمركزها المعتاز في صناعة النسيج والحياكة ، ألا أنها عجزت كا عجزت المانيا نفسها عن الاحتفاظ بالاسبقية في انتاج الفحم الحجري والميتالورجيا ، وهسي اسبقية هارت الى الولات المتحدة الاميركية التي سجلت في مجال الطاقة الكهربائية سبقساً

اكبر وأبعد.

وأخذت اوروبا تفقد شيئاً فشيئاً القدرة على الاكتفاء الذاتي وراحت تعتمد اكثر فأكثر كل سنة على اقطار اخرى في العالم ليس في الخامات التي هي بحاجة اليها فحسب بل ايضاً في المواد الغذائية التقليدية . ونلاحظ ان بريطانيا العظمى لم تعد تعول على محاصيلها الزراعية ، الا بنسبة ٩٠ بالمائة ، وان بلجيكا تستورد عام ١٨٩٠ نحواً من ٥٥ بالمائة من القمح و٥٧٪ بين السنوات ١٩١٠ - ١٩١٤ .

ان ٦٠ بالمائة من التبادل التجاري يقع في داخل اوروبا او بين هذه الدول والدول الاخرى في العالم . الا ان وضع اوروبا من هذه الناحية هو اقل من قبل لصالحها . والجدير بالملاحظــة. هنا التأخير الذي نلاحظه في موقف انكلارا التي كانت تنتج ستة اضعاف مــــا تنتجه الولايات المنحدة من الفحم ؟ عام ١٨٧٠ بيها انعكس الوضع بينها عام ١٩١٣ اذ نقص انتاجها من هذه المادة الى الضعفين من انتاج اميركا . فاذ<mark>ا ما عرفت</mark> ان تحتفظ بالمرتبةالاولى الى عام ١٩١٠<mark>.</mark> بانتاجها للحديد ٬ فقد جاءت عام ١٩١٣ ٬ في المرتبة الثالثة ٬ بعد الولايات المتحدة والمانيك. ومجموع الحركة التجارية انخفض معدلها من ٢٢ بالمائة حوالي عام ١٨٧٥ ، الى ١٥ بالمائــة عام ١٩١٣ ، وهبطت حصتها من النقل البحري الى الخس بعد ان كانت الربع . ومن جهة اخرى بنها يأخذ المزان التجاري في المدان الواقعة الى الشرق من الحيط الاطلسي (هو ١٠ بالمائسة لالمانيا و ٢٠ بالمائة لفرنسا و ٣٠ بالمائية لانكلترا) تسجل حركية الصادرات في الولايات المتحدة ارتفاعا كبيرا . واوروبا مدينة بما لها من قوة في ميزان المدفوعات لاستثاراتها العديدة في الخارج . فهي تحتفظ بثلاثة ارباع الثروة المنقولة ، بينا بريطانيا العظمي وحدها تبز الولايات المتحدة في حساب الثروات الوطنية . وقد تبين من عملية حسابية أن الفرد الواحب. ينفق في السنة ٢٣ الف فرنك بنها لا ينفق الفرد الانكليزي سوى ٢٠٠٧٠٠ والفرد الفرنسي سوى ١٤٠٥٠٠ فرنك . وهذا انها يعني انه اذا كانت اوروبا لا تزال تبـز سكان الولايات المتحـدة استهلاكا في العام للمواد الاستهلاكية من اي نوع كانت ، فلا يزال الامير كيون في الطليمة بالنظر لمدد الفرقاء المتناولين . والشعور السائد في اوروبا هو أن ما تتمتّع بسبه من مستوى أعلى في العيش ؛ يعود الفضل فيه لهذا التراث الذي خلفته لها العصور الماضية . أن أي تطور من هــذا الشكل من شأنه الا يساعد قط على قيام حالة من التفاهم بين الدول ولا السلام الاجتاعي .

لماكان تم تقريبا اقتسام كل الارض القائمة على كرتنا الارضية ، استثمار أقوى البدان الجديدة فقصد انصوف الاستعمار اكثر فاكثر الى استثمار بطن الارض وثرواتها المخبوءة في هذه المستعمرات. فبين ١٨٩٠ – ١٩١٣ زاد طول شبكة الخطوط الحديدية التي انشئت في كل من اوروبا والولايات المتحدة الاميركية (٢٦٥٬٠٠٠) كم مقابل ٢٢٢٬٠٠٠ كم فينا الاخرى المستقلة او المتمتعة بشيء من الاستقلال الاداري. فبينا

يرتفع ، في المدة نفسها، مجموع صادرات الدول الصناعية من ٢٣ ملياراً الى ٧١ مليار فرنك، زادت هذه الحركة ٢٤٪ داخل المجال الذي يسيطر عليه رأس المسال ، و ١٤١٪ في هذه المنطقة التي لا يكاد يوحد فيها اي اثر يذكر لهذا الرأس المال . فاذا ما اخذنا بمين الاعتبار معدل الزيادة في حركة المبادلات التجارية نرى ان الدليل ١ في عام ١٨٩٥ ارتفع في اوروبا الى ٢ عام ١٩١٣ ، والى ٣٤٤ في الارجنتين ، والى ٤٨٠ في اليابان . فمن اصل ٢٢ دولة سجلت تجسارتها الخارجية مليار فرنك واكثر عام ١٩١٣ منالك عشر بينها ، باستثناء الولايات المتحدة ، تقع خارج اوروبا.

وقد تركز الانتباء حول الاقطار الق تستطيع تقديم الخامات والمواد الاولية او تصلح للتجهيز الصناعي والتقني . ومن الامور التي لها دلالتها ان الولايات المتحدة رفضت اعطاء الفيلمين استقلالها بغد ان وعدتها به، في الوقت الذي انصرفت فيه لمد هذا الارخييل وكوبا وبورتوريكو بما تحتاج اليه من عدة وعتاد وتجهيزات. وقد قبلت بلجيكا من جهتها ؛ هبة الكونغو الذي كشف عن غناه بفازات الحديد وإنتاجه لها . وقد اتجهت اطهاع الدول الكبري الي المغرب وطرابلس الغربحق الى تركيا ، ولم يعتم شمالي افريقيا من جبل طارق الى قناة السويس ، ان وقع تحت احتلال الدول الدومنيون ومقاطعات افريقيا الاستوائية ودول اميركا الجنوبية ، بينها لم تسجل هذه الحركةمع دول القارة الاوروبية والولايات المتحدة الاميركية سوى تقدم خفيف. وانصرفت جهرود فرنسا الى ادخال تحسينات محسوسة على وسائل وو<mark>جوه استغ</mark>لال امبراطوريتها الاستعهارية وهي سياسة قامت بخدمتها وتمهيد السبل لاحقاقها ، الجهود التي قام بها بعض رواد الاستعبار الفرنسي أمثال اتيين وجونار ودومر، كما اتجهت هذه الجهوه لتقوية الم<mark>صال</mark>ح المصرفية والصناعيةوالتجارية. وهكذا اطلت علينا الجزائر كبلد تتوفر فيه محاصيل الكرمة وبواكير الفاكهة والمزيــــد من انتاج المعادن . وقد زاد انتاج البلاد من القمح مع بقاء المساحات الصالحة للزراعة على وضعها ، وادخلت وسائل جديدة على تخصيب النربة ورفع قدرتها الانتاجية . وقد جلبت زراعة الزيتون وثروات البلاد من الفوسفات الانظار الى تونس . وقد سار دومر قدما في هذا الجال في الهند الصينية ولجاً الى فرض رسوم عالية على المشروبات الكحولية ، وعلى الملح لتغذي<mark>ة صند</mark>وق هـــذا القطر الذي يتمتع باستقلال اداري ، كا عمد الى تنشيط حركة الانشاءات الكبرى بفضل مساهمة الشركات الخاصة . وقد لفتت مصر الانظار بسرعة تطور صناعة السكر وزراعة القطن بفضل السدود الكبرى التي اقيمت على النيل في الصميد. وكان الم منذلك بكثير قدرة الهند والانسولاند الانتاجية، وهذا الدفع الاستماري الذي شهده العالم في هذه الحقبة ، ساهمت به على اقدار متفاوته كل من كندا واوستراليا وروسيا والصين والبرازيل . وهكذا برزت امنم العبين سمات الدول الاقتصادية العظمى التي تقاسمت فيا بينها اقطار القارات الحس .

التطور المتزامن الرأسمالية الدولية والقومية الاقتصادية

ومع ذلك فعندما ننظر الى النزعيات القائمة نرى تضاربًا قيوبًا بينالسياسة التي ترمي الى توحيد السوق العالمية وبين السياسة التي تسمى الى تنشيط الحماية الجركية.

فالى الـ ٦١ اتفاقًا دوليًا-عقدتها الدول حتى عام ١٨٩٠ ، يجب ان نضيف ٦١ اتفاقًا دوليًا ١٩١٠ وقد قامت عبر الحدود والسدود ع<mark>ـــلاقات اوثق</mark> واوطد . فشركة Ritchie الانكليزية الاميركية لاستثار مناجم النيكل في كندا ، اقامت لها مصانع كبيرة في الولايات المتحدة وفي بلاد الغال وعلى مقربة من لندن . ومعامل الصلب في لنغواي تنضم الى معامل الصلب القائمة فيروتشلنغ في ساربروك و نالت شركة Thyssen و شركة Golsenkirchen امتماز استثبار فلزات الحديد في فرنسا ، وشركة دندل الفرنسية الالمانية لها معاملها الخاصة بصنع الحديد والفولاذ في مقاطعة اللورين ؛ ومصانع لاستخراج الكوك في الروهر ، ومصانع بوتيلوف وقعت تحت اشراف اصحاب معامل أسن وكروزو ، وتعمل معامل كروب سنيدرز وفيكرز على مد الدول القائمة فيها هذه المعامل والدول الاخرى، بما تحتاج الله من العتاد الحربي دونما تميز فها بينها. والرأسمال المال البلجيكي يسام بشكل محسوس في بناء شبكة المترو في باريس ، كما ان ٢٠/ من فنادق الشاطىء اللازوردي يعود لشركات اجنسة . وبناء خط بغداد الحيديدي تم بعد عيد من الاتفاقات الدولية يشترك في التوقيم عليها عدد من المصارف والشركات في كل من المانيا وفرنسا وانكل<mark>ترا</mark> . والتضامن يبدو على اكمله في هذه المراكز الد<mark>ولية ال</mark>ئي تتحكم بإسمار البضائم ومجركة البورصات في العالم . وبشيء من الاعتداد بالنفس وراح الامين العام للجنة مناجم الفحم في فرنساء هو هنري بيبريمهوف، يصوح في حزيران ١٩١٤ قائلًا : د حلت سباسة المشروعات الاستثمارية محلاً مرموقاً وراء الحدود ، إلى جانب السياسات الاخرى ، كسياسة المفاوضات الدبلوماسية والتنظيمات الكبرى، ويبدو ان عبقرية السان سمونيين والكوبدنيين عملت دوماً بزخم مدفوعة الى ذلك بالتفاؤل وحب السلام للسعر بالبشرية تحت قيادة وتوجمه نخبة من الاشخاص الدولين ورجا<mark>ل الاعما</mark>ل المتصفين بالدراية والحنكة . وهذه الشبكة الواسمة من رؤوس الأ<mark>مـــوال</mark> التي تشد ال<mark>مالم بعضه</mark> الى بعض تتالف من ملايين المودعين ومن كبار رجسال المال المساهمين بعملية مسكونية باتساعها ، جهاعمة بالفعل لحدر الانسانية الاكبر.

الا ان هنالك، على كل حال، ضغط مستمر على السلطات العامة والبرلمانات بحيث ان المنافسة الله ولية لم تسبب اي ادى النشاطات الوطنية . وهذه الغيرة ذات النزعة الخاصة التي افسادت كثيراً من الازمات الطويلة التي اشتدت وطأتها بين ١٨٧٣ – ١٨٩٥ ، ومن الخوف من الحرب، ومن الرغبة في التسلح لتأمين السيطرة والامتداد، بقيت ناشطة بعد زوال الازمة وعودة الامور الى نصابها. فانتصار ولست على كوبدن ظهر واتضح . صحيح ان بريطانيا العظمى رفضت الاخذ بالبرنامج الذي عرضته عليها عصبة اصلاح التمرفة الجركية التي انشاها تشميران . ونظام حرية

التبادل التجاري الذي اعتمدته وسارت عليه بعد أن أدخلت عليه تعديلات مستوحاة من نظام الدول الاكثر رعاية ،عول حثيراً على اخراج الفكرة المرعية لاي دولة تعول على الحسارج في امور معايشها ادهى مسا تخشاه ارتفاع تكاليف الميش لديها. فمسن ميلين الى بولوف ، ومن ماك كيلي الى وايت ، كان على التعرفة الجرية أن تنبع للمزارعين والصناعيين المتضامنين بعضهم مع بعض ان يخضعوا المستهلكين للقوانين التي يخضع لهما المنتجون ، الذين يرغبون في ان يكونوا بمأمن من هبوط جديد في الاسعار ، بما يسبب لهم انخفاضاً في ارباحهم . والحماية الجركية ذات النزعة الوطنية التي اصبحت كالاتفاق المني ، شكلًا لا بد منه من اشكال الاقتصاد المنظم ، تعتبر بفضل استمرار الاخذ بها والعمل بموجبها ؟ الدليل القاطع على تحول النظام الرأسمالي الحر.

اس السياسة الاستسارية الرطنية المسياسة الرطنية الاقتصادية بالسياسة الرطنية التقلدية ، وتصدر مثلها من معين القومية الحسدرة ومن كره الاجنبي

التأصل في ابناء البلاد . بلغنا ، يؤكد ماك كتلي بصراحة ، عام ١٩٠١ ، هذه الدرجة من النمو الصناعي بحبث لابد لنا من ايجاد اسواق جديدة للفائض من انتاجنا ، بعد ان تم لنا في مصر ، ورأس تكوبن اتحاد جنوبي افريقيا ، بصرح ، عمام ١٩٠٤ ، امسام مجلس ادارة الرابطة البحرية البريطانية ، قائلا : « أمّا رجل استعماري، امبريالي مائة بالمائة ». والحال نرى مواطنه الاقتصادي الحر هوبسن ينسب الى الروح الاستعمارية الذي يصفه دريو، عام ١٩٠٧ بأنه الحساصة الاكثر تمييزاً والاكثر جدارة بالملاحظة التي برزت في اخريات القرن التاسم عشر؟ نطاقاً سياسيا - اجتاعياً واقمياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً باقتصاد رأسمالي يخضع للروح القومية . ومهمها يكن من الامر ، فقانون التضخيم التاريخي كما ورد على لسان تارب الذي قال باجتذاب الكتل الكبيرة للكتل الصغيرة ، هذا القانون الذي عبر عنه عالم اجتاعي آخر، هـو الاستاذ Greef ، احد تلاميذ Corey ، يجب ان يعمل لصالح الدول الكبرى ، التي جاءت على مقاييس « امبراطوريات كونية » . وقد رأى هـاز رئيس رابطة الجامعة الجرمانية في الامر مرحلة . Lebemstraum حيوي هو

ومن الطبيعي جداً ان تُشهد كل سياسة استعمارية الارض والساء عالياً و بأن الامبراطورية الانكليزية ، بما هي عليه من مساوى، وعيوب ، تتمتع بنفوذ بشري، تمديني مسالم لا مثيل له في عالم اليوم » ، وبولوف نفسه يصرح قائلا : (يدعو الانكليز الى انكلترا عظمي ، ويدعــو الفرنسيون الى فرنسا كبرى ، ومن حقنا نحن ايضاً ان ندعو لالمانيا كبرى ، .

وفي سبيل الدفاع عن الوطن الام ، راح عدد من دعاة الاستعـــار سوادهم من الفرنسيين يفكر باستثار المستعمرات الواقعة وراء البحار . افلم يقترح ملكيور دي فوغويه ، عام ١٨٩٩، حشد جيش من ١٠٠ او ٢٠٠ الف من هؤلاء الجنود البواسك ، بين سنغاليين وسودانيين لا يعرفون المنطق دوراً ولا الصفح محلا ? وقد كتب لويس سوبوليه ، عام ١٩١٢ ، قائلا : و على الزنجي ان يفهم ويدرك جيداً بان الدولة التي استقرت في داره وفرضت عليه سيادتها وسؤددها، هي سيدة مطاعة ، تبسط سيطرتها فوق السهول والاحراج والفابات ، هي اقوى وابحد من كل ما تعاقب عليه وعرف من اسياد وخبر في ما مضى من سلطات حاكمة . فما من شيء يأخسف بمجامع قلبه ويؤثر فيه اكثر من اطلاعه على هذه الابجاد وهذه الانتصارات الحربية الجيدة التي سجلها كل من لويس الرابع عشر والجهورية ونابوليون ، وهسنده المعارك الطاحنة التي دارت رحاها على مرأى منه »

اني أقدم لكم هذه الامة المتشاوفة التي تدعي المسيحية ، العائدة اليكم بها هي عليه من ادران ووسخ ، ملطخة بالدماء ، مرضوضة ، فاقدة شرفها من اعمال القرصنة التي قامت بها في كياو سه تشاير ، ومنشوريا وجنوبي افريقيا والفيليين. فالدناءة والخنا ملء بردتيها وجيوبه منتفخة من الذهب الذي سلبته ، ولسانها يفيض رياء وكفراً ، اعطوها ثياباً نظيفة وصابونا ، ولكن اياكم والمرآة ، ابعدوها عنها » (مارك توين).

الدليل العربي والعنصرية عشر أن الخية عظهراً له فكرة العرق أو العنصر ، هذه الفكرة التي لم يعهد مدلولها ليقتصر على الجنس البشري ، بل تعداه الى شتى الفيرق ليذوب في مفهوم الدولة أو الدول . وهكذا اخذ الناس يعتقدون بوجود عروق سامية ، وهي عروق مختسارة أو مصطفأة معدة لقيادة العروق الاخرى حتى راحت تعتقد أن مستقبل و الحضارة » مربوط، الى حد بعيد بقيام هذه العناصر الختارة وبالرسالة السامية المرسومه لها من قبل العناية الالهية. وفي الوقت ذاته اخذت الاوساط العلمية تتردد ، في ابداء رأيها، حول طبيعة العرق وجوهره ، وراح بعض الكيميائيين ، بدافع من الافكار الرجعية أو بدافع من الفرض الشخصي يجعلون من العرقية واقعية تتميز كلياً عن الدولة وعن الديموقراطية والطبقة الاجتاعية ، وغير ذلك من التجريدات المسلم بها اليوم .

يقي ان نعرف من هو لعمري العرق الختار. فقد سبق لغوبينو ان اقترح والعنصر الآري، وجعله العنصر الارستوقراطي في الدرجة الاولى بشهادة اشتقاق الاسم. وهكذا شدد على المناقبية التي يتمتع بها الاوروبي الشهالي الفاتح او الغازي ، في الاصل ، وهدف النظرة تتلاقى والنظرة التي قال بها وعلم بولنفيليه ومونتلوزييه اللذان راحا ، مند القرن الثامن عشر يشيدان بها للفرنك من حق صراح بهذه المميزة بوصفه محارباً نبيسلا ، مؤهلا ليحكم العنصر الفالوالروماني ، الذي تخلب على امره وبرهن عن دناءة وخساسة .

ولكن ما هو السبيل للتمييز ،بين السكسوني والجرماني ، في اوروبا اليوم ? فبعد أن رحب

كل من كارايل وكنفسلي ومن بعدها دلك وسيلي، وبعد ان غنى كبلنغ راح الاول يشيد بالمآتي والانجازات الحربية التي تمت على يد سكان الجزر ، سواء في قلب الشعوب القديمة او في سباسب اميركا وافريقيا واوستراليزيا العذراء .

تراثنا واسع رحب ومساهمتنا وافرة

وروابطنا اقوى وامتن من هذه الحياة السريعة العطب (كبلنغ)

ومع ذلك فالاعتداد الاميركي لا ينقص بشيء عن تطرف الوطنية البريطانية وغلوها . فهما من أرومة واحدة . ولذا احتار هذان الاخوان المتنافسان ما اذا كان عليها ان يمضي في تشافسها الحاد للسيطرة على العالم او ان يتحدا مما على حكمة وتعقل وفرض سيطرتهما علية .

ومها يكن ، فقد شدت بينها رغبة واحدة بالمحافظة على نقاء الاصل عن طريق الامتناع عن مصاهرة ونحالطة العروق الملونة المعترف بالمحطاطها ، فقد اخذا بصورة غريزية ببدأ العرقية او المنصرية في هدنه القارات الجديدة حيث يدعون انهم في دياره ، فمن طريق الاستثناء او اقله عن طريسق التمييز المنصري ، اخذوا يحدون من تطرو الاسود والاصفر على السواء . فمن اجراءات فردية او جزئية اتخذت في كاليفونيا وفي فكتوريا ، توصلوا الى سن تشريمات منهجية منها :قانون تحديد الهجرة ، في الولايات المتحدة وفي استرال آسيا تجاه الاسيويين والميلانزيين ؛ وقانون التربية الوطنية في مدينة الكاب وفي بريتوريا ، هذا القانون الذي اخذ يحدد مناطق الزنوج وقانون التربية الوطنية في مدينة الكاب وفي بريتوريا ، هذا القانون الذي اخذ يحدد مناطق الزنوج وتطبقه على الزنوج في الاتحاد الاميركي الذي يتسلح بشرط الجد البعيد او الارومة ويحتج بهذا الشرط ليحرم الزنوج في الاتحاد الاميركي الذي يتسلح بشرط الجد البعيد او الارومة ويحتج بهذا الشرط ليحرم الزنوج من حقوق الانتخابات العامة ، مسم الاحتفاظ شكلا ، بخرافة و المنافع المساوية ، . يجري كل هذا بصرف النظر عسن ردود الفعل الجاعية البديهية او العنيفة ، والدوافع التي تملي على هذه الاشتراكية التي سعرف على اساس ، يقول بها الاستراليون ، تنحصر في قانون جزيرة العمال الهادقة الذي صدر عام ١٩٠٤ ، وهو قانون نم عن عقلية صاحمة لظهور ما يعرف بالاشتراكية الوطنية .

وقد راحت المانيا تدعي ، من جهتها ، التفوق العنصري او العرقي ، واستشهدت في هدا السبيل بأرمينيوس وشارلمان والامبراطورية المقدسة والقوة المستعادة الدي يعمل توبتشكيه وسببل على شرحها وتفسيرها بأسلوب مشوق . فهي تستشهد بغوبينو لاثبات نظريتها هداه وتعمل على نشر مؤلفاته وآثاره الخطوطة . وفي هذا الوقت بالذات ، ينشر الكاتب الانكليزي هوستن ستيوارت تشعبرلن، عام ١٨٩٩ دمن جهة نظر الشعور الجرماني » كتابه الموسوم : « اسس القرن التاسع عشر ، نحا فيه باللائمة على الدور الضار الذي قام به انسان البحر المتوسط كما يشجب التعاليم الدينية التي جاء بها ابن البابوية ، ويروح غليوم الثاني ينذر ، وهو يرأس مجمع ستيودس سان جان في مارينبورج : « بالانقضاض على والسرمات ، تأديباً لهم على وقاحتهم مجيث يمحقهم سان جان في مارينبورج : « بالانقضاض على والسرمات ، تأديباً لهم على وقاحتهم مجيث يمحقهم

نحقًا » . ويعلل نفسه باقناع انكلئرا -- رهبة او رغبة -- باقتسام الرسالة التمدينية امام الخطر الاصفر والمنافسة الاميركية التي تزداد حدة وسورة .

ما هي الاسس التي ينهض عليها التفوق الانكلوساكسوني ? يتساءل ديولين ومهيها يكن فهناك سبيل لنبذ الفكرة المغلوطة التي تقول بالمساواة بين الشعوب والتكافؤ فيا بينها كا يصرح الدكتور غوستاف لوبون الذي يرى التصالب او التهجين يذهب بصفات الجنس المعيزة . ويتدح فاشيه دي لابونج فضائل و الابسان المستطيل الرأس المعروف مجبه السيطرة وبرغائبه الملحقة ويحذر من البورجوازي وهذا الفطر الطفيلي السام الذي ينمو في ظل المقصلة ويرتوي من ولغ دماء النبلاء والكهنة » . والدءوة الى الفرائز الدفينة تجد صداها ، على الاجمال ، بين العاملين في الارض وهي دعوة تتجلى عند بارس في قصته : والنشاط الوطني » . وعند بورجيه الذي يتبنى نظرية وكند موراس الذي كان نظرية Gobineau و وعند موراس الذي كان نظرية بيقول بارس في كتابه و و الاكمة الملهمة ، الشجاعة على استثناف السير على هذه الارض الدينا ، يقول بارس في كتابه و و الاكمة الملهمة ، الشجاعة على استثناف السير على هذه الارض بينهم بيفي يشد العرق بالارض التي تفذيه وتنميه وتعطيه اسباب البقاء والديومة . فاذا مساحتج احده ، فعلى الفوضى الجشعة وعلى اشتراكية الصراع الطبقي . فالعنصرية تهيء السبيل احتج احده ، فعلى الفوضى الجشعة وعلى اشتراكية الصراع الطبقي . فالعنصرية تهيء السبيل المام ثأر اللاتينية الكاثوليكية التي ترى نفسها مع والبعث الاسباني » عسام ١٨٩٨ ، وفرنسا المام ثأر اللاتينية الكاثوليكية التي ترى نفسها مع والبعث الاسباني » عسام ١٨٩٨ ، وفرنسا المنتصدة ضد دريفوس ، معدة هي الاخرى لمهمة تمدينية جديدة سامية .

المرقية اللاساميـــــة وظهور الصهيونية الدولية

قبل عام ۱۸۱۸ قام المستشرق لاسن يضع الساميين تجاه الآريين. فغوبينو يرى من جهته ان « الآري المتحدر من صلب يافث يسمو ليس على اقوام السود والصفر فحسب ، بل ايضاً عــــل

ذرية سام . وقد زعم بعضهم ان اليهود، خلافا للمتعارف المألوف بين الناس، يؤلفون، بين شهوب اوروبا لعدم تزاوجهم الا فيا بينهم، العرق الصافي الوحيد، وهو الذي يستطيع وحده بالتالي ان يسود ويحكم . وعبثا راح رينان الذي لم يكن مع ذلك ، دوما فوق العنعنات والاخذ بالوجوه، يهاجم هذا الرأي الذي انتشر وشاع بين الناس بغضل جهود بعض الدعاة أمشال ادرار درومون .

 نصت عليها واوصت بها ، كانت لا تزال تلقى اذناً صاغية وألسنة تتناقلها بالرغم من تلاشي نفوذ التلود بين اليهود ، في الاوساط اليهودية .

من الاسباب التي ادت الى اشتداد حركة مناهضة السامية في الامبراطورية الالمسانية والامبراطورية الاوسترو _ بجرية ، توافد اليهود اليها من بولونيا واوكرانيا . فاذا مسارأى الكثيرون في السامي، على الاجمال، مرابيا جشماً لا امل باصلاحه ، فقد تبين بعضهم فيه ثورويا يتكالب على تقويض القيم المرعية وخلخاتها طمعاً منه بالصيد في المساء العكر . وصورة جانوس المزدوجة الوجه تذكرنا ملامح احدها بالامح روتشيله كا ان ملامح الوجه الآخرتنم عن ملامح ماركس . ومن جهة اخرى ، فالحسد مفسدة ويفضي للأذى في هذه البدان وهسنده الاوساط حيث يلاقي النشاط اليهودي ، بفضل النساهل الديني الذي يسود هذه البسلان والاوساط ، التسميلات اللازمة النجاح . وهكذا أطلت حركة منافسة اليهودية واتخذت شكل مناهضة السامية والتصدي لها ، واتجهت ضد الاجيال المتحررة ، بحيث راح اشخاص امتسال برينو بارادول وارنست هافيه ، يرحبان بظهورها ويجملانها من المنافع التي طلمت بها الحضارة . فكيف نفسر الفني والثراء الذي يرفل فيها اليهود ؟ أليسوا لانهم تفننوا في اساليب السرقة والابتزاز ؟ وكيف نفسر نجاحهم في الوظائف العامة ؟ فهم يحتلون عن غير استحقاق ، الوظائف الي يمارسونها . اما كفاءتهم العلمية والادبية والفنية فكثيرون ينكرونها عليهم ويشكون يوجودها ، من بينهم درومون ، مثلا .

قد يصرح بيبل قائلا: و ان عداء السامية ليس سوى اشتراكية المعتوهين ه كا ان باستطاعة فورنيه ان يوضع قائلا: و لنا إلهنا ماركس ولنا شيطاننا الرجيم ررتشيلد » . هنالك عدد من انسار فورنييه وبرودون وبلانكي ، ومن اعضاء حزب شعبين الروس حتى وبسين تلاميذ غسد يتهمون الرأسمالية ، اليهودية في صعيمها ، بينا يرى ماركس ان عبادة المال تؤلف حائلا دون تحرير اليهود وتحرير جميع الناس ايضاً . و ليسقط روتشيسلد ، ليسقط اليهود » ، كانت تهتف باريس ، عام ١٨٨٠ ، وهو الهتاف نفسه الذي يحرك دوماً شفاه الفقير المعدم ضد الفني الني انتفخت صناديقه » . وراح المستمسكون بالتقاليد يستغلون هذه الاحقاد ويحولونها ضد هذه الفئة المشبوهة التي تحوم حولها الشكوك والظنون ، ويثيرون غضب الجاهير واحقادها ، ويذكون في النفوس البغضاء ضد العنصر السامي المعروف بشعوبيته وبعدم انتائه الى اي وطن ، فيؤلبون الناس احزابا وعصائب تطالب باتخاذ اجراءات جذرية لصيانة المجتمع ، وبالتعيدين فيؤلبون الناس احزابا وعصائب تطالب باتخاذ اجراءات خدية لصيانة المجتمع ، وبالتعيدين وضعية مضادة اليهود ، واحيانا بالمذابح (وهكذا أطسل علينا عثلا بشخص موراس فلسفة المنصري ، والطود ، واحيانا بالمذابح (وهكذا أطسل علينا عثلا بشخص موراس فلسفة المناتب الكاثوليكي المتحرر ، اناتول لاروا – بوليو : « لا اعتقد قط انه يوجد على كرتناالارضية عنصر ذهب فريسة الاملاق والفقر المدقع مثله » ، كا ان بيغي يصرح من جهته قائلا : عنصر فقوراء بن اليهود ؟ عددهم كبير ، هم من الكثرة بحيث يتعدر عدم او احصاؤهم ، أرام في كل فقواء بن اليهود ؟ عددهم كبير ، هم من الكثرة بحيث يتعدر عدم او احصاؤهم ، أرام في كل

مكان ، وهذه البروليتاريا تزرع الخوف في نفس الغني ، يهودياً كان ام غير يهودي ، ولأنسه يهودي وهذا ذنبه الاكبر، والبروليتاريون الآخرون لايطيقون منافسته لهم . فاذا ما راح القسستوكير يشكل في بروسيا اتحاد العبال الاشتراكيين المسيحيين الذي اخذ يطالب بالحد من توظيف اليهود في الحدمات العامة وفي دولاي الاعمال ، وهو برنامج تبناه مجذافيره الحزب الوطني الالمساني الذي شكله شونرير والذي مكن لويجر من الفوز بعمدة فيبنا ، عام ١٨٩٥، فقد سنت انكلترا، عام ١٩٠٥، قانون هجرة للاجانب الذي اوصد ابوابها دون الشرقيين الموزين ، كذلك فعلت اوستراليا .

ومع ان حركة مناهضة السامية اخذت تمتد وتتسع في كل من النمسا والمسانيا - مع ان بسمارك وغليوم الثاني يستخدمون رجال الاعسال من اليهود ويرعيان جانبهم والزعم الوطني ترتشكيم يكتب: واليهود هم مصيبتنا الكبرى - فررسيا هي التي تعلنها عليهم حربا عوانا تتصف بالعنف والشدة بينما محتفظ لفرنسا الجهورية بعمل مشهود. أهو تلاقي الحلفاء ؟ فقد قابل فظائع كيشينيف وبياليستوك هيجان العواطف التي اثارتها قضية درايفوس، وعلى كل فبين الحادث الفردي الذي أثارته قضية الضابط الفرنسي وبين الماساة المشتركة التي وقمت في الشرق ، مأساة اليهودي البائس، ليس من سبب مشترك اقله في الظاهر: فالفضيحة السحبرى في نظر القرن الناسع عشر المتحرر هي: والقضية التي وضعت وجهساً لوجه النظام والحركة ، التقليد والعدالة . فالمباديء الكبرى ، مبادىء عام ١٧٨٩ ، تعود فتتغلب وتفوز بالطبع، ولكن بعد ازمة حادة طوبلة خلفت وراءها ذكريات مريرة والثورة الدريفوسية ، كما يسميها جورج سوريل باساوب غامض .

ولم تلبث نتائج هذا الدفع العنصري او الطغيان العرقي ان ظهرت دون تأخر. فيطل علينا والبهودي الثاثه ، الذي يمضي في سيره المسهوصول ، فنشهد هجرة من اقوى واشد الهجرات ينتقل معها اكثر من مليونين من يهود روسيا الى الولايات المتحدة الاميركية ، حيث اثار قهدوم هؤلاء البائسين ، في الرأي العام الاميركي ، ردات قعل ضد دخول عناصر غير مرغوب فيها ، اللاد الاميركية يعربة .

ولما كان في العالم شعب يهودي يتميز عن غيره من شعوب الارض ، فلتمد اليه ، على الاقل ، البلاد التي عاش فيها قديما والتي ألف فيها وطنا قوميا له ! ومنه عام ١٨٦٢ ، راح احسد حاخامات مدينة ثورن يدعى كايشر ، يطالب بانشاء وطن قومي يهودي . وفي سنة ١٨٧٠ ، اي في السنة ذاتها التي تأسس فيه الاليانس الاسرائيلي ، انشأت هذه المؤسسة التربوية ، في مدينة يافا ، مدرسة زراعية لتدريب طلائع المهاجرين اليهود الى فلسطين. واذ قام جرياز يضع كتابه الكبير : « تاريخ اليهود » ليعيد الى اذهان ابنا جلاته ، ايجاد الشعب اليهودي وانجازاته عبر الاجيال ، فاذا ما مكنت الهبات المالية التي قدمها ادمون دي روتشيلد الى « اصدقاء صهيون »

من تأسيس اولى المستعمرات الزراعية في الاراضي المقدسة ؛ فقد وقع اكثرهم ، وفقاً لوغية البارون دي هيرش ، تحت تأثير الدعوة بالذهاب الى العالم الجديد . وقد جاء الحكم على الضابط اليهودي دريفوس وانتخاب لويجر عمدة لمدينة فبينا حافزاً حاسماً في توطيد عزم الزعم المجري ثيودور الميهودية، وهو كتاب صدر عام ١٨٩٦. وبالرغم من مقاومة فريق كان يخشى من ان يتحوُّل اليهود هن الرسالة التي عبديها الى اسرائيل - هذا الشعب النبوي ، على زعيم بيغيب ، - كا يخشى من استقلال المناهضين للسامية ، لهذا الشعور القومي ، فقــــد اخذت الفكرة الصهيونيـــة الاكبر الذي نهض بها درنما ملل ولا سأم ، عرف ان يضمن لقضيته انصاراً ومريدين متحمسين، من بينهم العالم الاجتاعي المشهور ماركساوردو، والكاتب الاسرائيلي زنجويل. وعمل على عقد المؤتمرات ؛ وأكثر من اتصالاته برؤساه الدول ومراجعتهم ؛ وحاول أن يكسب لدعوته هذه عطف البالج والسلطان العثماني والامبراطور غليو<mark>م الثاني</mark> والحكومة البريطانية . ولما كان محولا في مسماء بفكرة سياسية اكثر منها ديشية فقد اضطر بعد النفاق مرارة الفشل واليأس؟ الى قبول هرض قدم اليه يقارح انشاء وطن لليهود في ارغندا . الا انه بمد عام ١٩٠٠ ؟ طلعت علينـــــا المعودة (l'alyah او العُودة) إلى فلسطين وانشاء الصندوق الوطني البهودي في سبيسل شراء فلسطين وانشاء مؤسسة تل افيف وبعث اللغة العبرية .

> الحيجان القومي في ادروبا والم متاطق الخطر

في كتابه: مذكرات اوروبي ، يصف لنا ستيفان زويم الضيق الذي اعتراه ، عندما حضر بوصفه عوديا نمساويا ، في ربيع عام ١٩١٤ في احدى دور السينها في مدينة تورس حيت ظهر

على الشاشة صورة غليوم الثاني وفرنسوا جوزف ، والهياج الذي اثارته هذه الصورة بين النظارة والمشاهدين و في تلك الصالة المظلمة علاما الصفير الداوي وارتفعت جلبة جهنمية وقرع الارض بالاقدام ... والكل يصبح ويعوي من نساء ورجال ، واولاد يشتعون ويلمنون كأنها لحقت بهم الهانة نكراء. فقد اعتراني الخوف وشعرت بالقلق في الصمم ، بعد ان تبينت الى اي حد بلغ تسمم مشاعر الجماهير وهياجها من جراء دعاية مفرضة مهيجة ، استعرت سنوات بكاملها ، .

وهوس الحرب الذي تملك النفوس من جراء الحرب الالمائية الفرنسية (١٨٨٠ - ١٨٧١) وسباق التسلع ، هذا السباق الذي عجل في اندلاعها من جديد ، وهذه الاستنفارات المتنالية - هذا الهوس الذي لا معنى له بدون هذه الهيجانات الدورية - زاد احتدامه عن طريق وسائل الدعاية الممروفة ، اذ ذاك ، كالصحافة مثلا، بما فيها من الانباء المثيرة والمقال الاخباري المأجور والمندمة العسكرية والمدرسة وبرامسيج التمليم حيث لم تلبث دروس الجفرافية والتاريخ ان استحالت مظاهرات وطنية ووراحت منظهات ومؤسسات عديدة تأخذ على نفسها الاشادة بقوة الامة وتتننى بأبجادها الوطنية ، وبينها من له من النفوذ ومن بعد الشأن ما يؤثر على مقررات

الحكومات ومقرراتها الحاسمة ، اما عن طريق مناورات وأسالب خفية وامسا عن طريق التاويح بالمظاهرات الشعبية. فأحاديث الحرب والتبجحات الصارخة ؟ هي من بعض هذه العملات الدارجة . فها هو غليوم الثاني يكتب بمناسبة المؤتمر الاول للسلام المعقود عام ١٨٩٨ : ﴿ لا بأس عندى من الاشتراك بتمثيل مسرحية السلام الاالله النبي احتفظ بخنجري الى جنبي لرقصة الفالس ، كا رام يهتف وهو متجه نحو طنجه : ﴿ السِلَّ عَلَى مَقْبَضَ السِّفِ وَالنَّرْسِ مُسْدُودُ المامنا على الارض ؛ عسى أن نجيب Tamen أو ليحدث ما يحدث ! » وها هو كليمنصو ؛ يصرح عام ١٩٠٨ : « انا مؤمن بالحرب وأومن ان ليس بالامكان تفاديها ... لن نأتي شيء بطلقها ، ويجب أن نمتنع عن الاتيان بأي شيء يفجرها . ولكن علينا أن نكون على أنم استعداد لها ، . وبول كمبون يصرح في السنة التالية لاحد مراسليه قائلا :تمسكى بالسلام لا يقل بشيء عن تمسكك يه م ويقشى ان خور طريقة للمحافظة على السلام هو أن نكون أقوياء . كل بلد ثائر الاعساب يذهب فريسة أول طارىء يدهمه ، أما أذا كان هذا البلد مدججياً بالسلاح ، وتنبض الروح المسكرية في عروق شعبه ويكون على استع<mark>داد لخوض ا</mark>لمعركة ، فهو على يقين بفرض احترا<mark>مه</mark> على الآخرين ؛ ويتجنب فظائم الحرب ، . والمصير ذاته يتجلى لثيودور روزفلت ، و الحسرب وحدها تتمح لنا ان نتحلي بصفات الرجولة التي لا بد منها للانتصار في حرب لا هوادة فيها ولا رحمية ، فخصوم دريفوس وقفوا منه هذه الموقف العسير ، دفاعاً عن شهرف الجيش ، وذلك عندما راحوا يمارضون اعادة النظر في قضيته .

والرومنطيقية الحديثة نفسها التي تشيد بفضائل العرق والتي كثيرا ما تفننت بموضوعات هي موضوع احترام الجيع وتقديسهم ، مثل: ارض الوطن ، الجدود ، العكم ، لا تتحمل هنا اي شك ولا ترضى بأية مداعبة او مزاح في هذا الموضوع . و فالارستوقر اطية الفكرية ، السي يكشف برونتير عن امرها ، و والتمقلية ، او التعبد للمقل الذي يبدو للأب ديدون و المدو للذي ديدنه الوحيد الازدراء بالقوة والاستهانة بها ، هما عرضة لهجوم عنيف. هل الامر مرتبط بروح نقدية او برأي مستقل ؟ ولذا رضخ الكثيرون ولم يجدوا جوابا والتزموا الصمت . هنالك بالطبع مسيحيون مخلصون يشجبون الحرب . فقد نشأت جمعية مسيحية هي جمعية و Gralry للدفاع عن السلام والمحافظة عليه بين المبول لم تلبث ان استحالت عصبة دولية سلمه كاثوليكية ، تولى رئاستها البلجيكي اوغست برنائرت . الا ان و يقطة البطولة ، التي يشيد بها رجـل من عيار مارك سانييه ، لا يتحرج من قضية الضمير الا عملا بما هو عليه من قناعة غلصة ؛ والمصبة المسيحية الديوقراطية الايطالية التي لم يلبث البابا بيوس الماشر ان شجبها ، غنت من الصميم التناف الجهاد ضد النمسا ، في سبيل تحرير تريستا وترانت . والاشتراكية التي رأت موجباً المنافيا الواقع ، يؤذي جداً الجدل الناشب بين البورجو ازبين الوطنيين الذين رأوا في الشيوعية منافيا الواقع ، يؤذي جداً الجدل الناشب بين البورجو ازبين الوطنيين الذين رأوا في الشيوعية عنصراً هداماً للوطن » ، كا اعتقد جوريلس نفسه . وهكذا أعدت الماشاة الدولية الـق وقمت عنصراً هداماً للوطن » ، كا اعتقد جوريلس نفسه . وهكذا أعدت الماشاة الدولية الـق وقمت

عام ١٩١٤.

و فباستثناء فرنسا ، لا يوجد في اوروبا دولة واحدة سلطتها وسيادتها هما صدى صادق لاماني كل الولايات وتعبير عفوى عنها » . هذا ما نقرأه في مفكرة جورج لويسسفير فرنسا لدى برلين وهذا ما يعترف به ياغوف وزير الخارجية الالماني ، عام ١٩١٣ . هنالك اقليات وطنية وفئات غريبة تنتفض وتتحرك في كل ناحية ومكان في اوروبا . صحيح ان مطالب كتلونيا لا يكمن فيها اي خطر على وحدة اسانيا ، كما ان مطالب الفلاندر لا تؤلف اي تهديد لسلامة بلجيكا . الا ان موقف مدينة غنت يزعج بروكسل . وعبث ان موقف برشلونا يهيج اعصاب محدريد كما ان موقف مدينة غنت يزعج بروكسل . وعبث يسمى البريطانيون الوصول الى اتفاق حبي مع ارلندا يؤمن لها مصالحها وسلامتها ، يحوز على رضى طلاب الاستقلال في دبلين وطلاب الانفصال في مقاطعة الاولستر . فقد عجزوا عن اجتذاب بلفاست كما عجزوا عن ايقاف الحسر كة الاستقلالية او الحد من المطالبين بوطن قومي لهم المعروفين باسم Simufein بحيث ان الحسرب الاهلية كانت على وشك الانفجار في الجزيرة عسام ١٩١٤ .

وبقيت الالزاس واللورين مثاراً للقلق بين فرنسا والمانيا . فاذا لم تفكر الاولى بالركون الى الحرب لاسترجاع ولاياتها السليب ، فقد برهنت الثانية عن نزق شديد لعجزها عن امتصاص الحرب لاسترجاع ولاياتها السليب ، الذين لم يرضوا قسط بالتنازلات الواسعة التي قدمتها لهم السكان وتثيلهم في هاتين المقاطعتين ، الذين لم يرضوا قسط بالتنازلات الواسعة التي قدمتها لهم الحكومة الالمانية ، في الوقت الذي خضموا فيه لسلطة برلين وادارتها...ودون ان نذهب بعيدا في شرقي المانيا ، فالحركة البولونية التي عرفت ان تصمد في وجسه سياسة جرمنة البلاد كانت مثاراً لازعاج اولي الامر في برلين وبعث القلق في نفوسهم ... والاقلية الدنماركية في مقاطعة شلسويغ فشلت مساعيها للتحرر من السيطرة الالمانية كما ان النرويج تمكنت من زحزحة نير السويد عن رقبتها . ومهما بلغ من بطش وقوة الدولة التي كونها بسمارك ، فهي تخشى كثيراً السويد عن رقبتها . ومهما بلغ من بطش وقوة الدولة التي كونها بسمارك ، فهي تخشى كثيراً الابتكارات الجفرافية التي ستتجاوب في اراضيها من جراء اي وهن او اي ضعف يبدو عليها .

وعلى كل ، فالامبراطوريات الثلاث : الالمانية والروسية والاوسترو هنفارية تتحسس الغطر الذي يتهددها من جراء الحركات والهزات التي تقوم بها هذه القوميات الواقعة بين البحرالبلطيقي والبحر الابيض المتوسط . ان تحرر الفنلندي والبلط والبولونيين والرومانيين من سكان بسارابيا الما يعني عند روسيا ، فقدانها اسواقها الغربية التي امنت التصرف بها على هواها في هذه البلاد من عهد بطرس الاكبر والروجوع بروسيا الى طابع آسيوي اكثر منه اوروبي . ثم ان بروز حركة سلافية دانوبية قوية لا تدفع كان من شأنه ان يؤلف خطراً يهدد جدياً وجود الملكية الثنائية ، قبل ان يتحقق حاديست ، بقيام اوروباوسطى تمتد من بحر الشمالي الى البحر الاسود . وهكذا قضت الضرورة ، يوما بعد يوم ، بايجاد صيغة جديدة تكون فدرالية الطابع او ثلاثية الاقنوم ، والحال ان ادخال شريك جديد ، صربي - كرواتي على هذه الامبراطورية الثنانية ، سياسة

قوبلت بالعداء والتنكر من قبل الجنفاريين واليوغوسلافيين الذين يعملون لاستقلالهم الناجز. اما ضم البوسنه والهرسك فعمليسة زرعت الشك في قلب بودابست ، كما الارت بلغراد وقضت مضاجعها . ففي انصراف آل هبسبورج لكبح جماح الجامعة الصربية ، خطر يتهدد مضيرم، كما انه يجر المانيا الى الجازفة بحرب عالميه كنيرة .

من سخرية القدر الغاشم ان يرتبط معنير المدنية الاوروبية بهذه الاقطار البلغانية التي قسال هنها بسنارك انها لاتسوى عظام جندي بوميراني واحسد . فالاوفق من جميع الوجوه الابقاء على التركي في مكانه بدلا من انتزاغ التنازلات الاقتضادية منه شيئًا فشيئًا . ومع ذلك فشبه الجزيرة و يتبلقن ٤ وهذه الاختلافات والمشاجرات التي تنشب بين الشعوب الحيطة بمقدونية الحزيرة والمباعر الادرياتيكي وبحر اليجنه تولد حرائق من الصعب احيانا حصرها والحد منها.

القرة الالمانية رسباق التسليخ كلف السلام اوروبا كثيراً منذ عام ١٨٧١، فقد تمتعت اوروبا بامتيال القرة الالمانية رسباق التسليخ قد تكون الوحيدة فيه باستثناء اليابان التي زاحمتها وحدها فيه وهي ان ارض دولها كانت تفترشها الشكنات العسكرية ودور الصناعات الحربية والاستحكامات، كما كانت دولها تكثر من حشد ادوات التقتيل واعتدة التهديم، وتاخذ بنظام الخدمة العسكرية بحيث يستمد للحرب ويتدرب على فنونها ، الملايين من الشبان .

وهكذا استمر الصراع الفرنسي الالماني خلال فترة السلام وسمم الاجواء وشعنها بالخاوف والاراجيف. وعرفت الامبراطورية البسهاركية ان تؤلب حولها روسيا والنمسا والمجر وإيطاليا. وبذلك جملت فرنسا في عزلة تامة . وهذا الحلف المقدس الجديد لم يتوقف عن التسلح وانتهى امره الى القطيعة والتفرقه فالانحلال ، والحال ، فقد جاشت المانيا بين ١٨٨٥ - ١٨٩٠ التي كان ازدهارها الاقتصادي مثار الاعجاب والدهشة ، بروح استمارية وشرهت نفسها الىبناء امبراطورية استمارية لها . فع غليوم الثاني طلع علينا جيل من الالمان قدر عالياً الانجازات التي قام بها الرواد وتطلع الى القيام بالمجازات اكبر واروع . كان لا بد للشعب الالماني الآخذ بالنمو والازدياد وان يشتري وبالتالي كان عليه ان ينتج وان يبيع اكثر فاكثر كل يوم . ولما كان فخورا بما تيه وبالمدن له من عدة وعتاد ، وبالسبق الذي حققه في مجال الصناعات الحديدية والكيميائية ، وبالمدن الجبارة التي قامت على ارضه ودياره ، وبثقافته النفية والعلمية ، فقد راح ينظر شزراً الى الثروة الشخمة التي تمت لفرنسا ، والى عظمة الامبراطورية البريطانية ، وقد تشبع بفكرة حقه الصراح الضخمة التي تمت لفرنسا ، والى عظمة الامبراطورية البريطانية ، وقد تشبع بفكرة حقه الصراح

بترزيع اعدل واقرب للمنطق ، للخامات والمواد الأولية في العالم ، وهو حق عرف ان يناله بمد فترة طويلة من القصور والعجز المشين، وبعد ان حقق مثل هذه النهضة العظيمة التي تمتله ، قام هنا في اوروبا الوسطى وشمب وقم تحت النير فطأطأ رأسه واقتصر وضعه على انضباط سلبي » كا يقول فيه بيغي ، ومجتمع جذل لخضوعه لدولة هي ظل العناية الربانية على الارض، ولهيئة من الموظفين المدنين والعسكرين، وقدر عالياً قيمة النظام والبزة الرسمية وقد ثمل عم له من قوة العدد والتنظم والقدرة على تأليف الشركات . وهذا المجتمع عرف جيل هؤلاء الاشتراكيين الذين ابطلوا فعالية الدولية كا قدر عالياً هؤلاء الذين دافعوا عن العرقية أو العنصرية فصقلوا لهذه الامتمراة ، ابرزت عند النظر اليها قسمات العنصر الالماني وسماته المعزة . فقد قرض واغنر على الاجنبي ذوقاً موسيقياً انبثق من المانيا ، وقد ارسل هذا الشعب هؤلاء التجار المتجولين الى جميع القاصي الارض يرغبون الناس ويدعونهم لشراء المصنوعات التي خرجت من يد النبوغ الالماني الخلاق ، ويحث بحارته في اننسروا العلم الالماني خفاقاً فوق جميع البحار كما دعا جيشه للاحتفاط بباروده جماعاً وان يتشكم قيصره عالياً . و فالدوران اعترى دماغه ، كما يقول رومان رولان ، عام ١٨٩٩ . فعند يتكم قيصره عالياً . و فالدوران اعترى دماغه ، كما يقول رومان رولان ، عام ١٨٩٩ . فعند يتشه وشتراوس والامبراطور غليوم شيء من النيرونية التي يعبق بها الجو ، .

وبخلاف الاميركين الذين يهدرون مواردم هدراً ، يتفنن الالمان من جانبهم ، بالافادة ما تم لهم من هذه الموارد ، ومع ذلك فاقتصادهم يبقى ضعيفاً ، وهناً . وعندما يعجز الالمان عن تأمين التوازن في حساباتهم عن طريق الاستثمارات الناجحة في الحارج ، يضطرون للضي في التوسع بعد ان يخفضوا اسعار الكلفة الى الحمد الادنى . ولذا عاشت البلاد دوما تحت كابوس تضييق اسواقها التجارية وبما ان موقفهم السياسي Weltpolitik يضطر بريطانيا العظمى للوقوف الى جانب قرنسا وروسيا ، فالسباق على التسلح البري تضاعف بسباق مجري لم يقل احتداما وخطراً وكلفة عمن الاول . فبينما تعمد الدياوماسية الالمسانية الى الشانتاج احيانا والدعوة المكشوفة الى الحرب وهي طريقة لم تنفع في توسيع مدى المستعمرات الالمانية في الخسارج ، وازداد الرابيخ نرفزة بعد ان رأى نفسه عماطا من كل جانب . ان موقف المانيا المتاز في قلب اوروبا جعلها في وضع ممتاز كذلك لبسط سيطرتها على همذا الجزء من القارة الاوروبية ، فهي اوروبا جعلها في وضع ممتاز كذلك لبسط سيطرتها على همذا الجزء من القارة الاوروبية ، فهي تشعر بأن هنالهما ما يحد من طاقتها من كلا الشرق والغرب على السواء ، ما يحملها عرضة تشعر بأن هنالهما وحدد في الجنوب همو الامبراطورية الاوسترو حدنارية ، اذ دهاها ما سبب لفقدان حليفها الوحيد في الجنوب همو الامبراطورية الاوسترو حانبها حتى النهاية .

 التكاليف عندها . فبينا ترصد الموازنة العامة في فرنسا ملياراً ونصف المليار للجيش وللاسطول الحربي ، فالبرلمان الفرنسي يرصد ٣٠٠ مليون قرنك للتربية والتعليم ، و١٠٦ ملايين للاشفال العامة في البلاد وللاسعاف العام ، قبل عام ١٩١٤ . ان بناء طراد واحسد كان يكلف الدولة بين ٣٠ – ٤٥ مليون فرنك ، اذ ان الطلق الواحد يكلف ٤٠٠٠ فرنك (اي ما يوازي المرتب السنوى لموظف متسوط) .

فالمبدأ القائل: اذا اردت السلم فاستعد للحرب؟ فرض نفسه كبدأ ساحر وبدا ان لا مناص منه ولا حيدة عنه لاوروبا هذه الطاعنة في السن . نحن امام انقسام تاريخي ولاشك . ولكن هل كان من المقدور أن يحول تنوع الطاقات الوطنية بين دول القارة في نهاية الامر هذا التنوع الذي كان ور<mark>اء عظمة ا</mark>لحضارة الاوروبية <mark>دون تحقيق وحدتها السياسية التي وحدها تستطيع ان تحول</mark> <mark>دون الانقسامات الجفرافية الاخبرة المنذرة بإنهبار محتوم ؟ فالمسانيا التي رشحت نفسها لرئاسة</mark> وقيادة تجمع أوروبي ؛ حلت نوعاً ما ؛ بعد فارق ٧٥ سنة ؛ محل فرنسا التي حاولت هي الاخرى تحقيق مثل هذا النجمع، وهي محاولة ستبوء بالفشل ا<mark>مسام الصخ</mark>رة البريطانية، فمعاصرو غليو<mark>م</mark> الثاني والاميرال تربتز يستطيعون اكثر بما تم لمعاصري نابوليون ان يضطلعوا بمهمات علىمستوى عالمي . وانصار مماسة ال Welspolitik لن يعدموا وسيلة النهوض بهذه السياسة ، ماوحين بالخطر الاصفر حينًا ؛ وبالمنافسة الامركية احيانًا ؛ كما يحتجون ؛ من جهة ثانية ؛ بالعجز الذي نزل بالشعوب الاستعمارية القديمة والقصور الذي اصيبتبه . ومع حرصهم على صيانة مصالحهم الاساسية والدفاع عنها ؛ فقد وقفوا الى جانب روسيا ؛ عام ١٨٩٥ ؛ لارغام اليابان ؛ على النخلي عـــن منشوريا والانسحاب منها وعماوا على تعيين قائد عام الماني لقيادة الجيش الدولي الذي عهداليه اعادة نفوذ البيض الى العاصمة بكين. الا انهـــم نظروا الى الحلف المعقود بين انكلترا واليابان نظرهم الى خيانة مصالح اوروبيا . وقد تجلت اطماعهم وبرزت بصورة اجلى واوضع في الوقث الذي اخذ فمه الاستعمار الاوروبي يصادف صعوبات جديدة .

> ثلاث <mark>حوادث فثل ت</mark>صاب بها اوروبا : الحبشة ، كربا ، منشوريا

الاستمارية . يجب ان نضع جانبا قضية كوريا التي انتهت بتقهقر اليابان امام تدخل المانيا وفرنسا وروسيا . صحيح ان بريطانيا العظمى انتصرت على الترانسفال بعد تضحيات كبيرة ، في الوقت الذي تابعت فيه فرنسا تغلغلها في افريقيا السوداء باحتلالها جزيرة مدغشقر الكبيرة . الا ان الدول الاوربية خسرت ثلاث حروب خاضتها خلال هذه الحقبة ، فعجزت ايطاليا عن التغلب على الحبشة ، كما ان اسبانيا انهزمت في كوبا والفيلبين، وروسيا غلبت على امرها وانهزمت انهزاماً منكراً امام اليابان في منشوريا .

قانكسار ايطاليا في عدوة امام الاحباش يجب رده اصلا الى عدم تقدير الامور قدرها اللازم والى نقص جذري في الاستعددات الضرورية . ومع ان هذا النصر تحققه الحسنة امن لها فدة من الهدوء والسلام ، فلم يستطع ان يوقف الحركة الاستعارية في افريقيا . وقد رد الماتول فرانس صدى في اوروبا بدهشة كبرى لدى انكسار الاسبان امام الاميركيين . وقد رد الماتول فرانس صدى تكهنات هؤلاء المراقبين ، في كتابه و التاريخ المعاصر » . اما هزيمة الروس فقد كان لها وقع دونه وقع الصاعقة ليس في الاوساط العالمية فحسب ، بل ايضاسبب ثورة ضد نظام الحكم العنصري هزته هزا عنيفا دون ان تسقطه ، كا سببت منافسة حسادة بين فرنسا والمانيا نشبت حول قطر روسيا ، جاءت اليابان تدعمه في آسيا .

ه<mark>نا تكمن الاسباب الاصيلة لحادثين من اضخ</mark>م الحوادث التي استهلت التاري<mark>ـــخ المع</mark>اصر: الحرب العالمية الاولى [،] ١٩١٤ والثورة البلشفية [،] عام ١٩١٧

> الدول الاستعمارية خارج اوووبا بروز الولايات المتحدة الاميركية واليابان

حوادث الخيبة والفشل التي لحقت باوروبا في المجال الاستعباري، اصابتها في هذه الاقطار والاصقاع التي اصطدمت فيها بهذه الدول الاستعبارية الفنية المنافسة لها . وهـنا الفشل ينفق وقوعه مع ظهور الولايات المتحدة الاميركية واليابان

المتزامن ؛ بوصفها دولتين من الدول الكبرى الغازية .

فبالرغم من الفوارق التي تباعد بين مجتمعها ٬ والمفارقات التي تميز حضارة كل منها٬ فهنالك مع ذلك ٬ نظائر مشتركة بينهما اذا ما نظرنا الى سياستها العالمية .

فالولايات المتحدة بلاد المجائب والفرائب المدهشة تؤلف بيئة حليمة مسعفة الى اكبر حسد للنجاحات الفردية كما تكون ملاذاً يكن اليه كل من تمذر عليه العيش او اصيب بالضم والحيف في المالم القديم . كل شيء فيها تم على عجل وبدا ضخما جباراً وكل شيء فيها يسدل على ان مضارتها امتداد لحضارة اوروبا الشيخة ، في الوقت الذي راحت فيه الاذواق والناذج الاميركية تتحرر وتتسم وتتنوع .

واليابان القديمة ، بها لها من طابع غريب عبب عرفت ان تسعر الشعراء والفنانين والهواة ، وبالرغم من هسندا التحول الصاعق الذي حقلته حضارتها الصناعية فقسهاتها المميزة لم تتغير ولم تتبدل وما زالت تفتن بسحرها الاخساذ واحداً مثل اتكادير هيرن، والذي عرف عنها وفاع خبره بين الناس شرقاً وغرباً هو رخص البضاعة اليابانية التي اخذت تنافس الى حد بعيسد مسنوعات اوروبا راميركا في الاسواق الآسيوية ، والاستوائية.

ويشيد جوريس « بهذا القطب الرأسمالي المتألق » ملمحاً بذلك الى جمهوريـــة آل كارنجي وآل فندريلت وبيار بونت مورغان وروكفار . فالفردية الليبرالية مهدت السبيل لطاوع طبقة

متنفذة من كمار رحال الثروات الطائلة لم تعد تحسب حسابًا للحاكم وللنقابة والنظريات الثوروية فتحت لها في الداخل اسواق تبز اوروبا باتساعها . وقد اطل علينًا عهد من الامنداد والضخامة بحبث ان حركة التجارة الخارجية تضاعف حجمها بين ١٩٠٠ - ١٩١٤ ، وزادت ثلاثة اضعاف باتجاه آسيا . واستثمرت اكثر من ستة مليارات من الدولارات في الخارج وانشأت لها بالفعل امبراطوربة في امسيركا الوسطى والحيط المسادي كما ان اميركا اللاتينية هي على وشك ان تصبح منطقة نفوذ لها وحدها يفضل سياسة الرابطة الاميركية . فمداخلاتهـــا كتحكم لحل قضية منشوريا والمغرب تشير بالفعل الى ما بلغته من اشعاع عالمي ، كما أن سياسة «الباب الفتوح» عليها ال<mark>دول الاستع</mark>مارية الاوروبية واليسابان . وهذه الرأسمالية المركزة تلم<mark>ب دوراً بار</mark>زاً في طوكيو ايضاً ويشد من ازرها عدد من السكان يشكو الفقر ابداً في نماء وازدياد ، تشحيف الحاجة فيهم الاطماع. ولما كانت اليابان بأشد الحاجة للتصدير بأي تمن لتأمين اسبب العيش للاهلين وفقد دخلت باندف على وقوة لا تدفع عصر الاستعمار . فتحت ستار الدستور ، لا تزال احزاب ال Genré تحكم البلاد بامم الميكادو وبامم النظام الاوترقراطي الستبد الذي تسير عليه معتمدة فيه على الجيش والاسطول والبيروقراطية مبقية تحت قبضتها الجساهير العمالية . فبعسه ان انتصرت على الصين وفازت بروسيا واصبعت حليفة لانكلترا وشريكة الإئتلاف الثلاثي في ارروبا ؟ احتلت نيبون (اليابان) فورموزا كما احتلت كوريا والقسم الجنـــوبي من منشوريا ؟ وأقامت لها علاقات تجارية وطيدة مع الهند والصين والهند الصينية واصبحت في آن واحسب زبونًا للولايات المتحدة الاميركية تستورد منها وتصدر اليها ، زبوبًا من الدرجــــة الأولى ، وحاولت أن تكسب تجاريا على حساب أميركا _كل منطقة المحيط الهـادي . فهذه الصين التي راحت قريسة الفوضي تسحرها بمالهـــا من موارد وخامـــات ضخمة . فهي ان عملت على إيقاظ آسيا ؛ ففي سبيل طرد « البرابرة ، البيض واخراجهم منها ، شريطة ان تعمل هي عــــلى استثارها لوحدها.

ولف انهار الامبراطورية الصينية القديمة حادثا تاريخيا ضخما تتعدى التراع الشائفة الدينية القديمة الثورة التي قام بها اتباع الطائفة الدينية المعاودة عام ١٨٥٠ والصين تحاول البروز بصورة متجددة دون ان تحسن تحديد تقاطيع وجهها . هنالك قوى هادرة تعتمل في هذا الهيكل الصيني العتيق الضخم ، التمسك بالتقاليد المستحكمة . فالرأسمالية حققت من جهتها نجاحيات باهرة سريعة . فمنذ حسادث البوكسر (الملاكمين) اخذت الصين تكثر من انشاء المصانع والشركات التجارية كما انشأت لها شبكة من الخطوط الحديدية ، ووثقت من الروابط التي شدت بين الطبقة البورجوازية التي اخذت تتكون وتفوى وبين الاجانب الذين ضاعفوا من استثاراتهم في البلاد خسلال عشر سنوات . ثم ان وجود «البرابرة البيض » ، من جهة ثانية كان بمثابة جرح بليغ يجرح من كبريائها . فقسد

اخذت المتضادات والمفارقات تبرز اكثر فأكثر . هنالك صين قروية ، ريفية زراعية يجري اعتصارها بشكل لم يستى له مثيل من قبل . ولما كان الميزان التجاري يتسع يوما بعسد يوم ، والوحدة النقدية الا Tuel تققد من قيمتها الاسمية ، كانت تكاليف الحياة دوما في ارتفاع . ومن جهة اخرى ، فأزمة الشاي الناجمة عن انخفاض التصدير حملت الدمار والحراب الى الولايات الجنوبية بكاملها حيث كانوا يتخلصون بسهولة من المواليد الاناث . الا ان صيين الاستثارات وصين التجارة والاعال الكبرى رفعت عالمياً واجهتها البذخية ، فبدت مزيجاً غريباً من الروح الاسروية ومن الروح الاوروبية ، كا بدت لنا في صورتها المشلى ، في مدينة شنغاي ، مشلا ، كالرسوية ومن الروح الاوروبية ، كا بدت لنا في صورتها المشلى ، في مدينة شنغاي ، مشلا ، كالرسوية من رود ، عام ١٩٩٠ الذي يقارن بين هونغ كنغ ، مثال النجاح البريطاني في هذه الناحية من المالم ، وبين كنتون و المربعة ، بقناتها القيندة التي تنص بها يطرح فيها من النفايات والاوساخ ، وهذه الارتال من المستعطين تتقزز النفس لرؤيتهم ، يقابسل في الطرف الآخر منظر الاوساخ ، وهذه الارتال من المستعطين تتقزز النفس لرؤيتهم ، يقابسل في الطرف الآخر منظر أخاذ من السحر والتصنم .

وبعد ان احبطت حكومة الصين محاولة اصلاح استمرت مائسة يوم عولت الادارة الامبراطورية على المباشرة باصلاح من طراز اسكندر الثاني: يتناول الوظائف المامسة والامتحانات والمحاكم والجيش. ومنعت منعاً باتاً محششات الافيون ، ووعدت بمد البسلاد بدستور جديد. الا ان عجزها الواضح غل في يدها وعجزت عن تحقيق شيء من هذا. فهي لاتستطيع الاعتاد على الاجنبي ، كما انها تعجز عن محاربته وايقافه عند حده . فقسد آلت حركتها هذه في نظر طلاب الاصلاح الى الانتقاص من كرامة البلاط والحط من هيبتها ، دون ان تتوصل الى اصلاح شيء .

قام بين المفكرين والتجار العاملين خارج الصين حركة ثوروية رمت الى التخلص من الاسرة المنشر كية المالكة سعيداً ومن الا Meiji . فالانتصارات التي حققتها اليابان والثورة الروسية التي وقمت عام ١٩٠٥ بعثت فيها النشاط وحركت فيها الرغبة بعمل شيء ما للخروج من التي وقمت عام ١٩٠٥ بعثت فيها النشاط وحركت فيها الرغبة بعمل شيء ما للخروج من الوضع الزري الذي انحدرت اليه الادارة والبلاد ووضعت لهذه الحركة منهجا استمدت خطوطه الكبرى من المثل الانكلوسكسونية ، واضعة نصب اعينها : الحرية والديوقراطية واحسلال نظام الاقتصاد الرأسمالي على الوسائل البالية المتبعة في الانتاج . والدكتور سن – يات – سن الذي تلقى دروسه تباعاً في الكلية الاميركية ، في هونولولو ، ثم في كلية الملكة في هونغ كنغ ، ثم انتقل الى كنتون قبل ان يقوم برحة طويلة الى امديركا واوروبا طاف خلالها على الجاليات ثم انتقل الى كنتون قبل ان يقوم برحة طويلة الى المديركا واوروبا طاف خلالها على الجاليات الصينية الكبرى الموافقة حول الامبراطورية السياوية ، دخل عضواً في عسدد من الجميات السرية ثم انشا ، هو نفسه و جمية يقظة الصين » و دخسل في عضويتها كثيرون من الصينيين ومن رجال المفكر ورجال المال والاعمال العاملين في مناطق الامتيازات الاجنبية او في اليابان وفي غير ذلك من المناطق والاقطار الآسيوية ، وراحت تنادي بسيادة الشعب وبتوزيع الاراضي وفي غير ذلك من المناطق والاقطار الآسيوية ، وراحت تنادي بسيادة الشعب وبتوزيع الاراضي

الاميرية على المزارعين . وحاولت هذه الجمعية ان تجر وراءها الطبقات المتعلمة ، المتذمرة وان تقيم لها علائق مع الجماعات الوطنية في التونكين التي تقوم بأعسال المشاغبة ، ولم تكن بغريبة قط عن محاولة انقلاب في كوريا ضد الاحتلال الياباني الجائر . وساعدت سلسلة من ازمسات الجماعة وقحط المواسم المتعاتبة وبوارها على حمل جميع من يتأففون او يتذمرون لامر او لآخر على الوقوف موقفاً معادياً لبكين . وثار العمال العاملون على الخطوط الحديدية او العاملون في توسانة هان سد كير ، كما تمرد قائد الجيش يوان سم شي سدكاي ، واعلن العصيان على الامبراطور . وهكذا وقعت ثورة عام ١٩١١ .

وعبثاً راح سن بؤسس حزب الشعب باسم كومين- انغ الذي رمى الى المناداة بنظام جهوري ديوقراطي ، فلم يستطع ان يعتمد على الجاهير الامية البائسة ، ولمساكان صينيا من الجنوب فلم يستطع ان يكون اكثر من رئيس لجهورية الصين الجنوبية ، ولم يلبث ان انسحب من الحياة العامة ، فعادت السلطة الى يوان الذي ماكان يتخلص من الاسرة الحاكمة حتى راح يفرض نفسه على البلاد بأجمها، وبعد ان اتن لنفسه ولا مبكينو الجيش في الشهال اعاد تكوين وحدة البلاد لمصلحته الحاصة . وعرف ان يؤلب حوله كبار الموظفين وحكام الولايات وارباب التجسارة واصحباب الثروات والقوى الاخرى التي اشد ماكان يقلقها رؤية الفوضى في البلاد . وهكذا تمكن هذا المبدي الذي جاشت نفسه بالاطهاع . ان يجمع بين يديه وان يحتكر لنفسه السلطة في هسذه الجمهورية الناشئة . وهكذا فحصير هذه الصين الشاسعة الاطراف الفريبة الاطوار بقي لفزاً محتذا الجمهورية الناشئة . وهكذا فحصير هذه الصين الشاسعة الاطراف الفريبة الاطوار بقي لفزاً محتذا

الحركات القومية خـــارج اورربا بوادر ردة مضادة للاستعمار

فاذا ما وتحركت الصين وتمطت، فلم يكن ذلك للمرة الاولى. ولم ينتظر فكتور بسيرار نهاية الحرب الروسية اليابانية ، ليضم كتابه الموسوم: وثورة آسيا ، وعلى الافر توالى على

الظهور فيض من المطبوعات والمؤلفات التي تمالج القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية حتى والستراتيجية التي اثارتها انتصارات جيوش الميكادو والصدى الداوي السني احدثته والاثر البعيد الذي اطلقته في البلدان والاقطار المتصلة بالحيط الهندي والحيط الهادي، حتى في تركيا. فالمعلقون السياسيون ورجال السياسة من اليابانين انفسهم لم يكتموا قط الآمال المراص التي جاشت بها نفوسهم . فالمؤلفات التي وضعها المؤلف الياباني اوكاكورا بعنوان : « مثل الشرق » و « يقظة اليابان » تؤكد بوضوح وحدة الآمال التي تجيش بها قساوب الآسيويين . صحيح ان المؤسسات الاوروبية والاميركية لم يبد عليها ما ينم عن خوف او مسايشعر بقلقها ، الا ان حوادث الاضطرابات الفردية التي يكاد لا يشعر بها احد هنا او تتخذ لها هنالك طابعا مزعجا ، اخذ يتكاثر وقوعها ، شيئا فشيئا . فقد قامت حركات وطنية مناهضة للاستمسار . فالفتح الباباني اقلق خواطر كثيرة في بلدان كثيرة وراح سكان هذه الاقطار يقومون بحركات رجعية الياباني اقلق خواطر كثيرة في بلدان كثيرة وراح سكان هذه الاقطار يقومون بحركات رجعية

بدافع بما ينبض فيهم من بغض شديد لمسا هو اجنبي ، لم يكن مسع ذلك ليتنافى بالضرورة مع الرغبة باعداد محاولات اصلاح سياسية واجتماعية ، (وضع الصين خير شاهد على ذلك) ، كثيراً ما ارتدت شكل رفض لانماط الحياة الجديدة .

فحزب الاستقلال الذي غلب على امره في الفيلبين؛ عام ١٩٠٢ ، لم يستطع النهوض وراحت الولايات المتحدة تشدد من قبضتها على الارخبيل المذكور وتعمل بسرعة على مسده بالاجهزة والاعتدة التي لا بد منها .

وفي الحين الذي اشتدت فيه مقاومة الكوريين لسيطرة اليابان ، وهي مقاومة لم يتمكن اليابانيون من كبحها وكها الا بعد عام ١٩١٠ اخذت بنكوك تعمل عكس ذلك قاما ، وتسمى الى توسيع حرباتها بالاعتباد على طوكيو . فالسلام هيمن على شبه الجزيرة الهند الصينية . فلم يقم في وجه الحاكم الفرنسي العام دومر اي حركة مقاومة يحسب لها حساب ، بعد ان امعن في إذلال الامراء وحكام الولايات قبل ان يبدأ بتطبيق برنامج واسع من الاشغال العامة . وقد راح خليفته بول بو محاول تحسين العلاقات بين المثنقين وبين الفرنسيين مع قيامه ببعض الاصلاحات الانسانية . والحطر الذي ذر قرنه بين التونكين عام ١٩٠٨ حيث قامت حركة قرد لم تلبث ان قعت بسرعة ، بقي يراود ذكر و الاذهان ، لا سيا في هذه السنوات التي تلت رأسا ، المساعدة التي كن ان يلاقيها خصوم فرنسان في كل من الصين واليابان . وقد استؤنف العمل الاستعماري بين شعوب هذه الاقطار دون ان يتنكر احد منها الفوائد الناجمة عن هذا العمل .

اما في الهند ، فاليقظة القومية أحذت تنشط وتحتدم بسرعة . فعلى اللورد كورزن الذي يذكرنا نشاطه بنشاط دومر في الهند الصينية ، أن يحسب حساباً لهذه الجماهير الوطنية الستي تعتمل فيها وتختمر قوى محافظة مشهورة بمدائها للبريطانيين ، وللذرائع والاساليب الاوروبية وطبقة من المثقفين تطمع بأبصارها الى التربع في الوظائف الكبرى ، وبورجوازية تساعدها الارباح التي تحققها في التجارة والصناعة الناشئة ، على تضخيم المطالب القومية .

فشبه الجزيرة الهندية ؟ كالصين نفسها تفيض بهذه المفارقات والمتناقضات الحرية بالملاحظة . وفعدينة بمباي ؟ كا يلاحظ احد الاداريين الانكليز عام ١٨٩٩ عدينة صناعية عصرية حيث الصناعة الحديثة تأسر النظر بوجهها السكالح والمشع معاً. ففي بمباي احياء عنازلها واطبة عير صحية يتكدس فيها السكان على اشد ما بلغه تكديس السكان في المدن الاوروبية فيها العديد من اصحاب الملايين الذين ساعدوا بهباتهم ومكارمهم الانسانية ؟ على تشييد الابنية الضخمة السبق تودان بها المدينة » . والتحقيق الذي أجرته لجنة من لجان العمل ، عام ١٩٠٧ ، يشهد عاليسا بالفقر المدقع الذي تتخبط فيه البروليتاريا ، وبنزل بالمصانع التي تجلج فيها القطن حيث يعمل العمال من ١٧ ساعة في اليوم ، بأجر يتراوح بين ٢٥ سـ ٣٣ فرنكا في الشهر الواحد ، كا يشير الى ان العديد من الاولاد ، بين السادسة والسابعة من اعماره يعملون ١٢ ساعة في اليوم

ويكسبون نصفه هذا المبلغ في الشهر. إلاميؤدي نجاح حركة مقاطمة البضائع الانكليزية ياترى ؟ فقد تبدى لبعض المفكرين في الهند، أمثال رابندرانات طاغور ان استفناء الهنود عن استمال البضائع الانكليزية من شأنه ان يزيد استثار الجاهير فداحة . اما فيها يتعلق بالاستقلال الذي يطالب به تيلاك والذي أقره المؤتمر الهندي عام ١٩٠٦ ، فهل يعني قيام دولة هندية تتطور على طريقة اليابان ، أو على الطريقة التي اقترح الاخذ بها غاندي منذ عام ١٩٠٧ ، اي اعلان المقاومة في وجه التقدم ، على اي شكل كان . وشجب التصنيع ، ومنع كل مسا يولد الضجيج والرجوع بالبلاد الى المغزل . ومهما يكن ، فقسد أطل على الملاد ، عام ١٩٠٨ ، عهد من الاضطرابات طلع اول ما طلع ، في البنغال ، لم تعمل على تهدئتها ولا على ادخال الطمأنينة الى النفوس القلقة ، الاصلاحات التشريعية الجديدة التي أجراها اللورد منتو ومورلي . صحيح ان المؤتمر بقي تحت سيطرة المعتدلين الذين يخشون دوماً الحركات الارهابية المتسمة بالمنف ، والحادث المهم هنا هو طهور المصبة الاسلامية لجيم المند التي جاءت تردف هي الاخرى المعارضة لوجود الاجنسي في البلاد . عاد غاندي الى المند ، عام ١٩١٤ ، وسيعطي بفضل ما له من شخصية بارزة ، الحركة البلاد . عاد غاندي الى المند ، عام ١٩١٤ ، وسيعطي بفضل ما له من شخصية بارزة ، الحركة الوطنية في المند ، قوة جديدة ، ودفعاً شديداً الى الامام .

من اهم اغراض غاندي والاهداف الرئيسة التي وضعها نصب عينيه ٤- شد اواصر الوحدة بين المسلمين والهندوس. قهو لا يجهل قط ما للاسلام من اهمية وشأن كبيرين في آسيا وافريقيا. وقد لاحظ بعين ثاقبة الارتجاجات والهزات المنيفة التي واجه بها الضغط الاوروبي. وقد سلم المعاذلي خوده بخش وبأن القرآن يصح ان يكون دليلا ومرشداً للمؤمن لا ان يكون حجر عيارة او حائلا دون التطور الاجتاعي والادبي والقضائي والفكري ». كذلك ٤ شدد على إظهار المخاطر الكامنة تحت شعار بعض الفئات التي تدعى انها متطورة: واخذنا عن الاوروبيين لباسهم وطريقة عيشهم حتى مساوئهم المروفة من معاقرة الخرة الى الميسر ٤ الا انتا لم نأخذ شيئاً من فضائيل عيشهم حتى مساوئهم المروفة من معاقرة الخرة الى الميسر ٤ الا انتا لم نأخذ شيئاً من فضائيل كبار عمثلي انكلترا في الشرق ٩ مو اللورد كرومر ان يكتب عام ١٩٠٨ قائلا : و لا سبيل الى المسلاح الاسلام . قالامر الذي يخضع للاصلاح لم يعد الاسلام ٤ بل شيئاً آخر ... لن يكون ممكنا المسريين المتوافقية الاوروبيين فقدوا اسلامهم واصبحوا اوروبيين من ذوي اللافقريات ٤ ولويس برتران ٤ هذا المراقب الحصيف يذكر ٤ عام ١٩٠١ ، في كتابه الموسوم والسسراب الشرق ٥ ملاحظا : و لن ندرك ابداً هذا الغضب والحقد الذي يثيره في قلب سكان المدن الجزائرية ٩ من الهام البلاد الاحلين ١ الواجب الماترت عليهم بافراغ سلة القيامة في ساعات معينة من النهاد » من الهاد الاحلين ١ الواجب الماترت عليهم بافراغ سلة القيامة في ساعات معينة من النهاد » من

فالمسلم اعتبر دوماً ، على اقدار مختلفة ، وجود الاوروبي في دياره ، ضرباً من الاهانة تصيبه في الصميم ، فهو لا يمكن إن يألف او ان يأنس الى وجود حكومة تدين بفسير دينه ، كما يلاحظ موظف روسي عمل مدة طويلة في التركستان . فهو يصف بالجنون هدا السباق الى

التسلم الذي يستسلم له غزاته ومستبيحو ارضه وبلاده . ﴿ بَلَغْتُ اوْرُوبِا اوْجُ قُوتُهَا وَبَطُّسُهَا ﴾ كا يؤكد يحيى صديق . وبالرغم مها حققت من امجاد وعظمة وقوة فهي اليوم اكثر انقسامـــاً عـــلى نفسها واكثر عطبًا من اي وقت مضي ۽ . ولذا قام دومًا بجالة كمون ، شمور بجامعـــة اسلامية تحمل المقت لما هو اجنبي غريب ، كثيراً ما برهن عن وجوده ، هنا او هناك ، بشكل او بآخر ، واحيانًا بعنف شديد . . . فني الوقت الذي ارتدت فيه الحركة الوهابية الى نجــــد ، فالحوف بقي عور الحركة السنوسية التي تقوم بدعوة لا تمل تمتد من ضفاف خليج سسرتا الى مشارق النيجر ونهر الفانج . وقد احسنت الصمود في وجه الايطاليين في طرابلس الغرب . وترهمت ايطاليا انها امام تركيا، كا يلاحظ هنوتر، فقد وجدت نفسها وجها لوجه مع الاسلام، فالطريقة السنوسية اختارت لها طرائق سرية تتصف بالفطنة والحذر ٬ وابت أن تربط نفسهسا بعجة القسطنطينية عندما حاول السلطان عبد الحبيد ان يرفع فوقها علم الخلافة . فالجامعية الاسلامية ؟ هذه الرابطة السياسية الدينية التي سبق لغبرييل شارم ان حذر ؛ منذ عام ١٨٨٣ ؟ من الاخطار التي تثلما ، اتخذت سلاحاً لها وعدة الترهيب ودهاء الدبلوماسية ، لم تتورع عن هدر دماء المسيحيين في ارمينيا وكريت ومقدونيا ؟ والسلطان الاحر نفسه طوح بـــه الغــرور لاقامة علاقات مع اليابان ، بعد أن راح بعضهم يبشر مهدداً بقرب اعتناقها الاسلام بالجسسة . وهنالك حركة تقارب ظهرت سنة ١٩١٢ ، بين المسلمين وبين الوطنيين من الهنود والصينيين . فنعت تصرف الاسلام والمسلمين اكثر من ١٠٠٠ ص<mark>حيفة أوروب</mark>ية ، يخرج بمضها من القاهر<mark>ة</mark> باقجاه <mark>بغد</mark>اد وطهران وامرتسار ؛ والبعض الآخر من القسطنطينية باتجاه عباي او ب<mark>انجساه</mark> معاكس ، فتصدر عن كلكونا باتجاه ابران وتركما ومصر .

وهذه الجامعة الاسلامية الحيدية ينتصب في وجهها قوميات فتية . فلم تستطع كبت النفور المستعصي بين الاتراك والعرب ، في قلب السلطنة العانية وراح جمال الدين الافغاني يشيد عالياً بعضارة العرب وشهدنا في لبنان بعثاً من دعاته وحملته الكبار خليل مطران وجبران خليل عبران . ويقوم الكاتب السوري الكواكبي يطالب بوجود الخليفة - خليفة المسلمين في مكة المكرمة . وفي عام ١٩٠٥ ، اذاعت عصبة الوطن العربي من باريس نداءها المشهور ، في الوقت الذي راح فيه نجيب عازوري ينشر كتابه : « يقظة الامة العربية » . ونشبت في الحين ذاته ، الخجاز وفي المن ثورة عجزت تركما عن قمها بالقوة .

وبعد ذلك بقليل قامت في الاستانة ث<mark>ورة استبدلت</mark> النزعة الاسلامية التيقال بها عبد الحميد، والتي بامت بالفشل وقابلها الناس بالاعراض ، مجزب وطني تركي هو حزب تركيا الفتاة .

وحوالي عام ١٨٩٥ ، أطلت علينا الجامعة الطورانية ، ظهرت اول ما ظهرت عند تتسار روسيا ، اذ قام بعض اغنياء تجار بلكو بدعم حركة تدعو للم شعث الجماعات الطورانية المتناثرة حلقاتها بين فنلندا ومنشوريا ، للوقوف في وجه القيصرية الروسية السي كانت تدعسو وتعمل

« لترويس » هذه الاقوام . فقد ضم اول نجلس تمثيلي روسي (دوماً) عدداً محترماً من الاعضاء المسلمين كان لهم وقع مهيب في النفس اقلق خواطر اولى الامر في روسيا . فلم تتطور الامور ٠ من هذه الناحمة ؟ إلى ابعد من ذلك . إلا إن اكشورا أوغلو ؟ أحد تتار الفولفا، جاء الاستانة واسس فيها جمعية طورانية ، حيث قام احد مواطنيه المدعو احمد بك آغا يبث دعاية ناشطة بين حملة الفكر من خصوم حكم السلطان عبد الحميد . وظهر أذ ذاك الى الوجود حسزب تركيسا الفتاة عرف أن يكسب له أعضاء كثيرين في الاوساط التركية وفي صفوف الجيش، مستفسلا الفشل الذي بليت به عاولات السلطان <mark>ومعرضاً بالتنا</mark>زلات ال<mark>ى تخ</mark>لى عنها لحليفة ظل. وراح هذا الحزب يتفنى بفضائل الشعب التركى المسلم البعيد عن التمصب ونجح باقامته ، في وجمه العربي الذي وصفوه بالتقلب والفوضوي ٤ حركة قومية متعصبة مستهجنة تسلمت مقاليد الحكم، في البلاد بفضل جيش افراده من الرعايا والذميين ، اطلق عسلي لجنته الادارية اسم « الاتحساد والترقي ، ، اذ كانت تضم بين صفوفها ، مسيحياً ويهوديا ، وانتسبت بالمبادىء التي نادت بها الى اوغست كونت والى و فلسفته الوضعية الكاملة ، ، وراحت تنادى وبالعثانية ، بحيث يصبح كل رعايا السلطنة دون أي تمييز عرقي فيها بينهم ﴿ عَمَّانْبِينَ ﴾ . الا أن الفشل جاء تاماً ﴾ كاملا ، هنا ايضًا ، وذلك يفقدان تركبا طرابلس الغرب ، حيث تمثلت المقاومية وتبلور الصعود في وجيه الغازي المستسمع، بالسنوسيين ، وبفقدان البلقان ، وبانفصال البلدان العربية تدريجياً من تركيا . وقد ظهر آن د الوطن المثاني ، يجب آن يقتصر ، بعد أمد وجيز على العثانيين الاقحام . ففسي الحين الذي راحت فيه انكلترا تظهر عطفها على العرب، كانت المانيا تؤيد الجامعة الاسلامية الحميدية وتتظاهر بتأييد الحركة الوطنية التركية في الاستانة . وفي نهاية الامر ، لم يلبث حزب تركما الفتاة أن دب سوء التفام بينه وبين الجامعة الجرمانية .

سقوط عبد الحميد عن كرسي السلطنة سبق بقليل سقوط الشاه محد علي ، هذا الشاه المستبد في دولة راحت فريسة للفوض المخزية . هنا حزب تركيا الفتاة وهناك حزب ايران الفتاة ، وقد تألف الاخير منها من لميم الاعيان ورجال الفكر وبعض المفامرين جساؤوا من القفقاس ومن ارمينيا ومن بعض ائمة الشيعة . فتبريز تقف في وجه طهران . وقد راح الشاه فريسة هذا التقارب الذي تم بين الانكليز والروس ، فاضطر ان يجمع المجلس الوطني وان يعتزل الحكم عام ١٩٠٨ لابنه الشاب . الا ان الثورة التي تستجدي معونة المستشارين الاميركيين ، وتحاول لفترة قصيرة استالة برلين الى جانبها ، لم تستطع الصمود امام التدخل المزدوج من قبل الروس والانكليز . فحوادث الفتن والاضطرابات لن ينتهي عهدها بسرعة في ايران التي راحت فريسة الدول الاستمارية المجاورة لها .

والحوادث الدامية التي وقعت عام ١٩٠٨ – ١٩٠٩ في كل من تركيا وايران تردد صداهـــا في القاهرة . فقد كان سبق للورد كرومر ان غادر مصر بعد ان كان قد تولى ادارتها مــــدة ٢٨ سنة ، و عمل على تنظيمها و فقا لمتطلبات المصلحة البريطانية . ولكن الروح القومية المصرية التي بدت طلاقمها في قورة عرابي باشا ، لم تخمد جذوبها قط كا يلاحظ المستكشف شواينغورث علم معد . محلا من التعاون المؤقت ، فقد راح يؤكد بصوت مصطفى كامل و المصريون لمصر ومصر للمصريين » . ومع ذلك كان كامسل يراعي جانب المحتل . وعندما توفي عاد الاضطراب الى البلاد واشتدت حركة المقاومية كا راعي جانب المحتل . وعندما توفي عاد الاضطراب الى البلاد واشتدت حركة المقاومية كا صدت في المين والمند بفضل التطور الذي عرفته البروليتاريا الصناعية في البيلاد . و ان كلا ضفتي النيل ، كا يلاحظ لويس برتران ، عام ١٩٦٠ - تزخر بالمسانع ومعامل السكر ومعامل نسيج القطن التي ترقفع سحائب مداخنها السود قوق عزب الفلاحين ومنازلهم المتخذة من اللبن » . وجاء كتشنر واسرع الى تعطيل الجرائد الوطنية واخذ يلاحق احرار البلاد ويضيتي على زعائما المتناق . الا ان الملق الصحفي سدني راح يمترف بالحقيقة قائل : و لسنا محبوب في ي المناف المنافي اخذ ينتحب قائلا : و مسكين هذا النيل ، حقا مسكين . . . ما هيذا الانحطاط الذي سار اليه ! بعد هجمته السحرية التي امتدت عشرين قرنا نراه اليوم تنتقبل على متن ظهره ثكنات وكالة كوك الطافية ، ويغذي مصانع السكر ويجهد نفسه ليؤمن بما يغيض به من غرين خصب ، المواد الاولية للنسوجات القطنية الانكليزية » .

حري بنا أن تلاحظ هنا أن الحركات الوطنية في العالم الاسلامي أخذت تستيقظ في هذا الوقت بالذات الذي بدا فيه أن الدول الاوروبية أخذت تقضم من جنباته وتمتضي فيه نهشا وتنقاسمه. فغزو الدول الغربية المفحم وقع في الوقت بالذات الذي تم فيه غزو المفرب ولمفرب أفاضربة الوقت بالذات الذي تم فيه غزو المفرب ويفقل تلو الضربة الذي محتل الايطاليون طرابلس الغرب ويفرض الفرنسيون حمايتهم على فاس ويفقد الاتراك كل ممتلكاتهم في أوروبا باستثناء تراقيا الشرقية و وتبدو الاستانة وشيكة الوقوع بيد البلغار وآسيا الغربية تتمخض بانقسامات وطنية وشيكة الوقوع. أفلم ينشأ وطن قومي المهود في فلسطين ؟

والمقاومة في الغرب بدت عنيفة وطويلة ، فتمركزت في جبال الاطلس وفي الريف وحدود الصحراء الكبرى . ومن الامور التي لها مدلولها هنا ، مها قل شأنها ، ظهرور الحركة الثورية لتونس الفتاة ، التي ضمت بين صفوفها ، عدداً من رجال الفكر وبعض الشيوخ مطالبة بتوسيع الحريات وتنسبب ببعض حوادث العنف، اذ أن المقيم العام في تونس مسبو ألابتيت ، والسكرتير العام السيد روي إستمرا في ادارة الحمية وفقاً للبادى والنصوص التي حددها كمبون وروى نفسها ، وهو اتفاق راعى مصالح الاقلية الاوروبية في البلاد والدولة الحسينية المتعاقبة على الحكم . وفي الجو الهادى و الذي ساد الجزائر حيث ازدياد حركة الاسكان بسين الفرنسيين لم تستطع ، ولم النسبة العالمية التي سجلتها أن يزيل الفارق الكبير لصالح الاكثرية الاسلامية . واخذت ترتفع في تلك البلد ، منذ عام ١٩١٠ بعض الاصوات من بين الاوساط الوطنية

التي تخرجت ، هذا كا في تونس ، المعاهد المصرية على النهج الاوروبي. وقد اغتنم هؤلاء الشبان الجزائريون مناسبة تقديم مشروع الحدمة المسكرية ليطالبوا ، بالمقابل ، بالمساواة في الحقسوق والواجبات امام الضرائب ، ونشر التعليم وتمثيلا اكبر في مؤسسات البلاد . أما اصحاب المهاثم الذين تختار فرنسا من بينهم القضاة والاغاوات ، فقد رفضوا مشروع الحدمة المسكريسة في الجيش الفرنسي مدعين انهم انما يستجيبون ، في موققهم هذا لمطلب الدفاع عن حقوق الاسلام .

صحيح ان افريقيا الجنوبية الغربية الالمالية شهدت عام ١٩٠٧ - ١٩٠٥ انتفاضتين قامت بها تباعاً قبائل ال Hereros وقبائل ال Hottentots احتجاجاً منهم على الاستستار البشع الذي استهدفوا له ، وعلى سياسة العنف والبطش التي راحوا فريسة لها ، وهي سياسة اخذت الى حد ما ، تراعي جانب ابناء البلاد والتي استأنف الاخذ بها ، مند عام ١٩٠٧ امين سر الدولة درنبرغ . الا ان الزنجي مسلماً كان ام وثنياً ، لم يكن سواء في السودان او في مناطق الكونفو على اختلافها ، لم تكن اعتملت نفسه بعد و بالروح الافريقية » .

ومدغشقر لم تعرف سوى فتنة بسيطة وقعت عام ١٩١٣. وعلى عكس ذلك يجب ان نسجل هذا طاوع روح قومية جياشة في قلب افريقيا الجنوبية التي تمد مليونا ونصف مليون من البيض واربعة ملايين ونصف من السودان والهنود. فالمنافسة الحادة الطويلة التي قامت بسين البيض من بريطانيين وبويرز لتأمين السيطرة لجانب من الغريقين انتهت عسام ١٩٠٢ بغلبة العيض من بريطانيين وبويرز لتأمين السيطرة لجانب من الغريقين انتهت عسام ١٩٠٨ بغلبة الالإمام على الروح القومية التي يمثلها الا Afri Kanders الا ان الدومنيون الذي انشيء عام ١٩٠٥ بهلاد الاصليين عرف كيف يتغلب على وطنية الافريقيين وامتن قيام عهد من التعاون بينها وبين لندن نص على الدفاع عن حقوق البيض . وعلى غرار حادث شبيه بالحادث الذي وقع للولايات المتحدة الاميركية بعد حرب الانفصال ، فها كادت تنتهي حقبة والتعمير والانشاء ، حتى راح المنصر الوطني المفلوب على امره يعمل على ترسيخ وشائه المنصرية التي قال بها وعلى إظهار عدائه للرأ ممالية . وقد قام فريق من البويرز يلتفون حول الجنرال هرزوغ يطالبون باتخاذ اجراءات تؤيد التمييز المنصري والتشهير بفريق ارباب المناجم . وفي كنون الثاني ١٩١٤ ، تألف حزب وطني في جنوبي افريقيا لم يلبث بعض المغالين من عناصره ان اتفقوا مع غلاة الوطنية في ايرلندا ، خلال الحرب المالمية الاولى ، على شن هجوم مشترك ضد بريطانيا .

لا نرى في ما تبقى من اجزاء الدومنيون البريطاني من قوة طاردة شبيهة بالقوة التي تبديها النزعة الافريقية في الكاب وبريتوريا . ولما كانت المطالب الاقليمية الكندية قد برزت على بمد متساو من لندن وواشنطون فلم تصب مصالح انكلترا الاستمبارية ، بأي اذى "او ضرر يذكر، واوستراليا تعتمد على اتحادها مع البلد الام لتصمد في وجه التهديد الاسيوي . والحقيقة التي

لم يتطرق اليها اي شك هي ان هذه الشعوب أخذت تشعر بوجودها ، كا اننا فلاحظ عندها رغبة بأن تصبح امة معترفاً بها .

ولكي يحطم اصحاب المناجم في جنوبي افريقيا قوة اتحادات العمال لجأوا الى عمال افريقيين لم يكن ليسمح لهم بذلك من قبل . وبعد حوادث اضرابات عنيفة وقعت عام ١٩١٣- ١٩١٤ وقبل مؤلاء العمال على الدخول في عضوية النقابات العمالية بأعداد كبيرة . الا انهم لم يلبثوا ان خضعوا هم انفسهم للتشنيع بالزفوج الخاضعين لوضع فيه نصف عبودية .

اما بلدان اميركا اللاتينية حيث اخذت الرساميل تتجمع، فقد راح ارباب المال فيها يقيمون لهم علاقات ناجعة مع رجال الاعمال من الاوروبيين والامير كيين. لاشك ان العصا الضخمة التي اوح بها ثيودور روزفلت في اميركا الوسطى بعثت الرببة في النفوس وأيت الجامعة الاميركية ان تمهد الى و الولايات المتحدة الاميركية ، بسلطة بوليس دولي في المنطقة ، وهو مطلب وقف بوجه بعناد رجل القانون الأرجنتيني المشهور داغو ، الا انة لم يقع شيء ضد سيطرة رؤوس المسال الأجنبية ، وحري بنا ان نذكر هنا مثل المكسيك . فالثورة التي انهت عام ١٩١٠ نظام حكم الرئيس بورفيرو دياز ، عجزت عن احقاق مطالب جاهير الفلاحين الحرومين من الاراضي ، كا عجزت عن إشباع مطالب البروليتاريا ، الناشئة ، هذه البروليتاريا التي اخذت تترعرع في احضان النقابية والاشتراكية ، ولاارضاء البورجوازية المستنيرة بعض الشيء التي تترعرع في احضان النقابية والاشتراكية ، ولاارضاء البورجوازية المستنيرة بعض الشيء التي تعاقبت على الحكم في البلاد

وهكذا ، في مكسبكو كا في بريتوريا ، في القاهرة كا في نانكين ، لم قلبث ال برزت قسمات وجه هذه القوميات الوطنية التي قطمع ان تكون سيدة مصيرها . وهكذا فالحركة التي بدت طلائعها في اوروبا ، منذ القرن الثامن عشر ، اخذت تثير في القرن العشرين اهتام بلدان القارات الخيس ، فقد اصبح و التجمع البشري ، في الوطن ، امراً عاماً ، شائماً ، شمل جميع المجتمعات البشرية بحيث ان فكرة الوطن لم تعد لتسند ، كا يلاحظ جوريس على الاصول الاقتصادية وحدها ، ولم تعد و تنحصر في دائرة ضيقة هي من حق طبقة ممينة ، لان واصولها تنبع من طبيعة الحياة البشرية ، وفي وسط هـــذا و التجمع البشري ، ، راحت المشاعر الفردية و تتجمع و تنطلق ، عارمة بحيث ان و المستثمرين ، و والمستبعدين ، اخذوا بتذوق طعم الكرى والنوم الهني عند ادنى درجات الصرح الشامخ ، وتشعر في صميمها بارتياح اكبر مها كانت تشعر به و في هذا المالم البراني الذي يحيش بالمداء العنيف و يتنزى بالقلق الساخب » .

ومنصل ودروبس

الارتكاسات العالمية والدفع الاشتراكي

الماملون على تأمين ضروريات الميش هم اكثر الناس افتقاراً لها ، بينها هي تتوفر بسخاء للذين لا يعملون شيئا في افتاجها .

(أناتول فرانس : جزيرة البنفوين ، ١٩٠٨)

البروليتاريا ووضعها القائم في اواخر القرن

ان تحول النزعة الافتصادية ؛ منذ عام ١٨٩٥ والانطلاقية الجديدة التي عرفتها حركة الانتاج والتبادل التجاري ، كل ذلك عاد بالخير الممي على الرأسمالية . غير ان الانتهاء من عملية

اقتسام المستعمرات ، والمنافسة الحادة حول الخاصات والمواد الاولية ، والسيطرة على الاسواق العالمية كل ذلك وقع في الوقت ذاته التي طلعت علينا اوليفارشية محتكرة شديدة البأس. ومن م فقد اضطر اصحاب الاعمال المتخلي ، شيئا فشيئاً ، عن مواقفهم المفردة المتعذر بسطها التي لم يعد بوسعهم الدفاع معها عن مصالحهم . ففرنسا وحدها ، ارتفع عدد النقابات العالية ، بين ١٨٩٠ سلما المتعناء الدفاع من ١٠٠٤ نقابة او رابطة الى ٤٩٦٧ ، كما ارتفع في الفارة ذاتها ، عدد الاعضاء المنتمين اليها من ٩٣ الف الى ٢٠٠٠ ، و ١٠٤٠ .

والثابت أن دنيا العمل المأجور اخذت تتطور ، من الوجهة العددية تطوراً عظيماً . فالى فئات العمل المختلفة العاملة في الصناعات الصغرى والوسطى والكبرى يجب أن نضيف هنسا فئة آخرى تعمل في القطاع الذي يمكن أن نسميه : « القطاع الثلاثي ، حيث يعمل اصحابه في توزيع المحاصيل والانتاج وتأمين الخدمات العامة ، والذين يتمثلون بهؤلاء العال الذين يرتدون الياقة المستعارة وربطة العنتي والقيمة اللينة . وقد كانت نسبتهم في فرنسا ، عام ١٨٦٦ ، بنسبة الياقة المستعارة بين ١٨٦٥ ما ١٩١٤ . فني الحقبة الواقعة بين ١٨٩٥ – ١٩١٤ ، قدروا أرباب الاسر التي لا دخل لها سوى اجر رئيسها ، من ٨ – ١٢ مليون ونصف المليون ، وعدد الطبقة العمالية ، بحصر المعنى ، في الولايات المتحدة من ٥ – ٧ ملايين ، وفي روسيا من ٣ – ٤ ملايين .

فالازمة الكبرى التي تزلت باليد العاملة في بلدان اوروبا الوسطى واوروبا الغربية والانكاوسكسونية خارج اوروبا انقشعت كربتها عن بعض مكاسب تمثلت في تحسين ظروف العمل التي كانت تكتنفها . قاذا ما استمر ارتفاع الآجر الاسمي ، خلال الظروف التي اطلت . (راجع الجدول المثبت صفحة ، ه) فالآجر الفعلي أجسر لحقه بعض التأخر اذا ما نظرنا اليه من ناحية تكاليف الحياة . فالارتفاع في همذه التكاليف ، اختلف من بسلد الى آخر ومن مهنة الى اخرى ، وبصورة ابرز واوضح ، في ايطاليسا حيث الاجسر كان اقسل (كان الدليل الاسمي ٢٦ عام ١٩٠١ مقابل ١٠٠٠ عام ١٩٠١) وبدا زهيداً في انكاترا (الدليل عام ١٩٠٠ ، مقابل ١٩٠٠ عام ١٩٠٠) وتوقف في بلجيكا منسند و معام ١٩٠٤ ، ثم عقبه حالة من الركود الفعلي (دليل ١٩٨ عام ١٨٩٥) و توقف في بلجيكا منسند و معام ١٩٠٤) .

والمرافق الاكثر حظوة هي المناجم والمتالورجيا اللتان زاد الطلب عليها بصورة محسوسة . فعامل المناجم في الروهر كان يتقاضى ، عام ١٩٩٠ ، ٢ ماركات عن كل طن فحم يستخرجه ، مقابل ٣ ماركات عام ١٨٩٧ . اما عامل مناجم الفحم في فرنسا الذي كان اجره ضئيلاً ، حتى ذلك العهد ، فقد حسنت اوضاعه وارتفع اجره (من فرنكين ، عام ١٨٥٠ الى ٣٤٣٠ فرنكات عام ١٨٥١) أما عامل النسيج عام ١٨٨١ ، ثم ١١٠٤ فرنكات عام ١٨٩١) اما عامل النسيج فقسمته ضئزى : فالاجرة التي كان يتناولها في معمل ورتمان للنسيج في مدينة غنت لم تكن توازي اكثر من ٣٢ / من كلفة الانتاج ، عام ١٩١٣ ، مقابل ١٢ بالمائة عام ١٨٩٧ ؛ ومع ان الكلفة العامة تضاعفت قيمتها ، فقد امكن المحافظة على تكاليف التوضيب كا حوفظ على معدل الربح اذ اتاح إدخال التصفيح تأمين زيادة في الانتاجية .

فالاجريبقى متدنيا جداً في معظم قطاعات العمل . فاذا ما أوضح التحقيق الذي اجري في فرنسا ، عام ١٩١١ ان النجار وصانع الاقفال والسنكري يربح ١٠ فرنكات على الاقال ، في فرنسا ، عام ١٩١١ ان النجار وصانع الاقفال والسنكري يربح ١٠ فرنكات بيئا تربح المرأة ما في اليوم فعلى العال المياومين ان يقنعوا بأجر يتراوح بين ٤ – ٥ فرنكات بيئا تربح المرأة ما بين ٢ – ٣ فرنكات في اليوم ، وليس بنادر قط ان تقوم عاملات المنازل بعمل ١٥ ساعة لتربح ١٠٥٠ فرنك ، اما في آسيا ، فالارقام تهبط الى ادنى من ذلك بكثير ، اذ يتناول الولد الباباني الذي يعمل في المصنع نصف فرنك و٢٥ سنتها اذا ما عمل في مزارع الأرز .

بالاضافة الى هذا كله ليس ثمة عمل موصول او مستمر . هنالك ازمات بطـــالة مزمنة . وحركة النزوح او الهجرة بالجلة التي يقوم بها البائسون عــلى نطاق واسع تشهد عالياً عــلى الفقر المام الذي تتخبط فيها الجاهير .

 (فالدليل الاعلى ١٠٠ لعام ١٨٩٩ ؛ انتقل الى ١٣٦ في قطاع الاجور ؛ والى ١٧٠ في قطاع الارباح ، و ١٢٠ في الانتاج الصافي ، و ١٤٦ في تكاليف المواد الاولية) . ففي الوقت الذي زاد فيه ربح المعدن الفرنسي ٢٠ بالمائة تضاعفت فيه ارباح شركات الاستثار . فهل من يستغرب بعد هذا كيف ان ٨٥ بالمائة من الدخل القومي في انكلترا ، قبل الحرب العالمية الاولى ، كان يذهب الى جيوب ٥ بالمائة فقط من مجوع السكان ? ، وان ٢٥ مليوما في فرنسا لا يخالفون ، لدى وقاتهم اية تركة تدكر ، وان ١٦ – ١٣ فرد منهم يملكون ٣٠ بالمائة من الثروة العامة ، وان اقل من مليون يملكون ٢٠ بالمائة ، وان في الولايات المتحدة الاميركية بين ٢٠ – ٢٥ مليون منهم يزيد ١٤٠٠٠ فقط مسجلة اسماؤهم في سجلات ضريبة الدخل ، وان دخال منهم يزيد ١٥٠٠٠ فرنك ، وان في المانيا ٣ ملايين يتمتع الواحد منهم بدخل يزيد على ٢٠٠٠ مارك في السنة (بينهم ٢٠٠٠ وان في المانيا ٣ ملايين يتمتع الواحد منهم بدخل يزيد على ١٣٠٠ مارك في السنة (بينهم ٢٠٠٠ وان معدل مارك) .

انتاجية اكبروظهور التخصص التفني (او التياورية)

للمحافظة على ارباحه وحرصاً منه على إنمامًا ، راح رب العمل يدرس بعناية كلية قضية توزيع العمل في مصنعه والتخصص في كل وجه من نشاطاته . فلم يستطع يوماً ان

والمحسين وبه الله المال الفائين على تأمين الانتاج في معمله. فقد قسمهم الى فئات متميزة بين على مهرة وهمال ملفقين . كذلك لم يغفل قط عن ان العمل الفردي يختلف جودة واتقاناً بين عامل وآخر باختلاف ما هما عليه من اهلية ومراس واستعداد خلقي وتقنية بما يترفر الواحد منها . والشيء الذي فرهن نفسه كنتيجة حتمية التصنيع هو تقهر العمل الموصوف بالتقني امام الآلة . وهذا السبب نرى العامل نفسه يستنزل في مطلع العصر اللمنات والحرم على الآلة وعلى الذي استنبطوها بعد ان اتهمها بالقضاء على المهارة التقنية اليدرية . والحقيقة التي لا مراء فيها الذي استنبطوها بعد ان اتهمها بالقضاء على المهارة التقنية اليدرية . والحقيقة التي لا مراء فيها الميم إدارتها وتوجيه نشاطها . ليس مفروضاً في هؤلاء العمال ان يفقهوا دقائق سدير الآلة في مجموعه وهمل كل قطمة على حدة . المطاوب منهم ان يكونوا مراقبين لعملها الذي الحض . وعلى هذا الاساس نرى عدد العمال غير المتخصصين يبط من ١٥ الى ٢٥ بالمائة بين ١٨٣٠ و١٩١٠ منهم ان يكونوا مراقبين لعملها الذي الحض . وعلى

فاذا ما ادركنا على وجهه الصحيح الدور الذي يلعبه التصنيع من هدنه الناحية ادركنا الافر الذي تتركه الآلة في رفع الانتاج ودفعه والتوفير الذي تتبعه من جهة اليد العاملة . ففي مناجم الفحم ، مثلاً حيث يخف الانتاج وينقص كلما عمق الاستخراج ، جاءت الآلة ترفع من كميته المستخرجة . ولما كانت نسبة ارتفاع الاجر مرتبطة الى حد بعيد بتطور الآلة التي تزيد من الانتاج فقد ساد الرأي العام، الاعتقاد بأن تنظيم العمل تنظيماً دقيقاً يراعى فيه الاختصاص والمهارة والمراس ، يعود النفع فيه على العامل ورب العمل معاً ، وقد الخدفت الشركات الاستثارية الكبرى حجة منه وذريعة التعويل عليه اكثر فاكثر ، اذ تستطيع معسه اكثر عما

يستطيعه صاحب الورشة الواحدة ، تطبيق خير اساليب الاستثار واجراء توفيرات محسوسه في سعر الكلفة والانتاج ، وبيع المصنوعات بالتالي بسعر ارخص مع تحقيق ربح اكبر .

ولذا كان لا بد من توزيع العمال في المصنع حسباً تقتضيه طبيعة العمل ومقتضيات مصلحة التصنيع الآلي . ان تكييف العامل وافراغه وفقاً لحاجة التصنيع من شأنه ان يوطد فيه الثقة بينه وبينها . فالنظرية العلمية تبعث فكرة المنهجية في العمل والمصنع . فهي قضية تنعلق في صميم علم النفس التطبيقي . فبيها كانوا يعتمدون إختبارات الذكاء للكشف عن كفاءات العامل واستعداداته النفسية ، واح موتستربرغ وهو من تلاميذ رونتا الذي هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية ، يقترح عام ١٨٨٠ ، تطبيق علم النفس التقني على الصناعة .

الا ان المحاولة الاولى لتنظيم العمل تنظيما علمياً يجب ردها ، كما هو شائع المهندس تياور . فقد اقترح على شركة بتلهم لصنع الفولاذ ، تحديد معدل الوقت الذي يقطعه العامل للقيام بحركة ما، على ان يتولى قسم التخطيط في المعمل تحديد الوقت القياسي لصنع غرض ما قياسي Standard واوصى بالوقت ذاته بتنحية او إبعاد كل عامل لا يتقيد بالخطة المرسومة .

وهكذا نرى ان التياورية لم تكن بحد ذاتها اساساً لتحسين ظروف العمل لدى العامل ، بـل كانت تتوخى الوصـول الى تسجبل اعلى انتـاج يحكن عن طريق قطبيق الآلية الذاتية (الانوماتيكية) هذه الانوماتيكية التي تجمل من العامل قطعة من الآلة . فاذا ما جاءت الطريقة في مصلحة الرأسمالية فـلم تلبث من ناحية ثانية ان احـدثت ردة عكسية لدى اصحاب الاجور . وامر مجلس الكونغرس الاميركي في واشنطون القيام بتحريات حول الادارة العلمية في العمل . ولم يكن نقد هذه الطريقة باقل حدة في اوروبا. فقد رأى فيها العالم النفساني ساخس وتنظيماً للجهد البشري، كما ان النقابي العمالي و بوجيه ، استعمل هذا التعبير عنواناً لكتاب له يفضح هذه الطريقة التي تساعد على جعل العامل آلة ذانية و بلهاء » .

وعندما راح فورد يخصص ، عام ۱۹۱۲ مكافئة للعامل المطيع الذي يستثمر وفره ويؤسس له عائلة ، لم يضع نصب عينيه ، من اقتراحه هذا ، هو ايضاً سوى تحسين وسائل الانتاج (فالدليل الأسمى للأنتاج الدي كان ۱۰۰ عام ۱۹۲۹ ، لم يكن سوى ۲۷۳ عام ۱۸۹۹ و ٤٢ عام ۱۸۸۹ و و ۱۹۰۹ عام ۱۸۹۹ .

وهكذا بدت الملاقات بين الانسان والآلة بشكل أبقى تابعية الانسان لمقتضيات الانتاج والسعى الوصول لتأمين المزيد من الربح وفقاً لميادىء الرأسمالية .

أطل علينا بعد جيل الرومنطيقية الاجتاعية أجيال عنت تباعياً الزيد من المؤلفات الاساسية الراقعية والطبيعية ، وانصرفت بكليتها لدراسة اوضاع المساكن والبائسين ووصف ما يكتنفهم من اوضاع اجتاعية وصفاً موضوعياً قلماً خيلا من الشعورية او الاحساسة .

وقد انتشرت هذه النزعات الشعورية واستطال الاخذ بها حتى اواخر القرن ، ان لم يكن في فرنسا ، فاقله في عدد كبير من البلدان الاوروبية الاخرى ، وقد كان للكاتب الفرنسي زولا اثره البالغ في هذا الجال امتد من سهول الفلاندر حتى مشارف البحر البلطيقي ، وظهرت هذه النزعة بوضوح عند فان كروننجن وكراين ، كما ظهرت بوضوح عند نكس وريونت وهوبتهان وقسد غزت حتى تشيخوف في قضية « الموجيك » وتغلغلت في روايه زولا : جرمينال ، والارض فرادان غتلفة .

نحن الذين اصطلحوا على تسميتنا سفلة بلغت منا الروح التراق ، نحن الافاكون أفضل لنا الف مرة ان تذهب هياكلنا العظمية مع هياكل اولادنا وبناتنا فننسج أكفاننا بأيدينا (هربتمان : الحان)

الا ان الردة المثالية ليست بالضرورة هروباً من المشاهد المريعة. فقد وقف الى جانب المسكين : فرنسن بما محرف عنه من حنوو ليون بلوا بقشمريرة انما بروح مسيحية حقة ، والروح المناهضة للدين ولرجاله التى جاش بها هذا الاخير كادت تتصل بابانيز وزولا .

والكذب التقليدي هو الذي يجر الى المعركة ويثيرها احتجاجاً على هـــذا الظلم الاجتهاعي الذي يبدو من البورجوازية ، كتاباً امثال شو وويلز . وقـــد دفعت قضية دريفوس ، كانباً فرنسيا هو جول رينار نحو الاشتراكية ، واخرجت من برجه العاجي اناتول فرانس ، هـــذا الكاتب الساخر المستهزىء الناعم الذي عالج او بحث اموراً جمية ، بن مؤلاء الكتاب من يجملنا نفكر بحسرح شعبي وبأغان شعبية ، فرومان رولان هذا الكانب الرمزي الذي هو خير من يمثل الانسانية المسالمة يتوخى ان يترك لنا وصف عظام الرجال الذين تألموا وجاهدوا في سبيل رقع مستوى الحياة . فنحن امام طلع حقيقي من هؤلاء الشعراء والروائين الاحقاق من ابناء الشعب لا يتورعون عن استمال اللهجات الشعبية امثال شارل لويس فيليب ابن صانع القباقيب في مقاطمة البوريونية الذي كشفته لنا قصته المعروفة بوبا دي مونبارناس ، وجاره اميل غيوميه ، واضع القصة : حياة احـــد البسطاء والخياطة مرغريت اودو التي صرفت ٢٠ سنة في كتابة روايتها و ماري كلير ، م بعض هــذا الفريق الذي يمثل في فرنسا، شلة الكتاب المتواضعين ، واليتها و ماري كلير ، م بعض هــذا الفريق الذي عمل الادباء في فرنسا اذ ذاك . وغوركي الذي بدو لنا اليوم بوهيمياً ويصور لنا بعاطفة ملؤها الرومنطيقية مثال التائه البطل . فما اكثر الادلة والشواهد لنا اليوم بوهيمياً ويصور لنا بعاطفة ملؤها الرومنطيقية مثال التائه البطل . فما اكثر الادلة والشواهد لنا اليوم بوهيمياً ويصور لنا بعاطفة ملؤها الرومنطيقية مثال التائه البطل . فما اكثر الادلة والشواهد على الآلام الاجهاء ق

الحريات العامة وروح التعاضد وقضية « ديموقراطية مسيحية »

ومع ذلك فقد راحت الطبقات العاملة تحتل يوماً بعد يوم ، عسلا اكبر في الحياة السياسية ، بعد ان افادت كثيراً من تطور الدول وتحسولها نحو النظام التمثيلي الذي ارتضته

البورجوازية المتحررة وساعدت على رواجه ، فالتحرر السياسي سار وفقاً للمبادىء الداعية الى الفردانية ومتطلبات السيادة الوطنية بينما تنزع القوى الاجتاعية منذ ذلك الحين ، الى تنظيم نفسها عن طريق المواثيق الصناعية والجمعيات المهنية ، فالى اي حسد يا ترى يتمازج المسسواطن و المواطن الجمود ، بهذ، المدنية الديوقراطية ، بهذا الانسان العالمي ؟

زى ، قبل كل شيء ، ان النظام الاستبدادي او المطلق الذي استبدل في اليابان عام ١٨٨٩ ، النظام التشيلي او الدستوري ، اخذ يتوارى تباعاً في كل من روسيا (١٩٠٥) وتركيا (١٩٠٨) وايران (١٩٠٥) ، والصين (١٩٠١) . فالبلدان التي بقي فيها حتى الاقتراع ، مدداً تقصر او تطول ، امتيازاً مقصوراً على اصحاب الثروات وحدهم ، استبدل بالاقتراع العام الذي اخسف يفرص نفسه في كل مكان والتمثيل النسبي الذي عجل به في كل من بلجيكا وسويسرا والارجنتين، اخذ يلقى ارتياحاً ورواجاً لدى الفرنسيين .

ومع أن الرأي العام اخذ يهم، بفضل الصحافة على الاخص ، بنشاط الهيئات النيابية ، فحق الاقتراع الشعبي لم يسكن ليعني قط اوليفيد ان المواطن اخذ يساهم ، اكسائر فأكثر ، بتسيير القضايا العاملة في البلاد . فقد بقيت هذه المساهة اسمية أو نظرية ، في هذه البلدان الستي لا يهستم فيها جمهور الناخبين ، جهلا منه او تكاسلا ، الالما ، لواجباته وحقوقه المدنية ، وهي مساهة تأتي جانبية او غير مباشرة في معظم الحالات ، وكثيراً ما حدث منها أساليب الاخذ بالنظام التمثيلي ، والمؤثرات الشخصية والحزبيات ومداخلات ارباب المال. ومن جهة أخرى ، فالخدمات الموامنة التي تتطور بسرعة تأخذ موظفيها من رجال والسلك ، ؛ فاذا ما تغلغلت فيهسا الروح النقابية ، كا هي الحال في فرنسا على الاخص ، فالدرائر العامة هي عأمن من التيارات السياسية . الا ان الدولة التي لا يزال فيها انصار النظام القديم ينتقدون بشدة التدخل في الحياة الاقتصادية والاجتاعية ، ترى باستمرار دورها ينمو ويزداد بازدياد الضغط الذي تمارسه الهيئات والمنظم .

ان اعادة النظر في الليبرالية الفردانية الصرف التي بوشر بهسا منذ جون ستيورات مسل ورنوفييه اشتدت حركتها تحت تأثير الفلسفة الرضعية وعلم الاجتاع السبنسري ومدرسة دوركهايم. فالترابط القائم بين البشر رأى فيه كثير ون نتيجة حتمية القانون الطبيعي الذي يشد بعضا الى بعض اعضاء كل جنس من الاجناس الاحيائية. فبدلا من حقوق الانسان التي تراعي الى حد بعيد جانب الفرد وراح ليون بورجوى يوصي العمل بالمقد ذات المفعول الرجعي المسلم والذي يقتضي قيام رابطة سابقة تشد الفرد الى المجتمع وذلك في بحثه الموسوم : و عساولة حول فلسفة النضامن » . يرسم لنا فيه الخطوط الكبرى الملسفة اشبه ما تكون بالليبرالية المستحدث التي

تبلتها الراديكالية الفرنسية . نحن امام علمانية إنسانية تفرض على « من ينعمون بالامتيازات » ، واجبا اجتاعيا عليهم ان يؤدوه باسم العدالة ، على ان يمنحوا المواطنين الاكثر حرمانا ، عونا ضد العجز الطبيعي والاخطار الاجتاعية مع التعهد بتأمين منافع التربية الابتدائية المجميع على السواء . وقد تبنى مثل هذا البرنامج عدد كبير من الاحزاب المتحررة المحافظة الموجودة في البلدان السكندينافية والانكلوساكسونية ، وفي سويسرا وبلجيكا و « التقدميون » في الولايات المتحدة الاميركية .

ان نظرية من هذا الشكل تتفق تماماً والمسيحية الاشتراكية كما يتمثلها بعض البروتستانت . فالكاتب الفرنسي شارل جيد الداعية الى التعاون يعرض علينا نظرية تعاونية أساسها الاختيار الادبي والاداري . وقد عرض لنا ولفرد مونو القضية بوضوح كلي في كتاباته العديدة ولا سيما بكتابه المعنون : « نهاية المسيحية » . « فالمسيحية ترزح تحت وطأة حرم ثقيل لأنها تأخيذ بالجدية اللازمة ، العمل على محاربة البؤساء في العالم وازالة آثارهم » . فنظام الاجر المعمول به اليوم مقضي عليه امام محكمة العقل ومحكمة الشاريخ » . اميا ألمانيا ، فتسيطر عليها روح انسانية رحبة تقود الحزب الوطني الاجتاعي الذي اسسه نوماف اكثر منه حزب العمل المسيحي الاجتاعي المعروف بروحه المحافظة والمناهضة للسامية . اما في بربطانيا العظمي ، فالروح البروتستانتية هي التي تتنزى بالنزعات الفابية ونزعة الجميسة الفابية الانكليزية التي فلروح البروتستانتية هي التي تتنزى بالنزعات الفابية ونزعة الجميسة الفابية الانكليزية التي فسطت عام ١٨٨٤ والتي ضعى اعضاؤها الى نشر المبادىء الاشتراكية بالرسائل السلمية .

وبالفعل فقد راحت الكنيسة الكاثوليكية تبحث عن طريقة تحد معها من حركة تجريد الطبقات من الروح المسيحية . ف و البراءة البابوية ، التي صدرت عام ١٨٩١ شجبت بعنف ليس الكفر والروح المادية التي تطفو على التعاليم الاشتراكية ، فحسب بل ايضاً نزلت باللائمة على الرأسمالية التي تعمل على عزل «العمال وجعلهم بغير دفاع عن حقوقهم في الوقت الذي وجدوا انفسهم واقعين تحت رحمة أرباب العمل الذين تجردوا من كل شفقة ، راحوا فريسة الجشع ومنافسة جنونية لا حد لها ، . رراحت تؤكد ان الطبقتين المذكورتين معدتين من قبل الطبيعة للعمل معا بانسجام كلي ، وتذكر الدولة بأن عليها واجبات معينة نحو « اصحاب الاجور ، وتوحسي بتشكيل جعيات اخوية مشتركة بين ارباب العمل والعمال ، وبعبارة اخرى، تأليف نقابات مختلطة تخضع جعيات اخوية مشتركة بين ارباب العمل والعمال ، وبعبارة اخرى، تأليف نقابات مختلطة تخضع «لادارة رائدها الحكمة » .

غير ان الكثلكة الاجتاعية اخذت تتأرجح بين روح محافظة ذات نزعة نقابية مناهضة لكل تعاون يقوم بين العلمانية وبين الحركات او التيارات التي تنتسب صوريا الى « الديوقراطية المسيحية » . فاذا ما راح الحزب الكاثوليكي ينتزع بنجاح من الحركة الاشتراكية جانبا من العهال الناخبين في بلجيكا وفي المانيا ، فالمسيحيون الاجتاعيون في النعسا راحوا يتخذون من عاربية السامية ذريعة لهم ، ومناهضة السامية التي تميزت بها بعض الاوساط الكاثوليكية في فرنسا هي التي تهدد بالخطر ، الفوز الذي يبسم للحركة الديوقراطية المسيحية خلال قضية

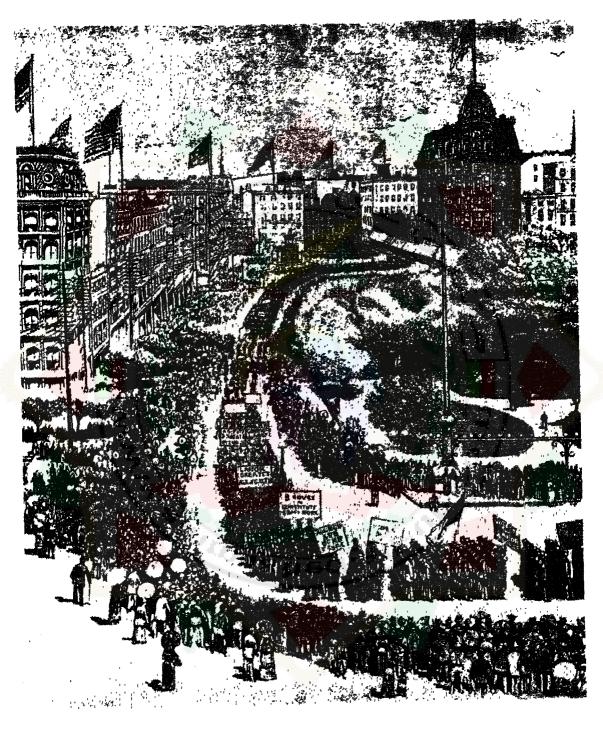
درايةوس . الا ان الاب لومير اصطدم ، على غرار البير دي مون من قبل ، بالقضية العلمانية المحافظة وبعصبة ارباب العمل التي لا يهمها كثيراً ان ترتبط بروابط قانونية .

ولذا راحت البراءة البابية التي صدرت عام ١٩٠١ ، توصي بالفصل بين العمل السياسي والنشاط الاجتماعي . ومنذ ارتقائله السدة البابوية ، راح البابا بيوس العاشر يدعو العمل الشعبي الكاثوليكي للامتثال لتوجيهات السلطة الكنسية ، بعد ان وافسق على موقف الاسابيم الاجتماعية في فرنسا . وعندما راح مارك سانييه وألسون يعلنان عالياً موافقتهما على الغاء الاجر الرسمي وسيادة الشعب، راح الكرسي الرسولي يشجب « هذه النزعات المقلقة » حتى هذه الانفاقات والمواثبة المقودة بين عدة طوائف في قلب الاتحاد العمالي في المانيا، فقد نصحت بالتخلي عنها . اما في ما يتعلق بالانتائية الانطوائية فعلى البراءة Rerum Novarum ان تندكر بالقراعد والمبادى التقوية : « كالفقر ليس حطة او اهانة ؛ وعلى الانسان ان يتسلح بالصبر لما هو عليه من وضم » .

الضرائبية الديموقراطية وتطور التشريعات العمالية

في اعتراف الليبرالية بضرورة المصالح العامة الدائمة اعتراف ضمني مجقوق الدولة باستيفاء ضريبة من افراد الشعب ، وفقاً لامكانيات الفرد وطاقته على الدفع . الا انه ظهر للكثيرين

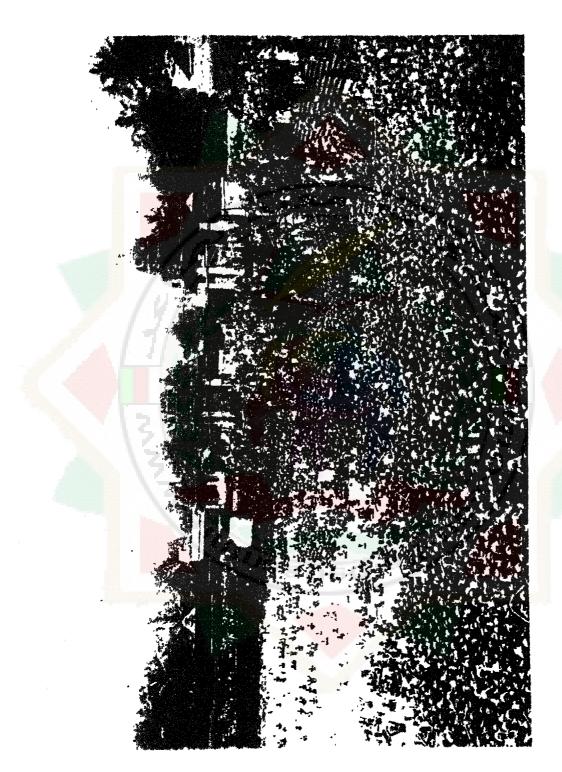
مفهوم الضرائبية تم في الوقت الذي كانت فيه النفقا<mark>ت العامة ت</mark>رتفع بسرعة في الدولة. . . وبالرغم من ش<mark>جب</mark> الاشتراكيين للضرائب غير المباشرة باعتبارها <mark>اعتصاراً</mark> بغيضاً للأجور والدخل الصغ<mark>ير</mark> فقد استمرت تبهظ بثقلها الجماهير التي رزحت تحتها . ومن العسير جدا ان لايطلب من اصحاب الثروات القيام بمجهود اضافي في هذا الجمال . من هذا اللجوء الى الضريبة على الدخـــل التي تأتي تصاعدية نوعاً ما والتي قبلت العمل بها بعض المقاطعات السويسرانية ، مسم ضريبة إضافية تم فرضها في الوقت ذاته على رأس المال ، في كل من بروسيا وساكس، على غرار بريطانيا المظمى الضريبة ونعتوها بإنها تفتيشية ، إذ انهيا تفرض التثبت من صحة الربع المعلن عنه ، وهي ضريبة عادلة ؛ على عكس ذلك ؛ لانها تصاعدية ، يجبب انصارها ومعظمهم اشتراكيون او من مجبذي الاشتراكية . وهكذا تم في انكلترا نوع من التحالف اطرافه الاحرار والعمال لاقرار ضريبة عام ١٩١١ تعرف بضريبة الدخل ، وفرض رسم معين على التركات ذي طابع تصاعدي وهي ضريبة تقع بكاملهاعلى ارستوقر اطية اصحاب الاملاك ولهذا راح لويد جورج يصرح قائلا: ه دوق واحد يكلف ما يكلفه صنَّم دارعتين » . ومن المستحب الاستشهاد هنا بمثل اوسنراليا · الق د آثرت ان يكون لها مجلس شيوخ اعضاؤه من الكنفورو على ان يكون لها مجلس لوردات. فقانون البرلمان انقص من سلطة هــذا المجلس ومهد الطربق امــــام تشريع اكثر تشبعاً بالروح الاشتراكية. اما في فرنسا افلمركة استمرت ١٣٤ سنة افشروع القانون الذي قدمه كايوللمجلس



٣٣ – اول استعراض للعمال الامير كيين بمناسبة عيد العمل في نيويورك (١٨٨٢).



٥٣ - دخول النقيب (بنجر) الى (كونغ) (افريقيا الغربية إلغرنسية) .





٣٧ -- دخول الجيوش الفرنسية الى قلعة (هونغ ــ هوا) ، في ١٣ نيسان ١٨٨٤ .



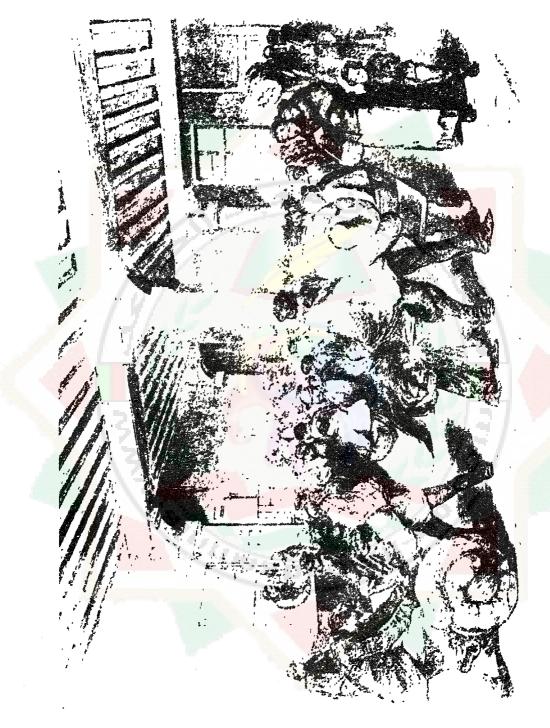


٣٩ – مصائب الحوب : المنزوح عن (سان – كلود) (تشرين الاول ١٨٨٠) .

١ - الاقتراع العام : قلم اقتراع في انتسابات ٧ كانون الثاني ١٨٨٢ .



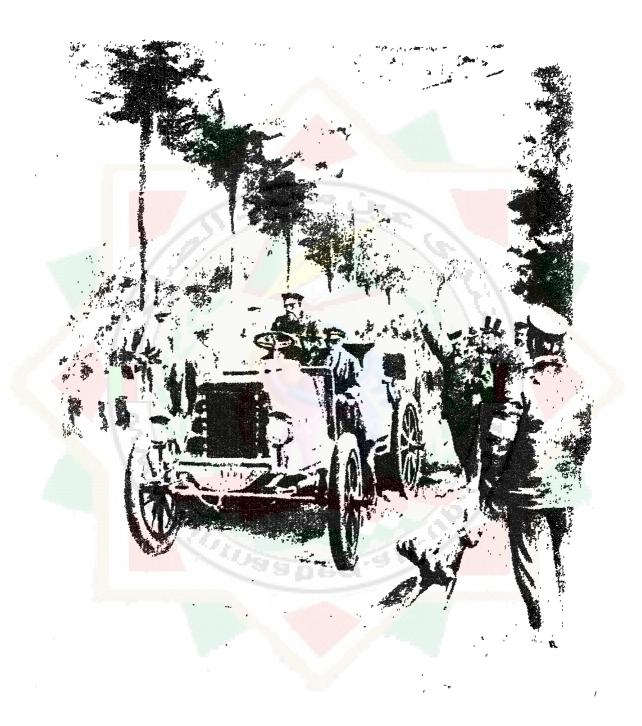
٤١ - الافسنتين .





٣٤ – كليمنصر يلقي كلمة في اجتماع عام في ميدان (فرنندر) (١٨٨٥) .

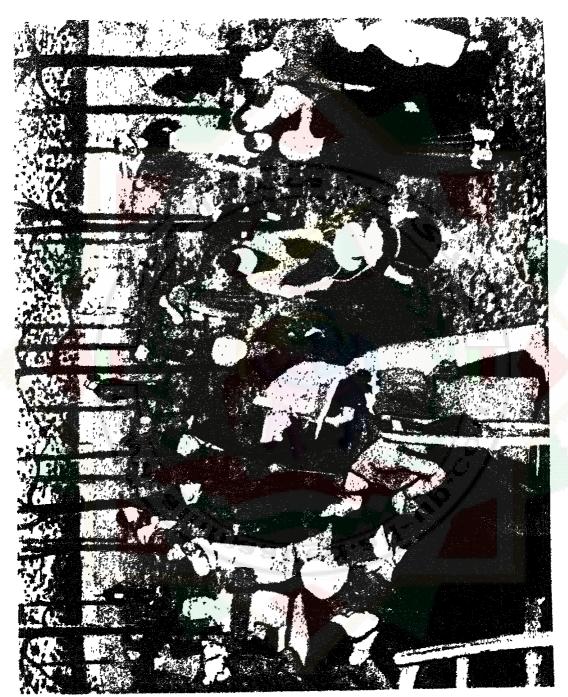




ه ٤ -- انطلاقة السيارات المتسابقة (باريس -- برلين ، ٢٧ حزيران ١٩٠١) .







بشان الضريبة ، على الدخل ، وهو قانون صادف ممارضة قوية في البرلمان ، ما كاد يمر في مجلس المنواب حتى قام مجلس الشيوخ بدفنه الى عام ١٩١٤ . اما في الولايات المتحدة الاميركية وفي لذبكاترا في عهد بيل وكوبدن قالتخفيف من الرسوم الجركية ، عسمام ١٩١٣ ، قابلة فسرص ضريبة الدخل .

اما في نطاق سياسة الاقتصاد التفصيلي حيث لا نلاحظ اي تأثير للحركة الاشتراكية ، فقد تطورت التشريعات ضد الاقتحادات الاحتكارية بعد في الولايات المتحدة الاميركية التي بعد ان رأت خطراً يطل من والتباين ، التصاعدي فقد امر الحزب الجهوري الحاكم حل شركة ستاندره أويل والشركة الاميركية التبغ الماتين اعادتا تنظيمهما بشكل آخر ، ولما عاد الحزب الديوقراطي الى الحكم من جديد عام ١٩٦٧ ، عمد الديوقراطيون الى تشديد الاحكام المنصوص هنها في قانون شرمان الصادر عام ١٨٩٠ الذي جاء الاختبار يبرمن عن قلة جدواه واخذ الناس يشككون في صلاحه .

قفي الرقت الذي لم تكن انطلقت فيه بعد في اوروبا ، حركة مناهضة الاتفاقات الصناحية ، واح عدد من الدول يحاول شراء شبكة الخطوط الحديدية في ارضها كلها او جزءاً منها، وانتشرت من كلا جانبي الحيظ الاطلسي عملية تأميم البديات Municipalisation لمصالح المياه والمفاز والنقل وجملها خاضمة البلدية إدارياً . ففي مدينة برمنفهام ، قام جوزف شمبرلين المعروف اذ ذاك بنزعته الراديك المية يوسي بفرض الضريبة التصاعدية ، وفرض ضريبة على الدخل ، وهي ضرائب تتيح جبايتها الميلدية تعمير مساكن شميية .

وراج الاشتراكيون ينظرون ، تارة شزراً وطور نظرة رضى وارتياح ، الى هــذا التطور الذي حققه التشريع الاجتماعي الذي هدف الى تلافي المساوىء الفاضحة التي رافقت ، في الماضي المنظام الراحالي ، بقصد تحسين العلائق والروابط بين العمال وارباب العمل . الا ان تدخـــل المقانون وتحكمه لم يقم على نظريات منهجية . فقد تباينت نصوص التشريعات الصادرة وتضاربت بين بلد وآخر باختلاف طبيعة التركيب الاجتماعي والمزاج الوطني في البلاد ، مع العلم ان التشريع في الولاية اكثر منه المكومة الاتحادية .

والروح الفردية في فرنسا رأت نفسها ملزمة بقارمة عنيقة عمدا الالتزام الذي كان وقعداخف في المافيا ويعص البلدان الانكاوسكسونية منه في فرنسا . فبلدان استرالآسيا التي مثلت منا دووراً رائعةا وبعامت ابداً في الطليعة ذهبت الى حسيد خمان حد ادنى للاجر ، بينما انكلترا حيث اقر المقانون المعروف به Trade Board Act الميدأ الذي اقترح الاخوة Ebb تسين وحد ادنى رجاني ه عاقصرت تطبيقه على عمال المتاجم لا غير وتنظيم يوم المعل الذي قوبل بالاحترام على درجات مختلف اخذ في الانتشار والتوضيح ، وان قصر عن تحقيق مطالب العمال كلها : فاذا ما تبنت استرالآسيا قاعدة العمل ثمان ساعات في اليوم ، منذ عام ١٨٩٠ – ١٨٩٠ فهذا

الاقتراح لا يطبق في انكلترا الا على العمل في المناجم ، وفي الولايات المتحدت الاميركية ، على عمال الخطوط الحديدية . اما تعطيل يوم الاحسد ، فعادة دينية وصلتنا عبر الاجيال ، لم تشأ الروح الليبرالية ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، الاعتراف بها كواجب او عادة ماذمة . ومم انه لم يعد من يرتاب او يشكك بشرعية الحركة النقابية في البلدان الصناعية - باستثناء اليابان نرى بين ارباب العمل فريقا يشمئز كثيراً من رسوخ هسندا الامر ويرفض التسليم للمنظمات العمالية حسق التكلم في المفاوضات باسم اصحاب الاجسور . ولذا حرصت حكومات البلاد البورجوازية دوماً على قبول العمل بهذه الطريقة أو باخرى، في مفاوضات التحكيم، فهي تقترح بعض القواعد التي لا بد من الاخذ بها في عقود العمل وضيان الاجر وتأمين الامور الصحية ، وراحت الدول الاوروبية ، على غرار المانيا ، تدرج في تشريعها العمالي نصوصاً معينة تؤكد الضمان في حوادث العمل الطارئة . ونظمت كل من انكلترا والنروبج وبلجيكا الضمان ضد البطالة ، بينما اقصرت فرنسا مساعدتها على الترع ببعض المال لصندوق النقابة . وسار البيطانيون بعد الالمان بزمان، في طريق إقرار الضمان الالزامي ، عندما سنوا ، عام ١٩١١ ، البريطانيون بعد الالمان بزمان، في طريق إقرار الضمان الالزامي ، عندما سنوا ، عام ١٩١١ ، قانون الضمان الوطني . الا ان تلك التدابير الجزئية التي اقرها البرلمان الفرنسي لم تـؤد قط الى تشريع عام خاص بالمرض وبالشيخوخة قبل الحرب العالمية الاولى .

قمنذ انعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٩٠ ، بدلت حبود كبير في سبيل وضع تشريع عام خاص بالعمل . فالاهداف الاقتصادية كانت تسبق دوماً الاهداف الانسانية وتتقدمها . فقد رأى احد اعضاء مجلس بال المعروف بنشاطه الجم هو السويسري فراي في تخفيض معدل ساعات العمل ، علاجاً ضد اغراق الانتاج ، وقد اقر مؤتمر برن المعقود ، عام ١٩٠٥ ، مبدأ تحسريم الفسفور الابيض في صناعة عيدان الثقاب او الكبريت الاان السويد أبت ان توقع الاتفاق اذا تمنعت اليابان التي لم تحضر المؤتمر عن قبول مقرراته وتوقيعها . وتحريم العمل ليلا للاولاد والنساء اقتضى الوصول الى إقراره الكثير من الجدل والنقاش ، خلال هذه الموتمرات التي تناولت بحث هدا المرضوع حتى عام ١٩١٤ . وقد وقعت بعض اتفاقات ثنائية ، مثلا بين فرنسا وبلجيكا ، وبين البلدان التي ترسل او تقبل اليد العاملة التي يمكن لهدا العالمة التي يمكن المتخدامها .

الاضطرابات الاجتماعية والهجوم الكبير التي هيأت اسبابه النقابية في كل من اوروبا واميركا

ازدادت اضطرابات العمل ومصادمات العمال حدة بين السنوات 1۸۸۰ – ۱۸۹۰ و برزت الحركة العمالية اكثر رهبة من الدولية الاشتراكية الثانية ، في هذا النشاط الذي حساشت به ، ممثلا بهذه الاضرابات الواسعة العنيفة التي قامت بها وبهذه

الاحتفالات الواسمة بعمد أول أيار ، تضخم الروح النقابية واستشراؤها .

فقد بدأ الاضراب والاعتصاب في اعين العال خير الاساليب واسرعها للحصول على مطالبهم

والفوز بتحقيقها . فقد قام العمال في فرنسا وحدها عام ١٩٠٩ بأكثر من ١٠٢٥ إضرابيا ، ونظموا في المانيا ١٥٣٧ اعتصابا ، وفي انكلترا ٢٧٥ ، اشترك فيها اكثر من ٢٥٠٠ ، ٢٩١٠ ، و ٢٩٠٠ ، و ٢٩٠٠ ، ١٩١٠ ، ١٩١٢ ، ١٩٠٢ ، و ١٩٠٠ ، ١٩٠٠ ، ١٩١٢ ، ١٩١٢ ، و ١٩٠٠ ، و ١٩٠٠ ، و١٩٠٠ ، وعمال و ١٩٠١ ، كا اخذ عمال مصانع الحديد بتحركون في هرج ومرج عام ١٩٠١ و ١٩٠٩ ، وعمال الخطوط الحديدية ، عام ١٩٠١ ، و ١٩١١ ، وعمال النسيج وصنع الالبسة عام ١٩٠١ ، و ١٩١٠ ، وحدث و ١٩٠١ . اما ايطاليا فقد وقعت فيها ١٢٥٠ حركة اضراب بسين ١٨٥٠ - ١٨٩٠ ، وحدث فيها ١٧٠٠ حركة اضراب بين ١٨٩٠ وحدد ا ؛ وهي انتفاضات وهيجانات رأى فيها جورج صاند و ملحمة ،

لنتصفح مذكرات نقابية مجاهدة هي الماما جونز التي ساخت بنشاط في هذه المعارك العمالية التي وقعت في اميركا ، فالوصف الذي تركته لنا عن هذه الاضطرابات شيء مزعج مقلق ، فني كولورادو ، هام ١٩٠٣ ، اعلن الاضراب في التاسع من تشرين الثاتي ١٩٠٣ ، طالبة بثار ساعات حمل في اليوم ، ولتعيين مدقق اوزان من قبل العمال وللمطالبة بعملة فضبة ونقد عيني بدلاً من بونات . . . فلم يستخرج من المنجم اي قطعة فحم . فالبرد قارص في تشرين الثاني في الكولورادو واخذ الناس يشعرون بوطأة الاضراب . . . اخيراً وجه انذار العمال . . . فالمارك الخامية العنيفة وقعت حول Creeple Grack ، وتم طرد العمال من منازلهم التي كانت ملكا الشركة ، فالتجاوا الي الجبال الموحشة بعسد ان نصبوا خيامهم وسط زمهرير الشتاء الذي سقطت درجة الحرارة فيه الى ١٥ درجة تحت الصفر . ولقوا أرجلهم بالثياب الرثة اتقاء لقرص الزمهرير ، وضرت وجوههم بعد ان عضهم الجوع كالذئاب في الغابات . ، فاضطرهم الجوع وحده المسئناف العمل في المصانع .

وفي اوروبا اتصفت الاضرابات في المناجم بكثرتها وشدتها .وبما يلغت النظر تطور التضامن الصناعي ؟ اذ تضامن عمسال الروهر عام ١٩١٢ ؟ مع عمال الفحم في انكلترا ؟ بمسالة الهور وتحسين اوضاع العمل لدى هذه الطبقة الحرومة .

قاذا ما اكثر الممال البائسون في روسيا من إظهار تملمهم من الوضع الذي يرسفون فيه ، فالممال العامساون في المناحم والموانيء البحرية في كل من المكسيك والارجنتين والشيلي ، اخسنوا ، هم ايضاً يتململون بشيء من الحدة في التسمينيات ووقعت بعض حوادث العنف في اليابان . فأضراب عمال مناجم الفحم ، عام ١٩٠٠ صادف نصف نجماح . وقي عمام ١٩٠٧ ، ظهرت لاول مرة المقاومة ضد شركات الفحم في افريقيسا الجنوبية ، حيث تميزت السنوات ١٩٠٢ و ١٩١٤ بالحوادث العنيقة التي وقعت فيها .

والجديد في الامر هو دخول موظفي المصالح العامة الحلسّبة : ليس فقط عمسال الفحم ويجارة الاسطول التجاري ، بل ايضاً حمال المناجم وعمال الشحن في المرافىء ، وعمال البناء .

والاضرابات في الريف ارتدت هي الاخرى ، بعض الاهمية . فقد هزت القلاقل والاضطرابات روسيا واميركا الجنوبية وعلى الاخص اقطار جنوبي اوروبا التي نزح عنها اهلها بعد ان وقعوا فريسة الازمة التي حلت بزراعة الكرمة . وقامت بالفعل فتن عديدة في الارياف الايطالية كما تكاثرت حركة الاضراباب بين فئة Bracciantl . في كل مكان من البرتفال الى غاليسيا، اخذ القلق يساور الفلاحين ويدفعهم الى حركة انتقال واسعة تحملهم الى مجاهل اميركا . وهنالك قطر آخر مشهور باستثماراته الكبيرة هو انكلترا حيث تقوم بروليتاريا من المياومين تثلحف بالمطالبة وتتشدد بها . ويقوم في فرنسا الكرامون بعسدة حوادث من الاضطرابات والمظاهرات الصخبة : فقد ضاقوا ذرعاً بتصريف الكيات الضخمة من النبيذ والنبيذ المزغول ، التي انتجوها ، كا يعلل كايو قيام هذه المظاهرات في مذكراته . « فقد اشترط رئيس الحكومة التي انتجوها ، كا يعلل كايو قيام هذه المظاهرات في مذكراته . « فقد اشترط رئيس الحكومة الثائرة ، وسالت الدماء في تاربونا » . الا ان القائمين بأعمال الحصاد في حوض باريس والفحامين وجسامعي صمغ الراتنج يرون انفسهم مدعوين للمظاهرات بدافع من البؤس الذي يتضورون منسه منسه .

وفكرة الاضراب العام الغاشم الذي لا يقهر ، المنتصر ، الفكرة القوة التي لا تدفع ، هـذه الفكرة التي خطرت لجورج صوريل ، سارت طريقها في الاتجاه المرسوم ، بالرغم من الفشل الذي منيت به المحاولة الاولى التي قامت في ايطاليا ، عام ١٩٠٤ . فبعـــد ان نظر اليها الذي منيت به المحاولة الاولى التي قامت في ايطاليا ، عام ١٩٠٤ . فبعـــد ان نظر اليها الماركسيون نظرتهم الى شيء مستحيل ، إنتشرت الفكرة على الاخص ، بـــين انصار الحرية واللاساسين .

و فمع ندرته في الغرب ؟ كا يــلاحظ تروتسكي في مذكراته : وحياتي » ؟ فالاضراب السياسي هو الطريقة الناجحة المثل في روسيا » . فالاضراب يجر وراءه تحو مليون رجل الى قلب الثورة > عام ١٩١٤ .

ومن الامور التي لها دلالتها الخاصة هنا هو وقوع الاجماع على اختيار اول ايار واتخاذ العلم الاحمر لدى الطبقة العاملة تأييداً لمطالبها الحقة . « يوم » ورمز ذو طابع دولي . « وبما هو ادهى من ذلك » كا يلاحظ سان سيمون بمناسبة الاحتفال بأول ايار عام ١٨٩٠ هو هذا التفام الدولي بهذا الشأن من فوق الحدود » والاتفاق على نص واحد التعبير عن المطالب المشتركة ، وطريقة واحدة مشتركة للتعبير عن المطالب الواحدة المشتركة . نحن المام تحول عظم النظام الاجتاعي » وطريقة واحدة مشتركة للتعبير عن المطالب الواحدة المشتركة . نحن المام تحول عظم الاجتاعي » مطاهرات شعبية حماسية وفتن في مدينة كليشي واطلاق العبارات النارية في مدينة كليشي واطلاق العبارات النارية في مدينة Fourmies بفرنسا ، واصطدامات حامية في ايطاليا وفي في الودز وقعت عام ١٨٩٢ . هذه هي المناسبة حامية في شيكاغو وفي البرازيل وحوادث في لودز وقعت عام ١٨٩٢ . هذه هي المناسبة التي راح فيها جان باتست كليان يضع هذه الاناشيد الحربية :

لهذه الرأسمالية التي تتكلم بلهجة السيد الآمر لنجعل هذه اليقظة اليوم رداً حاسماً قائلين لكل انسان محله تحت الشمس لكل انسان حقه من الراحة والرفاهية

ثم هبط الحماس وخدت جذوته . وعند حلول العيد في تاريخه المعين كل سنة لم يعمد اول ايار يلهب الخيال ويرعب الطبقات ويسمر الخوب في قسلوب الاثرياء فالمسيرة التقليدية تسير ها المادي المالوف وتتجاوب الارجاء صدى نشيد الدولية ؟ هذا النشيد الذي وضعه اوجين بوتييه ؟ عام ١٨٧١ ، وقد يرتفع فيه احيانا العلم الاحمر الذي رأى فيه ابناء الكومون و رمز السلام والمساواة » ، وقوى الامن تسهر على الامن وتكبع جماح المتظاهرين وتجبرهم على التزام الانضباط ولن يلبثوا ان يتمرقوا من حيث جاؤوا . وقد على المجلس الشيخ في اليوم التالي لاول ايار عام ١٨٩٢ قائلا . و كان عيد اول ايار هنا (في لندن) جيملا جدا ؛ اذ انه اصبح شيئاً من هذه الاشياء العادية التي تمركل يوم او بالاحرى كل سنة . فقد ذهب رواؤه الاول وولي رونقه » . ونشرت الجهورية الصغرى ، في اول ايار ١٨٩٥ ، قائلة : و في الامس الغابر ولي رونقه » . ونشرت الجهورية الصغرى ، في اول ايار هه٨١ ، قائلة : و في الامس الغابر الجماهير وحماسها في الضاحية ، اما اليوم فبضعة انفار من قوى الامن تكفي لتشتيت بضعة الوف من المتظاهرين » . ما الفائدة لعمري من التظاهر في الشارع اذا كان لا بد من الانتهاء الى الوف من المنهاية .

حاول زعماء الحركة النقابية مراراً ان يستفاوا عيد اول إيار . وبمناسبة الاحتفال به عام ١٨٩٦ وجه بلونييه نداء بأسم بورصات العمل ، وهو يرى ان على البروليتاريا ان تؤلف ، قبل كل شيء و جمعية عملاقة ، مدركة لمصالحها الحيوية عليمة بالوسائل والذرائع المحققة لها » وراح مؤتمر العمال العام يحاول سنة ١٩٥٦ ، اثارة حماس المعركة لاجل تكريس العمل بثمان ساعات عمل في اليوم ، وذلك بالاستعداد وللاحتفال بعيد اول ايار بشكل مثير ؛ انه و لميد فخم ، بالحقيقة كا جاء على لسان ادوار فيتان ، ولكنه عيد لاغد له .

في هذه البلدان التي يشتد فيها الروح النقابية والاقبال عليها بحيث ارتفع عدد الاعضاء المسجلين فيها الى ٤ ملايين كما هو الوضع في الكلترا ، ومليونين ونصف في المانيا ، ومليونين في الولايات المتحدة الاميركية ، عام ١٩١٤ ، يستنكف العمل السياسي تبنى برنامجا اصلاحياً يستنكف العمل السياسي تبنى برنامجا اصلاحياً بعمراحة .

فانحاد العمل الاميركي الذي يرأسه غمبرز يصطدم بمقاومة عنيفة لا تلين من قبل اربابالعمل الذين يسخرون بمنظمي الاضراب والسلطة القضائية لكسر حدة الاضراب. ولذا وضع نصب عينية تحسين وضع العمال باحترام المعمة نفسها بتحقيق المزيد من المكاسب. الا ان حركه العمال

الصناعيين في العالم تبدو اكثر اخذاً بالاصول ، عام ه ١٩٠٥، وفي السنة نفسها يؤسس أبتن سنكار الجمية الاشتراكية الجامعية التي آلت رئاستها الى رجال لندن.

وفي المانيا راحت الحركة النقابية تنشق على نفسها نتيجة النزعات المختلفة والتيارات الفكرية التي هبت عليها : مسيحية ليبرالية لـ (هرش – دونكر) ، واشتراكية وراحت الفئة الاخيرة بزعامة ليجيان تنظم نفسها بيروقرطياً لا سيا وزعماء الحزب الاجتاعي الديموقراطي الماركسي لم يضعوا نصب أعينهم التضامن معها .

والحركة النقابية العالية ساندت في بريطانيا العظمى كا في استرالاً سيا حزب العمال البريطاني. فقد شجعت العمل المباشر الذي اوصى باعتاده كل من فبلت وتوم مان في انكلترا ، ولاركن في إرلندا . فنظام العمل الذي إستنه لا يختلف كثيراً عما كان متبعاً في بلجيكا والبلاد الواطية وفي النمسا حيث المنظات الدينية الطابع تنبذ جانباً كل ما يشتم منه العنف .

اما فرنسا ؟ فالوضع فيها على عكس ذلك؟ أذ أن الروح النقابية توصى بعدم الثقة بالاشتراكية السياسية : ماركسية كانت ، ام اصلاحية ، وبالقيام بعمل مستقل بتفق ومنهج اتحاد العمل العام الذي عد بين اعضائه نصف مليون عضو منتسب ، عام ١٩١٤ . وتحت توجيه رؤساء امتسال بلوتيه وبوجيه وغريفويلز ومرهايم الذين ينتسبون نوعاما الى برودون وباكونين وجان غرايف والى المستذهب الفوضوي ، اكثر من انتسابهم ال<mark>ى ماركس،</mark> وهو اتحادكان يرمى و التخلص من ارباب العمل ومن اصحاب الاجور مماً . وقد ذهبت الى ابعد من ذلك ، الى التوصية عِمّاطمـــة (buy cottage) رب العمل المعروف بعدائه ؟ والى اللجوم التصنيف غيه يزاً لهم • أو الى اعمال التخريب ، كا يدعو مجزم الى اتحاد البروليتاريا في كل العالم ، وادعى لنفسه بانسم حزب العهال الحقيقي ٤. وبميثاق أميان الذي تم وضعه وتبنيه عام ١٩٠٥ ، راح اتحساد العمل العمام C. G. T يؤكد رغبته في تزعم حركة « الصراع الطبقي ... بعيداً عن كل مذهب سياسي» . وقد ظهر تأثير المطالب التحررية ؛ بشدة في ايطاليا وفي قلب غرفة العمل والنقابات الزراعية ؛ كا ظهر الخارج باولى تجربة يقوم بها ، اذ اعلن اضراب وطنى عام وتشكيل منظهات مناضلة ؛ منها مثلاً : لجنة المقاومة ؛ والعمل المباشر ؛ والاتحاد النقابي . وراح لابريولا وليونيه يعملان على ترويج مؤلفات سوريل ويضمان جانباً المذهب الاصلاحي الذي تبناه اتحساد العمل العام الايطالي . وفي سنه ١٩٠٧، راح الفوضويون يمقدون مؤتمراً لهم في امستردام أقر" اقتراحاً قدمه مالاتستا محمد العمل النقابي المستقل . وقد ادى ذلك الى ظهور منظمة التضامن العمال في كتلونيا التي عرفت عرقفها المنادي للدين وللحرب مماً ، ثم في عام ١٩١١ ، الى تأسيس اتحــاد العمل العام الذي وقف في كل اسبانيا ، موقفًا مناهضًا لاتحساد العمال العام ، الذي تأسس سنة ١٨٨٨ ٬ أي في هذه السنة بالذات التي تشكل فيها الحزب العمالي الاسباني . ونلاحظ مثل هذه السيطرة عند الايديولوجيا في اميركا اللاتسنية . وكان من عمق الاختلاف والتباين بين هذه الفئات والمنظمات ما أفسد كثيراً عمل النقابيسة الدولية . فقد تألفت ضمن كل منظمة سكرتيرية وطنية ، منذ عام ١٨٨٩ ، وقام منها حتى عام ١٩١٤ ، ثمانية وعشرون سكرتيرية عامة ، منها ٢٢ جملت من برلين مركزاً أساسياً لهسا. وبالاضافة الى هذا كله ، فقد اتخذت تدابير خاصة لاعداد اجتماعات دورية بحضرها بمثلون عن هسنه النقابات المركزية . وتأسس عام ١٩١٣ ، اتحساد نقسابي دولي جعل من مدينة زوريخ. مركزاً له .

ومهما يكن و فسواء تعلق الامر بالكفاح ضد الرأسمالية او بموقف دنيا العمال من الامية و خسلال الحرب و لم يكن في وسع المنظمات العمالية ان تتجاهل ما للحركة الاشتراكية من عمل سياسي .

الدفع الاشتراكي وتركة ماركس الولايات المتحدة الاميركية - كالنقابية - مكاسب جوهرية حتى في الدفع الاشتراكي وتركة ماركس

ان ينال قسماً كبيراً من اصوات الهيئة الانتخابية . الا انه استطاع ان يؤمسن لمرشعه ، في انتخابات الرئاسة ، عام ١٩١٧ نحواً من مليون صوت بينما عجز عن اعطائه ، ٠٠٠٠ صوت في انتخابات عام ١٩٠٠ . اما في اوروبا ، فقد قفز الحزب الاجتاعي الديوقراطي الالماني ، من أنتخابات عام ١٩٠٠ . اما في اوروبا ، فقد قفز الحزب الاجتاعي الديوقراطي الالماني ، من بالندات المليون ، ونال الفرع الفرنسي للدولية العمالية ، عام ١٩١٤ ، نحواً من ١٠٠ مقاعد بقطع النظر عن الاشتراكيين المستقلين . وقد كان الفئات الاشتراكية ٢٩ مقمداً في الجسلس النيابي الايطاني ، عام ١٩١٣ . ودخل حزب العمال في انكلترا الحلبة بحزم فنال ٢٩ عضواً في انتخابات ٢٩٠١ ، و ، ٤ عضواً عام ١٩٠٥ . ومقابل ضعف الحركة الاشتراكية في بلد كأسبانيا التخابات ١٩٠٠ ، و ، ٤ عضواً عام ١٩٠٥ . ومقابل ضعف الحركة الاشتراكية في بلد كأسبانيا بالنسبة لعدد البروليتاريا فيها (عضو واحد في الكورتيس ، عام ١٩٠٠) تقوم من جهة اخرى المحاسب السريعة التي حققتها المنظمات السياسية الاشتراكية الديوقراطية : كالحزب الاعتراكي الثوروي ، وحزب العمال والحزب الشعبي في روسيا، وهي مكاسب كشفت عنها بسرعة ثورة الموري الانتخاب الشديد الرطأة الذي اعلن عام ١٩٠٥ لتخفيض عدد ممثلي هدفه الاحزاب في قافرن الانتخاب الشديد الرطأة الذي اعلن عام ١٩٠٥ لتخفيض عدد ممثلي هدفه الاحزاب في المجلس النيابي .

فنذ الثورة الفرنسية ؟ عاد الى النبلاء - هم في مجموعهم من الطبقة البورجوازية - حق سن القوانين . فلم يقم حزب ما أصيل من الفلاحين . ولذا فظهور منظمات سياسية فيها تأخسذ على نفسها الدفاع عن مصالح طبقة اجتاعية ممينة وتفرض على اعضائها التقيد بالتزام ساوك ممين في الانتخاب ؟ كان له دوي كبير في الخارج .

ولم ثنية ما عرفت به من اعراف وعادات . فقد استمرت بعملها فىالبلدان الانكلوسكسونيسة ودون ان يكون لما فلسفة خاصة بها. فنحن امام حركة عمالية مشبعة بالروح النقابية الاصلاحية ؛ لها اهدافهما المعينة ومؤفراتهما الاخلاقية الخساصة . « لا يمكن لنا أن نرتبط بهسذه النظريات الاشتراكية المعمول بها في اوروبا٬ يصرح العضو العمالي الاسترالي وطسن . نحن نؤمن بالمبادىء الاساسية التي تنادي بها الاشتراكية . كل شيء يجري على مهل ، . عظيم هو النفوذ الذي تلمبه الطوائف والجمعة الفابيانية لدى البريطانيين على حزب العمال . فعامل المعادن بورت، لا ينقطم عن الوعظ في الكنيسة المتودستية أفر انتخابه عضواً في مجلس المموم. ويحدثنا زميله كير --هاردي عن تجلى الحقيقة الكبري التي اعلنها السيد المسيح باذلًا حياته في سبيلها ، وهي ان لا سبيل لخلاص النفس الفردية ان لم تخلص النفس الجاعية ، فن رسكن الى ولي موريس الى وب الى رمسي مكدونالد ، فنقد المجتمع الرأسمالي لا ينتهي قسط بالدعوة للثورة والانتقاض على المستثمر. فهذا يضم نصب عينيه، في الدرجة الاولى ، مصلحة الامة الكبرى . « غايتنا الاولى محو الرأسمالية وليس ازالة طبقة اصحاب الا<mark>جور ، كا</mark> يؤكد الاخوة وب الذين يفكرون مجمل كل الناس موظفين يتناولون اجورهم من الدولة » . ان تأميم وسائل الانتاج والخدمات العامة يجب ان يفسح المجال لنظام اجتماعي عادل . ومهما يكن فوضم البروليتاريا لا يزول من العالم تدريجيا الا تحت تأثير تشريع سلمي ملائم. فكما ان حزب العمال البلجيكي الاصلاحي الصمم يكسب انصاره على حساب حزب الاحرار وينحاز مع ذلك المه ضد الاكثرية الكاثوليكمة 1 يقدم حزب الممال اصواته الى حزب الاحرار برئاسة لويد جورج الذي اعاد اللوردات الى الصواب . اما في فرنسا ، فالاكثرية بين البرلمانيين الاشتراكيين في المجلس إضطرت، لاغراض انتخابية ؛ إلى مساندة « كتلة اليسار » المعروفة بمناهضتها للروح الوطنية المشهورة بروحها الرجمة والدينية، وذلك نزولاً منها عند ونظرية اتحاد الاحزاب الاصلاحية، التي في مقدورها رحدها ، كما يؤكد هريو ، عام ١٩٠٨ ، ان تعد السبيل امام طلوع و السلام الاجتاعي ، عن طريق التطوير المطرد للديموقراطية.

والامر الذي استأثر باهتام الولايات المتحدة الاميركية ، وبريطانيا العظمى هو غزو الماركسية لاوروبا الغربية ، الوقت الذي راحت فيه الفوضوية تتحصن وراء النقابية في الغرب. أو في قلب الحزب الاشتراكي الثوري في روسيا . فقد عاش انجلس حتى عام ١٨٩٥ . « تجلى امامنا هذا الرجل كأنه نصف اله ، كما يلاحظ فندرفيلد ، هذا الرجل العظيم الذي عرف ماركس وعمل ممه » . فقد كان من نشاطه ان حال دون الانتفاع ، كما يجب ، بهذه النصوص ماركس وعمل ممه » . فقد كان من نشاطه ان حال دون الانتفاع ، كما يجب ، بهذه النصوص الاساسية التي وضعها المعلم ، بدلاً من هذه المقتطفات النادرة التي قدمها لنا . فالطبعة الاولى الحكتاب و الرأسال » صدر منها ، ١٠٠٠٠٠ نسخة ، لم تكن نفذت كلها بعد صدور الكتاب به و سنة . فتعاليم المعلم عملت في طياتها شيئا غريباً ، نوعاً من ايمان جديد أخذ بالانتشار . وكما ان طاوع العصر الجديد من شأنه ان يرسم امام الناظر علامات استفهام كبيرة ، راح تسلميذه

يتساءلون قائلين : « ان ماركس كالتوراة ، كان يقول ولهلم لبكنخت ، قالكل يفسره على هواه ويؤله تأويلا مضاداً للآخر » .

وقد سبق لأنجلس ان استشعر بالخطر ، قبل وفاته اذ يقول : و نظرتنا ليست بعقيدة ، بل هي تعبير عن سير تطور ، وهذا التطور يفترض حدوث ادوار وعهود متتابعة » . وبدون ان ينكر اهمية المكاسب الديوقراطية التي تحققت فقد حذر من ان تفوص الاشتراكية في رمسال الليبرالية البورجوازية . وفياكان يؤكد ان وعصر الانقلابات المفاجئة والثورات تقوم بها اقلية واعية قد مضي وانقضى ، فقد جعل من دكتاتورية البروليتاريا التي لا بد من طلوعها شراً ترثه البروليتاريا المنتصرة في صراعها من اجل تخفيف فوز الطبقات » .

ما لم نستنتج مع باريتو ان و تنبؤات ماركس وانجلس ليست بمقائق قط ، ، ومع ليروى - بوليو ان الاشتراكية ليست الاخيمياء علم الاجتاع ، هنالك امكانية الخروج ببرنامج عملي من هذه التعاليم المقصورة على فئة خاصة . الا أنه يجب قبل كل شيء الوصول الى تفام حول المعنى الصحيح للحكم بالموت الذي صدر في اعقاب محاكمة الرأسبالية . فاذا كانت الفاجعة وشيكة الرقوع ، تحتم علينا ان نكون على استعداد لمواجهة هذا الحادث الرهيب . اما اذا مسا تأخرت ساعتها وجب علينا ان نعرف ما هو سبيل البورجوازية لتأخير سير عقرب الساعة . فاما ان تلمب الاوتوماتية الاقتصادية دورها او انه أولغ جداً في تحديد دورها (هنالك رائحة مذهب اللاحتمية في الجو) . ومهما يكن يبعب فعص النصوص بدقة وتوضيحها على نور الايضاحات التي تقدمها الحوادث وفاقاً للنهج ذاته .

قفي الوقت الذي تكشف فيه الفوضى بلسان كتاب امثال غرايف وركلو وكرمبوتكين بأنها قريط الصراع ضد استثار رأس المال بالصراع ضد اياضطهاد او استغلال ، فهي تشدد دوماعلى الحرية الفردية ، وتختار دومًا تردد ، جانب التعارن العفوي المتبادل ، مع العلم انهم كار عدده ولا الاشتراكيون الذين مع انتسابهم الى الماركسية يخضمونها النظر والنقد ، تحدث جورجسوريل ، عام الاشتراكية الاشتراكية . وبعد ان انصرف لتحديد علم الاخلاق جعلما وفقاً لوجهة نظر برغسون ، في خدمة الاخلاقية الديناميكية ويصفق استحساناً لموقف جوريس الذي اندفع ، بالرغم من نصيحة غيسد له ، وراء معركة درايفوس ، وبعد انتهاء والقضية ، وامام عملية و التنظيف ، يشتد ازلاق سوريل في الوقت الذي يعمل الفشل الذي مني به ، على ابعاد بيغي عن الاشتراكية .

غير أن الهجوم الداوي وقع عام ١٨٩٩ وفي المانيا بالذات ، قام بــــه الحزب الاشتراكي الديوقراطي الذي بالرغم من استفحال شأنه الظاهر اخذ يصطبغ بطابــــع البيروقراطية . وينتقد برنشتاين في كتابيه : « الاشتراكية النظرية ، والاشتراكية الديوقراطية ، العالية الدياليكاتيكية والمادية التاريخية ، ونظريات التمركز ونظرية تقييم العمل ، والازمات والكنتية

المستحدثة ، ويطالب بإبلاء الثقة للنزعة الحرة نحو الخير . وبعد ان رفض الاخسة بنظريسة الكارثة الخيرة التي تقول بها الماركسية البلانكية التي كانت تصلح لعام ١٨٤٨ راح يدلي ببراهينه على جدوى التكنيك الانتهازي . وقد تنطح كونسكي للرد عليه وروزا الكسمبورج محتجين على هذه الاقوال بالارقام ، موضحين مفالط التفسيرات المعطاة (من ذلك مشلا ان برنشتاين خلط بين اكتناز الثروات وبين حشد وسائل الانتاج في ايد قليلة) ، مع انه اعترف ، من جهة أخرى بفائدة المعركة البرلمانية ، وهو يتوقع و صراعاً طويلا مريراً ، (الاصطلاح للكسمبورج) . وبعد هذا اوصى كونسكي ، في الاقتراح الذي عرضه على مؤتمر العقود في باريس ، عسام ١٩٠٣ ، وبنظيم البروليتاريا على غرار جيش مستعد للحرب الاجتاعية ، ، وينبذ بعيداً ، وفقاً لرغبة غيسد ، فكرة كل تحالف اشتراكي مع الاحزاب البورجوازية الاخرى . الا ان الوحدة لم تتم بدون جهد طويل .

وقد تصادم غيسة وجوريس في فرنسا ، بعد أن اتجه جوريس في تفكيره نحو المصالحية التأليفية : « نحن إصلاحيون وواقعيون في الصميم وفقاً لطريقتنا بقدر ما نحن ثورويوت في العدافنا » . ومن جهة « الحياة الاقتصادية هي التي كانت في صميم مدار تاريخ الانسانية ، غير ان الانسان ، هذه القوة العاقلة يتطلع بأنظاره الى مل الحياة الفكرية ويشر ثبمن كل جوارحه الى مثاركة العقل القلق ، المتطلع دوماً الى الوحدة والى هذا الكون الغريب . . . فالشجاعة هي في طلب المثل وتفهم الواقع . . . اذ ان قيادة البشر وتوجيههم يقتضي له نور الفكر . . . ، اخلاقية المدالة اولا واخيراً .

فاتباع الديموقر اطية الاجتاعية لدى الروس ، بين منشفيك وبلشفيك ينقسمون على انفسهم عام ١٩٠٣ حول السلوك الذي يتوجب عليهم اتخاذه. فالاول من هذين الحزبين يحبذ قيام حزب يضم الجماهير ، بينا يحبذ الثاني حزبا نظاميا قوامسه المركزية . فالأول يقول بالتحالف مع الاصلاحين البورجوازيين ، بينا يعتقد الحزب الآخر بفائدة التمويل على طبقة الفلاحين .

ومن جهة اخرى فقد خسر الثورويون والاصلاحيون المركة في قلب الحزب الديوقراطي الاجتماعي الألماني ، وذلك عندما دعا مؤةر الدولية المنعقد في امستردام عام ١٩٠٤ ، بصراحة المنظمات الاشتراكية الفرنسية الى الاتحاد وبعد ان امتثل جوريس للدعوة طلعت علينا المنظمة . G. F. I. O.

و في هذه الفضون ، وقع حادث خطير احدث هزة عنيفة في قلب الحركة الاشتراكية كلها الا وهو نشوب الثورة في روسيا .

عام ١٩٠٥ ، قامت الكومون في باريس ، وعام ١٩٠٥ وقمت الثورة الرسية عام ١٩٠٥ وقمت ضد النظام القيصري ، ثورة الفلاحين والبحارة الروس ، فقسد رائرها في الحركة الاشتراكية اسقط في يد الدولية الاولى وعجزت عن انقاذ الكومون ، بينا شاهدت الدولية الثانية ، وهي عاجزة ، المعركة الثوروية تضطرم وتتأجج من بطرسبورغ الى مدينة اوديسا على البحر الاسود .

بغد ان 'جر الشعب الروسي ' إنر ازمة اقتصادية حادة قسراً منه وعصباً عنه ' الى حرب الية ضد اليابان ' قام هذا الشعب واعلن الثورة التي جاءت ضربة قاصمة على النظام القيصري لم ينهض منها . وقد دار في خلد نيقولا الثاني انه و للحؤول دون قيام الثورة لا بد من ضربسة قصيرة رابحة » . الا أن الحرب استمرت اطول مما اراده وزادت من اوصاب الشعب وآلامه . وجاءت الهزية فيها وصمة عار في جبين الشعب الروسي ' كا جساءت تحقيراً له وانتقاصاً من كرامته ومنزلته . فثورة الكومون في باريس جاءت نتيجة الحاس الوطني ' وقامت في وجه حكام بررجوازين انتقدت عاليا قصورهم الفاضح وخيانتهم . اما في روسيا فلن يكن من ينكر او يتفاضى عن مساوى الحكم التيصري المستبد . ومع ذلك فقد راحت البروليتاريا تجر اذيال

تطور الاقتصاد الرأساني في امبراطورية القياصرة على غرار التطور الذي عرفت فرنسا خلال الامبراطورية الثانية . فبينا يستمتع الاعيان والنبلاء في غربي البلاد بتقاليدم المتحررة ويحكون بساعدة طبقة من اصحاب الاملاك الفلاحين ، كان القسم الشرقي منها لا يزال بعسد مجاجة ماسة لمثل ثورة ٩٨ الفرنسية ومن جهة أخرى ، فالبورجوازية الروسية لا تنوفر لها بمد قوة المدد ولا الاستقلال الاداري (يكفي ان نشير هذا الى الدور الحاسسم الذي لعبته الدولة ورأس المال الاجنبي في التنمية الاقتصادية) في الوقت الذي لقي فيه حشد المشروعات الانشائية بعض التضامن وتأييد الطبقة العمالية . ولحكن ما هو الدور الذي لعبه سكان الريف ، يا ترى؟ ثمن القائمة عجز البورجوازية وفشلها واستيلاء بروليتاريا فقيرة معدمة على مقاليد السلطة والسيطرة على دولة طابعها نصف طابع الأجيال الوسطى ، فهل في الأمر ما يرغب فيه اد يوضى عنه من الوجهة الاشتراكة ؟

فقد دهش ماركس لأول وهلة من النجاح الباهر الذي حققته نظرياته وتعاليمه في روسيا . فقد هزئوا طويلا من هذا الشعب الذي و يقفزة بميتة مفاجئة وجد نفسه ضمن بملكة فرضوبة سشوعية ملحدة . فالانكسارات التي توالت عليه لم تفاجىء لنين : كل حرب تشنها دولة متأخرة تلعب دوماً ؟ كا حدث ذلك مراراً عسب الثاريخ ، دوراً كبيراً في تعجيل الثورة وتفجيرها ، بمثل هذه الافكار والتأملات واجه سقوط بورت ارثور بيد اليابانيين. الا انموقف الاشتراكية بدا هنا في غاية الدقة : و لا نستطيع الخروج فجأة عن الحدود البورجوازية للثورة الروسية ، كا لاحظ رئيس الحزب البلشفيكي ، في الوقت الذي كان يستعد فيه الرجوع الى روسيا .

فقد جاءت الحوادث تثبت بصورة لا تدع مجالا للشك ، حسدة الازمة وعبز الثوار : ماركسيين كانوا او شببين ، عن اسقاط النظام القديم . فقد وقمت ثورة قام بهسا الفلاحون وحدثت فتنة على يد البروليتاريا من سكان المدن ، واسعة ، وحركات عصيان وقرد في الجيش والاسطول . من الحسوادث البارزة ، اذ ذاك ، الاحسسد الاحر الدامي الراقسم فيه

٧٢ كانون الثاني ١٩٠٥ ، في بطرسبورغ ، وتمرد الطراد الذي يحمل اسم الامير بوتمكين ، وبيان ، و بيان ، و بيان الاول الذي اذاعه الامبرطور نيقولاالثاني يمد فيه البلاد بتشكيل حكومة دستورية ، وممركة الشوارع في موسكو في كانون الاول . وقد خيل لبعض الماركسيين لمسدة قصيرة ان سلطة شمبية ستطلع وتتولى الحكم من بين هذه الجاهير التي انتظمت صفوفها فجلة في السوفييت . فالشاب بروتشتان ، يتول تروتسكي ، شارك مشاركة فعالة في تشكيل مجلس السوفييت في بطرسبورج . اما لينين فقد رأى ان المحاولة مكتوب لها الفشل التام لافتقارها المتنظم . الا انها افادت كثيراً في ضرورة وضم خطة منظمة لكل فرة او فتنة .

وقامت القيصرية بتجربة الدوما (المجلس النبابي) لاول مرة ، هذا النظام الهجين الذي فشل في اعادة الحكم الاستبدادي الى البلاد كا عجز عن اقامة وترسيخ بورجوازية ليبرالية كا عجز عن تأمين فجاح عملية الاصلاح الزراعي التي حاول ستولبين القيام بها والتي رمت الى تشجيع الملكية الفردية في البلاد ، وما أدت الى تأمين الازدهار للانتاج الزراعي والصناعي الذي كان من شأنه ان حداً للاضطرابات الاجتاعية.

احدثت هذه الهزة ردة بعيدة المدى في الغرب. فاذا ما راح جوريس يتنبأ و بان تحريرالشعب الروسي سيلاقي تمبيره الكامل في قيام نظام عمل في البلاد تبرز معه البرولتاريا الروسية الما الطليمة بين صغوف البروليتاريا في اوروبا ، فقد راح الماؤلة وانس يصرح من ناحيته قائسلا : ومهما كانت نتائج هذه المحاولة الضخمة المريمة ، فقد لعب اتباع البروليتاريا ، منذ الان دوراً القول في مصائر بلدائهم ومصير العالم. فالثورة الروسية هي فردة عالمية ، وقد رد ارفر ماير طيه هذا القول في حريدة الغولوا قائلا : وكل ثورة كبرى قامت في العالم زرعت حولها جراثيم ضارة مؤذية ، الا ان الثورة الروسية لها جالبها الاحر المرعب ، ، ثم زاد قائلا : و انا ضيد ثورة معاكسة شاملة تستطيع وحسدها تجنيبنا اسوأ الكوارث ، . اما غليوم الثاني فقد اعرب للإمبراطور نيقولا الثاني عن رأيه قائلا : و ها هي روسيا تطوي صفحة جديدة من سفر تاريخها ، فالوسائل نيقولا الثاني عن رأيه قائلا : و ها هي روسيا تطوي صفحة جديدة من سفر تاريخها ، فالوسائل المهمة ، كل هذا سيترك الره المباشر على الدول الاخرى الواقعة على حدودها ، . ليس من ينكر قط ان الضرية التي نزلت بالنظام الاستبدادي القيصري كان لها صدداها البعيد في آسيا حيث نفوذ الغرب كان اخذ يتغلغل اليها كا تغلغلت الراحمائية الاستعمارية الى روسيا .

وقد جاء الحادث يكرس نهائيا انقسام الماركسيين الروس. وعلى ضوء هذا الحادث ، فقد رفض لنين ان لا يرى في مجلس السوقييت سوى و جهاز اداري ليس الا على شكل مسا تمناه المنشفيك . فقد اولام دور و اجهزة الفتنة و على طريقة تروتسكي الذي بقي مصراً على رأيه وتفكيره في ان و السوفييت يؤلف جامعة حمال الروس التي يمكن لها ان تستلم ، في المستقبل ، ادارة الجاهير الثائرة وتوجيهها » . فقد سبق لانجلس وكتب قائلا : و ان اسوأ ما يمكن ان

يصيب زعم متطرف هو ان يرى نفسه مجبرا لاستلام الحكم عندما لا تكون حركة تاريخية معينة اتت أكلها بعد ، بحيث يؤمن السيطرة الطبقة التي يمثلها » .وقد حلا لبلاخانوف وبارتوف ودان ان يرددوا هذا التصريح مراراً . ولكن بخلاف هـــولاء المنشفيك الذين لم يرضوا بساهة المبروليتاريا في اقامة دعوقراطية بورجوازية ، وبعد ان اعادوا الى الاذهان الفشل الذي اصاب المبابوفية الزراعية وبعد ان اتهموا بالتحول الى البلانكية ، توقع لينين ، وهو اقوى يقينا واكثر الماناء الماناء الماناء الماناء الماناء الماناء الماناء الماناء واكثر المعوقراطية » في اعقاب ثورة بورجوازية بترتب على الدعوقراطية البورجوازية دعمها قبل كل شيء . وفي مؤتمر براغ ، سنة ١٩١٧ ، حدد البلشفيك اكثر من اي وقت مضى مهمة تحقيق اطار ضيق وادارة صارمة تشرف على القوى البروليتارية ، اذ ان القضية لا تطرح على بساط البحث في اي مكان من اوروبا كا تطرح عندنا في روسيا » . وهذا الاضطراب الاجتاعي الشديد المتجدد النشاط غتى فيه اليقين الوطيد بان ازمة فاصلة هي وشيكة الوقوع في الامبراطورية القيصرية ، فوجه من كراكوفيا ، عام ١٩١٣ – ١٩١٤ تعلماته وشيكة الوقوع في الامبراطورية القيصرية ، فوجه من كراكوفيا ، عام ١٩١٣ – ١٩١٤ تعلماته الدقيقة بحيث تلاقي هذه الازمة لدى وقوعها ، حزبا ماركسيا مستمداً للعمل يستطيع ان بحر اللقوى الشعبية ويقودها بفضل ما له من قرة وما تم له من دهاء التنظيم .

وعلى عكس ذلك ، كانت الحركة الاشتراكية في اوروبا الفربية والوسطي تدفع عنها بشقة ، هجمات الايديولوجيا الوطنية ومفريات الحركة الليبرالية . وليس في سبل الشيطان راح لينين يستمرض في كتابه و المادية والنقد التجريبي ، المحتوى البورجوازي لمنذهب اللاحتمية العلي والفلسفي . وجهيد جوريس في فرنسا ، بما اوتي من فصاحة وبلاغة ، على تحديد المثل الاعلى للاشتراكية التي تلهج دوما بالاخوة والعدالة . وراح جورج سوريل من ناحيته بهاجم بعنف الديوقراطية البورجوازية ويدفع بعبدا العلمية وينادي بتفسخ الماركسية وانحلالها ، ولم يعسد المعتور الا من و الشمور بما هو سام ، و و بالاسطورة ، وهكذا يرى نفسه الى جانب المستمسكين بالتقليد . وراح احد تلاميذه ، هو ادوارد برث يتحدث عن الفسق الديمة قواطي ، يعانبه ، عام ١٩١٤ . اما الاشتراكيون و المستقلون ، فلن يتقاهسوا عن التعاون مع الجموريين بجانبه ، عام ١٩١٤ . اما الاشتراكيون و المستقلون ، فلن يتقاهسوا عن التعاون مع الجموريين مكنتهم الدفاع عنها وحمايتها ، كما ألمع الى ذلك بو انكاريه في مذكرات . من الفريب جداً ، كما ينضح لها ان في مكنتهم الدفاع عنها وحمايتها ، كما ألمع الى ذلك بو انكاريه في مذكرات . من الفريب جداً ، كما يرحظ بول كمبون من ناحيته ، ألى سدة الحكم لما اوتوا من فهم حاد وذكاء متوقد . . . فسلم يبسوا انفسهم ضمن مدرسة خاصة ضيقة ، ولم تجش نفوسهم بروح حزبية ، فهم قابلون التطور» .

وفي قلب الديموقراطية الاجتاعية الالمانية ، كتب النصر في نهساية الشوط و للتبديلية ، المحكوم عليها حسب الظواهر . فبعد ان رفض بيبل وشيدمان القول : و بأن سنة واحدة من الثورة امنت للبروليتاريا الروسية التربية او الخبرة التي عجزت ثلاثون سنة من الصراع التمثياي

تأمينه ولو بشكل مصطنع ٬ للبروليتاريا الالمانية ٬ ، وحملتها على رفض الاضراب العمام ذات الهدف السياسي الذي اقترح اللجوء اليه روزا لكسمبورج .

غير انه لا يمكن للاشتراكية ان تبقى خالية البال امام تطور الاقتصاد الرأسالي . فهلفرنغ في كتابه ؛ الرأس المال النقدي ، وروزا لكسمبورغ في كتابه الموسوم : حشد رأس المسال ، يشددان على الضرورة المترتبة على رأس المال الاحتكاري بالسيطرة على مجالات غير رأسهالية ، ليحافظ بذلك على وجوده وفقاً لمبادئه . فهذه المؤلفات الموضوعة اصلا باللغة الالمانية الزلت القلق والاضطراب في قلب الديموقراطية الاجتاعية التي راحت فريسة تفكيرها بالمنافع والمكاسب التي من شأن الامبريالية في نهاية المطاف ، من شأن الامبريالية أن تؤمنها للدول الصناعية . فهل تساعد هذه الامبريالية في نهاية المطاف ، على طلوع الاشتراكية ، وذلك برفع مستوى الميش في هذه الدول السيق بلغت في تطورها الصاعد الى المستوى الاعلى الم المهوط النظام المورجوازى ؟

والغصى لايخابس

من السلم الحس الحرب الأوروسية

عللت الاشتراكية و الخيالية ، نفسها بحاول سلام شامل في العالم ورؤية جميع شعوب اوروبا في جسم سياسي واحد مع احتفاظ كل منها باستقلاله الوطني كا عبر عن هذا الحلم المعسول سات

عدم جدوى مقاومة العالم العمالي للامبريالية وللحرب

سيمون واوغستين تياري ، منذ عام ١٨١٤ ، او بجسي، جمهورية الله كا تنى ذلك قسطنطين بكور عام ١٨٤٤ .

ومنذ عام ١٨٤٨ ، راح الديوقر اطيون الانسانيون امثال هوغو يرددون كلمة السر: الولايات المتحدة الاوروبية، وعقدوا في هذا السبيل عدة مؤتمرات السلام . فقد تمنى بلانكي الممروف بروحه الوطنية إلفاء الجيوش المحترفة واستبدالها بمليشيا شعبية ؟ وبرودون نفسه وضع كل آماله في النظام الفدرالي . أما موقف ماركس فقد كان مفايراً لهذا كله : فالحرب ، هذه الفكرة الملازمة النظام الرأسالي ، سترقفع من هذا العالم بارتفاع هذا النظام والفائه الا انها قد تولد مجتمعا جديداً . واذ خشي ماركس ، خلال الدولية الاولى من ان تفدو البروليتاريا ، في الغرب وفي ألمانيا هدفا لعدوان مسلح من قبل الحكم القيصري المستبد، فقد نبذ جانباً فكرة نزع السلاح . الا انه عدل من موقفه بعد الفشل الذي منيت به الكومون ، ولم يعسد انجلس يتوقع ، بعسد ذلك بطويل ، خيراً من اي حرب تقع في اوروبا و لدينا وسائل اسلم السير قدماً » كا راح يؤكد عام ١٨٩٣ ، فوسيلتنا الكبرى وحيلتنا المثلي هي العمل الحازم الذي تمثله البروليتاريا، في بروزها الذي لا يُرد .

وجاءت امثولة عام ١٩٠٥ . فالحرب في منشوريا كالحرب في جزيرة القرم انزلت الوهن في النظام القيصري . وفي مؤتمر امستردام ، عام ١٩٠٤ ، راح بلاخانوف يمانق المندوبين اليابانيين قائلا : و لو قيض للقيصر وربح الحرب على اليابان ، لبات الشعب الروسي هو الخاسر الاكبر

والمغاوب على امره » . وقد وجد هذا القول صداه في كلمة القاها ستولبين : د الحروب وحدها تضمن فوز الثورة ، فبدون حرب تبقى الثورة عاجزة » . فالدرس يدعو الثورويين امثال لينين للنفكير جدياً في الامر .

وقد رفضت الاشتراكية في الغرب التسليم بالقول ان الحرب هي سبيل الخلاص .فقد « دلل جوريس على بطلان هذه النظرية ، الثوروية » . . « لا نربد ان نعرض ايماننا الوطيب بتحرر البروليتاريا المتصاعد للقدر الغاشم الطالع من حبات النرد الدامية » .

ولكن أليست الامبريالية ، من هذه الدرائع المثلى الكفيلة بتخفيف ضغط الطبقة العاملة على الرباب العمل ؟ فقد ذكر جبوليتي في دمذكراته ، عام ١٨٩٣ ، وان الرأي العام في إيطاليا 'ذهل لحذه الفضائح المصرفية وان الطبقات الحساكمة كانت جدو جلة من جراء هـــــــــــــــــــــــــ الاشتراكية الطالمة ، وسنحت فرصة استعارية مثل لصرف الانظار وتحويلها عن الوضيع المتأزم » . ولذا راح سيسل رودس يكتب عام ١٨٩٥ بغظاظة قائلاً : و أليست الامبراطورية هي قضية بطن ، كما كنت دائماً اردد ؟ فاذا ما رغبتم في تجنب الحرب الاهلية ، عليكم ان تنصرفوا للاستعار » . وهكذا ندرك تماماً كيف ان برنشتين ، رغبة منه في التوفيق بــــين الامبريالية والماركسية ، يبرر نزعات الرايخ الى المستعمرات . ثم ألم يلاحظ انجلس ، منذ عام الامبريالية والماركسية ، يبرر نزعات الرايخ الى المستعمرات . ثم ألم يلاحظ انجلس ، منذ عام مستوى العمش عندم ؟

يبقى بعد هذا أن بقدر ما تعمل الامبريالية على ديمومة النظام الرأسمالي وتأمين استمراره ؟ بقدر ذلك تحرص الاشتراكية على اصلاعًا حرباً عواناً لا هوادة فيها. أما السباق إلى التسلم؛ فلا مبرر له على الإطلاق عندها ؛ أذ أن النفقات الباهظة التي يتطلبها التسلم يقم عبوها على الجماهير.

ففي قرنسا وإيطاليا واسبانيا حيث النقابات تتحسس عميقاً كلمة السر وتأتم بها ، حرص الفوضويون من تأحيتهم على بث فكرتهم بوجوب القضاء على الجيش باعتباره اداة الفتح وعدة الحرب ، كما يجب ، في نظرهم كذلك الفضاء على الكنيسة والدرلة وارباب العمل . فالدسائس يحبكون خيوطها تتخذ ذريعة لسن القوانين و الجرمة ، من قبل المجالس الفرنسية . فبعد قضية دريفوس واح جانب كبير من الرأي العام في فرنسا يتقزز من موقف اركان الحرب في البلاد واقلقته القلاقل الوطنية ، يتجه نحو مجافاة الروح العسكرية ومناهضتها ونحو الدعوة للسلام . واخذ فاكيه يعبر عن تذمره ، عام ١٩٠٤ ، قائلا : و يقتضي الملم شجاعة كبيرة ليعبر عسن ولائه لفرنسا » .

والاضراب العام الذي اقترح باكونين الدعوة اليه ، احتجاجاً على الحرب ، عام ١٨٦٨ ، امام الدولية الأولى ، بقي من هذه المستحبات والاماني الاثيرة لدى النقابيسة الثوروية . و قالدياغوجيا المرفستية ، التي يمجها بيغي تتبنى هذا الاقتراح وتعرضه على الحزب الاشتراكي

الموحد . و نحن لسنا بوطنيين ، يصرح هرفيه ، ولا يمكن لنا قط ان نكون وطنيين ، طالما نحن اشتراكيون » . وجوهو ، السكرتير العام لاتحاد العمل العام ، يصرح في ٢٩ تموز ١٩١٤ قائلا : و الاضراب العام . . . واجب يترتب على جميع العمال دونما تمييز » . وعند وقسوع حوادث المغرب ، عام ١٩٠٩ اعلن عمال المرافىء في برشاونة الاضراب وحالوا بذلسك دون ركوب وحدات الجيش البحر . وعلى أثر ذلك ، اطلقت النار على المجاهسد الحر فرنسيسكو قرار ، احد رواد المدرسة الحديثة .

غير ان الماركسين لم يمثلوا . فالروح المسكرية ، في نظر غيسد ، ليست سوى نتيجة الرأسمالية : فليس من مبرر ، والحالة هذه لمحاربتها ومناهضتها منفردة . واحسن من ذلك . وهو ان الدول تمثل شيئا كبيراً في تطوير البشرية وتطورها . فهي تؤلف مرحلة من هنه المراحل التي يشرتب على الاسرة البشرية ان تقطعها ، والدرر الذي تلعبه هذه الدول الآن لمن ينتهي امره غداً . وقد زاد جوريس على ذلك واخد يوصي بتأليف و جيش جديد ، يكون بشحمه ولحمه ديموقراطيا ، شمبيا ، و قادراً على الدفاع عن الوطن ويكون اعجز من ان يلحق أي أذى أو ان يقوم بأي عدوان ضد الجهورية ، فهو لا ينبذ من حب الوطن الا ما يغله من بغض وحقد ، ولم يتردد ببيل قط عن الافصاح عن عزمه وعن استعداده لتناول بندقيته للدفاع عن المانا اذا ما موجت .

ومهما يكن من الامر فان قادة الاشتراكية الفرنسية يخشون كثيراً من هذا الالتباس المفجع الذي يغشى موقف الدولية العمالية . لا شك أن وعقبة اللغة ، جعل من العسير تبادل وجهات النظر الضيقة والمباشرة بين رؤساء الفئات الوطنية المختلفة . ففي رأي فندرفولد ، هذا العائق لم يكن مؤجوداً ، في الدولية الاولى وو اركان حربها ، الذين تألف سوادهم إلاكبر من عازحين ومبعدين . وكثيراً ما ردد انجلس هذا الامر وتتمه بأكثر من ١٧ لغة ولسان . وكان ماركس يكتب براحة دونما فرق لديه ، الفرنسية والانكليزية والالمانية . . . اما في الدولية الثانية ، فقلامر على عكس ذلك تماماً . فتعدد اللغات والالسن ، باستثناء بعض الشواذات النادرة — هو من نصيب الاعضاء اليهود، امثال تروتسكي وادل وبلاخانون . . ، ولذا لم يكونوا يتفاهمون دوماً .

والى هذا ؛ فلم يتخل بمثلو الاشتراكية الالمانية عن مشاعرهم المعاديسة للروس. ألم يُسر المجلس في اذن احد مراسليه ؛ في اثر توقيع الاتفاق الفرنسي الروسي قائلا : و اذا ما اعلسن الروس الحرب علينا ؛ تحتم على الاشتراكيين الالمان مهاجمة الروس والفرنسين وحلفاءهم ؛ أيا كانوا ؛ بعنف شديد ، واذ كان الالمان يخشون كثيراً الامبراطورية القائمة شرقيهم ، ابى افراد امثال ادلر وبوير ورينر ان يتصوروا احتال او امكان انحلال الامبراطورية النمساوية المجرية . ومن ثم فالتعديلية وفقاً لنظرية برنشتاين كانت تركت اثرها عميقاً في الديموقراطية الاجتاعية التي كان انصارها ومؤيدوها بمثابة عرفاء حسني التدريب في خدمة القيصر ، بينا جعل بيني من جوريس و داعية للجامعة الجرمانية وعميلا للحزب الالماني ».

ففي ظروف كهذه ، ليس من عجب قط ان تكون احتجاجات الدولية واعتراضاتها على التسلح مجرد مطالب افلاطونية . فقد اسقط مؤتمر شتوتفارت ، عام ١٩٠٧ ، اقتراحاً بإعلان الاضراب العام في حالة نشوب حرب مع تحريض العمال على القيام بأعمال التخريب بأي طريقة أو وسيلة يرونها ناجحة والتي تختلف باختلاف ضراوة كفاح الطبقات والوضع السياسي العام » . وقد لو حوا في مدينة بال عام ١٩١٢ ليس و بصورة هذا التعاون العظيم بين العمال في جيسع ارجاء العالم فحسب ، بل ايضاً بالخوف المستحوذ على الطبقات الموجهة ، من جراء قيسام ثورة بروليتارية تعقب حرباً عالمية » . كل شيء ثم قبوله والتسليم به منذ ان غير جوريس رأيه قائلا: و اذا لم ينص الاقتراح عن طريقة معينة للعمل ، فهو لم يستثن أية طريقة على الاطلاق . وهكذا تعاقبت الاجتاعات وتوالت الخطب والاقتراحات . والصحيح هو ان المسؤولين عن الحركة الاشتراكية تركوا الامر مربوطاً بالقرار الملتخذ . ولدى اجتاع مكتب الدولية عن الحركة الاشتراكية في بروكسل في ٢٩ / ٣٠ قسوز ١٩٩٤ وقسع الحساضرون نسص محضر علم وجود ، فالحزب الديوقراطي الاجتاعي ، اذ اعتبر روسيا المسؤولة الاولى عن الحرب ، عادق على الاعتادات المرصدة للدفاع عن الحضارة وعن الاستقلال و الالماني » ، وقسد رأى صادق على الاعتادات المرصدة للدفاع عن الحضارة وعن الاستقلال و الالماني » ، وقسد رأى

وعندما غادر جوريس بيت الشعب في بروكسل ؟ أسر في اذن فندرفلات قائلاً : « مسالة الشهد القضية بقضيه اغادير . سنشهد ارتفاعاً وهبوطاً ولكن الامر سينتهي بنسوية في نهساية المطاف. امامي ساعتان قبل ركوب القطار لنذهب المتحف لنشاهد اسلافك الفلامان البدائيين».

دشعرت البرولتاريا ان مصير الانسانية ومستقبلها متوقف عليها في هذه الساعة الحاسمة... كما راح يؤكد المؤتمرون المجتمعون في مدينة يال . ولم يخف جوريس قط انه يضع امسله الوحيد في وقطاع المصالح الاقتصادية والمسالية ، التي تازم الشعوب بمراعاة مصالح بعضها البعض ، وفي تجنيب الكوارث التي تجرها الحرب معها ، ومن جهته راح هاز احد اعضاء الحزب الديوقراطي الاجتاعي الالماني يصرح ، عام ١٩١٢ ، بالاتفاق مع برنشتاين وكوتسكى ، امام المؤتمر المنعقد في شمناتز ، بأن الفئات الرأسمالية ، في شتى البلدان المترابطة والمتعاقدة دوليا فيا بينها ، ترى من الافيد والاصلح لها ان تتقاسم الاسواق العالمية بدلا من ان تنهك نفسها في عراك دام لا يعرف احد ما ستكون نتائجه ، يهدد بالخطر كل المكاسب، وسيفضي التفكير بكلوتسكي الى وضعهذه النظرية التي يصفها لينين بأنها بلغت و منتهى الحاقة ، ، وهي النظريسة التي بموجبها ستتعاون النظريات تعاونا دوليا محدث الحرب .

وبانتظار ذلك وبسخرية من القدر العابث تعتمد الاشتراكية الانسانية النزعة على الرأسمالية في مهمة انقاذ السلام بانقاذ نفسها.

اولى « مؤتمرات السلام » . فشل التحكيم الدولي والدعوة الى نزع السلاح

والرأسمالية لا ترغب في الحرب ، الا ان الفوضى التي تثيرها تحول دون تفاديها ، ، هسدا ما كان يصرح به جوريس . ليس من شك قط ان يمض ارباب الاعسمال لم تشعر بدنو الحرب كا لم تكن لترغب فيها ، بنها قامت بعض الاوساط

الاخرى ، من حيث تدري او لا تدري بنشاط لا يخلو قط من خطر . يصف لنا اناتول قرانس و القوى المالية ، قوى هدامة للدوح الوطنية والقومية ، ثم يكشف لنا ، من ناحية اخرى كيف ان كبار رجسال الصناعة ينشطون لصنع المدافع وبناه البوارج الحربية غيرة منهم على الدفاع عن الوطن واستدراجاً للطلبات . ويطمئن كمبون ، عام ١٩٠٠ الى ان الامبراطور غليوم الثاني ليس سوى واحد من رجال الصناعة يسعى الاستثبار معمله واستفلاله ، . كذلك هو يضمن ما لليهود من نفوذ عظم . . . بيدم السلم والحرب . فلا مجال للدهشة هنا ولا للاحتجاج . هذا هو الواقع القائم ، علينا ان نأخذه بعين الاعتبار . وبالفعل ، نرى مديراً يهودياً الحسد مصارف فرصوفيا هو جان دي بلوخ يشترك الى جانب الاقتصادي البريطاني فريدريك باسي من انصار سياسة حربة التجارة ، والى الجهز الحربي نوبل في ه صليبية السلام ، التي من اجلها من انصار سياسة حربة التجارة ، والى الجهز الحربي نوبل في ه صليبية السلام ، التي من اجلها باعلان الحرب؟ » يتساءل الاالي نبارك عندما راح يلمع الى هذه الملايين التي تمثل قيمة السندات بالمولية . والمعروف ان كل هزة سياسية او ضغط سياسي شديد كان يولد قلقاً او اضطراباً في الدولية . والمعروف ان كل هزة سياسية او ضغط سياسي شديد كان يولد قلقاً او اضطراباً في الاسواق المالية . و اما آخذ على نفسي جانب الاوساط المالية الكبرى ، تدبروا انتم امر الدولية كلام يوبد السلام . فاذا ما ارادتا ذلك استطمئا إنقاذ السلام ، كان يقول كايو لالبوت توماس خلال ازمة اغادر .

حاول الاشتراكيون تأمين الاخوة الانسانية بين البشر عن طريق الاشتراكية والديوقراطيون عن طريق الديوقراطية ، والمسيحيون عن طريق الكنيسة ، وانصار سياسة التبادل الحسر بالتجارة الحرة ، والفقهاء بالقانون ، فالازمة الاقتصادية الكبرى عزاها العديدون من رجسال الاعمال ، إلى هذه الاخبار التي يأخذ الناس بترويجها باستمرار . وبمناسبة المعرض الدولي العمام الذي اقيم عام ١٨٨٩ ، تأسس مكتب دولي ومكتب برلماني دولي عام نشر فكرة التحكيم الدولي بين الشعوب . ودوى اذ ذاك صوت البسابا ليون الثالث عشر في جمع الكرادلة ، كا اجتمع في واشنطون مؤتمر الجامعة الاميركية . ولكن هسذا النشاط كله لم يخرج بشيء يازم حكومات الدول الكبرى بالاتفاق

واخذت بعض موازنات الدول ترزح تحت وطأة اعباء التسلح الاوروبي ، وهسسة! الوضع يفسر لنا الاقتراح الذي تقدمت به روسيا عسسام ١٨٩٨ ، في اعقاب الحرب الصيئية اليابانية والحرب الاسبانية الاميركية . فعوارد اوروبا لا تنهض باطباع القيصرية . وارسلت ٢٦ دولة الى مؤتمر لاهاي المعقود عام ١٨٩٩ بمثلين لهسا الى « اول مؤتمر دولي للسلم » . صحيح ان الفشل

كان كامناً ، لم يتمكن المؤتمرون ستره ، لهذه القرارات التي اتخفوها بشأن قوانين الحرب ، وبالتوصية التي اتخذوها بانشاء محكة داغة التحكيم الدولي . فكيف التوفيق ، والحالة هذه ، بين مبدأ السيادة الوطنية التي تعتصم خلفها كل دولة ، وتحديد التسلح « الذي اعتبر امراً مرغوباً به جداً لتأمين المزيد من الرفاهية المجنس البشري » . ألم يقسدم غليوم الثاني الامبراطور نيقولا الثاني هذا الاحتجاج الحازم ، الشديد : « هل يمكنك ان تتصور ملكا أو الرئيس الاعلى في الدولة يأمر بتسريح وحداته العسكرية ، هذه الوحدات التي كرستها اجيال متطاولة عبر التاريخ المديد ، لترفع على جدران دور الصناعة وفي ابهاء الممارض هذه الاعلام والبيارق المجلة بالامجاد، والتنازل، بهذا الشكل ، عن هذه المدن والحصون والقلاع للفوضويين والديوقراطيين؟ والمؤتمر الثاني الذي عقدته رابطة الدول الامير كية في مكسيكو ، عام ١٩٠١ ، بدعوة من الولايات المتحدة الامير كية أن مكسيكو ، عام ١٩٠١ ، بدعوة من الولايات المتحدة الامير كية أنها للتأثير السيء الذي تركه فيها اصطدامها باسبانيا، الولايات المتحدة الامير من التوصية بالرجوع إلزاميا الى التحكيم في كل مشكلة دوليسة بالرجوع إلزاميا الى التحكيم في كل مشكلة دوليسة يستعصي حلها .

قامت الحروب في النرنسفال والصين ، ومنشوريا ، ونزلت أزمة حادة في المغرب . وبناء على اقتراح ثيودور روزفلت ، عقد عام ١٩٠٧ فقط مؤتمر دولي في اعقاب المؤتمر الذي عقدته رابطة الدول الاميركية في الربو . ولما كانت الولايات المتحدة الاميركية تجر وراءها اميركا اللاتينية و فقد حضر المؤتمر على دولة . أعيد ولا شك تنظيم محكة التحكيم . الا ان سلطتها المي تموزها صفة الالزام والاستمرار ، تحد من آمالها وتقصر ما على أقضية نادرة حول مشاكل وقضايا نانوية ، اقتصرت على الجلوس في قصر منيف فخم ثم تشييده بفضل هبة سخية قدمها كارنجي . وقد جرى تبني النص الذي يوصي بانشاء محكة عدل للتحكيم الدولي تجلس باستمرار ، غير الا تميينالقضاة الاعضاء بقي بجرد مشروع . ولذا راحالقائد الاميركي هوميروس ليا يصرح غير الا تعمينالقضاة الاعضاء بقي بجرد مشروع . ولذا راحالقائد الاميركي هوميروس ليا يصرح أما الحد من التسلح فهو يصطدم بالاعتراضات ذاتها التي اصطدم بها عام ١٨٩٩ . لتكن راحتهم أما الحد من التسلح فهو يصطدم بالاعتراضات ذاتها التي اصطدم بها عام ١٨٩٩ . لتكن راحتهم في الحرب ، وأخذ ينادي الصحافي وكهام ستيد. وبصعوبة كلية توصاوا الى إكمال التوصيات في الحرب واخلاقها ، وبالتخطيط لمؤتمر تال يعقد عام ١٩٩٥ ، للتخذة عام ١٩٩٥ ، للتملقة باعراف الحرب واخلاقها ، وبالتخطيط لمؤتمر تال يعقد عام ١٩٩٥ ، المين كنة التي اقتنمت ، حتى الذي كان سيقضي من جراء الفشل المرتقب ، الى تطوير الجاممة الاميركية التي اقتنمت ، حتى الذي كان سيقضي من جراء الفشل المرتقب ، الى تطوير الجاممة الاميركية التي اقتنمت ، حتى الذي بالنتائج التي طلع بها مؤتمر بونس ايرس ، عام ١٩٩٠ .

واذ ذاك ، أخذت الازمات تتماقب آخذ بعضها برقاب بعض : من أزمة البوسنه الى أزمة المغرب ، الى أزمة طرابس الغرب ومنجديد الى أزمة البلقان . فلا ايطاليا ولا الدول البلقانية فكرت بعرض أختلافاتها مع تركيا على محكمة العدل في لاهاي. فلا عجب والحللة هذه ان تفرق العمول في تسلحها وتفوص في إعداد العدة للحرب الى ما فوق أذنها . وأخسله الجنرال هيرنجن وذير حربية المانيا ، يصرح امام بجلس الرايخشتاخ قائلا : التجربة التي تمت لنا بعسد الاتفاق

المعقود بشأن المفرب والكونفو ، عام ١٩١١ ، علمتنا ان حشد قواتنا المسلحة لم يؤلف رادعــــا كافـــــا » .

وعبثاً راح مدير شركة Hamburg - Amerika الملاحية والمتمول الانكليزي كاسل يخططان عام ١٩١٢ ، لوضع حد لهذه المنافسة الحامية بين انكلترا والمانيا للسيطرة على البحار. وعندما وصل الكولونيل هاوس ، سكرتير الرئيس ولسن الى اوروبا ، في ربيع عام ١٩١٤ ، حاول دعوة برلين ولندن الى الجلوس حول طاولة مستديرة للفارضات وصولاً الى اتفاق بحري. فالقضية النمساوية الصربية التي نجمت عن مقتل ولى العهد الارشيدوق فرنسوا فردينان ، في سيراجيف وضعت حداً نهائياً لمحاولة تخفيض التسلح تخفيضاً جزئياً . وفي ٣٠ تموز رفضت المانيا الاقتراح الروسي بعرض المشكلة على محكة العدل في لاهاي .

وقد بد ان الجماهير اصابها الدوار فعطل فيها كل قوة على التفكير الصحيح عن ان الجماهير في باريس توهمت انها ترى في ١٩١٤/٨/٢ كو كب المشتري منطاد زبلن يحوم في سهاء العاصمة الفرنسية.

ساد صمت عميق، عاجز او مشارك جو الكنيسة وكتب النصر للنزعات القومية والامبريالية

من الجميل ان يحارب المرء ويداه نقيتان والقلب بريء وان يضحي مجياته مرضاة المدل الالهي (لويس جبليه الهرومان رولان ، في ١-٨-٤ ١٩١١)

يتمنى الجييع هذه الحوب م<mark>ن الصميع وج</mark>م راضون بالتضعية بدمائهم <mark>عل هيكلها</mark> (رومان رولان : يوميات مشيالحوب ١٩١٤ – ١٩١٨)

Cosspeci

الحنكاتمكت

١

من من الاوروبين ألقى عام ١٩١٤ ، نظرة متعليسة على اطلس جغرافي الا ان يكون تملكه الزهو وان ترتكض نفسه غبطة وحبوراً ، عندما تبين المدى البعيد الذي بلغت اليسه سيطرته الاستمارية . فهذه السيطرة تمتد فوق القارة الاوروبية بكاملها وتغمر اوقيانيا تقريباً وتشرف على نصف آسيا وعلى ربع القارة الاميركية ، يحيث تضم مع اوروبا ٢٠ / من جمسوح مساحة الاراضي غير المنمورة ، كما تضم ٥٠ / من مجموع سكان الكرة الارضية . فهسو يعرف معرفة اليقين انه قلما يقوم على الارض قطر أو صقع لا ينتفع ، بوجه أو بآخر ، من نشاطه . فهو لا ينكر قط ما تم للولايات المتحدة الاميركية من بأس وقسوة متصاعدة لا يرى فيها الآن أي خطر على نفوذه وسيطرته ، كما انه لا يخشى قط من ان تتمكن اليابان ، بمسامة الانستام وسلطان ، من إرغامه على الانسحاب والانكفاء من اقطار آسيا الشرقية . عندما يعتكف الى نفسه ويايز الشوط الذي قطعه في مضار التمدن خلال قرن من الزمن يخرج من إلتفاتته هسده راضياً كل الرضى عن هذه النتائج التي سجلها ولسانه يردد قائلة : الذي مضى وانقضى هو في العمم ، قرن اوروبا . وعندما تنظ الى خاطره تنبؤات ملطوس التشاؤمية ، تماريسه هزة العمم ، أقرن حدثان الزمان جاءت تكذبها و تظهر بطلانها . فلم ترفل يوما هذه القارة بمشل ما رفلت به اذ ذاك من السكان ، اذ بلغ عدده ، ١٠ مليون بعد ان كانوا ، ٢٠ مليون عام ١٨١٥ كما انها لم تتمتع به عام ١٩١٤ من مستوى عيش رفيع .

وما عسى ان تعتزم اوروبا تقديمه للعالم ؟ توجيده بحيث تتوفر للجنس البشري حياة افضل ، وبحيث تستطيع هي ان تتحكم بالقدر الفاشم الذي قيض لها وفرة النسل وكثرة الناس في مثل هذه الرقعة الضيقة كما راحت تستذيق هذه الحضارة المرفهة . والحال ، فقد نهضت ، على خير وجه واوفر نشاط ، بالرسالة التي اضطلعت بها ، واوشكت ان تفرغ من عملية استكشاف الكرة الارضية واقتسامها فيا بينها . فلم تعد البحار لتؤلف ، في القرن الثامن عشر ، عقبة تحد من مواصلاتها ، وتم لها منذ ذلك الحين اقتسام هذه القارات . فاذا ما توارت عن الانظار هذه الامبراطوريات الاستمارية التي توصلت دول شبه الجزيرة الايبرية ، الى انشائها، استطاع الغير من

هذه الامبراطوريات ان يرسخ اصوله ويُعرق في الارض . فالمفامرة الروسية ترتدي مقاييس اورآسية كما ان السيطرة الفرنسية إتسمت بطابع عالمي . الا ان الانجازات الانكاوسكسونية التي اقتضت جهودا جبارة تثير الفخر والاعجاب امتنت للعرق الانكليزي امبراطوريسة التي استمارية لم يعرف التاريخ لها مثيلا . من جهة انكلترا التي سيطرت على امبراطورية افترشت ٣٣ مليون نسمة ، ضمت في ما تضمنته اجزاؤها المقومة ، مليون نسمة ، ضمت في ما تضمنته اجزاؤها المقومة ، قارات بعرضها وطولها وسيطرت على معظم المواقع الستراتيجية الهامة ؛ ومن جهسة تانية ، الولايات المتحدة الامير كية ، هذه الكتلة الضخمة التي تنعم بوارد لاحد لما ولا حصر : عملاقان جاءا على نسبة ما تم لهما من وسائل النقل الحديثة .

والمهم في هذه كله انتقال البضائع والافكار حتى والبشر ، اذا ما دعت الحاجة القصوى الى ذلك. وهكذا أخذت هذه الكرة الارضية تضيق على اهلها في هذا الوقت بالذات الذي أخذت تظل علينا هذه العوالم الفلكية والعوالم الاخرى المتناهية الصغر . ولم يكن في مقدور غوتيه ان ينتقل بأسرع ما تم لأرسطو . فاذا بالآلة البخارية تطلع علينا فجأة ، ولم تلبث ان طبعت العصر بطابعها ، كما يؤكد برغسن وأخذت في تصنيف جديد للمدنيات ، واضعة في المرتبة الدنيسا هذه الكيانات الدولية التي لا تزال تعول في نشاطها الحياتي على العضل الفتول والهواء المتحرك . فالسيطرة ، والحالة هذه ، هي من نصيب هذه الشعوب التي تسيطر على هذا الشريط الجغرافي فالسيطرة ، والحالة هذه ، هي من نصيب هذه الشعوب التي تسيطر على هذا الشريط الجغرافي بعد لأي قصير من نصيب البلدان التي افاضت عليها الطبيعة ، ثروات معدنية ، طائلة من الحديد والفولاذ ، أي المعمل الذي ينهض على المنجم ويعتمد عليه . كل هذا يضفي على العصر « رسالة » وليها ميشال شفاليه طابعاً إلزاميا ، مصيريا ، ربانيا ، وبعبارة أخرى ، صناعيا .

وبحمل القول وبكلمة واحده: وقرة الانتاج ووفرة وساقل العيش والسكن وتنوع نماذج اللباس ، وانتاج المجموعات الذي يوجب التقيد بالكمية السوية وحشد القوى العاملة ؛ وقد خرج من احتياطي الريف في اوروبا تياران قويان في حركة الاغتراب: الاول النزوح الى المدينة والثاني: الهجرة باتجماه الامير كتين والاقطار الجنوبية الأخرى المعروفة باعتدال مناخها . وهكذا اطل على المجتمعات المدنية عهد من التطور الفاصل ، بينما برز في الريف سواء منه في اوروبا أو في هذه البلدان الجديدة ، مجتمعات ريفية اضافية تسهر على تأمين اسباب العيش المجتمعات الاولى التي تسلمت بنشاط وحماس قيادة العالم وتوجيهه . وقد برزت لندن ، بين عواصم الدنيا الكبرى : اكبر مرفأ واكبر مركز تجمع لرأس المال في العالم كله . فهي عاصمة عواصم الدنيا الكبرى : اكبر مرفأ واكبر مركز تجمع لرأس المال في العالم كله . فهي عاصمة أوسع وأغنى امبراطورية على كرتنا الارضية . فالبضائع على انواعها تروح وتجيء في كل مكان مع تنقل العملة بحوية وسهولة السيولة . فسياسة حرية التجارة التي نهجت نهجها عاصمة المال ، قالطرف الآخر ، استقرار العملة . فالذهب يتدفق على اسواق اوروبا من منابعه الشروعات في الطرف الآخر ، ومن الجبال الصخرية والرائد ، كما ان الاصفر الرنان يضمن نجاح المشروعات

الكبرى التي ينهض بها البيض ، في الوقت الذي تتدفق فيه على الهنـــد وآسيا الصفراء عملات الفضة . والبركة ترفرف فوق رأس المال الآخذ بالتنافس لا يتهيب أية مفامرة ولا يرتد كليلا عن أي مشروع مهما ضخم ، فليس من يشك أو يتشكك بامكاناته وطاقاته التي لا حد لها .

فالحلم الذي راود العالم وعلله بطلوع حياة ملؤها الهناءة والسمادة اصبح تحقيقه على قساب أقوسين وادنى . فبعد ان تمت للانسان السيطرة على القوى الطبيعية العابثة وسخرها لخدمته ، نراه يزداد رفاء وعافية بعد ان راح يتقصى اسباب المرض وعرف كيف يحط حبل الحياة . فبامكان التربية والعلم الاتيان بالعجائب المدهشة والقضاء على الاوهام والخساوف الصبيانية التي عشمشت في الاذهان . انظر الى الخدمات الجلى التي افاضها الورق والطباعة على الادارة الحكيمة المدبرة . والجريدة المسلية والكتاب المهذب ، والشعور المتزايد بالتضامن والتضافر بين الافراد والجماعات . كل هذا وما اليه اخذ بالازدياد ولن تلبث فكرة الحرب ذاتها ان تصدم ادب العصر ، بعد ان وثقت الروابط التي شدت الشعوب بعضاً الى بعض . فبينا تأخذ الآلة العبدة محلا لهد اكبر في خدمة الناس لا تلبث ان تصبح العبوديات على انواعها ، اثراً بعد عين ، في كل من اوروبا واميركا ، كا اخذت القهقرى في المناطق الاخرى .

فانجيل الحرية ينتشر حاملا الى الجميع بشرى انفتاح الشخصية البشرية وازدهارها، فالمجلون المجدد، وهذه الوجوه التي هي مـــل، الدين والسمع ، أطلت من بين صفوف السوقة في الامس ، وطلعت من بين ابناء الطبقة الثالثة ، هم ابناء هذه الطوائف وهذه الجماعات التي رزحت طويلا تحت الضغط والاضطهاد كالبنائين الاحـــرار ، والمشاقين واليهود ، اي من الفوا عصر روتشيلا . وعصر ماركس ، هــذا العصر الذي كان اينشتاين خاتمته . والتسامح يسير جنبا الى جنب مع استثمار الطاقات والامكانات الخصية. وهذا الايمان المبلئغ مسيحيا كان ام علمياً – الذي يحيش به ربع العالم ، يعمل جاهداً ، على تهذيب وصقل الثلاثة الارباع الباقية . فجاشت روح جوريس بالتفاؤل و هذا التفاؤل المسلكي ، كا ينعته بيغي ، كا جاشت به روح روكفار وهــو يردد : وانا لست متشائما ، لى كل الثقة بالانسان والاخوة الانسانة » .

وهذا لا يعني قط ولا يفيد مطلقاً ان الحضارة المشتركة تؤذي بالضرورة الابداع الفكري: فحرية الفكر تخصب الابتكارات والابداع المعقلي والفني التي قد تعبر احياناً عن التوق الى الانفلات والانطلاق. فاوروبا لا تتخلى ولا تتقاعس في هذا المجال لانها تنشد الخلق وتصبويالى الابتكار والابداع في المجالات كلها. فالتجدد عندها لا ينقطع كما ان التنوع على اشده. فمهما إشتدت وشائج الرومنطقية ، بالقرن الثامن عشر من وجوه عدة ، فقد اطلقت ، بعد ان دارت ظهرها للحركة المقلانية ، مشاعرها واحاسيسها المتأججة ، قبيل طلوع عصر البجار وبروز البورجوازية الرأسمالية . هذا هو مرض العصر بالنسبة للمصير الطالع . راحت الواقعية والطبعية تركز نظرها على حضارة الحديد وحضارة الذهب ، في الوقت الذي سارت فيه العلمية قدماً تشم على الناس املا ورجاء كما راحت الفلسفة الوضعية ، من جهتها تقترح على البشرية عبادة الذات .

الا أن المندية أو مذهب الذاتية بقيت متمسكة مجتوقها . فبعد أن جرى إقصاؤها مدة غسن المسرح و عاودتها القدرة على التمبير من جديد و وذلك عندما حدثت الردة اللاجبرية وفي هدا الروق الذي وقع فيه تداعي التأكيدات المفالية .

وبالفعل فقد اخذت الحرية الفكرية في اوروبا تبدي عوارض الضعف في اواخر القرن الذي توقعت منه اوروبا ان يطلع عليها بجسسا فيه شفاء غليلها واشباح اطهاعها ، فقد برز برغسون وانشتاين بعد افول نجسم كلود برنار وبرتلو . كان من اللازم هضم واستعراء المكتشفات العلمية وتحديد المفهوم الصحيح للتطور .

۲

هذه الحضارة التي تسمى بها اوروبا <mark>وتفخر ؟ لا يمكن أن تخفى ؛ بمسا لها من سحر وفتنة ؟</mark> <mark>قس</mark>مات سعنتها الحربية ؛ حتى في سنغافورة وفي هونغ كونغ حيث يتوارى الجندي وراء التاج<mark>ر.</mark> فهي تتمسك عده الجزيرة الصفيرة التي احتلتها غلاباً وتشكل دمسلا ار خراجاً في قلب مدنية تلك البلاد الوطنية 4 تتبرم منه وتضيق به ذرعاً . هنالك حضور مشترك – كما ينم عنه الوضم في كل من الهند وافريقيا – او في اميركا الشمالية وأستراليا ؛ حيث تجرى تصفية و المتوحش » بكل بساطة . ففي رسائل اسفاره ويبدو لنا كيلنغ المثال الاكمل لهـذا المستعمر البريطاني <mark>الذي يتجا</mark>في الملونين ٬ ولا يتردد الا على ناديه المفضل ومجتمعه الاثير .صحمحاناالاوروبي يسخو في أعطياته وبرحب بكل مساعدة او مشار كة موالية كا يتمناها ومحدث عن مشاريمه الاستثمارية وعن الارباح المتدفقة التي يجنبها ، الا أنه يشترط ، قبل كل شيء ، أساساً للنجاح ، الامتثال لتوجيهاته والعمل بها بكل دقة . ينشر لواء السلام ولا يتورع عن قرضه بالقوة . هــو دوماً في حديث هما يجلب الخبر للمستعمرة ، إنما تجهيزها مربوط اصلا بمتضات مصلحته الخساسة . فاذا ما راح ينشر بشارة الانجيل وتعالم السيد المسبح فلايمانه الوطيد انه يعمل على نشر مبادىء اخلاقية وادبية سامية . فاذا ما باع اصنافاً وسلماً مصنوعة في اوروبا ؛ فلانه يعتقد بفائدتهــــــا الشاري وباهميتها له . يحز في نفسه ان يرى انـــه غير مقدر ، ويشمر بانه غير معموب ، ولذا كثيراً ما عاني منها كالسفلس والتدرن الرئوي ، واذا لم يعمد ، عن سابق قصد وتصميم ، الى انهاك التربة ، فلم يجيء ركونه الى السخرة والعمل الاجباري وحرصه على الاتجسار ، بالكعمول عملا بغير وعي منه أو شعور ، بل جاء إشباعها لمطامعه الاشعبية . كم من هذه المدنيات التي وُصَفَتَ نَافَلَةُ أَوْ مَتَخَلِفَةً ﴾ هُدِرَت واستبيحت على مذبح الحضارة المنطورة ؟

وهذه الانفلابات الواسعة التي قام بها العرق الابيض لا يمكن ادخالها في رصيد حساب اوروبا. فالمستعمرات الاوروبية الجديدة لم تلبث أن وعت إصالتها . فقد شهد القرن التاسع عشر ٤ عن كثب ، التطور السريع الذي اخسنت بأسبابه الممتلكات الانكاوساكسونية ، فهيأها لتلمب الدور الذي ستلمبه فيا بعد كدول كبرى ، واضعة نصب اعينها مثال الولايات المتحدة الاميركية التي كانت بمثابة بوتقة لجنس من البشر ، عرف بروحه المفامرة وبجبرؤوته ، توفر له من الخامات والموارد الاولية الطائلة ما جمله يعقد الآمال الطوال على تحقيق مستوى رفيع من الميش الكريم الهنيء ، دونه ما تم منه لاوروبا القديمة التي ترزح تحت وطأة كثافة عالية ، من السكان كا ترزح تحت تقاليدها المرعية . فمنذ عام ١٩١٤ ، سارت اميركا الشهالية في طليعة الركب الحضاري ، بنشاطها الصناعي الزاخر ، واخذت تشرئب باعناقها ، نحو القيادة والرئاسة . وبالرغم من ان الدومنيونات البريطانية ،الاخرى لم يتم لها ما تم المولايات المتحدة ، فقد راحت مع ذلك ، تنظر الى حكومة لندن نظر الند الند، بينا اخذ يبرز من بين دول اميركا اللاتينية ما يبشر بقرب طاوع المبراطوريات جديدة كالبراريل والارجنتين والمكسيك ، التي وان خشنت منها الملامس ، يدب امبراطوريات جديدة كالبراريل والارجنتين والمكسيك ، التي وان خشنت منها الملامس ، يدب فيها دم الشباب الحار . ومن رأس هورن الى ربع غرانديه دي نورته ، يبسم الحظ ، من هنا فيها دم الشباب الحار . ومن رأس هورن الى ربع غرانديه دي نورته ، يبسم الحظ ، من هنا فيها دم الشباب الحار . ومن رأس هورن الى ربع غرانديه دي نورته ، يبسم الحظ ، من هنا فيها دم هناك ، المام الحدى المندى الاحر ، ومن رأس هورن الى ربع غرانديه دي نورته ، يبسم الحظ ، من هناك ، المام الحدى الكري المناب المام الحدى المناب المام الحدى الاحر ، ومن رأس هورن الى ربع غرانديه دي نورته ، يبسم الحظ ، من هناك ، المام المناب المام المناب المام المناب ال

اما العالم الاسود فهو في خنوعه واستسلامه يلثم اقدام المستعمر . وهذا الاسلام المنكش ، لم يفقد شيئاً من ايانه واماميه ، وآسيا الشرقية التي لا تقسل عنه انكهاشا وغموضا ، تأبى هي الاخرى ، الحضوع والاستسلام لهذا والبربري الابيض ، مل نر قط من المغرب الى المحيط الهادي وشائح بمثل هذه المتانة كالوشائح التي شدت بعضاً الى بعض ، مدنيات تفخر بأمجادها الماضية وبما تم لها من ترف . كدلك لم نر قط ادلة اقطع وحججاً ادفع على منا يقوم من تناقض مطلق بين عقليتين وذهنيتين لفهوم الحياة . فالموقف يختلف تهاماً عند مواجهة الغرب، باختلاف المكان واختلاف المطروف . فالموقف يتناوح بين السلبية الصامتة ، نصف المستسلمة ، المستعلية ، وبين الثورة المكشوفة . فها هي اليابان ، ومثلها ينتصب امامنا، تستمدمن الحضارة الصناعية ومن التقنية ما تخفيان من امكانات وطاقات لتحسين وسائل الدفاع عن استقلالها الغالي . انه لدرس بلينغ فيه كل العظة والعبرة ، اذ ان اسلحة الرقي والتطور ، ترتبد في آخر الامر الى وجه من انتفيا وشحذها .

فالفوز بآسيا والفوز بالاسلام يقتضي له اساساً السيطرة على روح آسيا وعلى روح الاسلام والتصرف بها . ولكن ما العمل وها هي اوروبا منقسمة على ذاتها ، تتناوش دو لها وتتهاوش ، فأعمت الاحقاد قلبها . فعها بلغ من تطور البروليتاريا فيها ، فهي اشبه ما تكون ضحية نظام يقوم على الظلم الاجتاعي : حرية غرارة ، كاذبة ، تحول دون توزيع المواد الغذائية ، توزيما عادلاً ، ضمن و المساوىء ، الاخرى ، التي نزلت بها سالكلمة للويس جيليه سفالروح القومية التي جاشت فيها ، غدت ، بالرغم من مرور ماثتي سنة من السلام الموصول ، إنقسامات ضارة ، بعد ان عجزت اية سيطرة من اي لون كانت : فرنسية او انكليزية او روسية او المانية ، عن ان تضع لها حداً ، وانزباح السيطرة الى المانيا التي اخذت تنعي سوء حظها وقسمتها الضئزى

فياتم لها من موقع جغراني ، اثار ما هو اشد هولاً على السلام ، بعد ان خيم على القارة، ورزح على كلكلها ، شبع التسلح المضني ، الموهن الذي مكنت له المدنية الصناعية . وانحياز دول العالم الى المسكرين القائمين في اوروبا ، الذي جاء نتيجة حتمية لاتساع رأس المال والروح الاستعارية المستمصية، يقدم لنا مشهدا لهذا العالم الذي يكافح ضد استعار اوروبا، وهو كفاح جاء يخدم في نهاية الامر الروح الاستعارية في اميركا والعابان معا .

وهكذا نرى العالم نفسه امام رهنين فكيف السبيل الى رفعها ? وهكذا نزلت بالعقل الاوروبي ازمة اخذت بخناقه عند مطلع قرن جديدكل دلائلها تنذر بمصاعب جديدة .

وهذه الهرطقات العصرية ، لا تزال الكنيسة ، ولا سيا الكاثوليكية منها ، تشجبها بعنف ، في المرتبة الاولى منها هذا الاعتاد الفاجر ، العاري من كل قيد ، على العقل البشري ، هذا الفجور المساوي لخطيشة الكبرياء . الا ان رفض الاخت بالعنف ، وبعبارة اخرى ، الحبة ، محبة القريب وغير ذلك من هذه الروحانية ، التي اخذ المسيحي يتلسها في الكتاب المقدس ، تؤلف شيئاً واحداً مع تعالم الهند ، مع هذا الذي يسميه غاندي «Alimsa» اي و اقصى حدود التواضع ، فبينا يتجه ، هذا الانسان - نيتشه - الى الحكمة القديمة ، هذا الرجل الذي يعملن على رؤوس الاشهاد و جدب القرن التاسع عشر الجذري ، يتمنى لو يطلع علينا غوذج بشري اقوى واكمل ، اخذت اوروبا تطالب مجقوق الفكر ، بعد طفيان الروح علينا غوذج بشري التي أسيء فهمها . وهل لفظ ، يا ترى ، الاقتصاد الحر ، كلمته الاخيرة ، فربابنة المادة تولما و كبار المساهين فيه نظروا الى انفسهم نظرة ربان سفينة اشتدت العاصفة حولها . هذا الاقتصاد و كبار المساهين فيه نظروا الى انفسهم نظرة ربان سفينة اشتدت العاصفة حولها . فاذا بالمار كسية تطل وتنمو وتتسع ، واذا بصوت جوريس يجلج لل ويطفو على صوت لينين فاذا بالمار كسية تطل وتنمو وتتسع ، واذا بصوت جوريس يجلج لل ويطفو على صوت لينين .

صحيح أن نبوغ الغرب الخلاق لم يبال قط ولم يتب ، لا المركة الاجتاعية القائمة ولا هسده الاستعدادات لحرب تحمل في طباتها الفناء والدمار. فأخذ يتقن الى اقصى حد هذه الإختراعات التي حققها في مجال الكهرباء والضوء ، كالمصباح الكهربائي والدينامو والسياح اللهربائي المرار الفرة ، وانفتحت امامه اللاسلكي ، ثم استنبط الغواصة والسيارة والطائرة ، ونفذ الى اسرار الفرة ، وانفتحت امامه اسرار الفضاء الزمني واسرار النسبية . وطلعت علينا ثورة جديدة في مجالات العاوم والتقنية بعد هذه الاكتشافات التى تناثرت حباتها طوال القرن التاسع عشر والتي كان من شأنها اس وطدت نفوذ اوروبا .

وما عسى ان يكون مصير اوروبا هذه عندما تندلع شرارة الحرب العالمية الاولى ؟ فراح بول فالبري يتساءل: « اتبقى لنا اوروبا ؛ كاكانت دوما لنا ، هذه اللؤلؤة الثمينة في عالمنسا الارضي ، جوهرة هذه الكرة ، والدماغ النابض في هذا الجسم الجبار » . فنحن امام نوج من الاعجوبة ، لم نشهد لها مثيلا منذ بضعة اجيال ، هذه الاعجوبة التي يمكن للقدر الغاشم ، المهدد المزيجر ، ان يضع حداً لها .

النوجية البليوعرافي

لم يذكر في هذا الجدول سوى عدد محدود من المؤلفات التي اختيرت من كل ما هــو حري باستيقاف انتباه القارىء الراغب في الاستزادة . ولم تذكر بصورة عامة المؤلفات الموضوعة بلغة غير الفرنسية . الا ان كتب الدراسة في معاهد التعليم العالي توفر مراجع اكثر تفصيسلا وعرضاً للاحداث اكثر توسماً . ونقصد هذا بصورة خاصة :

LA COLLECTION «Clio» (Paris P.U.F.) t. IX, l'Epoque Contemporaine : I Restaurations et Révolutions (1815-1871), par J. DROZ, L. GENET et J. VIDALENC (2e édit; 1963); La paix armée et la Grande Guerre (1871-1919), par P. RENOUVIN, E. PRECLIN et G. HARDY (2e édit., 1947).

LA COLLECTION «Peuples et Civilisations» (Paris, P.U.F.), dirigée par L. HALPHEN et Ph. SAGNAC: t. XV, L'éveil des nationalités et le mouvement libéral (1815-1948), par G. WEILL, 1930 (réed. F. PONTEIL, 1960); Démocratie et Capitalisme (1848-1860), par Ch. H. POUTHAS (2e édit; 1948); Du libéralisme à l'impérialisme (1860-1898), par H. HAUSER, J. MAURAIN, P. BENAERTS (2e éd., révisée et refondue par F. L'HUILLIER, (1952); L'essor industriel et l'impérialisme colonial (1878-1904), par M. BAUMONT (2e éd., 1949); La crise européenne et la première guerre mondiale, par P. RENOUVIN (4e éd., 1962).

LA COLLECTION «NOUVELLE CLIO» (Paris P.U.F.): L'expansion européenne (1600-1870), par F. MAURO (Paris, 1964); L'Europe de 1815 à nos jours. Vie politique et relations internationales par J. B. L'Histoire générale de la civilisation d' L'Amérique anglo-saxone de 1815 à nos jours par C. FOHLEN (L'homme (Paris, Colin, 1960) par Ch.

مؤلفات عامة

L'Essai sur la civilisation d'Occident. L'home (Paris, Colin, 1960) par Ch. MORAZE.

L'Histoire générale de la civilisation d'Colin, 1959) du même auteur.

L'Histoire générale de la civilisation d'Occident de 1870 à 1950. I. 1870-1914, par J. CHAPPEY (Paris, Presses Universitaires, 1950);

- Les grands courants de l'histoire universelle par J. PIRENNE (Paris, Albin Michel): IV de la Révolution Française aux Révolutions de 1830 (1951); V. de 1830 à 1904 (1953); VI (1955) et L'Histoire Générale Contemporaine du milieu du XVIII^o siècle à la deuxième guerre mondiale par F. FONTEIL (Paris, Dalloz, 1951).
- La terre et l'évolution humaine (Paris, Albin Michel, réed. 1949) par L. FEB-VRE
- Les fondements de la géographie humaine, 3 tomes (Paris, Colin, 1943-1952) par MAX SORRE.
- Principes de géographie humaine (Paris, Colin, 1922), par VIDAL DE LA BLACHE.

Nouvelle géographie universelle ,19 vol. (Paris, 1875-94), par E. RECLUS.

Atlas historique et géographie VIDAL DE LA BLACHE (Paris, Colin).

Atlas de géographie historique SCHRADER et CALLOUEDEC (Hachette).

Atlas du monde chrétien par A. FREITAG (Paris, Elsevier, 1959).

Nouvel Atlas historique par P. SERRYN, H. MARC-BONNET et BLASSEL-LE (Paris, Bordas, 1961).

التوسع الاوروبي

- G. LE GENTIL, Découverte du monde (Collection «Pays d'Outre-Mer», P.U.F. 1954).
- J. ROUCH, P.E. VICTOR et HAROUN TAZIEFF, Histoire universelle des explorations (Paris, Nouvelle Librairie de France, 1956).
- R. CLOZIER, les étapes de la géographie (Paris, P.U.F., 1942).
- G. HARDY, La politique coloniale et le partage de la terre aux XIX et XX siècles (Paris, Albin Michel 1937).
- B. DE VAULX, En Afrique: Cinq mille ans d'exploitation (Paris, A. Fayard, 1960).
- J. STENGERS, Belgique et Congo: L'élaboration de la Charte coloniale (Bruxelles, la Renaissance du Livre, 1963).
- H. BRUNSCHWIG, l'Expansion Allemande outre-mer du XVº siècle à nos Jours (Paris, P.U.F., 1957).
- J. TRAMOND et A. REUSSNER, Eléments d'histoire maritime et coloniale contemporaine (1815-1914) (Paris, Société d'Editions géographiques, 1924).
- A. SIEGFRIED, Suez, Panama et les routes maritimes mondiales (Paris Colin, 1941).
- G. HANOTAUX et A. MARTINEAU, Histoire des colonies françaises et de l'expansion française dans le monde, 6 vols. (Paris, Plon, 1930-34).

توسع فرنسا

H. BLET, Histoire de la colonisation française, t. II et III (Paris, Arthaud, 1947-1950).

- H. DESCHAMPS, Méthodes et doctrines coloniales de la France (Paris, Colin, 1953).
- R. DELAVIGNETTE et Ch. A. JULIEN, Les constructeurs de la France d'-Outre-Mer (Paris, Corréa, 1946).
- H. BRUNSCHWIG, Mythes et réalités de l'impérialisme colonial français, 1871-1914 (Paris, Colin, 1960).
- J.P. FAIVRE, L'expansion française dans le Pacifique entre 1800 et 1842 (Thèse, Paris, 1953).

تطور التقنيات

- P. ROUSSEAU, Histoire des techniques (Paris, A. Fayard, 1956).
- P. DUCASSE, Histoire des techniques (Paris, P.U.F., 1942).
- VIERENDEEL, Esquisse d'une histoire de la technique, 2 vols, (Bruxelles, Vromant, 1921).
- H. PASDERMADJIAN, La deuxème révolution industrielle (Paris, P. U. F., 1959).
- LEWIS MUMFORD, Technique et civilisation (Paris, Ed. du Seuil, 1950).
- P. DES ROUSIERS, Les grandes industries modernes, 5 vols. (Paris, rééd. 1930).
- L. GUILLET, Les étapes de la métallurgie (Paris, P.U.F., 1942).
- D. FAUCHER, Le paysan et la machine (Paris, Ed. de Minuit, 1954).
- H. FAUCHER, La houille blanche, (Paris, Colin, 1946).
- P. ROUSSEAU, Histoire de la vitesse (Paris, P.U.F., 1942).
- L.M. JOUFFROY, L'ére du rail (Paris, Colin, 1953).
- A. THOMAZI, Histoire de la navigation (Paris, P.U.F., 1942).
- J. GODECHOT, Histoire de l'Atlantique, (Paris, Bordas, 1947).
- R. CHAMBE, Histoire de l'aviation, (Paris, Flammarion, 1949).
- G. WEILL, Le journal, (Paris, Albin Michel, 1934).
- LO DUCA, Histoire du cinéma, (Paris, P.U.F., 1942).

التطور الاقتصادي والرأسمالية

- J. MAILLET, Histoire des faits économiques de origines au XXº siècle (Paris, Payot, 1952).
- J. A. LESOURD et C. GERARD, Histoire économique XIX^o et XX^o siècles, (Paris, Colin, 1963).
- A. PHILP, Histoire des faits économiques et sociaux de 1800 à nos jours (Paris, Aubier, 1963).
- J. FOURASTIE, Le grand espoir du XXº siècle (Paris, P.U.F., 1952).
- J. LACOUR-GAYET, Histoire du commerce, t. III, IV, V (Paris, Spid, 1951-1952 1953).
- H. ARDANT, Les crises économiques (Paris, Flammarion, 1948).
- JOHAN AKERMAN, Structures et cycles écolnomiques (Paris, P.U.F., 1955-57, 2 vol; paru en Suède en 1944).

- F. MAURETTE, Les grand⁵ marchés de matière première (Paris, Colin, 1940).
- H. PEYRET, La lutte pour les denrees vitales (Paris, P.U.F., 1942).
- H. PEYRET, La Bataille des trusts (Paris, P.U.F., 1943).
- W. SOMBART, L'apogée du capitalisme, 2 vol. (Paris, Payot, 1932).
- F. STERNBERG, Le conflit du siècle. Capitalisme et socialisme à l'épreuve de l'histoire (Paris, Club français du Livre, 1960).
- J. HALPERIN, Les assurances en Suisse et dans le monde (Neuchâtel, La Baconnière, 1945).
- M. AUGE-LARIDE, La révolution agricole (Paris, Albin Michel, 1955).

المسائل والآراء الاقتصادية والاجتماعية

- L. CHEVALIER, Démographie générale (Paris, Dalloz, 1951).
- M. REINHARD et A. ARMENGAUD, Histoire générale de la population mondiale (Paris, Monchrétien, 1961).
- A. SIEGFRIED, Itinéraires et contagions. Epidémis et idéologies, (Paris, Colin, 1960).
- H.A. CITROEN, Les émigrations internationales (Paris, Librairie de Médicis, 1948).
- J. LAJUGIE, Libre-échange et protectionnisme (Paris, P.U.F., 1963).
- G. LEFRANC, Histoire des doctrines sociales dans l'Europe contemporaine (Paris, Aubier, 1960).
- E. HALEVY, Histoire du socialisme européen (Paris, Gallimard, 1948).
- H. ARVON, Le marxisme (Paris, Colin, 1955).
- A. CORNU, Karl Marx et Frederich Engel⁵ (Paris, P.U.F., 1955-58, 2 vols. parus).
- A. PIETTRE, Marx et le marxisme (Paris, P.U.F., 1955-58,
- H. CHAMBRE, De Karl Marx à Mao-Tsé-Tung (Paris, Spes, 1959).
- J. DUCLOS, La Première Internationale (Paris, Ed. sociales, 1964).
- A. KRIEGEL, Les Internationales ouvrières (Paris, P.U.F., 1964).
- G. HAUPT, L'Internationale socialiste 1889-1914). Etude de sources. Essai bibliographique (Paris-La Haye, Mouton, 1946).
- P. VAN DERESH, La deuxième Internationale 1889-1923 (Paris, Rivière, 1957).
- Th. RUYSSEN, Les sources doctrinales de l'Internationalisme, t. III' (Paris, P.U.F., 1961).
- A. SERGENT et C. MANUEL, Histoire de l'anarchisme, 2 vols, (Paris, Le Portulan, 1956).
- G. LEFRANC, Le Syndicalisme dans le monde (Paris, P.U.F., 1949).
- E. DOLLEANS, Histoire du mouvement ouvrier, 3 vols. (Paris, Colin, 1936-1947-1954).
- G. MARTIN, Histoire de l'esclavage dans les colonies françaises (Paris, P.U.F. 1948).
- E. TERSEN, Victor Schoelcher, Esclavage et colonisation (Paris, P.U.F.,

1948).

- R. AIGRAIN, Histoire des Universités (Paris, P.U.F., 1949).
- H. VAN EFFENTERRE, Histoire du scoutisme (Paris, P.U.F., 1947).
- B. GILLET, Histoire du sport (Paris, P.U.F., 1949).

التيارات الدينية والفلسفية

- A. FLICHE, et V. MARTIN, Histoire de l'Eglise.
- J. LEFLON, La crise révolutionnaire, 1789-1846 (Bloud et Gay, 1940).
- DANIEL-ROPS, l'Eglise des Révolutions; I : En face de nouveaux destins (Paris, A. Fayard, 1960).
- R. AUBERT, Le pontificat de Pie IX (Paris, Bloud et Gay, 1949-1952).
- Ch. LEDRE, Un siècle sous la tiare : De Pie IX à Pie XIII (Paris, Amiot-Dumont, 1955).
- H. MARC BONNET, La papauté contemporaine (Paris, P.U.F., 1946).
- H. MARC BONNET, Histoire des ordres religieux (Paris, P.U.F., 1949).
- J. M. SEDES, Histoire des missions françaises (Paris, P.U.F., 1950).
- Mgr. DELACROIX et Collaborateurs, Histoire universelle des missions catholiques; t. III: Les missions contemporaines, 1800 1957 (Paris, Grund, 1958).
- R. LAURENTIN et Dom B, BILLET, Lourdes, documents authentiques (Paris, Lethielleux, 1958, 4 vol.).
- E. G. LEONARD, Histoire du protestantisme (Paris, P.U.F., 1950).
- E. G. LEONARD, Histoire générale du protestantisme (Paris, P.U.F., t. III, 1964).
- A. CHOURAQUI, Histoire du judaïsme (Paris, P.U.F., 1957).
- E. BREHIER, Histoire de la philosophie, t. II. (Paris, P.U.F., 1932).
- P. DUCASSE, Les grands philosophes (Paris, P.U.F., 1942).
- G. BOUTHOUL, Histoire de la sociologie (Paris, P.U.F., 1950).
- A. BAYET, Histoire de la libre pensée (Paris, P.U.F., 1959).

الحركة العامية

- P. ROUSSEAU, Histoire de la science (Paris, A. Fayard, 1945).
- S. F. MASON, Histoire des sciences (Paris, A. Colin, 1956).
- R. TATON, et Collaborateurs, Histoire générale des sciences; t. III : La science contemporaine (Paris, P.U.F., 1961).
- M. DAUMAS et Collaborateurs, Histoire de la science (Paris, Gallimard, 1957).
- P. MARCHAL, Histoire de la géométrie (Paris, P.U.F., 1943).
- O. BECKER et J. HOFMANN, Histoire des mathématiques (Paris, Lamarre, 1956).
- M. BOLL, Les étapes de la mécanique (Paris, P.U.F., 1943).
- P. COUDERC, Les étapes de l'astronomie (Paris, P.U.F., 1943).

- P. GUAYDIER, Les étapes de la physique (Paris, P.U.F., 1950).
- M. CAULLERY, Les étapes de la biologie (Paris, P.U.F., 1941).
- E. MAY, La médecine, son passé, son présent, son avenir (Paris, Payot, 1958).
- LECENE, L'évolution de la chirurgie (Paris, Masson, 1923).
- J. CUEILLERON, Histoire de la chimie (Paris, P.U.F., 1957).
- L. LEPRINCE-RINGUET, Grandes découvertes du XX° siècle (Paris, Larousse, 1956).

الحركة الادبية والفنية

- Encyclopédie française publiée sous la direction de L. FEBVRE, t. XVII. t. XVII, Arts et littératures dans la civilisation contemporaine; t. XVIII, La civilisation écrite (Paris, Larousse, 1935-1939).
- P. VAN TIEGHEM, Histoire littéraire de l'Europe et de l'Amérique, de la Renaissance à nos jours (Paris, Colin, 1941).
- R. AYRAULT, La genèse du romantisme allemand (Paris, Aubier, 1960).
- A. BEGUIN, l'âme romantique et le rêve (Corti, 1963).
- R. M. ALBERES, L'aventure intellectuelle du XX° siècle, 1900-1959 (Paris, Albin Michel, 1959).
- L. HALPHEN, Histoire et historiens depuiscinquante ans : 1867-1925, 2 vol. (Paris, P.U.F., 1927-1928).
- P. LAVEDAN, Histoire de l'art: Les faits et les doctrines (Paris, P. U. F., Collection «Clio», 1944).
- L. REAU, Histoire universelle des arts, t. III et V (Paris, Colin, 1936).
- L. HAUTECOEUR, Histoire de l'art; t. III : De la nature à l'abstraction (Paris, Flammarion, 1959).
- A. FOCILLON, La peinture aux XIX° et XX° siècles, (Paris, Lamens, 1927).
- L. REAU, L'ère romantique, Les arts plastiques (Paris, Albin Michel, 1949).
- E. DEKEYSER, L'Occident romantique, 1789-1850 (Skira, 1965).
- P. COUTHION, Le romantisme (Skira 1961).
- P. FRANCASTEL, L'impressionnisme, (Paris, Les Belles-Lettres, 1937).
- M. SERULLAZ, L'impressionnisme (Paris, P.U.F., 1961); Le Cubisme, (Paris, P.U.F., 1963).
- R. RAY, La peinture moderne (Paris, P.U.F., 1942).
- LO DUCA, L'Affiche, (Paris, P.U.F., 1943).
- E. VUILLERMOZ, Histoire de la musique (Paris, A. Fayard, 1949).
- A. EINSTEIN, La musique romantique (Paris, Gallimard, 1959).
- H. H. STUCKENSCHMIDT, Musique nouvelle (Paris, Corréa, 1956).
- P. HUOT-PLEUROUX, Histoire de la musique religieuse, des origines à nos jours (Paris, P.U.F., 1957).
- L. GUICHARD, La musique et les lettres au temps du romantisme (Paris, P.U.F., 1958).

التطور السياسي

- Encyclopédie française, publiée sous la direction de L. FEBVRE, t. X, l'Etat moderne (Pars, Larousse, 1935).
- J. TOUCHARD et Collaborateurs, Histoire des idées politiques, t. II (Paris, P.U.F., Collection «Thémis», 1959).
- M. DUVERGER, Les partis politiques (Paris, Colin, 1951).
- G. E. LAVAU, Partis politiques et réalités sociales (Paris, Colin, 1953).
- A. LATREILLE et A. SIEGFRIED. Les forces religieuses et la vie politique (Paris, Colin, 1951).
- R. FUSILIER, Les monarchies parlementaires, Suède, Norvège, Luxembourg, Belgique, Pays-Bas, Danemark (Paris, Les Ed. Ouvrières, 1960).

العلائق الدولية

- P. RENOUVIN et J.B. DUROSEILLE, Introduction à l'histoire des relations internationales (Paris, Colin, 1964).
- J. DROZ, Histoire diplomatique de 1648 à 1919 (Paris, Dalloz, 2ème Ed. 1959).
- F. L'HUILLIER, De la Sainte Alliance au Pacte Atlantique. Le dix-neuvième siècle, 1815-1898 (Neuchâtel Ed. de la Baconnière, 1954):
- L. DE SAINTE-LORETTE, L'idée d'une fédération européenne (Paris, Colin, 1955).
- M. N. DRACHKOVITCH, Les socialismes français et allemand et le problème de la guerre (1870-1914) (Genève, E. Droz, 1953).
- E. CARRIAS, La pensée militaire allemende (Thèse, 1948).
- J. U. NEF, La route de la guerre totale (Paris, Colin, 1949).
- F. SCHNEIDER, Histolre des doctrines militaires (Paris, P.U.F., 1957).
- H. COURSIER, La Croix-Rouge internationale (Paris, P.U.F., 1959).

اوروبا

- Ch. SEIGNOBOS, Histoire politique de l'Europe contemporane. Evolution des partis et des formes politiques (1814-1914) (Ed. 1924, Paris, Colin).
- Ch. SEIGNOBOS, Essai d'une histoire comparée des peuples de l'Europe (Paris, Rieder, 1938).
- B. CROCE, Histoire de l'Europe au XIX° siècle (Paris, Plon, traduction H. BEDARIDA, 1959).
- A. SAUVY, L'Europe et sa population (Paris, Ed. Internationales, 1954).
- G. WEILL, L'Europe du XIX° siècle et l'idée de nationalité (Paris, Albin Michel, 1938).
- P. HENRY, Le problème des nationalités (Paris, Colin, 1937).
- H. CONTAMINE, L'Europe est derrière nous (Paris, A. Fayard, 1953).
- H. HEATON, Histoire économique de l'Europe, t. II (Paris, Colin, 1952).

- A. DEMANGEON, Le déclin de l'Europe (Paris, Colin, 1920).
- A. DEMANGEON et L. FEBVRE, Le Rhin, problème d'histoire et d'économie (Paris, Colin, 1953).
- F. PERROUX, L'Europe sans rivages (Paris, P.U.F., 1954).
- F. PONTEIL, 1848 (Paris, Colin, 1937).
- E. TERSEN, Quarante-huit (Paris, Club Français du Livre, 1957).
- J. DROZ, Les révolutions allemandes de 1848 (Paris, P.U.F., 1957).

فرنسا

- E. LAVISSE, Histoire de France contemporaine, t. IV à VIII par CHARLE-TY et SEIGNOBOS (Paris, Hachette, 1921).
- P. GAXOTTE, Histoire des Français, t. II (Paris, Flammarion, 1951).
- G. DUBY et R. MANDROU, Histoire de la civilisation française, t. II (Paris, A. Colin, 1958).
- Ch. MORAZE, La France bourgeoise (XVIII° XX° siècles) (Paris, Colin, 1946).
- G. DUPEUX, La société française, 1789-1900 (Paris, A. Colin, 1964).
- F. PONTEIL, La monarchie parlementaire (Paris, Colin, 1948).
- Ph. VIGIER, La monarchie de Juillet (Paris, P.U.F., 1962).
- A. DANSETTE, Louis-Napoléon à la conquête du pouvoir (Paris, Hachette, 1961).
- M. BLANCHARD, Le Second Empire (Paris, Colin, 1950).
- G. BOURGIN, La Commune (Paris, P.U.F., 1953).
- J. A. FAUCHER, La véritable histoire de la Commune (Paris, Atlantic, 1960, 3 vol.).
- H. GUILLEMIN, Les origines de la Commune (Paris, Gallimard, 1950-1960, 3 vol.).
- P. BOUJU et H. DUBOIS, La Troisième République (Paris, P.U.F., 1963).
- H. REMOND, La droite en France de 1815 à nos jours (Paris, Aubier, 1964).
- P. COMBE, Niveau de vie et progrès technique en France, 1860-1939 (Thèse, Strasbourg, 1955).
- G. P. PALMADE, Capitalisme et capitalistes français au XIX^o siècle (Paris, A. Colin, 1961).
- L. DUNHAM, La révolutions industrielle en France (1815-1848) (Paris, Rivière, 1953).
- GIRARD, La garde nationale 1814-1871 (Paris, Plon, 1964).
- J. L'HOMME, La grande bourgeoisie au pouvoir 1830-1880 (Paris, P.U.F., 1960).
- G. WORMSER, La République de Clémenceau (Paris, P.U.F., 1961).
- J. HOURS, Le mouvement ouvrier français (Paris, Ed. Ouvrières, 1952).
- G. LEFRANC, Le Syndicalisme en France (Paris, P.U.F., 1953).
- R. DAVAL, Histoire des idées en France (Paris, P.U.F., 1953).
- R. GARAUDY, Les sources françaises du socialisme scientifique (Paris, Ed.

Hier et Aujourd'hui, 1948).

- D. LIGOU. Histoire du socialisme en France (Paris, P.U.F., 1962).
- G. LEPOINTE, L'Eglise et l'Etat en France (Paris, P.U.F., 1960).
- E. CARRIAS, La pensée militaire française (Paris, P.U.F., 1960).
- C. DIGEON, La criscallemande de la pensée française, 1870-1914 (Paris, P.U.F., 1959).

اوروبا الشمالية والشمالية الغربية

- L. CAHEN, L'Angleterre au XIX^o siècle. Son évolution politique (Paris, Colin, 1924).
- E. HALEVY, Histoire du peuple anglais, 5 vol. parus (Paris, Hachette, 1913-1948).
- A. J. BOURDE, Histoire de la Grande-Bretagne (Paris, P.U.F., 1961).
- J. CHASTENET, Le siècle de Victoria (Paris, A Fayard, 1947).
- L. CAZMIAN, L'Angleterre moderne. Son évolution (Paris, Flammarion, 1928).
- B. VAN KALKEN, Histoire de la Belgique et de son expansion coloniale (Bruxelles, Office de Publicité, 1954).
- J. DHONT, Histoire de la Belgique (Paris, P.U.F., 1963).
- E. VAN GELDER, Histoire des Pays-Bas (Paris, Colin, 1936).
- L. KRABBE, Histoire du Danemark (Paris, Klincksieck, 1950).
- SVANSTROM et PALMSTIERNA, Histoire de Suède (Paris, Stock, 1944).
- P. JEANNIN, Histoire des pays scandinaves (Paris, P.U.F., 1956).

اوروبا الوسطى

- J. ANCEL, Manuel géographique de politique européenne. L'Europe centrale, 2 voi. (Paris, Delagrave, 1937 - 1940).
- P. BENAERTS, Les origines de la grande industrie allemande (Thèse, Paris, 1933).
- H. LICHTENBERGER, L'Allemagne moderne. Son évolution (Paris, Flammarion, 1908).
- J. DROZ. Le romantisme politique en Allemagne, (Paris, 1963).
- E. VERMEIL, L'Allemagne contemporaine, sociale, politique, culturelle (Paris, Aubier, 1953).
- J. DROZ, Histoire de l'Autriche (Paris, P.U.F., 1947).
- J. ANCEL, Slaves et Germains (Paris, Colin, 1939).
- B. AUERBACH, Les races et les nationalités en Autriche-Hongrie (Paris, Alcan, 1917).
- L. EISENMANN, Le compromis austro-hongrois de 1867 (Thèse, Paris, 1904).
- E. TERSEN. Histoire de la Hongrie (Paris, Hachette, 1959).
- G. DE BERTIER DE SAUVIGNY, Metternich et son temps (Pars, Hachette, 1959).

Ch. GILLIARD, Histoire de la Suisse (Paris, P.U.F., 1944).

اوروبا الجنوبية

- P. GUICHONNET, L'unité italienne (Paris, P.U.F., 1961).
- M. VAUSSARD, Histoire de l'Italie contemporaine (1870-1946) (Paris, Hachette, 1950).
- J. HURE, Histoire de la Sicile (Paris, P.U.F., 1957).
- P. HURE, Histoire de l'Espagne (Paris, P.U.F., 1947).
- Ch. E. NOWELL, Histoire du Portugal (Paris, Payot, 1953).

اوروبا الشرقية والتوسع الروسي

- A. MOUSSET, Le monde slave (Paris, S.E.F.S., 1946).
- J. MEUVRET, Histoire des pays baltiques (Paris, Colin, 1934).
- H. DE MONFORT, La Pologne (Paris, La Renaissance du Livre, 1947).
- A. JOBERT, Histoire de la Pologne (Paris, P.U.F., 1953).
- J. ANCEL, Manuel historique de la Question d'Orient (Paris, Delagrave, 1927).
- R. R. STELHVEBER, Histoire des peuples balkaniques (Paris, A. Fayard, 1950).
- M. DEVOS, Histoire de la Yougoslavie (Paris, P.U.F., 1955).
- N. SVORONOS, Histoire de la Grèce moderne (Paris, P.U.F., 1953).
- J. TULARD, Histoire de la Crète (Paris, P.U.F., 1962).
- A. EMILIANIDES, Histoire de Chypre (Paris, P.U.F., 1962).
- P. MILLIOUKOV, Ch. EISENMANN, Ch. SEIGNOBOS, Histoire de Russie, t. II et III (Paris, Leroux, 1932).
- G. ALEXINSKY, La Russie révolution naire (Paris, Colin, 1947).
- M. SEMIONOV, La conquête de la Sibéria (Paris, Payot, 1936).
- L. HAMBIS, La Sibérie (Paris, P.U.F., 1957).
- B. PONOMAREV et Collaborateurs, Histoire du parti communiste de l'Union Soviétique (Moscou, Ed. en langue étrangère, 1960).
- H. LEFEBVRE, Pour connaître la pensée de Lénine (Paris, Bordas, 1957).

الامبراطورية الالمانية

- A. DEMANGEON, L'Empire britannique. Etude de géographie coloniale (Paris, Colin, 1923).
- J. J. CHEVALLIER, L'évolution de l'Empire britannique, 2 vol. (Paris, Ed. Internationales, 1930).
- J. MAGAN DE BORNIER, L'Empire britannique, son évolution politique et constitutionnelle (Paris, Mechelinek, 1930).
- H. GRIMAL, Histoire du Commonwealth britannique (Paris, P.U.F., 1962).
- R. RUMILLY, Histoire du Canada (Paris, La Clé d'Or, 1951).

- J. A. LESOURD, L'Union sud-africaine (Paris, P.U.F., 1963).
- A. W. JOSE, Histoire de l'Australie (Paris, Payot, 1930).
- A. HUETZ DE LEMPS, Australia et Nouvelle Zélande (Paris, P.U.F., 1954).

اميركا

- P. CHAUNU, l'Amérique et les Amériques (Paris, Colin, 1964).
- Ch. B. CLOUGH, Histoire économique des Etats-Unis d'Amérique depuis la guerre de Sécession (Paris, P.U.F., 1953).
- H. U. FAULKNER, Histoire économique des États-Unis d'Amérique (Paris, 'P.U.F., 1958, 2 vol.).
- J. NERE, La guerre de Sécession (Paris, P.U.F., 1961).
- M. J. BUTCHER, Les noirs dans la civilisation américaine (Paris, 1958),
- F. L. SCHDELL, Histoire de la race noire aux Etats-Unis du XVII^o à nos jours (Paris, Payot, 1959).
- O. W. LARKIN, L'art et la vie en Amérique (Paris, Plon, 1952).
- H. S. COMMAGER, L'esprit américain (Paris, P.U.F., 1965).
- P. CHAUNU, Histoire de l'Amérique latine (Paris, P.U.F., 1964).
- A. SIEGFRIED, Amérique latine (Paris, Colin, 1934).
- R. S. COTTERIL, Histoire des Amériques (Paris, Payot, 1946).
- V. ALBA, Le mouvement ouvrier en Amérique latine (PaPris, Ed. Ouvrières, 1953).
- G. FREYRE, Maître et esclaves (Paris, Gallimard, 1952).
- P. MONBEIG, Le Brésil, (Paris, P.U.F., 1954).
- Ch. MORAZE, Les trois âges du Brésil. Essai de politique (Paris, Colin, 1954).
- J. TOUCHARD, La République argentine (Paris, P.U.F., 1952)
- Ch. AUBRUN, L'Amérique centrale (Paris, P.U.F., 1952).
- F. WEYMULLER, Histoire du Mexique (Paris, P.U.F., 1954).
- E. PEPIN, Le panaméricanisme, (Paris, Colin, 1938).

العالم الاسلامي

- H. MASSE, L'Islam (Paris, Colin, 1930).
- L. GARDET, La Cité musulmane: Vie sociale et politique (Paris, 1954).
- L. STRODDARD, Le nouveau monde de l'Islam (Paris, Payot, 1923).
- X. DE PLANHOL, Le monde islamique. Essai de géographie religieuse (Paris, P.U.F., 1957).
- G. NIGEON, Manuel d'art musulman, 2 vol. (Paris, Picard, 1927).
- R. FURON, La Perse (Paris, Payot, 1938).
- R. DOLLOT, L'Iran, Perse et Arghanistan (Paris, Payot, 1951).
- G. HANOTAUX, Histoire de la nation égyptienne, t. VI-VII (Paris, 1935-36).
- M. CHRETIEN, Histoire de l'Egypte moderne (Paris, P.U.F., 1951).
 - Ch. A. JULIEN, Histoire de l'Afrique du Nord (Paris, Payot, 1952),

- Ch. A. JULIEN, Histoire de l'Algérie contemporaine (Paris, P.U.F., 1964).
- J. KLEIN, La Tunisie (Paris, P.U.F., 1949).
- J. GANIAGE, Les origines du protectorat français en Tunisie, 1861 1881 (Paris, P.U.F., 1959, thèse).
- E. F. GAUTIER, Un siècle de colonisation : Etude au microscope (Paris, Alcan, 1930).
- A. AYACHE, Le Maroc (Ed. sociales, 1966).
- R. MONTAGNE, La civilisation du désert (Paris, Gallirmard, 1946).
- R. CAPOT-REY, Le Sahara français (Paris, P.U.F., 1953).
- V. MONTEIL, Les musulmans soviétiques (Paris, Ed. du Seuil, 1957).
- J. P. ALEM, L'Arménie (Paris, P.U.F., 1959).
- E. E. RAMSAUR, The Young Turks. Prelude to the révolution of 1908 (Princeton, University Press, 1957).

اسرائيل والحركة الصهبونية

- C. ROTH, Histoire du peuple juif (Paris, Ed. de la terre retournée, 1948).
- A. CHOURAQUI, L'Etat d'Israël (Paris, P.U.F., 1955).
- J. COHEN, Le mouvement sioniete (Paris, Ed. de la terre retournée, 1946).
- A. CHOURAQUI, Théodore Herzi inventeur de l'Etat d'Israël (Paris, Ed. du Seuil, 1960).

Chaim WEIZMANN, Naissance d'Israël (Paris, Gallimard, 1957).

افريقيا السوداء وعالم ما بين خطى الجدي والسرطان

- P. GOUROU, Les pays tropicaux, (Paris, P.U.F., 1941).
- H. LABOURET, Histoire des noirs d'Afrique (Paris, P.U.F., 1946).
- R. CORNEVIN, Histoire des peuples de d'Afrique noire (Paris, Berger-Levrault, 1960).
- R. CORNEVIN, Histoire du Togo (Paris, Berger-Levrault, 1959).
- R. CORNEVIN, Histoire du Dahomey (Paris, P.U.F., 1965).
- D. PAULME, Les civilisations africaines (Paris, P.U.F., 1953).
- H. DESCHAMPS, L'éveil politique africain (Paris, P.U.F., 1952).
- RICHARD-MOLARD, L'Afrique occidentale française (Paris, Berger-Levrault, 2ème éd., 1952).
- H. DESCHAMPS, Les relgions de l'Afrique noire (Paris, P.U.F., 1960).
- E. REVERT, Les Antilles (Paris, Colin, 1954).
- A. YOU, Madagascar, Colonie française (Paris, Société d'Editions géographiques, 1931).
- " H. DESCHAMPS, Histore de Madagascar (Paris, Berger-Levrault, 1960).
 - A. TOUSSAINT, Histoire de l'Océan Indien (Paris, P.U.F., 1961).
 - Ch. A. JULIEN, Histoire de l'Océanie (Paris, P.U.F., 1942).
 - D. L. OLIVER, Les îles du Pacifique. L'Océanie des temps modernes à nos jours (Paris, Payot, 1952).

آسيا: الهند والشرق الأقصى

- P. MEILE, Histoire de l'Inde (Paris, P.U.F., 1951).
- R. PALME DUTT, L'Inde d'aujourd'hui et de demain (Paris, Ed., sociales, 1957).
- M. K. GANDHI, Expériences de vérité ou autobiographie (Paris, P. U. F., 1950).
- Ch. ROBEQUAIN, Le monde malais (Paris, Payot, 1946).
- J. BRUHAT, Histoire de l'Indonésie (Paris, P.U.F., 1958).
- LE THANH-KHOI, Histoire de l'Asie du Sud-Est (Paris, P.U.F., 1959).
- P. FISTIE, Singapour et la Malaisie (Paris, P.U.F., 1960).
- GONNARD, La colonisation hollandaise à Java (Paris, Thèse, 1905).
- E. DENNERY, Foules d'Asie (Paris, Colin, 1930).
- P. GOUROU, La terre et l'homme en Extrême-Orient (Paris, Colin, 1947).
- P. RENOUVIN, La question d'Extrême-Orient (Paris, Hachette, 1946).
- A. MASSON, Histoire de l'Indochine (Paris, P.U.F., 1950).
- A. MASSON, Histoire du Vietnam (Paris, P.U.F., 1960).
- LE THANH-KHOI, Viet-nam, histoire et civilisation (Paris, Ed. de Minuit, 1955).
- A. DAUPHIN-MEUNIER, Histoire du Cambodge (Paris, P.U.F., 1961).
- A. DUBOSCQ, l'évolution de la Chine (Paris, Bossard 1921).
- E. HOVELACQUE, La Chine, (Paris, Flammarion, 1923).
- G. MASPERO, La Chine, 2vol. (Paris, Flammarion, 1923).
- G. MASPERO, La Chine, 2 vol. (Paris, Delagrave, 1925).
- R. GROUSSET, Histoire de la Chine (Paris, A. Fayard, 1946).
- G. DUBARBIER, Histoire de la Chine moderne (Paris, P.U.F., 1949).
- LA MAZELIERE, Histoire du Japon, t. III, IV, V (Paris, Plon, 1906).
- R. BERSIHAND, Histoire du Japon des origines à nos jours (Paris, Payot, 1959).
- F. LEGER, Les influences occidentales dans la révolution de l'Orient: Inde-Malaisie-Chine, 1850-1950 (Paris, Plon, 1955).
- S. SCHRAM et H. CARRERE D'ENCAUSSE, Le marxisme et l'Asie, 1853-1964 (Paris, Colin, 1965).
- K. M. PANNIKKAR, L'Asie et la domination occidentale du XV slècle à nos jours (Paris, Ed. du Seuil, 1956).
- L. AUBERT, Les maîtres de l'estampe japonaise (Paris, Colin, 1922).
- G. WILLOQUET, Histoire des Philippines (Paris, P.U.F., 1961).

مسرلجع عرسية

استكالاً لجريدة المصادر الفرنجية رأت « دار منشورات عويدات » في بسيروت تكليف الاستاذ يوسف اسعد داغر الاختصاصي بفن المكتبات والخبير العالمي بالببليوغرافية ، بالمرقية والتوثيق العلمي ، وأحد المنرجين لهذه الموسوعة التاريخية إعداد قائمة ببليوغرافية ، بالمراجع والمصادر التاريخية العربية التي تتعلق بآهم مواد هذا الجزء الحاص بتاريخ العالم بين ١٨١٥ -١٩١٤ وقد نزل الاستاذ داغر عند رغبتنا هذه فأعد هذه القائمة خدمة للبحث العلمي وتيسيراً لأسبابه وللعاملين في مجالاته في عالم الضاد عن يهتمون بالدراسات التاريخية العائدة لهذه الحقبة المهمة من التاريخية العائدة لهذه الحقبة المهمة من التاريخ العام .

فعسى أن يجد الباحثون في هذه القوائم الختارة مسايغني بعض الشيء عن جهد التقصي والتقميش .

اوروبا ــ التاريخ ال<mark>حديث</mark>

حداد ٬ جورج مرعي – تاريخ اوروبا والمسألة الشرقية في <mark>الازمنة الحديثة ١٧٨٩ – ١٨٤٨ –</mark> حلب المطبعة الوطنية ١٩٣٥ / ٢٥١ ص ٬ مع صور ـ خريطة .

رايتنكر ؟ انطون ــ الوجه الاقتصادي لاوروبا ؟ ترجمة جابر عمر ــ بغداد ؟ دار المعرفة ٩٩٥٢ ؟ ٣٣٣ ص .

شكري ، محمد فؤاد - الصراع بين البورجوازية والاقطاع (١٧٨٩ - ١٨٤٨) ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٣ مجلدات .

الفلكي ، محمود صالح — التكتلات الاقتصادية الغربية : نشأتها ، انظمتها ، اغراضها المباشرة ، اهدافها البعيدة — القاهرة ، دار النشر للجامعيات المصرية ١٩٦٢ ، ١٢١ ص ، مراجع ص ١١٧ ،

فيشر ، هربرت البرت لورنس – تاريخ اوروبا في العصر الحديث ، ترجمة احمد نجيب هاشم ووديع الضبع – القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤١ ، ٣٦٩ ص ـخرائط .

هيروفيل ، هوبير – اقتصاديات بلدان الحوض المتوسط . ترجمة نهاد رضا – بـــــيروت ، . منشورات عويدات ۱۹۶۱ ، ۱۸۷ ص .

قاسم ، احمد واحمد نجيب هاشم ، الت<mark>اريخ الحديث و</mark>المعاصر – القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٦ ٢<mark>٥</mark>٢ ص – صور ، خرائط .

هيز ، كارلتون جوزف _ الثورة الصناعية ، ترجمة احمد عبد الباقي – بغيداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٥٠ ، ٢١٩ ص .

روسيا

أنور الكيراي ، يوسف – كارثة القرم الاسلامية في الاتحاد السوفياتي-القاهرة ، مطبعـــة الصاوي ، ١٩٥٠ ، ١٨٢ – خرائط .

سلم قيمين – سياحة في روسيا _ مصر .

نخلة قلقاط – تاريخ روسيا الحديث – بيروت ٬ ١٨٨٦ – ١٨٨٨ ٬ في اربعة اجزاء .

حقي العظم - دفاع بلغنا (في حرب الروس مع الدولة العثانية) سنة ١٨٧٨ دمشق ،مطبعة الترقي ١٣١٨ ه (١٩٠٠ م) ١٤٣ ص مع خريطة .

المق<mark>تطف – دولة الروس أو ثلثاثة سنة على ب</mark>يت رومانوف ، مجلد ٤٢ (١٩١٣) ، ص ٣١٣ و ٢٦٦ ،

البلقان - تركيا - الحرب البلقانية - اليونان

ابن حبيب ، الحسن - درة الاسلاك في دولة الاتراك - دمشق ١٩٦٧ مجلدان .

الأيام ، جريدة (يوسف نعيان معاوف) ، أسرار يلدز أو المقد الثمين في تاريخ أربعة سلاطين نيويورك ، مطبعة الأيام ، ١٩٠٠ ، ٣٣٧ ص مع صور . بيهم ٬ عمد جميل – العرب والترك في الصراح بين الشرق والغرب . دراسة تستعرض دور العرب والترك في تنازع العالم على السيادة – بيروت المطنعة الوطنية ١٩٥٧ ٬ ص ٢٢٥ .

... فلسفة التاريخ العثاني – بيروت ٬ مطبعة صادر ٬ ۱۹۲۵ – ۱۹۵۵ ٬ مجلدان . جودت ٬ احمد – ناريخ جودت ٬ ترجمة عبد القادر الدنا – بيروت ٬ مطبعة جريدة بيروت

. 4 14.4

جيافا كوليس ، ثيودور - اليونان : شعبها وارضها . ترجمة محمد امين رستم - القاهــرة ، مكتبة النيضة المصرية ، ١٩٦٣ .

العقاد 'سلم - تاريخ الحرب البلقانية المصورتين الدولةالعثانية ودول الاتحاد البلقاني الفاهرة مطبعة الهلال ، ١٩١٣ .

حلم ، ابهم ــ التحفة الحليمية في تاريخ ال<mark>دولة العلية ــ القا</mark>هرة، مطبعة ديوان عموم الاوقا<mark>ف</mark> ١٩٠٥ ، ٢٥٤ ص .

خانكي ؟ عزيز _ الذكرى المئوية لواقعة نزيب (٢٤ يونيه ١٨٣٩ - ٢٣ يونيب ١٩٣٩ - القاهرة ، ٢٨ صفحة .

دروزة ؛ محمد عزة _ تركيا الحديثة _ بيروت ؛ مطبعة الكشاف ١٩٤٦ ؛ ٣٥٥ صفحة . البستاني ؛ يوسف افرام _ تاريخ حرب البلقان الاولى بين الدولة المالية والاتحاد الب<mark>لقاني ؛</mark> القاهرة ؛ مطبعة الهلال ؛ ٢٩٧ ، ٢٢٧ صفحة _ خريطة _ صور .

الريس؛ محمد ضياء الدين – تاريخ الشرق العربي والخلافة ال<mark>مث</mark>انية اثناء الدور الاخير للخلافة (١٧٧٤ – ١٩٣٤) – القاهرة ؛ مكتبة نهضة مصر ؛ ١٩٥٠ (يشتمل على تاريخ مصر وتركيا والشام والعراق وجزيرة العرب منذ اواخر القرن الثامن عشر الى الع<mark>صر الحاضر) .</mark>

ساسون، عزرا صموئيل— تاريخ مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي العثانية –الاسكندرية مطبعة جرجي غرزوزي ، ١٩١٠ ، ١٠٤ صفحات.

شاكر ، على - القول السديد في حرب الدولة العلية مسع اليونان - القاهرة ، مطبعسة الموسوعات ، ١٣٢١ ه. ١٩٤ ص .

صفوت ؛ محمد مصطفى - مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية - القاهرة ؛ معهـــه الدراسات العربية العالمة ؛ ١٩٥٧ .

... محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس – القاهرة ، معهد الدراسات العربيسة العالمة ١٩٥٨ ، ٢٢ صفحة .

كامل ، مصطفى - المسألة الشرقية - القاهرة ؛ مطبعة الآداب ، ١٨٩٨ ، ٣٥٢ ص .

ايطاليا ــ النزاع الايطالي في الحبشة (١٨٩٥ – ١٨٩٦) مأخوذ عن التقرير الايطالي المرفوع الى عصبة الامم ، ترجمة رستم درويش – ٣٢ ص .

المانما

جمال الدين ، فوزي ـ من بسمارك الى متلر (لتلامية وتلميسةات السنة الرابعة بالمسدارس الثانوية بالسودان). ـ امدرمان ، مكتبة الحرية ١٤٠ ص .

العقاد سليم - غليوم الثاني . ترجمته الشخصية والسياسية - القاهرة المطبعـة المصرية ، لا . ت . ١٨٦ ص .

الاستعمار

رياض ؛ زاهر -- استمار القارة الافريقية واستفلالها -- القاهرة ١٩٦٦، ٣٣٣ص --خرائط مراجع ص . ٣٢٦ - ٣٢٣ .

... استمار افريقية ــ القاهرة ، دار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ؛ ٢٦ عصــصور ــ خرائط ــ مع مراجع .

الشهابي الأمير مصطفى ـ محاضرات في الاستع<mark>مار ـ ا</mark>لقاهرة ، معهد الدراسات العربيـــة العالمة ، ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ، جزآن .

حربي ، محمد ـ تاريخ المصر الحديث : مصر . الولايات المتحدة ـ الاستعمار الاوروبي ــ القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٢٦ ، ٣١٣ ص ـ صور ـ خرائط .

عبده ؛ علي ابراهيم - اضواء على المنافسة الدولية في اعالي النيل - القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر ؟ ١٩٦٢ ، ٢٠١ من مراجع ص ١٩٧ - ٢٠١ .

... المنافسة الدرلية في اعالي النيل (١٨٨٠ - ١٩٠٦) - القاهرة مكتبة الانجاء المصرية ، ١٩٥٨ - ١٩٥٨) - القاهرة مكتبة الانجاء المصرية ، ١٩٥٨ ، ١٩٥٨ من - خرائط - مراجع ص ٣٨١ .

الفزالي ، محمد ـ الاستعمار : احفاد واط<mark>ماع ـ القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٧ ، ص</mark>

فهمي ، عبد العزيز - الاستعمار عبدو الشعوب - القاهرة ، مكتبة النهضة المصريبة ، ١٩٥٢ م ١٩٣٠ ص .

لينين ، ف. ١ ـ الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية ، ترجمة راشد براوي ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ٢٠٨ ، ٢٠٨ ص .

محمد ، محمد عوض _ الاستعار والمذاهب الاستمارية _ القاهرة ، دار الكتاب المربي ، 190 ، 194 ص .

نكروما ، كوامي ــ الاستعبار الجديد ، آخر مراحل الامبريالية ، ترجمة عبد الحيد حمدي القاهرة الطباعة والنشر ١٩٦٦ ، ٣١١ ص .

افريقيا

ابو المجد ، صيري - ثورة افريقيا - القاهرة ، الشركة العربية ، ١٩٦٠ م صفحة . حدان ، جمال - افريقيا الجديدة . دراسة في الجغرافية السياسية - القاهرة ، مكتب النهضة المصرية ، ١٩٦٦ ؛ ١٠٠٤ ص ، خريطة .

رفلة ، حبيب - الجغرافية السياسية لافريقيا مع دراسة شاملة للدول الافريقية سياسياً واقتصادياً وجفرافيساً ؛ طبعة ثانية - القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ٩٦٦ ، ٩٧٢ ص - خرائط .

سمبسون ٬ انتوني – حول افريقيا . ترجمة احمد حمزة ومحمد الحتولي ــ القاهرة ٬ دار القومية للطباعة والنشر ٬ لا . ت ٬ ۱۹۴ ص

الصقار ، فؤاد محمد _ التفرقة العنصرية في افريقيا - القاهرة ، دار النهضة المصرية ١٩١٢ ، ٢ صفحة .

طا<mark>هر ؟ احم</mark>د _ افريقيا في مفترق الطرق _ القاهرة ؟ الدار المصرية المتألي<mark>ف والت</mark>رجمة والنشر ؟ ١٩٦٥ ؟ ٩٩ صفيحة .

العقاد ؛ صلاح - المفرب العربي والاستمار الفرنسي الى التحرر القومي - القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت . مراجع .

عودة ، عبسه الملك - السياسة والحكم في افريقيا - القاهرة ، مكتبة الانجار المصرية . 1909 ، 200 صفحة مراجع ص 200 - 200 .

السويس

ابر السعود ؛ جميمال سليان – قناة السويس : ماضيها وحاضرها ومستقبلها ــالقاهرة ؛ مطمعة مصر ١٩٥٦ ، ٢٦٥ ص .

حرب ، محمد طلعت - قناة السويس - القاهرة ، مطبعة الجريدة ، ١٩١٠ ، ١٤٠ ص.

الحفناوي ؛ مصطفى ــ قصة قناة السويس ؛ القاهرة ــ مطبعة نخيمر ١٩٥٨ ــ ١٦٥ صفحة مع صور وخرائط .

... قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة مالقاهرة ٢٠١٩٥٢ م اجزاء.

خانكي ، عزيز ـ قناة السويس: نبذة تاريخية ومالية ـ القاهرة ، المطبعة العصرية ، لا . ت . ١٥ ص .

رشوان ؛ عبدالله ـ المركز الدولي لقناة السويس ونظائرها ــ القاهرة ؛ مطبعة حجازي ؛ ٢٩٥ / ٢٩١ صفحة .

الشاعر ؛ يجيى ــ قناة السويس بين ادارتين . درا<mark>سة تاريخية</mark> سياسية ؛ اقتصادية ؛ قانونية ــ بيروت ؛ الجامعة اللينانية ١٩٦١ ؛ ٣٦٣ ورقة ــ خريطة .

شفي<mark>ق ؟ احمد _ قذاة السويس معجزة القرن التاسع عشر _ ال</mark>قاهرة مطبعة حوليات مصر السياسية ٢٠٣٤ صفحات .

الشناوي ، عبد العزيز محمد ـ الديبلوماسية الفرنسية تربط بين مسألتي قناة السويس وابريد الجديدة ــ القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٤ ، ٣٣ص .

... السخرة في حفر قناة السويس ـ الاسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٥٨ ، ٣٧٦ ص ـ خرائط .

شون<mark>فيلا ، هي</mark>و جوزف . قناة السويس ، ترجمة احمد خاكي ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥ ، ١٨٢ ص ـ خريطة .

صبري ، محسسه – كتاب القناة : اسرار قضية التدويل واتفاقية ١٨٨٨ ــ القاهرة ، دار القاهرة ١٩٥٠ ، ٩٦ ص .

صفوت ، محمد مصطفى ـ انكلترا وقناة السويس ١٨٥٤ ـ ١٩٥١ ـ الاسكندرية مطابع رمسيس ١٩٥٢ .

... مسألة قناة السويس ــ القاهرة ، دار الشرق ، ١٩٥٧ ص .

غالي ، بطرس ـ قناة السوبس ومشكلاتها ١٨٥٤ ـ ١٩٥٧ ـ الاسكندرية مطابع البصير ١٩٥٨ - ١٩٥٨ و نص بالفرنسي والعربي) .

غلاب ، محمد السيد وآخرون ــ السويس ــ القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦ ، ٣٠٧ ص .

قتاة السويس : حقائق ووثائق (مع الاتفاقات والمعاهدات والبيان الثلاثي) ... القاهــرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧ ، ٨٠٠ ص ــ صور .

البحر المتوسط والبحر الاحمر

الجل' شوقي عطاالله _ الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحر ١٨٦٣ -١٨٧٩ جمعها وحققها ورتبها واعدها للنشر ، مع دراسة تحليلية . . _ القاهرة ، مطبعة كجنة البيان العربي ١٩٥٩ ، ١٣١٤ ص .

خانكي ، جميل - امراء البحر في الاسطول المصري ، من النصف الاول من القرن التاسع عشر ، مصر ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٧ ص ، صور .

... تاريخ البحرية المصرية – القاهرة ، مطبع<u>ة دار الكتب المصرية، ١٩٤٨ ، ١٩٤٨ ص ،</u> مسمور .

رفعت ، محمد – تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية – القاهرة دار المعارف ، ١٩٥٠ من – خرائط .

ضرار ؟ عمد صالح – تاريخ السودان والبعر الاحر واقاليم البجة – بيروت ؟ دار مكتبة الحياة ؟ ١٩٥٦ ؟ ١٦١ صور .

غزالة ؛ حبيب ؛ جزيرة رودوس جفرافيتها وتاريخها وآثارها – القاهرة ؛ مطبعة الاعتاد؛ ٩١ ص مع خوائط وصور .

يحيى ، جلال - سواحل البحر الاحمر - الاسكندرية ، المكتبة الافريقية ١٢٨٠١٩٦٠ ص.

الولايات المتحدة الاميركية

برايس ، جيمس - المؤسسات والنظم الاميركية . نظرات تأملية في طبيعتها ، ترجمة أنيس صايغ ، مراجمة أبراهيم داغر ، بيروت الدار الشرقية الطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، ٢٧٥ ص . بنيه ، ستيفن فنسنت - اميركا، ترجمة عبد العزيز عبد الجميد - القاهرة ، مكتبة الولايات المتحدة الاميركية للاستعلامات - ١٩٥٥ ، ١٩٠٠ ص .

بيرلنجم ، روجير - آلات صنعت امة ، ترجمة احمد عبد الرحمن حمود -- القاهرة ، مكتبة الآداب . لا.ت - ٢٣٧ ص .

الحناري ، كال الدين - الاستراتيجية في الحرب الاهلية الاميركية - القاهرة مكتبة النهضة المميرية ، ١٩٥٠ ، ٢٠٠٠ ص - خرائط .

زيادة ، فرحات -- تاريخ الشعب الاميركي -- برنستون ، مطابع جامعة برنستون ١٩٤٦ ، ٣٤٣ ص -- صور -- خرائط .

سيرز ؟ ارل شنيك - حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشاف الى ع<mark>صر الذرة. فصول الريخية أسهم في اعدادها ٢٥ استاذاً جامعيا - بغداد ، مطبعة شفيق ؟ ٢٨٤٠١٩٥٨ ص صور. صبري ، محمد - تاريخ العصر الحديث ؟ مصر ؟ الولايات المتحدة - الاستعبار الاوروبي - القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ٢٩٢٦ ، ٣١٣ ص - صور خرائط.</mark>

صروف ؛ فؤاد - مشاهد المالم الجديد - القاهرة ، مكتبة العرب ١٩٢٥ ، ١٦١ ص . فؤاد ، احمد عبد الجميد ـ امريكا في الشرق الاوسط ـ القاهرة ١٩٥٤ .

ماير ، فكتور _ معركة السفينة ، ترجمة صبحي الجيار _ القاهرة ، دار النهضة العربية. ١٩٦٢ .

هاملتن ؛ الكسندر – الدولة الاتحادية : اسسها ، دستورها ، ترجمة جمال محمد احمد بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩ م .

كوسولاس ، دياري - مفتاح التقدم الاقتصادي ، ترجمة محمد ماهر نور - القاهرة ، دار الفكر العربي ، لا . ت ١٣٢ ص .

كويل ، دافيد ـ النظام السياسي في الولايات المتحدة ، قرجة توفيتي حبيب ـ القاهــرة ، مكتبة الخانجي ١٩٥٢ ، ٣٠٠ ص .

كلاو ، شيبارد _ الاساس الاقتصادي للحضارة الاميركية ، ترجمة احمد حلمي حجاج _ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ ، ١٩٩ ص .

ويرنت ، جون فيليب ـ الرخاء بدون تضخم . قرجمة حسن عمر ، القـــاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، لا . ت ، ١٨٥٠ ص .

بحدول زمسيني مقارن

1418 -- 1110

- ١٨١ اختتام مؤتمر فيينا . نهاية نابليون ، الحلف المقدس
- 1۸۱۷ قصف مدينة الجزائر وطرابلس الغرب تاسيس جمعية ارساليات فرنسا ورهبانية اوبلات مريم بلا دنس والجمعية المريمية ، الدكتور لاينك يدشن طريقة الفحص بالقرع هولر يضع كتابه : تجديد العلوم السياسية ، ماجندي يضع : مختصر الفسيولوجيا غريلبرزر يؤلف روايته : الجدة وهوفمان ، رحيق الشيطان ، وروسيني : حلاق اشبيليا .
- ۱۸۱۷ مد تحرير الشيلي ما الشروع باعمال ترعة بحيرة ايريه ما اختراع البارون درايس للدراجة المسماة باسمه : « درايسينية » ما اسرة روتشيلد تقيم في باريس ما ريكاردو يضع كتابه : مباديم الاقتصاد السياسي ما وكادل ريتر كتابه : الجغرافيا ما وستيلر : هنداتلاس ما لامنيه يضع كتابه : محاولة حول اللامبالاة في امور الدين ما وت، مور : لالا دوخ ،
- ۱۸۱۸ سه وافدة التيفوس في اوروبا به اختراع الستركنين به فيكا يتوصل لصنيع صنف من الاسمنت يشبه الاسمنت المسلع بيغروا سانت هيلار ينشر كتابه: فلسفة على التشريع به وكبتس ينشر: انديميون به وشيلي: ثورة الاسلام به تاسيس اكاديمية الفنون الجميلة في هافانا على يعد ج.ه. فرماى احد تلاميد دافيد .
- 1۸۱۹ ساسيس جمهورية كولمبيا ساحتلال البريطانيين لمدينة سنفافورا سالمجاعة تفتك في شمالي غربي الهند سبده العمسل بالاتحاد الجمركسي الالمانسي ساولات المسلمين تجارية لاسافانا تقطع المحيط الاطلسي ساسيس جمعية مرسلي بال سامين تأسيس شماين جمعية دراسة التاريخ الالماني ساوبنهوير ينشر كتابه: العالم بين التصميم وبين التحييز ساجوزف دي مستريض كتابه: حول البابا ساو، سكوت ينشر دوايته الفنهو سافو سافو سافو سافو وجيريكو طوف المدوزا سافودنفلدس: اسسد لوسرن،
- ۱۸۲۰ ـ دخول جمعية الفحامين فرنسا ـ اتفاق ميسوري ـ ملكرات ماك آدم التقنية ـ فيربرن يضع نولا جديدا للحياكة ـ وتوماس الارثموميتر ـ اختراع دى لارو لاول مصباح للانارة اورستد وآمبير يكتشفان المظاهر الكهردينامية وادافو يتوصل الى توليد المغنطيسية من الكهرباء ـ هكمان بقوم باول محاولة للتخدير في الطب ـ المرسل والعالم الهندي كاراي ينشىء

- مؤسسة تعنى بدرس المدنيات الهندية والاوروبية دراسة مقارنة ... لامارتين يضع: تأملات شعرية ... وشلي: بروموتيه محررا ... و و ، ارفنغ: كتاب الرسوم ... ولامب: محاولات الليا.
- الاقتصادية المجاعة في ايرلندا تاسيس الجمعية العاملة لتنشيط الاقتصادية المجاعة في ايرلندا تاسيس الجمعية العاملة لتنشيط الصناعة الوطنية في البلاد الواطية تأسيس مجمع انتشاد الايمان شمبليون ينك رموز الخط الهيروغليفي اول اجتماع تعقده جمعية علماء اللغة لالمانية ج.ب، فورييه يضع اكتابه: النظرية التحليليسة للحرارة بوشكينيضع روايته: اسير القنقاس ديلاكروا ينشر روايته تارب دانته بيتهوفن يضع لحنه: قداديس على مفتاح ر وشوبرت يضع : السنفونيا غير المنجوزة .
- 1017 رسالة الرئيس مونرو شركة للملاحة البخارية على الفولفا اول منارة دوارة تعمل بعدسة ليبس يشير الى مبادىء التصوير الفوطو<mark>غرافي</mark> متشيافتش يضع ديوانه: اغان واناشيد بيتهوفن يضع: السمفونية التاسعة مع القسورس .
- ١٨٢٤ هزيمة اسبانيا عند اباكوشو (البيرو) المجاعة في الدكس الهند تأسيس جمعية المرسلين الانجيليين في باريس سادي كارنو يضح كتابه: تأملات حول قدوة النار المحركة كولار يضع : ابنة سلافا وقريلبرزر: اوتوكار اول معرض بريطاني في صالة بارس افتتاح النايشنال غاليري ديلاكروا يضع : مذابع اسيو .
- المراح بناء الخط الحديدي بين ستوكتن ودرلنفتن باشراف ستيفنسن و رحلة الانترابرايز باتجاه كلكوتا و روبرتس يخترع النول المتحرك ذاتيا في حياكة القطن و شفروي وغاي لوساك بخترعان الشمعة الصنوعة من الستيارين و الولى منشورات اوغست كونت و ماكولي يضمع كتابه: محاولات و الربون يضع: جزيرة السعادة و تيجر: ساغافريتيوف و جوزي ماريا دي هيريديا: اشعار و دافيد دانجيه: قبر الجنرال فوا
- ۱۸۲۱ مؤتمر بناما البريطانيون يغزون اسام اول رحلة للسفينة رد روفر بين كلكوتا وهونغ كونغ البابا ليون الثاني عشر يحرم الماسونية ببراءته الرسولية اولى مذكرات آبل مذكرة لوبتشفسكى حول الهندسة اللاالميدية الموسوعة الجرمانية التاريخية هاين يضع: ديزلبلدر ليوباردي يضع: فرسي ف، كوبر يضع: آخر الموهيكان بلو يضع: غابات المنطقة الحارة بيتهوفن يضع: الرباعيات الآخيرة ،

1۸۲۷ - موقعة نافارين البحرية - سيغن يخترع المرجل الانبوبي - مرجل بركنو - فورنيرون يضع اول طوربين مائية - وهلر يحلل عناصر الماء لاول مرة - اوهم يضع قانونه المعروف - رحلة رينه كاييه - هوغو يضع : مقدمة كرومويل - منزوني يضع : الخطيبان - فيروس مارتي يضع : الدوادي المسحور - انغر يضع دسمه المشهور : تأليه هوميروس .

1AYA - تحرير المشاقين في انكلترا - تأسيس حزب العمال في فيلادلفيا - رحلات منتظمة تقوم بها سفينة رد روفر بين كيفربول ونيوبورك - وهلسر يتوصل لاول مرة الى صنع البول التأليفي - محاضرات فيزو حول تاريخ الحضارة الاوروبية في كلية فرنسا - اول كونسرتو كشوبين في فيينا - اوبير يضع: Muette Vos

1879 - تحرير الكاثوليك في انكلترا - عودة المتيفوس الى اوروبا من جديد - اوني يؤسس مستعمرة نيوهرموني - ستيفنسن يضع قاطرت : المساروخ - برايل يضع كتابته النافرة للعميان - انطوان بيكريل يضع او بطارية (او حاشدة كهربائية) - هوغو يضع ديوانه الموسوم : الشرقيات - دوسيني يضم روايته : وليم تل .

المتبلاء فرنسا على مدينة الجزائر ... فتن وثورات في اوروبا ... استقلال بلجكا ... تأسيس شركة استراليا الجنوبية ... ظهـور وباء الهيضة في اوروبا ... بناء الغط الحديدي بين منشستر وليفربول ... باركوريس ومادلاي يخترعان النول الدائم الحركة ... تيمونيه يخترع ماكينة الخياطة ... كوشي يصوب نظرية المتفيرة الخيالية ووظائفها ... خناقة التشريح القارن ؛ كوفييه ضد جوفروا مانت هيلار ... كونت يضمع : دروس الفلسفة الوضعية ... معركة هرنائي ... ستأندال يضع : الاحمز والاسود ... فرجلائد يضع : الخليقة والانسان والمسيح ... ديلاكروا يضع : الاستحكام او الحرية تقود الشعب كارو يضع : كاتدرائيسة شارتر ... برليسون يضمع : السمفونيسة الغربية .

المحرب البورة البولونية ماذينى يؤسس: ايطاليا الفتاة ممال الحربر يؤورون في مدينة ليون المجامة في ايرلندا وفي روسيا محرر غاريسون دال نفرو ينشىء اول محرك الهربائي كما يخترع مماك كورميك اول حاصدة ميكانية ماكنية ماكنوروفورم على بد ليبيغ وسوبيران اكتشاف فرادي لتائي Induction رحلة دارون البحرية على ظهر السفينة يكل ما تأسيس الجمعية البريطانية لترقية العلوم وتطويرها ميشليمه يضع : المدخل الى التاريخ الممام ميشليمه يضع : المدخل الى التاريخ الممام ميشير يضع روايته : روبسرت العفرست .

Mirari Vos اعادة تنظيم الرهبائية البندكتية على يد غيرانجية - براءة البابا فريغوربوس السادس عشر - اختراع سوفاج للدفاش - غالوا يخلف لنا قبل وفاته نظرية الفئات - دولاي يهاجم هندسة اوقليدس - لينو يضع ديوانه: قصائد - متشيافتش يضع كتاب: الامة البولونية - ليفيو بلليكو يضع: سجوني - رونبرغ يضع روايته صيادو . . . - الدون يضع: مشاهد اندلسية - لار يضع روايته: رسائل الهتار

المسكسين .

المجاعة في الدكن الهند ... بدء حركة اكسفورد ... طلائع جمعية القديس منصور دي بول ... قانون غيزو بشأن التعليم الابتدائى ... الفاء السرق في المستعمرات الانكليزية ... اوين يضع كتابه الاتحاد العمالي ... وجريدة الشمس » بنحاستين ... التلفراف الكهرمفنطيسي اختراع غوس وويير ... وايكفيلد يضع: انكلترا واميركا ... ليال: مبادىء اولية في علم طبقات الارض ... غوتيه: فوست الثاني ... بلزاك: اوجين غرانديه ... انغر: رسم برتن البكر ... جورج سنو يستعمل لاول مرة في واشنطور: اولسي الصفات المعنية

1ATE - فتن في باريس وليون - قانون الفقراء في انكلترا - الاتحاد الوطني للعمال في الولايات المتحدة - اول تريك عند البويرز - ج.ب. دوماس يكتشف روح الخشب (الكحول المتبلي) - جاكوب بركنز يخترع طريقة للحصول على البرد الصناعي - اختراع صباغ الانيلين على يد رونج ، مسسن نظران الفحم - لامنيه يضع كتابه كلمات مؤمن - متشيفتش يضع كتابه : السيد ثاديه - وغوغول يضع : طاراس بولسا - ودومييه : شاع ترانسنونان .

المعدد المبانيا ترضّخ لقانون الزيارة - الاتراك في طرابلس الغرب - فرغانة تتحرر من حماية المعين ووصايتها - تأسيس وكالة تاس للانباء - غوردون بنيت يصدر جريدة نبويورك هيرلد - اختراع اول سكة من الغولاذ في الولايات المتحدة الاميركية - مورس يجري اول تجربة للتلفراف البرقي - بيرو يخترع جهازا للطباعة على القماش يحمل اسم « بروتين » د . ستراوس يضع كتابه : حياة يسوع - تكفيل ينشر كتابه : الديمتراطية في اميركا - واندرسن : قصص وحكايات - ولونروت يضع روايته : كالغالا - وكراسنسكي : الكوميديا غير الالهية - وف . هالغي يضسع رقصة اليهودية .

۱۸۳۱ - جكسون يعارض انشساء البنك المركسزي - تأسيس شركسة شنيسدر وشركاه - تومسن يشبع: دليل متحف كوبنهاغن - غاج يصدر: الغازية الوطنيسة الالليرية - تأسيس جريدتي: الصحافة والمصر - دكنسز يضع روايته: اوراق بكوبك - بلاتشكي يضع: تاريخ بوهيميسا - توتشيف يشعر: تصائد مرسلة من المانيسا .

المجاعة تفتك في المند - رحلة دومون دورفيل الى انتاركتيك - تدشين خط شمالي فري الهند - رحلة دومون دورفيل الى انتاركتيك - تدشين خط سان جرمين آن لاي - تأسيس جمعية الجبل القديم - جاكوبي يحقق عملية الفلفنة - مورس ، ستاينهل و ويتسبتون براءة اختراع التلفراف البرقي - شاسل يضع كتابه : لمحة تاريخية في اصول طرائق الهندسة وتطورها - ميشليه يضع كتابه : تاريخ الثورة - ولامنيه كتابه : سفر الشعب - كاريل : الثورة الفرنسية - وتشافاريك : تاريخ الصقالبة المقديم .

المجم المطرايات الموثقين - كوبدن يؤسس رابطة القانون المضاد لزراعة اللوة - بريطانيا المظمى تستولي على مدن - المجاعة في بمباي - رحلات السيريوس والفرايت وسترن - اختراع هـول السطحي واختـسراع

ناسمت وفرنسوا بوردون للمطرقة _ بسسل يقيس لاول مرة بعد النجمة عن الارض _ شيلان يطلع بنطرية الخالايا النباتية _ اولى ابحسات بوشيه دي برث حول عصور ما قبل التاريخ _ دافد دانجيه يضمع كتابه: هوغو _ وس . روخ : نصب دورر في نورمبرغ .

1۸۳۹ - خطة دورهام في كندا - عهد الاصلاح في اليابان - انشاء البريد البري نحو الهند - غوديير يحقق كلفنة المطاط - اراغو يعرف باول صحود فوطوغرافية على طريقة داغير - مؤتمر بيزا العلمي - لويس بلان ينشسر كتابه حول تنظيم العمل - وانجلس: رسائل من وادي وبير - ورانك: المانيا في عصر الاصلاح الديني - وستاندال: لاشارتروز دي بارما - ولنفاالو: هيبريون وليرمونتوف: الشيطان.

المحكم اللاتي لكنسدا _ تاسيس حزب يطالب بالغاء الرق في الولايسات المتحدة الاميركية _ حرب الافيون _ البريطانيون يستولون على ريلانسدا المجديدة _ ازدهار النخاسة في زنجبار _ طلائع رواج المغوانو _ ظهور فولاذ « بول » _ تأسيس خط كونارد _ اول بندقية اميركية متعسدة الطلقات _ استعمال الطابع البريدي في انكلترا _ لفنغستن يشرع برحلاته الاستكشافية _ كابيه يضع قصة : رحلة الى ايكاديا _ وبرودون كتابه : الاستكشافية _ وليبيغ : الكيمباء المطبقة على الزراعة _ وسانت بوف : بورت رويال _ وموسيه : الليالي _ وغريلبدزر : دير تروم ، ابن لوبن _ واندرسن : كتاب رسوم بدون رسوم _ وفت : البنثيون الشمسري _ وشومان : ليسدر ،

1۸٤٢ - معاهدة ناتكين - البريطانيون يحتلون هوالغ كونغ - دستور ولاية نوفيل نقابة المعدنين في انكلترا - تأسيس ال Punch - تأسيس توماس كول لاول وكالة للسغر - قانون جول - ليست يضع كتابه: النظام الوطني للاقتصاد السياسي - وفيفرباخ: كنه المسيحية - وامرسن : محاولات - وغوغول: النفوس المائتة .

۱۸٤٢ ـ معاهدة نانكين ـ البريطانيون يحتلون هونغ كونغ ـ دستور ولاية نوفيل غال الجنوب (استراليا) ـ صدور جريدة لندن المصورة الاخبارية ـ لوز يحصل على شهادة اختراع صنع السوبر فوسفاط ـ رينوفييه يضسع كتابه: دليل الفلسفة العصرية - وسو: اسرار باريس.

البويرز الجديد ـ ظهور الدعوة السنوسية ـ بدء دعوة الباب ـ لاكوردير البويرز الجديد ـ ظهور الدعوة السنوسية ـ بدء دعوة الباب ـ لاكوردير بعيد النشاط الى الرهبنة الدومنيكية ـ غربور يضع اول آلة كاتبة ـ بدء استخدام صمغ المطاط في الصناعة ـ بوتا يقوم بحفرياته في خرسباد ـ مذكرة ش. هرميت حول الدالة الإهليليجية ـ مول يكتشف بروتوبلازما الدم ـ كيركيفارد يضع كتابه: واما . و و . س. مل يضع كتابه: المنطق ـ وماكولي: محاولات في النقد والتاريخ ـ وجيوبرتي: أولية الإيطاليين المدنبة والادبية ـ ورسكن يضع: المجلد الاول من رسامي العصر ـ وهوغو: البرغراف ـ وبو ينشسر: الجعل الذهبي ـ وواغنر: السفينة الشبع ـ المهندس لابروست يباشر بناء مكتبة سانت جنفياف في باريـ س .

- الما من النسيج في سيليزيا ماونية « الرواد المدول » في روشدايل مريني يؤسس اوروبا الفتاة م كلر يختسرع السورق المأخوذ من دب الخشب كما يخترع غالواي اللينولايوم ما مورس يصل واشنطون ببلطيمور هاتفيا بعد ان اخترع لويس بريفيه جهازا له وجه ساعة ما ظهور بندقية درايز التي تشمن من المؤخرة مالاسن يباشر باصدار: تاريخ الهند متوسئل يضع كتابه: اليهود ملوك المصر موكارليل: الماضي والحاضر سيتوفي ينشر ديوانه: قصائد وطوبغر يصدر كتابه: اسغار معوجة مود الوجيه: الشوكران واسكندر دوماس: الغرسان الثلاثة .
- مشطا ميكانيكيا انكلترا تولي اليهود حق الانتخاب هلمان يخترع مشطا ميكانيكيا ارساء كابل تحت نهـ الهدسون رحلة السفينة Chipper Rainbow هو يسدخل تحسيسنات هامة على آلة الخياطة وليم بارسونز دي روس يكتشف لاول مرة مجرة حلزونية الشكل ا. دي همبولدت يصدر كتابه: الكسموس (الكون) و م. سترنز: الوحيد وخاصيته و ف. انجلز: اوضاع الطبقة العاملة في الكترا دزرائيلي . سبيل و واغنز: لوهنغرين .
- المجاعة والازمة تلم باوروبا الفاء البرسوم المفروضة على القميح في الكترا ظهورات العدراء في ساليت الصين تتساهل مع الكاثوليك اعمال اركسون في قناة ترولهارتن هو يدخل الاسطوانة المتحركة على الطباعة في فيلادلفيا رايت يخترع القوس الكهربائي رايس ينشسىء مصنعه للاجزة البصرية في ايينا لوفسرنييه يكتشف الكوكب عطارد بطريقة حسابية قانون ويبر الخاص بعلم النفس برودون يضع كتابة نظام المتضادات الاقتصادية ماركس ينشسر كتابه : بؤس الفلسفة هرزن: على من اللنب ؟ وهاليس : الفلسفة الاساسية وميشليه : حول الشعب ومريعيه : كارمن وجورج صائد : مستنقع الشيطان تاسيس المدرسة المرتسية في الينا وبرليوز : هلاك فوسبت .
- المجاعة والازمة والطاعون في أوروبا ظهور آفة ارمداد الكرمة اكتشاف اللهب في كاليفورنيا الروس يدخلون فرغانة المؤتمر السدولي العمالي في لندن مذكرة يضعها سمبسن حول خصائص الكلوروفورم المخدرة كروب يتوصل الى صنع مدفع من الفولاذ هلمبولتز يصدر كتابه : حول الابقاء على الطاقة بوشيه دي برث : الاثار الكلتية والسابقة للطوفان ابمرسن : قصائد ا . برونتيه : مرتفعات هورليفان وغوتزكوف: اوربال اكوستا واراني : تولدي ورود : يقطة نابوليون متحف التصوير
- الثورات تنشب في اوروبا ماركس وانجلس يصدران: بيان الحرب الشيوعي الانتخاب العام في فرنسا الفاء الرق في جميع المستعمرات الفرنسية الفاء رق الارض في اوروبا الوسطى انتهاء الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك بشأن التكساس البريطانيون يستولون على البنجاب جمعية لروح القدس ورهبانية قلب مريم الاقدس مارينوني يصنع مكبس مجاوبة ذات اربع اسطوانات صنع الزجاج والاسلحة في يصنع مكبس مجاوبة ذات اربع اسطوانات صنع الزجاج والاسلحة في اليان ويرستراس يضع كتابه: مساهمة في نظرية التكامل الابليانية -

كلود برناد يكتشف عمل الكبد في توليد الفليكوز .. ج. س. مل يضع كتابه: مبادىء الاقتصاد السياسي .. وشاتوبريسان : مذكوات من وراء القبر .. وثاكراي : معرض الإباطيل .. د. س. روستي يؤسس : المرابطة السابقة لرفائيل .. ودانيت : العرض الليلي .. وبادي : القنطور واللابيت .

١٨٤٩ - ردة نَعَل عامة في اوروبا - الفاء قانون الملاحة في الكلتسوا - اكتشساف الذهب في استراليا - المجاعة في الصين - تأسيس اتحاد الكنائس الانجيلية الحرة في فرنسا - اختبار فيزو حول سرعة النور - دكتن يضع روايته : دافيد كوبرفيلا - ورسكن : مصابيع الهندسة السبعة - وكوديية روايته محطو الحجارة .

١٨٥٠ - أَنْفَاقُ كَالْمِغُورْنِيا ـ البرازيل يُوافق على حق الزيارة ـ نهاية طريقة فسان دن بوش - اعادة السلطة الدينية الكاثوليكية الى انكلتوا - التصديق على فانون فلو - رحلة بارث الى السودان ، ولفنفستن الى أفريقيا الجنوبية ورحلة ماك كلور الى الم<mark>مر الشم</mark>الي الفربي - ارساء أول كابل بحري في مضيق كاليه - انتهاء الاشفال لاقامة الجسر الحديدي فوق مضيق مينيه ونقا لتصميم روبرت سنبغنسن ـ مطرقة المعدن لاستخراج الفحسم أي المناجم – عرض اول قاطرة بخارية – البيانو الميكانيكي – كبرتة الكرمة في مكافحة مرض التعنن ــ فوكو يخترع المرآة الدوارة والقوس الكهربائي - بستيا يضع كتابه: التناسق الاقتصادي - أ. باريت بروننغ يفسع أناشيد ــ وهوثورن الرسالة الارجوانية ــ وكوربيه: الدفن في أورنانس ــ - وروستي: البشارة - وميربون: الجسر المسغير - وليسمت: مازيها. ١٨٥١ - ظهور الكوليرا من جديد في أوروبا - الجوع في روسيا - بدء ثورة التابنغ في الصين ـ معرض لندن في صالة كريستال بالسي ـ قانون مباني السكن في انكلترا ـــ آل بورن يجهزون السفينة حمالايا بالدفاش ـــ أول فرن على الغاز في المطابغ ــ بدء الطابعة المتحركة في الطباعة ــ انشماء وكالة روبشر للاخبار ــ اختبار هزاز فوكو ــ اعادة رهبئة الاوراتوار ــ حركة وجعبة مضادة للمسيحية في فيتنام - كونت يصدر كتابه: نظام الفلسفة الوضعية - ملفيل يضع روايته جولي دك - وواغنر: أوبرا ودراما: ورسكن: الحركة

السابقة لرفائيل وحجارة البندقية ... فردي يضع روايته : ريغولتو .

1۸۵۲ - اعتراف الانكليز باستقلال الترانسفال وضمهم البيغو ... انزال اول سفينة ناقلة للفحم الى البحر في انكلترا ... اول ترامواي في نيويودك ... تلاسين محلات بون مارشيه في باريسس .. تأسيسس مصرف التسليف العقادي والتسليف على المنقول ... فرانكلاند يضع نظرية التكافؤ ... ه. سبنسر يضع كتابه : مبادىء علم النفس ... السيدة بيتشر ستو : مغزل العم توم ... ليكونت دي ليل : قصائد قديمة ... تيوفيل غوتييه يضع كتابسه : مصنوعات ليكونت دي ليل : قصائد قديمة ... تيوفيل غوتييه يضع كتابسه : مصنوعات المبنا والكاميه ... تورغنيف : حكاية صياد ... اسكندر دوماس الابن : فعادة الكاميليا ... ت . روسو : الحروج من غابة فونتنبلو ... بلطار : بناء الهال الوسطى في باريس .

١٨٥٢ - تدخل الاميركيين والروس في اليابان - المفرنسيون يحتلون كالبدونيسا الجديدة - تخطيط السبكة الخطوط الحديدية في الهند - المجساعة في دكن الهند وشمالي غربي الهند - هوسمان محافظ مقاطعة السين - ارسساء

الكابل البحري في بحر الشمال وقناة الشمال ... برونيل يعمل على بناء الخط الحديدي الشرقي ... استعمال الفولاذ المذاب ... صنع الساعات بالبجملة .. ب، غراتري يضع: فلسفة معرفة الله ... غوبينو ينشر كتابه: حول عدم المسعاواة بين الاجناس البشرية ... مومسن يضع كتابه : تاريخ الرومان ... جوكاي يصدر روايته: نابات مجري ... تامايو يي بوس: فرجيني ... الكسندري : دويناس ومضعت ... وليست : اغان مجرية .

1۸۵۱ - حرب القرم - فيدهرب حاكم عام على السودان - عقيدة الحبل بلا دنس - تاسيس الارساليات الافريقية في ليسون - نفسق سمرينسغ - اول سفينة معدنية تبنيها شركة كونارد - اول معمل لنسيج القطن يقسام في مدينة بعباي - اوتيس يخترع مصعدا يتحرك بالماء - ريمان يصدر كتابه الفرضيات الاساسية في الهندسة - م، برنك و يضع مبادىء الكيمسيح الحرارية - سانت كلير ديفيل يعزل الالومنيسوم بواسطة الصوديوم - لينسن يضع روايته : هجوم الكتيبة الخفيفة - جيرار دي نرفال : بنسات النار - و ا، اجويه : صهر السيد بواديه - فيوليه لو دوك يضسع : المجم الفلسفي للهندسة الفرنسية .

1000 - ثورة المسلمين في الصين - هزة ارضية عنينة في اليابان - المجاعة في روسيا - معرض في قصر الصناعة في باريس - ظهور السغينة الحربية المدرعة - برتلو يتوصل الى اختراع الكحول الصناعي - له بلاى يصدر كتابه: عمال اوروبا - وبوخنر: قوة ومادة - تيوفيل غوتييه: رواية المومياء - وفريتاخ: له وعليه - ه. تورو: وولدن - و، هويتمان وشايير - بيلوتي: جسد ولنشتاين - رحلة راشيل في اميركا .

الى بحيرات افريقيا الوسطى _ بسمر يعرف المحولة التي اخترعها _ الى بحيرات افريقيا الوسطى _ بسمر يعرف المحولة التي اخترعها _ لويس شاتليه يبني الفرن ذات المصباح - ه. و. بركنز يتوصل لصنع ملون الاتيلين _ اكتشاف الامونياك _ اكتشاف انسان نيندر ثمال _ ج. كلر يضع روايته : روميو وجولييت في القرية _ سلتيكوف تشلشدرين يضع : رسم تقرببي للولاية .

1۸۰۷ - أزمة اقتصادية - ثورة السيباي في الهند - اجراءات لتحسين وضع الفلاح المصري - مباشرة الاشغال في نفق سنيس - أول معمل لنسيسج الجوت في البنغال - باستور يضع مذكرة حول الاختمار اللبني - ابحاث كيرتشوف وبنزات حول التحليل الطيفي للنور - هرزت يؤسس الكولوكول - فلوبير يضع روايته: مدام بوفاري - وبودلير ديوانه: أزاهير البشر - وابسن: أولاف للجكرانز - ورايدبرغ: سنغوالا - وكورو: أغنية ريفية - وميليه: اللاقطات.

1۸۰۸ - الفاء شركة الهند الانكليزية - الحملة الفرنسية الانكليزية الى الشسرق الاقصى : معاهدة تينسن - الروس ينزلون على ضغة نهر العامور اليمني - قانون المصارف المساهمة في انكلترا - محاولة ارساء كابل بحري في قلب المحيط الاطلسي - ظهورات العدراء في لورد - تاسيس اكاديمية تومية - كيكوله يكتشف الكربون الرباعي التكافؤ - فيرشوف يضع كتابه : دروس حول البانولوجيا الخلوبة - وواغنر بضع : سيغفريد .

الموس يضعبون حدا لقاومة الزعيم القفقاسي شامل بدء الاعمال في شق قناة السويس لقاومة الزعيم القفقاسي شامل بدء الاعمال في شق قناة السويس كوزا كسبودار الامارات الرومانية ب فتح اول بشر بترولية في بنسلانانيا دوريان يبني اول سفينة حربية مدرعة بلانتيه يخترع المخثر الكهربائي باكتشاف مفارة اورنباك التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ بدادوث يضع كتابه: اصول الانسواع بوماركس: نقيد الاقتصاد السياسي ومسترال: ميراي وينسون دي تراي: انجازات روكمبول بواغنر: ترستان وايزولت وغونو: فوست .

الحملة الفرنسية على سوريا ولبنان _ الحملة الفرنسية الانكليزية على بكين - معاهدة بكين _ المعاهدة التجارية بين فرنسا وانكلتوا _ اتحاد النقابات العمالية في انكلتوا _ تأسيس الالبانس الاسرائيلي العام _ بنساء المتروبولتن في لندن _ سبيك وغرانت عند منابع نهر النيل _ اختسراع الماكينة المركبة ، ومحرك لونوار المفرقع ، وجهاز هوغ الناقل للبرقيات لستخدام الثاقبة الماسية _ قانون فخنر في علم النفس _ مؤتمر الكيميائيين في كارازرو للوصول الى نظرية مشتركة حول التركيب اللري _ م. برتلو يضع كتابه: الكيمياء العضوية المبنية على التاليف _ تدشين مسرح الغولي برجير في باريس _ لابيش يصدر قصته: رحلة السيد بريشون _ جورج اليوت: الطاحون على الغلوس _ اوستروفسكي: العاصفة _ وداوس دكر (مولتاتولي) ماكس هافلار .

المثاداة بمملكة ابطاليا ـ صنع اول ظهر على طول السفينة ـ ميشو يتوصل المثاداة بمملكة ابطاليا ـ صنع اول ظهر على طول السفينة ـ ميشو يتوصل الى صنع دراجة بدواسة ـ فيلبس يدخل تحسينات على زئبرك الساعات ـ بروكا يضع نظريته الخاصة بالتمركزات الدماغية ـ كورنو يضع كتابه: بحث حول ترابط الافكار الاساسية ـ و ج. اليوت يضع روايته: سيلاس مارنر ـ وبكل: تاريخ الحضارة في انكلتسرا ـ وهيبل: نيبلنجن ـ ودستويفسكي: تلكارات بيت الموتي ـ ومداخ: ماساة الانسان ـ غارنييه بباشر بناء الاوبرا في باريس - تمثيل تونهوسر في باريس بثير الهيجان .

المردة في كشفاريا – انشاء ترسانات بحرية في نانكين – قانون همستد المورة في كشفاريا – انشاء ترسانات بحرية في نانكين – قانون همستد في الولايات المتحدة الاميركية – ازمة حادة في بروسيا : تعيين بسمادك – انشاء السوكول في بوهيميا – تأسيس الجمعية العامة للعمال الالمان على يد لاسال – معرض لندن – فولو يقدر سرعة النور – بو دي روشياس يعرض نظرية الدورة ذات الازمنة الاربعة – هوغو ينشر روايته: البؤساء بوميالوفسكي ينشر روايته : مولوتوف – وكاربو : اوغولين وبنوه – بوميالوفسكي ينشر روايته ، مولوتوف – وكاربو : اوغولين وبنوه – فيوله – لو – دوك ينتهي من ترميم قصر بيرفون ،

الثورة البولونية _ روبرت هار بعين مفتشا عاما للجمارك في الصحين _ معاهدة هويه واعلان الحماية الفرنسية على كمبودجيا _ الفاء السرق في مقاطمة غوبانا الهولندية _ اكتشاف مناجم الماس في جنوبي افريقيا _ القانون الفرنسي الخاص بالجمعيات ذات المسؤولية المحدودة _ مؤتمر العلماء الكالوليك في مونيخ بناء لاقتراح دولنجر _ دبنان يضع : حياة

يسوع ... برتاو يحقق اختراع الاستيلان الصناعي ... بوناس يخترع الآلة المخائطة المطرزة ... لونوار يخترع جهازا يعمل على البتسرول .. طريقة سلفاي لاصطناع السودا ... بناءاول منارة كهربائية في راس هيف ... هلمهوالا يضع : بحث فسيولوجي حول الموسيقى ... لتريبه يباشر وضع معجمه : قاموس اللفة الفرنسية ... جول فرن يضع روايته : خمسة أسابيسم في منطاد .. مانيه يضم روايته : الفطور على العشب .

۱۸٦٤ - حرب في سبيل الدوقيات الدانماركية - تصفية فتح القفقاس - تأسيس الجمعية الدولية للعمال - اعتراف فرنسا للعمال بحق الاضراب - اتفاقية جنيف: تأسيس الصليب الاحمر الدولي - البراءة البابوية Cura والسيلابوس أو فهرس الكتب المحرمة - اخترع فرن مارتن - الفرد نوبل يخترع النتروفليسيرين - كلوسيوس يضع: نظرية الحسرارة الميكانيكية - هكسلي يصدر كتابه: مركز الانسان في الطبيعة - بيسير لاروس يباشر نشر معجم القرن التاسع عشر الكبير - وفوستل دي كولانج: الدينة القديمة - وتنيسن: انوخ اردن - وتولستوي: الحرب والسلم - دوستوينسكي: رجل المفاور - أوفنباخ: هلن الجميلة - ا، تومساس: العزيرة.

الماء الرق في الولايات المتحدة الاميركية بدء حرب براغواي ب الاتحاد التلفرافي الدولي ب الاتحاد اللاتيني (النقدي) ب الاعتراف القانوني في فرنسا بقيمة الشبك أو التحويل ب اصدار أوراق نقدية صغيرة في فرنسا من القطع الصغير بقيمة ٥٠ فرنكا الورقة الواحدة ببارنوم: الدجالون في العالم ب قانون مندل ب حراقة بنسن ب كلوسيوس يعطي الصيغة الانتروبية للديناميكية الحرارية ب لستر ياخذ باستعمال التطهير ب مونييه يتوصل لصنع الاسمنت المسلح ب كيكوليه يحدد صيغة البنزين ب كلود برنار يضع لتابه: المدخل لدراسة الطب التجريبي ب فرتز مول Fur Darwin تابن يضع كتابه: فلسفة الفن ب الاخوة غونكور: جرميني لاسرتو سوينبرن: اطالنتا في كاليدون ب انترودي كوانتال: اناشيد عصرية مانيه: أولميسا .

1۸٦٦ - الحرب النمساوية الالمانية : معركة سادوفا - تبني البندقية ذات الابرة وبندقية شاسبو - الازمة الاسبانية الشيلية - الروس في طشقند - الارهاب في روسيا - المجاعة في الدكن الهند - الباخرة مدينة بارسن ذات الدفاش تجتاز المحيط الاطلسي بتسعة ايام - ارساء اول كابل بحري في المحيط الاطلسي - نوبل يكتشف الديناميت - هيكل يضع كتابه : في المحيط الاطلسي - نوبل يكتشف الديناميت - هيكل يضع كتابه : مورفولوجيا عامة - فرلين يضع : اناشيد زحلية - زولا يصدر روايته تريز راكين - دوستويفسكي : الجريمة والقصاص - اوفنباخ : الحياة في باريس - سميتافا : الخطيبة المباعة - فوكوزاوفا : اشياء الفرب .

1۸٦٧ - الاتفاق النمساوي المجري - اعلان كندا دومنيون - شراء الولايات المتحدة لالاسكا - معرض باريس - تدشين نفق البرينـ ر حق الاضراب وحق الاتحاد النقابي في بلجيكا - تدخل بريطاني في الحبشة - رحلة دودار دي لاغريه وفرنسيس غرنييه في الصين الجنوبية - سقوط نظام الشوغونا في اليابان والمباشرة بصناعة النسيج الميكانيكي فيها - المجاعة في روسيا -

مؤتمر النقد الدولي ما القانون الفرنسي الخاص بالجمعيات الساهمة الماركس يضع كتابه: راس المال ما (المجلسة الاول) ما اختراع مكبس وستنفهوس ما اختراع مكبس مارينوني الدوار ما شواز ودنسمور يخترعان الالة الكاتبة ما ونو لانجن يخترع جهاز الفاز ما باستور يدرس ظاهرات اجتماد النبية ما ابسن يضع روايته: بيرجنت ما ومنزل: الاحد في قصر التويلري ما وداغنر: رؤساء المغنين في نورمبرغ.

1874 - بدء العصر الجديد (عصر الانوار) في اليابان ـ الثورة في كزبا ـ المجاعة في الهند ـ الكوليرا في الجزيرة العربيسة - ظهور فيلوكسيرا الكرمة في فرنسا ـ تأسيس جمعية الاباء البيض أو مرسلي افريقيا على يد الكردينال لافيجري ـ اول مؤتمر لنقابات العمال في انكلترا ـ مؤتمن السلام والحرية انشاء الكلية الفونسية في غلاتا ـ وحلة رختهوفن الى الصين ـ جنسس ولوكيير يكتشفان غاز الهليوم ـ دوبلكسي يخترع الدبلكس في التلفسزاف البرقي - اختراع الكرو ـ مانيون . ١. دوديه ينشر كتابه : الشيء التافه ـ ومونسورغسكي : بوريس فودونوف .

1۸٦٩ - افتتاح قناة السويس - الانتهاء من بناء اول خط حديدي عبر الولايات المتحدة الاميركية تنشىء نظم فارس (شفاليه) ، عمل - مجمع احرار اليهود في ارلندا - تأسيس الحزب الديمقراطي الاجتماعي في المانيا - الولايات المتحدة الاميركية تنشىء نظام فارس (شفاليه)، عمل - مجمعاحرار اليهود في لايبزيغ - ميج - موريس يتوصل الى صنع السمن النباتي - الاخوة هيات يخترعان السلولويد - برجيس يتوصل الى استخدام اول شلال في جبال الالب - فرام يخترع الدينامو لتوليد التسيار المتصل - مكسوبل يشرح نظريته حول كهرطيسية النور - مندلييف يضع لائحة العاصر البسيطة - كوربيه يعرض رسومه في براين وليبل يحدو حدوه في باربس السيطة - كوربيه يعرض رسومه في براين وليبل يحدو حدوه في باربس

المحرب النرنسية الالمانية - اعلان عصمة البابا - ظهور الجمهورية الفرنسية الثالثة - اعلان روما عاصمة لايطاليا - فرنسا تعترف ليسهود مدينة الجزائر بالجنسية الفرنسية - قتل الاجانب في لينسن - القانون الزرامي الخاص بالمرامين في ادلندا - سيمانس يخترع فرنا كهربائيا - دوكفلر يؤسس شركة ستاندار أويل - حفريات شليمان في طروادة - نيومن يضع كتابه : اجرومية الموافقة - ن، ريبو يضع كتابه : السيكولوجيا الانكليزية الماصرة - وتين يضع كتابه : حول الفهم والادراك - وفرنشسكو دي سنكتس : تاريخ الاداب الإيطالية - وفنتين - لاتور : مرسم مانيه في باننيول ،

ا ۱۸۷۱ - تأسيس الامبراطورية الالمانية - ندورة الكومون في باريسس - معاهدة فرنكفورت - قانون الضمانات في الطالبا - الدستور القانوني لاتحاد العمال في بريطانيا العظمى - قانون « الجوف الخداوي » في البرازيل - اجراءات في صالح الفلاح المصري - ثورة بلاد القبيلي في الجزائر - الفاء نظام الاقطاع في البابان - المجاعة في ايران - سويس يشرع بنشر كتابه : وجه الارض - رينان يصدر كتابه : الاصلاح الفكري والادبي - وفرانك : الفداء .

المعرابات وقلاقل في الفيلبين - اليابان يعترف بالعربة الدينية - اولخط اضطرابات وقلاقل في الفيلبين - اليابان يعترف بالحرية الدينية - اولخط حديدي في اليابان - السفينة « تشالنجر » تقوم بتطوافها حول الارض ماريتوني يعطي الصورة الاخيرة للروتاتيف ولضابطة الهامش الميكانيكية - باكلاند يتوصل لاول مرة لصنع اللدائن المعروفة باسم بكليت - جول فرن يضع روايته: دورة حول العالم بشمانيين يوما - اختراع غريمالدي - كورنو يضع كتابه: خواطر حول سير الافكار والاحداث في العصر الحديث - وبرانديس ينشر كتابه: تيارات الادب الكبرى في القرن التاسع عشر - وسولتيكوف: الاخوة غولوفييف.

الازمة الاقتصادية _ اعلان الججمهورية لاول مرة في اسبانيا _ « الصليبية باتجاه الشعب » في روسيا _ سكوباليف في خيفا _ فرنسيس غارنييه في مانوي _ الاصلاح العسكري في اليابان _ المجاعة في الدكن _ احادية المعدن في النقد في كل من المانيا والولايات المتحدة الاميركية _ فان در والزيوضح نظرية تمدد الفاز _ وندت يصدر كتابه : مبادىء علم النفس المرضي _ ونولستوي : أنا كارنين .

1۸۷۱ - السباعية العسكرية في المانيا - البريطانيون في جزد فيجي - تأسيسس الاتحاد العام للبريد - ظهور النادي الالبي الفرنسي - اختراع المضاعفة في التلفون الكهربائي - بوترو: حول امكان حدوث نواميس الطبيعة - مونيه: انطباع ، الشمس المشرقة - استعمال كلمة « انطباعية » لاول مرة - مادك تواين يصدر: العصر اللهبي - ومانيه: كاس الجعة الطيب - ورينوار: المحفل - وبوقي دي شافان يرسم افاريز البانثيون - وغريك يصدر: برحنت ،

1۸۷٥ - برازا في الفابون - انكلترا تبتاع من خديوي مصر ما له من أسهم في قناة السويس - انكلترا تصدر القانون الخاص بالعمال وأرباب العمل - اتحاد الاحزاب العمالية في مؤتمر غوتا في المانيا - تأسيس الكلية الانكليزية الاسلامية في الهند - م، برتلو يحقق التأليف الكيميائي - لمبروزو يصدر كتابه: الرجل المجرم - وتين يصدر كتابه: أصول فرنسا العصرية: النظام القديم - اليزيه ركلو يضع كتابه: الجغرافيا العامة الجديدة (المجلد الاول) - مارك تون: توم سوير - بيزيه يضع: كارمن .

المبعد ا

الملقان والقفقاس - الكلترا تضم أول جزء من الترانسفال - تورة صايغو في اليابان - سقوط ياقوب في آسيا الوسطى - المجاعة في الهسند ، والصين الشمالية والبرازيل - اضراب عمال مناجم الفحم في الولايات المتحدة - توماس وجيلكريست يخترعان المحول الكهربائي ، شايل غرو واديسن الحاكى ، وداينو البراكسينوسكوب - بورسل وفلراند يدخلان

تحسينات هامة على فرن مارتن - فرنسا تتبنى مدفع بانج - ليبرمان يصدر كتابه: البافيم .

الملالا مؤتمر برلين يضع حدا للحرب في الشرق _ البابا ليون الثالث عشر يشجب تعاليم العصر الكفرية ببراءته Quod Apostaloci _ تأسيس جيش الخلاص _ نوردنسكولد يجتاز المر الشمالي الشرقي _ تأسيس أول مكتب للهاتف في مدينة نيو هافن _ راير يتوصل الى تركيب النيسلة صناعيا _ لافال يخترع النابلة في فصل القشطة عن الحليب _ انجالس ينشر كتابه Anti Duhring _ وكاردوتشي : اناشيد بربرية _ وكيلر : اخبار من دوريخ _ برنر جونر يعرض في باريس أثره الرائع : فيفيان ومرلين الساحر _ بناء التروغاديرو .

المجوع الى سياسة الحمابة الجمركية في المانيا - خلع الخدبوي اسماعيل في مصر - خلق جمهودية الترانسغال - حرب افغانستان - حرب الحيط الهادي - براءة البابا ليون الثالث عشر للدفاع عن تعاليم القديس توما الاكويني - مؤتمر الجغرافيا التجارية في بروكسل - المجاعة في الصين - تأسيس تلفراف كولاج في تينسن - سوان واديسن يخترعان المصباح المنير بالفراغ - باستور يكتشف مبدأ التلقيع - اختراع انابيب كروكس - ارنست سيمنس ينشىء أول قطار كهربائي - زحيل السفينة جانيت باتجاه القطب - هنري جورج يصدر كتابه : رقي وفقس - ومسبرو: باتجاه القطب - هنري جورج يصدر كتابه : رقي وفقس - ومسبرو: يصدر: تاريخ المانيا في القرن التاسع عشر - وابسسن : بيت الشعب - يصدر : تاريخ المانيا في القرن التاسع عشر - وابسسن : بيت الشعب - وسترندبرغ : الفرفة الحمراء - وكابوانا : تشياسنتا .

1۸۸۰ - اجراءات ضد الرهبانيات وقوانين التعليم في فرنسا - مؤتمر مدريد حول المفرب - الحرب الاولى بين الانكليز والبوير - نفق سان فوتار - بناء الخط الحديدي عبر القفقاس - تاسيس شركة قناة بناما - تنظيم تروست نوبل - تحسين مدوس الدراجة - عربة طابعة تسبر على خط حدبدى في الولايات المتحدة - ابيرت بكتشف باسيلوس التيفوئيد - تين : فلسفة الفن - ج. تمسن بضع : مدينة الليل والهوى - رودان بضع : المفكر .

المما حقتل القيصر اسكندر الثاني مدابح اليهود في أوكرانيا بدء الحماية الفرنسية في تونس انشاء الكلية التشيكية في جامعة براغ مؤتمسر الغوضويين في لندن براء البابا ليون الثالث عشر حول تشأة السلطة المدنية - قتل بعثة فلاتوز في الصحراء الكبرى بناء الخط الحديدي عبر جبال الاندلس وفرع الخط الحديدي بين بكين وتبنسن انسارة القطار بالكهرباء على خط لندن برايتن تأسيس شركة ادبسن الكهربائية باستور يجري اختباراته حول اللقاح ضد الجمرة - اختبار ميكلسن حول مرعة النور - هنري بوانكارية : حول نظرية الدالات الوكشسية - ت، ديبو : امراض اللااكرة - فوغزارو يضع روايته : مالميرا - وفرغا : مالافغليا - وماشادو دي اسيس : براذ كوباس - واوسبانسكي : قدرة الارض - ورينوار يضع روايته : فطور البحارة .

١٨٨٣ ـ عقد الحلف الثلاثي ـ تدخل انكلترا في مصر ـ الايطاليون في الاربثرية ـ تأسيس مدينة ليوبولدفيل ـ طرد اليهود من روسيا ـ منع هجرة العرق

الاصفر الى كاليفورنيا _ قبول الملونين في الجسم الطبى في الولايات المتحدة الاميركية _ اضطرابات اجتماعية في ايطاليا _ تأسيس الاتحاد الكاثوليكي للدراسات الاجتماعية _ توزيع النبور الكهربائي في نيويبورك للعموم _ تأسيس حكر ستاندرد اويل _ كوخ يكتشف باسلس التدرن الرثوي _ تسلا يخترع المنوبة الكهربائية _ ديبريس يحقق لاول مرة نقل الطاقة الكهربائية في معرض مونيخ _ بيك يضع روايته أ الفريسان _ فلورس : المهندس سديل يبني مخازن البرنتان في باريس _ واغنر يضم : برسيفال _ الرباع الاول لفورية .

10. اول قانون للضمان الاجتماعي يصدر في المانيا .. حرب التونكين .. تدخل فرنسا في مدغشكر .. الحركة المهدية في السودان .. تأسيسس الجمعية الفابية في اتكترا .. فلهور الحزب الماركسي في دوسيا .. الاخوة تساندييه يصنعون منطادا مسيرا ؛ وديون وبوتون عربة بخارية تسير على الطرق .. اديسن بكتشف « ظاهرة اديسن » التي تغضي الى المصباح الالكتروني .. والبارون جنى ببني أولى ناطحات السيحاب في شيكاغو .. كليبس يكتشف باسلس الدفتريا .. نيجلى يضع كتابه : الميكانيكا الفسيولوجيا للتطور .. ونيتشه يصدر كتابه : هكذا تكلم زرادشت .. وسورات يضمع " الحمام .

الثورة في كمبودجيا ومعاهدة حماية جديدة ـ حرب الصين ـ مؤتمر برلين الثورة في كمبودجيا ومعاهدة حماية جديدة ـ حرب الصين ـ مؤتمر برلين الاستعمارى ـ غردون في السودان - تأسيس الجنوب الغربي الافريقي الالماني ـ اكتشاف الدهب في الترانسفال ـ المجاعة في روسيا ـ الاستيلاء على مرو ـ تطور الحركة النقابية في بريطانيا العظمى ـ انشاء احتكساد دولى للخطوط الحديدية ـ بارسنز يبني طربين بخارية ومرجنثالير بخترع اللينوتيب - فيمل يدخل تحسينات على « البارود بدون دخان » وتوربين على الناسفة - الاخوة رينار يبنون منطادا ـ سيسينويوس يضع كتابه تاريخ الحضارة ـ هويسمانز : بالقلوب ـ وفرغا ـ الخيالة الريفية ـ افتتاح صالون : « المستقلين » ـ ماسينية : مانون .

المحاية على مدفشكر _ معاهدة تينسن الثانية وتوكيد الحماية الفرنسية على مدفشكر _ معاهدة تينسن الثانية وتوكيد الحماية الفرنسية على التوتكين _ اتكلترا تضم بورما الى ممتلكاتها في آسيا _ عقد أول مؤتمر هندى – تأسيس أول حزب للعمال في بلجكا _ تشر الجزء الثاني من كتاب رأس المال _ اختراع الحاصدة _ الرابطة ، والرشاش مكسيم _ باستور يشمفى ولدا عضه كلب مسعور _ دمل وبنز يصنعان عربة تسسير على البنزين _ أول رحلة علمية يقوم بها الامير البر ، أمير موتاكو _ زولا يضع روابته : جرمينال _ وبجرنسسن : السي ما وراء القدوى _ بنساء متحك امستردام الوطني غوبترز _ فإن غوه يضع : اكلة البطاطا .

1۸۸۱ - اضرابات في بلجيكا ، وبريطانيا العظمى والمانيا والولايات المتحدة - مظاهرات أول أيار في الولايات المتحدة - تشكيل حلف العمسل الاميركي - تاليف شركات مشارطة في كل من الكونفو ونيجيريا - بناء خط حديدي عبر كندا - العثور على الذهب في استراليا الغربية - انشاء فبركة حديثة للحرير في كنتون - اختراع المنفخ الكهربالي لصناعة الزجاج - هول وهيروكت

يتوصلان لصنع الالومينيوم بالتحليل الكهربائي كما توصل هراز الى التشاف الموجات الكهرطيسية ساستمان يخترع جهازا سينماتوغرافيا سحان فاليس يضع روايته: الثائر سودرومون كتابه: فرنسا اليهودية و ج م تارد: الاجرام المقارن سورمبو: الاضاءة التزيينية سولوي صياد اسلندا سوبالاماس: اغاني بلادي سوليس سوليفان اقام اوديتوريسوم شيكاغو سوبارتولد: الحرية تضيء العالم سوفيسان دندي: سمفونية حسبة .

1۸۸۷ – أول مؤتمر يعقده ممثلو الإمبراطورية البريطانية – العمكم الفرنسي البريطاني المسترك على جزر هبريدس الجديدة – انساء الاتحاد الهسندي الصيني – الفاء الرق في كوبا – الدكتور زامنهوف يضع كفة الاسبرنتو – اكتشاف طريقة سيندة اللهب – انطوان يؤسس المسرح الحر – رتشروسن يشيد مخازن مارشال فيلد في شيكاغو – موباسان يصدر روايته: الهورلا – ولوتي: مدام كريزنتام، وكبلنغ: قصص بسيطة عن الروابي – داننزيو: المراثي الرومانية – تشيخوف: اخبار مضحكة .

1 المسن في غرينلاند - أول قرض فرنسي لروسيا - تأسيس حزب العمال في سكتلاندا - الفاء الرق في البرازيل - براءة البابا ليون الثالث عشر حول الحرية البشرية - تدشين معهد باستود في باريس - هدفيلد يضع الفولاذ بالمنفنيز - فورست يخترع محركا يعمل على البنزين - ظهور البنوماتيك (الهواء المضغوط) واستعماله في الدراجة - لمبرورو يضع كتابه: السرجل النابغة - ونيتشه: المسيع اللجال - وباريس: تحبت نظر البرابرة - دوسني الاب يضع: الخيبهوس - وسترتدبرغ: الدائنون - وسودرمان الشرف - روبن وداريو: آزور - فوكن: الرؤية بعد الخطاب: أو يعقوب والملاك - رمسكي كورساكوف: شهرزاد .

1 مؤتمر حول الرق في بروكسل - سقوط الامبراطورية في البرازيل - اعطاء اليابان دستورا جديدا - اول مؤتمر كرابطة الشعوب الاميكية - موجة اضرابات في اوروبا - معرض باريس: برج ايفل في الشان اليزية - تأسيس الدوكية العمالية الثانية - تأسيس شركة: جنرال الكترك - تشييد اول ناطحات السحب في نيويورك - اديسون يخترع آلة سينماتوفرافية ، واستمان الشريط التصويري من السلوليد ، وشاردونية : طريقة كصنع الحرير الاصطناعي ، وهللريث : حاسبة كهربائية - براون سيكوارد يوضع وظيفة الفدد ذات الافراز الداخلي - فوبو يضع كتابه : الفن من الوجهة الاجتماعية - وبورجيه بضع روايته ؛ التلميذ - وكبلنغ : اول كتاب حول الاجتماعية - وبورجيه بضع روايته ؛ التلميذ - وكبلنغ : اول كتاب حول الاحتماعية - وبورجيه بضع روايته ؛ التلميذ - وكبلنغ : اول كتاب حول الاحتماعية - وبورجيه بضع روايته ؛ التلميذ - وكبلنغ : اول كتاب حول المنيح الاصغر - فان فوه : رسم الرجل القطوع الاذن - رتشرد شتراوس ؛ الموت والتجلي .

101 - مقايضة زنجبار بهليفولند - اتفاقات استعمارية افريقية - مؤتمر العمل الدولى في بركين - افلاس بنك يارينغ والازمة الاقتصادية - تأسيس شركة رويال دوتش - اللورد بنتنك يصدر في الهند قانون التسليم - تعرفة ماك كنلي - قانون شرمان بخصوص احادية المعدن في العملة - القطار السريع المبير ستايت تزيد سرعته على ١٠٠٠ كيلومتر في الساعة - برانلي ولودج

ا ۱۸۹۱ - الراءة البابوية المحسس المحسس المحسس المحسس وم. دنيس: السر الكاثوليكي - وبورودين: الامير ايفور.

الكتب الدولي للسلام في برن - المجاعة في روسيا واجراءات معادية السامية الكتب الدولي للسلام في برن - المجاعة في روسيا واجراءات معادية السامية مسافات بعيدة لاول مرة - فوريست يخترع محركا من } اسطوانات - بافلوف يدرس رد الفعل المشروط - الدكتور دوبوا يكتشف انسان قردجاوا المنتصب القامة . - ا . وائلد نضع روابته : جريمسة اللورد ارثر سافبل - كونين دوبل : مغامرات شارلوك هولمز - س. لانجرلوف: ساغا كوستابرلنغ - مونيه بنشر كتابة : الحوريات - فرويدنغ: قشارة واكورديون - وودكايند - يقظة الربع - وبرونو ؛ الحلم ،

الاتفاق العسكرى الفرنسى الروسى - حكومة مالبن وسياسة الحماية الاقتصادية - اضرابات في الروهر وفي صناعة التعدين في الولايسات المتحدة - القوانين الاسترالية الخاصة بالصالحة والتحكيم - التوسيع من صلاحيات المجالس التشريعية في الهند - مواسو يخترع فرنا كهربائيا - لورنتز يكتشف الكهيرب والالكترون - ه . بوانكاريه يضع كتابه : المناهج الحديثة في دراسة الميكانيكية الفلكية - ا، وايزمان يصدر كتابه حول الورائدة والانتخاب الطبيعي - وهوبتمان : الحاكة - وشاربنتيبه : الطباعات من الطاليا .

المعال المستقل في انكلترا - كيردوف ينشىء اتعساد الفحامين - الفرنسيون بحتلون الداهومي - والاميركيون جزر هاواي - الحبر الاعظم ليون الثالث عشر يعيد تنظيم رهبانية البندكتيين ورهبانية الترابست - اختراع محرك ديزل - ماري يكتشف الكشاف السينمائي - الترابست - اختراع محرك ديزل - ماري يكتشف الكشاف السينمائي - يوندل اول مطبخ كهربائي - ج.جرايف : المجتمع الجديد والفوضى - بلوندل يصدر كتابه : العمل - وكبلنغ : البحار السبعة - دوركهايم : حسول انقسام العمل الاجتماعي - برادلي يصدر كتابه : بين المظهر والواقع - وفرلين : مراث - ج.م دي هريدبا : الاسلاب - اناتول فرانس : مشوى وفرلين : مراث - ج.م دي هريدبا : الاسلاب - اناتول فرانس : مشوى الملكة بيدوك - كررتلين : السادة الموظفون الاداريون - س. غرانيج : ماغي : ابنة الازقة - ديبوسي : تعهيد لبعد الظهر عند احد الحيوانات - غوكين : اغنية راعوية من تاهيتي .

المحرب الصين - اليابانية - غاندى وتأسيس المؤتمر الهندي في ناتال - التشريع حول التحكيم الالزامى في زيلندا الجديدة - تكوين الحلف العمالي الارجنتيني - نشر المجلب الثالث من كتاب راس المال لانجلس - رو يكتشف مصلا ضد الدفتيريا - كما تكتشف يارسن باسيلس الطاعون يكتشف مصلا ضد الدفتيريا - كما تكتشف فولتيرا حول المادلات الدملي - اونز ينشىء مختبرا للتبريد - ابحاث فولتيرا حول المادلات المحيحة - ليون بورجوا يصد كتابه : التضامن - وجورحنسن :

التحول ـ ورودين : بورجوا كاليه ـ وابيا : اخراج الدراما الواغنزية, ـ اددي بوديه ، يشيد كنيسة يوحنا الانجيلي في حي مونمارير .

المحملة الفرنسية على مدغشقر حاسيس مستعمرات روديسيا حالتهافت على المطاط على مدغشقر حاسيس مستعمرات روديسيا حالتهافت على المطاط في افريقيا الوسطى حرمان فنلندا من استقلالها الداخلي حمداب الارمن في لاستانة حستور الاتحاد العام للعمال في فرنسا حالفرد نوبل يؤسس عند وفاته الجائزة التي تحمل اسمه حابحات برن ولورانتيز حول الكهيرب بوبوف يضع قارية (هوائي) للتلفراف اللاسلكي حول الكهيرب عربة على عجل يعمل بالهواء المضغوط الاخرة لوميسير يوجو يسير عربة على عجل يعمل بالهواء المضغوط الاخرة لوميسير يصنع جهازا للسينما حرنجن يكتشف الاشعة السينية حرزل يضع كتابه: الدولة اليهودية حدوركهايم يصدر كتابه: قواعد الطريقة الاجتماعية فيرهيرن يضع كتابه: المدن ذات المجسات حجه. ه. وبليز المجهاز لاستكشاف الزمن حوت، هاردي: جود المجهول حفوغزارو: المالم القديم الصغير حواستوي مملكة الظلام حوسينكفتشن اليس المالم القديم الصغير حواستوي مملكة الظلام وسينكفتشن اليسة ونتريال الادبية

1011 - الحملة الإيطالية على الحبشة - المجاعة في الهند - ضم مدغشكر الى فرنسا - تأسيس مصانع زبلين - فورد يبنى اولى سياراته - اولى الالعاب الالحبية في أثينا - مساهمة مركوني في اختراع التلفراف اللاسلكي - كروبوتكين يصدر كتابه: الفوضى: فلسفتها ومثالها الاعلى - و ا. ريكلو: الفوضى - واناتول فرائس: التاريخ المعاصر - وبلاكو ايبانيو: الارض المعونة - وروبن داربو: النثر الدنيوي - بيكاسو يضع: المستعطى .

1۸۹۷ - حرب تركيا واليونان - الالمان ينزلون في كياو - تشابون - المجاعة في البنغال - تأسيس الحركة الصهيونية في مدينة بال - اكتشاف مناجم الدهب في الكلنديك - طيران على متن طائرة - لاغستن يدخل تحسينات ملحوظة على المونوتيب - هنري بكيربل يكتشف الطاقة الاشماعية في الراديوم - فرنسا تتبنى مدفع عيار ٧٥ للجيش الفرنسي - غليوم الانفار والفولاذ مع النيكل - لندن تسعر الترام الكهربائي - م.١٠س، بلوك يصدر كتابه: حرب المستقبل - أ. ساباتيبه مدخل الى فلسفة الدين من خلال علم النفس والتاريخ - برونشويغ يصدر كتابه: كيفية الحكم - وبرتلو : العلم والاخلاق - ولانفلوا وسنيوبوس: المدخل الى الدراسات التاريخية - باريس يصدر قصته: من لا أصول لهم - وجيد : الاغدية الارضية - س. موم: ليزا لامبث - در ، م . ديلك : متوج الاحلام - سترندبرغ : جهنم - تشيخوف : الموجيك - انجال غانيفيه : المثال الاسباني .

الحرب الاسبانية الاميركبة - كتشنو يهزم الهدية - قضية فشدودا - المحاولة الاصلاحية لمدة ١٠٠ يوم في الصين - الدوس يحتلون بورث ارثور - قضبة دريفوس في فرنسا - اضطرابات اجتماعية في الطاليا - المجاعة في روسيا - اقرار استعمال اللفتين في بلجكا - بير ومدام كوري يكتشفان الراديوم - سنتوس - دومون يبني منطادا - لويس رينو يخترع الوصلة المباشرة - اول معرض للسيارات في باريس - روستان يصدر

کتابه ب سیراتودی برجراك برنارد شو: تعثیلیات مسلیة ومزعجة ب سترندبرغ: طریق دمشق به ایبانیز به الاستحکام به وبششینی: حیساة البوهیمی .

1891 - حرب الإنكليز والبويرز - اول مؤتمر للسلام في لاهاي - الطاعون في مصر وفي سنغافودا - المجاعة في الهند - برانلي ومادكوني يؤمنان اول اتصال بالتلغراف اللاسلكي - لوبوف ينزل اول غواصة الى البحر - تأليف المجلس الدولي-الدائم لاستكشاف البحر في كوبنهاغن - الحبسر الاعظم البابا ليون الثالث عشر يقف موقفا مناهضا للنزعة الاميركية الدينية - لويس سوليفان يبني مخازن كارسن الكبرى في شيكاغو - برنشتاين يصدر كتابه: الاشتراكية النظرية والديمقراطية الاشتراكية المعلية - فاشيه دې لابوج يضع كتابه: الآدي ودوره الاجتماعي - المهلدة - فاشيه دې لابوج يضع كتابه : الآدي ودوره الاجتماعي - ميكل: اسرار الكون - تولستوي : القيامة - ويبتس : الربح بيسسن القصب - ريمي دي غورمون : استيكا اللغة النرنسية - رافيل يضع كتابه غيرالون السلاحة .

المعرض باريس - ثورة البوكر والحملة التأديبية على الصين - سن .

يات ، س يؤسس الحزب الاشتراكي الصيني - الفرنسيون يحتلون تشاد
بضع نظرية الكم - الانتفاع بمادة الفلاليت Galalite لصنع
- اضراب عمال المناجم في اليابان - المجاعة في البنغال .م. بلانك
اللدائن - لاندستاينر يكتشف فئة الاحمر الدموي للرسم - لوكيسير
يصدر كتابه : التطور اللاعضوي - س. فرويد : تفسير الاحلام يوسدر كتابه : التطور اللاعضوي - س. فرويد : تفسير الاحلام موراس : بحث حول الملكية - كوتسكي يصدر كتابة : الماركسية وناقدها
الاكبر برنشتاين - ج. رينار : شعرة الجزر - شارل لويس فيليب :
بوبو مونبارناس - برناردشو : تالاميذ الشيطان - درايزر فيليب :
كاري - ظهور النزعة : الفوفية في الرسم - المؤتمر الدولي الاول
للموسيقيين في باريس - شاربنتييه لويزا - بتشيني : لاتوسكا .

ا ١٩٠١ - تأسيس رابطة الدومنيون الاسترالي - تعديل بلات بشان كوبا - مؤتمر جامعة الدول الاميركية في مكسيكو - انشاء الصندوق الوطني اليهودي - انشاء شركة فولاذ الولايات المتحدة - الاضراب الكبير في ايطاليا - انشاء المكتب الدولي للعمل في بال - البراءة البابوية Graves de Communi - لوازي يضع كتابه: الانجيل والكنيسة - دوثر فورد يوضح طبيعة الشعاع الراديو - هددي فريز: نظرية التفييرات - فرويد: على طبائع الامراض العقلية في الحياة اليومية - توماس مان : آل رودنبروك

19.٢ - التحالف الانكليزي الياباني - اخضاع الفيلبين للاميركبين - الخط الحديدي عبر سيبيريا يصل فلاينستوك - الفاء الاتجار بالعبيد في زنجبار - مؤتمر برلين الاستعماري - انشاء امانة سر دولية نقابية - بلوتبيه: تاريخ بورصات العمل - البابا الثالث عشر يشكل لجنسة للدراسات الكتابية - مذكرة فريد هولم حول المعادلات الصحية - هنري بوانكاريه يصدر كتابه: العلم والحدس - ب. كروسي: الاستتيكا باعتباره علم الاحساس وعلم اللغة العام - اندريه جيد يصدر كتابه

- الفاسق غوركي : الاغسوار آزورين : الارادة ديبوسي : بليساس وملم انساد ،
- 19.7 _ التخلى عن مشروع قناة بناما _ الثورة في مقدونيا _ المانيا تحصل على امتياز خط بغداد الحديدي _ مؤتمر الحزب الديمقراطي الاجتماعي في لندن: الاصطدام بين البلشغيك والمنشغيك _ مذابع جديدة لليهود في روسيا الجنوبية _ الؤتمر الصهيوني _ كورن يدخل تحسينات على طريقة ارسال الصور بالكهرباء _ طيران الاخوة رايت _ تأسيس محلات فورد _ تسيولكو فسكي يصدر كتابه: درس الفضاء بالاجهزة المبنية على التجاوب الرجعي _ زولا: الحقيقة _ ر. رولاند: حياة بيتهو فن _ كنراد: العاصفة أيبانيز: الكاتدرائية _ رايمونت: الفلاحون _ افتتاح صالون الخريف في باريس
- 19.5 بدء الحرب الروسية اليابانية عقد الاتفاق الودي . سن بات سن يؤلف حزب الكومنتانغ محاولة اعلان الاضراب العام في ابطالبا مؤتمر الدولية الاشتراكية في امستردام وضع الحق القانوني بايعان من البابا بيوس العاشر فلامنغ بخترع القنديل الكهربائي الثنائي القطب يلتز يتوصل لصنع الغران (النيلون) روما رولان يصدر تباعا: يلتز يتوصل لصنع الغران (النيلون) روما رولان يصدر تباعا: حيان كريستوف والفجر . سويريز : حول وفاة اخى وغيومين : حياة ساذج وهوبرت كراينز : الخبز الاسود وبيرندللو : المرحوم متياس باسكال وغولسورتى : فريسيو الجزيرة لافكاديو هيرن : اليابان ، ومحاولة تبرير فكتور بيرار : طريق آسيا وبوتشيني : مدام بترفلاي .
- انتهاء الحرب الروسية اليابانية الثورة في روسيا والحركة السرجعية فيها ازمة المغرب الاولى وقوع الانفصال بين السويد والنروج الفاء آخر مقاطعة للهنود الحمر في الولايات المتحدة انشاء حزب الوطن العربي فصل الكنيساة عن الدولة في فرنسا مؤتمر برن حول التشريع العمالي انزال الدردنوط الى البحر مذكرات انشتاين حول تأكير الشوء الكهربائي ونواميس النسبية هنري بوانكاريه: قيمة العلم الشوء الكهربائي ونواميس النسبية هنري بوانكاريه: قيمة العلم وويد: النظرية الجنسية لافيس: لويس الرابع عشر آلان: خواطر برنشتاين: الزويمة ظهور التكميبة في فن الرسم بسترافنسكي: سمغونيا مي بيمول بيلا بارتوك: النتيجة الاولى مانويل دي قالا :
- 19.٧ مؤتمر الجزيرة حول المفرب مؤتمر الشعوب الأميركية في الربو القحط في روسيا واصلاح ستولوبين الزراعي اتفاقية روما حول مراكز البريد الدولية طيران سينطوس دومون قانون العطلة الاسبوعية في فرنسا البراءة الرسوئية Vehementer برغسون ينشر: التطور الخلاق اختراع تفاعل واسرمان ابتن سنكلر: الادغال ادي: قصائد جديدة تكسون: بل الفاتح بادن باول: الكشافة اللولاد شيمازاكسسي توزون: المخالفة .
- 19.۷ المؤتمر الثاني للسلام في لاهاى ب تشكيل الائتسلاف الثلائي والانفساق الروسى الياباني ب انشاء محكمة عدل لاميركا الوسطى البراءة البابوية

Pascendi — تأسيس جمعية غراتري لتوطيد السلام بين الشعوب — غاندي بتبنى سياسة Satyagrapha بفية تنظيم القاومة السلبية — الازمة الاقتصادية — المجاعة في الهند وفي الصين — اضراب عمال مناجم النترات في الشيلي — تأسيس شركة شل — تجربة التصوير اللون على يد لوميير — لى دي فوريست يخترع القنديل الثلاثي القطب — هوغ يضم كتابه: بحث في الجيولوجيا — هاملن: محاولة حول العناصر الاساسية في التمثيل — اونامونو: قصائد — هوايتلوك: دورة القبان — غوركي: الام — هاغاوا فونتباتيه: دون المتوسط — تاهاما كتاي: الفطاء — النزعة الى التربة تغزو كندا — شوانبرغ: سمغونيا الحجرة.

19.۸ - ضم بلجكا للكونفو وضم البوسنه والهرمسك الى النمسا والمجر - ثورة تركيا النتاة - اختراع الربح الصدربة - ج. سوريل: تأملات حول العنف - دانونزيو: صحن الكنيسة - رافيل: أمى الاورة .

19.9 - الثورة في تركيا وبلاد فارس - ازمة البوسنه - الهيجان في برشلونا وتنفيذ حكم الاعدام بفراير ــ اضرابات في الارجنتين ــ بيري ببلغ القطب الشمالي ــ بلاريو يجتاز مضيق المائش بالطائرة _ ولم بطلع علينا بالدور الوميس _ بيكلاند يوضح خصائص راتنج الفينول _ الغورمول (الباكليت) _ لنين يضم كتابه: المادية والنقد التجريبي ـ اندريه جيد: الباب الضييق ـ باریس: کولیت بودوش ــ بلوی: دم الفقیر ــ مرغریت اودو: ماری ــ كلير _ ماتبرلنك: العصفور الاخضر _ بورديل: هيراكليس النبال _ بيكاسو : المرأة والمندولين ـ دياغيلي<mark>ف والباليه</mark> الروسية في باريــس ـ 1110 - انشاء دومنيون جنوب افريقيا - اليابان تضم كوريا - مؤتمر شعوب اميركا في بونس ايرس _ اضراب عمال مناجم الفحم وقانون التقاعد العمالي في فرنسا ــ الحكم على بيون - سقوط الملكية في البرتغال ــ شافيز يجتاز جبال الالب - ماري كوري تعزل الراديوم - سلك تنفستين الذي وضعه كولدج يتيح للنفموس صنع مصباح يعمل بسلك تنفستين _ هابر يتوصل الى الامونيا الصناعي - ظهور طريقة اللزوجة - توماس هونت مورغان يجدد علم الوراثة ويوجين باتايون يحقق التناسل العدري الصسناعي ... هلفردنغ يضع كتابه: الراسمال النقدي ــ نورمان انجل: الوهم الاكبر ــ وجوريس: الجيش المجديد _ الاب سرتلانج يضع كتابه: القديس توما الاكويني - وبيفى : سر محبة جان دارك - ستافنسكي ودباجيليف: عصةور التيار .

الما و المورة في الصين - الازمة المراكشية - الإيطاليون في طرابلس الفرب - الفتنة الزراعية في زاباتا ، المكسيك - ازمة سياسية في بريطانيا العظمى - امندسن يبلغ القطب الجنوبي - فونك يكتشف الفيتامينات - رازرفورد يوضح خصائص اللرة - ا. وج. بريه يبنيان مسرح الشان البزيه - بيكاسو: الطبيعة الميتة - سترافنسكي: بتروشكا - لاشتراوس: فارس الوردة - بيلا بارتوك: قصر بارب بلو.

1917 - الحرب البلقانية ـ بوان شي _ كاي ، سيد السين _ اعلان الحماية الفرنسية على المغرب _ مجلس العموم بصوت على الوطن القومي _ التشريع حول الضمان في بريطانيا العظمى _ ازدياد الهيمجان الاجتماعي

في روسيا - مؤنمر الدولية الاستثنائي في بال - ر. لكسمبورغ يضع كتابه: تجمع راس المال - بيلور: مبادىء الادارة العلمية - ظهور طريقة فورد للعمل - كاروس يجتاز البحر المتوسط - لاين يوضح طبيعة الاشعة السنية - هس يثبت حقيقة ظاهرة التاين - دوركهايم: الاشكال البدائية للحياة الدينية - انابول فراس: الآلهة العطشى - آلان فورنييه؛ مولس الكبير - بحاوديل: البشاره لمريم - برنارد شو: بجمليون - بابيني: رجل انتهى - مارينتى: منتقيات مستقبلية - رافيل: دافني وكلويه -سوينبرغ: بيرو المعتوه .

1917 - الحرب البلفانية - قوانين الحرب في كل من المانيا وفرنسا - مجلس اللوردات يرد مشروع الوطن القومي في ارلندا - التشريع الاميركي ضد الاحتكار - المؤتمر العربي في باريس - لا شاتليه يوضع قانون سقاية الفولاذ الثنائية في عملية الكربنة - هابر يتوصل الى تركيب الامونياك الصناعي - فرويد : يصدر كتابه : الطوطم والتابو - هسريل : فلسفة مبحث الظاهرات - باريس : الاكمة المهمة - مارتن دوغار : جان باروا - بروست: بحثا عن الوقت الضائع - هيمون : ماريا شبدلين - شارل لويس فيليب : شارل بلانشار - بيرانديلو - منزل الآخرين - طاغور ينال جائزة نوبيل - جان كربو : تأسيس كولمبيه القديمة - ج. ابوليني : رسامو التكميبة - سترافنسكي : تكربس الربيع .

1918 - الازمة الاوروبية - الاضطرابات في الاولستر - الانتهاء من شق قناة بناما - ه. ن. رسل يبسط نظرات جديدة حول تطور النجوم - اونايل: العطش بورديل: السنتور المحتضر - بروكوفيف حاشيه سكيثية ، والبط الصغير السرديء .



فهرست الاعسلام

ابيسل ۷۲ ، ۷۳ اتأكاما (صحراء) ۱۷۲ الاتحاد التركي ٨١٥ **آدم ۱۱۲** آدم سمث ۲۲ ، ۲۳ ، ۸۶ اتحاد جنوبي أفريقيا ٣٥١ آدال ، بحر ۱۹ اتحاد جنوبي افريقيا تكوينه عام ١٩١٠ ، آربولد ، ماتیو ۲۵۷ 807 الاتحاد اللاتيني سنة ١٨٦٥ ١٩٦٠ ١٢٥ / ١٢٤ / ١١٩ / ١١٥ / ١٢٤ / ١٢٥ / الانحادات الدولية ٢٠٣ ـ ٢٠٤ 431 3 731 3 731 3 301 3 771 3 أثينا ١١٥ ، ٣٣٤ ، ٢١٥ 4 717 4 197 4 198 4 178 4 178 اتيك ٣٣٣ \$ 77 ° 777 ° 777 ° 777 ° 777 اثيوبيا ٥٤٤ ، ٢٤٤ الاحراج: استثمارها ١٦١ - ١٦٣ · 011 · EA. · EYY · ETT · ET. أحمد بك آغـا ١٨٥ 6 114 6 118 6 044 6 017 6 010 ادامو [] } آسيسا الوسطى ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٦٢ ، أدر ، كليمان ٢٥ه (1.7 (1.8 (171 (171 (171 ادریا ۲۵ 113 > 013 ادرياتيك ، بحر ، انظر: البحر الادرياتيكي آسيا الجنوبية ١٢٥ ، ٣٧ ، ١٧١ ادفر ، مكتشف السيار نبتون ٣١ الاسكا م19 ، ١٩٧ ، ١٩١ ، ٣٤٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩» ادلاییه ۳۲۰ ، ۳۲۳ 017 ادلر ۲۰۹ الاسكا _ شراء اميركا لها (عام١٨٦٧) ٢٢٣ ادنبره . ٤ ، ١١ ، ١٣٩ آلامور ، نهر ۸۲۶ ، ه۸۶ ادوار السابع ۲۶۷ الابالاش ، جبال ١١٠ ، ١٦٩ الاديج ٥٨ اباش ۲٤٦ أديسون ١٧٤ ، ٢٣٥ ، ١٤٥ ابرت ۱۳۲ **ابردیر ، اللورد ۲۱۷** اذربيجان ١٢١ ابر فیلد ۸۸ اراغو ۳۲ ، ۸۶ ، ۱۰۳ ، ۱۳۱ اراکان ۷۱ ابسين ٢٥٩ ، ٣١٢ ، ٢٣٥ الارجنتين ١٦١ ، ١٦٥ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ابشتين ٣٦٥ 010 6 070 6 017 6 498 ابنین ، جبال ۲۱ ، ۱۸۱ ارخميدس ٥١ ابولینی ۳۲ ، ۳۲ ه ارسطو ١١٥ ابيا ، ادولف ٣٣٥ ارسونغال ۱۳۸ ابے ۳۳۷ ، ۳۳۳ الارض الجديدة ١٦١ أبيقوز ٢٦٠

الارض: المناية بها في أوروبا ١٥ ــ ١٩ الاسلام: ثورته في الصين ٩٠٠ ــ ٩١؟ ادغسان ۳۷ ، ۳۸ الاشتراكية: استعمالها لاول مرة ١٠٠ ارکسون ، نیلز ۲۲ ، ۱۲۸ ، ۱۲۸ ، ۳۱۲ الاشتراكية: احزابها ٢٩٢ اركوتسك ٥٨٤ الاشتراكية: والفوضوية ٢٩١ ــ ٢٩٣ ارمسترونغ ۱۲۷ ، ۱۲۹ اشانتی ۲۲۱ ، ۲۲۲ ارمینیا ۱۳ ، ۱٤۹ ، ۱۲۶ ، ۸۰۰ اشلی ۸۰ ارناؤوط ٣٣٦ اصفهان ۱۵ ۱ ۱۲ ۱ ارنولد ۸۰ الاصلاحات العثمانية ١٥٤ الاروكان ، اتوام ٣٩٥ الاعلان والدعاوة ٢٠٦ اروین ، واشنطن ۷۵ اغادير ٦١٠، ٦١١ اريحا ١٢٤ اغمونت ٧١ اریکوییا ۳۹۶ أغينالدو ٧٧} ازغلیسو ۵۶ افريقيا ١١، ٧٦، ١١٦ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ازمىي ١٢٤ 6 177 6 171 6 108 6 101 6 18A اسام ۱۲۲ VAI > 771 > 717 > 717 > 377 > اسبانيسا ٣٩ ، ٥٤ ، ١٠١ ، ١٠١ ، 4 TT. 4 TIX 4 TTE 4 TT. 4 TT. 4.17 6 177 6 11A 6 110 6 1.A 049 60106 881 افريقيا الجنوبية ١٦٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، TOY & TOT & TOY 6 7.A 6 099 6 09A 6 097 6 088 الافغاني ، جمال الدين ٨٠٠ 717 انغانستان ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٩ ، ٢٠ الاستانة أو استانبول ٣٣٥ ، ١٢ ، ١٣٤، افلاطون ٢٥٩ 0A1 6 0A. 6 ETY اقليمس الثاني عشر البابا ١٠٠ استربازی ، امراء ۲۷۲ الاكراد . ١١ ، ١١١ الاستعمار في اوروبا فيمنتصف القرنالـ19 اكس لاشابل ٤٧ ، ١١٥ 110 - 111 اكسالوف ٢١٥ الاستعمار في افريقيا الفربية ٣٤٤ _ ٤٤٤ اكسفورد ٣١ ، ١٤٨ استور ، جون ۳۲۱ اکشور اوغلو ۸۱۱ استوریسا ۲۸ ، ۳۱۹ الاكوادور ١٦٣ ، ٣٨٠ ، ٣٩ ، ٢٩٣ استون ۲۹ه الالب ، جبال ۲۷ ، ۱۸۰ ، ۲۲۷ ، ۳۱۶ ، اسطفان القديس ٣٢٧ ، ٣٣٢ 710 اسون ۳۸ السا ، جزيرة ١٠١ اسكندر الثاني ، القيصر ٣٣٠ البانيا ٣٣٥ ، ٣٣٧ اسكتلنبدا ٨٠ البردي ٣٩٤ الاسكندرية ١٣٦ ، ١٨٧ ، ١٢٤ ، ٢٥٥ البير الاول ، امير موناكو ١٤٣ الاسكيمو ٢٤٩ التای ، جبال ۱۸۲ ، ۸۵ اسلندا ۲۲۵ الجن ، اللورد ١٥٤ ، ٩٠. اسماعيل الخديوي ١٨٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، الالزاس واللسورين ٩٤ ، ١٢٦ ، ١٥٨ ، 770 · 777 · 777 · 177 الاسلام: العالم الاسلامي ٤٠٤ ... ٨٠٤ الفونس الثالث عشر ٢٤٧

4 111 • 148 6 147 6 1A1 6 1A. الليزسا ٣٣٣ ، ٣٣٣ . TY7 - TO7 . TO. . TE9 : TIY ألومير 271 المأذن ٦٥ 097 6 011 (141 (140 المركبا السوسطى ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، المانيا ۱۲ ، ۱۹ ، ۲۷ ، ۳۹ ، ۲۹ 🕌 < 11 4 11 6 A1 6 YT 6 EY امركا الوسطى: جمهورياتها المختلفة 6 178 6 177 6 181 6 170 6 178 T99 - T91 6 11. 6 IAT 6 140 6 141 6 171 اميركا اللاتينية او الجنوبية ١٩ ١٠٦٠ ، 4 770 4 778 4 777 4 711 4 7.8 · ۲. ٧ · ١٧٣ · ١٦١ · ١. ٨ · ١. ٧ · ٢٦٦ - ٢٩٤ · ٢٩٢ · ٢٦٥ · ٢٢٥ 4 8. T 4 TAX 4 TAX 4 TA. 4 TYX < 717 < 717 < 717 < 717 < 777 < 79. 110 > 770 > 550 > 10 · TTA · TTY · TTO · TTT · TIY اميركا اللاتينية: تحريرها ١٠٦ – ١٠٨ 6 017 6 0 . . 6 877 6 877 6 778 اناپولونا ١٩ (077 (07. (010 (018 (017 اناتول فرانس ۲۸۰ ، ۲۸۷ ، ۳۱۷ ، ۳۵۳ ، ۵۵۳ ، 6 01A 6 01Y 6 01E 6 01T 6 0A1 111 717 67.7 67.1 اناضول ٥٠٠ المانيا الكبرى او العظمى ٨٦ اناکرا ۲۳۱ المانيا الصغرى ٨٦ EAT . EAI . EA. . EYA . TT1 PUT اليزابيت ، الملكة ٢١٥ انامایکر ۱۲۷ الينوي ، ولاية ١١٠ الانتيل، جزر او بحر ١١٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، اليون ٩٦ ، ٢٥٩ 777 > 1 A7 > 7 A7 > 3 A7 > 7 A7 > الامازون ۱۲۱ ، ۲۸۹ ، ۲۸۹ ، ۳۹۱ ، (80 ° 6 8 . 1 (8 . . . 799 6 797 777 انجاس ۷۸ ، ۹۲ ، ۹۷ ، ۹۹ ، امازونیا ۳۷۳ ، ۲۱۰ امسیر ۳۲ 7-1 47-4 47-8 47-1 امثل ـ ماير ٢٥ امرسون ۱۱۱ انجه ۲۷۲ ، ۱۷۶ امستسردام ٥٥ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ٢٠٠ ، انجیه ، او نید ۷۶ الاندد ، مقاطعة ١٧ 7.7 184 6 187 Juna اندراد ۳۹۰ اندرال ١٣٥ امور داریسا ۲۰ اندرسن ۷۳ اموندسن ۱٤٧ ، ۱٤٧ الانبدس، جسال ١٠٦، ١٦١، ٣٨١، اميركا . ١ ، ٢ ، ١٠ ، ١٠ ، ١٠ ، ١٥٤ ، 4 740 4 748 4 747 6 741 4 7AE 6 771 6 7.2 6 12. 6 1VV 6 17V الاندلس ۲۵ اندونیسیا ۱۲۱ ، ۱۲۱ 717 6 000 6 071 اميركسا الشماليسة ١١ ،١٠٧، ١٠٨ ، انديانا ، ولاية . ١١ ١١٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، أ الانسولاند ٢٧٦

اودونل ۲۲۵ انسی ۸۹ الاورال ۱۷۱ ، ۱۱۶ ، ۸۸۶ انشتاین ، البرت ۲۹ه ، ۳۰ ، ۲۱۷ اورانج ۔ ناسو ۲۱۸ ، ۳۱۳ أنغر، الرسام ٦٩، ٧١، ٧٤ أورشليم ١٣٦ انغرت ۱۸۰ اورغا ۱۸۷ انغولا 220 ، 00 اورليان الجديدة ٣٤، ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ انغرس ۲۲ ، ۱۸۷ ، ۲۰۵ ، ۲۲۵ ، ۲۱۲ اوروبا ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ، ٥١ ، ועיט ואי الانكشارية ٢٣٤ 6 14. 6 118 6 1.9 6 1.4 6 91 انکلتر ۱ ۸ ، ۱ ، ۱ ، ۱ ، ۲ ، ۲ ، ۲ ، ۲ ، ۲ ، ۲ 371 3071 3771 3 771 3 171 3 6 10X 6 107 6 108 6 189 6 187 · 71 (7. 607 (01 6 {7 6 {8 < YY < 7X < 77 < 70 < 78 < 77 : 18 · 17 · XX · XY · XY · X. 6 770 6 711 6 7.9 6 19 6 19. 6 117 6 1. A 6 1. . 6 11 6 1V 177 · 170 · 317 · 017 · 717 · 4 171 4 17. 4 11X 4 11Y 4 118 6 171 6 107 6 10A 6 179 6 170 6 Y.4 (1AA (1A0 (1AT (1A. 177 > 177 > 777 > 337 > 037 > < 779 < 77. < 778 < 719 < 710 < TYO < TY. < TTT < TTE < TO. 373 3 073 3 403 3 173 3 473 3 (T.7 (T.0 (T. E (T.T (T1) 6 01. 6 0.. 6 ETY 6 ETE 6 EYO · TA. · TYE · TOE · TIA · T.A 6 094 6 04. 6 044 6 041 6 048 4 817 4 817 4 81. 4 898 4 8XY (717 (710 (718 (7.7 (010 6 0. Y 6 0. . 6 89 A 6 877 6 877 717 4711 4717 (OA1 (OV4 (OT. (O14 (O10 اوروبا الشمالية ١٦١ ، ٣٥٢ ، ٣٣٧ 6 099 6 094 6 090 6 098 6 098 ٦١٥ ، ٦١٣ (انظر كذلك : بر بطانيا أوروبا الفربية ١٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢١ ، العظمى) 171) 071) 337) 037 انكلترا الحديدة ١١١ ١٣٠٠ اوروبسا السوسطى ٢٩ ، ٣١ ، ٨٠ انبير ٢٧ 6 4.4 6 141 6 14. 6 104 6 1.4 اوادی ۲۶۶ ، ۲۶۶ · ٣٢٢ · ٣٢١ · ٢٧٠ · ٢٦٩ · ٢٦٥ الاوبئة ١٢ – ١٤ 377 6 478 اوبر ٥٧ اوروبا المتوسطية ٣١٨ ــ ٣١٩ اوبربان ۹۹ اوروبا الشرقية ٢٨ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، اوبر بينو فتش ٣٣٥ 777 ' X77 ' Y77 ' 770 اوبوك ٧٤٤ اوبير ٢٤٩ 418 . 414 . 414 اوبي ۸۷٪ اودیسا ۹۹} اوتاوا ٥٥٥ اوريفون ، معاهدة ١٠٩ ، ٢١٦ اوجیسه امیل ۲۵۰ ، ۲۵۸ أورموز ٢٣١ اورينوك ٣٩٧ ، ٠٠٠ اوجینی ، الامبراطورة ۱۸۷

أيتاغاكي ٥٠٠ اوزاکا ۲۹۱ ، ۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۱۳۸ وزاکا اوزیرن ۱۳۴ ایتوهیروبومی ۵۰۰۰ اوسترادال ۳۱۱ ایتیوربید ۱۰۷ ، ۳۹۰ ، ۳۹۹ اوستراليا ٥١ ،١١٧ ، ١١٩ ، ١٥٨ ، ایرارد ۷۴ 6 198 6 177 6 170 6 177 6 109 ایراستراس ۲۹ه · ۲48 · 418 · 144 · 147 · 140 اران ۱۲ ، ۲۷ ، ۱۲۱ ، ۱۹۱ ، ۱۹۱ ، ۱۹۱ < TT. (TOT (TOO (TO) (TO. 013 3.40 · {07 · {٣. · ٣٨. · ٣٧٣ · ٣٧١ ايراوادي ، نهر ٧١ 173 اوستراليا الجنوبية ١١٨ ، ٣٥٥ ابرلندا ۲۲، ۱۲، ۱۷، ۲۲، ۵۰، ۸۰، اوستياك ٣٤٩ اوسكار الاول ٣١٢ اوسكار الثاني ٣١٢ 01060176701 اوغدار ۱٤٩ ایرلندا _ کفاح شعبها ۳.۹ اوغست ۲۲۳ اوغندا ۱۹۲ ، ۱۹۶ ، ۱۹۸ ايريه ، بحيرة ١٨٣ اوفنباخ ١٤٢ ایزمیبر ۳۰۶ اوقيانيا ١٤٩ ، ١٥٤ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ايرنباخ ٢٩٦ 718 (800 (448 (444 ایستمان ۱۷۳ ، ۲۲۰ ، ۲۳۵ ، ۱۶۵ اوکرانیا ۳۲۲ ایشبورن ، آل هه اوكتور ٩٩ ايطاليا ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٨٠ اوكلانيد ١٢٠ او کنیـل ۸۰ ۲۰۹ 6 1 - 1 6 11 6 AT 6 AT 6 A1 او کوبو شیمیشیی ۵۰۰ ، ۱۰ 371 3 071 3 131 3 711 3 117 3 اولستر ۳۰۹ 6 777 6 709 6 700 6 770 6 778 اولمبيا ، سهول ١٠٦ اوليانوف ، شقيف لنين ٣٤٠ \$ 771 6 719 6 71X 6 7-8 6 79 8 اومسك ٥٨٤ 6 OA. 6 OET 6 OIA 6 TA. 6 TTT اونتاريو ١٦٥ ، ٢٥١ ، ٣٦٠ 6 7. A 6 09 A 6 097 6 090 6 098 اونفارتی ۵۳۲ 717 اونیفا ، بحیرة ۲۳ اوهایو ، نهر ۲۳ ایفانس ع اویبیه ، جزیرة ۳۳۳ الفيل ١٧٠ ، ١٤٥ اوین ۲۲ ، ۲۲ ، ۹۷ ، ۱۱۱ ، ۸۸۲ ایکار ۲۶ه ایار ، تعطیل اول . . . من کل سنة : قرار ایکرمان ۳۳ المؤتمر الشيوعي المعقود في باريس الايلب ، نهر ٢٤ عام ۱۸۸۹ ، ۲۹۶ ايلو ۲۵۲ اياكواسو ١٠٧ الايبرية ، شبه الجزيرة ٢٨ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ایلی ۸۲۶ 6 713 6 701 6 707 6 1.7 6 1.7 ايونفوس ٩٦ 277 الايونيه ، الجزر ٣٣٣

ب

< 1.1 < 1A < 18 < 17 < 11 4 1 · 8 · 1 × 1 · 1 × 1 · 3 · 7 · الباب ۲۰۶ ، ۱۱۶ 437 · 337 · 437 · 737 · 737 · الباب العالى ٢٥ ٤ ، ٢٦٤ 4 177 (Yoo (Yor (Yo. (Y&A) باب المندب ۲۳۰ بابست ، جان ٨٤ 103) 3.0) 310) A10) 370) بابل ٤١٢ 714 (7.4 (081 (041 يابوف ٩٩ بارسی معرض (۱۸۷۸) ۱۷۸ الباو فية ١٠٠ باریس مؤتمر شیوعی (۱۸۸۵) ۲۹۳ البابوية ، الدولة ٨٦ باریسو ۱۰ البابية ٢٠١، ١٧٠ ، ١٧١ بازی ، سابك ٦١ باتات ، مقاطعة ٢٢٢ باستور ۱۳۳ ، ۱۲۵ باتافيسا ٧٦ باستی ، فریدریك ۱۱۱ بالرسون ۲۲۲ باستيسا ١٩٩ باترة ٢٥٩ باستيان ۲۱۶ بالنبرغ ، الامير اسكندر ٢٣٦ باستیان _ له باج ۵۳۱ بساج ۷۱ الباستيل ١٠ باجیه ، فریدریك بوشان ۲۲۱ الباغيرمي ٢ } } بادن ۲۷ ، ۲۵۲ بافاريا ۲۹۲ ، ۳۳۶ بادن باول ۱۳۵ بادو ، مدينة ه ١ باني ٢٢٣ باکر ، صموئیل ه } } بارا ۲۸۲ ، ۲۹۳ البارانا ۱۸۳ ، ۲۹۲ باکو ۲۶۲ ، ۲۵ ، ۸۵ باکونین ۲۹۱، ۲۹۶، ۲۸۲، ۲۰۸ باراغسواي ۲۸۱، ۳۹۰، ۳۹۰، ۳۹۲، (01x (410 (418 (450 (EX)) 317 بارساد ۲۰۱ 71. بالادا ١٩٤ بسارت ه۱۱ بارتوف ه.۲ יוע אלא ווין بالفرايف ١٣٤ بارث ۱۱۶ بارسونز ۱۷ه بالماسيسدا ٢٩٥ بارفیه ، نوبل ۲۲۰ بالی ۲۷۳ بارم ، دوقیة ۲۷ بالیکو _ سلفیو ۷۸ بامير ، جيال ١١٦ ، ٥٨١ ، ٧٨٤ بارمن ۲۸ ، ۳۱۹ بارنیل ۳۱۰ باهاما ... باربوم ۲۰۱، ۲۵۰ بان ۱٤١ باغارسن ٧٣٤ ، ١٧٤ باری ۷۶ باریتو ۱۶۱ ، ۲۰۸ ، ۲۰۱ بانكوك ٧٧٤ ، ٢٧٤ بار پس ، مسوریس ۲۲۳ ، ۲۸۰ ، ۳۱ ه ، بامد ۲۸۲ ، ۲۸۳ ، ۲۸۲ لیمار ٥(. بای تونس ۲۶۶ باریس ۸ ، ۱۳ ، ۱۹ ، ۲۰ ، ۳۱ ، ۳۷ ، بایر ۱۷۳ ، ۲۰ بایز ۳۹۷ 1331334634634631

· Å7 · Y7 · Y. · 77 · 78 · 7.

برابت ۱۳۵ بانكال ، بحيرة ١٨٢ ؛ ٢٢٨ ، ٥٨١ ، ٢٨٦ برازا ۲۱۸ ۴۹۶۶ بتروفتش نيفوس ٣٣٤ بتسبرغ، مدينة ١١٠، ١١١، ١٧٠٠ . البرازسل ۱۱۷،۱۱۳،۱۱۲،۱۲۲، · TA. : TYY : TY7 : TTO : IAT TY. (1Y1 بتشیلی ۵۹ ا · ٢٦٦ · ٢٩٤ · ٢٩٢ · ٢٩١ · ٣٨٩ بتهوفن ۷۲،۷۱ 710 3010 3710 ىتىيە ١٨٠ الولامات المتحدة البرازيلية ٢٨٩ - ٣٩٢ بجرسن ۲۵۹ البحر الاحتر ١٥١ - ١٨٤ - ٢٣١ - ٢٣٧ • براسی ۲۰۱ براغ ، مدينة ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ 173 2 733 البحر الادرباتيكي ٣٢٨ : ٣٢٩ : ٣٢٣ : براغرانس ، اسرة ۲۲۰ ، ۳۹۱ 173 > 770 براك ٥٣٩ البحر الاسود ١٢٥ / ١٨٣ / ٣٣٦ برانلی ، ادورد ۱۹ ه البراهما ٢٦٢ يحر الحيه ٣٣٣ : ٢٢٥ البحسر البلطيسقي ١٨٣ ٠ ١٨٩ ٠ ٢٥٧ ٠ براهمز ۲۵۹ 077: 777: 771: 711: 71. برايس . } البحر الشمالي ٢٦ ، ١٨٣ ، ١٨٣ ، برایل ۳۹ برايب ، جاكوب ١٩١ To. : TTE . TEV البربيخ ٢٦٢ بحر الصين ٢٣٠ ، ٧١٤ بربيزون ۲۵۷ بحر قزوین ۱۸۳ ، ۱۱۹ - ۱۱۸ ؛ ۲۰ ؛ <u>برتران ، لویس ۷۹ه</u> 173:770 البرتفال ١٣ ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، بحر الهند ١٨٧ 4 TAO 4 TYY : TYY 4 TTO 6 110 بحر الفزال ٢٤٤ · TYY : TT. : TIT : TIX : T. E البحر الابيض المتوسط ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، : IAY: 17. (111: Y7 . {0 110 برنلو ، مرسلين ١٣٣ - ٥٤٣ ، ٦١٧ · 17 · 711 · 7.1 · 7.7 · 17 برتوك ، بيلا ه٥٥ برنولیه ۲۲ X17 - 778 : 777 : 713 - 713 برت ۱۹۵ البحرين ٢٣١ ، ١٣٤ برجفلسكي ١٤٦ بحيرات: اونيغا ٣} برجيس ١٧٤ بحرة ابرته ٢٦ ١ ١٤ بحيرة بايكال ٢٢٨ برزيليوس ٣٣ برست ۱۸۲ بحرة لونشان ٢٥٣ برسلو ، مدينة ٢٥ يحيرة لادوغا ٣} برشلونة ٥١٥، ٢٠٩ البخار قوة محركة ٢٩ ـ ٥٢ البخار في خدمة المواصلات ١٧٩ ، ١٨٢ برسيفال ٢٦٢ برغسوں ۲۲۳ ، ۱۶۵ ، ۲۰۱ ، ۲۱۷٬۲۱۵ ىخارى ٨٠٤ ، ٢٠٠ برکنز ، جون ۲۹ بخارست ۳۳۵ برکنس ، جاکوب ۱۷۳ بدرو الاول ۲۹۱ بركان فوجي واساما ٩٥} بدرو الثاني ۳۸۲ ، ۳۹۱ برلين ١٣ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١٣٣ ، ١٥١ -بدفورد ، آل ۲۰ ، ۲۱

787 : 781 : 771 * TO1 4 TEE 4 TET 4 T.E 4 1AT برومانیی ۳۲۹ · 778 · 777 · 7.8 · 7.7 • 79V بروموتيه ۱۱۰۸ - 011 (011 (057 : 0.8 (777 برون ، سیکار ۱۳۸ 715 برونتيه ، الاخوات ٩٦ برلين مؤتمر (١٨٨٥) ٢١٨ بوونسويل ۱۱۹ برلين مؤتمر ... للعمأل ؛ عــام ١٨٨٩ 💽 برونیل . مارك ایزنمبار ۳٦ 117 بروننغ ٢٥٦ برليوز ۷۰ ، ۷۰ ، ۷۲ ، ۷۳ ، ۲۵۰ برونو ، بویر ۱٤٠ برمنفهام . ٤ ، ٣٤ - ٦٥ ، ٦٧ ، ٢٤٦ . برویستر ، دافید ۳۲ 197 3 187 برویل ۲۷۸ ، ۳۰۰ برمودا ... ؟ بريتانيا ٢٦٥ يرن ۱۵ ، ۱۶ه بريتوريسا ١٩٦ برنادوت ۳۱۲ بريدجس ٢٦٣ برنار ، ترسستان ۲۹ ، ۳۲۰ بریستان ، فلورا ۹۷ برنار ، کلود ۲۱۷ بريستول ١٨٦ برناردت او برنار ، ساره ۲۵۰ ، ۳۳۰ بریشل ۱۷۴ برنامیوك ۱۹۳ ، ۲۹۱ ، ۳۹۲ بريغز ٣٠٠ برنتانو ۲۹٦ بريفو ، برادول ٣١٥ برنشتین ۲۰۱ ، ۲۰۸ ، ۲۰۱ ، ۲۱۰ بریفیه ۱ برو ۳۲ بريم . جريرة ٢٣٠ بروكو فبيف ٥٢٥ بريمن ٧٤ ، ٥٥ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ برودون ۲۱ ، ۲۷ ، ۹۰ ، ۱۳۸ - ۱۹۸ : بربیه: کزیمیر ۱۳ \$ 798 6 791 6 707 6 700 6 788 بريطانيا العظمى ٢٠ ، ٥٤ ، ٨٢ - ١٠٣ -011 6 4 .. - 178 (171 (11A (1.Y (1.7 بروسيا ١٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٥٣ ، ٢٢ ، ٧١ : · 17. (171 (178 : 10A : 188 4 90 6 A7 6 A. 6 78 - 71 6 08 · 7. V · 7. E · 7. T · 7. T · 19V 4 17 - 171 - 177 - 177 - 110 117 3 717 3 317 3 717 - 777 3 - TTT . TTT . TTT . TTT . : TA. (TYA (TY. (TTE (TT. TT. 6 TTV < T.A . T.V . TTT . TT. : TAT بروست ۳۲ - TOT (TO. (TIT (TIT (TI. بروسیه ۱۳۵ (1. T (TAT : TY) (TTT (TTO بروغهام ، اللورد ١١٩ A.3 > P13 > 703 > 713 > V13 > يروك ١٣٨ 173 3 743 3 743 3 710 3 د و کسل ۲۶ ، ۲۶ ، ۸۸ ، ۸۸ ، ۱۵۱ ، ١٣٥ (راجع كذلك : انكلترا) 3.7 > A17 > 377 > 737 > 107 : بسارابیا ۳۲۳ ، ۳۴۱ 71. 4 718 4 778 بستسار ۲۸۵ البروليتاريا ١٠ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٨٧ ، ٨٩ ، بستيل ٣٠ 6 17. 6 1.7 6 1... 4% 47 ستيا ۲۸۰ ، ۱۷ ، ۲۸۵ **س**تيس **171 : 177 : 177 : 177** الشك ، مقاطعة ٢٨ ١ المروليتاريا والكومسون) ٢٩٢ ـــ بشكير ١٩٤ 1 (717 (7.1 (7.. : 717 (717

الىلق مى البلقيان ١٨١ ، ٢٢٨ ، ٢٦٨ ، ٣٢٦ ، 711 الىلقان ، بروز دولها ٣٣٣ بلوتيه ٣٣ بلاتشكى ٣٣١ بلاخانوف ٥٠٥ ، ١٠٧ ، ٢٠٩ البلادالواطية ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٢٢ ، ٦٤ ، TIT (T. E & TAT (TAT (A. بلان ، لویس ۹۶ بلان ، موریس ۲۹۹ بلانفيل ٣٤ بلاتکي ۸۷ ، ۸۹ ، ۱۹۱ ، ۲۹۱ ، ۲۹۹ ، 7.7 بلانكيت ١٥٠ بلايسل ٧٤ بلمرستون ۲۱۶ بلميتس ، الاب ٧٩ بلمييه ٢٥٢ ىلوك مارك ١٣٧ بلونت ١٠٤ بلوتييه ۷۸، ۱۸، ۱۸ م بليز ٢٣١ بليريو ، لويس ٢٥ بمبای ۱۸۶ ، ۱۸۷ ، ۱۸۸ ، ۲۲۷ ، ۲۳۱ ، بناما ۱۰۸ / ۱۳۷ ، ۱۸۱ - ۱۸۱ ، ۱۹۶ T17 بناما ، قناة ١١٤ بنت ۳۷۳ ، غوردون بنت ٥٩ بنتام ٣٠٥ بنتنك ، اللورد ٢٨٨ بنتهام ٢٩٥ بنجاب ١٦٥ ، ٢٦٤ بنجر }}} البندقية ۲۷ ، ۳۷ ، ۹۳ ، ۱۰۲ بندكتوس الرابع العشر ، اليابا ١٠٠ بنديفو ١٩٤ بنسلفانیا ۲۳ ، ۲۵ ، ۱۱۱ ، ۱۱۱ ، ۳۵۷ ، 710 (47. (471 (477

بسمر ۱۷۰ ، ۲۰۱ سسمارك ۲۰ ، ۲۲۲ ، ۲۰۷ ، ۲۲۲ ، \$77 > 077 > 707 > F07 > AY7 > 327 > 747 > 177 > 777 > 677 \$ **TTT (TTV** بطرسيرج ٣٩ ، ٤٦ ، ٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٤٢ ، (1.7 (8) 6 787 (781 (101 ٦.٤ بطرسبرج مؤتمرها لتحريم ر<mark>صا</mark>ص دم<mark>دم</mark> T.7 (1171) بطرس الاكبر ١٤ ، ٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٩٤ ىغداد ٨٠٤ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٥٤ ، ١١٧ ، البقاع ، سهل ١٢٤ بكلنسكى ٩٦ بكتريان ٢٠٤ بكريل ، انطوان ٣٢ ، ١٣١ بکر ۲۵۲ بكين ١٨٢ ، ٩٥١ ، ٩٨٤ ، ٥٨٤ ، ٧٨٤ ، 6 898 6 897 6 891 6 89. 6 8A9 OVY بل ، غر<mark>یهام ۱۹۱</mark> بلتار ٢٤٥ بلحيكا ١٢ ، ٢٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٢٢ ، · 118 · 11. · 111 · 117 · 127 · 401 . 418 . 414 . 414 . 4. . 7... 60916098604.6018 بلخ او بختيار القديمة ١٨٤ بلدوين ٥٤ بلزاك ١٥ ، ٧٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٨ ، ٧٧ ، YOX (1.4 (YX بلزن ، مدینة ۳۳۱ بلشفيك ۲۰۲ ، ۲۰۳ ، ۲۰۵ البلطيقي ، البحر ، انظر البحر البلطيقي بلطيمور ٤٣ ، ٥٤ ، ٤٩ ، ٦٤ ، ١١٠ ، **٣٧٤ (٣٧.** بلفاريا ٣٣٦ ، ٣٣٧ بلفاريا ، المآسى البلفارية ٣٣٦ بلفراد ۳۳۲ ، ۳۳۴

بلغاست ۲۲

771 · 777 · 777 · 777 · 777 بنسلی ۳۸ البورجوازية الراسمالية ١٩٣ بنفسال ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۱۱ ، ۷۱۱ ، ۷۷۰ بوردو ٠٤ ١١٤ بنکوك ۷۸ه بوردوین ۱۹۴۴ بنوم ــ بنه ٧٩} بورديل ٣٦٥ بنيبغ ١٦٥ بهاء الدين ٢٠٦ ، ٤٠٧ بور لویس ۵۳ بورسمید ۱۸۸ ، ۲۵ بهادوس ، احمد خان ٧٠٤ بورسل ۱۷۱ ، ۳۵۵ بهرینغ ، مضیق ۱۰۸ بوسویه ۷۷ ، ۷۹ بو ، ادغار الن ۱۵۷ بورغوس ، مدینة ۲۵ البو ، نهر ۱۸ ، ۲۷ ، ۲۲۱ بورك ٧٦ البواتو ١٩ بورکوبین ۱۹۵ بوانکاریه ، هنسري ۱۳۲ ، ۲۹۵ ، ۱۶۵ ، بورما ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٢٦ ، ٢٣٤ ، 7.0 \$77 · \$71 · \$7. · \$75 بوبل ٢٤٦ بوبوف ۱۹ه بورن ۹۳ بورن جونز ۲۵۲ بوترون } ٥٤٤ بورنو ٤٤١ ، ٢٤٤] بوتسن ١٧٤ بورنيو ١٤٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ بوتشینی ۲۵۹ بوريل ، اميل ٢٩٥ ، ١٤٥ بوتليروف ٣٣ بوزین ۲۷ بوتمكين ، الطراد ٢٠٣ بوسطن ٥٥ ، ٥ ، ١٦٢ ، ١٦٢ ، بو توسى ٣٨٤ TY8 6 770 6 777 بوجه ۱۹۸ البوسفور ١٢٤ بوجو ، الجنرال ١٣ ، ٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٥ ، بوسنانيا ١٦٩ بوسنه ۲۲۹ ، ۳۳۷ ، ۲۳۷ ، ۲۲۹ ، ۲۲۲ بودایست ۵ ، ۱۰۲ ، ۱۸۰ ، ۲۷۷ ، بوشکین ۷۱ ، ۷۲ ، ۲۶ ****** * *** * *** * ***** بوشير ۲۹۹ ، ۱۹۹ بودلي ۲۲۰ ، ۲۲۳ بوغاتشيف ١٩٤ بودمي ٣٦ بوغنفيل ٧٧٤ بودین ۱۹۷ بوغوتا ۱۸۹ ، ۳۹۷ بورا ١.٣٩ بوفالو ۱۸۱ ، ۳۲۳ ، ۲۲۷ بوربون ، آل ۲۳ ، ۲۲ بوربون في ايطاليا ٢٨ بو فوار ۷۶ بوربون ، جزيرة ٥٣ بو فون ۳۳ بوكنفهام ٥٤٧ ، ٢٤٧. بورت ارثور ۹۹۳ ، ۲۰۳ بورت بلی ۷۰} بوکوفینا ۲۷۲ ، ۳۲۹ بورتلاند ۷۷ ، ۲۸۲ بولتزمن ١٣٣ بولزتی ، آل ۲۷۱ بورتو ۳۱۹ بورتوريكو ۱۰۷ ، ۲۲۲، ، ۲۰۰ ، ۱۰۶ بول برت ۱۳۸ بورجر ، وليم ٢٤٩ بولمسان ۳۲۵ البورجوازية ١٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٥ ، ٦٨ ، بولونسو ۳۹ یولونی ۲۸ ، ۵۱

بيرانجيه ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٧٤٧ بولونیا ۸۸٬۸۲ ، ۱۰۲،۱۰۲،۱۰۲ ، بیزار ۷۵ **TEI (TT. (TYY (TTA** بیشسا ۳۴ بوليفار ۱۰۷ ، ۱۰۸ ، ۱۸۸ ، ۱۸۹ ، ۳۸۹ ، بیکار ، امیل ۲۹ه 797 · 790 · 79. بوليفيا ١٧٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ بیکاردیا ۲۳ برنے ۱۲۷ ، ۲۸۲ 777 6 770 برنیه ۱۸۱ بولینا ۱۹ البيرو ١٠٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٨٣ ، بولييه ٣٢ · ٣٩. · ٣٨٩ · ٣٨٧ · ٣٨٥ · ٣٨٤ يون ١٤٣ \$71 4 TTE 4 TTA 4 TTO بونابرت ۲۲۶ بونار ، الاميرال ٨١ بيروث ٢٦٢ بیروسکاف ۰۰ بونالد ٧٦ بونتين ، مستنقمات ٢٨ بيروفسكي ١٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ بيرون ، اللورد ٧٧ ، ٧٢ بونج ٣٤٢ بیرونو ، قیصر ۲۹ يونديشري ٥٣ بري ١٤٦ بونرو ۲۰ بونس ۱۳۳ ، ۱۷۲ بيريفو ه٥ بوینس ایرس ۲۰۱ ، ۳۸۸ ، ۳۸۸ ، ۳۸۹ ، بریه ، کازمیر ۸۴ بيغى ۲۷۳ ، ۲۰۱ ، ۲۰۰ ، ۹ ، 717 6014 6448 6444 بيكسور ٩٨ بوهل ٣٤٢ بوهم ، باروك ٥٥٣ بيكاسو ١٤٥ بوهيميا ١٨ ، ١٠٨ ، ١٦٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٧ ، ٣٢٧ بيل ١٩ ، ٢١ ، ٩٩ 077 · 777 · 777 · 770 بين النهرين ١٢٤ بينه ، الفرد ٧٣١ بويتزورغ ٢٧٦ البويرز ۱۱۸ ، ۱۲۰ ، ۲۰۹ بينو ، اشيل ٩١ پیهور ۳۳۲ بیارتز ۲۵۲ البيوريتانية ٩٩ ، ١١١ بیالنسکی ۲۵۸ البيان او النداء الشيوعي او بيان الستين بيوزي ٨٠ بيوس السابع ، البابا ٧٩ ، ١٤٩ 111 6 14 6 10 بيوس التاسع ، البابا ، ٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، البيان ، بيان الدولية الاولى ٩٥ ، ١٩٣ ، 437 6 YEA Y77 6 Y7. بيوس العاشر ، البابا ٥٥٣ بيبدى ٣٧٤ بيوناردي ٩٩ ، ١٠٠٠ بيب ل ٢٠٥ ، ٢٠٩ البيامونت ٩٣ ، ٣٢١ ، ٣٣٥ بیردی کوبرتین ۳۱ه بير بونت مورغان ٣٧٣ بيترز ، الدكتور ٢١٦ بیتر ، سجل ۱٤۲ التاجيك ٢١٤ بيترمن ١٤٧ تارتو (دوریات) ۳۲۹ بیتس ۳۲ه تاریم ، وادي ۱٤٦ ، ۸۷۶ بسير ٢٩ه تاسریم ۷۱} بیرار ، امیل ٤٧ تافت ۱۵ه بیرار ، فکتور ۷۷ه

تشاد ۱٤٥ ، ۲۶۱ ، ۲۶۱ ، ۲۶۱ ، ۱۶۱ ، { E o تشانغ سي تونغ ٩٢ تشمايكو فسكى ٢٤٤ نشرسکی ۱٤٦ تششنی ۲۹ تشميران ۲۱۸ ، ۲۹۸ تشيبيشيف }}ه تشيتها ٥٨٤ تشيخوف ٢٥٩ ، ١٩٤٤ تشبيكوسلوفاكيا ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ تشي _ كيانغ ١٨٤ تطوان ۲۲٥ التعليم في أوروبا ، مشاكله ٢٧٩ ، ٢٨٠ تفانینی ۷۶ تكساس ۱۱۰ ، ۱۱۱ ، ۲۵۹ ، ۳۹۹ تلييه ، شارل ۱۷۳ التلفراف البرقي والبري 28 ، ٥٠ تمبوكتو ٥٠٤ ، ٣٨٤ ، ١٤٤ ، ١٤٤ تنانارىف ١٥٠ تنيسون ۲۱۵ ، ۲۵۵ التنظيمات التركية ١١} تهوانتيبك ٣٩٩ توات ۲۳۸ ، ۱۶۶ توبنجن ، جامعة ٦٦ توبو ١٤٤ التوراة ١٠١ تواین ، مارك ۲۷۶ توران ۱۸۶ تورغنیف ۲۵۹ ، ۳۳۹ تورغو 1} تورينو ۸۱ ، ۱۵۲ ، ۳۲۱ توسکانا ۲۷۲ ، ۳۲۱ ، ۳۲۲ توسکجی ، جامعة ۲۵۸ تو فاليس ٧٢ توفیق باشا ۲۵ توكفيك ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، 711 توكومان ۲۸۶ ، ۲۸۵ تولستوي ۲۵۷ ، ۲۵۹ ، ۳۳۹ ، ۳٤٤

تافيلالة ٢٨٨ تاکرای ۲۵۹ تالكدار ٦٨} تامانی هول ۳۲۷ تالايو ، آل ٦١ تاناناریف ۱ه٤ ، ۲ه٤ تاهیتی ۱۵۶ ، ۵۹ تاي ، شعوب ۲۷۷ التابيتنغ ٤٨٩ ، ٤٩٠ التابيس ١٨٦ تبريز ١٦٤ ، ٢٠٠ ، ١٨٥ تتار روسیا ۸۰ تتراس ۳۲۳ ، ۳۳۱ تتری ۲۸ ۶ تراقیا ۳۳۵ ، ۳۳۷ ترانسفال ۱۹۱، ۱۹۷، ۲۱۸، ۲۱۸، 777 6 777 6 771 ترانسفال ، حرب ١٩٦ ترانسلفانيا ۲۲۹ ، ۲۷۲ ، ۳۲۹ ، ۳۳۲ ترانسليتانيا ٣٢٧ الترع الكبسرى: السويس وبناما ١٨٧ ، 1 ترکستان ۲۲۸ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، 073 6 ENO 6 ET1 6 ET. تركمانشاه (مقاطعة) ١٦٤ تركيا ، السلطنة العثمانية ١٣ ، ١٢٨ ، 6 \$14 6 \$18 6 \$11 6 \$1. 6 \$. A 0 1 6 0 1. 6 0 VY ترکیا ، تقهقرها ۳۳۳ تركيا الفتاة ، حزب ٨١٥ ترندلنبورغ ۱۳۸ تروتسنکی ۳٤۳ ، ۹۸۵ ، ۲۰۶ ، ۲۰۹ تروی ، مدینسة ۸۶ تریستا ۱۸۱ ، ۳۲۷ ، ۳۲۸ ، ۳۲۹ ترینیداد ۳۹۷ ، ۲۰۱ تزارتورسكي ١٠٣ تساليا ٣٣٣ تسوهي ، الاميراطورة ٤٩٤

ث

الثقافة: مسالتها ۱۳۱ ثمبسنن ٥٠ ثورنتون ١٥٨ ثيودوروس (النجاشي) ۲۲۱ نيودوروس ٤٤}

6 جابلوشكوف ١٧٤ حارك ، رأس ٢٣١ جاری ۵۳۹ جاکسون ٤ ٥، ١١٣ ، ٣٧٨ جاکوبی ۳۱ جامایک ۱۹۱۱، ۱۹۲۱، ۲۳۱، ۲۳۱، ۴۰۰، EYO 6 8.1 حامس ۲۲۵ حامعة اسلامية ٨٠٠ الجامعة الطورانية ٨٠٥ جان باتیست روما ۱۷۵ حان السادس ، الملك ١٠٧ جاوا ۱۲۲ ، ۱۲۶ ، ۲۲۳ ، ۲۸۸ ، ۲۷۳ ، 343 9 043 9 LAS جایمس ، ولیم ۳۷۶ جبران خلیل جبران ۸۰۰ جسون ۲۳۵ الجبل الاسود أو كراداخ ٣٣٤ ، ٣٣٥ جبل الدروز ١٢٤ جبل طارق ۱۲۱ ، ۱۲۶ ، ۲۳۱ جريکو ۷۳ ، ۳۱ه الجـزائر ١٢٠ ، ١٢١ <mark>، ١٢٨ ، ١٤٩ ،</mark> 6 \$40 6 \$. A 2 A. 8 6 444 6 444 010 (278 (27. (279 (277 الجزائر ، الحملة عليها 121 الحزائر ، مدينة ٥٠ ، ١٢٠

الجزيرة ، مؤتمر ٢٢٤

الجزيرة العرببة ١٣٤ ، ٢٥٤

جزيرة فرنسا ٥٣}

حکر ۳۸۷

جلب ۱۷۲

توماس ۱۹ ، ۱۷۱ توماس ، امبرواز ۲۶۹ توماس ، البرت ٦١١ تؤمسك م١٨ تومسن ۱۳۲ ، ۱۳۴ تونفستين ١٧٢ تونس ۲۱۹ ، ۲۲۹ ، ۲۳۵ ، ۳۲۲ ، ۲۰۹ ، 013 > 073 > 773 > 773 > 373 > FOY تونس ، الحمالاية الفرنسية عليها (١٨٨٢) تونفوز ۳۶۹ تونكين ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٧٨ ، ٨١ ، ١٨١ ، 743 > 343 > 440 > 440 تويليه ١٣٦ توينبي ١٥٥ تياري ، اوغسطين ٧٧ ، ١٠٧ تیان سن ۹۸، ۱۹۸، ۹۹، تيان سنغ ٤٩٢ تیان۔شیان ۸۸۱ تيبوم ، اقوام ١٤٠ التيبت ٢٥٥ ، ٢٨١ ، ٥٨٥ تيت ليف تيتوتشيف ٢٦٣ تيتيكاكا ٣٨٦ التيجانيون ٧٠٤ تيد بكليت ٤٤٠ تریه ۱۲ه تیریون ۱۲۵ التيرول ٣٢٩ تيزا ، كولمان ٣٣٢ تينسن ۲۰۰ تيفره ٢٤} تيسلاك ٧٩ه تيمونه ۳۷ تيمورلنك ٢٠} تين ١٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ **۲۹۹ ، ۲۹٤ ، ۲۹۲ ، ۲۹۲** ، ۲۹۹ جیراردین ، امیل ۳۰۰ جیراردین ، سان مارك ۹۳ جیسن ۷۷۰ جیش الخلاص ۲۸۳ ، ۳۷۳ ، ۳۷۳ جیفارا ۲۶۰ جیفرسون ۱۱۰ ، ۱۱۲ ، ۱۱۰ جیفونز ۲۰۸ ، ۲۵۰ جیله ، لویس ۱۱۸ جینف ۳۳۲ جیورجیا ۲۱۱ ، ۳۲۳

T

الحاج عمر السنغالي ٢٤٤ حام ، ابناء ١١٣ ، ٢١٦ حائل ۱۳ ٤ الحبل بلا دنس ، اعلان عقيدة ٢٨٣ الحشة ٢٢١ ، ٥٠٠ الحجاز ٧٠٤ ، ١٣٤ ، ٨٥٠ الحديد والفولاذ: صبناعة ١٧٠ - ١٧٢ حدس ١٥٥٠ الحديدة ١٣٤ حرب الافيون ١٢١ ، ١٨٩ حرب امیرکا واتکلترا (۱۸۱۲ – ۱۸۱٪) حرب الباسيفيكي (١٨٧٩ - ١٨٨١) ١٧٢ 41. 6 1YA الحرب الدانيماركية الالمانية (١٨٥٤) ٣١٠ حرب الباراغواي ٣٩٢ حرب الصين واليابان (١٨٩٤) ٥٠٦ حرب القرم (١٨٥٤ - ١٨٥١) ١٢ ، ١٤٠ \$10 (E.A (179 (1 Yo الحروب الاوروبية: نفقاتها ١٢٨ ، ١٢٨ الحزب الاشتراكي الديمقراطي ٢٩٢ الحسينية ، الدولة ٢٦٦ ، ٣٣٤ حضرموت ۱۳ الحفصية ، الدولة ٢٦١ ، ٣٣٤ حملانا ٥٨٤ الحنبلي ، الشرع ٧٠ }

جلكرست 171 جمال الدين الافغاني ٧٠٤ الجمعية العمالية الدولية ٢٩٢ جنتز ۵۵ ، ۷۵ جنر ۱۲ الجنرو (في اليابان) ٩٩} ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، جنوی ۱۸۲ جنيف ٨٠ ٢١٥ جواريز ٣٩١ ، ٣٩٩ حوان ، اولف ۲۵۲ حوتلاند ۲۲۷ جورج ۵۳۲ جوردان ، کمیل ۲۹ه جودانيه ١٣٨ الجودا ، جبال ٣٠٠ ، ٣١٤ جوردین ، فرانتز ۱)ه جسوریس ۲۰۰، ۲۷۴، ۳۵۵، ۲۰۱، < 11. < 1.9 < 1.8 < 1.0 < 1.7 717 6 711 جوزف فرنسوا ٢٤٥ جوزف ، ملك اسبانيا ٢٨ جوزف الثاني ١٠٣ جوزیه ماریا دی مریدیا ۲۲۰ جوغلار ۲۰۸ حول ۳۳ ، ۱۳۳ جولو ۷۲۱ جونز ، الام ٣٦٩ ، ١٩٥ جومینی ۱۲۷ جونكوبنغ ١٧٤ جوهاردن ۳۳ جوهنسبورغ ۲۷۲ جوهسو ١٠٩ جوهور ، سلطان ۲۲۶ جو فروا سانت هیلار ۳۳ ، ۳۶ ، ۱_{۳۴} جيبوتي ۲۲۹ ، ۲۶۷ جيد ، اندريه ٢٤٥ جيد ، شارل ٣٠٠٠ جے اد ۳۷ جيرار دي نرفال ۷۲ ، ۲۵۷ جــيرارد ٣٦

Ė

خان کوکند ۸۲۱ خراسان ۱٦ } الخرطسوم ١٥١ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٥٤٤ ، 733 الخجر ١٥ ١٩٤٤ خطى شريف ١٤٤ ، ١٥٤ الخليج العجمي او الفارسي ٣٢١ ١٢٠ ع ا 813 · 813 · 818 خليج عدن ٢٣١ خوجا ، محرم ١٩٤ خوجند ۲۰ خوده بخش ۷۹ه خون ، شلالات ۷۹ ا خيبر ، ممر 11} خيف ۲۲۲ ، ۲۲۸ خيوى ٢١٦ ، ٢٠٤ ، ٢١١

۵

دادان ۱۲۲ <u>دأرسي ، وليم ١٩٥</u> دُارِ قور ۱۵۱ ، ۲۲۹ ، ۵۱۶ دار لنفتن }} دارغوسكي ٢٤٤ دارون ، شارل ۱۳۶ ، ۱۳۵ ، ۲۱۳ ، ۲۱۳ داریو ، روین ۵۳۲ دارسا ۱۲۲ داغر ، المصور ٩٨ ٪ دافيد ، الغنان ٧١ دافسین ۱۳۲ داکها ۱۲۲۶ داكوتسا ١٦٥ دالتن ۳۲ دالماتيا ٣٣٢ دالوزی ۱۸۲ دالای لاما ه۸۶ دان ۱۰۵ دانتان ، الابن ٧٤ · دانتزیغ ۱۸۱ الدانمارك ٨٦ ،١١٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، أ

• TIT • TII • TI. • T.. • TYY **41. 4 464 4 448** الدانوب ۲۹ ، ۲۲ ، ۱۸۱ ، ۱۸۳ ، ۲۰ · TTT · TT3 · TTY · TT3 · TTT 377 \$ 777 دانونزيو ۲۲۳ دانیال ۳۲ داهومي ٣٨٣ ، ٣٤٤ ، ٥٤٤ داوسون ۱۹۵ داى الجزائر ٢٦٤ ، ٢٧٤ دای ، بنجمین ۹۹ دايفي ۳۳ ، ۳۴ دباس ، جو فروا ٥٠ دیلین ۲۲ ديره ، مارسيسل ١٧٥ دراس } ٥٤٤ الدراويش: امبراطوريتهم ٥٤٤ درایتن مانور ۲۱ درایزر ۲۷۴ درایفسوس ، لویس ۲۰۱ ، ۲٤۷ ، ۳۰۶ ، 7.867.1 درايك ، الكولونيل ١٧٤ دربی ۲۷۸ درتسدن ۲۲ ، ۲۲ درحام ، لورد ۲۱ درولسن ١٥٥ دزرائیلی ۹۲ ، ۲۹۰ ، ۳۱۳ ، ۳۱۵ دستولفسكي ١٤٤ دسبو ، کلود ۹۰ دسمو ، اغاش ۲۹ دكاره ٤٤ دکسن ، ادوارد ۲۷۵ الدكن ٢٦٦ دل ٥٠ دلماتيا ۲۲۹، ۲۲۹ دلهي الجديدة م٢١ ، ٢٦٦ دليكور ٧١ دملدم ، رصاص : تحريمنه في مسؤتمبر بطرسبرج عام (۱۸٦۸) ، ٣٠٦ دمشتق ٥٠٤ دندی ، فنسین ۳۵ ا

دونستزیف ، بوبیا ۳۴۱ دونغ ــ خانه ۸۱} دونویسه ۱۴ دیاز ، بورفیریو ۳۹۹ دىاغوسو ، سواريز ٥١ } دي برانت ، الاب ۲۲۲ دي بوسي دي لــوم ١٨٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، 770 6 077 ديبون دي نمورس ۲۲۷ ، ۳٦٦ ديبوي دي لوم ۱۲۸ ديترويت ٣٦٣ ديجون ۱۸ ديدرو ۳ ۳، ۲۵۷ دىدود ، دار نشر ۲۸ دی روشا ۱۴ه ديرين ۲۸ه دي سانتكتس ، فرنسيسكو ١٥٥ دى دی شافان ، بوفی ۳۸ ه دينا ٣١ه ديغاس ٢٦١ دي فرير }}ه دي فوكو ، الاب شارل ١٤٩ ديفونشير ، قصر دوق ۲۱ دیکار ۲۷۸ دیکاز فیل ۲۹۰ دیکرولی ۳۱ دیکسن ۲ ۲ ، ۵۶ دیکنز ۲۵ ، ۲۹ ، ۲۵۲ ديكلو ، اميل. ١٣٧ دى لاتور ، المركيز ٢٩٦ ديلاكروا ۷۲ ، ۲۷ دي لافال ۱۷ه دي ليل ، لوكونت ٩٦ دی مستر ، جوزف ۷٦ ديلك ، شارلز ٢١٥ ، ٢٥٠ ديمان ١٢٣ دى مون ، الكونت ٢٩٦ ، ٢٩٧ دىنار ۲۶ه ديتوفييه ٢٩٦ دیوای ، جون ۳۰ه ديوك ٣٦٦

دنی ، سوریس ۲۲۸ دوبرودجيه ٣٣٦ دویلکس ۲۲۳ دوبوسی ۲۹۲ ، ۲۹۳ دوبین ، ادوارز ۷۲ دوتاك ٥٩ دوجاردن ، امیل ۷۹ دودار دی لاغریه ۲۲۳ دودج ۱۸۱ دوديه ، القونس ٢٥٩ دور ۲۵۲ دورستد ۳۲ دورهام ۱۱۹ ، ۲۵۴ دوریان ، آل ۱۱ دوریان ۱۲۸ دورنیل ، ریمون ۱۹۲ دوریات (اوتارتو) ۳۲۹ دوستویفسکی ۲۱۵ ، ۲۵۹ دوشان ۳۳۶ دوفر ۱۹۱ دو فرییه ۵۹ دکستوی ۲٤٥ الدولة الوالمدية والتشريع الاجتماعي 111 6 110 دولنجر ۲۸۶ دولوند ۳۲ اللولية الاولى 10 ، 181 ، 191 - ٢٩٢ الدولية الثانية: تأليفها ٢٩٢ الدولية الثالثة 297 دنیابر ، نهر ۲۳ دوماس ، اسكندر ٥٩ ، ٧٥ ، ٢٥٠ دورکهایم ۳۰۰ دوماس الابن ۲۵۸ الدوما ١٨٥ دومال ، دوق ۲۵۲ دومر ۸۲ ، ۷۷۵ دومسنسيل ٣٠٢ الدون ، نهر ۳۶ ، ۲۰۶ دون بدرو ۱۳ ، ۱۰۷ ، ۳۹۱ دون کارلوس نوبل سبیلاس ٤٠١ دونتز ۳٤۲ ، ۱۱۵

رمغورد ۳۸ رابندرانات طاغور ۷۷۷ رمنفتون ۱۲۷ راتسبون ، آل ۷۹ راتنو ، امیل ۲۰۱ راس الرجاء الصالح ٥٢ الرأس، مدينة ۲۰۸ • ۲۱۷ ، ۲۱۸ • ۲۲۲ -TA. + TO1 + TO7 + TO1 روبسبير 19 راسكولنيك ٢٢٨ راسين ۲۲۲ رافائیل ۳۲۵ رافليز ١٨٢ روبيه ۲۵۰ رافیل ، موریس ۳۴ه رافييهٔ ۷۵ رالف نيكلباس ١٥ راما کرشنا ۷۰ رامبسو ۲۲۲ رامسو ۷۰ روتیل ۳۴ ه رانفون ٧١} VE JOD رانف ور ۲۳ رايسو ۲۹۰ رات ۱۷۴ رايت : الاخوان ٥٢٥ راىفيزن ٣٠٠ رياح ، الملك ١٥١ الريع الخالي ١٣٤ رينتام ١١٧ رتےز ۳۳ الرجل المريض (تركيا) ١٣١٤ ، ١٥٤ روستي ۲۵۲ روسکین ۱۸٤ رجتيرن ٣٤٢ روسلیه ۳۸ ردبرتوس ۲۹٦ رداما ، ملك مدغشكر ١١٥ 187 روس رسکن ۲۵۲ ، ۲۵۹ ، ۲۹۳ رشت ۱٦} رشموند ۱۲۸ رشيد باشا ١٤} الرق والنخاسة: محاربتهما 101 4 101 * 707 : 777 : 777 : 707 : الرق الغاؤه ١١٤ ـــ ١١٦ * TT1 : TTT : T18 : T70 : T7T رکلو ۱۱۲۷ ، ۲۰۱ 4 TEI 4 TT3 4 TTA 4 TTV 4 TT0 رمبرانت ۵۳۹ : TOY . TET . TEO . TEE . TEY الرمزية في الشعر ٢٦٣ - ٢٦٤

رمسکی ۱۹۴۶ رئسن المدينة وا الرهبئة اليسوعية: اعادتها ٧٩ روان ، مدینة ۸۸ ، ۸۹ ، ۹۱ روبرت ؛ لویس ۳۸ روبرتس ۱۷۵ ۲۲۱ ۲۲۱ روبشتاین } ۲ روبير العفريت روتردام ۲۲ ، ۸۲ روتشيلد ، آل ٥٥ ، ٥٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، 717 4 8. 4 4 4 4 4 7 7 7 7 7 1 7 روتشيلد ارتهام ٢٦} الف فدان مصر ٢٢} روتشيلد جيمس ٧٤ الروح العلمية: نموها ١٣١ ــ ١٣٢ رود ایلاند ۱۱۱ ، ۳۲۲ رودولف ؛ جبال ۳۳۷ روذر نورد ۲۹ه رودس - سیسل ۲۰۸ رودیسیا ۲۱۸ رودریفس ، اولند ۹۵ روزاس ۲۸۲ ، ۳۹۱ ، ۳۹۳ روز فلت ، تیودور ۱۳۰ ، ۲۱۱ دوسو ۳۳ ، ۷۱ ، ۸۸۳ ، ۳۰ ه روسيا ۲۰ ، ۲۹ ، ۲۹ ، ۲۹ ، ۲۹ ، ۶۵ ، ۵۵ ، + 1 · 1 · 1 · · · AT · AY · TA 6 141 6 108 6 170 6 171 6 17.

الريخ الالماني وتطوراته ٣٢٨ ــ ٣٢٤ 4.3) 113) P13) YA3) AA3) ريزنونفيل (معركة) ١٢٩ 4 018 4 011 4 0.7 4 87X 6 874 ریشتونن ۱٤٦ 010) 710) 770) 770) 770 ريفا ، مدينة ٢٩ ، ٣٢٩ 6 011 6 017 6 010 6 0A1 6 0A. ريفا دافيا ٣٩٣ 71167.. ريفون ، اللورد ۲۲۲ روسيا وعهدها الاستبدادي ٣٣٨ - ٣٤٦ الرين ۳۱۹ ، ۳۲۰ روسینی ۲٤۹ ریکاردو ۲۱ ، ۱۸ روشدایل ۲۵ ریکامیری ۲۸۹ روشید رینان ۲۹۹ ریمان ۳۲ روشیسه ۲۱۵ الرين ، نهر ١٧ - ٢٦ ، ٢٢ ، ٤٧ ، ١٨٣ ، روکفلر ۱۲۷ ، ۲۰۱ ، ۲۱۷ ، ۳۹۵ ، ۳۹۸ 710 6 TIT 377 6 478 رین ، مدینة . } رولف ۱٤٥ رينان ۱۳۹ ، ۱٤۰ ، ۲۸۸ ، ۲۲۰ ، ۳۶۰ رولان ، اغنية ٧٧ ربنائیسا ۸۷، ۹۲، ۹۷، ۱۸۳، ۱۸۳، ۱۲۲، رولین ، بولین ۳۰٤ 377 رولان رومانا ۲۵۵ رینهارت ۳۳ه رولانه جل ١١ رينوفييه ١٤١ رولین ۱۳۷ رينوار ۲۲۱ Leal 35 946 4. 19.19.19 الريو ١٠٧ ، ٢٧٦ ، ٣٨٥ ، ٥٨٦ ، ١٩٦ ، 141 , 414 , 444 , 664 , 343 717 رومان رولان ۵۳۳ ريوغرانده ده سول ۳۹۲ رومانوف ، آل ۲۷٦ ريودي جانيرو ١٣٥ رومسانی ۲۸ ريو دي لابلاتا ١٣٥ رومانیا ۳۲۸ ، ۳۳۲ ، ۳۲۸ ، ۳۳۸ ريومور ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٢٥ رومر ۱۷٤ ريونيون ، جزيرة ٥٣ روملی او رومی ۳۳۳ الروملي الشرقية ٣٣٦ الرومنطيقية ٧٠ ـ ٧٨ 3 الرومنطيقية الاجتماعية 10 - 17 الرومنطيقية والقوميات ٨٦ - ٨٦ -زبلين ، المنطاد ١٢٥ ، ١١٣ الرون ، نهر ٢٤ الزراعة في أوروبا ١٨ ـ ٢١ الزردشتية ٨٢ ، ١٧٤ رونج ۱۷۳ الروهر ٣٥ ، ٢٠٠ ، ١٦٩ ، ٧٤٧ ، ٢٨٩ ، زغرب ۳۳۲ ، ۳۳۳ 7. 4 6 7. 4 6 000 6 04 . 6 49 . زفایغ ، ستیفن ۲۵۵ رويتر ، البارون جوليسوس ٨٥ ، ٢٠٦ ، زمبيز ۲۱۷ ، ۱۹۸ ، ۵۰ 113 الزمندار ۱۲۸ رویستر ۶۹ زنجيار ١٥١ ، ٥٠٥ ، ٣٨٤ ، ٧٤٤ ، ٨٤٤، دوو ۱۳۸ 133 ديبو ١٤١ ، ١٢ه ، ٢٤٥ الزُّنوج : وضعهم في الولايسات المتحسدة -ريبون ، اللورد ٤٦٩ الاميركية ٧٥٧ ريتز کارل ۱٤٧ ، ۲۰۹ زویے ۹۴

السامية ٣٢٨ السمان ، نهر ٥٠ سان بريفا (معركة) ١٢٩ سانتا آنیا ۳۹۹ سانت انجلبرت ٣٥ سانت اليين ٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٦٦ سانت بوف ۲۵، ۷۵، ۲۵۰ سانتوس ــ ريمون ٢٥٥ سانتيليا ١٣٣ ، ١٤٥ سانت کلیردفیل ۱۷۲ سانتياغو ٢٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٩٥ سانجر ۱۳۹ سان جرمین ۲۶ سان جوست ۹۹ سان مارتن ۱۰۸ ، ۳۹۰ ، ۳۹۳ سائت ماریا ۲۲۹ سان دومنغ ۲۲۲ سان دومنیك ۱۵۱ ، ۱۰۱ سان ديزييه ٦٧ سان سايفس ٢٥٩ سان سلفادور ۳۷۱ ، ۲۹۸ سان سیمون ، سان سیمونیون ۲۷ ، ۲۵۷ 6 17X 6 174 6 17 6 17 6 10 6 097 6 0 10 6 878 6 7.0 6 194 7.7 سان غوتار ۳۹ ، ۳۲۲ سان فرنسيسكو ۱۹۱ ، ۳۹۷ سان کلو ۲۴ سان لوران ۲۵۱ سان لویس ۱۱۰ سان باولو ۱۹۳ ، ۲۸۳ <mark>، ۲۸۵ ، ۲</mark>۸۳ ، 771 الساون ، نهر ۲۶ سای ، جان باتیست ۱۶ سابغون ۱۸۲ سيا ، مملكة ١٤٤ سيتا ٢٢٥ ستزبرغ ٢٢٥ سيتلز ٢٦٣

نورن ٣٦٥ نوريخ ٩٦٠ الزولو ١٦٨ ، ٢٢١ ، ٨٤٤ زولا ٢٤٧ ، ٨٤٧ ، ٨٥٧ ، ٤٧٧ زونغاريا ٢٨٤ ، ٧٨٤ الزويزرده ٢٤ زيلانده الجديدة ١١٨ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ٢٣١ ، ٣٧٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٧٣ ،

ساتسوما ٥٠٦ ساتی ۲۵۰ سافالين ١٢١ ، ٤٩٨ سادوفا اوسادوا ۱۲۲ ، ۳۲۷ سادي کرنو ۱۳ السار ۲۹۰ ساراسافاتي ، البنديت ٢٠٠ ساراواك ٧١٤ ساراکونی ۲۲۶ سارینتو ۳۸۸ ، ۳۹۳ ، ۳۹۶ ساسكاتشوان ٢٥٠ ساغا ۷۷ الساف ، نهر ٣٣٤ السافاناه (سفينة) ٥٠ سافوا ، اسرة ۱۲۲ ، ۱۸۲ سافوی ۲۷۸ سافینی ۲۹۲ ، ۲۹۳ ساکس ۲۱، ۲۸۹ ، ۲۲۰ ، ۲۸۹ ، ۳۲۳ ، 377 > 177 ساکس ـ کوبورغ ، آل ۳۱۲ ، ۳۳۷ سالفادور ۲۸۲ سالوما ٤٩٩ ، ١٠٥ سالونيك ٣٣٧ سامیا ۷۶۶ سامرین ، ۱۲ ۲۹ ساموا ۲۲۶ ، ۵۵۶ ساموري ۲۱۱ ساموری تودی ۲۶۶

سبنسر ، هربسوت ۱۳۵ ، ۱۶۰ ، ۱۹۱ ،

448 6 4.0

سكندينافيا ، ازدهارها ٣١٠ ـ٣١٢ سكوت ٧٧ ، ١٤٧ سلوطرة ٢٣١ سلسيرى ۲۷۸ سلتيكوف تشيدرين ٣٣٩ سلفردح ۲۰۱ ، ۲۰۹ سلفيو باليكو ٧٨ السلطان الاحمر ٨٠٥ السلوفاك ٢٦٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ السلوفين ٣٢٩ ، ٣٣٢ سليم الثاني ، السلطان ١١٤ سليمان ، جزر ٥٥٤ manuer 177 سمت ، آدم ۲۱ ، ۲۸۲ سمیث ، غودرین ۲۱۶ سميرتشيه ٢٠٤ سمرقند ۲۰ ۱ ۲۲۶ سميرتشنسك ۲۲۸ سن ۷۷ه السند ١٦٥ ، ٢٦٦ سنشناتی ، مدینة ٦٤ سندريم ٢١٥ سنفافوره ۱۲۱ ، ۱۸۸ ، ۵۰۶ ، ۸۶۶ ، **EVX : EVY : EV.** السنفال ۱۲۹ ، ۲۲ ، ۲۲۳ ، ۲۲۳ ، ۱۲۹ ، 886 6 887 6 881 6 88. 6 87A السنفمبيا اعع سنكلر ، ابتن ٣٦٩ ، ٩٨٥ السنوسيون ٠٠٤ ، ٨٠٤ ، ٨٥٠ سنیس ، نفق ۱۷۹ سنوي ، کورس ۱۹۷ سو ، اوجین ٥٩ سو _ تشبيو ٩١} السواحيليون ١١٤ سوتير ۲۸۷ السودان ١٥١ ، ٢٢١ ، ٣٠٤ ، ٢٧٤ ، AT3 3 .33.3 [33 3 733 3 T33 3 السودان الانكليزي المصرى ٢٤٦ سودباهن ، نفق ۱۸۱

سيرانغ ٦١ ستال ، مدام دی ۳۷۸ ستاندال ۲۳ ، ۲۰ ، ۷۲ ، ۷۰ ، ۲۰۸ ستانسلافسكى ٣٪٥ ستانلی ۱۵۰ ، ۲۲۲ ، ۴۶۹ ، ۴۶۹ ستانهوب ، اللورد ۳۸ ستانير ، لند ١٢٥ ستاهل ۷۹ ستراسبورج ٠٤ ، ٢٤ ، ٢٥١ سترانتسكي ٥٣٥ ، ١٥٥ ستراندبرغ ۲۵۹ ، ٥٠٤ ستروف ۱۳۱ ستنسن ۲۰۰ ستوكهولم ۳۱۲،۳۱۱ ستوكتن }} ستولبرغ ٧٩ ستوليين ١٠٨ ستوین ۱۹۰۰ ستيد ، وكهام ٦١٢ ستيفنسن ٣٤ ، ١٤٢ ، ٥٥ ، ١٤٢ ، ٢٠٢ ستيورت مل ١٤ ، ٢٢ ستيوارت ، جون ٣٠٤ سنحسنار ۷۲ سولفسكي ٨١ سدنی ، خلیج ۱۲۵ سردينيا ١٩١ ، ٢٥٦ . سسيل ، رودس ١٩٦ ، ١٢٧ سعيد باشا ، الخديوي ١٨٨ ، ٢٠٦ ، 273 3 073 السفن الشراعية : ازدهارها ٢٩ ــ ٥٢ السفنكس ٥٠ سكان العالم : نموهم ١٥٤ – ١٥٦ السكر والشمندر المنافسة بينهما ١٦٤ سكرامنتو ١٩٤ سکریایین ۳۰ه سکریب ۸۸۲، ۲۵۰ ، ۲۹۲ سكريتان ٥٥٧ سكستوبول ٣٣٩ سكسفون ٧٥ سكة الحديد : ظهورها ٢٣ ــ ٥٦ سكندنافيسا ١٢ / ١٦ / ١٠٨ / ١٦١ /

سى ــ تشوان ٨٤٤ ، ٨٥٤ ۰ سودرمان ، ۲ل ۳۲۴ سيد خان ٤٠٧ ، ٢٠٠ سودی ۲۹ه سيدان ، مدينة ۲۷ ، ۱۲۹ سودا ۲۱ه سودانغ ۲۸۹ ، ۲۰۱ ، ۲۰۰ سیدنی ۲۰۱ ، ۳۹۰ ، ۳۹۳ سوريل ١٣٩ ، ٥٥٥ سیدی محمد بن علی بن سنوسی ۴۰۸ سوريا ٣٣٧ ، ٨٠٤ ، ١١٤ ، ١١٤ ، ٢٥٤ سيراجيفو ٦١٣ سیرت ، خلیج ۵۸۰ سورینام ۱۲۱ ، ۲۹۱ سير داريا ۲۰٪ سوفاج ۱ه سيريوس ، السمينة . ه سوكوتو ٢٤٤ سیزان ۸۳۸ سوار ، اویس ۷۳ ، ۳۰۰ سوليفاث ، لويس ١١٥ سیزلی ۲۲۱ سيسليتانيا ٣٣١ سولينا ، مجاز ١٨٣ . سيسموندي ١٤ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٢٠٨ سولت سانت ماري ۱۷۱ سيغفريد ، اندريه ٢٦٢ ، ٣٧٢ سولفای ۱۷۳ السيكلاد ، جزر ٣٣٣ **سولوني ۱۹** سي-كيانغ ٨٦ سولييه ٦٦ سيليب ٢٢٦ سوماییه ، مثقب ۱۹۹ سیلی ۲۱۵ سومبار ۳۷۱ سيليبس ٢٧٦ سومرست ۲۷۶ سیلان ۱۲۷ ، ۲۲۱ ، ۱۲۱ سومطرا ٧٢٤ ، ٢٧٤ ، ٧٥٥ سيليزيا ۳۵ ، ۶۷ ، ۸۷ ، ۲۸۹ ، ۲۹۲ ، سونورا ۳۹۹ 377 > 177 me e e o s سیمانس ، فریدریك ۱۳۱ ، ۱۲۹ ، ۱۷۱ السويسة أو أسوج ٨٦ ، ١٧١ ، ٢٦٧ ، 1.1 077 4 411 4 41. 4 4. 4 440 سيموتوساكي ٩٩٤ السبويس ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٧ ، سيمور ٢٢١ 777 > 117 > 073 سيمون ، نهر ٧٧٤ السويس ، قنساة ١٢٦ ، ١٤٣ ، ٣١٨ ، السين ، نهر ٧١ 804 سينوب ، مدينة ١١٦ سويسرا ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٨٠ ، ١٨ ، ٨٤ سينياك ٢٨٥ · 109 · 107 · 194 · 141 · 97 السينودوس المقدس الروسي ٣٤١ سيوا ، واحة ٢٥٤ سيوارد ١٩٥ N10 > 730 > 310 سيول ٨٨٤ سيارا مورينا ٢٦٨ سييس ، الاب ٩٥ سيام ١٦٢ ، ٢٢٤ ، ٧٧٤ ، ٨٧٤ ، ٨٨ سييراليون ٢٣١ ، ٢٩٩ ، ٥٤٤ سيبستوبول ١٢٨ ، ١٢٨ سبيل ١٣٩ ش سیبویا ۱۰۸ ، ۱۹۲ ، ۱۸۲ ، ۲۲۰ شابریه ۲۹۱ 017 (644) 640 (646 شابونیکس ۲۵۲ سیت ، ۱۵

شابلین ۲۹ شاتليه ۲۵۰ شاتوبریان ۳۱ ، ۷۷ ، ۹۹ شارتر ۲۶ شاردونیه ۲۱ه شارل العاشر ، الملك ٣٤ ، ٧٨ شارل الخامس عشر ٣١٢ شارل البير ٧٢ شارل دی فوکو ۲۳۹ شارلروا ۲۶ شارلستن ٥٤ شارم ، غيريل ١٣٤ ، ٨٠٠ شاری فاری (جریدة) ۲۰ شانسسی ۱۸۶ الشاطىء الذهبي ١٦٣ ، ٢٤٤ ، ٥٤٤ شاطىء العاج ٢٤٤ شاطىء العبيد ٢٤٦ شاعال ٣٢٦ شافان ، بوفیس دی ۲۵۹ شافنز ۲۵ه شاكلنسن ١٤٧ شاکو ۲۸۹ ، ۲۹۳ شالنجر ١٤٣ شالون ۱۸ شان ـ تونغ ٨٨٤ شتابن ۷۷ شتراوس ۱٤٠ ، ۲۵ ه شترن ۹٦ الشراكسة ١٠٤، ١١٤، ٢٠٠ شرمان ۹۳ ه شتوغارت ۲۱۰ شربودغ ۱۸۲ الشرق الادني ١٢١ ، ٢٢٨ ، ٣٣٨ الشرق الاوسيط ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، 377 الشرق الاقصى ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، (101 · 107 · 103 · 103 · 104 414 . AEL . EJA شركات التأمين ١٩٧ ــ ١٩٩ شركة خليج هدسون ١٠٩ شروان ۲۰}

شغرویل ۳۳ ، ۳۸ شغیلد ام ۱۷۰ شکسیر ۷۷،۷۱ شكسبير ، ترجمته الى اليابانية ٥٠٣ شلسويغ هولشتاين ٨٦ ، ٣١١ شاوسنغ ۱۷۳ شومرجيه ٢٠١ شليدن ٣٤ شليغل ٧٦ ، ٧٦ ، ٧٩ شميرلن ١٣٧ ، ٢٤٦ ، ٩٩٥ شميليون ، الابن ١٣ الشمس الشارقة ٩٥٤ شمولر ۱۶۰ ۲۹۲ شندرناغور ٢٢٩ شنسا ، جزر ۱۷۲ شنفای ۱۲۸ ، ۹۲۲ ، ۱۳۹ ، ۱۳۹ شنیتزر ۲۱) شنيدر ۲۱ ، ۱۲۷ ، ۲۰۱ ، ۲۹۰ شو ، برنارد ۲۳ه شوان ۲۴ شوان ۳٤ شوبان ۷۲ ، ۷۲ ، ۸۸ ، ۸۵۲ شویرت ۷۲ ، ۲۵۷ شوینهور ۲۲۰ ، ۲۲۲ شودين ۱۳۷ شوشار ۲۰۱ الشوغون: انهيار سلطته في اليابان ٩٧} شولشر ۱۱۲ ، ۵۰۰ شومان ۷۲ ، ۷۲ ، ۷۵۲ شونبرغ ، ارتولد ٥٣٥ شيدمان ٥٠٥ شيراز ۱۵ شيراغان ، قصر ٢٠٤ الشيع الدينية في الولايات المنحدة الاميركية 77 شيفاليم ، ميشسال ٢٤ ، ٧٧ ، ١٣٠ ، 710 6 414 شیفالیه ، موریس ۱۲۰ ، ۱۲۰ شيكاغو ٢٠ ٢٠١٤ ٢٠١٠ ، ٢٠٥٠ 277 > 130

طاغور ، رابندرانات ٧٠ طربزون ۱۲۶ طر ابلس · OA. (\$8. (\$70 ()7. 717 6 011 طشقند ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۱ ا طليطلة ٥٦ طنحة ٢٢٥ ، ٢٣٦ طهران ۱۲ ٪ ، ۸۰ الطوارق ٤٠} طوران ۱٦ } طوروس ۱۲ 210 > 440 طولون ، مدنة ٨} طوم بوش ۲۰۶ طوم ، جوزف ۲۰۱ طومسون ، ویفل ۱۶۳ طومسون ، وليم ١٩١ ، ٣٦٦ ، ٢٩٥

ع

عازوری ، نجیب ۸۸۰ العالم الانكلوسكسوني ٣٥٠ _ ٣٥٢ عباس افندی ۱۰۷ عباس ۲۵ عبدالحميد السلطان ١٨٠ ، ١٨١ ، ٥٠٤ ، 7.3 3 013 3 .No 3 140 عبدالحميد ، منحه الدستور والقانون الاساسى ١٥٤ عبدالرحمن الأمير 19} عبد العزيز ٤٠٦ / ١٥٤ عبد القادر ٤٠٧ ، ٢٢٨ عبد المجيد ١١٤ عبده ، محمد ٧٠٤ عدن ١٨٤ ، ٢١٩ ، ٢١٩ ، ١٨٤ على عدوة ٧٤٤ عرابی باشا ۱۲۱ ، ۸۲۵ عسير ١٣٤ عصبة الوطن العربي ٨٠٠ شيكاغو ، وفتنة اول ايار (١٨٨٦) ، ٢٩٣ ، الشيلي ٢٧ ، ٢٠١ ، ١٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٨٠ ، الشيلي ٢٨٠ ، ٢٨٠ ، ١٥٣ ، ١٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩٠ شيو ـ شيو ـ شيو ـ شيو ـ شيو ـ ٢٩٩ شيمودا ٩٨٤

ص

صامویاد ۳٤٩ صائلہ ، جورج ٥٩ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ٣٠٤ المحافة الرخيصة ٥٨ ـ ٥٩ الصحراء الكبرى الاسلامية ٣٨ - . } } المحراء ٤٠٤ العرب . صربيسا ۲۲۸ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳ ، 777 : 677 : 777 : 778 صفديان ٢٠ الصقالية ٢٣٢ صقلية ٢٢١ ،٣٩ ٣٢٢ الصليب الاحمر الدولي (١٨٦٠) ٣٠٦ صنعاء ١٤٤ ، ١١٤ صهيون الحديدة ١٠٩ صومطرة ١٢١ الصين ٥١ / ٢١ / ١٤٦ / ١٤٩ / ١٤٩) 4 TOY 4 TT 1 4 TT 4 171 4 177 4 {YX 4 {71 4 {7. 4 {01 4 {06 6 EY3 . VY3 . EY3 . EX3 . EX3 . (017 (011 (0.7 (894 (898 717 ' 0YA ' 0YY ' 010 الصين ، تجزئتها ٩٣]

ض

الضمان الاجتماعي الالسزامي: اول مسن. قررته المانيا ۲۹۷

غرایف ، جان ۹۸۸ ، ۲۰۱ غرناطه ٦٥ غرناطة الجديدة ١٠٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٧ غروف ۱۷۴ غرونر ۱۷۱ غرونتخ ۲۷۱ غريسج ۲۱۲ غريفوريوس الرابع عشر ٧٩ غريفوبلز ٩٨ ٥ غريلبرش ٧٣ غریلی ۱٤٦ غر بنلند ۱٤٦ ، ۱٤٧ ، ۲۲٥ ، ۲۲۹ غرينوبل ٦٧ 47.7 47.1 4799 479X 479. June 1.1 غسكونيا ٢٦٧ غلادستون ۲۱۶ ، ۲۱۵ ، ۲۳۱ ، ۲۹۳ ، غلازونوف } ٣ غلاسكو ٦٤ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٩٩ غلوستر ۱۷۱ غليوم الأول ٧٤ غليوم الثاني ۲۸۰ ، ۲۹۷ ، ۳۲۵ ، ۲۰۶ ، 717 6 711 غميتا ۱۲۷ ، ۲۷۸ ، ۱۲۷ غمر غمبيا ٢٤٦ غنت ۳۱ ، ۹۳ ، ۲۱۰ غينيا ٢٢٥ غينيا الجديدة ٢٣٤ غسوا ١٥٠ ، ٢٢٠ غواتيمالا ١٦٢ ، ٣٩٨ غوادلوب ... الغوانو ١٩ ، ٢٦٨ غوایانا ۲۳۱ ، . . ؟ غواما كيل ٣٩٦ غويسك ٥٤ غوبينو ۱٤٧ ، ۲۱۵ غوتا ، مؤتمر ۲۹۲ غوتار ، نفق ، ۱۸۰ غوتنبرغ ٣٨ غوتيــه ۲۱ ، ۲۲ ، ۲۲ ، ۲۷ ، ۷۷ ، ۸۷ ، ۱۸

عصمة البابا ٢٨٣ عفرة ، قبيلة ٢١٦ ، ١٣٤ العمال: تنظيمهم واضطراباتهم ٩١ – ٩٣ العمالية ، الحركة ٨٣ – ٩٥ عمرو بن العاص ٢٣٤ عمر ، الشيخ ١٤٤ العمل ، حريته ٩٣ – ٩٥

غ

الغابون ٢٢٥ غانييه ، الاب ١٤٦ الغارف ٣١٩ غارسيا ــ مورينو ٣٩٦ غاروی ۳۲۵ غاريبالدي ٣٨٨ غاریسون ۱۱۲ غارنىيە ٥٤٥ غاستون ، جوزف ۲۱۹ غال الجديدة ١١٧ غالتزين ، آل ٢٩ غالدوس ، بیرس ۲۵۷ غالوا ، يفرسب ٣٢ ، ٣٢ ، ١٣٢ ، ٢٩٥ ، غالاطا ١١١ غالیانی ۲۲۰ ، ۲۲۱ ، ۱۶۶ ، ۲۵۲ غاليليو ٣٠٥ غالیسیا ۲۸ ، ۲۲۸ ، ۲۲۸ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ فالیسیا ۱۸ 097 6 441 6 44. غامييا ٢٣١ غاميا ١٣٧

غامبيسا ۱۳۷ غامت ۲۲۲ ، ۲۲۲ الفانج ۲۲۱ ، ۲۲۶ ، ۲۲۶ ، ۷۰۰ ، ۵۰۰ ، ۵۰۰ غاندي ۷۹۵ ، ۲۱۹ غاوو ۶۶۰ غاو ۱۳۵ غراف ۱۳۸ غراف ۱۲۱ ، ۲۱۵ غراند فولز ۱۲۱ غراندیه ، الاب ۶۵ غرای ، جورج ۳۵۲ ...

فابول ۱۷} الفابية او الفابيانية (الجمعية) ٢٩٠ ، 110 6 117 الفاتيكان ، مجمع ٢٨٣ فاخان ، منطقة ١٩ ٤ فارس ، بلاد ۲۰۱ ، ۲۰۷ ، ۱۱۰ ، ۱۱۲ ، \$19 (EIV (Elo فارس في عهد سلالة الخجر ١٥ - ١٦٦ فارنا ١٩١ فاس ه. ٤ ، ٢٣٤ فاسکونسلاس ، برنارد ۲۸۸ فاغاكونا ١٩٧ فاغنر ۱۳۵ ، ۳۳۵ فاغسه ۱۰۸ الفالانج ٣٣٧ فالبريزو ٣٩٥ فالد . مفاطعة ١١٨ فالجان ، جان ٢٠٤ فالفولفا 3} فالنس ١٦٣ مالنسيا ٢٨ فسالو ٢٥٩ مالیری ۲۲۰ ، ۱۱۹ فاليس ، جول ٢٠٠ فانتوراه ، الاب ٥٠٥ فان تيمم ١٣٧ فاندر بلت ، حامعة ١٥٤ ، ٣٦٥ ناندرنیلد ۱۱ه ۲۱ه ۵ ۲۱ م فاندى ٢٨ فان دن بوس ٧٤ - ٧٥٤ فانستارت ۲۹۹ فان غوغ ۲۲۵ ، ۳۸۸ مانكو فسير ١٨١ الفانيان ، حزب ٢١٠ فتح على ١٦٤ الفحامين، جمعية ٦٨١ ، ١٠١ ، ١٠١ ، ٣٣٩ الفحامين ، انتشارها ١.١ الفحم الحجرى: سيطرته ١٦٨ ـ ١٧٠ نخت ۷۸، ۸۵، ۲۸،

غوتبيه تيونيل ٣٩ ، ٦٥ ، ١٨٩ ، ٢٥٠ ، 710 4 77. 4 707 4 704 غوجرات ٧٣} غود برنسوال ٣١١ غودون ۱٤ غودونوف ، موریس ۲۹۱ غودوین ۱۵ ، ۲۹۹ غودير ٥٢١ غوردونباشا ۱ ۱۵ ، ۲۱۸ ، ۲۲۰ ، ۲۹ ، ۱ غوردون بنیت ۵۹ ۲۰۹۴ غوركي ٢٤٤ غورمون ، ريمون دي ٥٣٦ غوزلان ، ليون ٧٢ غوندار ٢٤٤ غوشيسه ٣٢ غوغسان ٥٣٦ ، ٨٣٥ غوغول ۲۲۲ ، ۸۵۲ ، ۳۳۹ ، ۶۶۳ غوغين ٥٦ } غولخانه ، دستور ۱۱۶ غولد ٢٦٥ ، ٢٧١ غرولار ۱۷ه غونالف ، شلالات ۲ } غونکور ۲۵۹ ، ۲۹۰ غونو ۲٤٩ غویا ۲۹ غوياز ۲۸۶ غوانا ۱۹۲ ، ۲۸۲ ، ۲۸۱ ، ۳۰۶ ، ۱۹۲ ، 791 غويـو ۲۱۳ ، ۲۵۹ غوتی ۲۲ - ۱۸ ، ۹۹ غيبان ، الدكتور ٨٩ غيبومين ٢٧٣ غببونز ۲۹۷ غيرانجه ٢٨٢ غيز ٢٩٩ غسرو ۲۷۸ : ۹۵ : ۸۸ : ۲۷۸ : ۲۷۸ ، 101 غينيا ۲۱۷ ، ۲۲۹ - ۲۸۲ ، ۱۹۷ غينيا ، خليج ٣} ، ٥٥} غييمسه ، آل ۲٤٩

الفرات ١٢٤ فرازر ۱۹۵ فراغونار ٥٣٦ 6 07. 6019 6010 6018 6017 6 017 6 010 6 018 6 014 6 0T1 فرانشو ۳۷ ، ۱۹۹ 7.0 (7.7 (7.. (01)) فرانكلين ١٤٦ فرنسوا ، الامبراطور ٥٦ فرای ۹۶ فرنسوا جوزف ، ارخبیل ۲۲۵ فرایر ، فرنسیسکو ۲۰۹ فرنسوا جيوزف ٢٤٥ ، ٢٧٩ ، ٣٢٨ ، نرایزر ، جیمس ۱۴۰ 777 نرجينيا ١١٤ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٣٧٧ فرانكفورت ٧٤ ، ١٧٥ فردينان ، الملك ١١٥ فرئییه ۲۶۵ ، ۳۱۵ فردینان دی نابولی ۵۶ فروبل ۲۷۹ فردينان الاول ٣٣٧ فرويد سفموند ۱۲ه فردينان السابع ١٠٧ فرود ۲۱۵ فرسان العمل ، جمعية ٣٧١ فري جول ۲۲۲ ، ۲۲۲ ، ۴۳۱ ، ۴۳۳ فرسای ۲۱ ، ۲۲۷ نریتاخ ۲۵۷ ، ۳۲۴ فرسفل ۳۲ فريتون ۱۱۲ فرصوفیا ۱۱۱، ۱۱۱۴ فريدريك ١٢٨ فرغسا ٢٥٩ نرغانة . ٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٨٦ فريدريك الثاني ١٢٧ فريدريك غليوم الرآبع ٧٢ ، ٨٥ نرفييه ٦١ فریسنل ۲۸ الفرقة اللهمية ١٩٤ فریبیه ، شارل دی **فرلین ۲۶۰ ، ۲۲۳** فستنبلة ، آل ۲۷۲ نرن ، جول ۱٤٢ فكتوريا الملكة ٩٩ ، ١١٨ ، ٢١٥ ، ٣٠٧ فرنسا ۱۱ ، ۱۲ ، ۱۳ ، ۱۵ ، ۱۷ ، ۱۷ ، ۱۹ ، فكتوربا قيصرة الهند ه٦٤ 6 EV 6 ET 6 EE 6 E. 6 TO 6 Y. فستو ، لویس ۹۵ 6 YT 6 74 6 77 6 71 6 08 6 8A فلاترز ٠٤٤ 6 17 6 A0 6 A7 6 A7 6 A1 6 A. فلاديفستوك ١٨٢ ، ١٤٤ 61.161..6 196 106 18 فلائسا ٧٤ 6 14. 6 110 6 1. 4 6 1.0 6 1. 4 فلانـدر ۲ ٤، ۸۷ 4 141 4 171 4 177 4 178 4 178 < {.7 6 7.8 6 7.. 6 1AT 6 1V0 فلتن ٥٠ فلاندران ٥٥٢ < 117 < 117 < 717 < 71. < 7.1 فلمنغ ، مصباح ١٩٥ < 748 < 74° < 444 < 448 < 414 فلسو ۲۸۰ فلوبير ۲۵۸ ، ۲۵۹ فلورنس ١٩٥ فلوري ، اليزا ه ٩ 471 474 474 474 474 474 4 فلوريسادا 173 · v.v · y11 · y14 · y14 · y15 · y17 فلوریس ۳۹۲ فلوريس ، جزيرة ٢٢٥ فندوم ، ساحة ٢٠٠ 357 > YAY > . . 3 > A . 3 > YY3 >

فويو ، لويس ٦٣ فندرفولد ۲۰۹ فونك ١٢٥ فندرفيلت ٦١٠ · ٣٩٧ · ٣٩٠ · ٣٨٩ · ١٦٣ فوییسه ۱۴۰ فنزويــلا فیان ، ادوار ۲۹۳ 1.7 4 79.3 فنزوبلا الولايات المتحدة الفنزويلية ٣٨٩ نیت ۲۱۲ فيتنام ٧٧٤ ، ٨٧٨ فنشئفر ادسكي ٣٤٢ فيتلنوف باجمونت ٢٩٥ فنسلاس ، الملك ٣٣١ فيخت ٢٩٥ فنسى ٣٢٥ فيدال لابلاش ١٤٧ فنلندا ۲۲ ، ۱۲۱ ، ۳۳۰ ، ۳۶۱ م۸، فیدجی ، جزر ٥٥ } فنلای ۱۳۷ فيدرب ، الجنرال ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٤٠٠ فوتا جالون ٤١١ ، ٢٤٢ 433 + 333 + 133 فوتشابو ٩١٦ فیرن ۳۳ فوجرز ، آل ٥٦ فيرشوف ٣٤ فوجي ٤٩٦ فيرن ، جول ٢٥٥ فورباخ ١٤٠ مرونا ١١٥ فورتمن ۲۱۰ فيزو ١٣٣ فورتییه ، غبریل ۵۳۳ فیتشی ۲۵۲ فورد ، الدكتور ۱۳۷ فیفیان ، شارع ۱۹۸ فورست ، فرنان ۱۷۱ ، ۲۲۳ فيكو ٥٨٥ ١٥٥ فورلانييه ١٣٨ ، ٣٢٥ الفیلیبین ۱۲۱ ، ۲۲۸ ، ۲۲۲ ، ۲۷۹ ، نورموز<mark>ا ۱۱۶ ، ۸۸۶ ، ۹۹۶</mark> 710 فـورو ٠٤٤ فيلبس المقدوني ١٠٨ فوریز ، سهل ۱۹ فيلادلفيا ٢٤، ٢١، ١٧٨ ، ٣٦٠ ٣٦٠ ، فورنیرون ۱۷ ٥ TV. 6 777 فورویت ۳۰۰ فيلادلفيا ، معرض (١٨٧٦) ١٧٨ فورييه ۳۲ ، ۷۷ ، ۲۳ ، ۲۹ ، ۹۷ ، ۱۳۰ فیلنا ۳۲۹ 4.0 فيومن ٣٢٧ نوست ۷۷ ، ۲٤٩ ، ۸۵۲ فيلنوت باجمونت ٧٧ نوستیل دی کولنج ۱۳۹ ، ۳۰۷ نیلیب ، ارثر ۱۲۵ الفوضوية: حركاتها ٢٩٠ - ٢٩٢ فهرس الكتب المحرمة ٢٨٣ نوغت ، **جوزف ۱**۶۱ ، ۱۷۳ نیرهارین ۲۲۲ ، ۲۲۶ فوليا ٢٤٤ نینه ۲۸۳ فوكو ۱۲۳ ، ۱۷۶ فيولالو دوق ٢٥٢ ، ١١٥ فوكيان ٢٨٨ ، ١٨٤ نینی ۸ ٤، ۲۲ نولطها ۲۲ فیسود ۳۰۵ نونيل ۲۸۸ فيينا ٨ ، ٢٩ ، ١٠١ ، ٢٤٣ ، الغولتسا ، نهر 3}} 434 3 434 3 104 3 304 3 004 3 نولتسير ۷۱ ، ۸۶ ، ۱۳۱ الغولغا ٤٣ ، ١٨٢ ، ١٦٩ ، ٢٨٦ ، ١٨٥ 0.8 (TT7 (TTY فوغوية 13} نيينا مؤتمر ٠٠٠ (١٨١٥) ٢٢ ، ٥٥ ، نولی برجیر ۲۵۰

الكاب ٢٥ : ١١٧ : ١١٨ - ١١١ : ١٤٩ : 144 - 174 كابوا ۲۲۱ • ۱۵ کابول ۱۸ ٤ كاتالونيا ١٨٥ كاناسا ٨٤٤٠٠٥ کاتکوف ۲۱۵ کاتیافار ۱۵ ک الكاتوليكوس ١١١ كاتيفات ، مضايق ٢} کاردونشی ۲۵۷ ، ۲۵۹ ، ۲۲۰ كاراجورج ٣٣٥ کارامازی ۷۱ كارادىك ١٨١ - ١٨٦ کارسون ، مخازن ۱ ۱۵ کارلسبار ۲۵۲ كارلوس الاول • الملك ٢٢٥ - ٣٢٠ كارليل 11 ، ٢١٥ کارمو . <mark>مد</mark>ینه ۲۹. کارنجی ۱۲۷ ، ۳۲۷ ، ۲۱۲ کارن ۲۲ كارنارفون ، اللورد ٢١٩ کارنیتا ۲۲۲ کارنو ؛ سادی ۴۳ ، ۱۳۳ ؛ ۱۳۴ كارولين ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٥٥٤ کارولینا ۱۱۲ ، ۱۱۳ ، ۲۲۳ كازلين ١٩٥ كاسا ، الرأس ٢٤٤ كاغوسما ١٩٧ كانور ۲۰ ۲۸ ، ۲۵۲ كافي . مثقبة ١٦٩ كافييه • فرنسوا ٣٦ كالديرون ٧٧ كالكوتا ه٢١ ، ٢٦٦ ، ٧٦٤ كالبدونيا الجديدة ١٨٤ ، ٣٠٤ ، ٢١١ . 107 6 800 كالتعورنيسا ٥١ ، ٥٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، * 148 (148 (141 (148 (164) 0.0 ({71 : ٣٨٣ : ٣٥٧ : 190

4 170 4 110 4 1.7 4 X1 + YX 317 · فيينا معرض . . . ١٨٣٣) ١٧٨ قادش ۱۰۷ القازاق الكرغيز ١٩} قازان ۱۹ الفساهرة ٢٢٢ - ٢٠٥ - ٢٥٥ ، ٢٤٤ ، 011 - 01. فبرص ۲۲۹ • ۲۲۵ قرطاحه ٣٩٤ قرطب ٥٠ قرطحنة ٣٩٧ الفرم . حرب ۲۲۱ . ۲۲۸ . ۳۲۱ . ۳۳۹. الفرن الذهبي ١٢} قزوین ، بحر: انظر بحر قزوین قئسله ۱۱۸ قشماريا ١٨٦ قشفر ۲۰} قسطنطينه ١٢٠ : ٢١١ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ، 847 الفسطنطينية ١٨١ ، ٢٨٠ ، ٣٣٣ القصة الشرقية ٣٣٢ الفطب الشمالي ١٦١ ، ٢٤٩ العطي الشمالي: استكشافه ١٤٦ ، ١٤٧ القفقاس ۱۲۱ ، ۲۲۸ ، ۲۲۱ ، ۱۱۲ ، ۱۱ ؛ 0116 87. قففاسب ١٢٥ قناة السويس ١٢٠ (راجيع كذليك : السويس: قناة) الفناه الكالمدونية ٢٤ القوزاق ۲۲۸ الفيصر: اسكندر الاول ٨١ ، ١٠١ ، ٢٤٠٠ القيصر: اسكندر الثاني . ٣٤٠ ، ٣٤٢. الفيصر: اسكندر الثالب ٢٤٥

القيصر نقولا الشاني ٣٠ ، ٦٢ ، ٣٣ ،

410

كروبوتكين ، الامير ١٨ ه کافنتو ۳۳ کرونستادت ۵۰ ۳٤۲، ۳۲۰ ۲۰ كالفن ، اللورد ١٣٣ ، ١٣٤ کروتشی ، بندیتو ۳۹ ، ۱۵۹ كال ٢٦ ، ١٩١ کامیا ، نهر ۲۴ کروزو ۱۲۷ کروزیه ، روبنسن ۱۹۲ كامرغ ٢٦٧ کروس ۵۳۸ کامرون ۲ یا ۲ ۲ ۲ ۲ کروس ــ روس ، معامل ۸۸ ، ۸۹ کاناری ۰ جزر ۱۹۲ كرومر ، اللورد ٢٢٣ ، ٢٥١ ، ٢٧٥، ٨١ کات ۷۸ ۱۱۱ کرونیکر ۱۳۲ کانسور ، جورج ۲۹ه کریت ، جزیرة ۳۳ م، ۸۰ كانتون ١٣٧ ، ١٦٢ ، ١٩٧ ، ١٥٤ ، ٥٥٩. کریسبی ۳۲۲ ، ۴۶۷ 111 6 111 کریمیو ۲۰۸ ، ۳۰۰ كاندول ١٣١ كان _ سو ١٨٤ - ٥٨٥ ، ١٨١ ، ١٩٠ كستاريغ ١١٥ کسفونی ۱۹ کاغم ۲ ۶ ۶ کاننے ۱۰۷ ، ۱۱۷ ، ۲۲۲ كسنسخ ٧١ کشیمیر ۲۹۵ کاپ ۱۷ الكمة ٥٠٤ کانو ۲۳۸ ، ۲۶۶ كلكوتا ٥٠ ١٥ ١٥٤ ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٣٥ ، کایو ۱۱۱، ۱۱۱۴ ٥٨. کابور ۲۶۶ کلمار ۳۱۰ کیلنے ، رودیارد ۱۴۲ کتشنر ۱۵۱ ، ۲۲۱ ، ۲۲۱ كلموك 19 } کلنجر . ۷، ۲۵۲ ، ۲۶۰ كثلر ، المطران ٢٩٦ کلودیرنار ۱۲۸،۱۲۸ کتلانیا ۳۲۰ کلود برنار ۱۳۲ ، ۱۳۵ کرابتونکین ۲۰۱ کلودیل ۵۳۲ ، ۹۶۳ كراسنو بارسك ٨٥٤ كراستو فوسك ٢٠٤ كلوزيوس ١٣٣ كوسفتز ۱۲۷ ، ۱۲۸ كرافت ، فولستون ٢٠٤ کراکاس ۳۸۹ ، ۳۹۷ كلونديل ١٩٣ ، ١٩٥ الكلايـد .ه کراکوفیا ، جمهوریة ۱۰۳ ، ۳۳۰ ، ۳۳۱ کلیفلند ۱۷۱ ، ۳۲۷ ، ۳۲۸ کرامبت<mark>ون ۱۸۰ ، ۱۹۱</mark> کلیشی ۹۹۸ کر این ۲۷٤ ، ۱ ٤٥ کلیمنصو ۲۱۳ ، ۹۳۳ ، ۹۹۰ الكريات ٣٢٦ كربسلاء ١١٣ کلیمان ، جان باتیست ۹۹۸ کربلین ، امیل ۱۳۹ کمیاین ۲۹۷ کردستان ۱۲ ک كمبرلي ۱۹۳ ، ۱۹۳ ، ۲۱۷ کردکابول ۱۹ كمبريدج ، جامعة ٣١ ، ١٤٨ كرستيان التاسع ، الملك ٣١١ كمبوانا ٢٥٩ کرکاس ۱۰۸ کمبودیا ۲۲۳، ۲۲۳، ۷۷۱، ۲۷۸، کرنجی ۱۷۱ ، ۱۷۲ ، ۲۰۱ ، ۳۷۴ ، ۳۷۴ **EA1 6 EA.** کروات . کرواتیا ۸۰ ، ۳۲۹ ، ۳۳۲ كمبون ٦١١ کنتون ، مدینـــة ۱ ه کروپ ، معامل ۱۲۷ ، ۲۰۰ ، ۲۹۸

کندا ۲۶ ، ۱۱۷ ، ۱۱۸ ، ۱۱۹ ، ۲۳ ، كورسكسا، جزيرة ١٩١ کورساکوف } ۲۲ 4 7 1 8 4 177 4 170 4 171 4 18A 717 > 177 > 377 > 787 > 117 > کورمیك ۳۷ · ٣٥٩ · ٣٥٦ · ٣٥٤ · ٣٥٢ · ٣٥٠ کورون ، اللورد ۲۳۶ کورنالیس ۲۲۱ 014 6017 6011 687. 6 478 کورنای ۸۲ كورنثوس ، قناة ١٨٩ كندا ، وثيقة استقلالها (عام ١٨٦٧) ٣٥٤ کورنو ۸۳ ، ۱۳۲ ، ۲۰۲ ، ۲۰۸ ، ۵۰۶ کندهار ۱۹ كنساس ١٦٥ كورنواليس وسلى ١٢٠ كنفاكوسا ٤٩٧ کورو ۷۳ كنفسلي ، القس ٢١٥ ، ٢٩٩ كوروفان ٢٤٤ الكنيسة والفكر الحر ٢٧٩ ، ٢٨١ کورولنکو ۳۳۹ الكنيسة الكاثوليكية: ازدهارها في القرن كوريا ٥٩١ ، ٨٨١ ، ١٠٥ ، ٥٠٥ ، ٧٧٥ کوریا ، موریا ، جزر ۲۳۱ التاسع عشر ٢٨٣ کوریل ، جزد ۹۸ ۶ کنیفو ف ۲۰۰ كوريه دى ليل ۲۱۵۰ الكهرباء: عصرها ١٦٥ - ٥٢٠ کوزیکو ۳۸۷ ، ۳۹۳ کو ایرا ۲۵۹ کوزین ، فکتور ۲۸۰ كوانغــتونغ ١٨٤ كوسوت ٣٣٢ کوانغــسي ۹۰ کوشنشین ۲۲۳ ، ۲۲۹ ، ۷۷۶ ، ۸۷۶ کوبا ۱۰۷ ، ۱۱۵ ، ۱۳۱ ، ۱۲۶ ، ۲۱۷ ، 577 3 3 47 3 . . . 3 3 1 . 3 3 1 F3 3 EAY 4 EA 1 4 EA . 4 EY9 246 کوشی ۲۹ ۵ کوبدن ۲۱، ۲۰، ۱۲، ۹۹، ۲۱۶، ۲۱۲، ۲۹۲ کوشین ۲۶۶ ، ۲۵۶ 094 64.9 64.0 کو فرا ۲۶۶ کو فییه ۱۳ ، ۳۳ ، ۳۴ ، ۱۳۴ کوبدو ۸۷۶ كوك ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ٢٥٦ کوبر ، فینمور ۱۰۹ کوبر ، کور ۱۷۰ كوك ، جزر ١٥٤ کوبر نیل*د* ؟ه كوكسا ٢٣١ ، ١٤١ کوبرنیکوس ۳۰۰ کوکتو ۲۰ ، ۵۳۵ كوبنهاغن ١٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣١١ کوکریل ، ولیم ۲۱ کوکلوس ــ کلان ۲۵۷ الكواكبي ١٨٠ کويو ۳۳۵ کوکلی ۳۳ کوبیك ۱۸۱ ، ۲۵۱ کوکسو ۳۹۲ كولجا ٢٨٦ ، ١٨٨ کوخ ۱۳۲ كوتنفهام ٣٦ کولفا ، دی ۱۹۵ کوراساو ۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۳۹۷ كولمبيا ١٠٧ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٨٣ ، ٢٨٣ . کوداروهان ۱۰۶ **٤.٣ : ٣٩٧ : ٣٩. : ٣٨٩** كولمبيا ، الولامات المتحدة الكولمسة ٣٨٩ کوربییه ۲۵۷ ، ۲۵۹ کورتلین ۱۶۳ ، ۲۲۰ کولمبوس ۱۷۸ كولمبيسا البريطانية ١١٧ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ، کورژون ، اللورد ۲۸٪ ، ۲۰٪ 717 6 TOO کورتس ۹۹ه

كولورادو ١٩٥ کولوغلی ۲۲٪ ، ۲۲٪ کولونی ، مدینة ۲۲ ، ۱۸۹ ، ۲۲۵ كولونيا ١٨٣ کولیج دي فرانس ۳۱ کوم ۱۱۶ كومارون ١٩} کوماسی ۲۶۶ كومانين ٩٩ الكومسون ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، 7.7 47.8 47.8 6017 6 717 کومــین ــ تانغ ۷۷ه كونارد ، صموئيل . ه کونب ۲۸۸ كونت؛ اوغست ٣١ ، ٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، DA1 6 171 كونساي ١٣٧ کونسکی ۲۰۲ ، ۲۱۰ الكونفو ١٤٤، ١٥١، ١٥١، ١٨٣، 714 ({7. الكونغو البلجيكي ٢٢٤ ، ٥٠ الكونفوشيوسية ٦٢} ، ٦٣٤ ، ٩٧٢ كونكتيكت ٣٦٦ كونيوت }} کونیسنم ۳۸ کوی ۔ تشیو ۱۸۶ كونيسلند ١٩٥ كيال ، قناة ١٨٩ کیان ۔ یونغ ۸۳ کیانے ۲۸۳ کیانغ ـ سو ۸۶ کیتس ۷۲ كيتاسانو ١٣٧ کینسو ۳۹۳، ۵۰۳ کیرسوف ۱۳۳ ، ۱۶۵ كيفراس ١٩ كيريافسكي ٢١٤ کیکولیه ۳۷ کیلر ۲۵۹

کیلیانی ۱۷۵

الكيمياء: مجالاتها الواسعة ١٧٣ - ١٨٥ كين ٣٦٥ كيونو ٩٦٧ كيوزاي ٥٠٤ كيو - سيو ٩٦٩

لابرادور ۲۱۷ ، ۳۶۹ لابرين ۲۲۲ ، ۲۲۳ ، ۶۱۰ لابروست ۲٤٦ لابلاس ۲۲ لابل جردسير ٦٠ 387 لابوات ٥٥ لابوان ٠ جزيرة ٣١ ٢، ٧١٤ لابون ۳۷ لابوردونیه ، ماهیه ۱۵۶ لابيس ٢٥٠ لابين ٢٧٩ لاتور ، فانتین ۳۸ه لاداك . مجاز ٨٥ لادوغا ، بحيرة ٣} لاداش ۲۲۵ لارامی ۱۹۶ لاسال ۲۹۰ ۲۹۴ ، ۲۹۲ لاردنر ۵۰ 840 6 187 Luy لاشاتلیه هنری ۲۰ه لاغوس ٢٣١ لافران ۱۳۷ لافوازييه ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ الانيجري ١٤١ ، ١٥١ . لافيس ١٤٧ لافييت ٧٥ لاكورىي ٧٩ لاكوندامين ١٦١ لاسا ه٦٦ لامارتین ۲۸ ، ۳۱ ، ۷۷ ، ۷۷ ، ۹۳ ، ۲۶ ،

لنكولن ١٢٦ TTO (TTT ()T) (1A (1V لنين ٣٤٠ ، ١٥٤ - ١٥٥ - ١٠٦ ، ١٠٦ -113 717 - 71. (7.4 (7.0 لامارك ٣٣ ، ١٣٤ له بلای ۲۹۲ لامنیسه ۷۹ ، ۹۵ ، ۸۸۲ له كور ، الاخوان ١٤٥ لامي . } } له هافر ، مدينة ١٨٦ لانستون ۳۰۰ اللوار ، نهر ٤٤ ، ١٨٣ لانفسسترون ١٦٦ لوب ۷۷ لانكستر ۲۷۹ لوتيسفسكي ٣٢ لانکشایر ؟ ؟ ، ۲۲۱ ،۱۲۶ ، ۲۲۶ لوتی ۵۲ 717 6 711 Vals لوثر ۲۲۲ لاولسو ۲۲۶ لوجندر ۳۲ لاوس ۲۷۶ ، ۸۷۶ ، ۸۶ لودز ۹۲ لاون الثالث عشر ، الياب ١٤٩ ، ١٥١ ، لودري ــ رولن ۱۰۰ ، ۳۰۹ < 1.. < Y97 < Y98 < YA0 < YA8 لودفيسغ ٣٤٢ 111 لاينك ، لويس ١٣٥ ، ١٢٥ لورتيه ١٢ } لبتن ۲۰٦ لورنس ، اللورد ٦٦ ٪ لبنان ، جبل ۱۲ ، ۸۰ ه لوريمر ٣٠٥ لدلو ۲۹۹ اللورين ١٢٦ لروا ــ بوليو ، بول ١٣٠ ، ٢١٥ لوريز ٢٩ه السيس ١٨٩ ، ١٩٠ لوز ۱۷۲ لسنغ ٧٦ لوزان ۲۱۵ لشيونة ۱۰۷ ، ۲۲۰ ، ۳۲۰ لوشاتليه ، لويس ١٧١ لغوف (ليوبول) ٣٣١ لوفرييه ۲۲ ، ۱۶۳ لكسمبورج ، روزا ۲۰۲ ، ۲۰۳ ، ۲۱۰ لوکونت دي ليل ۲۵۸ ، ۲۵۹ ، ۲۲۰ لمبروزو ۱۳۹ لومبيرديا ٢٧ لنجفين ٢٩٥ لومهر ، جول ١٣٤ ، ٢٦٠ لندن ۱۳ ، ۲۱ ، ۲۷ ، ۲۹ ، ۲۹ ، ۱۹ ، لونسغ ١٤٦ (18 6 0 A 6 0 7 6 0 0 6 89 6 8Y لو والون ۲۵۹ < 17. < 111 < 1.Y < 1A < 77 لووس ۲۶۵ لوید جورج ۲۰۰ 6 7.7 6 7.8 6 7.1 6 19A 6 19. لوید ، شرکة ٥٦ لويزيتانيا ٣٢١ 437 > 337 > 637 > 737 > 837 > لويس الاول ، ملك بافاريا ٧٢ لويس الأول ، ملك البرتغال ٣٢٠ لویس الثانی ، ملك بافاریا ۲۹۲ 107 > 177 > 477 > 4.3 > 41<mark>3 > 4</mark> 6 174 6 608 6 840 6 814 6 818 لويس الرابع عشر ، الملك ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، 717 4 0 27 4 014 4 277 لندن ، معرض (۱۸۵۱) ۲۱ 100 لويس الخامس عشر ٢٤٨ لندندرين ، لورد ۲۱ لویس السادس عشر ۱۷ ، ۲۲ ، ۲۲۸ لنشبورغ ٣}

لویس الثامن عشر ۸۱ ، ۱۱۵ ، ۲۷۸ ليونكا ٥٩٢ لويس نابوليون ٧٢ ليساج ۲۲، ، ۲۹۰ لويس سِولر ٧٢ لييسل ٣٣ لويسل ۱۱۱ لوينتور ١٤٦ ليسال ١٣٤ ليبرفيل ١١٦ ، ١٤٤ ليبرمان ٢٦١ مارب ، مدینة ۱۱۴ ليبزيغ ٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤١ ماتوغروسو ۲۸۶ ليبنتز ٣٢ ماتیس ۲۸ ، ۳۹ ، ۲۷ه ليبيا ٢١١ ماتیه ، کلود ۲۲۰ ، ۲۲۱ ليبيرياه ١٤ ماتيو دې دوميال ، ۲۶ ۱۹۶ ليبيسغ ٢٩، ١٣٦ ، ١٧٢ ماجدولینا ، نهر ۳۸۶ ليتريه ۷ ، ۲۰۲ ، ۲۹۲ ماجندی ۱۳۵ ليتون ، اللورد ٢٢٢ ماجلان ١٨٤ ، ١٩٤ ليدس ، مدينة ٦٥ ماخ ۱۱۵ ليدفيسل ١٩٥ مادسلی ۱۷۵ لے مونتیف ۷۲ ماديرا ١٨٤ اليست ٢١، ١٤٠ ١٤٠ ١٤٠ ١٤٠ ١ مادیسون ۱۱۲ مارات ۹۳ YTY . YOA . YIO ليست ، ترجمة مؤلفاته الى الالمانية ٤.٥ ماراكايبو ٣٩٧ ليسبتر 4 الكونت ٢١ ، ١٣٦ مارتزا ، نهر ۳۳۲ YAY Lung ليفريول ٢٤ ، ٤٤ ، ٢٩ ، ٥ ، ٥٠ ، ٩ ، مارتنز ۳۰۵ Act + 7A1 + 0.7 + 310 ليغوبول ، الوزير ٨٢ ليفنفسبتول ١٤٥ ١٨٤٤ ١٩٤٥ ليفورنو _ بيزا ه٤ مارا ۷۱ ليفونيا ٣٠ ليل ۱۲ <mark>۱۲ ، ۱۱ ، ۲۱ ، ۲۱ ، ۲۱ ، ۱۱</mark> ليما ۲۹۵، ۲۹۷، ۲۹۳، ۲۸۵، ۲۸۶ **777 > 7.3** لينورمان ، عائلة ١٣١

لينيه ٣٣

ليوبولدفيل ٥٠ }

277

ليوبولد، ملك بلجيكا ١٥١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ <mark>،</mark>

ليون ، مدينة ، ٣٦ ، ٤ ، ٢٢ ، ٨٤ ،

EA. (EYI (TY. (EIA

ليوتي ۲۱۹ ، ۲۲۰ ، ۲۲۱ ۳۳۶

مارتن ، کور ۱۷۱ مارتینیك ..، ، ، ، ۱۰۶ مارشال ، الغرد ١٥٥ مارشال ، جزر ٥٥٤ مارکس ؛ مارکسیة ۱۶ ، ۲۷ ، ۹۱ ، ۹۳ ، < 18. 6 177 6 1.. 6 1A 6 1Y 6 01A 4 7.1 4 717 4 717 6 711 717 67.4 67.4 67.8 67.8 مارکس ، کتابه : راس المال ۲۹۰ ماركوس أوريليوس ٣٩١ مارکیت ، معادن ۱۷۱ مارکیه ۸۲۵ ماریان ۲۲۳ المارينوس (عرق) ١٨ مارينوني ٣٠٥ مارینی ۳۲ه

مایر ، روبرت ۳۳ ماین ۳۳۵ مابو ، اللورد ٢٥) مايول ٣٦٥ مترنيسخ ٨٠ ، ٥٥ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٢٥٢ متز ، مدینة ۱۲۸ ، ۵۹۰ متشيا ونش ٨٦ مترلنك ٢٦٣ متودست ۱۱۱ مجدلينا ٣٩٦ ، ٣٩٧ المجمع الفاتيكاني ١٤٨ محمد النبي ٩٠٩ محمد سعید بن محمد علی ۱۸۷ محمد الصدوق ٣٣٤ محمل على ٣٤ ، ١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٨٧ ، F.3 > 313 > 773 > 773 > 773 > 110 محمد بن عبد الوهاب ٢٠٦ محمود الامين ٢٤٤ محمود الثاني ، السلطان ١٤ المحيط الهادي او الباسيفيكي أو الكبير · 147 · 167 · 11. · 1.4 · 11 VAI : 377 > 777 > 107 > 703 > 173 3 YYO المحيط الهندي ١١٥ ، ١٢١ ، ١٥١ ، 6 817 6 8.8 6 77. 6 1AA 6 1AY OYY 6 EYY 6 EO. 6 EEA 6 ETA المحيط المتجمد الشمالي ١٦١ منخا (بن) ۱۳ ٤ مدام دی ستال ۳۱ مدراس ۲۲۶ مدريد ۲۵ ، ۱.۷ ، ۲۶۲ ، ۲۶۲ ، ۲۳۳ ، 173 مدغشکس ۱۱۰ ، ۱۱۰ ، ۲۲۲ ، ۲۲۲ ، £07 (£0. (£TY (TY7 مدهو سو ، داندان ۲۷۰ المدنسة ه.٤ مراکش ۲۰۳ ، ۲۰۹ ، ۳۶۶ ، ۳۵۶ مرجيان ٢٠ مرسيليا ١٣ ، ١١ ، ١٨٦ ، ١٨٠ ، ٢٥١ ، ٢٥١ المرسيلياز ٨٥

مازاریك ۳۳۱ ماساشوستس ٣٦٦ ماسون ٦١ الماسونية ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٨٢ الماسونية: محافلها في العالم ٢٨٢ -- ٢٨٣ الماسونية في اميركا اللاتينية ٣٨٨ ماك } ٥ ماك آدم . } ماك كلور ١٤٦ ماك لود ١٩٧ ماکاری ۱۹۶ ماکاو ۲۵۷ ، ۱۹۶ ماك كورميله ١٧٥ ، ١٧٧ ماکس اوریل ۲۵۱ ماکس مولر ۱٤٠ ماكسويل ١٣٣ ماکنتوش ۷٦ ماکنسدر ۱٤٧ ماکولی ۱۳۰ ، ۱۲۶ ، ۱۲۶ ماکیه ، روبر ۷۰ مالابار ٥٦٤ مالاهاری / المصلح ۲۸ مالارميه ٢٩٥ ، ٢٦٤ مالقا أوما لاكا ١٢١ ، ٧٠ ، ١٧١ ماليزيا ١٢١ ، ٣٧ ، ٢٠ ، ٣٣ ، EY1 6 EY. مالین ۲} مانحين }}} ماندلای ۷۱۱ المانش ۱۸ ، ۶ ، ۲۸ ، ۲۹ ، ۲۹ ، ماننسغ ۲۹۷ مانهاتن ٣٦٦ مانیسان ، فاکنتین ۱۳۹ مانيتوبا ١٦٥ ، ٢١٦ ، ٥٥٥ مانيــلا ۱۲۲ ، ۱۸۶ ، ۲۷۶ مانیسه ۲۵۵ ۱۳۱۸ مساهان ۱۳۰ ماوری ۵۱۱ ماسا ۲۸۱ مایر ارثر ۲۰۶ مایر بی ۷۲، ۷۵، ۱۶۹، ۲۲۲

مكسيكو ، خليج ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٥٨ مرغی ، ارخبیل ۷۰ ا مكسيميليان ٣٩٩ مرو ۱۹۶۶ ۲۱۶ مکناس ۲۴۶ مرىدس ٢٥٩ مكية ٤٠٤ ، ٥٠٠ ، ٨٠٤ ، ١٣ ، ١٨٥ مريماك ، نهر ١١١ مكيافيتش ١٠٣ مریدیسه ۲۲۰ مل ، جون ستيوارت ٨٤ ، ١٣٢ مریمیه ۲۵۷ ، ۲۵۸ ملورن ۲۲ ، ۳۲۰ ، ۳۹۳ مزاب ٤٢٦ ملطوس او مالتسوس ۱۵۸،۲۱، ۱۵۸، الزديسة ٤٠٦ 716 6010 6017 مساجيه ٢٥٠ الملاحة بين السفينة الشراعية والنجارية متشل ۲۹۹ 1A7 6 1A8 مستر ، جوزف دی ۹ ۷، ۸۵ ، ۳۰۵ ملفيسل ١٦١ مسقط ١١٥ ، ١٥١ ، ٢٣١ ، ١٨٤ ، ٨١٨ ملهوز ۱۲ ، ۳۶ مسكاني ٢٥٩ مليسلا ٢٢٥ المسيسيبي،نهر ٤٣ ، ١١٠ ، ١٨٣ ، ٢٥٩ منتلیاك ۲۱۶ مشبهد ١٦٦ منتسو ۷۹ه مصر ۱۳ ، ۱۷۷ ، ۱۰۱ ، ۱۲۰ ، ۱۲۰ ، ۱۷۷ ، منجر ۳۰۰ ، ۵۵۵ منجنو ٣٠٢ 01. 6010 6 880 6871 6810 مندل ، غریفور ۱۳۵ ، ۱۳۷ مطران ، خلیل ۸۰۰ مندلسون ۲۹۲ المعادن الثمينة: الذهب والفضة ١٩٣ ـ مندلسوهن ۲۵۹ مندناوو ۲۲} المارض الدولية: في النصف الثاني من مندلييف ٢٩ه الفرن التاسع عشر ۱۷۷ - ۱۷۹ مئزونی ۷۸ مماهدات: ایدن ـ دینمال (۱۷۸٦) ۲۳ منشستسر ۲۱،۱۱،۱۲، ۲۵، ۲۷،۱۷، معاهدة باريس الاولى ١١٥ 101 > 137 > 117 > X.T > 713 معاهدة كولجار (١٧٦٠) ١٨٦ منشفیك ۲۰۲ ، ۲۰۶ ، ۲۰۵ معاهدة أوريغون ١٠٩ منشوریا ۱۲۱ ، ۲۱۱ ، ۲۸۱ ، ۲۸۱ ، معاهدة تركمان شاه (۱۸۲۸) ۱۱3 443 , 463 , 410 , 40 , 4V. مماهدة نانكين (١٨٤٢) ٢٦١ ، ٨٨١ 711 المتزلة V.3 المنشورية ، السلالة ١٨٦ ، ١٨٨ معهد الوثائق ٧٧ منسو بیشی ۵۰۰ ، ۵۰۱ ، ۵۰۲ المغرب ٢٠٦ ، ٣٨٤ منصور دي بول ۱۵۰ مقدونیا ۱۰۸ ، ۳۳۴ ، ۳۳۴ ، ۳۳۲ ، منفنيز ١٧٢ 0 A. (EIT (TTV منفولیا ۲۲۸ ، ۲۸۶ ، ۵۸۶ مكاو ١٥٠ المهاجرة في اوروبا ١٥٧-١٥٩ ، و ١٢٥-مكسويل ٢٩٩ 014 الكسيك ١٠١، ١٠١، ١٢١، ١٢١، المهدى ه.٤ المهرأت ٤٦٣ موباسين ۲۵۷ 090 (010 (8.4 (44) مۇتىر: برلىن (١٨٩٠) ٩٢٩ مکسیکو ۱۱٦ ، ۳۹۹ ، ۲۱۲

مولر ، ادم ۲۹ مؤتمر فيينا (١٨١٥) ٨١ / ١٠٢ مولر ، فرتیز ۱۳۵ مؤتمر فيرونا ٨١ مولمسين ٧١} مؤتمر مدريد ٣٦٤ مولوك، جزر ۲۲٦ ، ٤٠٤ ، ٧٣٤ مؤتمر لاهاى ١٦١ مونتانا ٣٩٦ مؤتمر مونيخ غراتز ٨١ موتسو ــ هيتو ٩٩}. مونتزينو ۲۷۸ مونتالفوا ٣٩٠ موتووری ۹۷ ٤ ۹۷ ۵۰۵ مونتريال ٢٠٦ مودیسلی ۳۲ ، ۱۶۱ مونتسكيو ١١٤ مودین توماس ۹۷ مونتسوری ، ماریا ۳۱ه مودافییت ، نیکیتا ۳۰ ، ۱۲۱ ، ۲۲۰ ، مونتغیوری ۱.۸ XYX مونتفيديو ٣٩٣ ، ٣٩٤ موردوخ ۲۷ مونتلمبير ۸۵ ، ۸۰ ، ۹۵ مورس ، وليم ٨٤ ، ٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٠ مونسخ ۲۸٥ مورغان ۱۲۷ ، ۱۹۵ موثرو ۱۰۷ (تصریحه عام ۱۸۲۳) ۱۰۹ مورغان ، بیم ، بونت ۳۹ه E. T 4 E. Y 6 177 6 11Y مورغب ۲۰ مونروفيا ١١٦ مورلی ، اللورد ۷۹م مونستر ۲۲۶ المورمون ۱۰۸ مونفولفييه ١٧٣ مورو ، غوستاف ۲۵۷ مونمارتر ٥٥٥ ١٤٥٥ موروس ۲۷۱ مونی ۲۱ مودی اوغای ۱.۵ مونيخ ١٧ ٥ موریاس ۲۹۳ مونیه ، کلود ۲۲۱ ، ۲۸۸ موريتانيا ٤.٤ موریس ، القس ۲۹۹ مونیه سولی ۲۵۰ موهل ، هوغو ٣٤ ، ٢٦٣ موريس دي بروي ۲۹ه مويسكوت ١٤١ موریس ، ولیم ۲۵۲ ، ۲۵۷ ، ۳۱۱ مسوریس ، جزیرة ۱۱۹ ، ۱۲۸ ، ۱۸۶ ، الميتو ، حزب ٩٧} ميتسوي ٢٩٩ ، ٠ . ٥ ، ١ . ٥ ، ٢ . ٥ 403.3 173 3 YF3 ميثاق البنود الخمس في اليابان ٩٩٦ موریسوف ۲۰۲ موز ، نهر ۲۲ ، ۸۵ اليجي ٩٩ - ٥٠٢ موزارت . ۷۷ ۲۷ ميديا ٢٢٧ موزامبيك ۲۸۲ ، ۵۰ میرای ۲٤۹ موزد ۲۶۵ ميرزا على محمد ٢٠٦ موسكو ٤٦ ، ٢٤٤ ، ٣٤٤ ، ١٠٤٤ ميريس ، جول ۲۰۰۰ موسکیٹو ۱۸۹ الميسوري ١١٤ موسورغسکی ۱۳۱ ، ۳۶۴ ، ۳۴۵ میشلیسه ۷۶، ۲۷، ۷۷، ۲۸، 104 4 184 4 148 4 14 موشلیه ۱۸۹ الميكاد ٢٢٦ ، ٢٩٩ ، . . ه ، ه . ه ، ٧٧ه موغادور ۲۳۱ الميكونسيغ ٥٩١ ، ٢٧١ ، ٧٧٤ ، ٨٧٨ ، مولتاتولي ٥٧} مولتک ۱۲۸ **EA. (EY1** ميكلو انجلو الكواسر ٧٤ مولداف 333

میل ، جیمس ۱۱۱ میل ، جیمس ۱۱۱ میل ، جیمس ۱۱۱ ، ۱۱۱ ، ۱۲۱ میل ۸۳۳ میلر ۱۳۳ میلور ۲۱ ، ۲۰ ، ۱۲۱ میلون ، ارمان دی ۲۱ ، ۸۱ میلان ۲۹ میلان ۲۹ میلان ۲۹ میلان ۲۸ ، ۲۰۰ ، ۳۲۲ میناس ۲۸۳ ، ۲۰۳ میناسوتا ۱۲۵ مینیا بولیس ۱۲۵ میونیخ ۲۷ ، ۲۶۳ میونیخ ۲۷ ، ۲۶۳ میونیخ ۲۷ ، ۲۶۳ میونیخ ۲۷ ، ۲۶۳

ă.

نابولی ۲۸ ، ۲۵ ، ۵۷ ، ۸۱ نابولی ، مملکة ۲۸ ، ۱۰۱ نابوليسون ۲۲ ، ۱۱ ، ۹ ، ۱۰۱ ، ۱۰۱ ، (YI7 (17 (177 (110 (1.7 840 6 44. 6 4406 44. نابوليسون الشالث ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٨٨ ، 044 6 044 6 404 6 4.4 نابوليون الراس (سسيل رودوس) ٢٦٧ نابع ۲۲۱ ، ۲۶۶ نات ترنر ۱۱۱ ، ۲۱۷ ، ۳۷۳ ، ۲۱۸ ناتال ۱۱۷ ، ۱۵۲ ، ۲۵۳ نادر شاه ۱۲ ، ۱۷ ، نادو مارتن ۹۱ ناربونا ١٩٥ نارد ۱٤٠ ناغازاکی ۲۹۱ ، ۲۹۷ ، ۹۸۱ ، ۹۹۹ النأفار ۲۸ نافییه ۳۹ نانت ۲۹ ، ۸۹ نانسين ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢١٣ نانكــين ، معاهدة ٢٦١ ، ٨٩١ ، ٩٠ ، 113 3 773 النجاشي ٢١)

نجد ۲.۷ ، ۱۱۲ ، ۱۱۳ ، ۱۱۸ ، ۸۵ نجنی ۔ نو فغورود ۱۹ ٤ نداء الالتفاف ٢٩٧ النرويج ٣ ١، ٨٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٤٢٥ نشيد الدولية: وضعمه اوجيني بوتيبه 014 نصر إلدين شاه ١٦٧ ، ١٤٧ نفان ــ هوی ۸۱۶ نغرلی ۱۸۷ النفود ، صحراء ١٣٤ النقابية: نشأتها في الولايات المتحسدة الاميركية ٣٦٩ النقل البرى والمائي: وسائله ٣٩ ــ ٤٣ النمسا ٢٤ ، ٥٤ ، ١٢ ، ١٨ ، ١٢ ، 111 2 177 2 775 2 377 2 717 3 4 770 4 771 4 779 4 77X 4 77Y 010 > 110 > 170 > 730 > 750 نويسار ۱۸۸ نویل ۱۲۷ ، ۲۱۳ ، ۲۱۳ ، ۲۴۳ ، ۲۱۲ نوتنفهام ۲۱۰ نوتويسل ، سلستين ٧٥ نورثبروك ، اللورد ٥٥ نورثروب ۱۷۵ ، ۱۷۲ نور فولك ۱۸ نورثکلیف ، اللورد ۱۲۱ نورمبرغ ۲۶ نو فاليس ٧٣ ، ٧٧ نیاغارا ۱۷ه ، ۱۸ه النيبال ٢٥٥ ، ٢٨٤ ، ٥٨٤ نيبلونجن ٢٦٢ نیتشیه ۲۰۹ ، ۲۲۲ ، ۲۲۳ ، ۳۲۵ ، ۵.۶ نيبون ٩٥٤ نيبهور ٨٦ لينجر ٢٨١ ، ١٤١ ، ١٤١ ، ٢٤١ ، ٣٤١ ، OA. نيجيريا ١٦٢ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ، ١٦٤ ، ٥٤٤ نیرون ۱۸۹ نفس ۱۲۷ ، ۱۳۷ نيفلسكي ١٢١ نيقولايفسكي ١٢١ نيقول ١٣٧

نيقولا الثاني ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦١٢ (راجع كذلك: القيصر)

> نیکاراغوا ۱۸۹ ، ۱۹۰ ، ۳۷۲ ، ۳۸۱ نيکر ۸۸

نیکر بکر ، لواشنطون اروین ۷۵ نیکوبار ، جزر ۷۰ ا

النيل ١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٨٣ ، ١٩٧ ، ٥٠٠ ، 173 3 073 3 273 3 033

> نیم ، مدرسة ۳۰۰ نيمارك ٦١١ النيمن ، نهر ٨٥

نيوتن ٣٢ نيوجرسي ٣٦٨

نيوشاتل ٥٥ نيومان ٨٠

نیوهارمونی ۱۱۰ نيوهافن ١٩٢

نيوويد ٣٥

نيسويسورك ٢٢ ، ٣٧ ، ٥، ١٦ ، ٧٧ ،

4 144 4 141 4 1

6 TOY 6 7.0 6 7.8 6 7.7 6 19. · ٣٧. · ٣٦٧ · ٣٦٥ · ٣٦٣ · ٣٦.

081 6 018 6 8.7 6 478

هالودات ۸۹ هاكون السابع ٣١٢ هاليفاكس ١٨١ هاملتن ۱۳۲ هان ۱٤٣ هائو قر ۷} هاوای . ۱۵ ، ۵۵ ، ۲۵۱ ، ۲۱۱ ، ۱۲۹ ، ۱۳۵ هان کیو ۹۰ ، ۱۳ ، ۱۳ ، ۷۷ه هان _ يانغ ٩٢} هانوی ۸۱۱ ، ۸۲۱ ، ۵۰۰ هاوس ــ الكولونيل ٦١٣ هایتی ۱۱۸ ، ۰۰ ، ۱۱۸ ،۲۰۹ های ان ۱۹۳ هابدبارك ١٥٢ هاین ه ه ، ۷ ، ۲۸ ، ۲۹ هاينو ۲۹۰ هایس ۳۷۳ هايدلبراند ٢٩٦ هايفونغ ٨١٤ ، ٨٨٤ الهبريد جزر ٢٢٤

هبسبورج ، آل ۲۹ ، ۱۲۵ ، ۲۷۲ ، ******* * ******* * ******* * *******

الهدسون ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٩ ، ٥٠ ، ١٦١ هرار ۲۶۶ ، ۲۶۶

هرتز ۱۳۳ ، ۲۹۰

هردر ۱۸

هرسك ۲۲۹ ، ۳۲۳ ، ۲۳۳

هرزن ۹۶

هرشل ۱۳۱

هرمیت ۱۳۲

هرویغ ۹۲

هرناك ۲۸۳

هريو ۲۲۲ ، ۲۰۰

هسکنس ۲۴

هلسکی ۱۲۵ ، ۱٤۱

مكيل ١٣٥

هلفرینغ ۲۰۳

يهلمهولتز ١٣٣

همبورج ۲۲ ، ۲۷ ، ۱۸۳ ، ۵۸۱ ، ۲۲۳ همبولدت ۱۸۹ ، ۳۸۹

هماذان ۱۲۶

هاتراس ، القبطان ١٤٦ هارت ، روبرت ۹۰ **۱**

هاردن ، مکسیمیلیان ۱۲۹ ، ۳۲۲ هارسون ۳۲۷

هارفرد ۱۱۳ ، ۳۷۳ ، ۵۱۰

هارفي ۲۴

هارمل ، ليون ٢٩٦

هارکنس ۱۲۷

هاریمان ۱۲۵ ، ۲۰۱

هارلم ۱۹

هافاس ، شارل ۸۸ ، ۲۰۹

هاز ۲۱۰

الهافر ٤٩ ، ٢٠٥ هافلار ، ماکس ۲۵}

Y . .

هوك ، الاب ١٤٦ ، ١٤٩ الهند ۲۷، ۱۱۹، ۱۲۰ ۱۳۷ ، ۱۶۸ ، هومیروس ۷۱ · 144 · 170 · 171 · 171 · 189 هوكاندو ، جزيرة ٥٠٥ ، ١٣٥ هو ــ نان ٩٠ · {09 · {0A · {14 · {1.9 · Y{{8}} هول ۱۷۵ هولز ۵۳۲ 717 6019 الهند ، تطورها الاجتماعي والوعي القومي هولنز ۲۱۰ 173 4 671 هولست ۲۸۶ هولندا ۲۸، ۱۱۱، ۱۲۳ ، ۳۰۲ ، ۱۱۲ ، الهند، استشمارها على يد الانكليز ٦٥٤٠ ، الهندالمينية ١٢١ ، ١٤٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ ، VY3 . . 43 . 443 . 463 . 410 173 > 743 > 183 الهند ، شركة . . . الانكليزية ٢٠٣ هونان ١٨٤ هندل ۷۱ هوندوراس ۲۳۱ هوندوراس البريطانية ٢٠٤ هندمان ۲۹۰ هندوس ١٠٤ هومز ٣٣٦ هونغ کونسغ ۵۰ ، ۱۲۱ ، ۱۸۸ ، ۲۳۱ ، ۲۳۱ هنري الشاني ۲٤٨ VOY > PA3 > YP3 هنريغ ٣٢٤ هونولولو ۵۵۶ هنفاريا أو المجر ٥٤ ، ٨٠ ، ٩٦ ، ٢٢٨ ، هوهنز ولرن ۲۷۸ ۲۳۲ ، ۳۳۵ ، ۲۳۲ هوهنز شارل ٣٣٦ هوبتمن ۵۳۲ هوهنلو ۲۷۸ الهلال الخصيب ١٢٤ هو نتمان ۱۰۳ هوبسير ١٦٦ BA1 6 87A 6 809 AB هوب هه هویتنی ۳۲ ، ۱۱۳ هودا ٤٠٥ هييل ٢٥٦ ، ٢٥٨ هود ، توماس ۹۳ هيتورب ٥٤٢ هودزيتا ۹۷} هرات ۱۱۸ ، ۱۱۹ هودسون ۳۹۱ مراتا ۱۹۷ ، ۳۰۰ هورن ، رأس ١٨٤ ، ٣٨٩ هيرکن ۲۱۲ هورسه ، جول ۳۲۹ هیرودو تسن ۷ هوسمسان ۱۰۱ ، ۲۶۲ ، ۲۶۷ ، ۲۶۲ ، هـرو ۱۷۵ 08. 6 470 هيروشيجي ١٠٥ هوغ ۱۹۱ ، ۱۹۲ هرولند ۲۶۹ هوغنسز ١٣٣ هوغو ۵۰ ، ۷۷ ، ۷۷ ، ۹۵ ، ۱۰۶ ، ۲۵۲ ، هـ پريو ۲۰۱ 078 ' T. O ' TTT ' TOY هيفل ٧٨ ، ٩٧، ١٤٠ ، ٩٥٠ ، ٥٠٠ 008 6 0.8 هوفبرغ ۲۶۳ هيلينا الجديدة ٢٥٠ هوفا ٥٠٠ (٥١) ٢٥٤

واترلو ۵، ۱۲۸ ، ۱۲۸ ، ۱۲۹ · 70. · 7.7 · 7.0 · 7.7 · 717 واسرمن ۱۳۷ 107 2 707 207 207 207 277 3 واشنطون ، بوکر ۳۵۸ : TVY: TVI - TT1 : TT7 : TT0 واشنطون ایرنن ۱۹ : ٣٩٩ : ٣٩٨ : ٣٨٣ : ٣٧٦ : ٣٧٢ واشتطون،مدينة ٥٠ -١٠٧ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، : 018 : 017 : 011 - 8.7 : 8.1 : 077 6 077 - 071 : 017 : 010 117 . 194 . 1.7 . 470 . 471 : 090 : 091 : 091 : 081 : 081 واشنطن ، جبل ١٨٠ : 711 67.V - 7.. 6011 601V واط ۳٤ 711. 710 4 718 واغسرام ۱۲۹ ، ۲۲۹ ، ۲۵۸ ، ۲۸۸ ، الولايات المتحدة الاميركية : توسعه 440 6 447 6 474 6 474 11. - 1.4 الوهابية ٧٠٤ ، ١٣٤ والتر ٤ جون ٢٨ وهران ۲۷ ، ۲۸ ، ۱۶ ، ۱۶ والراس ١٤٠ ، ٣٠٠ وهلر ۱۷۲ وایلد ، اوسکار ۲۵۲ ، ۳۳۵ وولف ۶۹ ، ۸۵ 👚 وايلز الجديدة ووه وول ستریت ۱۹۸ ، ۳۲۲ وبر ، ماکس ۲۵۶ ووندت ۱٤۱ ، ۱۲٥ الوثائقية ، الوثالقيون ٩٨ . . . ١ ، ٣٠٩ ويبر ١٨ ، ٥٧ ، ٧٥٧ ودسورث ۷۷ ويتووتر ستراند ١٩٣ ورد ۱۹۱ ويرستراس ١٣٢ ورتنبر . ١ ويزر ك قون ٥٥٥ ورنر ، ارنست ۱۹ ويكفيلد ١١٨ وست بوینت ه } ویکیت ۵۳۹ وستمنستر ، لورد ۲۹ ويلكس ١٤٣ ، ١٤٦ ولبر قورس ٨٠ ويهاد ٧١ ولتردن ٧٦٤ ولسلی ۲۲۱ ، ۷۲۶ ولسن ، الرئيس ٢١٥ ، ٦١٣ ولکنسن ۳۵، ۳۳ ولنفتون ٧٢} البسايسان : 451 . 440 . 124 . 154 الولايات المتحدة الاميركية ١١ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢ < { 37 < { 31 < { 57 . < { 60 } < { 60 } < } < } · A. 6 7A 678 6 77 6 08 6 80 6 0.7 6 0.1 6 811 6 81X 6 81Y « 110 (117 (1. V (1. 7 (1. 0 111) VII) AII) 371) 671) (017 (018 (0.7 (0.0 (0.8 4 177 4 171 4 10A 4 17A 4 17Y 718 47.7 47.7 6018 4011 < 14. < 179 < 177 < 178 < 178

باروبا ۳۸۳ يال ، جامعة ٣٧٣

6 117 6 118 6114 6 1AT 6 1Y1

يوت ٢١٣ يوركشير ١٩ ، ٥.٣ يوسين ١٣٧ يوغوسلافيا ٣٣٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٣ يوكاتان ٣٩٩ يوكوهاما ٩٩٨ ، ٥.٥ اليونسان ١٠٨ ، ٣١٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٣ ، اليونسان ١٠٨ ، ٣١٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٣ ، يونانفو ١٩٦ يونانو ١٩٦ يونانو ٢٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٩ يامادي كيزاي ؟.ه يانغ -- تسي ٢٤١ ، ١٨٣ ، ٩٠ يسوع ٢٥٨ ، ٧٠ اليسوعية ، الرهبنة : اعادة احيائها ١٤٩ اليعقوبية الجديدة . . . يلدز ، قصر ؟ . ؟ اليمود ، اليهودية ٢٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٥٩ ، اليهود ، اليهودية ٢٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٧٧ ، اليهودي التائه ، يسو ٢٩ ، ١٥٨ ، ٢٧٧ ، اليهودية ٢١٤ اليهودية ٢١٤ ، يسو ٢٩



فهرست الخرائط والنصاميم

شكل
,

404	٢١ تكون الولايات المتحدة والممتكة الكندية
ተ ኘየ	٢٢ - توسع فيلادليفيا
444	٢٣ – اميركا اللاتينية السياسية
444	٢٤ اميركا اللاتينية الاقتصادية 🔑 🥏
144	٢٥ – مثال عن الاستعهار الاوروبي ، بليدا ومنطقتها
149	٢٦ – افريقيا في القرن التاسع عشر
111	۲۷ – نمو مدینهٔ استعماریهٔ : دکار
0TV - 0T7	٢٨ الجامعات في العالم في القرن العشرين
044	<mark>٢٩ – الجام</mark> عات المؤسسة في اوروبا في القرن التاسع عشر

فهرست الصّـور

```
اللوحة رقم ١ – عجلة للمسافرين تصل الى المحطة .

    ٢ - نقل المسافرين بواسطة البخار للمرة الأولى .

٣ ـ تجربة الآلة الحاصدة الت<mark>ي اخترعها</mark> سيروس هول ماك كورميك ( ١٨٣١) ١
                               ع - الحرية ترشد الشعب ( ٢٨ تموز ١٨٣٠ ) ٠

    الجلس الثوري في (سانت اتيان ) في السنة ١٨٧١ .

                                                     ٧ -- حرية الصحافة .
                                   ٧ - مقاعد الجلس التشريعي ( ١٨٣٤ ) ٠

 ٨ - اعلان الجمهورية امام قصر بوربون في ٤ أيار ١٨٤٨ .

                                                   ۹ - باستور نی مختبره .
            10 – معرض باريس العام في السنة ١٨٥٥ – مشهد لرواق الآلات .
                               ١١ – مخازن ( زاوية الشارع ) حوالي ١٨٦٠ .
                                           ١٢ – مقطورة الدرحة الثالثة .
                                              ١٣ - تدشين قناة السويس .
    ١٤ – انجاز اول خط تلغراني بين الولايات المتحدة وشرقيها في السنة ١٨٦١

 ١٥ - طلاب الذهب الاميركيون في طريقهم نحو كاليفورنيا ( ١٨٤٩ ) .

                                     ١٦ - مؤسسة تجارية في مدينة لندن ،
                                                ١٧ - جمعة المساهمين .
                                                  ١٨ - حنون الاعلان .
                    ١٩ - صف المنتظرين امام مسرح ( المعتى - الحزلي ) .
                                              ٢٠ – الزيارة عند المزارع .
            ٢١ – اجتماع انتخابي في مشغل باريسي ، قبل الانتخابات البلدية .
                ٢٢ - مظاهرة نسائية في الـ ( كروزو ) ( نيسان ١٨٧٠ ) .
٢٣ – الملكة فكتوريا تزور الاسطول الفرنسي ، في ١٣ تشرين الاول ١٨٤٤ .

 ٢٤ – الامبراطورة اوجنى ومرافقاتها .

                                      ه ٢ - الزحمة في احد شوارع لندن .
```

- ۲۹ دخول غاريبلدي الى نابولى .
- ٧٧ الساحة الحراء في موسكو ، في السنة ١٨٤٤ .
 - ۲۸ برودوای ، في نيويورك ، في السنة ۱۸۵۵ .
 - ٢٩ سنسناتي في السنة ١٨٦٠ .
- ٣٠ دخول لنكولن الى مدينة ريتشموند ، عاصمة الولايات الجنوبية ، (١٨٦٥) .
 - ٣١ مكتب القطن في إورالان الجديدة (١٨٧٣).
 - ٣٢ مدينة بوينوس ابرس في السنة ١٨٦١ : منظر مأخوذ من ساحة الجرك .
- ٣٣ اول استمراض للمهال الاميركيين بمناسبة عيد العمل في نيويورك (١٨٨٢) .
 - ٣٤ سوق لبيم العبيد في مدينة الجزائر.
 - ٣٥ دخول النقيب (بنجر) الى (كونغ) (افريقيا الغربية الفرنسية) .
 - ٣٧ حمامات الفانج المقدسة .
- ٣٧ دخول الجيوش الفرنسية الى قلمة (هونغ ـ هوا) ، في ١٣ نيسان ١٨٨٤ .
 - ٣٨ مسرح في اليابان ، في اوائل القرن التاسع عشر .
 - ٣٩ مصالب الحرب : النزوح عن (سان _ كلود) (تشرين الاول ١٨٧٠) .
 - إلاقتراع العام: قلم اقتراع في انتخابات ٧ كانون الثاني ١٨٧٣.
 - ١٤ الافسنتين .
 - إخراج الفرش من بنت الرهن .
 - <u> ۴۳ كليمنصو يلقي كلمة في اجتاع عام في ميدان (فرنندو) (١٨٨٥) . </u>
 - ٤٤ عظمة البورجوازي وانحطاطه .
 - انطلاقة السيارات المتسابقة (باريس ــ برلين ، ۲۷ حزيران ۱۹۰۱) .
 - ٤٦ متنزه الدراجة في غابة بولونيا .
 - ٧٤ حفلة راقصة في (طاحونة الطلمة).
 - 14 -- النزمة الباريسية .

فهرست عسام

Y	
	القِست مُرالاول
	بين الاستمرار والتغييرات المحتملة في مطلع العصر
من	
11	الفصل الاول . – سكان اوروبا
	النمو المطرد المعدل العالي في الوفيات ، الاربئة الفتاكة والطاعون مع ملطوس وضده
10	الفصل الثاني . – العناية بالارض في اوروبا ، انما <mark>ط الحياة القديمة والتطور</mark>
	الطابع السائد في اوروبا لا يزال طابع التربة والارض ـ الاقتصاد الريفي لا يزال الطابع التقليدي ـ الازمات الزراعية ـ نتائج « الثورة الزراعية » ذي النهج البريطاني ـ بريطانيا العظمى وكبار الملاكين ـ الفلاح الايرلندي وما يعانيه من بؤس ومزلة في فونسا مجتمع من صفار الملاكين المتواضعين ـ الملاكين المتواضعين ـ انحكفاء النظام السيادي في المناطق الواقعة بين البحر الشمالي وجبال الابنين ـ الاطيان الضخمة على حدود اوروبا الشرقية وفي شبه الجزرع البحر الابيض المتوسط ـ القرى الروسية الكبرى الحاضعة لرق الارهى
٣1	لفصل الثالث . – التقنيات الجديدة في الصناعة والنقل
	سير العلم بين جيل وآخر _ كشوف الهندسة الصناعية _ ذروة السرعة في وسائل النقل _ حمى الاقبال على المعرات والاقنية المالية _ ظهوو سكة الحديد _ من التلفراف البصري الى التلفراف البرقي _ ازدهار السفن الشواعية وبدء العمل بالبخار
٥٣	لفصل الرابع ، – الدفع الرأسهالي والبورجوازي ـ . ـ
	حقبة تسيطر عليها حاجة ملحة للنقد ـ الدول: مصاعبها المالية ومشكلاتها كبار رجال المال والحكومات ـ ثررة آل روتشيلد ـ الشمور بالحاجة الى ت <mark>وزيم احسن في الث</mark> ررة ـ محاولة سيطرة وأس المال عل الرأي

	العام ، الانجاه نحو للصحافة الوخيصة -بين تجار وصناع _الاقتصاد : تطوره ومشكلاته، حمايةالصناعة _ التجارة الحرة وتطورها السياسي _مدن الامس رمدن الند _ البورجوازي في عهد الملك لويس فيليب
٧.	الفصل الخامس الحركة الرومنطيقية وعودة الشرعية الى اوروبا
	الروح الوومنطيقية بين جيل وآخر بين الاتباعية والابداعية : وضع غوثي ه وبتهوفن من بعده الرومنطيقي وحلمه الدفين . البيئة وادرات التمبير رومنطيقية رجعية المفعول هيفل واستبدادية المدولة عودة النظام في اوروبا الى الشرعية الشرعية الدينية السلام الارووبي عن طريق شرعية النظام الملكي
	الفصل السادس الحركات القومية والقضية العمالية في اوروبا ، الروح التحررية
٨٣	والابداعية المتفائلة
	الاح <mark>رار ــ الحر</mark> كة الرومنطيقية والقوميات ــ وضع العمال في المصنع ، بؤس البروليتاريا ــ ت <mark>نظيم العمال</mark> ، الاضطرابات العمالية العفوية ــ حرية ا <mark>لعمال وال</mark> نضال دونها ــ الرومنطيقية الاجتماعية وانبيا <mark>ء المدي</mark> نة الفاضلة ــ ماركس وودة الفعل التي قام بها <mark>ــ الديموقر</mark> اطيون والثوريون،الراديكالية والوثائقية ــ عهد الجمعيات السوية والدسائس وثورات الشواوعفي ا <mark>وروبا الغربية</mark> -الثورات الاروبية، ١٨٤٠ ـ ١٨٤
	الفسل السابع بروز الذات الاميركية في وجه الاستعمار القديم - الدفع الاستعماري
١٠٥	الجديد بعد فترة من التمهل
	نقهةر الاستعمار الاوروبي القديم في العالم الجديد تحرير اميركا اللاتينية ، حروب الاستقلال توسع الولايات المتحدة وامتدادها. ووح واشنطن وجيفوسون الديموقر اطبية ضربة تنزل بالاستعمار القديم: المخالفة الرق-الاتجاه نحو امبراطورية بريطانبة متحررة .عودة التوسع والتبسط في كل من البحر المتوسط والمفند
	القسـُمالثاني
	قوى الغرب وتوسع الاوروبيين العالمي
	توی امرب و وسع ۱۰ وروپین امنامي
	الفصل الاول . – المنعطف الحربي خلال القرن – الحروب القوميـــــة في اوروبا
170	والحرب الانفصالية في الولايات المتحدة (١٨٥١ – ١٨٧١)
	من حوب الغرم الى الحرب الفرنسية الالمانية ، <mark>حرب الانفصا</mark> ل وانقلاب <mark>الوضع في البر الاوروبي لمصلحة</mark> المانيا-بعضالمظاهر الاقتصاديةوالاجتماعيةللع <mark>مد الحربي-</mark> يميزات الحروب وعدد الحرب فيمنتصفالقرن
۱۳۰	لغصل الثاني عصر الايمان المطلق بامكانات العلم
	رسالة الغرب ــ مسألة الثقافة ــ نمو الروح العلمية : الاثر الوضمي ــ معرفة الكون ــ زمانا «مرسلين برتار» واللورد « كلفن » : المدرسة الآلية ــ معرفة الحياة والانواع الدارويتية ــ الصراع من اجل الصحة ، كاود برناروالثورةالباستورية المعرفةالتاريخية والاجتماعية الايمان بإمكانات العلم والعلم الاخلاقي النفعي.

111	الفصل الثالث . – استكشاف الارض وانتشار المثل الاوروبية
	معرفة الارض وتمثيلها ـ الاستكشافات البرية ـ معرفة الكون ـ دور اللغة في انتشار الثقافة الاوروبية ـ انتشار الروح الانسانية : مواصلة مكافحة النخاسة
101	الفصل الرابع . – ارتفاع عدد السكان ونزوحات الاوروبيين الكبرى
	نمو عدد السكان في اوروبا والعالم ـ النزوحات الارروبية الكبرى
17.	الفصل الخامس . – فتح الحاصيل الكبر <mark>ى الحيوانية و</mark> النبات <mark>ية</mark>
	القنص والصيد استخدام الشجرة مكاسب مشاجر المناطق الحارة الثمار والبقول على الحوان في الغرب التنافس والحرب بين الشمندر وقصب السكر توسيع مساحات زراعة الحبوب . بجاحات تربية المواشي . انتشار الغربيين ونتائجه غير المقصودة على الاواع النبائية والحيوانية
۱٦٨	الفصل السادس العبقرية الصناعية في اوج الانتاج الفحم الحجري وعندظهور الفولاد.
	ترويض القوى الطبيعية وسيطرة الفحم الحجري _ ارباب صناعة الحديد والفولاذ _ تنوع المعادن غـــير الحديدية والاصلاح _ امبراطورية الكيمياء الواسعة الاط <mark>راف _ تباشير الكهرباء الجديدة _ الهجوم</mark> الآلي _ المعاوض
171	الفصل السابع . ـ الانطلاقة الكبرى لوسائل المواصلات في عهد البخار
	افتصار الخط الحديدي-سباق الطرق البرية ودفاع الطرق المائية _ تقهقو السفينة الشراعية وتفوق السفينة البيخارية _ المرافيء البحرية الكبرى _ فتح الترع : السويس وبناما _ الاتصال البعيد
198	الفصل الثامن انطلاقة الرأسمالية في الغرب
	رسالة الغرب الرأسمالية ـ وفرة المعادن الشمينة ـ سيادة الذهب ـ الخلافات والانفاقات المالية ـ نمو سوق رؤوس الاموال والجهاز المصرفي ـ نمو المشاريع الرأسمالية الوجوه الرأسمالية الكبرى ـ تجنيد اليد العاملة المأجورة ـ حوية المقايضات ـ الحركة العالمية الدائرية للمقايضات ـ اعلام واسع واعلان ناشط ـ دين اوروبا على العالم ـ ازمات الرأسمالية ،التقلبات الطويلة الامد ـ السنوات الجيدة ١٨٥٠ ونهاية الموجة ١٨٥٠ ، ١٨٥٠ ـ القومية الاقتصادية الموجة ١٨٥٠ ، ١٨٥٠ ـ القومية الاقتصادية
*11	
, , ,	الفصل التاسع الاستعبار الاوروبي ونشأة السياسات التوسعية الكبرى اتفاق الظروف القومية في ادروبا والاستعبار في منتصف القرن - استعرار مذهب المناهضة للاستعبار - ديمومة التقليد الاستعباري والخطوط الاولى لذهب تسلطي - انحطاط الشركات المتازة القديمة
	الشركات التماقدية الجديدة - شركة سميل رودس التماقدية - جمعية ليوبولد الثاني الدولية الافريقية
	تدخل الدول الاوروبية الاستعمارية لحد <mark>مة المصالح الرأس</mark> مالية - مثل قونس ومثل مصوردور الضابط
	الاستعماري فاتنع ومدير ـ الحروب الاستعمارية ـ المحميات والمستعمرات ـ المنسافسات الكبرى
	والتقسيات ـ مصّير السكندينافيين المشرف في الشّمالي الاطلسي ـ الانحطاط الايبــــيري ـ استموار
	المظمة النيرلندية _ امبراطورية الروس الاوراسية _ تأسيس امبراطورية استعبارية فونسية جديدة _
	التفرق البريطان _ الستمرون الاخبرون _ من الارث البلجيكي إلى الطامع الالمائية والإيطالية

التشعالثالث

الحضارة الاوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

179	الفصل الاول . ــ المدينة ودفعها الشديد
	ازدياد السكان في المدن ـ المدينة القديمة وتوسع المدينة الحديثة ـ بمثا عن مندسة خاصة بالمسدن ـ تطور الحدمات البلدية الصحية بالمدن ـ الشارع في حبثه ولهوة وماذاته ـ بين الاخلاق الباريسية والاخلاق السادية والمرادة
	البورجوازية ـ الحضارة المدينية : مسارئها وعوراتها ـ الهرب من المدينة
468	الفصل الثاني . – استقلال اللوق
	استقلال كل من الكاتب والفنان _ نخلفات المدرسة الرومنطيقية _ القيادات الرجعية ضد الرومنطيقية : الواقعية ، الطبيعية ، الفن اللاشخصي _ المدرسة الانطباعية _ واغنر والاتجاه نحو الفن اللاعقلاني _ الابداع الشعري المستقل والرمزية
778	الفصل الثالث . – الريف ياخد جزنيا بأسباب التطور
	اكتظاظ الريف بالسكان رنزوحهم الى المدينة _ تطور التقنيات الجديدة واستثمار اصلح الارض _التطور الزواعي يتوالى بين مواسم خصبة وسنون عجفاء _ الملكية الضخمة : امكاناتها ومساوئها _ تطور الملكية الضخمة الصفيرة ومشكلاتها والاستمهار المباشر _ الفنى والفقر في قلب طبقة الفلاحين
777	الفصل الرابع . ـ المدينة المتحررة بين القوى المحافظة والاشتراكية
	الدول القومية رعبادة القرمية ـ الاقليات وحقوقها ضمن الامة ـ الابقاء على الوظيفة الملكية ومقاومــة الارستوقراطيات ـ تطور المصالح العامة الكبرى ـ مشكلات التمليم العام والتمليم المهني ـ هبوط في الايمان التقليدي وتطور الفكر الحو ـ مقارمة الكنائس لها ، مصانعتها للدولة المتحــروة ـ من الاقتراع الفرائبي الى نطام الاقتراع العام ومن حكم النبلاء الى حكم الديموقراطية ـ الفرائب والموارد المالية في الدولة ـ ازدياد حركة الثراء العام وتفارت الثروات ـ اضرابات اليد العاملة وتطور الروح النقابية ـ الحركات الاشتراكية والفوضوية عام ١٨٧٠ الدولية الاولى وكوموت ١٨٧٠ ـ نشأة الاحزاب العاملة وتأليف الدولية الثانية ـ عهد الاغتيالات الفوضوية ـ الصراع المفتوح ضد الاضرابات العالمية وضد الاشتراكية ـ المعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة ـ المعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة ـ المعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة ـ المعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة ـ المعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة والمعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة و المعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة و المعاملة الاوية والتشريع الاجتماعي ـ آمال وحدرد الحركة النائبة و المعاملة الاوية والتشريع المعاملة الاوية والتشريع المعاملة الاوية والتشريع المعاملة الاوية والتشريع الاجتماع ـ آمال وحدرد الحركة المعاملة الاوية والتسرية والمعاملة الاوية والتشريع المعاملة الاوية والتشرية والتسرية والتس
	النقابية _ الطبقة المهالية تحتبوطأة مرص اجتهاعي مزمن: الفقر _ دليلان على تحسن الوضع الاجتهاعي: صحة احسن واخلاق اندم _ خطر السلام القائم على النسلج وضألة مكاسب القانون الدولي
4.4	الفصل الخامس . ـ بين الحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط ـ الدول الاوروبية
	بريطانيا العظمى الشديدة البأس في عهد الملكة فكتوريا - كفاح الشعب الايرلنسدي - الازدهار يعم مكندينافيا - بعث النشاط في هولندا وبلجيكا - الديوقراطية الجبلية في سويسرا - الديوقراطية الفرنسية بين النظام والحركة - اوروبا المتوسطية وبميزاتها الفارقة - تأخر اسبانيا والسبرتفال عن الركب - مشكلات المملكة الايطالية الفتية - اوروبا الوسطي تحت سيطرة المانيسا البسماركية -
	الرنبالاللة على المارية علية

الفصل السادس • _ اوروبا الشرقية ويقظة الصقالية ٢٢٠٠

بروز اوروبا الشرقية ـ الشراكة النمساوية الجمرية في حوض الدانوبسمن البحر البلطيقي الى الادرياتيكي، قوميات مستعبدة تتملل وتتمطى ـ تفهقر تركيا وبروز الدول البلقائية ـ العهد الاستبدادي الروسي والنظام القديم قبل حوب القوم ـ الازمة الروسية في عهد اسكندر الثاني ، الاصلاحسات وجوادر الحول كة الشوروية ـ ردة الفعل ، مكاسب الرأسمالية وبؤس الجاهير العمالية والزراعية في عهد القيصر اسكندر الثاني ـ منظران غتلفان لروسيا : غنبة ادبية وفنية بمتازة وتأخر اقتصادي متصل . . .

القشعالرابع

الحضارات خارج اوروبا

الفصل الثاني . . التقدم السريع في العوالم الانكلوساكسونية الجديدة ٣٥٠

الاعمار ؛ مشابهات واختلافات ـ المساحات الفسيحةوالحريات العامة ؛ الحكم الذاتي والاتحادات مصير الاعمار الاعراق الملونة ـ استثمار الاراضي الجديدة ؛ من الاشكال البسيطة الى الاقتصاد التجاري الاكبر مدينة العالم الجديد ـ حضارة الآلة في الولايات المتحدة والاعمال الكبرى _ الفروع الكسبرى لهالم الاعمار كي ـ سياسة المصالح الكبرى في الولايات المتحدة ـ معارضة المزارعسين في الولايات المتحدة ـ ما في المرادية في الولايات المتحدة ـ فاتحة الحركة العمالية في اوستراليا ـ المتحدة ـ العامل الاميركي و زشأة النقابية في الولايات المتحدة ـ فاتحة الحركة العمالية في اوستراليا ـ المتحدة ـ العامل الاميركي و زشأة النقابية في الولايات المتحدة ـ فاتحة الحركة العمالية في اوستراليا ـ الاعاد المتحدة ـ فاتحة الحركة العمالية في الولايات المتحدة ـ العامل الاميركي و فرشأة النقابية في الولايات المتحدة ـ فاتحة الحركة العمالية في الولايات المتحدة ـ فاتحدة ـ العامل الاميركي و فرشأة النقابية في الولايات المتحدة ـ فاتحدة ـ فاتحة الحركة العمالية في الولايات المتحدة ـ فاتحة الحركة العمالية في الولايات العمالية في الولايات المتحدة ـ في الولايات المتحدد المت

الفصل النالث . _ الايام الصعبة في اميركا اللاتينية منذ حروب الاستقلال ٣٧٦

سيطرة مواليد المستعمرات والهجرة الاوروبية الجديدة .. حياة السكان الهنرد ; بداءة وبؤس .. مصير الدماء المختلطة والزنوج .. التفلفل الاقتصادي وهزال وسائل النقل .. جاذب الحياة في المدينة وبطء تطور الوظيفة المدنية .. ولادة رأسمالية اميركية جنربية رتدخل الرأسمال الاوروبي .. وحدة الثقافة والتصادم بين التقليد وفكرة التقدم .. تعذر الرحدة الاقليمية .. موض آخسر واسع الانتشار : الاضطرابات الدائمة في قلب الامم الفتية ، حكم الزعيم الفرد وصعوبة ولادة النظام الدستوري .. الاستموار والتنوع البرازيليان .. جهوريتان راعويتان: الارجنتين والاوروغواي .. الشيلي : غرابة جنرافية ونجاح قومي .. الجمهوريات الاربسيع في جبال اندس المرقفة : نموها السير ، فنزويلا بين سكان السهول واصحاب المفارض ، الجمهوريات الصفرى في اميركا الوسطى.. اوتقاء المكسيك المتأخر غويا والانتيل تحت السيطرة الاوروبية ، جمهوريتا هايتي .. مذهب مونوو وبزوغ فجر سياسة اميركا شاءة

الفصل الرابع . _ العالم الاسلامي من آسيا الوسطى الروسية حتى المغرب ٤٠٤

نطاق الاسلام : وحدة استفرار واشعاع ، التيارات الدينية في الاسلام وسلوك المسلم حيسال العبادات الاخرى ــ بميزات الدولة الاسلامية واوهانها ــ الامبراطورية التركية : تنوع الشعوب ــ « الرجسل المويض» فشل التنظيمات والتنظمل الاووديي في تركيا ــ فارس في عهد سلالة الحجر ــ الدولة الافغانية بين البريطانيين ــ خضوع الاسلام للروس ــ مصر : ارهى خصبة وفلاح بائس ، مطامع عمد

وخلفائه ، السيطرة البريطانية ـ الوصايات الثلاث في الجزائر وفونس وطرابلس ـ عمل الفرنسيين في الجزائر ـ الحاية الفرنسية على تونس ـ الامبراطورية الشريفية قبل التدخل الارروبي

الفصل السادس . . الهند وآسيا الشرقية امام التوسع الفربي

القشعرأنخامس

على عتبة القرن العشرين

سل النالث – الدوو الاستعمارية والحمى القومية – اعراض التقهقر الاوروبي ٥٥٦	الغه
لاقلية الرأسالية تزداد بأماً وحولاً وتوسماً ـ ضمفُ اوووبا في الأسواقُ العالمية ـ استثمارُ اقوى البلدان	
آلجديدة	
لتطور المتزامن للرأسمالية الدوليه والقوميه الاقتصاديه للساس السياسة الاستعمارية الوطنية لـ الدليل	1
العرقي والعنصرية ــ العرقية اللاسامية وظهور الصهيونية الدولية ــ الهيجان القومي في اوروبا وأهم	
مناطق الخطر ــ القوة الالمانية وسباق النسلح ــ ثلاث حوادث فشل قصاب بها اوووبا : الحبشه ،	
كوبا ، منشوريا ــ الدول الاستممارية خارج ارووب <mark>ا ، بر</mark> وز الولايات المتحدة الاميركية واليابات	
طلائع الثورة الصينيه ــ الحركات القومية <mark>خارج أوروبا ، ب</mark> وادر ردة <mark>مضادة للاستم</mark> مار	
سل الرابع – الارتكاسات العالمية والدفع الاشتراكي	الفه
البروليتاريا ووضعها القائم في أواخر القرن ـ انتاجيه أكبر وظهور التخصص التقني ـ المزيد من	
من <mark>المؤلفات الاس</mark> اسية الحريات العامه وروح التعاضد وقضية « ديموقراطية مسيحية » ا لضرائب ية	
وتطور التشريمات العمالية ـ الاضطرابات الاجتماعيه والهجرم الكبير التي هيأت أسبابه النقابية في	
اوروبا واميركا ـ الدفع الاشتراكي وتركة ماركس ـ الثورة الورسية عام ١٩٠٥ وأثرها في الحركة	
الاشتراكية	
سل الخامس من السلم الى الحرب الاوروبية	الغه
عدم جدوى مقارمةالمالم العمالي للامبريالية والحرب اولى « مؤتمراتالسلام » فشل التحكيم والدعوة	
الى نزع السلاح	
111	الخا
تمة التوجيه الببليوغراني	
مراجع عربية	
جدول زمني مقارن	
جدول الاعمال	
فهرست الخرائط والتصاميم	
فهرست احرابط والتصامم	
قهرست الصور	
فهرست عام	
النامي الحلد السادس، وبليه الحلد السيايع والأخس	
اننهى الجلد السادس، وبليه الجلد السَّابع والْأخير العسادس، وبليه الجلد المساحس	

لبلديني

٣٦ـتاريخ السوسيولوجيا	١_حوار الحضارات١
٣٧-الفدرالية	٢_الميتولوجيااليونانية
٣٨-أمراضالذاكرة	٣_ميادىء في العلاقات العامة
٣٩ - المذاهب الأخلاقية الكبرى	ع الخلدونية
٠ ٤ _نقدالايديولوجيات المعاصرة	ه_سوسيولوجياالأدب
١٤ ـ الفلسفات الكبرى	٦-الأسواقالزراعية
٢٤-العواطفوالحياة الأخلاقية	٧ الجمالية الفوضوية
٤٣۔المكتبات العامة	٨_تاريخ الفنون العسكرية
£ ٤ ـ منظمة الأمم المتحدة	٩-الفكر الفرنسي المعاصر
ه ٤ ـ الدستور واليمين الدست <mark>ورية</mark>	١٠ _ الأحب المقارن
٤٦ هذه هي الحرب	١١ ـالإسلام
٧٤ ـ الممارسة الايديولوجية	١٢ ـ برغسون
٨٤_المواطنوالدولة	١٣ ـسيكولوجياالفن
٤٩ - فلسفة العمل	١٤ ـ تأملات ميتافيزيقية
٠ ٥ ـ مونتاني	ه ١ _ في الدكتاتورية
٥١-علم الجمال	١٦ _المقدالنفسية
۲٥-تدريب الموظف	١٧ ـدستويفسكي
٥٣ فلسفة التربية	١٨ _نظرية العفو
٤٥ <u>-السوق الن</u> قدية	١٩ _الإنسان ذلك المعلوم
٥٥ ـ الإنسان المتمرد	۲۰ ــســـوســيولوجياالفن
۲۵_تیار دوشاردان	۲۱ _السيمياء
٧٥ -التربية الحديثة	٢٢ ـ التخلف المدرسي
۸۵۔کیرکیغارد	٢٣ علم الأديان وبنية الفكر الإ <mark>سلامي</mark>
٩٥-تقنية المسرح	۲۶_مدخل إلى علم السياسة
٠٠ - المذاهب الأدبية الكبرى	٢٥ _نقد المجتمع المعاصر
۲۱-النقدالجمالي	۲ <mark>۱ ـروسو ، </mark>
٦٢ ــا لحضارات الإفريقية	۲۷ <mark>ـ الأدبالر</mark> مزي
٦٣ ديكارت والعقلانية	٢٨ ـ طريقة الروائز في التربية
 ١٤ - العلاقات الثقافية الدولية	۲۹ مصيرلبنان في مشاريع
٦٥-البيبليوغرافيا	۳۰ ـ من دیکارت إلى سار تر
٦٦_علم السياسة	٣١-الانطباعية
٦٧ الإعلاميا	٣٢_تاريخ قرطاج٢٠
🔻 ۲۸-سوسيولوجياالسياسة	۲۳-باسکال
٦٩ ـ الأدب الطبيعي	٣٤-المؤسسات العامة
٧٠_الجمالية عبر العصور	٣٥-المسألة الفلسفية

۱۰۷_الكلام	٧١-فن تخطيط المدن
١٠٨ ـ النظام السياسي والإداري في بريطانيا	٧٢ علم النفس التجريبي
١٠٩ - الثقافة الفردية ولقافة الجمهور	٧٣-أصولالتوثيق
١١٠ - توظيف الأموال	٧٤-دينامية الجماعات
١١١ -الأدب الألماني	٥٧ ـ تاريخ العرقية
١١٢-المحاسبة التحليلية	٧٦-قيمة التاريخ
١١٣-النظام السياسي والإداري في فرنسا	٧٧ـسوسيولوجياالصناعة
١١٤-الأمومة والبيولوجيا	٧٨-الماركسية بعدماركس
١١٥-الحريات العامة	٧٩_معرفة الذات
١١٦_قانون الفضاء	۰ ۸ <mark>- تاریخ الطیر</mark> ان
١١٧ ـ تلوث المياه	٨١ مالتعليم المبرمج
١١٨ النقدالأدبي ١١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	۸۲_السلطة السياسية
	٨٣_سوسيولوجيا الحقوق
۱۱۹ - النظام السياسي والإداري في الاتحاد ۱۲۰ التلوث الجوي	٤٨الخطوط الأولى لفلسفة ملموسة
١٢١ - النسبية	٥٨مدخل إلى التربية
١٢٢-السوريالية	٨٥ ممرفة المغير
۱۲ ۲ ـ حلول ف لسفية	۸۷۔القیمة
١٧٤_التلفزيونالملون	٨٨_عظمة الفلسفة
١٢٥ مدخل إلى الإقتصاد	٨٩_الإنسان الأول
١٢٦ ـ الأخلاقوا لحياة الاقتصادية	• ٩- اللحظة العدمية المتعالية
١٢٧ مناهج علم الاجتماع	٩١- الجمالية الماركسية
١٢٨ ـ استطلاع الرأي العام ١٢٨ ـ	۲ ۹ _ تاریخ بابل
١٢٩ ـ وحدة الوجود العقلية	٩٣ الفلسفة والتقنيات
١٣٠ -الأدب الإيطالي	٩٤ - جغرافية العالم الصناعية
١٣١ ـ المذاهب الاقتصادية	ه ٩ فلاسفة إنسائيون
١٣٢ - الفن التكعيبي	٦ <mark>٩ ـ الحرب الأهلية</mark>
١٣٣ مالتربية الجنسية عندالولد	۷ <mark>۹-أصل المو</mark> حدين الدروز
١٣٤_فلسفة القانون	٩٨ من الرأي إلى الإيمان
١٣٥_الطفولة الجانحة١٣٥	٩٩_التسويق
١٣٦ -الرواية البوليسية١٣٦	١٠٠ ـ دفاعاً عن الأدب
١٣٧ ـ النقد البنيوي للحكاية	١٠١ ـالذين يحضرونغيابهم
۱۳۸-تاریخ الجزائر المعاصر	١٠٢_الجماعات الضاغطة
	١٠٣-الأسطورة
۱۳۹ ـ الكوميديا	۱۰۶_التوفيروالتثمير
١٤١ ـ الــيكولوجيا الصناعية	١٠٥ ـ الإحصاء
١٤٢-الدولة	١٠٦ ـ الوظيفة العامة

١٧٧_الفكر العربي	and the same
١٧٨_طبيعة الميتافيزيقا	١٤٣ البحث الملمي ٢٤٠٠٠٠٠٠٠
١٧٩ _الحدمة المدنية في العالم	ع ع المالم المالي من المالي ال
١٨٠ ـ التربية المستقبلية	ه ١٤٥ ـ التوجيه التربوي والمهني ٢٤٠٠٠٠٠
١٨١ ـ تاريخ الحضارة الأوروبية	١٤٧ مالجوع١٤٧
١٨٢ _حقوق الإنسان الشخصية والسياسية	١٤٧ ـ التخفيض النقدي
۱۸۳ المحاسبة	١٤٨ ـ القانون الدولي
١٨٤ -سيكولوجياالذكاء	١٤٩ ـ الدراماو الدرامية
١٨٥-الاقتصادفي المغرب العربي	١٥٠ ـ صراع الطبقات
١٨٦ ما فولتير	١٥١ ـ الامبريالية
۱۸۷_التاريخ الدېلوماسي	١٥٢ ـ الاستعارة والمجاز المرسل
١٨٨ الطبقات الاجتماعية	١٥٣_علم الدلالة
١٨٩ من الكندي إلى ابن رشيد ، ١٨٩	١٥٤ البنيوية
١٩٠ـالاستثمارالدولي	٥٥١ ـالاتجامات الأدبية الحديثة
١٩١ مدخل إلى السوسيولوجيا	١٥٦ ـ جغرافية الاستهلاك
١٩٢ المركة النقابية في العالم	١٥٧ معايير الفكر العلمي ٢٥٧ معايير الفكر
١٩٣ ـ المحاسبة في النظرية والتطبيق	۱۵۸ ـ تاريخ الحساب ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ،
١٩٤ الأدب اليوناني	١٥٩ ـ الياس أبو شبكة
ه ۱۹ متاريخ علم النفس	١٦٠ آراء في السعادة
١٩٦ الفوضوية	١٦١ متقنية السينها ١٦١٠
۱۹۷_المورفولوجياالاجتماعية	١٦٢ ـالعقل والنفس والروح
١٩٨ ـ الأليات الزراعية الحديثة	١٦٣ ـ علم النفس الاجتماعي
١٩٩ ـ التسويق السياسي	١٦٤ الطالق
۴۰۰_الفلسفة الشريلة	ه ١٦٥ مناهج التُربية٠٠٠
٢٠١ ـ الاسترخاء	١٦٦ مآداب الحند
۲۰۲ به ۲ به ۲ به	١٦٧ الوحدة والديموقر اطية في الوطن العربي
٣٠٣ المواقف الأخلاقية	١٦٨ جغرافية السكان
٢٠٤ مع الفلسفة اليونانية من ٢٠٠ م	۱۶۸ والتقمص
۲۰۵ ـ آضواء عربية على أوروبا في القرو بالوسطم	١٦٩ ـ حقوق الطفل
القرون الوسطى القرون الوسطى	۱۷۰ آینشتین
٢٠٧-الأسواق المالية في العالم ٢٠٠٠	١٧١ ــ السدود
۸۰۷_المراهقة	١٧٢ ـ تقنية الصحافة
۲۰۹ الکندي	١٧٣ الإنسان
۲۱۰-الصحة العقلية	١٧٤ ـ الأُدب الصيني
٢١٢ الوسائل السمعية والبصرية	١٧٥_تقريظ الفلسفة
۲۱۳ النتات	٧٦ ١- اللامركزية السياسية والإدارية في العالم

.



HISTOIRE GÉNÉRALE DES CIVILISATIONS

publiée sous la direction de MAURICE CROUZET Inspecteur général de l'Instruction publique

TOME VI

LE XIX° SIÈCLE

L'APOGÉE DE L'EXPANSION EUROPÉENNE (1815-1914)

Par

Robert SCHNERB

Professeur honoraire de Premiere Supérieure Docteur ès Lettres

QUATRIÈME ÉDITION REVUE

Texte traduit en arabe

par

Youssef A. DAGHER & Farid M. DAGHER

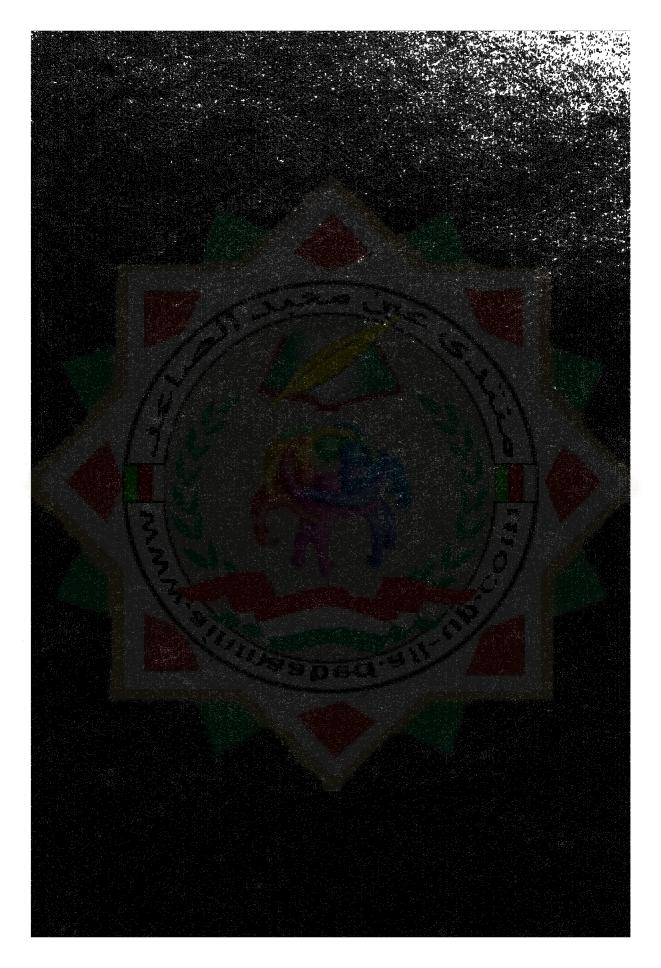
EDITIONS OUEIDAT

Beyrouth — Paris











منتدى عين معبد الصاعد WWW.AINMAABED.ALL-UP.COM

مكتبت منتدى عين معبد الصاعد



- كتب دىنىت
- علوم القرآن
- علوم السنة النبوية

 - روايات عالميت
 - - سياسة

- كتب المرأة
- كتب الطبخ
- كتب انجليزية
- كتب فرنسية

كتب ثقافيت

- كتب أطفال
 - إعلام آلي
- بحوث ورسائل جاهزة

- شخصيات ومشاهير

 - كتب علمية
 - كتب الطب